

عبد الله القصيمي

يا كل العالم لماذا أتيت؟



يا كل العالم لماذا أتيت

عبد الله القصيمي



ص.ب 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
arabdiffusion@hotmail.co.uk

www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف: ٩٦٨-٩٦٩١٤٨، فاكس: ٩٦٨-٩٦٩١٥٠

ISBN 978-9953-507-35-4

الطبعة الثانية 2008

فهرس المحتويات

٧	يا كل العالم من أين أتيت؟
٢٣	نعم، نحن خير أمة أخرجت للناس ولكن لماذا؟
٨١	التخلف الحضاري والتخلف التكريني وأي التخلفين نحن متخلفون؟
١٦١	في غار حراء لم أجد الإله ولا الملاك
٢١١	لماذا لا نجد مسيحاً ولا سقراطاً عربياً؟
٢٤٣	لماذا أتيا النفط العربي جثت بدلاً عن الإنسان العربي؟
٢٥٩	الأذكىاء هم مبتكرو ومعلمو الغباء، لماذا قال النبي هذا؟
٢٧٣	لماذا يسارع المتخلفون إلى الدخول في الإسلام؟
٣٥٩	ماذا لو حاكت الأرض والطبيعة الإنسان العربي أو لو حاكهما؟
٤٢٧	بطن المرأة أخطر مصنع في الكون
٤٥٣	العلاقة بين القلم والإنسان والإله
٤٨٥	السماء تستورد الآلهة من الأرض
٥١١	لماذا جاء تكوين الإنسان أقسى جهازاً للتعذيب؟
٥٢٥	أرفض أن يحمي القرآن شاعر هجاء لشعبي اليمني
٥٤٩	إنها لأخطر مؤامرة أن يترك العرب يتعلمون القراءة والكتابة
٥٥٧	كنت يا بغداد يوماً كل أنهار الحضارة
٥٦١	إني أبدأ أصلي ولم أجرب أن أغني
٥٦٥	إنه لا تقدم أو تطور أو جمال أو أخلاق أو دين بلا تمرّد
٥٦٩	لنقاتل كل أحد لئلا يدخل في ديننا لئلا ينافسنا في فردوسنا

٥٧٩	احتلال الإله لعقولنا ولنفسنا أقبح أنواع الاحتلال
٥٨٣	أيها الذباب تصدّق على شعبي بشيء من بسالتك وصدقك
٥٩١	تعالوا نقرأ الله تعالوا نقرأ الكونا
٥٩٥	ماذا يساوي حرف «لاء» عند قومي؟
٥٩٧	الزحف العربي الجديد إلى المقابر.. لماذا؟
٦٠٥	ارحموا الإله.. انقذوه.. برئوه.. نداء استغاثة إلى كل العالم
٦٤٧	لا.. لم تكن الكلمة في البدء ولا البدء..

يا كل العالم من أين أتيت؟

لا تحسب هذا دعوة إلى التشاؤم أو إلى الموت بالاختيار، فأنت لن تتشأم أو تموت بالقراءة أو بالدعوة أو بالإقناع والحوار أو حتى بالافتتاح. ولكنها دعوة إلى رؤية الذات وقراءتها ومحاورتها.. ما أقسى وأصعب ذلك، أي التخاطب والتحاور مع الذات وقراءتها ورؤيتها.. حتى الآلهة هل استطاعت أو تستطيع أن ترى أو تقرأ أو تحاور أو تخاطب أو تفهم ذاتها؟ ماذا كان يمكن أن يحدث لو فعلت ذلك؟ هل تتمنى أن تكون قد استطاعت وفعلت ذلك؟ إنها أي الآلهة لم تر ولن ترى ذنباً أو خطأ من ذنوبها وأخطائها التي هي كل الذنوب والأخطاء، وترى بكل القسوة والمحاسبة كل ذنوب وأخطاء كل الآخرين التي هي كلها ذنوبها وأخطاؤها هي بلا منافس أو مشارك.. لقد علمتكم آلهتكم ألا ترى أنفسكم ووجودكم مهما استطعت أو أردت أن ترى كل شيء بل أن ترى ما ليس شيئاً!

هل تستطيع يا كل العالم أن تسأل هذا السؤال أو تسمعه أو تقرأه أو تفسره أو تفهمه أو تحاسب أو تحاكم وجودك وكل كينوناتك وحضاراتك وإبداعاتك وعقربانك وآلهتكم وأديانك وأنبيائك به دون أن تصرخ بكل لغاتك وحركاتك وانفعالاتك: لا، لا.. لا أريد ولا أقبل ولا أستطيع أن أسأل أو أقرأ أو أرى أو أفهم أو أفسر أو أحاسب أو أحاكم أو أحاصم أو حتى أحاور نفسي أو وجودي أو بدايتي أو نهايتي أو حوافزي أو أهدافي أو أي تفسير من تفاسير وجودي.. إن ذاتي ووجودي هما كل أعدائي.. كل أسلحة وجيوش ومراكز أعدائي.. إن في رؤيتي لذاتي ووجودي كل عذابي وانفعاعي وهوائي وهزائي وفضائحي.. إنني لا أستطيع أن أرضى أو أقبل أو أعاش أو أسالم شيئاً من وجودي أو كينوناتي إلا بأن أجيء وأظل أعمى أصم أخرس فاقد كل لغات التعبير المتسائل المحاسب المحاكم المشروط الناهض.. نعم، يا كل العالم هذا السؤال المرعب الفاجع الهازم الفاضح الطارد المذل لكل شيء والذي هو أكبر وأذكى وأقوى من كل شيء.. من كل وجود ومن تفاسير وأخلاق ومعاني كل وجود وموجود..

... هذا السؤال الذي قد يقال إن الآلهة لم يتنكر الأديان والأنبياء إلا لكي توغفهم للصرف والإلهاء عنه، أي لو كانت أو إن كانت أي الآلهة قد فطنت إليه.. إلى هذا السؤال، وكذلك جاءت النظم والمذاهب والتعاليم للصد عنه مفترضة قد فطنت إليه، وهذا افتراض صعب مثل افتراضه في الآلهة. إن الآلهة والمذاهب والتعاليم والنظم لا تخاف أو تقارم مثلما تخاف وتقارم الأسئلة الصادقة الباسلة المحاسبة المحاكمة لأنه لا يعريها أو يفضحها أو يقهرها ويسقطها مثل هذه الأسئلة..!

هذا السؤال الذي يقول والذي يجب أن يقول والذي كيف أمكن وحدث ألا يقول؟ هذا السؤال الذي يقول بكل اللغات التي لم يعرفها أو يتكلمها أحد من البشر أو من غير البشر أو حتى من

الآلهة، مع أن المفروض والواجب أن يكون هو السؤال الأول والحروف الأولى في كل اللغات، بل واللغة الأولى من كل اللغات بل أن يكون هو السبب المعلم لكل اللغات، هذا السؤال الذي لو قرأته وعرضه الشموس لغابت عنها كل أمجادها..!

.. الذي يقول دون أن يقول أو يجزؤ أن يقول أو يقال.. أليس أصدق وأقوى وأذكى وأتقى وأجهر الأقوال هي الأقوال التي لا تقال ولا يجزؤ أو يستطاع أن تقال أو تقول.. التي لم تعرف أو تجزؤ أو تستطع أن تقولها حتى الآلهة، هل استطاع أو عرف أو أراد أي إله أن يقول أي قول ذكي أو صادق أو جميل أو نافع أو مهذب؟ نعم، أعني السؤال الذي يقول أو يطلب أو ينبغي أو يجب أن يقول:

يا كل العالم من أين جئت ولماذا جئت أو جيء بك كما جئت بالصيغ والأساليب والأحجام والذوات والصفات والسلالات وفي الزمان والمكان والبدائيات والنهائيات التي جئت محكوماً بها مفروضة عليك بكل ضرورتها واحتياجاتها وظروفها وآلهتها وأديانها وعبودياتها وأحقادها وعداوتها وانقساماتها وتمزقاتها وحتمياتها وأخطائها وخطاياها وبكل آلامها وعاهاتها.. بكل ملائكتها وأبالستها وإيمانها وزندقاتها.. دون أن تدري أو توافق أو تستشار أو تختار أو حتى تشارك أو تحضر أو ترى أو يختار لك بين أكوام وعوالم وأشتات الاحتمالات أكثرها ملائمة وراحة لك، أو أقلها تعذيباً وإذلالاً وتحقيراً وتشويهاً وفضحاً وهزيمة وتضليلاً وتجويعاً وصدمات لأشواقك وآمالك وتطلعاتك بل ولآلهتك وأنبيائك وأديانك وتعاليمك وقراءاتك وفلسفاتك وتفسيرك ولكل صيغ ومعاني وجردك وحياتك؟ كيف اختار لك وجودك، من اختاره إن كان وجودك باختيار وهل بقبل أو يعقل أو بغفر أن يكون باختيار أو أن يكون بلا اختيار؟ ولو وجد المختار فمن اختاره ولماذا اختاره ليحيى مختاراً كما جاء؟

.. يا كل العالم أنتحسب أنك تربح من مجيئك بممارساتك اليومية اللذيذة الفرحة النزقة الضاحكة النشوى الفاضحة المعربة المذلة لأعضائك المستعبدة المفسدة لها كل التفاسير الأليمة الصغيرة الرديئة؟ لا.. حديق بقسوة لتجد أنه لا ربح لك في أي شيء من ذلك.

.. إن هذه الممارسات المحسوبة والمزعومة كل السعادة والبهجة والمرح ليست إلّا رفضاً ومقاومة للتقيض وإعلاناً عنه وتدارياً وهرباً منه ومحاولة للتخفيف من قسوته، بل ليست أي هذه الممارسات السعيدة إلّا تقيضها جاءت في صيغ ولغات أخرى..!

إن هذه الممارسات ليست إلّا أقصى أساليب استبعاد وإذلال وجودك لأعضائك واستبعاد وإذلال أعضائك لك.. لكل معانئك.. إنها ليست لذة بل مقاومة للعذاب.. إنها ليست إلّا بعض أساليب مقاومة وجودك لكيثونات مجيئك.. ليست إلّا هرباً من مجيئك كما جئت وشتماً له وغيطاً منه.

إنها إعلان عن ورطتك بوجودك وعن ورطة وجودك بك..! حتى عبقرياتك وإبداعاتك وابتكاراتك الخلاقة إنها ليست إلّا احتجاجاً على قبح وافتضاح وآلام وآثام وضياع مجيئك ومحاولة للتداري والتخفيف من ذلك والسر عليه والتضليل والصرف عنه والتجميل لقبه وبؤسه..!

إن كل عبقرياتك وإبداعاتك ليست إلّا محاولة لتغطية وستر كل القبح أو لتخفيف وتخدير كل الألم والعذاب.. إنها إذن في كل الحسابات والتفسير والرؤى ليست ربحاً أو عطاء ولكنها شيء من

المقاومة والدفاع والتهوين أي عبقرياتك وإبداعاتك وابتكاراتك الخلقة العظيمة..!

شيء من المقاومة والدفاع والتهوين من بشاعة وورطة مجيئك، هل يوجد ما يشكى أو يئس أو يخجل منه لولا مجيئك؟ هل يمكن ذلك؟ إن المدافع لن يكون رابحاً أو أخذاً أو معطى مهما انتصر..! إن كل عبقرياتك وإنجازاتك الهائلة المذهلة لا تساوي إلا تسديد أو محاولة تسديد بعض احتياجات ومجاعات وجودك أو إلا التخفيف أو محاولة التخفيف من آلام وعار وقبح وعجز وجودك أو من كآبته وعيته وفراغه من المعاني.. إذن ماذا تساوي عبقرياتك وإنجازاتك الصاعدة بك فوق النجوم؟ ماذا تساوي محاسبة بوجودك ومحاسباً بها وجودك؟ إن كل ما تفعله وأعظم ما تفعله لن يكون إلا تداوياً أو محاولة للتداوي من أدواء وآلام وأخطاء وتفاعلات وجودك أي مجيئك أو المجيء بك كما جئت.. إن كل أفكارك وتخطيطاتك وخطواتك واهتماماتك وقدراتك ليست إلا مقاومة لوجودك.. إلا تداوياً من مجيئك.. مما فرض عليك وأوقع بك وجودك أي مجيئك كما جئت.. إلا تكفيراً عن ذنوب مجيئك.. إن جميع ألهمت كما تقول وتروي أنت لم تستطع أو تقبل أو ترد أن تغفر كل ذنوب مجيئك، ولهذا أعدت للانتقام منك الجحيم بكل ما فيه من أهوال الحساب والعقاب والعذاب كما تقول لك أديانك ونبوءاتك وتعاليمك.. هل عرفت ذلك؟ كيف لم تعرفه؟ لو كانت ألهمت راضية عن مجيئك هل تقاسي لتبتكر الجحيم؟

أليس ابتكار الجحيم للتعذيب به أي لتعذيبك به تدليلاً واعترافاً وإعلاناً بأن ألهمت لا تستطيع أو لا تقبل أو تريد أن تغفر كل أخطاء وخطايا وقبح ودمامات وتشوهات مجيئك؟ أليس الجحيم بكل أهواله أحد التفسيرات لضخامة ذنوب مجيئك؟ لقد تحولت أنام مجيئك إلى أقسى التعذيب لآلهمت.. إلى أقسى الغيظ والإغضب والإذلال والهزائم لهم.. لهذا ابتكروا لك الجحيم بكل جنونه!

.. يا كل العالم أنت حسب أنك تتعامل أو تستطيع أن تتعامل مع أي شيء من الحرية التي نتحدث عنها بكل الإعجاب والكبرياء والدوام والحماس والصهيل فلسفاتك وتعاليمك ومذاهبك وقياداتك وزعاماتك وسلاجاتك؟

كيف لم تعرف يا كل العالم إن قمة حريتك هي حضيض عبوديتك؟.. إنك منذ الحبل بك.. منذ وضعك بذرة إلى ولادتك.. إلى نهائك مستغرق مستعبد كل صبيغ وتفسير ومعاني الاسترقاق والاستعباد في كل تصرفاتك ونياتك واتجاهاتك بلا أي أمل في حريتك أو تحريرك أو إعترافك.. إنك حبلًا وولادة وطفولة وشباباً ورجولة وكهولة وشيخوخة ونهاية تنتقل من عبودية إلى عبودية بلا مخرج من ذلك..!

.. لهذا ما أعظم وأسذج خطأ من قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»..!

فأفقد كل الرؤية والصدق والفهم من قال هذه القولة..!

.. أي معنى من معاني الحرية يولد بها أي مولود؟ إنه يولد محكوماً بكل صبيغ ومعاني الاستعباد محروماً من كل صبيغ وأسباب ومعاني الحرية إلا حرية البكاء والتألم والرغبة وإلا حرية إنفراد فضلاته على نفسه وعلى فراشه وعلى أحضان والدته وعلى كل ما حوله.. وهل هو حر في شيء من ذلك؟ إن

كل الأغلال والقيود تولد مع كل مولود.. إن كل العبوديات تولد مع الولادة.. لحظة الولادة.. إن كل العبوديات تلدها الولادة.

.. انظر يا كل العالم كيف وكم أنت مستعبد استعباداً ذاتياً مهما كانت قسوة أو خفة استعبادك خارجياً.. مهما كنت أو حسبت أو بدوت أو ظننت نفسك غير مستعبد خارجياً بل حراً كل الحرية خارجياً؟ كلا. إن كل موجود مستعبد كل الاستعباد ذاتياً وخارجياً.. إن كل أفعالك ومواقفك وتعبيراتك ووظائفك مستعبدة كل الاستعباد لنياتك وحساباتك وأفكارك وأهوائك وانفعالاتك واحتياجاتك ومجاعاتك ولعرضك لذاتك ومخاوفك وطاقاتك وإن ذاتياتك هذه مستعبدة كل الاستعباد لأعضائك ولوظائف وأوامر ومطالب وأخلاق أعضائك ولقوتها وضعفها آمرة مستبدة حاکمة متحكمة بلا مخالف أو منافس أو منازع أو معارض..

وإن أعضائك بكل ممارساتها وشهواتها وحماقاتها وبذاعاتها وطغياتها واستبدادها وكبرياتها لمستعبدة كل الاستعباد لذاتك، وإن ذاتك مستعبدة لذاتك.. لوجودك.. لمجيتك.. لصيغة مجيتك.. وإن وجودك ومجيتك مستعبدان لمجيه ووجود هذا الوجود المستعبد استعباداً ذاتياً مطلقاً.. استعباداً لا أمل في الإنقاذ منه أو في تخفيفه.. ووجودك ومجيتك مستعبدان استعباداً ذاتياً وخارجياً دون أن يوجد أو يحتمل أو ينتظر أن يوجد أي منقذ لك أو للكون أو لأي شيء من العبودية الذاتية أو من العبودية الخارجية.. إنه لا منقذ لك من ذلك إلا فقدك لذاتك ووجودك بكل صيغتهما وتفسيرهما أي ذاتك ووجودك!

.. ولكن من فاعل هذا الاستعباد؟ هل فاعله غير من فعل به؟ إنها قضية قد تكون بلا مثل مع أنها كل الممثل.. مع أنها كل القضايا..! يقول المؤمن: الإله هو الفاعل لكل شيء والفاعل بكل شيء، ولكن من الذي يفعل بالإله أفعاله؟

.. إنه بهذا التفسير وهذه الرؤية اللذين هما كل التفسير والرؤية لا حرية لأي وجود ولا لأي موجود ولا مع أي وجود أو موجود. فإما لا وجود وإما لا حرية..

إن الوجود هو كل الاستعباد ولا استعباد بلا وجود..! وكلما عظم الموجود أو الوجود عظمت عبوديته، فما يدعى وبحسب حرية ليس إلا كل تفسير ومعاني العبودية، ولهذا فإن عبوديات الآلهة هي أنسى وأشمل العبوديات.. عبودياتها الذاتية وعبودياتها الوظيفية..!

.. إن حريتك التي تدعيها وتعلمها وتعلنها وتفاخر بها وتتعامل بها في أعلى مستوياتها أي وترها كذلك لن تساوي في تفاسيرها ورؤيتها المحدقة المحاسبة أكثر من حريتك في أن تمرض وتشخ وتولد وتموت وتحزن وتضعف وتخاف وتظلم وتجوع وتصاب بالأشواق والانفعالات الجنسية وبالوظائف الجنسية، إن حريتك هذه لن تكون أكثر من حرية الإله في ألا يكون إلهاً عابداً عاشقاً مادحاً لنفسه أو في ألا يكون قاتلاً مشوهاً ضارياً باطشاً هادماً لما صنع وشاد وبنى.. مهدداً متوعداً..!

آه يا كل العالم حتى عقلك وتفكيرك.. حتى عقلك وتفكيرك أعظم وأقوى وأذكى وأنبى وأصدق ما فيك كما يقال ويعتقد ليسا حرين ولا يمكن أن يكونا حرين.. حرين في أن يكونا أو في

ألا يكونا.. أو في أن يكونا قوين أو ضعيفين.. ذكيين أو غبيين.. صادقين أو كاذبين.. مخلصين أو منافقين.. متجهين في هذا الاتجاه أو في الاتجاه الآخر أو المضاد..

هل عقلك وتفكيرك حران في أن يتخلقا فيك أو لا يتخلقا وهل أنت حر في أن تقبلهما أو ترفضهما أو تصوغهما أو تحدد طاقتهما؟ حتى عقلك وتفكيرك يا كل العالم..!

إنهما أي عقلك وتفكيرك محكومان مستبدان بلا إنقاذ أو تخفيف مهما زعما وأعلنا وحسبا حرين حاكمين متحكمين.. إن استعبادهما وإذلالهما لأقصى وأشمل إذلال واستعباد. إنه لا يوجد مستبد ومذل ومحكوم مثل عقل الإنسان وتفكيره. هل يستطيع إحصاء المستعبدين لهما؟

.. إنهما يتكونان كما تتكون الذات والأعضاء وكما تتكون أوصافها وأحجامها وطاقاتها أي الذات والأعضاء وينتجان كما ينبت الشجر ثم يتحولان إلى موظفين خاضعين لكل صيغ ومعاني الاسترقاق والنسخير والهوان والطاعة..

.. إنهما أي عقلك وتفكيرك يا كل العالم لو أرادا ألا يوجدوا أو ألا يوجدوا كما وجدوا لما حدث ذلك.. لما استطاعا ذلك..

إنهما لا يملكان أي قدر أو نوع من الحرية الذاتية في رؤيتهما أو سلوكهما.. لماذا يفكر الإنسان ويعقل بأساليب لا تملكها الكائنات الأخرى؟

أليس هذا اضطراراً لا اختياراً؟ أليس الاختلاف أو التفاوت في هذا مثل الاختلاف أو التفاوت في كينونة الدوات؟

أليس العقل والتفكير تكوينياً وتكوناً ذاتياً جبرياً وليساً طلباً أو اكتساباً أو تخطيطاً حراً؟ أليس تخلفاً وليساً خلقاً مخططاً مدبراً؟

.. إن كل شيء فيك مستعبد استعباداً تكوينياً ذاتياً. فالجماد والنبات والحيوان وكل شيء مستعبد هذا الاستعباد. وأقصى صيغ ومعاني هذا الاستعباد هو استعباد الإنسان وإن كان المعتقد والبادي للرؤية غير المحدقة خلاف ذلك.. فالإنسان مستعبد لذاته أكثر وأقصى من استعباد النبات والحيوان لذاته.. هل يمكن أن يكون حراً أي قدر أو نوع من الحرية من لا يستطيع أن يكون حراً في ألا يجوع أو يظمأ أو يخاف أو يحب أو يكره أو يريد أو يرضى أو يغضب أو يحزن أو يشيخ أو يموت أو في ألا يستفرغ فضلات طعامه وشرابه بالأساليب التي بها يستفرغها في الأوقات التي يضطر إلى استفرغها فيها في الأماكن التي يستفرغها فيها؟!

الكائن المستعبد لأعضاء الاستفراغ فيه كيف يمكن أن يملك أي قدر من الحرية أو أن يحسب شيئاً من ذلك بل هل مثله استعباداً؟ بل كيف يمكن أن يتحدث عن أي شيء من الحرية؟ إن حرية الموجود في كل معانيها وتعبيراتها ليست إلا كل الطاعة الشاملة المنفذة لقهر عبوديته له.. إن المطيع مطيع لاستعباده.. أنت موجود إذن لن يمكن أن تكون حراً.

إن الموجود لا يستطيع أن يكون حراً أمام استعباد ذاته له، واستعباد وجوده لذاته، واستعباد الوجود وكل وجود لوجوده، واستعباد وجوده لوجوده..

.. إن الوجود هو كل العبودية، وإن كل العبودية هي كل الوجود. فلا عبودية بلا وجود ولا وجود بلا عبودية!

- نعم، إن الموجود هذا لا يستطيع أن يكون حراً بأي معنى من معاني الحرية إلا بقدر ما يستطيع الإله أن يكون حراً في ألا يكون إلهاً أو في ألا يكون مستعبداً ومطيعاً خاضعاً لأوصاف وشهوات ونزوات وحماقات وطغيان وهوان وحرمان ومجاعات وهزائم وحسرات الألوهية والآلهة. ما أقسى وأدوم عبودية الآلهة لألوهياتها! أليست كل العبوديات متولدة من عبوديات الآلهة لذاتها؟

إن كل ما يزعم ويرى ويعلن كل صيغ وتفسيرات وتعبيرات الحرية ليس إلا أقسى وأقوى وكل المعاني والتفسيرات والصيغ والتعبيرات لأشمل العبوديات..

إن كل كلمات العبودية صادقة ولا صدق لأية كلمة من كلمات الحرية بهذه التفسيرات والرؤية!



.. نعم، يا كل العالم من أين جئت ولماذا جئت وجئت كما جئت بالصيغ التي بها جئت دون كل الصيغ الأخرى؟ هل الصيغ التي بها جئت هي أجمل أو أذكى أو أقوى أو أكرم أو أنظف أو أنفع أو أعظم أو أتقى أو أشرف أو أنبل الصيغ أم هي كل الصيغ التي يمكن تصوّرها وتقبّلها والتعامل بها ومعها والتي يمكن أن تكون والآ فلماذا جاءت أو جيء بها دون كل الصيغ الأخرى؟ هل في هذا إرادة لكل التعذيب والتحقير أم لكل التكريم والإسعاد؟ أليس هذا سؤالاً يجب أن يسأله كل أحد بكل اللهفة والحماس والغضب والحيرة والانفجاع بل أن يهتف ويعصلي ويغني بل ويماضل ويقاتل به كل أحد؟

فهل وجد أو يمكن أن يوجد من يوجه إليه هذا السؤال الذي هو كل الأسئلة وأعظم من كل الأسئلة بل من يحاسب ويحاكم به أمام كل المحاكم والشرائع والأديان والمذاهب والنظم والقوانين والأخلاق والعقول لأن ما حدث هنا هو خروج وعدوان على كل ذلك وإهانة وتحقير وتشويه وتصغير وتصفية وتعذيب له؟

يا كل العالم ما أعظم وأروع ابتكاراتك واختراعاتك وإنجازاتك ولكن ما أصغر وأخسر وأقبح وأسفه وأتفه وأرذل مجيئك ووجودك وحياتك وممارساتك ونياتك وشهواتك ومجاعاتك وعلاقاتك وسفاهاتك واحتياجاتك وضرورتك وعدوانك ومخاصصاتك وبدائياتك ونهاياتك وذهابك وبقاتك.. وذهابك بعد مجيئك!..

.. ما أعظم وأكبر وأكثر ما فعلت وتفعل ولكن ما أصغر وأتفه وأردأ خوافزه وأهدافه وبدائياته ونهاياته وأسبابه..

.. ما أضخم العمل ولكن ما أصغر وأقبح المعنى!..

.. إن إنسانك يا كل العالم مبدع خلاق، ولكن من يستهلك إبداعه وخلقه ويتعامل ويقرى ويحبها به؟ إن ذلك هي ممارساته ومجاعاته وضروراته وحماقاته وذنوبه وأخطاؤه وفضائحه وقبائح

وهوموم وآلامه وكل ما في وجوده وحياته من عبث وعبودية وهوان وصغار وتفاهات وويلات ونهايات قبيحة أليمة ذليلة..! إن أتعس من فيك هو أعظم من فيك.. هو الإنسان..!

.. إنه يصعد فوق النجوم أو فوق الكون كله ولكن معانيه هذه تصعد معه.. تصعد فوقه.. تصعد بصعوده.. ولكن معانيه هذه تظل هي كل معانيه فوق الثراب وفوق النجوم..!

.. إن كل ما يفعله ويدعه لن يكون إلا تنوعاً وتضخيماً وتقوية وتعليقاً لسجنونه وقيوده وأغلاله ليتعاطم ويتصاعد قهرها واستمبارها وتسخيرها وإرهاقها لكل معانيه وخطواته واهتماماته التي لن تعظم أو تجتث أو تكرم أو تعقل أو تنبل تفاسيرها أو حوافرها أو أهدافها أو نهاياتها مهما كبرت وعظمت وتعاطلت أساليبها ومظاهرها وتكالييفها وممارساتها ومعارضها واستعراضاتها.. مهما تعالت أصوات طبولها ودفوفها..!

كائن يجاء به مكرهاً بل مقدوفاً به إلى وجوده وذاته وعالمه من حيث لا يدري ولا يريد ولا يختار أو يختار له أي شيء من أوصاف ذاته أو وجوده أو عالمه أو زمانه أو مكانه دون أن يجد لمحجته أو للمحيء به أي هدف أو غاية أو منطق يفشره أو يفهمه أو يقتنع به أو يرضاه..

.. يجاء به بل يقذف بل يصبق محكوماً عليه بلا أي أمل في الإنقاذ بأن يكون محتاجاً بكل القسوة والشمول والديمومة والصيغ والتفاسير إلى الغذاء والماء والكساء والأمان والحب والعلاقات الكثيرة المتنوعة وإلى الوطن والسكن والانتماء والنوم والفرح والضحك والكبرياء والفخر والرضا عن النفس والإعجاب بها وإلى الانتصار والتفوق على الخصوم والأعداء والمهاجمين المحاربين وإلى عرض الذات والإعلان عنها والمباهاة بها في كل الأسواق..!

.. يجاء به كذلك كما يجاء به مهدداً أبداً وبكل الأساليب واللغات بالحرمان من كل ذلك.. بكل تقيض ذلك..!

مهدداً في كل لحظات وجوده بالنقيض المؤلم الفاجع الفاضح المهيين.. فيجيء محكوماً عليه بأن يناضل ويشقى ويهون ويتملق ويكذب ويفتضح ويرذل ويتلوث ويخون ويحقر ويقتل كل معانيه وصيغه ولو أحياناً محاولاً تسديد وإشباع احتياجاته هذه المفروضة عليه والاستجابة والطاعة لها أو لشيء منها محاصراً بكل الاحتمالات الأليمة الفاجعة الفاضحة.

.. معاقباً ومبتلى ومتورطاً كل أنواع العقاب والتورط والابتلاء بتعامله مع احتياجاته هذه المحكوم بها عليه إلى أن يبلى ويعجز ويسقط كله بظميرة واحدة أو جزءاً، جزءاً بضررات عديدة متتابعة متوقعة دائماً دون أن يعرف إلى أين هو ذاهب أو ملقى به إلا بقدر ما عرف ويعرف من أين جاء أو جيء به ولماذا جاء وجيء به..!.. فيجيء ليكون كما يكون.. كما لا بد أن يكون لا كما ينبغي أو يريد أن يكون..!

هذا الكائن هل يمكن أن يكون رابحاً أو مستفيداً من وجوده ومجيئه مهما كانت وجاءت صيغ وكيئونات وجوده ومجيئه.. مهما كان ضخامة وقوة وسلطاناً وسعادة وترفاً وبل هل يمكن إلا أن

يكون خاسراً ومعذباً ومقهوراً ومشوهاً ومفضوحاً كل الخسران والتعذيب والقهر والتشويه والفضح بل ومعتدى عليه كل ألوان العدوان مهما كانت حظوظه كل الحظوظ الممكنة؟

.. هذا الكائن أليس هو أنت يا كل العالم معروضاً عرضاً مخففاً ومغطياً من قسوته وتعاتيه وقبحه ومن أهواله وويلاته موهوباً شيئاً من المزايا المفقودة فيه؟

هل قرأت نفسك يا كل العالم ولو مرة واحدة قراءة لم تتعلمها من أسيتك؟

.. وأعود لأقول: لست بهذا أدعوك إلى التشاؤم أو إلى أن تتخلص من وجودك الذي عشتَه وعاشتَه.

.. من وجودك الذي بصقت وبصقت فيه بأقبح الأساليب دون أن تراه أو تعرفه أو تحاسبه أو حتى تقرأه.. فأننا لا نريد أو ننتظر لك ذلك أو أدعوك إليه.. وأنت لن تفعله مهما دعت إليه وعلمته لأنك لا تفعل إلا ما تكره على فعله إكراهاً ذاتياً. بل أنت لا تفهم ولا تعقل ولا ترضى إلا ما تكره ذاتياً على أن تفهمه وتعقله وترضاه.. إلا ما تكره ذاتك عليه ذاتك..!

حتى الفهم والعقل والتقبل النفسي لا يكون إلا بإكراه الذات للذات.. حتى الحب إنك لا تحب مختاراً أو كريماً بل خاضعاً لطغيان أعضائك..! ولكني تحت إكراه ذاتي ووجودي لذاتي ووجودي أردت بهذا يا كل العالم أن أقرأ عليك ولك شيئاً من تفاسير وجودك ومجيتك وذاتك وكيونائك والتي لا تفسير لها مهما كانت وزعمت تفاسيرها كل التفاسير..!

.. أن أقرأ لك وعليك ذلك بكل قسوة الصدق والرؤية والانفجاع.. قراءة لم يقرأها أحد من قرائك أو يرضها إله من آلهتك..!

.. لقد كان كل قرائك يقرؤون لك وعليك ويقرؤونك ضد كل تفاسير وأخلاق وأهداف القراءة.. كانوا يقرؤون هذه القراءة ليحموك من أن تقرأ أو تفهم أو تفكر أو تسأل أو ترى نفسك ووجودك.. وكان آلهتك وأنبيائك وعباقرتك وفلاسفتك وقادتك ومعلموك وأذكياؤك هم أساتذة هذه القراءة..!

إن هدايتك أو المزعومين والمعلنين كل هدايتك هم كل ضلالك ومضليك أو هم أقوى هؤلاء..!

ماذا كان يمكن أن يكون وجودك لو لم يأت إليك من زعموا هدايتك؟

.. هل الذين أبكروا لك القراءة أرادوا وديروا أن يحرموك من كل معاني القراءة؟

هل هم خيلاء وماكرون كل هذا الخبث وكل هذا المكر؟

هل هم كأتبيائك الذين جاؤوا إليك ليشغلوك بالإله وبرؤيته وتفسيره وفهمه وقراءته وعبادته وبالصلاة والتسبيح والامتداح والرقص والغناء والمغازلة له والتحديق فيه عن كل شيء.. عن كل رؤية وقراءة وفهم واهتمام وتساؤل واندعاش وانفجاع ومقاومة ورفض... عن كل صعود إلى السماء لكلا تصل إلى مخبئه فتراه أي الإله فتصدم وتفجع وتراعى، أو فلا تجد هناك أحداً وحينئذ ترجع إلى ذاتك ووجودك لتتخاطب وتتناول وتعامل معها وتحقق فيهما وتساؤلتهما وتحاسبهما وتحاكمهما وتقرأهما

أو يحسبون أي أنبيائك أنك حينئذ لا بد أن تفعل ذلك أو قد تفعله وهم لا يريدون أن تفعله بل ويدعرون ويفجعون من احتمال وتصوّر فعلك له؟ أليست كل وظائف أنبيائك أن يخلقوا بل يحطموا كل أجهزة الرؤية والفهم والتفكير والمساءلة والمحاسبة والبسالة العقلية والأخلاقية والنفسية؟

لماذا جاء كل أنبيائك كذلك؟ أعن تقوى بلهاء أم عن خبث ولؤم أليم شرير؟ هل هم عملاء لقوة شريرة معادية لك مجهولة المكان والأوصاف والأهداف؟

.. إن أنبياءك وكل معلميك بطالبونك بأن ترى وتسمع وتقرأ وتساءل وتتكلم لتصدق وتؤمن وتطيع وتصلّي وتتعبّد لا لتفهم أو تحاور أو تحاسب أو ترفض أو تقاوم أو تحترم أي معنى من معانيك أو أية حسنة من حواسك أو عاطفة من عواطفك العذراء!

إنهم أخطر أعدائك أو من أخطر أعدائك جاؤوا إليك مزعومين وزاعمين أنهم كل أصدقائك وأوليائك وأحبائك ومنقذيك وراعيك وصانعك.. هجموا عليك متسللين من كهوف الظلام ومتخلفين من أشواك العذاب مزعومين متفجرين ومصنوعين مخلوقين من قلوب وضائير وأخلاق وسمو وسموات الآلهة.. صاعدين من حضيض الحضيض مزعومين ومعلمين ومعلمين هابطين من سماء السموات!..

قادمين بالعداوات والأحقاد والمخاضات واللغات والحروب واليغضاء مزعومين ومعلمين قادمين بالمحبة والسلام والصداقات والتحيات والمعانقات والمصافحات والمصالحات والبشريات!.. ما أقيح وأفجع وأخسر وأردأ حيات السماء للأرض.. إنها لم تهبط ولا تهبط غير التشويه والإفساد والتضليل والتعجيز والإرهاب العقلي والنفسي والتصوّري والعاطفي والأخلاقي!..

ماذا يا كل العالم لو أن كائناً لم يتخلق منك ولا فيك سقط أو أسقط عليك بأسلوب الفجأة فرأى وقرأ وفهم وجودك وحياتك بكل ما تخلق فيها وشوهمها وعاقبها وأنفسدها وأهانها وضللها من آلهة وأرباب وأنبياء وزعماء وقادة وعقائد ومذاهب وأديان وتعاليم وشرائع ورسالات وقوميات واتتمات ووطنيات وأوطان وباديات ونهايات وعلاقات وتوقعات واحتمالات وبقينيات.

.. بكل معاملاتك وممارساتك لهما ومعاملتهما وممارساتهما لك الخاصة والعامة.. الدائمة واليومية والشهرية والسنوية والأقل والأسرع من ذلك أي حياتك ووجودك.. بكل حوافز وأهداف وتفسير ونتائج وعواقب وباديات ونهايات وأخلاق وأساليب وفواجع وفضائح ومهانات ومكاسب وخسائر ذلك.. بكل قباحت ووقاحت وهمومه وآثامه وآلامه؟

نعم، يا كل العالم ماذا لو حدث ذلك؟ هل يستطيع حينئذ تصوّر فجعة وذعر وحزن ورتاء وعذاب هذا الكائن بك ولك ومنك وفيك؟ إنك لكل العذاب والفجعة لكل عين وعقل وأخلاق تراك أو تفهمك أو تفشرك أو تفرّوك أو تحاسبك من خارجك أي تخلقت خارجك لو حدث ذلك.

آه يا كل العالم.. كم أفجع وأصدم وأراع وأهزم بمساءلاتي وقرائتي ومحاوراتي ومخاطباتي لك ومحاولاتي أن أفهمك أو أعقلك أو أفشرك أو أن أجد فيك شيئاً كما أريد وأطالب أن أجده!.. كم يشقى من لا يستطيع أن يسعد إلا بأن يفهمك ويعقلك وكذا من يحاول أن يفهمك ويعقلك!..

.. أعظم وأقوى وأعقل وأعلم وأكرم شيء أو كائن فيك هل هو حر أو يستطيع أن يكون حراً في ألا يكون أو في ألا يكون كما كان ويكون، أو في ألا يجوع ويظمأ، أو في ألا يذل ويخضع لظلمته وجوعه، أو في ألا يضعف ويعجز ويخاف ويهون ويهزم، أو في ألا يريد ما لا ينبغي أو يرضى أن يريد، أو في ألا يحسد أو يبغي أو ينافس أو يغار أو يحقد أو يخاصم، أو في ألا يحب أو يطيع ذاته ويستمسك بها مهما وجب الهرب منها أو في ألا يصلي راکعاً ساجداً عابداً لها ولكل ما يتخلق فيها من أوثان وطلقات، إنه إذا عصى ذاته فليس إلا مطيعاً خاضعاً لذاته، أو في ألا يعيش أو يسير أو يرى أو يقرأ في الظلام، أو في ألا يعتقد أو يحترم أو يناصر أو يحالف أو يمتدح إلا ما يفهم ويعقل ويرضى، أو في ألا يؤمن ويتعبد ويتضرع ويدعو ويستغيث ويصوم ويحج إلا إذا رأى أو وجد أو عقل أو فهم أو رضى أو أحب أو جرب فأعجب أو قابل أو حاور أو سمع أو لمس الإله الذي يفعل له وبه ومع ذلك، أو في ألا يقاتل أو يعادي إلا من يجب أن يقاتل ويعادي وإلا من فهم لماذا يقاتله ويعاديه، أو في ألا تختزن أحشاؤه وأعضاؤه ونفسه وكل معاني ذاته تلك الفضلات أو في ألا يستفرغ تلك الفضلات بالأساليب واللغات والوقاحات والمذلات التي بها يستفرغها.. في ألا تحبل ذاته بتلك الفضلات البذيئة ثم تلدها بكل الإذلال والتشويه والتحقير له..؟

نعم، يا كل العالم هذا الأقوى والأعقل الأعلم الأكرم الأعظم فيك هل هو حر أو يستطيع أن يكون حراً في أي شيء من ذلك أو في أي شيء آخر؟

أو هل يمكن أن يكون أو أن يحسب رابحاً أو مستفيداً أو سعيداً أو عزيزاً أو شريفاً أو نظيفاً أو حتى تقياً متديناً أو مفسراً بأي معنى جميل أو كريم أو عظيم أو ذكي أو منطقي في أية كينونة من كينوناته أو خطوة من خطواته أو ممارسة من ممارساته أو نية من نياته أو تخطيط من تخطيطاته في أية صيغة أو طور من صيغ وأطوار وجوده؟

.. إذن كيف ابتكرت يا كل العالم هذه الكلمات ونطقت بها.. كلمات حرية وتحرير وأحرار ومجد وبسالة وعظمة وانتصار وريح وكبرياء وإباء وسعادة وكرامة ورفض وحفظ ونظافة وعزة وشرف والتزام وأخلاق وإيمان وتقوى وغيرها من الكلمات الهاتفة المغنية المحلقة المسكتة المغلقة للعيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق عن أن ترى أو تقرأ أو تفهم أو تسأل أو تحاسب أو تغضب أو ترفض أو تدهش أو تفجع؟ لقد استطاع أنبيائك ودعاتك وطفلك وكل معلميك أن يصنعوا من الكلمات أفتك الأسلحة ليصنعوا ويقتلوا بها كل معانيك..! وهل استطاعت هذه الكلمات الهاتفة بها كل لسان ومنبر ومحراب وقلم.

هل استطاعت أن تغطي أو تخفي أو تجعل أو تغفر ما لا يستطيع تغطيته أو إخفاؤه أو تجميله أو غفرانه؟ إنه لم يصنع أو يعرف أو يستعمل جهاز لغوية وتجميل كل القبح والفحش مثل الكلمات..! إنها أشهر سلاح لقهر الذكاء والعقل والكرامة والحرية..!

.. إنك يا كل العالم حتى في أعلى وأعظم وأسعد مستوياتك وكيوناناتك وممارساتك لست إلا

مسدداً ودافعاً لحسابات واحتياجات ومجاعات والتزامات وهموم قد فرضت عليك بكل الفهر والتسخير، أو محاولاً لتسديدها ودفعها دون أن تكون قد أذنت أو أخطأت أو تاجرت أو ضاربت أو اقترضت أو أخذت أو قبضت شيئاً أو أصبت أحداً بأي خسران، إن سرورك ليس إلا فراراً من الحزن وتعويضاً عنه، وإن ضحكائك ليست إلا فراراً من البكاء وتعويضاً عنه، وإن غناك ليس إلا فراراً من الأثنين والآهات وتعويضاً عنها، وإن شبعك وارتواءك ليس إلا فراراً من الجوع والظما وتعويضاً عنهما، وإن حبك أو عشقك أو غرامك المنفذ ليس إلا فراراً من الحرمان ومن الاختزان أو الامتلاء الجنسي المحتاج إلى الاستفراغ والتفريغ.. إنه ليس إلا عملية استفراغ وتفريغ بذية أليم فاضح.. بل إن النقيض الأول ليس إلا نقيضه الثاني جاء بصيغ ولغات وتعبيرات أخرى. إن كل اللذات وممارساتها المجنونة ليست إلا أساليب صارخة من أساليب تفريغ الآلام.. تفريغ اللذات منها.

.. ولهذا فإن الذين لا يصابون بهذا لا يصابون بنقيضه.. فالذين لا يكون ولا يحزنون ولا يشنون ولا يتأهون ولا يضحكون ولا يسزون ولا يغنون، والذين لا يهبطون لا يصعدون، والذين لا يكفرون ويرفضون لا يؤمنون ولا يقبلون..!

.. هل الذين لا يخافون يحتاجون إلى الأمن أو إلى مشاعر الأمن أو يبحثون عن الأمن أو يصنعون أسبابه؟ هل الذين لا يقاسون من الضعف والخطأ والعجز في الرؤية والتفكير والضمير والأخلاق يستطيعون أن يروا الإله أو يقرؤوه أو يفهموه أو يفسروه أو يجدوه في أي مكان أو شيء من هذا الكون أو يبحثون عنه؟ هل يحتاج المؤمن بذكاء الإله وبحقله وكرامته إلى ترويع وإذلال ونشويه نفسه به وعبادته؟

.. ولكن المشكلة أو القضية أو العقدة أو المأساة هي هذا السؤال الحزين الفاجع الضائع القائل: من الذي فرض عليك ذلك، ولماذا فرضه، وهل يستفيد منه، وهل وجد أو يمكن أن يوجد أي هذا الفارض، وبأي تفسير يمكن تفسيره إن وجد وهل يستحق حينئذ الشكر أم العقاب.. شكرك أم عقابك؟ ثم هذا الفارض عليك المفترض هل أصبح بعد أن رآك وقرأك وعرفك راضياً عن نفسه معجباً بها لأنه فعلك وفعلك كما فعلك أم أصبح يتغذى بالندم والألم وبالغيب والاشمئزاز من كل معانيه وقدراته وخطواته وتخطيطاته دون أن يستطيع أو يعرف كيف يتراجع وهل يتراجع؟ وهل يعني هذا يا كل العالم أنك قد أصبحت عقاباً أبدياً له.. لمن فرض عليك أن تكون وأن تكون كما كنت.. عقاباً أقسى من العقاب الذي أرادته وخططه وأعدّه وصنعه أنبيأؤك لك لتخلد في عذابه وأهواله؟

ضع في تصورك يا كل العالم كائناً ضخماً الذات والعصلات والقدرات والضربات ضئيل التفكير والتدبير والضمير خاطيء التخطيط والحسابات والرؤى والرغبات والشهوات.. هذا الكائن المطالب بأن تضعه في تصورك بتورط وتهور ليصنعك ويخرجك يا كل العالم لتجيء كما جئت ليكون محكوماً عليه بأن يعايشك ويساكنك ويراك وقرأك ويفهمك ويصادمك ويسمعك كل أوقاته بلا خلاص أو راحة، محاسباً نفسه ومحاسباً بأنه وحده هو كل المسؤولين عنك.. لتكون كل آلامك وأثامك ونقائصك كل غذائه المادي والمعنوي..!

... هذا الكائن هل يمكن تصور عذاب مثل عذابه مثل أنواع وألوان وأساليب عذابه، أي إن لم يكن إلهاً أو كائناً عريباً..

إن لم يكن إلهاً أو كائناً صاغه الفكر العربي أو الخيال العربي أو النبوة العربية لأن الصياغة العربية لن تقشر بالحسابات المحسوبة؟ لأن ما يفعله ويعتقده ويتصوره ويقول الإنسان العربي معنى من كل محاسبة..!

.. أيهما أحق بأن يكون أقسى عذاباً وانفجاعاً وترويعاً وكآبة: من أصيب بشيء من القبح أو التشوه أو الظلم أو البلادة أو الهوان أو الخسران أو العجز أو المرض أو السخف أو الهزائم أو التحقير أم من أصاب ويصيب بكل ذلك وفرض عليه بأن يساكن ويعايش ويصادق ويعمل ويعامل ويرى ويقرأ كل ذلك كل أوقاته ويكون وحده المسؤول عن كل ذلك والمحاسب المحاسب المتهم المشتوم بكل ذلك؟

هل تكفي كل المحاسبات والمحاكمات والانتهاكات والشتم عقاباً وجزاء وتأديباً لمثل هذا الكائن المفترض وقصاصاً منه؟ وهل تكفي كل الأتات والآفات والدموع وكل لغات ومعاني الرثاء صراحاً وحزناً عليه وله ومن أجله؟



يا كل العالم هل تعلم أو كيف لا تعلم أن دفاعك عن وجودك وأن صياغتك وتضخيمك وتصعيدك وتمجيدك له وفخرك به إنما يعني أنك تفعل ذلك لهذا الفرض عليك الذي يعني بل الذي لا يعني إلا كل الاسترقاق لك بكل صيغه وتفسيره ومنطقه وشموله وديمومته وقسوته وإذلاله بلا أي ربح أو جزاء أو نفع أو مجد أو خيار أو حرية لك أو لمن أوقعه بك؟

.. وهل تعلم أو كيف لا تعلم أن إيمانك بالهلك أو بالهلكة ودفاعك عنها وعبادتك وتمجيدك وتفايرك لها ورضائك عنها إنما يعني أنك تفعل كل ذلك لمن يستعيد ويدل ويقهر ويحطم ويشوه ويسرق ويفسد ويلعن ويرهب من داخلك ومن خارجك كل عقلك وتفكيرك ورواك وأخلاقتك وقدراتك ونظائرك وتحدياتك وتحقيقاتك وكل معانيك بكل الجبروت والوحشية والوقاحة والشفة.. تفعله لمن تعتقد وتعلن أنه الصدر والفاعل لكل آلامك وأخطائك وأعدائك؟! تفعل ذلك لمن يحرم عليك ذاتك ويسحبك من ذاتك ويحتل ذاتك بكل وحوشه.. بكل ذاته.. بكل قباحاتها ووقاحتها وحماقاتها ونزواتها وتقلباتها وشهواتها وبكل جشعها وغرورها وقبحها وأثقالها..

.. بكل أنبيائها وربائتها وجواسيسها وزبائنها وملائكتها وأبليستها.. بكل تعاليمهم وأديانهم وملائمتهم وأرهابهم ووعيدهم وطغيانهم وبدائياتهم ومشاحناتهم ومخاصماتهم وعداوتهم وتصادماتهم وملاعنتهم محولة ذاتك وكل معانيك إلى ميدان أليم دائم لكل ذلك؟ إن ذاتك هي المكان الذي تتخلق فيه الآلهة لتستفرغ فيه كل بؤسها وبأسها.

نعم، ذاتك ومعانيك يا كل العالم هي الميدان الكوني الدائم لكل هذه الشرور والآثام والآلام

التي تقاسي كل الكلمات بل التي تموت وتحترق كل الكلمات رهبة وانفجاعاً وتأنساً من الحديث عنها، أي لو كان الكلام لم يروض ليصبح بلا أي قدر من الكرامة أو الأخلاق أو المواطن أو الإباء أو الفهم أو البسالة.

.. لو لم يهن ويصغر ويصح أي الكلام حتى ليذهب النبي العربي والشاعر العربي والمفكر العربي والمعلم العربي والشيخ العربي والسلطان العربي بشكلمونه كما يشكلمونه بلا أي قيد أو شرط أو اعتراض..

.. إنه لا يوجد ولن يوجد جهاز أو شيء مثل الكلام بلا أية حماية من أن يستفرخ فيه وعليه وبه كل المستفرخين لكل القبح واللؤم والفحش والفضح والهوان والعار والبلادة والجهالة والوقاحة والتباحة وكل أنواع الخسة والنذالة والخداع والكذب والنفاق!

إن الكلام هو الشيء الذي يستطيع كل أحد أن يعتدي عليه كل ألوان الاعتداء وأن يعتدي به على كل شيء وعلى كل أحد دون أن تستطاع الحماية منه ومن عدوانه بأي شيء.. بأي قانون أو دين أو تعاليم أو تشريع أو قوة أو سلطة بل دون أن تراء هذه الحماية أو يفكر فيها..!

إن أخطر وأرذأ ما في هذه القضية أن الكبار جداً أو من يعدون كباراً جداً هم أقمى وأقوى وأخطر عدواناً على الكلام وبالكلام من الصغار والعاديين.. إن هؤلاء الكبار هم أقوى وأظنى وأكثر المعلمين والمبتكرين للعدوان على الكلام وبالكلام..!

.. أليس عدوان الآلهة والأنبياء وحواريهم ومعلميهم ومفتريهم وكتابهم وخلفائهم والرواة عنهم وكذا عدوان القادة والزعماء - أليس عدوان هؤلاء بالكلام وعلى الكلام عدواناً لا يماثله أي عدوان في ضخامة وخطورة وديمومة نتائجه المدمرة المفسدة المضللة الخاسرة؟

إنك يا كل العالم لم تعاد أو تذل أو تقهر أو ترهب أو تطارد أو تحارب حريتك وتفكيرك وعقلك وكرامتك وبسالتك وحياتك بل وتدينك وعفائك وتقواك ومواهبك وأشواقك وحبك وكل معاتبك مثلما فعلت بها كل ذلك حينما ابتكرت الآلهة بكل زحوفها ودفوفها وجيوشها ومواكبها وأهوالها المؤلفة من أنبياء ورقباء وجواسيس ومخبرين ومن ملائكة وأبالسة ومعلمين ومن أديان وعبادات واعتقادات ومن أهوال حساب وعقاب وجنات ونيران ومن توقعات والتظارات وتهديدات ووعود تسحق النفوس والعقول بل والوجود لقد فعلت بنفسك كل هذا بلا أي ثمن أو ربح أو جزاء مقبوض أو منتظر. إن كل أعدائك لن يفعلوا بك ما فعلته بنفسك حين ابتكرت آلهتك وفترتهم وتصويرتهم وتعلمتهم كما فعلت..!

إن كل شيء أليم وقبيح ومذل ومفسد ومشوه ليصغر ويهون ويغفر في كل تقاسيره وحساباته أمام احتلال الآلهة للنفوس والعقول والرؤى والعلاقات والتصرفات كما حدث أي بالأساليب والتفاسير التي جاءت بها الأديان والنبوت..! لقد كان ابتكار الآلهة بكل أجهزتها ووظائفها أقمى عقاب لعلك أردت أن تعاقب به وجودك ثاراً وانتقاماً أو انفعالاً ضائماً غير منطقي أوقعته بك ضربات الأثم والغيظ أو أردت أن تعاقب به نفسك لأنها تقبلت وتقبل وجودها وكيونتها بكل صيغها تحت كل الظروف

ات والحالات. وهل يوجد من يعاقب نفسك غيرك أو من يعاقبك غير نفسك ؟
نراءات والتعاليم غير ذلك؟

أو لعل وجودك هو الذي ألهمك ذلك أي ابتكار الآلهة راعياً أي وجودك من عذابك وإذلالك لأسباب لن يوجد من يستطيع أن يفهمها أو يقبلها أو يرضاها. إن ويعتقدون أنهم وجدوا هذه الأسباب وفهموها وتقبلوها ورضوها بل وعبدوها وتبناها وبتفاسيرها. إن تفسير ما لا تفسير له بل ما هو ضد كل التفاسير قد تحوّل إلى أساطير.

إنه لا توجد ولن توجد قدرة مثل قدرتك يا كل العالم على أن تجد أجمل التفسير لكل ما لا تفسير له ولكل ما تفاسيره أقبح وأغبي التفاسير... ١٠

من أعظم مواهبك هذه الموهبة.. موهبة القدرة والجرأة على تفسير ما لا تفسير
وما تفسيره أقبح وأغبي التفاسير بأجمل وأذكى التفاسير.. إن موهبتك التفسير
للقبائح والفضائح والآثام والآلام والأخطاء والمظالم والشور والأمراض والعاها
بأنها تدبير وتخطيط وإرادة وحكمة ورحمة وعبقريه وسعادة أعظم إله.

وقد جاء أنبياءك وأذكياؤك ومن يعدون عباقرتك ليكونوا كل المفسرين لما لا
 يد كل التفاسير، وكل المفسرين أذكي وأجمل التفاسير لما كل تفاسيره أغبي وأ
 سيرة.. ألم تر كيف فسرنا كل قبح وإثم وألم ودمار بأنه أجمل وأنبى وأعظم عر
 يمي للإله؟ هل يمكن لولا أنبياءك وأذكياؤك وحكماؤك وعباقرتك هؤلاء أن يوج
 يقول إن هذا الوجود بكل ما فيه ومن فيه: هو كل الحكمة والرحمة والعظم
 والعبقرية والمستطاع والممكن والمراد والمقبول والمرضي المسعد المفرح وإنه أي
 فيه هو تدبير وتخطيط وإرادة وشهوة وسعادة وقدرة وعبقرية وشاعرية وفنون وأد
 صداقة وعطية وهدية وفرح وسلوى وملهى وعرض واستعراض وموكب أعظم وأ
 أنبل وأرحم وأحكم إله؟

تكر أو ترفض أو تحج أو تقاوم أو تحرك أو حتى تغضب أو لا تستسلم كل الاستسلام ملقية بكل أسلحتها بل مصيصة بلا أية أسلحة، أي أسلحة معنوية..! إنه تنويم لكل القوى المعنوية يراد به ألا تكون له صخرة..! إن عمليات الفقه لعيون كل معانيك لمن أضخم وأقسى عملياتك ضد نفسك..!

إن صناعات التفاسير المزورة لك من أنبياء ومعلمين هم أعظم أبطال صناعات الاستعباد لكل معانيك بل ولخطراتك والفاقتين لكل رؤى عقلك وفكرك وقلبك وضميرك وأخلاقك وتساؤلثك..

.. يا كل العالم هل أنا حر في أن أفنتع أو في ألا أفنتع حين اقتنعت بما اقتنعت به في هذه القضية وأيضاً في غيرها؟ هل أنا حر حين اقتنعت في ألا أفنتع وحين لم أفنتع في أن أفنتع؟ هل يحتمل أو يعقل ذلك؟

وحين أعلنت اقتناعي وعرضته هل كنت حراً في ألا أقوله وأكتبه وأعلنه؟ ولو لم أقله وأكتبه وأعلنه فهل أنا حر في أن أفعل ذلك أو في ألا أفعله؟ تعالي يا كل العقول.. تعالي.. تعالي.. أرجوك أدعوك.

.. لو كنت حراً في هذا وتقيضه فلماذا أفعل هذا دون هذا؟ ألسنت لحظة فعلي لهذا لا أكون حراً في أن أفعل نقيضه بل ولا أكون حراً في فعلي لما فعلت لحظة فعلي له وهل أفعل ما أفعله أو أقوله أو أعتقد إلا حين تتجمع في وعلي كل شروط وأسباب وحواجز وقوى فعلي أو قلبي أو اعتقادي له؟ وحين تتجمع هذه الشروط والأسباب والحواجز والقوى علي وفي هل يمكن أن أكون حراً في ألا أخضع وأستجيب لها إلا كحريتي في ألا أكون موجوداً حين وجودي أو في ألا يكون وجودي داخل ذاتي أو في ألا تكون ذاتي هي ذاتي أو في أن أخرج من ذاتي إلى ذات أخرى أو إلى ذات كائن آخر مخالف تكوين ذاته لتكوين ذات الكائن الذي فرض علي الانتماء إليه وفرض عليه أن أكون وأحسب منه..! أو في أن يكون الإله الموجود غير موجود..؟

.. وكما أنني لست حراً في أن أفعل أو أقول أو أعلن أو أعتقد ما لا أفعله أو أقوله أو أعلنه أو أعتقد، فإني كذلك لست حراً في فعلي أو قلبي أو إعلاني أو اعتقادي لما أفعل أو أقول أو أعلن وأعتقد بل أنا في ذلك ملزم ومحكوم علي به مثل إلزامي ومثل الحكم علي بأن أريد وأحب وأكره وأخاف وأحزن وأقبل وأرفض وأجوع وأتعب وأنام وأتشاءب وأعطس ومثل أن تتكون الفضلات المكروهة المستحي منها داخل جسدي ومثل استفراغه لها.. مثل إلزامي بأن أريد وجودي وأدافع عنه مهما لعنت تفاسيره وأهدافه..!

.. إني لأبدو وأحسب وكذا كل أحد حراً كل الحرية فيما أفعل وأقول وأعتقد وألزم أي في الرؤية والتفاسير المعلمة المقررة المعلنة المخطوب بها.. إن حريتي هذه لن تكون إلا مثل حرية الإله الموجود في ألا يكون موجوداً أو في أن ينتحرا.

إن الطفولة في أحد أطوارها قد ترى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والأنهار حرة في حرركاتها كما يرى الأنبياء والمعلمون وكل المؤمنين الإله حراً في إراداته وأفعاله وكيوناته وأخلاقه..! أما في الرؤى والتفاسير الأخرى التي لم ترها أو تقرأها أو تعرفها أو تسمع بها الشناير أو

المحارب أو التعاليم فإن حريتي في ذلك وكذا حرية كل أحد ليست إلا كحرية الشمس والنجوم والسحاب والأنهار والبحار والزلازل والبراكين والأشجار والنباتات والبذور في أن تتحرك وتغيب وتطلع وتقرب وتبعد وتبت وتتمو وتورق وتزهر وفي ألا تفعل ذلك، حتماً ستجد الرؤية غير الراهية فروقاً بين هذا وهذا، إنها فروق في الصورة لا في الذات.

.. وكحرية الإله في أن يوجد ويثقى ويريد ويفعل ويتغير ويغير ويتنازل عن ألوهيته وعن أوصافه وأخلاقه وكبريائه وعن عشقه لنفسه ورضاه عنها وفي أن يكون ويفعل النقيض وفي أن يكون أعظم وأذكى مما كان..!

.. هل يستطيع الإله أن يكون غير ما كان؟ إذن كيف يحسب أو يكون حراً؟

.. وكحريتك يا كل العالم في أن تكون وفي ألا تكون وفي أن تكون غير ما كنت أي صيغاً وكيونات أخرى..!

كيف يكون حراً في أي شيء من إراداته أو تصرفاته من لم يكن حراً في مجيئه أو صياغته؟

.. إنه الاستعباد الذاتي والخارجي الكوني التكويني لكل وجود وموجود وليس الاستعباد القدرى المدير الإلهي الديني المنزل المراد من فوق ووراء كل شيء كما تقول أديانك..!

إن هذه الجبرية في فعل وكيثونة كل موجود لم يفرضها أي إله بل كل إله محكوم بهذه الجبرية مثل كل كائن بل أفسى..!

.. إنها لقضية كبيرة وحادة ومثيرة جداً..

أليست تقول في أحد تفاسيرها: إن أي كائن حي بل وأي موجود لو كان حراً في أن يعتقد ويقتنع ويقول ويفعل وفي ألا يكون شيئاً من ذلك لما أمكن أن يعتقد أو يقول أو يفعل أي شيء أو يقتنع بأي شيء أو يكون له موقف من أي شيء..!

حتماً سيقال هنا بكل الحساس والنشوة والافتناع المتكبر إن الحر هذه الحرية يقول ويعتقد ويقتنع ويفعل ويصوغ مواقفه بالاختيار والموازنة والمحاسبة والمقارنة والإرادة.. ولكن كيف تأتي أو تتكون هذه أي الإرادة والاختيار والمقارنة والموازنة والمحاسبة؟ أليست تأتي وتتكون ملزمة حاكمية متحركة وألا لما أمكن أن تفعل شيئاً..

إنها ليست حرة في مجيئها وإن من جاءت إليه لن يكون حراً في الأخذ بها ولا في رفضها وألا لما فعل شيئاً..

إن من أخذ بأحد الاختيارات أو المقارنات أو الموازنات أو المحاسبات فلن يكون حراً في أخذه بها وحين أخذه بها ولا في إرادته لها..!

إن المرید لا يريد لأنه يريد.. لأنه يريد ما يريد ولكنه يريد ويريد ما يريد لأنه لا يستطيع إلا يريد لهذا فإنه يريد ما يكرهه ويفضضه ويخجله وبذلك ويحقره ويعيره.. أجل، حتى الإرادة إنها بلا إرادة.. إن كل مرید لم يرد إرادته، وإرادته لم ترد نفسها.. لقد فرضت عليها نفسها ثم فرضت نفسها

على مريدها. إن الإرادة لأقصى طغيان واستعباد للمريد..! فإذا كان كل من يقول ويعتقد ويعتق ويرضى ويفعل بالإرادة لا يريد إرادته ولا يختارها ولا يصوغها أو يوجهها أو يستوردها أو يفترضها أو يعرف مكانها أو كيف تجيء وإنما تفرض عليه فرضاً وتفرض عليها نفسها فرضاً، فكيف استطاعت وجرؤت أية لغة أن تنطق أو تتخاطب بكلمة حرية أو تؤلف حروفها؟ ولكن هل ينتظر من اللغات الدقة أو الصدق؟ هل كشفك وكشف عيوبك ونقائصك يا كل العالم مثل لغاتك؟

إنه الأخذ بالظاهر وبالأسهل وبالرؤية غير الراهية وغير المحاسبة.. إنه تلقين لا تعليم أو تفهيم. إنه قراءة في المعابد لا دراسة في المجامع أو الجامعات أو المعاهد أو المختبرات..!

إنها تعاليم نبي لا رؤية مفكر أو عالم أو راء قارىء لما يرى..!

.. إننا أمام قضية تحتاج إلى شيء من التحديق لا إلى كل التحديق..!

هل وجد من يستطيع أن يحديق كل التحديق أو من يحديق فيه كل التحديق؟

.. ولعله مما قد يعد عجباً وإن لم يكن أو يفترض أن يكون عجباً أن أكبر القضايا وأكثرها وضوحاً وقرباً إلى الافهام هي أغمض القضايا وأعسرها على الفهم بل وأكثرها ابتعاداً عنه وتعجيزاً وتضليلاً له..! لقد أصبح ما لا استطاع العجز عن فهمه هو الذي لا استطاع ولا يراد فهمه.

.. وقد يكون أو لا بد أن يكون التفسير لذلك: إنها قضايا يراد الهرب من فهمها ومن تفسيرها كما يجب أن يكون تفسيرها، بل يراد العجز والتعجيز عن هذا الفهم والتفسير لها لأن ذلك أي فهمها وتفسيرها بلا هرب أو تزوير وتحريف يخرج ويرحق ويخجل ويشوه ويدل ويسحب من الأشياء ومن النفس ضخامة وحماسة وحرارة الرضا عنها والإعجاب والانخداع والفرح والمباهاة بها..

وهذه أشياء لا بد منها لمن يريد أن يحيا.. لمن حكم عليه بالحياة متعاملاً مع وجوده ومع الوجود الذي أُلقي إليه وفيه دون أن يعرف لذلك أي سبب أو تفسير أو منطق أو ضرورة أو منفعة أو مصلحة أو جمال أو إرضاء أو محابة لأي شيء أو لأي أحد أو استجابة لأي دعاء أو استغاثة أو طلب أو شوق أو حنين أو دموع متقاطرة هائفة: النجدة.. النجدة..!

.. حتى الإله لقد أُلقي إلى وجوده وفي وجوده دون أن يدري لماذا. لماذا..

.. لهذا جاء مزوررو ومبتدعو أجمل وأتقى وأذكى التفاسير لأقبح وأوقع وأغبي وأفجر وأنذل الأشياء هم أقوى وأبغى وأشرس وأشهر المذلين المستعبدين الشائمين المضلين المفسدين المحطمين المعادين المحاربين الملوثين لعقلك وتفكيرك ورؤاك وأخلاقك وعواطفك وعلاقاتك وتاريخك بل ولخطواتك وعضلاتك بل ولصفائك وتقواك وتديتك وإيمانك..

لقد جاء معلومك الإيمان والتدين أقوى المفسدين لإيمانك وتديتك..!

أي جاؤوا أنبياءك وهداتك وقديسيك ومعلميك يا كل العالم. إن أقصى أهوالك جاءتك وتجيئك ممن زعموا كل أوليائك أي كل آلهتك وأنبيائك؟ أي لهذا جاء أضخم وأقوى وأردأ وأفسد وأبلد المزورين

لك وعليك وفيك ومنك هم كل وسطائك ورسلك إلى السماء وكل وسطاء ورسل السماء إليك..

لهذا جاءت علاقاتك بالسماء وعلاقات السماء بك هي أغيب وأجهل وأخطر وأضل وأفسد العلاقات بين أي شيء وشيء.. هي أخسر العلاقات بكل التناسير.. لهذا جاءت علاقات الآلهة ساكنة السماء وعلاقات الإنسان ساكن الأرض علاقات متواجبة مشحونة بكل الذعر والتوجس والشك والكآبة والقلق والكذب والنفاق والأنانية والهوان والوعيد والتهديد والخسران بلا أي ربح أو فهم أو تفاهم أو تلاقي أو تراء أو ثقة أو محبة أو مصالحة أو مصافحة أو حتى مهادنة.. بلا أية منفعة لأي من العدوين المزعومين أعظم وأصدق صديقين..

.. إنها الحرب الدائمة القبيحة الأليمة الشريرة بكل صيغ الحروب ومعانيها وتفسيرها وبذاتهاها وهمجياتها توججها العلاقات بين الآلهة ساكنة السماء والإنسان ساكن الأرض..

.. توججها هذه العلاقات التي ابتكرها وصاغها لك أنبيائك وهذاتك وقديسوك ومعلموك يا كل العالم.. ولكن من ابتكر وصاغ لك وفيك هؤلاء؟

من الصانع للعرض المسؤول عنه: الجسم الذي مرض أم المرض الذي أصاب الجسم فأرضه؟ هل أنا هنا يا كل العالم أخاطبك هل يمكن ذلك أم أخاطب نفسي أم أخاطب الضياع أم أنا ألقى بأثقال نفسي دون أن أكون مخاطباً أحداً أو شيئاً أو ناوياً أو معتقداً ذلك؟

.. إني هنا دائماً أتحدث باللغة العربية فقط؟ وهل يمكن أن يكون أو يحسب من يتكلم باللسان العربي مخاطباً أحداً أو شيئاً؟ بل هل يمكن أن يعد متكلماً أي الإنسان العربي مهما كانت بلاغته الصاحلة الزائرة العاوية ومهما كان تحدي قرآنه لكل من يتكلمون ولكل من يحولون الجماد إلى أذكي وأبلغ المتكلمين..؟!

إنَّ طور الكلام طور يحرمه الدين والعقل والخلق العربي والحضارة العربية..!

.. هل العربي يخاطب أم يمازح ويهازل ويغازل ويناقض ويخادع ويكذب عليه ويسخر منه ويؤجر وينهر ويؤمر ويطالب بأن يسمع ويصدق ويؤمن ويتعبد ويحدث ويتحدث عن أمجاد وعبقريات تراثه ومقاييره وعن قسوة وطفيان واستبداد ووحشية إلهه وعن عالمية وكونية وأبدية وخاتمية وإعجازات ومعجزات وبدوات نبيه وعن ضخامة وتفوق وثنيات وصميات كعبته وكهوفه ومغاراته ومزاراته؟

إن العرب ليتفوقون على كل العالم بأوثانهم ووثنياتهم مهما أعلنوا توحيدهم..!

.. نعم، إن العربي ليس كائناً يخاطب أو يخاطب أو يتخاطب، ولكنه الكائن الذي يقال له اسمع واقرا واحفظ لتؤمن وتطيع وتستسلم وتتعبد لا تفكر أو تفهم أو تحاور أو تسأل أو تحاسب أو تعارض أو لشقول: لماذا، أو كيف أو حتى تتذكر أنها توجد كلمتا: لماذا وكيف..! هل يمكن أن يقبل العربي أي شيء مما قيل ويقبل لو كان قد بلغ طور من يسأل: لماذا وكيف؟ إن العربي قد أدخل على لغته كلمتي: لماذا وكيف ليتعامل بهما لغوياً لا فكرياً أو منطقياً أو علمياً أو ليقاوم بهما معانيهما الفكرية والمنطقية والعلمية أو ليضعهما دائماً في غير مكانهما..!

إن أسئلة العربي ليست إلا أبطالاً ومقاومة للأسئلة ونهياً عنها وتشويهاً لها. ما أقسى عذاب وضائع وانفجاع من يخاطب ويتخاطب بلغة قوم لا يوجد فيهم من يخاطبون أو يتخاطبون بشيء من لغات التخاطب أو من معانيها..! إن لغات التخاطب لغات قليلة وصعبة جداً. إنها لغات ما أقل من يتكلمونها. وإن قومي واحزنانه لمن أول من يعجزون عن التكلم والتخاطب بها..!

ولعل ابتكار اللغات هو من أعظم ما عوقب به الإنسان أو ما عاقب به الإنسان نفسه إذ ينطق ويتعامل بها كل من كانت لهم لغة وكل من يستطيعون أن يتعلموا أية لغة.. إنه عقاب وخداع وليس عقاباً فقط. إنه لا بد أن يصعب حينئذ التمييز بين من بلغوا طور الكلام وبين من لم يبلغوا هذا الطور بل ويصعب أكثر أن يعرف من لم يبلغوا هذا الطور أنهم لم يبلغوه..! وهذا يجعل التمييز بين الكلام وبين ما ليس كلاماً صعباً صعباً. وكلم من الخطورة والتضليل في المعجز عن هذا التمييز بين هؤلاء وهؤلاء وبين هذا وهذا؟

ما أخطر أن يتكلم وأن يحسب متكلماً كائن لم يبلغ طور الكلام..! ولكن هل كان يمكن أن يصعد الإنسان إلى أية سماء من سمواته لولا ابتكاره للغاته أو لولا ولادته للغاته؟ بل وهل كان ممكناً ألا يتكرر أو ألا يلد لغاته؟

لقد كان مجيئه لغوياً محتوماً حين بلغ طور تكوينه الذاتي وكيونته الذاتية. إن نتائج الكينونة إلزام لا اختيار كالكينونة نفسها..! لقد كان الأفضل والأأنفع بل والإنقاذ ألا يتكلم اللغات وألا يستطيع تكلمها إلا من بلغوا طور من يتكلمون..!

إن في هذه القضية ثلاثة أطوار أو نماذج..

طور من لم يبلغوا طور الكائن اللغوي، وطور من بلغوا طور الكائن اللغوي دون أن يبلغوا طور المتكلم.. والطور الثالث طور الكائن اللغوي المتكلم..

وأخطر وأردأ وأقبح هذه الأطوار هو الطور الوسط.. طور اللغوي الذي لم يصعد إلى طور المتكلم..!

أما الطور الثالث فهو الطور الخلاق..

فيا ليت الطور الثاني.. الطور الوسط لم يوجد.. يا ليت لم يكن..!

ليت الذين لم يبلغوا طور المتكلمين لم يبلغوا طور اللغويين المحسوبين متكلمين دون أن يكونوا.. إن القضية قضية أطوار تكوينية ذاتية إلزامية وليست قضية تعليم أو محاولة تطوير أو دعوة للتطور والكينونة الجيدة المطلوبة..

إن دعوة اللغوي الذي لم يبلغ طور المتكلم ليكون متكلماً تساوي دعوة الكائن الذي لم يبلغ طور الكائن اللغوي ليكون كائناً لغوياً.. إنها تساوي دعوة الكائن الصامت أي الجماد ليكون كائناً مصوتاً صاهلاً أو زائراً أو ناعياً أو مفزوداً..

إن الدعوة والتعليم لا يوجدان الكائن أو يصوغان وجوده وإنما يتعاملان مع خصائص وطاقات وجوده..

اغفر لي أو اعذرني أو تلطف في غضبك علي وتمحبك مني فإني لا أخطئك بهذا ولا من أتكلم لغتهم يا كل العالم.. عظيم أساي وانفجاعي لأنني أخشى بعد تجاربي الحزينة ألا يبلغ قومي طور المخاطبة لا مصدرين لها ولا مستقبلين..!

.. ولكني بما قلت وأقول هنا إنما أحاول بغير تخطيط أو تدبير أو منطق بل أو ذكاء أن أفرغ نفسي المثقلة.. المثقلة جداً من بعض أفعالها..!

ولكن لماذا أطلب الغفران منك؟ أليس ذلك تعدياً بلا أي جزاء؟

آه.. ما أخرج النفوس.. ما أحوجها إلى التفرغ والاستفراغ بلا أي منطق أو حساب أو وقار أو حتى التزام أو استحياء..!

ما أحوجها إلى التفرغ والاستفراغ مهما كان الاستقبال لذلك والتفسير له..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد من يستطيعون الكف عن هذا الاستفراغ والتفرغ بكل الأساليب لتراكمات وشحنات النفس؟

أليس الإله وكل إله هو أشهر وأبشع وأفزع المفرغين والمستفرغين لهذه الشحنات والتراكمات بكل الأساليب الفارقة لكل الذكاء والوقار والشهامة؟ هل يمكن تفسير أو فهم أفعال الإله أو أوامره أو نواهي أو تشريعاته أو طلباته أو تحليله أو تحريره أو أي شيء من رغباته أو معاقباته أو ضرباته أو غضباته أو مبارزاته أو تحدياته أو تهديداته أو صرخاته أو إنذاراته أو أي شيء من أقواله أو معاملاته أو تصرفاته أو مفاخراته أو مخلصاته أو ملاعناته أو عدوانه أو كآباته.

- نعم، هل يمكن فهم أو تفسير أي شيء من ذلك إلا بأنه أقسى وأفجع وأقبح عمليات تفرغ واستفراغ الإله لما يموج ويصخب ويتصارع في نفسه من أفعال وآلام وضباب وهموم وهزائم وخسائر وتعاسة؟

هل تتجمع كل الانفعالات الفاجعة الفادحة مثلما تتجفع في نفس الإله؟

لو لم يكن الإله مصاباً بهذه الآفة أخطر وأقوى إصابة أي آفة الحكم عليه باستفراغ وتفرغ نفسه هل كان يمكن حينئذ أن يريد أو يدبر أو يخلق ما يكره ويرفض ويحرم ويستشع ويستقذر وينهى عنه وما يفضبه ويقظه ويسبه ويشوهه ويذله ويتحده ويسرق منه كل أسجاده وانتصاراته وجماله وسعادته ورضاه عن نفسه؟ هل كان يمكن حينئذ أن يفعل بنفسه شيئاً مما فعله بها؟ هل فعل أحد بنفسه مثل الذي فعله الإله بنفسه من تحقير وتعبير وتشويه وهزائم وفضائح؟ هل عادى أحد نفسه مثلما عادى الإله نفسه؟

أو هل كان يمكن حينئذ أن يقتل أي الإله أو يهدم أو يخفض ما خلق وبنى ورفع أو يأمر بذلك أو أن يصيب بالهرم أو العجز أو التشوه أو البله أو الجنون أو المرض أي كائن خططه وأرادته وصنعه وصاغه شاباً قوياً سويّاً جميلاً معافى ذكياً عاقلاً فرحاً سعيداً؟ هل فعل أحد شيئاً من هذا الذي فعله الإله كله بكل المياعة؟ إذن أليس الوجود كله مر عطاء إصابة الإله بهذه الآفة؟ إذن ما أعظمه من وجود وعطاء وما أعظم تفاسيره وحوافره ونتائجه..!

لتصل له يا كل العالم بكل صيفك ومعانيك شاكراً متعبداً مسروراً مغروراً..!
إذن هل يوجد منهم بكل الأخطاء والخطايا غير الإله ومتهمون له بكل الأخطاء والخطايا غير
المؤمنين به؟

لهذا هل يوجد من يستحق البراءة مثل الإله أو من يستحقون كل العقاب مثل المؤمنين به
لضخامة اتهامهم له للإلقاء بهم به داخل أوحال وآثام كل هذا الوجود ليكون كل مريديه ومدبريه
ومخططيه وعاشقيه وفاعليه وكل الفاعلين الفاسقين به؟

كيف لم تعرف هذا يا كل العالم؟ عارك كل العار.. كل العار..!

كيف لم يعرف أنبياءك وأتقيائك وعبادتك وكل مؤمنيك ومتدينيك أنهم هم وحدهم الشامتون
المحقرون المشوهون للآلهة المستحقون لكل عقاب الآلهة لأنهم هم المتهمون لها بكل شيء قبيح
وأليم وفاسح؟

.. كيف يا كل العالم لم تصبر مستخدماً كل وسائلك وطاقاتك العلمية والفكرية والفنية والعملية
على أن تلقى من أوجدك.. من زعمت أنه أوجدك إن كان يوجد هذا الموجد لكي تسأله وتحاوره
وتحاسبه وتحاكمه بل وتحاصره وتقبض عليه لتفهم منه لماذا أوجدك وأوجدك بالصيغ والكيونات التي
بها أوجدك..؟

ما الأسباب.. ما الأهداف.. ما الحوافز.. ما الأغراض.. ما الغايات.. ما الحسابات.. ما المصلحة أو
المنفعة أو الضرورة أو الأخلاق أو التقوى أو المنطق أو المسرة أو المحبة أو الجمال في ذلك؟ هل التفسير
أنه لم يعرف أو يتصور شيئاً وكيونات أخرى أو أنه لا يستطيع أو يريد غير ما فعل؟

.. وأيضاً لكي نراه وتفهمه وتصححه وتصلحه وتطالبه بأن يكون أفضل وأعقل وأعظم وأعلم
مما كان.. ولكي تزيه أخطائه ونقائصه، ولكي تعرض عليه وتفشر له ما في تكوينه وصياغته لك من
نقص وضعف وهوان وقبح وفحش وآلام وآثام وعبث وسفه وظلم وخروج على كل المعقول والمقبول
والمطلوب والمتنظر.. إنهما تكوين وصياغة لا يطاقان ولا يقبلان ولا يعقلان ولا يفران ولكن خضوع
الذات للذات وديمومة الممارسة قتلا كل الرؤية والفهم والرفض والمحاسبة والمقاومة..!

.. ولكي تفرض عليه أو تمضغع إليه ليترجع عن صياغاته لك التي أوقعها بك وأوقعك بها
ليصوغك من جديد صياغات أخرى جديدة أنبل وأفضل وأذكى وأعقل سوءاً ورداءة وقبحاً مما فعل..

أليس قد جمع في صياغاته لك كل الأخطاء والخطايا والتشويه والتعذيب؟

.. ولكي تعلمه أو حتى تسمعه وتعرض وتقرأ عليه كل ما لديك من علوم وفنون وأفكار
وأخلاق وحضارات وقوانين وتقدم ناصحاً واعظاً بل وأمرأ له بأن يأخذ به ويستفيد منه.. أليس قد
أصبح متخلفاً كل التخلف أمام إبداعاتك وخطواتك؟ ألا يكون قد أصيب بكل الأمراض النفسية
والعصبية انفعجاً بفزقك عليه؟

.. وأيضاً لكي تطالبه بالاعتذار والاستغفار والتوبة والتعويض عن كل ما فعل بك بل وعن كل

ما فعل بنفسه.. أو لكي تعزله عن وظائفه وتسقطه من فوق عرشه إن لم تجد بديلاً عن ذلك.. لكي تفعل هذا العزل وهذا الإسقاط ولو إعلاناً وقانوناً فقط إن لم تستطعه بالفعل والتنفيذ..!

هل يوجد من يستحق الإسقاط والعزل مثل صاحب هذا الكون إن كان له صاحب؟

نعم، يا كل العالم كيف لم تفعل ذلك بل أو تفكر فيه أو تحدث عنه؟ مخلوق يقاسي أقصى المعاناة وكل المقاساة من كل صيغ وظروف وتاريخ ومكان وبداية ونهاية وكل تفاسير ومعاني خلفه وإيجاده وبقائه كيف لا يفعل ولم يفعل كل شيء ليلقي من خلقه وفعل به كل ذلك لكي يحاسبه ويحاكمه ويعاقبه أو حتى يفاوضه ويوجوهه ويغيره؟

كم أنت يا كل العالم فاجع، فاجع لكل من يراك أو يقرؤك أو يفترسك أو يحاسبك أو يسألك أو يحاكمك بشيء من التحديق بعينه أو بعقله أو بقلبه أو بضميره أو بأخلاقه أو بمواطنه أو حتى بتدينه وتقواه اللذين لم يتعلمهما من الأنبياء والأديان والكتب المنزلة..!

إنه لا مقصد ومشوة للفقوى والتدين والإيمان مثل الأنبياء والأديان والكتب المنزلة..

.. ولهذا فإن أي شيء لم يحرم ويمنع ويعاقب مثلما حرم ومنع وعاقب كل أنبيائك وقادتك وزعمائك وكل هدايتك ومعلميك التحديق بكل أنواعه في كل شيء وفي أي شيء.. إن آلهتك لم تنفق على شيء مثل إنفاقها على التوظيف لتحريم ومقاومة التحديق فيها أو في أي شيء..!

ولعل المنهي الممنوع عن التحديق ومن التحديق لم يكن محتاجاً إلى هذا النهي وهذا المنع لأن ذاته تنهى ذاته عن ذلك وتمنعها منه لكي تستطيع فهم وتقيل ومعايشة ما لا يستطيع فهمه أو تقيله أو معايشته، وتستطيع الرضا عما لا يمكن الرضا عنه والإعجاب بما لا يمكن الإعجاب به، بل ولكي تستطيع تحويله إلى تخطيط وعبرية وأخلاق وصناعة ونعمة أعظم إله..!

سوف أجزؤ هنا يا كل العالم على أن أصعقك بإنذار لم تسمعه قط ولن تسمعه أبداً من مشؤهيك ومفسدك ومرهيك ومضلك بإنذاراتهم الكونية الغيبية المتوعدة المهددة المحاصرة لك بكل الأحوال الآتية المنتظرة والمكتوبة في السماء...

إنك لم تخذع نفسك أو تزوعها مثلما فعلت بها منذراً لها بعقاب السماء..!

نعم، علي أن أصعقك بإنذار سوف يحطم أو يجب أن يحطم كل تعاليمك ومقرراتك ومعتقداتك ودياناتك التي سجن فيها أنبيائك ومعلموك وعقلك وقلبك ورواك وضميرك وأخلاقك وتطلعاتك وتحدياتك بل وخطواتك وكل معانيك الجميلة الذكية الصافية المشرقة أو التي يحتمل ويرجى ويطلب أن تكون كذلك في كل تاريخك المقروء المكتوب المعروف.. إنه لم يوجد سجانون لكل معاني الإنسان في سجون أبدية مثل أنبيائه ومعلميه أو غيرهم..!

ولكن ماذا يقول إنذارى هذا المصوغ بكل هذا الإرهاب والتضخيم والتهاويل؟

يقول: لقد علمك كل معلمك ولا يزالون وسوف يظلون يعلمونك: إن إله هذا الوجود قد شيد وأعد وخلد كل الجحيم بكل أهواله التي رواها أو وصفها وصورها سيد الأنبياء وتاسخهم محمد النبي

العربي لكي يعذب ويعاقب به كل من أنكره.. كل من أنكره واستشعوا ورفضوا أن يكون هو مريد ومخطط وخالق هذا الوجود بكل شروره وآثامه وآلامه وقضائحه ومظالمه وقبحه وفسوقه وكفره تنزيهاً وتبرئة له من ذلك..

وإنه أي إله هذا الوجود أو المزعوم إلهه قد شئد وأعدّ وزرع وغرس وسقى وخلد الفردوس الذي رواه ووصفه واستفرغه وتغزل به النبي العربي سيد الأنبياء وملغبيهم ومطاردهم ليكون أي هذا الفردوس بعض الجزاء والشكر والتكريم والتمجيد لمن قالوا وآمنوا وعلموا أن كل هذا الوجود وكل وجود وكل شيء ليس إلّا استفراخ قلب وعقل وحب وحكمة ورحمة وسرور وأخلاق وعبرية إله هذا الكون وكل كون أو من زعم وأعلن إلهه، دون أن يشعروا أو يعلموا أو يقاسوا من ضخامة وبلاغة ونذالة وفجور وزندقة وقسوة اتهامهم وتلوينهم وتحقيرهم وتشويههم له وعدوانهم عليه..!

لقد جاء هؤلاء المعلمون أرباً وأسوأ وأخطر وأغبي وأجهل معلمين.

إنه لا أخسر ولا أفتح خطأ ممن جاؤوا ليكونوا أنبياء ودعاته ومفسريه.

.. والإنذار الذي قد صممت على أن أصعقك به يا كل العالم هو أن الذي لا بد أن يفعله الإله إن وجد هو عكس ذلك حتماً.. هو أن يضع في الجحيم كل من آمنوا وأعلنوا بأنه هو الفاعل لكل شيء والعنهم المتورط الملوّث الملوّث بكل شيء والمستوي بكل الفرج والكبرياء والمباهاة وعبادة الذات فوق كل ما يصنع أقسى وأفجع الأثام والآثام والصرخات والويلات واللغات من قبحه وفحشه وأن يضع في الفردوس كل من أنكره ونفوا وجوده لينزهوه ويبرئوه وينظفوه ويحموه من كل ما ترفضه كل العقول والقلوب والأخلاق والتقوى البشوت المغروس في كل شيء من هذا الوجود..

سيفول هذا الإله إن وجد: أيها المؤمنون بي لقد أقيمت فوقي كل الأرواح والآثام والألآام والأخطاء والخطايا وأقيمتوني فيها لهذا لكم الجحيم كل الجحيم بكل أهواله. إنه أعدل عقاب. ويقول لمبتكره لقد نقيمت وجودي لكي أكون بريئاً من كل ذلك لهذا وجب أن تذهبوا إلى الفردوس إنه بعض ما تستحقون من الجزاء والشكر والاعتراف بحمليكم وتكريمكم لي أن تذهبوا إلى الفردوس مستقبليين بأحر الترحيب والتهاني والأغاني منشدة لها حورياتها وغللماته بكل ما في قلوبهم وأعضائهم وقلوبهم وأعضائهم من شوق ومحبة وحرمان..

وسيفول لقد خلقت هذا الكون كما جاء غلطة أو خدعة أو لتفاسير أخرى وكان الواجب والمفروض أن يفهم ذلك الجميع وأن يبرئني من ذلك الجميع. كيف لم يعرف الجميع أنني إنما خلقت هذا الكون الفاحش ممتهناً لأعرف من يقبل اتهامي به ومن يصرّ على تبرئتي منه ارتفاعاً بي؟ .. لهذا وجب أن أعاقب بأقسى العقاب وكل العقاب من عجزوا عن فهم ذلك أو رفضوا فهمه وأن أليب بكل الثواب وأعظم الثواب كل من فهموا ذلك وعبروا عن فهمهم له..

فالذين نفوني قد اشتروا لوجودي كل الشروط الجيدة والعظيمة فلم يجدوها أو لم يجدوا شيئاً منها ففرضت عليهم نفراهم وصدقهم واحترامهم لي أي للصورة التي تصوّروني بها أن ينكروا وجودي..

.. أما الذين آمنوا بي.. بوجودي فلم يشترطوا لي أية شروط جيدة أو عظيمة فوجدوني كل شيء رأي شيء ودخل كل شيء وأي شيء والمسؤول عن كل كائن وكونية فكانت إساءاتهم وذنوبهم عظيمة وشيعة وفظيعة!

كيف لم يعرفوا ذلك؟ كيف أمكن أن يتجمع فيهم كل هذا التبلد والبلادة؟ كيف لم يفتنوا إلى ضخامة بلادتهم وتبلذهم؟ إنه مهما كان هذا التفسير للإله قاسياً وفاجعاً فإنه أكثر التفسير رحمة به وإشفاقاً عليه وتجيلاً ومجاملة له ودفاعاً عنه وأفضلها وأنبهها ورؤية وتصوراً وتصويراً له.. إن هذا التفسير لما سوف يحدث هو أعظم اكتشاف يجب أن يفتن إلى المؤمنون بالإله ويعملوا بما يعني..!

.. إن الإله أو صانع هذا الكون إن كان له صانع هو الكائن الذي لا بد أن يشقى ويفجع ويعجز ويهزم ويخيب ويفتضح كل مفسريه لو حاولوا أن يجدوا له أي تفسير كريم أو نبيل أو مقبول أو معقول أو محترم أو ليس كل القبح والفحش والهجمة والوحشية والعدوانية والبلادة والنذالة والهوان له ولكل مفسريه ومعامله وقارئيه ومتصوريه! إنه المعجز لكل من أرادوا أن يجدوا فيه أي شيء يعرض أو يقبل أو يغفر أو يفتر!

.. إن التفسير لم تكذب أو تهن أو تصغر أو تجهل أو تقتضخ مثلما حدث لها كل ذلك حينما فرض أو طلب أو قبل أو أريد أن تكون للآلهة تفسير أي لمن أراد هذا الوجود فخططه وصاغه وخلقه ليحيى كما جاء..!

كيف قيل أي شيء أن يكون له تفسير بعد أن أصبح لخالق هذا الوجود تفسير؟

إنه لا يوجد ولن يوجد محقرون ومصفرون وساتون للإله مثل من وضعوه فوق هذا الكون ثم ذهبوا يفسرونه بأجمل وأتقى التفسير وبكل التفسير..!

.. إن التفسير الجديد التقى الصادق الوحيد لكل إله ولأي إله هو أن يقال: إنه لم يحضر، لم يحضر، ولن يحضر، ولن يحضر لهذا فلن يفسر بأي تفسير لأن أحداً ما، لأن أي أحد لم يره أو يعرفه أو يعامله أو يخاطبه أو يقرأه أو يجده في أي شيء أو في أي مكان، ولأنه لن يحدث أي شيء من ذلك..!

إنه لا إنقاذ للإله من أقيح سجن.. سجن الوجود والسجن فيه ومن الفرق في كل الأحوال.. أحوال هذا الوجود وأحوال التعامل به ومعه ومعاشته ومواطنته.. إنه لا إنقاذ له من ذلك إلا بنفي حضوره.. بالنفي الأبدي لحضوره ولاحتمال حضوره..!

إن الإله هو الكائن الفريد الذي يهينه ويسفه ويشوهه كل من يعتقدون ويعلمون أنهم يرضونه ويمتدحونه ويحتفلونه! أقسى العار والافتضاح والهزاء لمن يستطيعون أو يقبلون جهل ذلك.. إن كل الجهل وأي جهل لا يساوي شيئاً من جهل من يجهلون ذلك.. من يجهلون أن الإيمان بالإله وبأنه المريد والفاعل لكل شيء هو كل السب والهزاء والتشويه له!

.. إن كل ما فيك أو أكثر ما فيك يا كل العالم لفاجع كل معاني النجيمة وأساليبها ومستوياتها..!

وقد نهون وتصغر كل الفواجع أمام الفجيمة بهذا المثل أو النموذج الواحد الذي رأيناه وتعلمنا به

كلنا دون أن يراه منا أحد...! إنسان واحد ولدته وصاغته آلامك وتشوهاتك وهمومك وضياحك وعجزك عن أن تعرف ماذا أنت ولماذا أنت ومن أين وإلى أين وكيف ومتى...!

هذا الإنسان الواحد يهجم عليك بكل الغرور والادعاء والفحش زاعماً معلناً أن صاحب هذا الوجود وكل وجود قد صبّ وحقق واستفرغ فيه كل معانيه وأنه قد سلّطه وأمره عليك ليكون مستعبداً كل الدهر لكل صيفك ووجودك وحياتك وكل معانيك... لكل عقلك وفكرك وعلمك وقلبك وضميرك وأخلاقك وقوانينك وشرائعك ورؤاك وعلاقاتك وخطواتك وصلواتك وتعبداتك بل ولكل عواطفك ووسائلك... مملياً وملقباً عليك كتاباً خالداً خلود ضياحك وآلامك وأثامك وحمقاتك وورطاتك ووثنياتك ليكون تخليداً وترسيخاً وتجديداً وتأجيحاً وتحريضاً لاستعبادك... لاستعباد كل صيفك وتفسيرك ومعانيك لتظل أبداً تقرؤه وتحفظه وتفسره وتفاخر به وتدعو إليه وتنفق عليه وتتعلّمه وتصلّي وتقاتل وتعاوي به وله وتغني لكل ألحانك وتسكّرهم وتسحرهم وتخدعهم وتقيم لهم الأعراس بقراءتك له، وتجد فيه كل شيء وكل ما لن يكون شيئاً... كل ما يمكن أن يعلم أو يكتشف أو يتكرّر أو ينفع أو يراد أو ينصر أو يقال أو يهب القوة أو المجد أو الجمال أو التقوى أو العبقرية أو التفوق أو الإعجاز في كل شيء وكل ما ليس كذلك وكل ما هو ضد ذلك.. لتجد في حروفه كل أسرار كل الأشياء...!

لتذهب لتحدى به كل شيء وكل أحد ونفسه وتحاسب وتحاكم وتقرأ وترى وتقيس به وعليه كل شيء وكل أحد في كل أزمته وأمكنته وتاريخك وظروفك ولغاتك وكيّناتك وحضاراتك...

ليصبح تحريرك من هذا الإنسان وهذا الكتاب كل المستحيل وكل الكفر والعصيان والإجرام أو محاولة تحريرك...! هل عرفت هذا الإنسان وهذا الكتاب؟ ما حدود فجيعتك بمعرفتك لذلك؟ هل يقبل أن يكون لفجيعتك حينئذٍ حدود؟ هل خسر شيء بشيء مثلما خسرت بهذا الإنسان وهذا الكتاب؟ لا بدّ أن تقول بل ويجب أن تقول كل الرؤى والتفاسير والمحاولات الفكرية: إنك يا كل العالم محمي من الانفجاع ومعقم محصن ضد الانفجاع بأية فجيرة لأن كل وجودك وحياتك وممارساتك ومواجهاتك ومعاملاتك فواجع، فواجع كل الفواجع ولا شيء غير الفواجع...!

أليس تكرار وشمول وديمومة وضخامة الفواجع.

- أليس ذلك يحمي من الانفجاع ويعقم ضده؟ أليست الرؤية الدائمة للقيح الدائم الشامل الذي لا شيء غيره تحمي حتماً من الانفجاع بقبحه بل وتحمي من رؤيته؟ هل يستطيع أن يرى أو يعرف أو يتصور قيح الظلام من لم ير أو يعرف أو يتخيل أو يتعلم أو يعلم إلّا الظلام وإلّا مزايا وتقوى وعبقريات الظلام وخالق الظلام؟ أليس الذي حمى الإله أو الآلهة من أن ترى قيح ما ترى أو من الانفجاع بقيح ما ترى رؤيتها ومواجهتها ومعاشتها ومواطنتها ومساكنتها الدائمة لذلك وحرمانها الدائم من أن ترى أو تعرف أو تتصور النقيض الآخر الجيد أو أن تسمع أو تقرأ عنه؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد راء ومواجه أو مساكن معاش فاعل لكل القيح بكل الفرح والرضا والسعادة والإعجاب بالنفس مثل الآلهة أو غير الآلهة؟ كيف حدث ذلك؟ كيف؟ وأبداً كيف؟ كيف؟ إن الشيء الخارج على كل التفاسير والحسابات يتحول إلى أعظم مقبول ومعقول وجمال وتقوى بل وإلى جمال إله بالالف الطويل

له.. بالمواجهات والممارسات والمعاشات الطويلة له. لقد تحول الوجود إلى ذلك بهذا القانون. ماذا لو أن الإله قد خرج فجأة من ظلماته فرأى وواجه وقرأ وفشر وعرف نفسه والأكوان التي أرادها وخططها وصنعها واستلقى فوقها وكان لم يكن قد طوع ورض وشؤ وأفسد وأخضع كل معانيه الجيدة أو التي يفترض ويطلب ويطلب أن تكون جيدة أي على مستوى معاني الإله.

- نعم، ولم يكن قد فعل كل ذلك بنفسه وبمعانيه برؤيته ومواجهته ومعاشته ومساكنته وممارسته الأزلية الأبدية لنفسه ولكل ما أراد ودبر وفزر وصنع أي لكل شيء في هذا الوجود؟ هل يمكن حينئذ أن توجد فجيرة مثل فجيرة الإله بنفسه وبكل ما أراد وخطط وخلق؟ هل يستطيع حينئذ تصور ما لا بد أن يفعله بنفسه وبما أراد وخطط وخلق ليكون شيئاً من التكفير والتعويض والاستغفار والإصلاح والتصحيح والتوبة؟

إن جميع التصورات القاسية المعاقبة لا تستطيع أن تكون التصور الكافي لما لا بد أن يحدث حينئذ أي لما لا بد أن يوقعه بنفسه وبكل ما أراد ودبر وخطط وأوجد..! إن كل عقاب وقع أو يجب أن يقع لن يكون حينئذ إلا شيئاً من العقاب الذي يجب أن يعاقب به الإله نفسه أو الذي لا بد أن يعاقب به نفسه..!

نعم، نحن خير أمة أخرجت للناس ولكن لماذا؟

نحن أمة أخرجت لا خرجت، والمعنى أن هناك قوة إلهية أو كونية حكيمة عظيمة رحيمة دبرت أن تخرجنا للناس لإسعادهم وإنقاذهم وتعليمهم وقيادتهم، لقد أخرجنا بتخطيط وحساب ولم نخرج كما يخرج الناس الآخرون وكما يخرج كل شيء.. إنه لفرق عظيم بين خروج الشيء وإخراجه بتخطيط وتدير وحساب.. إننا أعظم إخراج أخرجته أعظم مخرج لأعظم هدف..!

.. وأيضاً نحن لم نخرج في الناس أو مع الناس ولكن أخرجنا للناس أي من أجلهم لتكون لهم كل القيادة والهداية والعطاء بكل معانيه وصيغه.

.. العطاء الحضاري والعلمي والأخلاقي والديني والإنساني والجمالي بكل تفسيرو. أليس ذلك هو الذي حدث؟

.. إذن نحن أمة خلقت وجاءت للناس ولم تخلق أو تجيء في الناس أو مع الناس أو إلى الناس أو مثل الناس، أو لنفسها..!

هكذا قال كتاب الكون كله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.. حتى لأنفسنا لم نخرج لأنفسنا وإنما أخرجنا للناس بكل تفاسير كلمة: «لِلنَّاسِ».. ومن بعض تفاسير كوننا خير أمة أخرجت للناس:

أولاً:

كان الإله يتكلم إلى كل نبي بلغته ولغة قومه ثم يستمر يتكلم إلى كل الأنبياء بلغات شعوبهم منتقلاً من نبي إلى نبي ومن لغة إلى لغة دون أن يقاسي من أي حرج أو تأثم أو ذنب أو مذلة أو مذمة أو تنازل عن مكانته أو كبريائه أو عليائه ولكنه أي الإله حينما تكلم بلغتنا العربية إلى نبيتنا العربي توقف عن الكلام بأية لغة أخرى وتوقف عن مخاطبة الأرض ومخاطبة الإنسان وأغلق أبواب السماء لئلا يتطلق منها أي صوت من أصواته أو يتنزل منها أي رسول من رسله حاملاً وحيه بأية لغة غير اللغة العربية. إن ذلك لو حدث لأشنع الأخطاء والخطايا.. لقد استفرغ كل مجده اللغوي والبياني والبلاغي والعلمي والفني والجمالي وبلغ وأطلق كل إعجازه بكل صيغه ومعانيه حين تكلم اللغة العربية في رسالته إلى نبيتنا العربي محمد وفي قرآنه العربي.. فالقرآن ورسالة النبي هما آخر كلام الإله وتحديثه إلى الأرض وأهلها فلا وحي بعد اليوم وأي زاعم أو مزعوم نبياً بعد محمد فلن يكون إلا دجالاً كذاباً يجب الخلاص منه..!

.. الإله لا يجرؤ ولا يريد أن يتكلم بأية لغة بعد أن تكلم بلغتنا العربية.. إذن ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟ لقد أصبح غريباً إعجاباً وانبهاراً باللغة العربية وعشقاً لها وفي غرقه هذا أصبح عاجزاً ورافضاً أن يتكلم بأية لغة أخرى.. لقد اختار أن يصيب نفسه بعامة الخرس لئلا يتكلم بأية لغة أخرى غير العربية..

ثانياً:

كان تعدد الأديان مباحاً مشروعاً واقعاً.. كل أمة لها دينها وطريقها إلى الله ولغتها في مخاطبته وتفسيرها ورؤيتها له.. ننحت من صخورها وترابها صائفة له على مقاساتها ومقاييسها النفسية والعقلية والاجتماعية والتاريخية والتعليمية والعلمية واللغوية بل والصحية والمرضية والجاهلية والأمية والبدوية.. صائفة له من همومها وآلامها وعجزها وورطاتها..!

.. لا يحاول أي دين من الأديان أن يلغي أو ينسخ أو يسقط الأديان الأخرى، إنها أسلوب من تعدد وإكثار الأبواب والطرق الموصلة إلى الله. وهذا أفضل وأنفع وأكثر تيسيراً من أن يكون الطريق أو الباب إليه واحداً أي إلى الله.. كانت كل الأبواب والطرق تؤدي إلى الله، وكان تعدد شعارات وأزياء ولغات وأسماء المعابد منتسبة إلى عديد الأديان.. كان ذلك يملؤه سعادة وفرحاً وفخراً وكبراً.. حتى جاء الدين العربي.. دين الإسلام فسحره وقهره وبهره فرأى ألا يشاركه أو يعاصره أو يعايشه أو يجيء أو يكون بعده أو معه أي دين آخر فأمره أن يلغي وينسخ كل الأديان الأخرى وأن يعلن كل الباقيين عليها ضللاً كفاراً ملزمين بأن يدخلوا فيه أي في الدين العربي الإسلامي فأصبح هو الدين الذي تشتري به الجنة وتباع باتباعه النار..! إذن ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟

ثالثاً:

كانت أرحام المواهب الإنسانية خصية وقادرة على أن تلد الأنبياء تبعاً وباستمرار، وكانت في الزمن الواحد تلد العديد منهم بلا عجز أو معاناة أو شكوى أو رفض، ولم يكن أحد يتوقع أو يتمنى أن تتوقف عن ذلك أي أرحام المواهب الإنسانية. وكانت الحاجة إلى هذه الولادة الدائمة تبدو حادة ومستمرة وغير قابلة للاستغناء أو الرقض أو التبديل أو التجهيد للتنازل..! كانت أي ولادة الأنبياء المستمرة المتتابعة هي كل وسائل المواصلات والتفاوض والتخاطب والتشاور وتلقي الأوامر والتعليم والعلم وتبادل الحب والمصافحة والمعانقة والبكاء والشكوى والعلاقات المتراجحة مع السماء..! إنه لو كان كل شيء محتملاً في حساب الإنسان وحساب حاجاته وتوقعاته في ذلك الزمان لبقى شيء واحد لن يكون محتملاً أو متوقفاً هو أن تتوقف إرادة الإله أو حكمته أو رحمته أو حاجته وضرورته أو قدرة أرحام المواهب الإنسانية عن ولادتهم أي ولادة الأنبياء..

ولكن حينما جبلت أي أرحام المواهب الإنسانية بالنبي العربي وولدت أثقلتها وبهرتها ضخامة وعظمة وجمال وشمول وقوة معانيه وامتنعت وسحبت منها كل طاقات الخصوبة ومعانيها والأشواق والاحتياج إليها والإرادة لها فأعلنت أنها لن تحبل بأي نبي آخر بعد النبي العربي محمد فأعلنه كتاب

العرب القرآن خاتم الأنبياء وقال هو معبراً عما قررته أرحام المواهب الإنسانية وعما أصابها: «لا نبي بعدي».. «لا نبي بعدي».

إذن ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟

لقد جمعت أي أرحام المواهب والطاقات الإنسانية في النبي العربي كل معاني النبوة وولادتها فيه بولادتها له فلم يبق فيها شيء تحجل به وتلدّه أي من معاني النبوة، لهذا كان محتوماً أن يعلن عقم أرحام المواهب الإنسانية عن أن تلد أي نبي بعد النبي العربي.. وقد أعلن عن هذا العقم من هو سببه أو من هو فاعله وموقعه أي النبي العربي.. ولا بد أن يكون قد قاسى تفكيره وضميره وأخلاقه وطاقاته التحلل فيه من تجمع كل معاني النبوة فيه، لقد سحب وامتنص وشرب من مواهب الإنسان وطاقاته كل احتمالات الحبل بأي نبي وولادته في كل الزمن الذي جاء بعده وفي كل الزمن الذي بقي والذي سوف يجيء أي في كل الأبد.. كيف يطيق أي ضمير أو فكر أو قلب أو أخلاق كل هذا؟ هل يطيقه إلا النبي العربي والإنسان العربي والإله العربي الذي أراد ودبر وفعل كل ذلك بل وأعلنه سعيداً فخوراً مباهياً؟

ما أصعب أن تسرق كل معاني النبوة من كل مواهب الإنسان!

رابعاً:

نبينا وديننا وكتابنا المقدس هي وحدها الصحيحة اليوم وإلى الأبد، والمفروضة اليوم وإلى الأبد على كل البشر، والمصححة لكل الأنبياء والأديان والكتب المقدسة، وهي وحدها كل التخاطب والعلاقات بين الإله وكل البشر اليوم وإلى الأبد، وهي وحدها الطريق إلى الله وإلى جواره في فردوسه منذ جاءت وإلى الأبد، وهي وحدها المحاسبة والمحاكمة والمعاقبة والمثيبة والمعلمة والهادية والمخاطبة نيابة عن الإله لكل البشر منذ وجدت وحتى الأبد، وهي وحدها التي كبت ببعض حروفها وبياناتها وإعجازها كل حقائق الكون وقوانينه وأسراره وكل معارف الإنسان واكتشافاته وكيوناته منذ الأزل حتى نهاية الأبد.. منذ بدأ الإله العمل حتى يتوقف عن العمل..! في كتابنا أي قرآننا كل ما كان وما سرف يكون بل وما لن يكون من معارف وأسرار وحقائق وأحداث في هذا الكون وفي كل كون وأيضاً ما في ضمير الإله ونياته وقدراته وتاريخه من ذلك ولكن أي شيء من ذلك لن يعرف فيه أي في قرآننا أو يعرف منه، بل لن يوجد فيه إلا بعد أن يعرفه ويكتشفه ويعلنه الآخرون أي أعداؤه وغير المؤمنين به..!

وهذه إحدى معجزات قرآننا: إن أي كشف أو معرفة من اكتشافاته ومعارفه لن تكتشف أو تعرف بل أو توجد فيه إلا بعد أن يعرفها ويكتشفها ويعلنها من لم يقرؤه أو يعرفه أو يروه أو حتى يسمعوا به أو عنه. ولعل كل معجزات قرآننا من هذا النوع!

.. من مزايأ قرآننا أنه لا يكتشف معجزاته العلمية إلا الكافرون به..!

إذن ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟

خامساً:

نحن وحدنا الذين ورثوا حجارة موضوعاً بعضها فوق بعض موضوعة فوق أمثالها من الحجارة في ضمير وقلب صحراء لا يتخلق فيها قلب ولا ضمير ولا شيء من معاني القلب والضمير.. نسمى بيتاً أي هذه الحجارة مفروضة على كل الناس منذ اليوم وإلى الأبد أن يؤمنوا به أي بهذا البيت وبالدين الذي جاء به وألا يصلوا إلا متوجهين إليه لا إلى الله في سمواته وأن يحجوا إليه ويطلقوا به ويقبلوه بأفواههم وقلوبهم وعقائدهم وقاماتهم وأن يخلقوا شعورهم ويخلقوا ملايسهم وكراماتهم ووقارهم ورسالتهم وعقولهم وذكاءهم أمامه وتحت أن يذبحوا له الحيوانات ويقربوا إليه بدمائها وروثها وثغائها وورعائها وأن يرموا أنفسهم وهاماتهم وقاماتهم وعيونهم ووجوههم وأيديهم وكل معانيهم بالحجارة مسددة إلى ذكاء الإله المعبود بها..

.. مفروضاً على كل الناس أي القادرين منذ اليوم وإلى الأبد أن يفعلوا كل ذلك وإلا كانوا خارجين على الإله عاصين مغضيين مهينين له مستحقين كل غضبه ولعنته وحسابه وعقابه وجحيمه..! لهذا كنا خير أمة أخرجت للناس..

سادساً:

نحن وحدنا منذ اليوم وإلى الأبد المفشرون الواصفون للمعلمون للإله ولأوامره ونواهيهِ ولأخلاقه ونياته وأسراره ولرؤياه وغضبه وحبه وبغضه وإرادته وكرهه ولما فعل ولما سوف يفعل ويريد أن يفعل بل ولتاريخه ومستقبله ولتعامله مع نفسه ومع كل شيء وكيف يحيا ويكون ويقضي وبشغل وقته ويرى وجهه وذاته ويعجب بجماله وقوته وصحته وسلطانه وبطشه ووحدانته الحزينة.

- نعم، نحن وحدنا هؤلاء المفشرون الواصفون المعلمون لكل هذا أي بديننا ونبينا وقرآننا لأن جميع الديانات والأنبياء والكتب المقدسة الأخرى أصبحت باطلة كاذبة أو محرفة أو ملغاة منسوخة بسجىء نبينا وديننا وقرآننا.

لهذا كنا خير أمة أخرجت للناس..!

وأيضاً لهذا ظللنا وسوف نظل وحدنا إلى نهاية العالم المتفاوضين مع الإله في كل شيء نيابة عن كل البشر في كل ما يحب ويكره.. في كل ما يريد ويرفض..!

.. في كل ما يسعده ويشقيه..!

سابعاً:

الأمم تنال حياتها ورخاء حياتها واحتياجات حياتها وجمال حياتها ومستقبل حياتها وقوة حياتها بعقولها وعلمها وعضلاتها وحماسها وبكل صيغ التضال المتعب المخيف المشحون بكل المخاطر والمغامرات والمصادمات بل وبالخروج على كل تفاسير الكرامة والكبرياء والنظافة والأخلاق والعزة والشرف أي ولو أحياناً..

لقد تركت أي سائر الأمم لتسحق وتصوغ حياتها وجودها وبقائها من أفسى وأشرس الصخور المدفونة تحت أعنى الرمال المصمتة بأعشى وأجهل وأتبع القلوب والعقول والرؤى.. المرادة المقدرة بأردأ الآلهة لإرادة وتقديراً وعضلات. المحاصرة بكل المناقضات والمخوقات والمشوهات.. أما نحن فقد حسبنا من ذلك أي من صناعة الحياة بكل ما يلزم لذلك من أهوال ونضال وعقوبات وحروب مع الطبيعة ومع النفس ومع المنافسين. لقد وضعت لنا الحياة من خارج أنفسنا وفي خارجها تحت مضاجعنا ونخياننا ومعابدنا وخمولنا واسترخائنا وعجزنا وانبطاحتنا على الأرض منتظرين حضور آلهتنا لتفعل لنا كل ما هي عاجزة وغالبة ومشغولة عنه وناسية له وجاهلة به..!

وجاء الآخرون كالمسخرين المستعبدين ليفتشوا ويبحثوا عنها أي عن حياتنا ليضعوها في أيدينا وجيوبنا وخزائنها وعلى موالدنا بل وفي أفواهنا وعلى أجسادنا كأنما هم خدم مطيعون متعبدون أو متصدقون محسنون. لقد جاء إلينا هؤلاء الآخرون! ماذا كنا نستطيع أن نكون لو لم يجيئوا إلينا؟

.. لقد جاءت لنا الحياة أو أعطيتنا الحياة كذلك دون الآخرين رثاء لعجزنا وتعويضاً عنه وستراً لبشاعته ورحمة به وبنا بعد اليأس من انتصارنا عليه أي على عجزنا أو كان ذلك أي مجيء حياتنا إلينا وإعطائنا إياها كما جاءت وكما أعطيتناها تأكيداً وتثبيتاً له أي لعجزنا على افتراض أن عجزنا يحتاج إلى تأكيد وتثبيت..! ولعل ذلك فرار من رؤيتنا ملزمين بأن نصنع حياتنا بأنفسنا..!

.. لقد تعاونت الطبيعة والآلهة لكي تفعل لنا وبنا ذلك. لقد تعذبت أي الآلهة والطبيعة لكي تستطيعا ذلك وتفعلاه خارجتين على كل أخلاقهما وقوانينهما وعيبيهما وضلالهما وفحشهما الدائم.. لقد خرجت الآلهة على كل أخلاقها ومنطقها وعدلها ووقارها ونظامها احتراماً وإراحة وإسعاداً لنا أو إشفاقاً علينا ورحمة ورقاً بنا. لقد جاء الإله ضعيفاً جداً أمام إرادة الإشفاق علينا أو المحابة لنا..!

لهذا نحن خير أمة أخرجت للناس..!

ثامناً:

هل وجد أو يمكن أن يوجد أو يقبل أن يوجد شعب في تعداد شعبنا له لغة واحدة ودين واحد وتاريخ ومصير واحد ومزاعم وآمال ودعاوى وشعارات وأفكار واحدة بل وأحقاد وعداوات ولعنات وانهايات وبغضاء واحدة وأعداء محددون لا يتغيرون وهم كل البشر..

ثم يكون له من تعدد وأعداد دوله وقياداته وزعاماته وانقساماته وعصوماته ومناقضاته ومنازعاته ومبارزاته ومؤامراته ومشاتماته ودسائسه ومكائده أي بعضه ضد بعض مثل ما لشعبنا أو شيء مما لشعبنا من ذلك؟

كم لشعبنا الواحد من دولة ووطن وحكومة وحكم وحاكم وقائد وقيادة وزعيم وزعامة وبطل وثوري ومناضل وانتماء ومذهب ومن أعداء وأصدقاء وجيوش وحرس ومن حدود بين دوله وأوطانه وقياداته وزعاماته وحكامه ومذاهبه وانتماءاته وزياباته.. محروسة ومغلقة أي حدوده بالجيوش والحرس وبالمخاوف والأحقاد والعداوات والتهديدات والبغضاء والتحوش والترهص والكيد وبكل الشرور

المشحونة بها كل القلوب والعقول والنظرات والنيات والتمنيات بل والكلمات والمخاطبات بل والقبيلات والمصافحات والمعانقات واللقاءات.. والاجتماعات والمؤتمرات بل والمصالحات والابتسامات والتهنئات والمعاهدات والزيارات بل والصلوات.. حتى الصلوات يحولونها إلى بفضاء وأحقاد وعداوات ونيات وتمنيات ودعوات شريرة خبيثة قبيحة.. حتى الصلوات يتمنونها صلوات على جثث من يسمونهم أشقائهم..!

نعم، هل وجد أو يمكن أو يقبل أو يستطيع أن يوجد شعب غير شعبنا له هذه الأعداد من الدول والأوطان والحكّام والزعماء والقادة ليصاب بكل هذه الآثام والقبائح والفضائح والشرور والهزائم والبلادات والجهالات والمخاصمات والعداوات والملاعنات وبكل الافتضاح العالمي الكوني التاريخي الأبدى؟

كم في هذا التعدّد أي في شعبنا من خسائر وتكاليف ومخاطر وتعويق وآثام وآلام وهموم وضياح وتمزّق وافتضاح وتقيح وتشويه وتلوّث للنفوس والأخلاق ولكل شيء حتى للحروف والورق والأقلام..! كم فيه من لعنات وإهانات لكل شيء وكل أحد..!

.. إن قوانين وأخلاق وطاقات الأشياء لعاجزة أن تصنع ما صنعت لشعبنا أي في هذه القضية.. قضية التعدّد. شعبنا شعب توحيد كما تقول ولكنه متعدد هذا التعدّد..!

لهذا ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟

تاسعاً:

كان الأنبياء يتخلقون من هموم الشعوب وآلامها وآمالها وأشواقها ومشاكلها وضياعها وحيرتها بل ومن آثامها وضلالها ليحاولوا هدايتها وإصلاحها وتزيتها وتعليمها الدين والأخلاق والسلام والحب والصداقة والمصافحة باليد والقلب والفكر والضمير والوجه حتى للخصوم والأعداء... وتعليمها المحبة في الناس وللناس والسلام في الأرض وعلى الأرض..

.. وأيضاً لكي يخرجوا بشعوبهم إنقاذاً لهم من عتو فراعنتهم ليقودوهم إلى أوطان لهم يعيشون فيها أحراراً بلا فراعنة ولا هامانات..

.. ولم يكونوا أي الأنبياء يجيئون ليقودوا جيوشاً مقاتلة ليغزوا ويفتحوا ويحتلوا أوطاناً أو كل الأوطان الأخرى لينموا أسوأها وأرضها ويقتلوا رجالها ويحولوا أطفالها إلى أرقاء وتساءها إلى إماء.. إلى سرر وقرش بلا أي حقوق أو شروط لهم. لقد كانوا أنبياء فقط لا صناع حروب وجيوش.. كانوا تحريراً للمستعبدين لا استعباداً للأحرار..!

أما نبينا فقد جاء بسلوكة ودعوته وتعليمه ودينه غازياً فاتحاً محتلاً مسترقاً غانماً للأموال والأرض محوّلماً النساء المغزوين المحتلين المغلّوين إلى إماء مملوكات ليصبحن سرراً وفرشاً للاستمتاع الفاسق الفاحش البذيء المهين القبيح الوقح..

لتصبح أعراضهن وأجسادهن تملك وتمتصّب بالنهب والسلب..!

.. لقد حوّل أي نبينا قومه من منتجين أي من زراع وصنّاع ورعاة وتجار وعمال بالأيدي وشعراء وحالمين وجيران مسالمين مصادقين وموادين ومواطنين بكل التسامح والأخوة والمساواة وبكل تفاسير الحرية مع كل الأديان والطوائف والجنسيات الأخرى بل ومع من لا يدينون بأي دين أو يؤمنون بأي إله أو مذهب أو عقيدة أو شيء..

لقد كانت المساواة الدينية مطلقة ولم يكونوا يفضلون ديناً على دين أو اعتقاداً على اعتقاد أو إلهاً على إله. لقد كانوا حضارة سلوكية في بداوة حضارية.. لقد كانوا في جاهلية تتعامل برؤى أو بأخلاق علمية..!

إنهم لم يكونوا يقاسون أو يواجهون أو حتى يخافون أي تسلّط أو طغيان لاهوتي أو سلطاني أو حكومي..

.. حتى أوثانهم وأصنامهم لم تكن في حسابهم أكثر من صوّر ولوحات فنية وآثار أو من أطلال وديار وذكريات يزورونها ويقفون أمامها ينشدون أشعارهم ويفنّونها ويقفون لها وبها بصداقة لا بتأليه أو رهبة.

.. لقد كانت ألواناً من الأغاني والذكريات والفنون الشعبية ولم تكن شيئاً من جبروت الآلهة وقبحها وإرهابها وفحشها وكآبتها، هل يستطيع الشعراء الفنانون بعواطفهم أو ضمائرهم أو قلوبهم أو عقولهم أو أخلاقهم أن يعايشوا بأي معنى من معانيهم أي معنى من معاني الآلهة؟ إن الإنسان لا يقبح مثلاً يقبح حين يختزن في نفسه إلهاً بأي معنى من معاني الإله.

.. نعم، لقد حوّل نبينا قومه هؤلاء من معانيهم وأخلاقهم وقيمهم هذه ليجعلهم غزاة فاتحين محتلين مسترقين مستعبدين نهابين سلايين مختصبين للأموال والأرض والأطفال والنساء مدبرين مسقطين للدول والعروش ولكل أمجاد وكرامات وأبراج وكبرياء التاريخ ليجعلهم وباء عالمياً بعد أن كانوا غناء صحراويّاً.

.. ليتحوّل كل شيء إلى رعايا ورقيق وهوان وعجز وجهالة مؤلّهة معلّمة مفروضة..

هل يجيء أحد لتأليه الجهالة؟ نعم، بعض الأنبياء..!

.. ليتحوّل كل شيء قد كان إلى ذكريات وفراعات وروايات حزينة أليمة.. إلى أطلال ومقابر تاريخية.. ليصبح كل شيء منابر ومحاريب وكتياً مقدسة تلعن وتشوّه وتحقّر كل شيء قد كان وكل شيء جيد قد يكون، ليتحوّل كل شيء إلى عداوات وأحقّاد وحروب وخراب وإلى خلقاء وأئمة يتناطحون برؤوس وقرون كل الثيران..!

.. إنها لقصة التاريخ المتفردة أو إحدى قصصه المعجبية النادرة أن يأتي نبي إلى قوم كانوا ينتجون حياتهم صناعة وزراعة وتجارة وتالياً وتوليداً وجمعاً وخلقاً وتربية للحيوانات المأكولة والمركوبة والمحمول عليها والمؤدية لأنواع الخدمات والأغراض والأعمال الكثيرة المريحة النافعة.. وكانوا أصدقاء وموادين ومسالمين ومعايشين لكل الآخرين بكل الصفاء والتسامح والعلاقات والمواطف الشاعرية الفنية الغنائية.

.. أن يأتي إلى هؤلاء القوم فيسحبهم من هذه المزايا أو يسحب منهم هذه المزايا ليحولهم إلى غزاة وقساة معادين مبغضين فاتحين مهاجمين شائمين لكل الآخرين سائين سالبين لأموال وأرض وأطفال ونساء كل الأوطان التي يحتلون ليتوقفوا عن كل إنتاج وليطعموا حياتهم مما يسبون ويسلبون ويقتصبون.. ليصبحوا خلفاء وأمراء وولاة طغاة عصاة مخترين مفسدين ضالين مضلين متأخرين مؤخرين متعادين متقاتلين متنازعين متنافسين على الفنائم والأوطان والشعوب التي غنموها وفتحوها واسترقوها وأذلّوها وأفقروها وحطّموها وأتقروها.. ليتحول ذلك إلى كل الدمار والعذاب والضياع والفساد للغزاة والمغزوين، هل وجد منتصرون تحولوا إلى كل المنهزمين مثلنا في هذه القضية؟ أليس نبيّنا قد فعل ذلك ونحن فعلناه؟ وهل يمكن أن يفعله غيرنا وغير نبيّنا؟ هل يستطيع غيرنا أن يكون مثلنا أو غير نبيّنا أن يكون مثل نبيّنا في هذه القضية أو في غيرها لهذا ألسنا خير أمة أخرجت للناس؟

عاشراً:

كنا ولا زلنا وسوف نظلّ محتاجين إلى حماية يهبوتنا كل أنواع الحماية بل ويساعدوننا كل أنواع المساعدة.. يحموننا من كل الآخرين ومن أنفسنا أي بعضنا من بعض ويساعدون عجزنا لئلا يكون عجزاً مطلقاً بلا حدود.. إننا عاجزون بلا أي قدر من القدرة على حماية أنفسنا من الخارج أو على حماية أنفسنا من أنفسنا أي حماية بعضنا من بعض..

ما أعظم حاجتنا إلى حماية بعضنا من بعض..!

.. وعوامل الإغراء بالعدوان علينا أو بمعاملتنا المعاملة التي يعامل بها أمثالنا عوامل كثيرة وقوية. إننا كل الإغراء والإغواء بلا أية مناعة ذاتية..!

إذن ما الحل أو ما العلاج لوجود أو إيجاد هذه الحماية والمساعدة؟ القضية كانت صعبة ومؤلمة ومحيرة وعصية جداً.. لا بدّ من إنقاذ ومنقذ..

هنا تدخلت الآلهة أو الطبيعة أو كلناهما بمحابة أو بحنان ولكن باهتمام وذكاء لنجد هذه الحماية وهذه المساعدة، لقد كانت حماية ومساعدة بلا مثيل.. ولعل الطبيعة والآلهة لا تخترقان وتصطحيان حدودهما وتخرجان على نفسيهما وتقاليدهما مثلما تفعلان حينما تريدان الحماية والمساعدة لنا خروجاً على كل القوانين والمنطق.. أليستا قد فعلنا ولا تزالان وسوف تظلان تفعلان ذلك من أجلنا؟ أليست كل حياتنا ووجودنا وتاريخنا بكل ما كان فيه وفيها إنما جاءت كذلك أي بكل هذا الخروج على كل القوانين والمنطق؟ هل لنا أو كان فينا شيء لم يكن كل هذا الخروج على كل ذلك؟ أليست كل انتصاراتنا وهزائمنا.. قوتنا وضعفنا.. غنانا وفقرتنا.. صعودنا وهبوطنا.. مجيئنا وذهابنا.. ثقوانا وفسوقنا.. إيماننا وخروجنا على الإيمان - أليس كل ذلك خروجاً على كل التفاسير.. على كل تفاسير الآلهة والطبيعة؟

.. نعم، ما الذي فعلته الآلهة والطبيعة في هذه القضية لتضعنا لنا الحماية والمساعدة؟ لقد فعلنا ذلك بإتقان وقوة وبراعة وإن كان بكل التخطي لحدود الوقار والتقوى والتهديب والجمال والحكمة.. لقد كانتا عاشقتين لنا بكل القسوة.. وهل ينتظر من العاشق كل هذا العشق ألا يصاب بكل الاهتزاز؟

.. لقد قسمنا العالم القادر على أن يفعل هذه الحماية والمساعدة إلى دول وكتل ومذاهب ونظم وشعارات وتجمعات تتجمع فيها كل الأخطار والمخاوف والعداوات والمنافسات الرهيبة القبيحة المهددة أبداً بالموت والخراب الشامل بل وبكل معاني الجنون!

لعل العالم لا يهدده شيء مثلما تهدده أخطار هذا التقسيم..

.. لقد فعلنا أي الطبيعة والآلهة ذلك من أجلنا.. من أجل حمايتنا ومساعدتنا..!

لقد جئنا على كل العالم أعظم جناية من أجلنا!

لقد حولنا كل العالم إلى كون متفجر ومشحون بكل الاحتمالات المهددة المدمرة البذيئة الغبية الموقعة به كل أنواع الخسران والدعر لكي تحققنا لنا كل أسباب الحماية والمساعدة..!

إنها محاباة لنا تحولت إلى أقسى عقاب لكل العالم..!

إنه بهذا التقسيم والتمزيق للعالم ليصبح دولاً وكتلاً وتجمعات وتحالفات وانتماءات متناطحة متنافسة متعادية أصبح أي كل العالم متهاثراً علينا حماية ومساعدة ومغازلة وتدليلاً وتقرباً وتذلاً وطاعة وتمجيلاً وامتداداً.. لقد افتضح، افتضح العالم..!

لقد أصبح مستعداً لأن يبايعنا على كل ما نريد أن يبايعنا عليه بلا محاسبة أو محاوراة أو معارضة أو تأثم أو استحياء أو شروط.. إنه لمستعد أن ينتقل من دينه إلى ديننا لو طلبنا أو قبلنا منه ذلك..!

.. وكم هو طلب بليد وقبيل بليد!

وكم نحن معادون لأنفسنا لو طلبنا أو قبلنا من العالم ذلك..!

.. ولكن لعلنا لم نطلب ولن نطلب ذلك منه خشية أن يدخل معنا الفردوس الذي هو لنا ويجب أن يكون لنا وحدنا لأنه إذا دخله معنا فقد يصبح مناقساً خطيراً لنا فيه..!

وهذه قضية خطيرة جداً يجب أن نفطن إليها جميعاً بكل الحماس والحرارة والحذر والذعر..

.. لهذا كم هم أغبياء وعميان وغافلون عن هذه الحقيقة من يحاولون أو يقبلون أو يريدون أن يدخل الآخرون أو أحد منهم في ديننا. إن ذلك لأبشع خطر يهددنا في فردوسنا..

إننا يجب أن نكون وحدنا في الفردوس وإلا فلا مستقبل لنا فيه.

.. لقد أصبحنا بفضل هذا التقسيم والانقسام العالمي نحتمي بهؤلاء من هؤلاء ومن أنفسنا أي بعضنا من بعض ومن كل شيء وكل أحد وتتوزع بين هؤلاء وهؤلاء لتوهب حماية الجميع ومساعدة الجميع، ونهدد هؤلاء بهؤلاء بل ونلعن ونحقر هؤلاء محتمين بهؤلاء ومتممين إليهم بل ونهدد من يهبوننا كل حمايتهم ومساعدتهم بأن نتركهم ونرفضهم بكل الإذلال لهم والكبرياء والتعالي عليهم متحولين إلى خصومهم ليهبونا بكل السخاء والفرح والفخر كل ما يستطيعون بل كل ما نريد من حماية ومساعدة بكل أساليب التدلل والإملاء والغرض عليهم والتخويف لهم.. بل لقد أصبحنا بتعدد دولنا وأوطاننا وانتماءاتنا وزعاماتنا نعادي وللعن ونهدد الجميع وننال حماية ومساعدة ورضاً وولاء

الجميع أي من الدول والكتل المتناقضة المتعادلة المتنافسة.. لهذا لقد أصبح أصغر وأجهل وأغبي وأبذأ زعيم ثوري معتوه قينا يستطيع أن يصبح أعظم بطل شجاع مناضل وأصبح يستطيع أن يعادي ويهدد ويشتم الجميع وأن ينال حماية ومساعدة وثناء وولاء الجميع متنقلاً بين الدول والكتل المتناقضة المتنافسة على شراء أحقر وأذل الزعماء والقادة والحكام.. شراء ولائهم وانتمائهم..

لقد أصبح التنافس قاسياً وغالياً جداً على شراء أصغر وأحقر وأضعف وأجهل الزعماء والحكام..! .. لقد أصبحنا نحن الأقوياء العظماء المكترمين الأبرار المطاعين الحاكمين الممجدين وأصبح من يهبونا كل الحماية والعون وكل شيء هم الضعفاء الأذلاء المهانين المأمورين المطيعين المحكومين المذمومين المشتومين تحت أسباب هذا التقسيم والانقسام اللذين أرادتهما ودترتهما وفعلتهما الآلهة والطبيعة من أجلنا.. من أجل حمايتنا وتدليلنا وإعطائنا كل ما لا نستطيعه أو نعرفه أو حتى نعرف كيف نعامله أو نتعامل به أو معه.. لقد بالغت الآلهة والطبيعة في إهانة العالم القوي وفي إذلاله من أجلنا فشكراً لهما!

.. ولا تقبل الإساءة إلى كرم وحنان وعطف ومحابة الآلهة والطبيعة في معاملتهما لنا ليكون ممكناً الزعم أن ما فعلناه في هذه القضية كان من أجل غيرنا أو من أجلنا وأجل غيرنا، بل لقد كان من أجلنا وحدنا.. والآخرين الذين شملتهم هذه الحماية والمساعدة وهم كثيرون لم يكن في حساب أو قصد الآلهة أو الطبيعة أن تشملاهم وإنما جاءهم ذلك عرضاً وتبعاً.. لقد كنا وحدنا في حساب ونيات الآلهة والطبيعة في هذه القضية..!

ولعلهما أي الآلهة والطبيعة لم تفكرا في أن ما صنعناه ونصنعناه لنا قد ينال الآخرين بشيء من منافعهم لأننا نحن كل من في رؤى واهتمامات وهموم وحسابات الآلهة والطبيعة لهذا جعلنا ديننا وديننا وتعاليمنا وأخلاقنا وكتابتنا المقدس خاتم الأديان والأنبياء والتعاليم والأخلاق والكتب المقدسة المنزلة والمصححة الحاكمة الناسخة الملغية لها المغنية عنها البديلة لها.. أي لأننا حينما ذهب كل أحد وكل شيء أي غيرنا من أفكار وقلوب وضمائر وتصورات الآلهة لتكون فيها وحدنا ولتكون لنا وحدنا، والطبيعة لا بد أن تكون خاضعة للآلهة ومقتدية بها وقاعلة فعلها في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى.. إن أفكار الآلهة ونفوسها وكل معانيها لم تصب بكل الازدحام والعجز والإعياء والحيرة مثلما أصيبت بكل ذلك متعاملة معنا عاملة مفكرة مخططة لنا ومن أجلنا، مشغولة بنا ولنا..!

لهذا هل يمكن الخلاف في أننا خير أمة أخرجت للناس؟



وهذه الخيرية العالمية بل الكونية التي وهبناها أو خصصنا بها لم تكن بشمن دفعناه ولا بشمن سوف تدفعه أو نحن مطالبون بدفعه ومنتظرون لدفعه.. إنها أي هذه الخيرية هبة واهب أو ضربة ضارب لا يدري الفرق ولا يريد أن يدري الفرق بين ضرب ووهب ولا بين أخذ وأعطى أو أمات وأحيى أو أحب وأبغض أو أعز وأذل أو خلق العبقري وخلق الأبله أو صاغ أجمل وجه وصاغ في

مواجهته أقبح وجه.. إنه لا يفهم الفرق بين معانيه هو.. إن الآلهة والطبيعة اللتين خصصنا بهذه الخيرية مصائبنا بالأمية الأزلية الأبدية التي لا تعالج ولا يجدي فيها العلاج.. بالأمية الشاملة ليست فقط أمية القراءة والكتابة بل وبأمية القلب والعقل والضمير والأخلاق والرؤية والحساب والمحاسبة وبأمية الفعل والترك والاختيار..! إنهما أي الآلهة والطبيعة لا تفعلان أو تتركان... لا تحرمان أو تعطيان أو تختاران بشن أو انتظاراً لشن أو باستحقاق أو بأي منطق أو لأي غرض أو احتياج أو ضرورة أو حياً أو رحمة أو تدبيراً أو تخطيطاً أو تحملاً أو بحثاً عن الجمال أو الفرح أو السعادة أو الكرامة أو الرضا أو الإرضاء.. إنهما لا تعطيان حين تعطيان ولا تحرمان حين تحرمان..!

ما الثمن الذي دفعه أو الذي تنتظران وتطالبان أن يدفعه العبقري أو الجميل جداً أو القوي جداً أو المتفوق جداً أو السوي السليم جداً لأنهما صنعته كذلك؟ وما الثمن الذي دفعه أو الذي لم يدفعه أو الذي تنتظران وتطالبان أن يدفعه أو الذي تخافان أو تتوقعان ألا يدفعه أو أن يدفعه الأبله أو الدميم جداً أو المشوه جداً أو المريض الضعيف جداً أو المتخلف جداً لأنهما صنعته كذلك أو لهذا صنعته كذلك؟

أو ما الذنب الذي جناه أو الخطر الذي خشيته لو لم يجرء كما جاء؟

وما الثمن الذي دفعته الكواكب المضيفة والمركزية المتبوعة للكواكب الأخرى التي جاءت مظلمة وتابعة ومحكومة وما الثمن الذي لم تدفعه ولم يرد أن تدفعه الكواكب الأخرى التي لم تجيء مضيفة أو مركزية أو متبوعة.. لهذا صنعنا أي الآلهة والطبيعة هذين النوعين من الكواكب كما صنعتهما؟

بأي حساب أو ثمن منتظر قسمنا النوعين على نفسيهما؟

.. إن المنطق والحواجز والأسباب والأخلاق والحسابات والعضلات التي صاغت بها هذا الشيء أو الكائن في هذا الحجم أو الضخامة أو اللون أو القيمة أو التفوق أو الجمال أو الكمال أي التي صاغت بها الآلهة والطبيعة هي التي صاغت به النقيض نقيضاً، وإنهما أي الآلهة والطبيعة لن تكونا خارجتين على شيء من معانيهما هذه وإنهما لن تتصورا أنهما قد خرجتا شيئاً من هذا الخروج لو أنهما فعلتا بكل نقيض ما فعلناه بالنقيض الآخر.. لو أنهما فعلتا بكل شيء نقيض ما فعلناه به.. وأنهما لو خلقنا الشيطان ملاكاً أو نبياً وخلقنا الملاك أو النبي شيطاناً لما تغير شيء من نظامهما أو منطقهما أو سلوكهما أو ذكائهما أو أخلاقهما.. كيف لو حركنا لأنهما لم تفعلنا ذلك؟

ماذا لو أنهما صاغت سكان الفردوس ليكونوا سكاناً للجحيم وسكان الجحيم ليكونوا سكاناً للفردوس؟ هل يغير حينئذ شيء؟ لماذا لم تفعلنا ذلك؟ هل يمكن أن يوجد لذلك تفسير؟ قد يقال إنها الحيرة والورطة والضربات والخطوات بلا رؤية أو قصد أو هدف أو فهم أو أي معنى..!

إن كل ما تفعله الآلهة والطبيعة لن يكون بأي حساب أو تخطيط، وإن كل ما يحسب ويزعم بحساب وتخطيط لن يكون إلا خروجاً على كل تخطيط وحساب بل وإهانة لكل ما يزعم ويحسب ويرى أرقى وأذكى أساليب وصيغ الحساب والتخطيط.. بأي حساب وتخطيط يكون أي شيء؟ إنه ما

من صيغة كينونة إلا ولا بد أن تصرعها كل التساؤلات حتى ولو لم يرجع إليها إلا أقلها وأخفها وأضعفها وأرحمها وأكثرها إشفاقاً واستحياء.. إن كل كائن وكل كينونة إنما توجدان وتبقيان وتقبلان لأنهما لا تحكمان أو تحاكمان أو ترقآن أو تريان بأية مساعلة أو محاسبة..

حتى الآلهة لقد قبلت نفسها وكينونتها لأنها بلا مساعلة.

.. إن كل الأسئلة ليست أسئلة عن منطق الأشياء بل عن علاقاتنا بالأشياء.. إنها أسئلة يراد بها الافتناع لا المحاكمة أو المحاسبة أو الفهم الصعب.. إنه لا شيء يرفضه كل شيء وكل أحد مثل الأسئلة التي يراد بها المحاكمة والمحاسبة والفهم الفاجع..

ماذا يمكن أن يقول الجواب أو الأجوبة لهذا السؤال أو الأسئلة لو قالت: لماذا لم تصنع الآلهة أو الطبيعة هذا الوجود في صياغات أخرى؟ هل هي عاجزة أو جاهلة أن تفعل ذلك أو أن تريده؟ هل كانت رؤاها وتصوراتها عاجزة أو رافضة أن ترى أو تتخيل أو تمنح أو تمنح غير الصيغة التي حدثت؟

هل كان خيالها ضيقاً كل هذا الضيق؟

هل عشقت هذه الصيغة أم أكرهت عليها أم خافت من أية صيغة أخرى.. خافت أن تقاومها أو تحاسبها أو تحاكمها أو تفضحها أو ترفضها أو أن تراها أو تتعامل أو تتكافأ معها؟
هل استفرغتها استغراقاً ولم تردها أو تخطئها أو تخلقها؟

هل ارتشت أو أجزت أي الآلهة أو الطبيعة أو طلب منها بكل الرجاء واليكاء والتضرع لكي تختار الصيغة التي وجدت دون كل الصيغ الأخرى؟ كيف رأتها أو عرفتها أو حتى تصورتها قبل أن توجد لتختارها؟

كيف يمكن ويكون اختيار صيغة من الصيغ من بين كل إمكانات واحتمالات كل الصيغ قبل أن توجد.. قبل أن توجد أية صيغة أو يوجد أي شيء ودون أن تكون ضرورة أو احتياجاً أو إلزاماً أو على مقياس شيء أو لحساب شيء؟

كيف يمكن اختيار صيغة البداية.. البداية المطلقة؟

كيف يهتدي التفكير أو التصور أو الاختيار إلى هذه الصيغة أو إلى أية صيغة أخرى بلا مقارنة أو مقايضة أو موازنة أو مماثلة أو محاسبة وبلا سابقة أي بدءاً؟ هل يستطيع أي إله بل كل الآلهة مجتمعة أن تواجه سؤالاً واحداً من هذه الأسئلة أو تتصور مهسا كان غرورها وبلاقتها وكبرياؤها وغفلتها أنها قد تجد أي جواب عنه أي عن سؤال واحد من هذه الأسئلة حتى ولو تجمعت كل العقول المؤمنة وغير المؤمنة لتساعدوا وتشجعوا على أن تجد هذا الجواب عن هذا السؤال الواحد؟

ماذا لو أن هذا الوجود لم يوجد أو وجد وزال ونسيت الآلهة صيغته التي كان بها ثم تجمعت متعاونة متشاوررة أي الآلهة الجيدة الذكية والرديئة الغبية التقدمية التحررية والرجعية الاستبدادية.. لكي تصنع وجوداً؟ هل يقول حينئذ أي احتمال من الاحتمالات إنها قد تصنعه مثل هذا الوجود الذي وجد

أو شيئاً به في أية صيغة من صيغه بل أو فيه أي كائن أو كينونة من كائناته أو كينوناته؟

ثم ماذا لو أن هذا الوجود الموجود قد خلقه إله ما ثم وجد أو جاء إله آخر لم ير هذا الوجود وأراد أن يخلق وجوداً فخلق؟ أليس محتملاً حيث أن يكون التباين والتناقض والتضاد والاختلاف بين الوجودين أكثر مما بين كل الوجود وكل طاقات الخيال من تباين وتناقض واختلاف وتضاد بل أكثر مما بين ذات وأوصاف الإله كما وجد وبين ذاته وأوصافه كما يجب وينبغي أن يوجد.

ما أبعد ذات وصفات الإله الذي وجد عن ذات وصفات الإله الذي ينبغي ويطلب أن يوجد..!

هل يوجد بعيد عن الأوصاف التي يجب أن يتصف بها ويطلب أن يتصف بها مثل الإله؟

.. ولكن هل يمكن تصوّر بعد كالبعد بين الإله الذي وجد والإله الذي يطلب ويفترض ويجب أن يوجد أي لو كان مقبولاً أن يوجد؟ وهل يمكن أن يتقرب من هذا البعد بعد ما بين الكون الذي وجد والكون الذي كان ينبغي ويعقل ويقبل ويرضى وينظر أن يوجد أو بعد ما بين الإنسان والوجود فكرة والإنسان والوجود كينونة وقيمة؟

أليس البعد بين الإنسان والوجود فكرة ومنطقاً والإنسان والوجود كينونة ومعنى أكثر من البعد بين النبي معلماً ومصلحاً وواقعاً فوق المنبر والنبي عائشاً ومتعاملاً معاملاً ومخاطباً لسرير نومه أم لعل العكس هو الصحيح؟

ما أقسى وأتبع تفاسير بل وصيغ ومرأى كل الأشياء في تحديدات ومحاسبات العقول والعيون المحدقة.. وهل وجدت أو يمكن أن توجد هذه العقول أو العيون أي المحدقة؟

ماذا يكون قد كان لو كانت قد وجدت؟

بل هل وجدت أو يمكن أن توجد العقول أو العيون المحايدة أي في رؤيتها ومحاسبتها لكل الأشياء؟ أليس محتملاً أن تكون دائماً مزورة لا محايدة ولا محدقة صادقة في ذلك، أي في رؤاها ومحاسبتها ومعاملاتها لكل شيء وفي تعاملها به ومعها ومخاطبتها له؟

هل يستطيع الكائن أن يكون محايداً من نفسه أو مما يعيش ويعامل؟

.. إن العقل أو الفكر الإنساني هو أعظم مزور في هذا الوجود وكذلك العيون الإنسانية..! لقد تصاعد وظلّ يتصاعد أي العقل أو الفكر الإنساني في تزويره حتى زور الآلهة.. زور وجودها وكل أوصافها وأخلاقها حتى صنع لها في تزويره لها كل تاريخها الماضي والحاضر والمستقبل الذي أرهق وأذلّ وأضلّ وأفسد وشوّه وعوّق وبلد وسرق حياة الإنسان وحولها إلى خصومات وعداوات وملاعنات وأحقاد وحروب كاذبة فاجرة وإلى حواجز وحدود متواجهة متبارزة مشحونة ومحروسة بكل المخاوف والمخاطر والبغضاء والكآبات..!

هل يوجد تزوير كتزوير الآلهة؟ إذن هل يوجد ذنب مثل تزوير الآلهة؟ إذن هل يوجد مذنب مثل العقل أو الفكر الإنساني الذي زور الآلهة؟ ويجب أن يفهم هذا الاتهام للعقل فهماً لا يتناقض مع ما سوف يأتي في فهمه وتفسيره ومحاكمته.. قد يكون العقل مزوراً ومزوراً به قبل أن يصبح مزوراً أو

لهذا أصبح مزوراً.. قد يكون مظلوماً في ظلمه ومحكوماً في كونه حاكماً أو في صيفته حاكماً ومقوداً في صيفته قائد.. في مظهر وملابس قائد..!

إنها لقضية معقدة وغامضة حتى على المحققين البصيرين فكيف على العميان الأسيين؟
أليس كل ظالم مظلوماً، وكل خالق مخلوقاً، وكل قائد مقوداً، وكل والد مولوداً، وكل واهب موهوباً، وكل ضارب مضروباً، وكل حاكم محكوماً؟
أليس كل كائن مكوناً متكوناً مصنوعة به كينونته وتكوينه؟

.. إنه لا موجود يكون الشيء دون نقيضه. حتى الإله هل يمكن أن يكون أي معنى دون أن يكون نقيضه؟ إنه أي الإله لن يكون معبوداً دون أن يكون عابداً أو يكون خالقاً دون أن يكون مخلوقاً، أو يكون مزعجاً مخيفاً دون أن يكون مخافاً مزعجاً أو يكون مهدداً دون أن يكون مهدداً أو يكون متملقاً متضرعاً إليه دون أن يكون متملقاً متضرعاً أو يكون مرشياً دون أن يكون راشياً أو يكون هازماً دون أن يكون مهزوماً أو يكون مذلاً دون أن يكون مذلاً أو يكون كبيراً جداً دون أن يكون صغيراً جداً أو يكون موقماً للعقاب دون أن يكون موقماً به العقاب أو يكون فرحاً دون أن يكون حزناً؟
هل وجد أو يوجد موقع به العقاب والأسى والغيظ والهزائم مثل الإله؟ هل يوجد من يستحق كل الرثاء لعنف عذابه وقسوة ظروفه ومواجهاته مثل الإله؟

.. نعم، لو لم يصب الإنسان بتخلق العقل فيه هل كان يمكن أن يزور لنفسه الآلهة الساحقة المذلة المشوهة المقبحة لكل حياته ووجوده ولكل معانيه وعلاقاته ورؤاه وتمنياته وأحلامه؟ ولعل هذا التزوير هو أضخم آثام وجنایات العقل أو الجنایات على العقل والجنایات به..
أليس العقل مجنياً عليه وبه وجانياً، جانياً؟

هل يوجد إثم أو جنابة أو جريمة مثل أن يزور الإنسان لنفسه وعلى نفسه ما يفسد ويشوه ويعوق ويضلل ويبلد ويخدع ويخسر ويعادي ويحارب ويقتل به فكره وقلبه وضميره وحيه ورؤاه وهدوءه ووقاره وأخلاقه وتهذيبه وصفاءه وصلاته وعلاقاته؟ أليس كل هذا بعض ما يفعله الإنسان بنفسه بتزوير عقله للآلهة أو باضطرابه لعقله إلى تزويرها.. بتحويله لعقله إلى أشهر مزور؟ هل وجد من فعل التزوير وفعل به التزوير مثل العقل؟

.. هل تستطيع كل عطايا ومنافع ومزايا العقل أن تكون تكفيراً أو تعويضاً عن الآثام والألغام والأوهام والخسائر الهائلة الشاملة المشوهة المفسدة المضللة لكل شيء التي أغرق ويفرق وسرف يظل يفرق بها كل شيء تزويره للآلهة.. لوجودها وأوصافها وأخلاقها ولاحتلالها بكل جبروتها وطغيانها ووحشيتها وتغلها لكل العقول والقلوب والعيون والضمائر والتصورات والعواطف والمشاعر واللغات والنيات والحرمات.

.. لكل مكان وبیت وسرير ومخبا.. داخل كل غطاء وثوب وجلد وحجاب وقبر.. من وراء كل جدار وحواجز وحصون وحدود وحراسة.. بكل الشراسة والديمومة والوقاحة واليذاعة والصفاقة.. بالتخلي عن كل صيغ وتفسير الاستحياء والتهذيب والوقار والاحترام والسر والاستتار.. بكل معاني

العدوانية على كل شيء حتى على الأعراض المضروبة عليها كل الأحجية والحراسات. هل يوجد أو يتصور احتلال في قبح ووحشية وعدوانية وشمول وإرهاب وثقل ووقاحة احتلال الإله لذات الإنسان.. لنفسه.. لكل معانيه.. لكل علومه وتعاليمه وأفكاره وعقله ونياته وهمساته وخاطراته وحبه ويفضه في كل نومه ويقظته.. في استتاره وتعميره؟ أو هل يوجد عاجز عن الرؤية أو رافض للرؤية أو مخطيء في الرؤية أو مزور مزيف للرؤية كالعيون المبصرة؟

أو هل يوجد عاجز عن التفكير أو رافض للتفكير أو مخطيء في التفكير أو مزور مزيف للتفكير كالعقول المفكرة أو كالأفكار العاقلة؟

أو هل يتكر ويحكم ويتوج أقوى وأفدح وأصعب الغباء مثل أقوى وأذكى الذكاء؟ هل أوجد أشنع وأفنك وأعشى الغباء إلا أفنك وأذكى الذكاء؟

أو هل يوجد خارج على كل معاني الألوهية مثل الإله؟ أو خارج على كل معاني الرحمة والعدل مثل الموصوف بأنه أرحم الراحمين وأعدل العادلين؟ أو خارج على كل معاني العقل مثل المزعم بأنه الواهب لكل العقول الخالق لكل العقلاء؟ أو خارج على كل الأديان وعلى كل التدين والتقوى مثل مشرّع ومزئل ومعلم الأديان والتدين والتقوى؟

أو هل يوجد مستحق لكل الحساب والعقاب وللتعذيب في الجحيم مثل المتوعد بالحساب والعقاب وبالتعذيب في الجحيم؟ هل يستطيع كل سكان الجحيم أن يكونوا شيئاً من أوصافه أو أخلاقه أو أعطائه أو خطاياهم؟ أو هل يوجد من يحتاج إلى أن يتعلم كل شيء مثل من يزعم أنه العليم بكل شيء والمعلم لكل شيء مثل من لا يستطيع أن يتعلم أو يعلم شيئاً؟ أو هل يوجد خارج على كل منطق وعلى كل معقول مثل ما يحسب كل العقل والمنطق وكل تفاسير ومستويات العقل والمنطق؟

أو هل يوجد ما يزعم أنه الموجود والمرئي في كل شيء دون أن يجده أو يراه أحد في أي شيء أو يستطيع أن يراه أو يجده مثل أوصاف الإله وأفعاله وأخلاقه وتدييره أو في أي أوصاف أو أفعال أو أخلاق أو تديير؟ هل يوجد مفقود مثل فقد من يزعم أنه كل الوجود؟ هل عجزت كل العيون عن الرؤية مثل عجزها عن رؤية من يزعم أنه كل الأضواء؟

.. أو هل يوجد أو حدث أن وجد أن مؤمناً آمن لأنه وجد أو رأى أو سمع أو عرف أو فهم أو قرأ الإله في أي حدث أو شيء أو مكان أو كينونة أو في أي موقف شهامة أو حب أو نخوة أو رحمة أو إنقاذ أو إغاثة أو استجابة أو إصلاح أو صلح أو سلام أو فض اشتباك أو خصام أو عداوة أو عدوان أو موقف مصحح أو حاكم أو حاسم أو فاصل أو مانع أو مدافع أو فاعل أو حام أو ناصر أو هازم في أي زمان أو مكان أو حالة حين يجب ويتنظر أن يكون كل ذلك في كل الأزمنة والأمكنة والحالات؟ هل يوجد مفقود كل الفقد من يعتقد ويزعم موجوداً كل الوجود؟

أو هل وجد أو يوجد أو قد يوجد جد ليس كل تفاسير العيث أو جاد ليس كل تفاسير العايب أو عايب أو عيث ليس كل منطق وقيم وحوافز وأخلاق ونهايات الجدد والجادين أي المحسوب جداً والمحسوبين جادين؟

أو هل يوجد أو هل وجد منطق ليس تفسيرا ورؤى ومعاملة واستسلاماً وتعبداً لكائنات وكيّنونات وجود وجد قبل أن يوجد أي منطق وأي متحدث عن أي منطق.

.. لكائنات وكيّنونات وجود خارج كل شيء فيه على كل منطق يمكن أن يكون معقولاً أو مقبولاً أو مقفوراً أو مقهوراً أو حتى متصوراً أو مقترضاً؟



نعم، هل يوجد خارج على المنطق وكاذب عليه وبه ومزور له مثل المنطق.. مثل المنطق الذي تنشر به كل الكائنات والكيّنونات. يفسر به وجودها وصيغها وأهدافها وخوافزها وأسبابها وبدائياتها ونهاياتها والتعامل بها ومعها وفيها مجمدة مؤلّمة التفسير والتدبير والتقدير؟ هل يوجد مزور للعقل وعليه وبه مثل العقل أو معتد على العقل أو معتدى به مثل العقل.

.. هل يوجد محتاج إلى المنطق مثل المنطق أو إلى العقل مثل العقل أو إلى الذكاء مثل الذكاء أو إلى التفسير مثل التفسير لأي شيء ولكل شيء؟ هل يوجد محتاج إلى أن يكون له معنى لأنه بلا أي معنى مثل الوجود.. مثل منطق الوجود.. مثل المنطق الذي وجد وحسب وصيغ وفسر وقيل به الوجود.. وجود الوجود بكل كائناته وكيّناناته؟ هل يوجد محتاج إلى أن يكون له منطق أو تفسير أو معنى أو ثمن أو وظيفة أو عمل مثل الإله.. مثل كل إله؟

.. إن منطق كل شيء وأي شيء مأخوذ من نفسه الشيء وصانع صانع له الشيء نفسه..

.. أما الشيء.. الموجود والوجود فلم يؤخذ من أي منطق.. ولم يصغه أو يصنعه أو يخطئه أو حتى يتعامل به أو معه أو يعرفه أي منطق.. ولهذا فإن كل الكائنات والكيّنونات تجيء وتكون بلا أي حساب أو تقدير أو تفسير. ولو أن كل شيء جاء وكان غير ما جاء وكان أو نقيضه أو لم يجيء ويمكن البتة لما تغير أو اختلف أو قسد أو أهين أو ظلم أو حتى غضب أو صدم أو تحير أو تعجب أي منطق حتى ولا منطق الإله.

إن حشرة الذباب أو الصراصير أو البراغيث أو القمل أو النمل أو أية حشرة لو أنها جاءت كائناً آخر أو كيّنونة أخرى أو لم تجيء أو تكن البتة لما كان في ذلك خروج على أي منطق ولا موافقة أو إرضاء لأي منطق لأنه لا منطق في مجيء الشيء وصيغة كيّنونته ولا في فقدته.

كذلك لا موافقة ولا إرضاء لأي منطق كما لا خروج على أي منطق ولا إغضاب له لو أن أي كائن آخر كالإنسان أو كأي نوع حيواني أو فلكي أو كوني أو غير ذلك جاء وتكون كيّنونات وكائنات أخرى أو لم يجيء ويمكن البتة لأنه لا منطق خارج الشيء.. خارج وجوده ليكون ممكناً الخروج عليه أي على المنطق أو الإغضاب له أو الموافقة والإرضاء له أي بمجيء أي كائن أو وجود في أية كيّنونة..

.. ولو أن أي منطق مهما كانت ضخامته وحكمته أو ضآلته وسفاهته كان هو الواضع والمخطط والصانع للكائنات والكيّنونات لما جاء أي كائن ولا أية كيّنونة كما جاءت وكما جاء..

حتى الآلهة هل كان يمكن أن تجيء كما جاءت أو شيئاً مما جاءت لو أنها صممت وخططت وأريدت وفعلت وصيغت وأخرجت بأي منطق أو بمشورة أو تقليد أي منطق؟ إنه لا شيء خارج على حسابات ومستويات كل منطق مثل كينونات الآلهة!

إنه لو كان لكينونات الآلهة مكوّن لما وجد مثله غباء وعدواناً!

.. إن الكينونة التي كانتها كل الآلهة أو التي زعمت وعلمت وصوّرت وتصوّرت لها لهي كل التشويه والتصغير والتحقير والتعذيب والإهانة لها بل والإذلال والاستهزاء بها بل وكل المحاسبة والمعاقبة والتوريط والاستعباد لها أي للآلهة!..

إنه لا أحد يحق له القصاص ممن أوجدوه أو تصوّروه مثل الإله.. كل إله!

.. إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أي منطق وإنما توجد قوانين ذاتية آلية في الأشياء تسمى ويسمى فهمها والتعامل معها وبها منطقاً!..

إن منطق الشيء أو الوجود عائشاً وقوياً وكبيراً وعظيماً وجميلاً وصحيحاً سويّاً هو منطق حين يكون أو لو كان نقى كل ذلك.. إن منطق أصغر وأردأ وأقبح وأقذر وأضرّ كائن هو منطق أضخم وأعظم وأجمل وأنظف وأنفع وأكرم كائن.. إنه في الحالتين كينونة بلا منطق بل وضد كل منطق مفسر محاسب!

إن أضخم مجموعة شمسية أو كونية لم تصمّم أو تخطّط أو تصنع بمنطق أذكى أو أتقى أو أقوى أو أعلم أو أشرف أو أسمى من المنطق الذي صممت وخططت به أصغر وأوقح وأنذل حشرة وخلقت به!..

وإن كل الأمراض والعاهات والدمامات قد صممت وخططت وصنعت وأريدت بالمنطق الذي صممت وخططت وأريدت وصنعت به كل الصحة والقوة والجمال.. بكل ذكائه أو بكل غيائه.. بكل خسته أو بكل لبه.. بكل ألوهيته أو بكل آليته.. أو بفقده لكل معنى وتفسير وقصد وحافز وهدف!.. إن المنطق الذي صاغ وصيغ به أردأ وأصغر وأقبح وأوقح وأغيب شيء هو المنطق الذي صاغ وصيغ به أعظم وأكبر إله!..

إن سجود المنطق للإله سجود لأقبح وأصغر حشرة!

إن المنطق الذي وجد ورأى في هذا الوجود أضخم وأعقل وأتقى إله، ورأى ووجد في هذا الإله كل الجمال والحب والتبّل والرحمة والقوة والشهامة والعبقرية والذكاء هو المنطق الذي وجد ورأى كل تفاسير وأخلاق ومنطق ووظائف هذا الإله في كل شيء.. في كل كائن وكينونة.. في كل حشرة وقبح وعامة وتشوّه وألم ومرض وخطأ وخطيئة ونقيصة وعار وعيب وظلم وفساد وعدوان وطنيان بل وفسوق وكفر وغواية وضلال. إن المنطق الذي شكر الإله.. لأنه هدى هو المنطق الذي شكر الإله لأنه أعزى وأضل!..

.. إنه لا يوجد ولن يوجد منطق يقول ويرى أن أي شيء في هذا الوجود منطقي ومعقول ثم لا

يقول ويرى أن كل شيء فيه أي في الوجود منطقي ومعقول.. وهل يمكن أن يكون منطقاً أو شيئاً من المنطق أو ليس خارجاً على كل منطق، المنطق الذي يقول أو يرى أن كل هذا الوجود بكل كائناته وكينوناته منطقي ومعقول؟

إنه لمحكوم على المنطق أن يقول ويرى أن كل هذا الوجود معقول ومنطقي أو أنه كله خروج على كل المنطق والعقل اللذين لم يوجدوا ولم يوجدوا فيه ولا في أي شيء...!

إنها لقضية قاتلة وطاردة لكل ما يزعم منطقاً وعقلاً..!

ولقد ظل الفكر الإنساني في كل تاريخه مسحوقاً ومهزوماً وضالاً ضائعاً صغيراً فاقداً نفسه أمام هذه القضية.. لقد ظل عاجزاً أو خائفاً من اقتحام أسوارها مع أنها بلا أي أسوار. وإن كانوا قد اقتحموها قبلي من تحديقهم وذولهم لا بخطوات أقدامهم..!



بعد هذا الحديث الطويل السعيد الفرح عن التفاسير والمزايا لإخراجنا خير أمة أخرجت للناس لا بد من الحديث عن التبعات الكثيرة الصعبة لهذا الإخراج المفرق المحرج المحتجل الصادم بضخامة محاباته بل وباقتضاح تفاسير من حابانا هذه المحاباة الفاجعة لكل العقول والأخلاق المفكرة المحاسبة أي لو وجدت..!

إنها محاباة فيها كل الإذلال والترويع للعقول والأخلاق..!

.. لقد أوقعنا وأوقع نفسه في أتسى وأضخم ورطة من اختارنا هذا الاختيار وأخرجنا هذا الإخراج. لقد حوّلنا إلى عرض عالمي كوني تاريخي أبدي صارخ معلن بكل الأساليب واللغات والألوان والأزياء والصور لنا ولنفسه..!

إن هذا العرض لا بد أن يفرض علينا التكافؤ معه بكل صيغنا ومعانيها أي بأن نكون متفوقين في كل شيء على كل العالم الذي أخرجنا إليه وله ومن أجله لنفوقه وتعلمه ونهديه ونضعه في ضمير الإله وقلبه وعينه..

.. ولنهبه بكل الضخامة والسخاء والقوة والنبل والشمول كل ما تعنيه تفاسير إخراجنا له ومن أجله واختيارنا عليه اللذين فعلنهما بنا ولنا القوة الفاعلة لهذا الوجود ولكل شيء..

.. لنهيه كل ما تحنيه معاني اختيارنا وإخراجنا لتكون إلى نهاية العالم كل الأديان والنبوات والتعاليم والأخلاق والكتب المقدسة وكل العلم الإلهي واللغة الإلهية والمتخاطبين مع الإله..

.. لنكون كل المصححين والمعلمين والمفسرين والحافظين الحامين الناصرين المجملين المعظمين لكل ذلك.. لنكون بديننا ونبينا وكتابتنا المقدسة وبخلفائنا الراشدين كل تفاسير الإله والكون وكل شيء وكل علم الغيب والنبوات عن كل ما وقع وكل ما سوف يقع وعن كل ما علم وعن كل ما سوف يعلم.. لنكون كل الفرح والسعادة والمجد والتقوى لهذا الوجود ولصاحبه..

.. لتكون كل علوم ومعارف واكتشافات وابتكارات البشر شيئاً من تفاسير ونبوءات كتابنا المقدس ورؤى ووحى نبينا الملقى الناسخ لكل الأنبياء الذين كانوا قبله والقاتل المكذب لكل من يجيئون بعده أي من الأنبياء والمعلمين والرايين للإله أو للكون أو لأي شيء بعيون غير عينيه أو القارئين له بلغة ليست لفته..

.. لتكون كل قادة الإله والقادة إليه وكل المتحدثين عنه ومعه والمتلقين عنه ومنه كل الزمن الحاضر وكل الزمن الآتي الباقي.

.. لتكون كل ذلك بل أكثر من ذلك.. لتكون كل العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق التي يرى ويعقل ويفهم ويتعامل ويتعاطف ويتحاب ويتقي الله بها كل العالم أي التي يجب ويطلب أن تكون لكل العالم ذلك وأن يراها كل العالم بالإيمان والتعامل والالتزام..!

إذن هل يستحيل مثل ما يجب ويطلب أن نكون؟

أما إذا لم نتكافأ كل التكافؤ وأعظم التكافؤ مع هذا الاختيار وهذا الإخراج لنا فلا بد أن نحول إلى أقسى هجاء وانهام وتحقير وتسفيه وإهانة لأنفسنا ولمن حابانا بهذا الاختيار وهذا الإخراج.. هل رأينا أو عرفنا أو قرأنا أننا قد تحولنا إلى ذلك؟

ما أقسى وأعظم الحساب والعقاب للذين يجب أن يتلفاهما من حاباناه هذه المحاباة إن كان أو لو كان يوجد من يحاسب ويعاقب..

وما أقسى وأعظم وأطول المحاسبة والمعاقبة للذين يجب أن نحاسب ونعاقب بهما أنفسنا على خذلانا وفضحنا وإعلاننا عن أخطاء وضلال وجهالة من اختصنا بهذه المحاباة..!

إن كل الأحران والدموع والمراثي لا تكفي رثاء لأخطاء وهزائم ونكسات من اختارنا وأخرجنا هذا الاختيار وهذا الإخراج لتكون كل الإعلان عن مجده وجماله وذكائه وعدله وقوته وتقواه وانتصاراته لتكون كل العرض وأجمل وأضخم العرض لذلك أي فيما يفترض ويجب..!

ماذا كانت أو كيف كانت آمال وتمنيات وتوقعات وتصورات وحسابات وظنون من فعل بنا ولنا ذلك، وما الجزء أو الأجر أو الثواب الذي كان ينتظره منا وما الذي وجده وكسبه؟ ماذا كان إدراكه لتفجيعته وإحساسه بها؟

هل خدع وصل في هذه القضية عن قصد أم عن غفلة؟ وأيهما أكثر تشويهاً وتعدياً له؟ عاجزة كل العقول عن فهم ذلك بل وعن فهم غيره. إنها لو استطاعت كل العقول فهم كل شيء لظلت عاجزة عن فهم مريد ومخطط وفاعل هذا الوجود.. كيف جاء ولماذا جاء وبأية حسابات جاء وجاء كما جاء وكيف جاءت فكرته وصورته وتصوره؟ كيف أية قوة هذه القوة التي جعلت البشر يرون ويفهمون ويعقلون ما لا يستطيع أو يمكن أن يرى أو يفهم أو يعقل؟

إذن هل جاء تكوين الإنسان أعظم وأقوى تكوين أم أردأ وأضعف تكوين؟

كيف أمكن أن يتحول هذا السؤال إلى سؤال أي إلى سؤال منطوق به؟

أليست أقوى الأسئلة أسئلة يهاب التعلق بها؟

كم هو قاجع أن يكون من الصدق أن يقال: ما أصغر أكبر ما في هذه الحياة والوجود..

ليس الكبير جداً صغيراً جداً في كل تفاسيره ونهاياته؟

.. كم يجب الإشفاق على نبينا الذي حمل فتحمل وتقبل وتجراً أن يلقي وينسخ ويقتل كل الأنبياء والنبوات الذين والتي كانوا وكانت قبله ليكون وحده إلى نهاية الزمن كل الأنبياء وكل النبوات لكل البشر وكل المبلغين والمتحدثين عن الله إلى كل البشر..؟

.. وكم يجب الإشفاق على كتابنا المقدس الذي ألغى وأبطل كل الكتب المقدسة ليكون وحده كل كلام الإله وكل لغته ومخاطبته ومراسلته وكل عقله وعلمه وفكره وهنّه واهتمامه بل وكل بلاغته وفصاحته وكل إعجازه ومفاخره الإنشائية وكل رضاه وغضبه وحمايه وعقابه وتهديده ووعيده..

.. ولتحتزن في حروفه وألفاظه وزئيره وصراخه وشغائمه وتحذياته كل الأحداث والعلوم والمبتكرات والكائنات والكينونات التي كانت والتي سوف تكون حتى الفاجعة والغاضبة والقيحة والردية والأثيمة والمدمرة المهينة منها..

بل حتى التي لم تكن ولن تكون والتي كل القبح والإثم والفساد والعار والفظاعة والمستحيل في أن تكون.. ليكون أي كتابنا المقدس كل ذلك كل الزمن.. ليظل كل الزمن مطلوباً أن يقول ويعلم كل شيء ويشفي ويعالج من كل شيء وينى ويحدث عن كل شيء..!

.. وكم يجب الإشفاق على ديننا الذي نفى وقاقل وقتل كل الأديان ليكون وحده إلى نهاية الزمن كل الدين والتعاليم والعلم والعقل والهدى والرؤية والقراءة والعبادة وكل التفسير والتصوير والتصور والمخاطبة والمعاملة للإله وكل الطريق والدليل إليه والمعلم كل شيء لكل البشر..

.. ليكون وحده المسؤول عن كل ذلك وعن كل شيء.. عن كل هداية البشر وصلاحيهم وصحتهم ومعرفتهم وقوتهم ورقبهم وعلومهم وتعليمهم وجمالهم الإنساني الشامل الدائم بل وعن جمال أجسادهم وعن شفائهم من الأمراض وعن إطعامهم وأروائهم وسقي أرضهم وإخصابها..؟!

ليكون وحده كل تفاسير الإله والوجود وكل أخلاقيهما ومجدهما..

وكم يجب علينا أن نشفق على أنفسنا لأنه حكم علينا بأن نختار هذا الاختيار ونخرج هذا الإخراج..

إننا أيداً يجب أن نكون في موقف الإشفاق لا الإعجاب من أنفسنا.

ما أعظم استحقاقنا للإشفاق لضخامة ما نقاسي ونعلن من الإعجاب بأنفسنا.

لقد فضحنا وعذبنا وهجينا واستهزئنا بنا بنيات وأساليب وإعلان التمجيد والتكريم والتعظيم والامتداح والإسعاد والتفضيل لنا..

لقد علقنا على المشائق من ظن وزعم أنه يرفعنا، ورفعنا فوق جميع الصليبان من زعم وظن أنه

.. لتكون كل علوم ومعارف واكتشافات وابتكارات البشر شيئاً من تفاسير ونبوءات كتابنا المقدس ورؤى ووحى نبينا الملقى الناسخ لكل الأنبياء الذين كانوا قبله والقاتل المكذب لكل من يجيئون بعده أي من الأنبياء والمعلمين والرايين للإله أو للكون أو لأي شيء بعيون غير عينيه أو القارئين له بلغة ليست لفته..

.. لتكون كل قادة الإله والقادة إليه وكل المتحدثين عنه ومعه والمتلقين عنه ومنه كل الزمن الحاضر وكل الزمن الآتي الباقي.

.. لتكون كل ذلك بل أكثر من ذلك.. لتكون كل العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق التي يرى ويعقل ويفهم ويتعامل ويتعاطف ويتحاب ويتقي الله بها كل العالم أي التي يجب ويطلب أن تكون لكل العالم ذلك وأن يراها كل العالم بالإيمان والتعامل والالتزام..!

إذن هل يستحيل مثل ما يجب ويطلب أن نكون؟

أما إذا لم نتكافأ كل التكافؤ وأعظم التكافؤ مع هذا الاختيار وهذا الإخراج لنا فلا بد أن نحول إلى أقسى هجاء وانهام وتحقير وتسفيه وإهانة لأنفسنا ولمن حابانا بهذا الاختيار وهذا الإخراج.. هل رأينا أو عرفنا أو قرأنا أننا قد تحولنا إلى ذلك؟

ما أقسى وأعظم الحساب والعقاب للذين يجب أن يتلفاهما من حاباناه هذه المحاباة إن كان أو لو كان يوجد من يحاسب ويعاقب..

وما أقسى وأعظم وأطول المحاسبة والمعاقبة للذين يجب أن نحاسب ونعاقب بهما أنفسنا على خذلانا وفضحنا وإعلاننا عن أخطاء وضلال وجهالة من اختصنا بهذه المحاباة..!

إن كل الأحران والدموع والمراثي لا تكفي رثاء لأخطاء وهزائم ونكسات من اختارنا وأخرجنا هذا الاختيار وهذا الإخراج لتكون كل الإعلان عن مجده وجماله وذكائه وعدله وقوته وتقواه وانتصاراته لتكون كل العرض وأجمل وأضخم العرض لذلك أي فيما يفترض ويجب..!

ماذا كانت أو كيف كانت آمال وتمنيات وتوقعات وتصورات وحسابات وظنون من فعل بنا ولنا ذلك، وما الجزء أو الأجر أو الثواب الذي كان ينتظره منا وما الذي وجده وكسبه؟ ماذا كان إدراكه لتفجيعته وإحساسه بها؟

هل خدع وصل في هذه القضية عن قصد أم عن غفلة؟ وأيهما أكثر تشويهاً وتعدياً له؟ عاجزة كل العقول عن فهم ذلك بل وعن فهم غيره. إنها لو استطاعت كل العقول فهم كل شيء لظلت عاجزة عن فهم مريد ومخطط وفاعل هذا الوجود.. كيف جاء ولماذا جاء وبأية حسابات جاء وجاء كما جاء وكيف جاءت فكرته وصورته وتصوره؟ كيف أية قوة هذه القوة التي جعلت البشر يرون ويفهمون ويعقلون ما لا يستطيع أو يمكن أن يرى أو يفهم أو يعقل؟

إذن هل جاء تكوين الإنسان أعظم وأقوى تكوين أم أردأ وأضعف تكوين؟

كيف أمكن أن يتحول هذا السؤال إلى سؤال أي إلى سؤال منطوق به؟

أليست أقوى الأسئلة أسئلة يهاب التعلق بها؟

كم هو قاجع أن يكون من الصدق أن يقال: ما أصغر أكبر ما في هذه الحياة والوجود..

ليس الكبير جداً صغيراً جداً في كل تفاسيره ونهاياته؟

.. كم يجب الإشفاق على نبينا الذي حمل فتحمل وتقبل وتجراً أن يلقي وينسخ ويقتل كل الأنبياء والنبوات الذين والتي كانوا وكانت قبله ليكون وحده إلى نهاية الزمن كل الأنبياء وكل النبوات لكل البشر وكل المبلغين والمتحدثين عن الله إلى كل البشر..؟

.. وكم يجب الإشفاق على كتابنا المقدس الذي ألغى وأبطل كل الكتب المقدسة ليكون وحده كل كلام الإله وكل لغته ومخاطبته ومراسلته وكل عقله وعلمه وفكره وهنّه واهتمامه بل وكل بلاغته وفصاحته وكل إعجازه ومفاجأته الإنشائية وكل رضاه وغضبه وحسابه وعقابه وتهديده ووعيده..

.. ولتحتزن في حروفه وألفاظه وزئيره وصراخه وشغائمه وتحذياته كل الأحداث والعلوم والمبتكرات والكائنات والكينونات التي كانت والتي سوف تكون حتى الفاجعة والغاضبة والقيحة والردية والأثيمة والمدمرة المهينة منها..

بل حتى التي لم تكن ولن تكون والتي كل القبح والإثم والفساد والعار والفظاعة والمستحيل في أن تكون.. ليكون أي كتابنا المقدس كل ذلك كل الزمن.. ليظل كل الزمن مطلوباً أن يقول ويعلم كل شيء ويشفي ويعالج من كل شيء وينى ويحدث عن كل شيء..!

.. وكم يجب الإشفاق على ديننا الذي نفى وقاقل وقتل كل الأديان ليكون وحده إلى نهاية الزمن كل الدين والتعاليم والعلم والعقل والهدى والرؤية والقراءة والعبادة وكل التفسير والتصوير والتصور والمخاطبة والمعاملة للإله وكل الطريق والدليل إليه والمعلم كل شيء لكل البشر..

.. ليكون وحده المسؤول عن كل ذلك وعن كل شيء.. عن كل هداية البشر وصلاحيهم وصحتهم ومعرفتهم وقوتهم ورقبهم وعلومهم وتعليمهم وجمالهم الإنساني الشامل الدائم بل وعن جمال أجسادهم وعن شفائهم من الأمراض وعن إطعامهم وأروائهم وسقي أرضهم وإخصابها..؟!

ليكون وحده كل تفاسير الإله والوجود وكل أخلاقيهما ومجدهما..

وكم يجب علينا أن نشفق على أنفسنا لأنه حكم علينا بأن نختار هذا الاختيار ونخرج هذا الإخراج..

إننا أيداً يجب أن نكون في موقف الإشفاق لا الإعجاب من أنفسنا.

ما أعظم استحقاقنا للإشفاق لضخامة ما نقاسي ونعلن من الإعجاب بأنفسنا.

لقد فضحنا وعذبنا وهجينا واستهزئنا بنا بنيات وأساليب وإعلان التمجيد والتكريم والتعظيم والامتداح والإسعاد والتفضيل لنا..

لقد علقنا على المشائق من ظن وزعم أنه يرفعنا، ورفعنا فوق جميع الصليبان من زعم وظن أنه

يحولنا إلى كفارة وإنقاذ لكل البشرية من كل أخطائها وخطاياها وضلالها وجهالاتها وزندقاتها ومن كل ضعفها ونقائصها وهمومها وورطاتها وضيعاتها...

أو من يفترض ويحسب أنه قد ظن ذلك وزعمه..!



ولكن هل قبلنا أو رضينا أو اعتقدنا في أنفسنا أو لأنفسنا أو على أنفسنا ذلك أي اختيارنا وإخراجنا هذا الاختيار وهذا الإخراج؟ وإن كنا قد فعلنا ذلك حين لم نكن نجد أو نرى أو نسمع أو نقرأ أو نحفظ أو نعلم أو نتعلم إلا أنفسنا وقرآننا ونبواتنا وصحراءنا وخطباءنا وشعراءنا وأصواتنا ومحاربتنا ومنابرنا وكتبنا رافعة لحجرها الأسود...

... حين لم تكن تعلم أن للإله أو للكون أو لأي شيء أية وظيفة أو مجد أو سعادة أو عبقرية غير أن يفكر فينا ويخاطبنا ويعاملنا ويعمل لنا ومن أجلنا ويعلم انتماءنا إليه وانتماءه إلينا ونعائشه ويعايشنا ويحقد فينا ونحقد فيه.

.. حين كنا نعتقد ونعلن ونشعر أن أي شيء وكل شيء لن يساوي شيئاً من مجدنا وجمالنا وكرامتنا وبسالتنا وقوتنا وقوانا وإيمائنا وذكائنا حين نتزاحم بعقولنا وقلوبنا وضمائرنا وأخلاقنا وعبيرنا وأيدينا ومناكبنا وبكل أجسامنا على حجر الكعبة الأسود لنقبل ونلمس ونرى ونجد الله ونصبح أكبر وأقوى وأعظم من كل العالم.. من كل الكون حين نقبله أي الحجر الأسود ونراه ونلمسه ونجده ونتراحم وتندافع عليه...

- ولكن ألسنا دائماً كذلك ونرى أنفسنا دائماً كذلك ولم نكن كذلك أو نرى أنفسنا كذلك في فترة من التاريخ فقط؟

- نعم، إن كنا قد قبلنا ورضينا واعتقدنا ذلك في أنفسنا ولأنفسنا وعلى أنفسنا أي هذا الاختيار والإخراج لنا حينما كنا تلك الكيانات وحينما كنا نرى أنفسنا والكون والعالم وكل شيء هذه الرؤية أو تلك الرؤية فهل يمكن أن نقبل أو نعتقد أو نرضى ذلك في أنفسنا أو على أنفسنا أو لأنفسنا كل الزمن أو في هذا الزمن الذي تحول كل شيء فيه إلى مرايا ومعارض ترانا منها وبها وفيها كل العيون والعقول والقلوب والأخلاق والضمائر والحسابات والتوقعات مفاجوعة مصدومة رائية أو شامئة فرحة بضخامة شماعتها أو غريقة في الذهول والتعجب والحيرة والاستنكار والاشمئزاز والغثيان أو غير مصدقة ما ترى ورافضة أن تصدق أو مغلفة كل منافذ الرؤية لئلا ترانا أو ترى شيئاً منا أو معتقدة أنها حينما ترانا لا ترى بشراً وإنما ترى كائنات أخرى لا تفهم أو تفهم أو تحاسب بأي نموذج أو منطق من منطق ونماذج الكيانات والكائنات الموجودة أو المتصورة أو الغائبة عن الوجود والتصور.

.. في هذا الزمن الذي تعاملنا وتخطبنا وتواجهنا فيه مع إسرائيل.. في هذا الزمن الذي تخلقت فيه إسرائيل من عقولنا وأفكارنا وأخلاقنا وعضلاتنا ومن ديننا وتديننا وتاريخنا ومن قرآننا وكتبنا ومن كل مقدساتنا وقبورنا المخترنة لكل أبطالنا وعبقريتنا وقديسينا وغزواتنا وانتصاراتنا الكونية؟ أليست

إسرائيل تخلقت من قرأتنا وديننا كما تخلقت من عبقرياتنا وبسالاتنا وعضلاتنا وضرباتنا؟

نعم، إن هذا الاختيار والإخراج لنا لم نرضهما أو نقبلهما أو نعتقدهما فقط.. إنها لم يكونا عطاء لنا من خارجنا. لم يكونا تعليماً أو تلقياً..!

بل لقد ابتكرناهما وزعمناهما وأعلنناهما وعلماهما لإلهنا ونبيتنا وديننا وكتابنا المقدس، أننا لم نكن متعلمين بل كنا معلمين..!

إنهم أي كتابنا المنزل وديننا وإلهنا حينما يتحدثون عن ذلك ويتعلمونه ويعلمونه ويؤمنون به ويدعون إلى الإيمان به إنما يتحدثون بما حدثناهم ويتعلمون ويعلمون ما علمناهم ويؤمنون ويدعون إلى الإيمان بما أردناهم وأمرناهم أن يؤمنوا به ويدعوا إلى الإيمان به أي في قضية اختيارنا هذا الاختيار وإخراجنا هذا الإخراج وأيضاً في القضايا الأخرى..! إننا إذن نحن الذين اخترنا أنفسنا هذا الاختيار وأخرجنا هذا الإخراج وأعلننا عن ذلك هذا الإعلان ولم تكن فقط راضين أو متقبلين.. أو معتقدين.. لذلك..

وإن موقفنا من ذلك ورؤيتنا له ودعوتنا إليه وعقيدتنا فيه ومباهاتنا ومجاهرتنا به أزلية أبدية لا يفسدها أو يضعفها أو حتى يحاورها أي تكذيب أو افتضاح لها بل ولا كل تكذيب وكل افتضاح لها..

وقد يكون من الصواب القول بأن إيماننا بأنفسنا وبما اعتقدنا وقلنا وعلمنا وورثنا وروينا يزداد ويزداد إعلاننا عنه ومباهاتنا به ودعوتنا إليه وعرضنا وتفسيرنا له أي لإيماننا بقدر ما يتحول كل شيء إلى أقسى وأشمل تكذيب وقضح له أي لإيماننا هذا.. إن إيماننا لا يفتضح ولا يكذب مهما فضحه وكذبه كل شيء..!

.. لعل في عيون ورؤى بعض الكائنات وبعض البشر وأمامهم مرايا تربهم أنفسهم عظيمة وكبيرة رقوية وجميلة بقدر ما تكون ضعيلة وضعيفة وديمية. إن الرؤية ليست محددة مهما كان الرائي والمرئي محددين..!

.. ولعل الكائن يكبر أي في رؤيته لنفسه بقدر ما يصغر أي في نفسه وفي معانيه وكيوناته..!

.. هل يوجد خادع مثل المرايا التي ترى بها الكائنات ذاتها ووجودها وكيوناتها.. حتى المرايا التي ترى بها الآلهة ذاتها وكيوناتها ووجودها.. حتى المرايا التي ترى بها الحشرات ذاتها وكيوناتها ووجودها؟

لماذا اخترعت المرايا؟ هل اخترعت للرؤية أم لتضليل الرؤية.. لتكون صادقة أم لتكون كاذبة؟ هل وجد أو يوجد أو يمكن أن يوجد مطالب ومرجو بأن يكون كاذباً ومزوراً مثل المرايا؟ هل يمكن أن يكبر أو يرفض أو يلمن أو يعادى شيء مثل المرايا ومثل العيون الناطرة المحددة فيها حينما تكون صادقة أو لو أمكن أن تكون صادقة؟ ما أقسى وأوقع العيون والمرايا الصادقة، لقد جاء كل الأنبياء والمعلمين ليقاوموا الرؤى الصادقة.

.. إن أي جمال لن يرى بل ولن يكون إلا مستتراً.. محتجباً عن العيون والقلوب والعقول والضمائر.. لن يرى أو يكون إلا مغطى بكل الأغشية الكثيفة التي لا تستطيع رؤيته منها..!

لعل الإله لم يحتجب كل هذا الاحتجاب إلا بهذا التفسير ولهذا التفسير.. لماذا احتجب الإله كل هذا الاحتجاب؟ هل من جواب؟ ولعله أي الإله لم ير كل هذا الجمال ولا شيئاً منه ولن يراه لولا هذا الاحتجاب الكثيب العجيب الكريه السخيف الصانع للغضب والحيرة والذهول الفاجع لكل الأخلاق والعقول والتفاسير.

هذا الاحتجاب الذي ضربه وفرضه على نفسه ليقاسي كل ألوان الوحشة والضياع والكآبة والمحاصرة والحرمان.. ليصبح أشهر مسجون وساجن لنفسه.. إنه مسجن بلا زمن.. بلا بداية أو نهاية..!

.. إنه لا مسجون في ذاته وفي كهوفه المظلمة التي لن ترى ولن يرى أو يخرج منها أو تفتح أو تدمر وتزال أو حتى تضاء أو يدري أين هي مثل الإله.. لهذا رأته العيون كل الجمال والضحامة والعظمة.. ولهذا لم تر العيون سواء مهما رأته كل شيء، لقد رأته كل شيء لأنها لم تره ولن تراه، إنه لن يرى أو يكون كل الجمال إلا ما لم ير ولن يرى..!

هل وجد مسجون في ظلمات ذاته لم يره ولن يره أحد غير الإله؟

هل وجد ساجن لنفسه في ظلمات وجوده مثل الإله؟ هل ظلام وجوده يحميه من الرؤية؟ كم كان يخاف من أن تراه أية عين.. كم كان يخاف أن يفقد كل جماله لو رأته العيون؟ لقد كان يرى ويعلم أن جماله لن يرى إلا في الظلمة التي لن يرى فيها شيء ولن ترى شيئاً.

لقد عاقب الإله نفسه أفسى وأشمل عقاب خوفاً من أن تراه أية عين..!

إنه لن يمكن تصوّر خوف كخوف الإله من العيون.. حتى من العيون التي لا ترى والتي لو رأت لما فهمت الفرق بين الجمال والدمامة أو بين الضخامة والضالة أو بين النظام والفوضى أو بين أن ترى وألا ترى أو بين الإله في صيغة إله والإله في صيغة أخرى..!

لقد خلقت العيون لتكون عاجزة عن الرؤية.. عن رؤية ما ترى مهما كانت رائية مبصرة.. مهما كانت قدرة الإبصار فيها ومهما كانت رغبتها في الإبصار وديمومتها في الإبصار؟ أليست كل العيون الرائية المبصرة عاجزة عن الرؤية.. عن رؤية ما ترى مهما رأته؟ بل أليست تزداد عاجزاً عن رؤية ما ترى كلما ازدادت وتكررت رؤيتها له؟ أليست الرؤية تمنع الرؤية.. نفسها.. تمنيتها.. تسحب منها معناها؟ أليس تكرار رؤية الشيء يمنع من رؤيته..؟ لهذا استطاعت العيون معايشة هذا الوجود بل واستطاعت أن تجن إعجاباً وفرحاً به ورضا عنه وتمجيداً وعبادة له بل وصعوداً في تفسير جماله وعقباته الحكيمة الرحيمة العظيمة التي استحقت أن تكون عقل وقلب وضمير وتدير وأخلاق ومجد وفخر أعظم إله..! لهذا استطاعت أن ترى في كل قبح وتشوه وآلم وفوضى ووباء أجمل صور الإله..!

.. نعم، لماذا خلقت العيون كذلك؟ ألا يكون التفسير أن الإله خلقها كذلك حبطة وحذراً من احتمال وتوهم أن تراه أي العيون أو أن يصبح مرئياً؟ إنها حيثيذ لن تراه مهما رأته بل وتعجز عن رؤيته كلما ازدادت وتكررت رؤيتها له؟ هل يستطيع أي كائن معايشة عينه لو كانتا تريان ما تريان؟

لماذا العيون لا ترى ما تراه بل وتزداد عجزاً عن رؤيته كلما تكررت وازدادت رؤيتها له؟ لأن الإله خلقها كذلك وأراد لها ذلك لأنه كان مبالغاً في خوفه من أن تراه أية عين إذ قدر أنه قد يظهر دون أن يريد أو يلري خروجاً على كل حساباته واحتياطاته وحيثيذ يرى ويقع في أقسى ما يخاف ويحتر.. في أقسى وأقبح ورطة.. الإله أصبح مرئياً..!

هل يوجد ما يفجمه ويتضح به ويرهبه مثل هذا؟

.. أو لعله قدر وحسب أن الإنسان صاحب العيريات والابتكارات المتفوقة على عبقرياته وابتكاراته بل الهازمة المنلة لها قد يشكر جهازاً أو أجهزة تكشفه وتجمله مرئياً..

وحيثيذ يقع في المصيدة التي لا يخشى مثلها.. لا يعبذه أو يرهبه أو يفضحه مثلها..!

هل يوجد جبان أمام احتمال رؤية العيون له مثل الإله؟

لهذا خلق العيون لا ترى ما تراه بل وتزداد عجزاً عن الرؤية.. عن رؤية ما تراه كلما ازدادت وتكررت رؤيتها له..

خلقها كذلك لئلا تراه لو رأته أي هو، أي الإله، لقد أفسد العيون خوفاً على نفسه وحماية لها كما أفسد العقول والقلوب والضمائر والأخلاق من أجل ذلك أيضاً..

هل يستطيع أي الإله أن يكون أو يبقى أو يرى له أي مجد أو جمال أو عظمة أو سلطان أو حتى وجود أو احترام أو حتى ذكر أو اسم أو اقتراض شيء من ذلك لو لم يفسد ويعطل ويقتل كل العيون والعقول والأفكار والرؤى والقلوب والضمائر والأخلاق والتصورات، إنه ليحسب هذه كلها أقسى أعدائه بل يحسبها كل أعدائه..!

لقد حشد كل جيوشه وحراسه وأعوانه وأجهزة أعلامه من أديان وأنبياء ومعلمين وكتب مقدسة وأشياء أخرى لإفساد وتعطيل وقتل كل ذلك في الإنسان بل ولتحويله إلى عذر ونقيض ومحارب لنفسه..

لقد جعل كل هذه مناقضة لوظائفها خوفاً منها..!

إته مهما كان الحديث عنه وإليه ومع قلن يكون المعني إلا أنبياءه وأديانه وكتبه المنزلة وتعاليمه وجميع المعلمين والمتحدثين عنه وباسمه..!

إنه أي الإله أسوأ وأشهر مظلوم معتب عليه متهم بكل ما في الوجود من آثام وشرور ومظالم وقبائح وعبث وفوضى وعدوان وحماقات وأخطاء وخطايا وآلام وجنون دون أن يوجد أي منقذ له أو مدافع عنه أو راب له أو حزين من أجله....

.. دون أن توجد أية منظمة دولية أو يدعى إلى وجودها أو يفكر في وجودها لمحاولة إنقاذه من ذلك.

إنه لا يوجد محتاج إلى إنقاذ دولي أي إلى إنقاذ اسمه مثل الإله..!

إن منا يهون من قبج هذه القضية أن كل عدوان عليه أي على الإله وكل اتهام وتشويه وسب وتحقير وتلوث له إنما يكون عدواناً على اسمه واتهاماً وتشويهاً وتحقيراً وتلوثاً وسباً لاسمه لا لذاته ولا على ذاته لأن كل المتعاملين معه إنما يتعاملون مع اسمه لا مع ذاته لأنهم لم يجدوا ولن يجدوا ذاته بل ولن تجد ذاته ذاته..

إن الإله أعظم كائن لا يوجد منه أو فيه إلا اسمه!

وهل يمكن تصوّر فضيحة للبشر مثل أن يتعاملوا ويظلوا يتعاملون أضخم وأعظم وأدوم وأشمل وأشهر معاملة مع اسم لا مع ذات.. مع اسم لم يلقوا أو يسمعوا أو يروا أو يجدوا أو يعرفوا أو يلمسوا أو يشموا أو يحسوا له ذاتاً في أي زمان أو مكان أو صيغة. في أي صحراء أو مدينة أو سجن أو معتقل أو ملجأ أو مستشفى أو معبد أو ملهى أو عمل أو موقف...

.. في أي سماء أو أرض.. مقاتلة ومناضلة مع أي جيش أو نظام أو مذهب أو دين...

.. أو حامية لأي مقهور أو مظلوم أو معتدى عليه...

.. أو مستجيبة لأي مستغيث أو لاجئ أو دافع متضرع مؤمن مؤمل منتظر..

.. أو شافية لأي مريض أو مصاب أو عاجز أو مقعد أو مشوّه أو دميم أو ناقص التكوين..

.. أو منقذة أو مؤوية لأي مطارّد هارب مذعور ضائع حائر بائس يائس..

.. أو مستمعة لأي صارخ بالك آين متأوه...

.. أو رادة على أي منادٍ مخاطب مسائل متلهف...

.. أو مقلّدة على أي محدّق في كل شمس ونجم وقملة وذرة ونور وظلمة مؤملاً أن يراها أو

يجدها..

.. أو قارئة لأي رسالة يكتبها ويمسحها إليها أي مجنون في شوقه إليها وجه لها وإيمانه بها..

.. أو مجاورة عليها بالكتابة أو بالصوت أو برسول..

.. أو كاتبة أية رسالة إلى أية دولة أو منظمة أو جماعة أو فرد بأية لغة يخطها أو بأي خط.

.. أو فاهرة أو حتى زاجرة صادة لأي طاغية جبار مدّتر مخزّب سفاك للدماء بل أو شاعر هو

أو أحد أنها قد تفعل به أي شيء من ذلك..!

.. باسم هذه الذات تشبّ وتوجه أعنى وأغنى المحروب والعداوات والخصومات والخلافات والمنازعات والملاعنة والأحقاد والبغضاء والعدوان والقتل والاغتصاب والاستعباد والنهب والسلب وكل أساليب الإيذاء والترويع والغزو والاحتلال والإذلال..

دون أن تفعل أي هذه الذات شيئاً للإقناع أو للإفهام أو للتوضيح أو للتوفيق أو للمصلح والإصلاح أو للمنع والإنقاذ أو ينتظر منها ذلك.

.. دون أن تصرخ أي هذه الذات ارتباعاً وانفجاعاً وذعراً وحنناً مما يحدث ويقال ويفعل باسمها ومنسوباً إليها ومتهمه به بل ومتقرباً إليها ومعبودة مرشية به.. دون أن تعلن براءتها من ذلك بأي أسلوب وبكل أسلوب..

.. دون أن ترى، أو ترى دون أن تفجع بما ترى.. بما يفجع كل من يرى ومن لا يرى، أو ترى وتفجع دون أن تحاول تغيير أو تصحيح ما يفجعها ويفجع كل شيء وكل أحد..

.. البشر كانوا ولا يزالون وسوف يظلون يتعاملون أقسى وأخطر وأقبح وأردأ وأندل معاملاتهم مع اسم وباسم وعلى اسم وطاعة وخضوعاً وتعبداً لاسم بلا مسمى..

.. بلا مسمى كان موجوداً أو يحتمل أو ينتظر أن يصبح موجوداً بل أو يراد أن يصبح موجوداً..!

هل حدث هذا؟ هل استطاع تصديقه؟ أيهما أفظح وأقسى: أن يكون هذا قد حدث أو أن استطاع تصديقه مهما حدث؟

إنه لو كان هذا المسمى أي الإله موجوداً لما كان هناك مثله ولا في التصور تنازلاً عن كرامة وشرف اسمه ليعبث ويتعامل به كل كذاب ودجال وغشاش وضال وجاهل ولص ومخادع ومحتال وفاسد وفاسق وقاتل وطاغية ومغامر وبذيء ووقع وعدواني ولئيم ونذل - ليعبث ويتعامل به بكل المحامرة والمباهاة والمفاخرة والاتقاض المعلن بل المخطوب به المصلى له وبه المحوّل إلى تعاليم تعلم وتدرس وتفسر وتحفظ بل ولترزين بها الشمس والنجوم؟ اسم بلا مسمى تغش وتسوغ به كل القبيح والفضائح والشرور والعداوات والجهالات كل الزمن. ألم يحدث كل هذا ولا يزال يحدث وسوف يظل يحدث تحت شعار العمل والتعامل والطاعة والتمجيد لهذا الاسم بلا مسمى؟ هل وجد اسم معبوث مخدوع مكذوب مفسوق مسروق مضلل مفضوح به مثل هذا الاسم بلا مسمى؟



.. إننا في هذه الأوقات في هذا العصر الرهيب الفاجع.. الواهب السالب الفاضح.. المنتصر المنهزم.. في هذا العصر تنفجر حماسة وفخر وإيماناً وصراحاً داعين ومعلمين وزاعمين ومعلنين بكل الأصوات ومن كل الأجهزة أنه لا نجاة ولا إنقاذ لا في الحاضر ولا في المستقبل للعالم كله لا لعقله ولا لعلمه ولا لروحه ولا لاستقراره أو سلامه أو أخلاقه أو حياته أو سعادته أو حضارته أو حتى لبقائه كما لا طريق له إلى الله ولا إلى مجاورته ومسكنته في فردوسه في الحياة الباقية الأبدية.

- نعم، لا شيء من ذلك لكل العالم لا حاضراً ولا مستقبلاً إلا بطاعتنا واتباعنا وقيادتنا أي إلا طاعة واتباع وقيادة نبينا وديننا وقرآننا وخلقاتنا وفقهائنا وبصيام رمضاننا وبالحج إلى كعبتنا وتقبيل حجرنا الأسود...!

أجل، إننا في هذا العصر الصاعد الهابط.. العالم الجاهل.. الحضاري البدوي نعلن ذلك وندعو إليه ونؤكدده ونفسره ونكرّره ونؤمن ونباهي به ونكتبه ونطبعه على وجوه وجلود الشمس والنجوم ونقرؤه على مسامع من لا بدّ أن يخلجوا ويرثوا لنا أو من لا بدّ أن يتراقصوا شماتة بنا وفرحاً ببلادة واتضاح رؤيتنا وعرضنا لأنفسنا أو من لا بدّ أن يصدّموا أسفاً لأن في البشر نماذج من نماذجنا.. مثل نموذجنا.. لا بدّ أن يصدّموا لأن كلمة بشر تصدق علينا كما تصدق عليهم. كم في ذلك من الإزعاج لهم!

نحن بشر مثل كل البشر. هل يقل ذلك الآخرون؟

وقد زاد غرورنا المجنون في هذه القضية انضمام بعض المخادعين الكذابين أو المعترهين البله من الشعوب المعدودة راقية ومنحطرة ومتفوّقة إلينا في ادعائنا هذا..!

لم تكن محتاجين إلى أي مزيد من هذا الجنون أو من أي جنون آخر ليأتي إلينا هؤلاء ليهذوا إلينا مزيداً من ذلك.. إننا أغنياء جداً بهذا الجنون ومنه فلا نحتاج إلى أي متصدق علينا بشيء منه..! .. إننا محتاجون إلى من يمتصون منا غرورنا المجنون لا إلى من يحركونه ويحرضونه ويفجرونه ويهتفون له ليزداد جرأة على الفضح لنا..!

هل يمكن أن يكون التفسير لامتناع هؤلاء لنا ولتاريخنا وديننا ولزعمهم أنه لا إنقاذ للبشرية إلا بذلك أي إلا بناء أنهم يريدون بذلك شدنا إلى ماضينا لنبقى فيه كما نحن عاجزين عن أي خطو إلى ما خطوا هم إليه كل خطواتهم؟ قد يكون هذا التفسير البعيد جداً والذي لا نقول به بل ولا نرضاه أقرب من التفسير الأخرى.. إن التفسير الرديء أفضل من التفسير الأردأ.. إن من أردأ التفسير للغرور ولا امتداح النفس بما ليس فيها أن ذلك قد يكون أو يعني أو يتحول إلى بديل وتعويض والهاء عن الكينونات الجيدة المطلوبة وعن الطموح إليها وعن محاولة الصعود إليها، قد يكون ذلك هو أقوى ملهم للغرور.. لهذا فإن الأدنى أكثر غروراً من الأعلى..!

.. وقد يكون الغرور الديني والتعالوي الديني هما أخطر وأردأ وأغبي وأقسى وأقفل أنواع الغرور والتعالوي... إن الغرور بالإله أشنع غرور! فكيف بالإله المصاب بالغرور؟

.. والمتحدثون عن الإنقاذ لكل العالم من كل شيء قبيح وأليم ومن كل مشكلة وشكوى وهوان.. عن إنقاذه بنا أي بديننا ونبينا وقرآنا وتعاليمنا وبصياننا وحجنا وصلواتنا وإيماننا ودعواتنا.

- هؤلاء المتحدثون منا ومن الآخرين ألم يرونا ويقرأونا ويفسرونا بادئين بالخلفاء الأربعة الذين تسميهم بالراشدين والذين مات منهم من الأربعة ثلاثة قتلاً وقد كانت الظروف تقضي بأن يموت كل الأربعة قتلاً..!

لقد كانت فتنة أن الرابع لم يموت قتلاً..

.. بادئين بهؤلاء مارين بمن بعدهم وبالأُمويين والعباسيين ومن بعدهم وبينهم وفيهم وبالأندلسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتراك ومن قبلهم وبعدهم وبينهم وفيهم وبالأئمة في اليمن وغير اليمن وفي كل زمان ومكان بل وبلا زمان ولا مكان.

- نعم، هؤلاء المتحدثون المبشرون بهذا الإنقاذ ألم يرونا ويفرأونا ويفسرونا ويعرفوا ماذا فعلنا بأنفسنا وحياتنا منذ بدئنا حتى اليوم؟

هل فعلنا لها شيئاً من هذا الإنقاذ الذي جاءنا به ديننا ونبينا وقرآننا وإسلامنا وتعاليمنا وحننا وصومنا وصلواتنا ودعواتنا وإيماننا ألم فعلنا بها أي بأنفسنا وحياتنا ولا نزال نفعل وسوف نظل نفعل كل الخراب والدمار والآلام والأحوال والهزائم والإذلال والفقر والضعف والتخلف والجهل والعداوات والمخاصمات والخلافات والأحقاد والبغضاء وكل القبائح والقضائح والفحش والتمزق والشرور.. وكل ما ليس كذلك فلن يكون إلّا هبة غير مقصودة وهبنا إياها من لم يشرفوا بالإيمان بديننا ونبينا وقرآننا وإسلامنا وتعاليمنا وعباداتنا. بل قد تكون هذه المزعومة منقذة أحد أسباب أو تفاسير ما أصابنا وبصيننا مما يراد ويطلب الإنقاذ منه..

ألم تصنع لنا المزيد، المزيد من الانقسامات المدمرة القتالة؟

.. لو قيل إن هذا الإنقاذ لم يأت لأننا لم نستمسك ونلتزم بهذه المنقذات لقليل إذن هذه المنقذات لا استطاع أبداً الاستمسك أو الالتزام بها.. لأننا إذا كنا في كل أطوار وجودنا وتاريخنا قد عجزنا عن الاستمسك والالتزام بها ونحن المقصودون بها أو الواضعون لها فكيف نستطيع ذلك في الحاضر أو المستقبل أو يستطيعه الآخرون؟ لعلها لم توجد تجربة خالية خاسرة مثل تجربتنا مع هذه التي جاءت كما قيل لإنقاذنا!

.. أليس القول بأن ديننا ونبينا وقرآننا وإسلامنا وتعاليمنا هي المنقذة للبشرية من كل آتائها وآلامها وشرورها وهمومها ومن كل ما تشكو منه يعني القول بأن ققهاها وشيوخنا ولاسي العمائم فينا هم المنقذون لكل العالم من كل ذلك لأن هؤلاء هم الذين يعلمون ويفسرون ويبلغون ويحفظون ويفهمون ديننا وقرآننا ونبوتنا وتعاليمنا وكل ما عندنا مما حسب متقدماً هذا الإنقاذ العالمي الكوني؟ هل وصلت إلينا تفاسير الله وأنبياؤه وأدياته إلّا من أفواه لايسي العمائم؟

هل تصدقون..؟ حملة العمائم فينا هم كل الأمل في إنقاذ كل العالم المرجو المطلوب المفقود الذي عجز كل شيء عن تحقيق أي شيء منه في كل الزمان وكل المكان.. إننا مشيعون وغرقى افتضاحاً فهل نحتاج إلى المزيد من ذلك؟ أليس للافتضاح حدود؟ هل استطاع القول بأن ما جاء لإنقاذنا يستطيع إنقاذ كل العالم دون أن يستطيع إنقاذنا لأننا محصنون ضد كل إنقاذ؟

إنه لو قيل إن هذه التي زعمت منقذة هي بكل التفاسير والأساليب مضادة للإنقاذ لكان ذلك أقرب إلى الصواب من العكس..!

إن كل قراءات التاريخ وقراءات الحاضر تقول إن المجتمع بقدر ما يكون انتماؤه إلى هذه المزعوم منقذاً يكون مجتمعاً أليماً وردئاً وعاجزاً وبائساً وجاهلاً وفاقداً لكل المزايا الجميلة والقوية بكل تفاسيرها وصيغها ومحتاجاً إلى الإنقاذ لا فاعلاً أو واهباً للإنقاذ أو مرجواً منه الإنقاذ. إن كل الماضي والحاضر يقول ذلك..

إنه لا شيء مما حدث ويحدث يقول غير ذلك مهما قاله القائلون.

.. إن الإنسان بقدر ما ينحاز إلى السماء يفقد مزايها الأرض ويجهلها ويفسدها ويعجز عن تحقيقها وتتفوق على طاقاته وتكبر عليه وتعاف التعامل معه..!

.. إنه بقدر ما ينحاز إلى آلهته يفقد نفسه ويخرج منها ويتناقض ويتصادم ويتعادى معها أي مع نفسه ومع احتمالاتها الجيدة وينساها ويشغل عنها. إنه لا يوجد خصم للإنسان مثل الإله حين يضعه داخل نفسه..!

إنه بقدر ما يسعى إلى موائد السماء ويشغل بالتفكير فيها يفقد موائد الأرض ويعجز عن إعدادها دون أن ينال شيئاً من موائد السماء..!

لهذا كان مستحيلاً في كل المصور وتحت كل الظروف أن يوجد من يتعامل مع الإله كما يؤمن به وكما يقول عنه... أن يوجد من يحدق في السماء بكل رؤيته أو بأكثرها أو بأحرها أو بأقواها حماساً أو شوقاً أو صدقاً أو حباً..!

إن النبي لا يستطيع أن يعصي أوامر الأرض لأعضائه أكثر من أي إنسان.

.. إن السماء هي أقل المعشوقين أي أقل من الأرض حظاً في حب وشوق وولاء وإخلاص واهتمام وعلاقات عاشقها ولكنها أي السماء أعظم حظاً في المغازلة والامتداح والتهنئ والعظات والتعاليم والتفاسير والادعاء المعلن وفي توظيف الأنبياء والأديان والكتب المقدسة للتبليغ والتعليم عنها ولها وبها.. ما أعظم حظوظ الآلهة المنيرة الخطاية وما أقل وأصغر حظوظها النفسية والسلوكية..!

.. إنه لا يتصور أن يوجد من هو خليق بأن يقاسي كل عذاب الغيرة والحسد مثل السماء منافسة لها الأرض على الإنسان.. على كل معانيه ووظائف أعضائه.. إنه لا مهزوم مثل السماء أمام الأرض..!

.. إن جاذبية السماء لم تستطع أن تخوض معركة منافسة على الإنسان مع جاذبية الأرض. حتى آدم وحواء أبوا البشرية ونبأها الأولان سحبتهما جاذبية الأرض من جاذبية السماء وجاذبية الإله..! لقد سقطا إلى الأرض تاركين للإله يكي حظوظه وتخطيطه..!



هذا الاختيار والإخراج لنا ليس كل ما وهبنا وخصصنا به.. لقد وهبنا وخصصنا بما لا يستطيعه العد والإحصاء..

يقول الكتاب الذي لا كتاب معه أو بعده منذ اليوم وإلى الأبد في تعليمه وتفسيره للإله وللآديان والنبوات والكون والإنسان ولكل شيء، وفي كونه كل الطريق إلى كل الإنقاذ..

يقول هذا الكتاب الذي ألغى كل الكتب التي ألغتها وكتبها وأوحى السماء في كل تاريخها المرمق الأليم الحزين الفاجع الضائع الخاسر: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾..!

لقد جعلنا أمة وسطاً أي الأمة الفاصلة أو المتوسطة بين الحياة الأولى الغانية والحياة الأخرى الباقية أي بين ما كان وكل ما سوف يكون.. بين كل الكينونات القديمة الرديئة وكل الكينونات الجديدة الجيدة.. بين انتظار الإله والارتحال إليه..!

لقد جعلنا آخر الأمم.. الأمة الأخيرة التي لا أمة بعدها ولا أمة معها أي بديننا ونبوتنا وقرآننا وتعاليمنا وأخلاقنا وقيادتنا وهدايتنا الروحية والنفسية والاعتقادية والأخلاقية والإنقاذية لكل العالم منذ جئنا إلى نهاية الكون أي بلا نهاية، فلا شيء من ذلك يجيء أو يبقى بعدنا أو معنا. لقد مات كل ما كان قبلنا من ذلك ولن يجيء بعد مجيئنا شيء من أمثاله..

.. وأيضاً لقد جعلنا أمة وسطاً أي متوسطة ومصالحة بين كل الأمم.. بين كل خلافاتها وخصوماتها وعداوتها وحروبها الدينية والاعتقادية والفكرية والنفسية والتاريخية والأخلاقية والمذهبية والانتمائية أي بديننا ونبينا وقرآننا وتعاليمنا وعباداتنا وأخلاقنا وقيادتنا الروحية والإنسانية منذ جئنا إلى نهاية ما لا نهاية له..!

والأمة التي لا تقبل أو لا تستطيع أن تقبل أو لا تريد أو لا تعرف أن تقبل توسطنا في ذلك وعلاجنا له هي أمة عاصية للإله وللعقل وللأخلاق ولكل أسباب ووسائل وطرق الإنقاذ لها من كل ما تقاسي وتشكو وتقود نفسها إلى الهلاك والعذاب والضلal في حياتها الأولى الزائلة والثانية الخالدة.. إن العصيان لنا عصيان للإله الذي أراد وقرر أن نكون كل القادة والمعلمين لكل ما يريد ويطلب ويرضى.

.. هذا بعض معاني كون ديننا ونبينا وقرآننا وعباداتنا هي آخر الأديان والنبوات والكتب المقدسة والعبادات والناسخة الملغية لها والمفروضة على كل البشرية في كل ما بقي من الزمن.

.. بعض معاني اختيارنا لأن نكون ونظل كل الزمن الباقي كل لغة الإله وكلامه وكتبه وأديانه ونبواته وتعاليمه وأخلاقه وأوامره وتواحيه وكل المفسرين والمعلمين والرأيين والسامعين والقارئيين والمتصورين والمصورين والكاتبين والرأسمين له بعبود وأذان وأقلام وفتون وعقول وأفواه وأيدي خلقاتنا وفقهائنا وسلاطيننا ودرابشتنا ومجانيننا، وصقنا وعبائنا وأميننا وكذائنا ومنافقيننا..!

.. أليس هذا بعض تفاسير كون علاقات الإله بنا هي خاتمة علاقاته بالأرض وبالإسان وبكل شيء أي معلماً ومخاطباً ومراسلاً ومحاسباً قابلاً أو رافضاً، غاضباً أو راضياً، فرحاً أو حزيناً، معجباً سعيداً بحظوظه أو نافرأ منها شقياً بها مقبلاً معانقاً من حوله لجمال ما يحدث ويرى أو عابساً صارخاً في وجوههم لقمح ما يحدث ويرى؟



كذلك جعلنا رب هذا الكون أو قوى هذا الكون أو جعلنا أنفسنا أو جعلنا كل ذلك.. جعلنا شهداء أي شهوداً على الناس.. على كل الناس منذ بدايتهم حتى نهايتهم.. شهوداً عليهم في دنياهم وآخرهم.. لنشهد على كل أمة في حياتها الأولى.. أي متحضرة ومتقدمة وعادلة وحررة وباسلة وعالمة

ومبدعة وذكية وأخلاقية وإنسانية وقوية وتستحق أن نتعامل ونتحاور ونتخاطب ونتعاش معها وأن نراها ونقرأها ونحدث عنها ونحدث إليها وديننا وأدينا وشعرنا وتاريخنا عنها أم هي تقيض ذلك؟

ما أسعد أو ما أشقى حظوظ كل أمة بشهادتنا لها أو عليها.. بما تقوله شهادتنا عنها..!

لقد اختارنا هذا الوجود ومن فوقه واختارنا أنفسنا لهذه الشهادة.. إذن ما أحسمها وأقواها. إذن كل أمة قد كالت أو هي موجودة لن تفهم أو يجب ألا تفهم إلا من شهادتنا لها أو عليها..!

لن تكون إلا الشيء الذي تشهد به لها أو عليها..!

.. لن تكون إلا رؤيتنا لها ناطقة أو حتى صامتة..

.. أليس هذا شيئاً من التفسير لقول كتاب هذا الوجود مخاطباً مكلفاً أمراً مخيراً لنا:

﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾...؟!

هل يستطيع المؤمن بهذا الكتاب أن يرفض هذا التفسير أو أن يشك فيه؟ هل فهم المؤمنون ذلك أو فكروا فيه أو فجعوا أو ذهلوا به؟ ولكن هل المؤمن يفهم ما يؤمن به أو يفكر فيه؟ هل يقرأ ما يقرؤه؟ هل يقرأ ليفهم ويحاسب ما يقرؤه؟ هل يقرأ حين يقرأ أم يصلي؟ هل يقرأ ليعرف ويحاور أم يقرأ ليؤمن ويخضع ويتلذذ ويفيب عن عقله لو أو إن كان له عقل؟ هل المؤمن يصاب بالذهول أو الدهشة؟ أليست الدهشة والتعجب تجريحاً وإهانة لإيمان المؤمن؟

.. أليس قول القائل: أنا مؤمن يعني أنا لا أفكر ولا أرى ولا أحاسب ولا أحاور ولا أسأل ولا أريد أن أفهم أو أن أكون صادقاً؟

إن المؤمن مغلفة جميع نوافذه المعنوية..!



إننا لو شهدنا أنه لم يحدث في كل التاريخ أن وجدت أية أمة من الأمم سوانا قد ابتكرت أو شادت أو عاشت أو عايشت أو عرفت أو عشقت أي نوع أو قدر من الحضارة أو العلم أو التقدم أو الثقافة أو التفكير أو الديمقراطية أو العدل أو القوة أو الانتصارات أو الرخاء أو الفنون أو الجمال أو العبقريّة لوجب أن تقبل وأن تصدق شهادتنا هذه التزاماً بهذا الغرض علينا والتكوين لنا بأن نكون كل الشهود على كل الناس..!

.. ولو وجد من لم يصدق ويتقبل شهادتنا هذه المفترضة فلا بد أن يكون عاصياً لهذا الكتاب مستحقاً لكل العقاب.. لقد فرض علينا هذا الوجود بكل ما فيه من آلهة وقوى خفية بأن نكون كل الشهود على الناس..

.. هل رأينا أنفسنا أو قرأناها أو سمعناها أو فهمناها أو حاسبناها أو حاورناها؟ المحتوم أننا لم نفعل شيئاً من ذلك. لهذا قبلنا معاشتها والبقاء فيها والانتماء إليها. ما أقسى وأصعب معاملة ومعاشة النفس أو الذات على من يحدّقون فيها فكيف مساكنتها؟!

هل قرأ أحد منا هذا الكتاب الذي فيه هذه الآية وقرأ هذه الآية؟ وماذا قال حين قرأ ذلك إن كان قد قرأه؟

ولكن هل نحن نقرأ ما نقرأ؟ أين هم الذين يقرؤون ما يقرؤون؟ هل وجدوا؟ هل وجدوا إلا بقدر ما وجد من يرون ما يصبرون.. من يرون ما يرون؟ هل يمكن أن يوجد جهاز تمذيب لأي كائن مثل عينيه لو كانتا تريان ما تريان أو لو كان يرى ما تريان؟ هل عينا الإله تريان ما تريان؟ هل الإله يرى ما ترى عيناه؟ هل يمكن ذلك؟

أليس محتوماً أن تموت كل العيون احترافاً وانفجاعاً وانفجاراً وانفقاء واصطداماً وتصادماً بكل ما ترى لو كانت ترى؟ أليس محتوماً ألا تتكون أية عين في أي كائن ولا يقبل أن تتكون فيه لو كانت ترى ما ترى أو لو كان يرى بعقله أو بقلبه أو بضميره أو بمواطقه أو بأخلاقه أو بتدينه وإيمانه وتقواه أو بأي معنى من معانيه المزعومة والمفترضة ما تراه أي العين؟

إنه لا يمكن تصوّر مكان تتجمع وتتزاحم وتتفجر فيه وتتصادم به كل الآلام والآثام والدمامات والنشوهات والأخطاء والفضائح والفواحش والمآسي مثل العيون..!

ومع هذا كم هي عاجزة عن أن ترى شيئاً من هذا.. لهذا لا تقاميه..!

ماذا لو أن نبياً من الأنبياء جاء ليتحدث عن جمال الإله وعن حكمته ورحمته وعبقريته ويقفقه وحماسته ونظامه وعدله وحيه وعن كل كماله المطلق مدلاً ومستنداً على ذلك بكل ما في هذا الوجود مريباً ومعاملاً متعاملاً معاشياً مقشراً.

- نعم، ماذا لو جاء هذا النبي وكانت له عينان تريان ما تريان ويرى بهما ما تواجهان؟

هل يقبل حينئذ هذا النبي أن يكون نبياً لهذا الإله أو لغيره أو أن يكون متعاملاً معه أو أن تبقى عيناه في مكانهما ليرى بهما ما تريان؟

هل يقبل حينئذ أن يكون رائياً أو مريباً؟

.. إذن هل يمكن أن يوجد فاقدون لكل الرؤية أو محتاجون إلى فقدها مثل الأنبياء الذين يجيئون ليتحدثوا عن الإله وليصفوه عارضين له في معارض هذا الوجود وملثقين لصوره أي لصور الإله من صورته أي من صور هذا الوجود؟

إنه أي الإله هو الكائن الفريد الذي لا تؤخذ صورته من ذاته.

هل توجد أية معارض أو صور للإله غير معارض وصور هذا الوجود ليرى بها وفيها معروضاً مصوراً؟ إنها كل معارضه وصوره لهذا هي كل معانيه وتفسيره وعبقريته وأخلاقه وتقواه..!

إنه أي الإله لم يجد أي مكان يعرض نفسه فيه غير هذا الوجود.

إن أي وحش وكل وحش وأية حشرة وكل حشرة وأردأ وأصغر وأفحش حشرة هما إحدى صور الإله وأحد معارضه التي لا يرى أو يوجد إلا بها وفيها.. فكيف تستطيع أية عين ترى أن ترى صورة الإله في ذات أي وحش أو حشرة أو في ذات أي شيء يتفجر في أية عين ترى أي لو كانت ترى.

.. يتفجر قبحاً وفحشاً وإثماً وألماً وبلادة وعاراً وافتضاحاً وأخطاءً وعطاياا وعبثاً ونكراً وهزائم ومآثم وأحزاناً وفضائح وتفاهات ومهازل تسمى وتحسب وتزعم مسرات وأمجاداً وأشياء أخرى يصلى ويهتف ويغنى ويتعبد بها ولها؟ أليس هذا الوجود وكل وجود إما هذا أو هذا وإما هذا وهذا؟

.. ولكن هل الكائن يرى بعينه أم عيناه تريان به؟ هل العمى يصيب العينين أم يصيب صاحبهما؟ هل تستطيع العينان أن تريا دون كائن يرى بهما ولكن أليس الكائن يرى دون أن تكون له عينان بل ويتفوق على عينيه في الرؤية ويخترقهما ويرى ما لا تريان... ما لا تستطيعان أن تريا بل ويصحح لهما رؤيتهما؟ أليست الفروق في العيون والرؤية وفي القدرة عليها ليست فروقاً في العيون وليست في القدرة على ذلك ولكنها أي الفروق في الرائيين؟

إن أصحاب العيون المتساوية في رؤيتهما لن يتساووا في رؤيتهم..

لهذا أليس الرائي بلا عينين أنفع وأفضل وأعظم حظاً من الأعمى وفي وجهه أقوى وأحد عينين؟ وقد يكون من التكرار القول بأن الكائن.. بأن كل كائن قد ركبت فيه عينان إنما ركبتا فيه لتحماية من الرؤية لا لتعذيب بها أي بأن يكون رائياً..!

لهذا أليس أصحاب أقوى العيون هم أهرب الكائنات من الرؤية وأعجزهم عنها وأكثرهم حماية لأنفسهم منها وأقدرهم على هذه الحماية..!

لهذا جاءت الآلهة ذات أقوى وأوسع وأشمل وأوفح وأفسق العيون وأطفاها عدواناً وبداءة بلا مثل في هربها من الرؤية وفي عجزها عنها وفي حمايتها لنفسها منها.. لهذا لا ترى شيئاً مما في هذا الكون.. لهذا لا تحاول أن تغيره أو تصححه أو تستره كما لا تحاول أن تهرب أو تنبراً منه.. هل يوجد حاج للآلهة مثل من يقول إنها ترى هذا الوجود.. ترى كل شيء فيه وتحقق فيه دائماً دون أن تعرف أو تريد أو تستطيع أن تصوغه صياغات أخرى ولز حماية لنفسها من العار والاشمئزاز والغشيان والافتضاح ومن الفرق في كل التهم والالتهامات التي لا تمكن البراءة أو النجاة منها أمام أية محاكمة مهما كانت محاباتها لها؟

إن الإعلان بأن الآلهة عبياء أو بأنها قد فقأت عيونها لئلا ترى ما لا بد أن يرى لأقل هجاء لها وأكثر إشفافاً عليها وبراً بها من القول ومن الاعتقاد بأنها مبصرة ترى كل هذا الوجود الذي نرى نحن شيئاً منه دون أن تفعل شيئاً لإصلاحه ودون أن تفرق في الأسى والأحزان والخجل والحسرات على نفسها مما فعلت ومما ترى ومما حكم عليها به معاشة ومواجهة ومعاملة؟ ألا يكون الصواب أن الآلهة عبياء أي كسباء أي ولدت وخلقت كذلك دون إمكان أي علاج وأن الإعلان والاعتقاد بأنها مبصرة لم يكن ولن يكون إلا اتهاماً قاسياً وقحاً بدياً لها وتشنيعاً فظيماً عليها ولم يكن ولا يمكن أن يكون ذلك شام أو تمجيداً أو امتداحاً لها؟ أليس كل المنطق والتعذيب والأدب والأخلاق تقول ذلك وتقتنع به؟

كم أرفض ويجب أن أرفض أن يكون إلهي الكريم الرحيم الجبار الجميل المحب للجمال يرى

كل هذه المآسي والآلام والقبايح والفضائح والجرائم التي أرى شيئاً منها فأنمزق ألماً رأسى وانفجاعاً وغضباً وغيظاً واستنكاراً.

.. أن يكون أي إلهي يرى كل ذلك كل وقته فرحاً مبتسماً راضياً معجباً منشداً نفسه ونفسه كل أناشيد الامتداح والتمجيد لها أي لنفسه..!

.. كم يجب أن أرفض ذلك وكم أنا رافضه وذاع إلى رفضه لإشفاقاً عليه أي على إلهي ودفاعاً عنه والتزاماً باحترامي له..!

أنت ترى كل القبح والإثم والظلم يفعل أمامك دون أن تمنعه وأنت كامل القدرة على منعه..

لا، أنت لا ترى ذلك ولا شيئاً منه..!

أي الحائنين أكثر هجاء وذمًا لك؟ بل أيهما الهجاء لك وأيهما الدفاع عنك؟

كيف أمكن أن يخفى هذا على أكثر الناس بلاهة وغباء فكيف على من يحسبون عباقرة وعلماء أو حتى عاديين لا عباقرة ولا مجانين؟

.. كائن جيد جداً أو رديء جداً يرى أوقع وأفجر وأقسى أعدائه يقتكون كل أنواع الفتك والإفساد والتضليل والمطاردة كل الأوقات بكل أوليائه وأصدقائه وأحيائه وبأبويه وأبنائه وبكل أهله وأقربيه دون أن يفعل أي شيء للإنقاذ أو للحماية أو للمنع والعقاب أو حتى للزجر وهو مطلق القدرة..!

هل تصدقون أو تقبلون هذا أيها العقلاء أو أنتم أيها المجانين؟

أليس المفروض أو المحتوم أن نتذكر هنا بل ألا نتذكر هنا إلا الكائن الأعظم الذي يرى هذا ويرى كل شيء دون أن يتحرك فيه للعلاج والتصحيح.. لا فكره ولا قلبه ولا ضميره ولا شهادته ولا رحمته ولا نخوته ولا استبشاعه ولا استحياءه ولا وظيفته ولا مسؤوليته ولا سأمه ولا قفره ولا أخلاقه ولا عضلاته ولا أي شيء فيه، بل ثم يظل يقاسي كل وقته كل المقاساة في مطالبتنا ومطالبة كل شيء بأن يتحول ويتحول كل شيء إلى ركوع وسجود دائمين خائعين شكراً وتعبداً وجزاة له على ما يرى مما لا يستطيع أن يرى، مما يفجع ويفضح ويهين ويعذب ويصيب بكل الهول والغثيان والاشمئزاز والذهول أن يرى؟

ماذا لو ابتكرت وركبت في الإله والإنسان وفي كل كائن عيون صناعية ترى ما يرى.. تراه رؤية عقلية ومنطقية وفنية وقلبية وأخلاقية وحسائية تفسيرية حوارية تساؤلية أو حتى إحدى هذه الرؤى؟ أليس محتوماً أن يحدث حينئذ إما الثورة على كل ما يرى لتدميره وإنقاذ العيون منه وإما فناء العيون وإغلاقها وقتلها للإنقاذ من رؤيتها.. من قبح وفحش ودماثة وبشاعة ما يرى وترى؟

ألا يمكن أن تتكر وتركب هذه العيون؟

متى يحدث ذلك إن كان سوف يحدث؟

وهل من الأفضل أو الأنفع أن يحدث؟

ومن الذين سوف يفعلونه إن كان سوف يفعل؟

أليس محتوماً أن تكون خير أمة أخرجت للناس هي الفاعلة له؟ ألا يكون الصواب إن هذه الأمة سوف تكون هي المقاومة والممانعة له أي لحدوثه لأن من خصائص هذه الأمة.. من خصائصها التي لا يصحها التغير مسالمتها وطاعتها المطلقة الدائمة للآلهة والطبيعة فلا تفكر أو تستطيع أن تثور عليهما بأن تتفوق عليهما أو بأن تغير أو تصحح شيئاً مما تفعلانه أي الآلهة والطبيعة.. شيئاً من أخطائهما أو خطاياهما أو من دمايئتهما وتشوهماتهما وعجزهما وبدائتهما وجهالتهما؟ وكل هذه القبائح من فعلهما أي الآلهة والطبيعة.

.. لنقرأ كل تاريخ هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت أي أمتنا لنعرف أنها لم تتفوق قط على الآلهة أو الطبيعة أو تخرج عليهما لتصحح أو تصلح أو تعالج أو تجعل شيئاً مما فعلناه وتفعلناه وأنها لا يمكن أن تفعل ذلك أبداً.. لأن تقواها وعجزها يمنعانها من فعله بل ومن التفكير فيه!

لأن إيمانها وعقلها يرفضان ذلك ويعصمانها منه.. إن أمتنا معصومة من أن تفعل لإصلاح وتصحيح ما فعلته وتفعله الآلهة والطبيعة.

.. من أن تفعل أي شيء لذلك.. إن العلم والقدرة زندقة وإن الجهل والعجز إيمان!

لا.. أمتنا ليست كافرة ولا متمردة لتفعل بالآلهة أو الطبيعة ولكنهما هما اللذان تفعلان بها..

.. إننا أمة مقعولة لا فاعلة.. حتى مع الآخرين هم يفعلوننا ونحن لا نفعلهم وليس مع الآلهة والطبيعة فقط.. يفعلون بنا ولا نفعل بهم..!

إننا أبداً مقعولون لا فاعلون.. وهذه أشهر وأعظم وأصل وأخلد مزاياها بل وأقفاها.. إنها أعظم مزايا إيماننا وأعظم هباته..!

.. إننا في هذه المزية كالآلهة، فالآلهة مقعولة ومفعول بها أبداً لا فاعلة. ألسنا نحن كذلك فالآلهة لا تتفوق علينا في أعظم مزاياها.. إنها لا تحررنا على أن نخوض معنا أو ضدنا أية معركة مفاخرة أو منافسة.. إن التواضع أو الأدب أو الصدق أو العجز أو الاستحياء لا بد أن يزعجها عن التفكير في دخول هذه المعركة المتنافسة أي في أننا أبداً مفعولون ومفعول بنا لا فاعلون..!

إن ذلك لإحدى مفاخرنا لا نقائصنا.. لنقرأ كل تاريخنا لنعرف ذلك..!

ما أصغر وأكذب تاريخنا مصنوعاً ومكتوباً ومقروءاً..!

.. ونحذر عن الكلمات السابقة التي قد تفهم منافضة لهذا أي لكون الآلهة أبداً مقعولة ومفعولاً بها ولم تكن ولن تكون فاعلة أبداً وما أردأ الفاعلين بها أي بالآلهة، ما أردأهم..!

.. وكل تفاسير الآلهة تتجتمع في أنها المفعولة المفعول بها دون أن تكون فاعلة بأي قدر أو صيغة أو أسلوب أو حالة أو ظرف..!

.. تتجتمع في أنها المعلنة بأنها الفاعلة لكل شيء دون أن تعامل أو تنتظر على أنها قد تفعل أو فعلت أي شيء ودون أن يبدو أنها قد فعلت أو قد تفعل أي شيء..!

إن الآلهة هي الكائنات التي تخاطب الشمس والنجوم والأطلال والقبور دون أن ينتظر منها بأن تسمع أو تستجيب إلا كما ينتظر ذلك من الشمس والنجوم والأطلال والقبور..!

لعل أعظم مزاياها أي الآلهة أو أقل أخطارها وأضرارها أنها كذلك أي لا تسمع ولا تستجيب ولا تفعل شيئاً، ما أعظم الأهوال والدمار والذعر والجنون والفوضى لو كانت تسمع وتستجيب وتفعل.. ما الذي سوف يكون حينئذٍ رهيب، رهيب.

.. إن الحياة لا تطاق تحت طغيان طاغية من البشر فكيف تطاق في قبضة إله طاغية يقول للشيء كن فيكون إذا شاء وهو يشاء بلا حساب أو منطق أو قانون أو نظام أو مصلحة أو انضباط؟
.. يشاء بلا حاجة أو ضرورة أو التزام أو وفاء..!

هل يمكن أن يبقى أي شيء أو يطمأن إلى بقائه أو أن يفعل أو أن يخطط أو ينظم أو يراد أو يشاد أو يوضع أو يفخر أو حتى يخزن أي شيء ويطمأن إليه لو كان يوجد مثل هذا الإله الذي يقول للشيء كن فيكون دون أن يعرف أو يحدد أو يؤقت متى يقول ذلك ولا لماذا يقوله ولا كيف يقوله ولا لمن يقوله ولا لأي شيء يقوله ولا بأية صيغة يقوله ولا لحساب أو مصلحة من يقوله ولا تحت أي ظروف ولا لأي أسباب يقوله؟..

... يقول ذلك بالأساليب والتفسيرات والعشوائية التي بها يمرض ويشوّه ويقتل ويفقر ويهزم ويدل ويقتهر ويضعف ويفسد ويضل ويبلد ويحقّر هؤلاء ويفعل تقيض ذلك بالآخرين من أمثالهم..

.. بالأساليب والتفسيرات والعشوائية التي بها يصنع هنا أنهاراً وأمطاراً وخصباً وجمالاً ويصنع هناك جفافاً وفحطاً وظمأً وجوعاً ودمامة وخراباً... التي بها يجعل هذا ملاكاً أو نبياً أو قديساً وذاك شيطاناً أو زنديقاً أو فاجراً...!

.. التي بها يجعل العربي عربياً حتى ليعجز خمسون عربياً عن مواجهة يهودي واحد والتي بها يجعل اليهودي يهودياً حتى ليستطيع اليهودي الواحد أن ينتصر على خمسين عربياً تجمعت أضخم قوى الطبيعة في يديه وخزائنه ولمحابهاته.. الطبيعة طبيعة وبشراً.. وهل البشر إلا أفسى وأفجع وأفجر وأكذب وأنذل أساليب وصيغ وأخلاق الطبيعة مهما كانوا أذكاهم وأقواها وأعلمها ومهما كانوا كل لغاتها وتعاليمها وأديانها وأنبيائها ومذاهبها وحروبها وعداوتها وخصوماتها وملاعنتها وأحقادها وشياطينها وفراغتها ولصوصها وكذابينها وضالينها ومضلليها ومزوريها..

مهما كانوا كل آلامها وآفاتها وزندقاتها وهمومها..!

.. انظر إلى نفسك بتحديث وحماس وغضب.. أنت ملقى ومحاصر بين أنظار وأنياب أعنى وأسفه وحش مطلق القدرة والإرادة والتصرف في كل الزمان والمكان.. يحرك ويشغل أبداً أنيابه وأنظاره ليقتل ويجرح ويشوّه ويحطّم ويعجز ويهدد ويخيف ويسقط ويفسد ويهين ويدل ويهزم..

.. ليضرب ويضرب بلا رؤية أو أسف أو تدم أو توقف.

.. يفعل كل ذلك لأنه لا بد أن يحرك ويشغل أنظاره وأنبياهه لأنه جائع أو خائف أو متعب

أو مهدد أو مظلوم أو مغلوب أو مهان أو معتدى عليه أو منافس أو مبارز أو مشتوم أو لأنه يريد أو يدير أو يخطط أو يصلح أو يعالج أو يحمي أو يرضي شيئاً أو أحداً..

انظر هل تعليق أن تحيا حياتك أو كيف تحيا حياتك وأنت كذلك ملقى ومحاصر بين هذه الأنبياء والأظفار؟

إنها أظفار وأنبياء ليست كل الأنبياء والأظفار إلا بعض حياتها.. بعض ضرباتها..!

انظر، إن هذه هي صيغة حياتك مع إلهك الذي تعلمه وتعلمه وتعلمه على أنه كذلك دون أن تردده أو تنتظره أو تعامله أو تتعامل معه أو مع حياتك على أنه كذلك أو على أنه شيء من ذلك أو يمكن أن يكون ذلك ودون أن تقبل أن يكون شيئاً من ذلك بل وتحارب لئلا يكون شيئاً منه.. شيئاً مما تعلمه وتعلمه عنه...

إنها لا توجد ولن توجد في الكون كله مسافة في طول المسافة الفاصلة بين إلهك معلناً عنه ومعلماً متعلماً مفشراً له وإلهك متعاملاً معه ومعاملاً مريداً منتظراً متوقفاً له ومنه وفيه..!

إن الآلهة لم تبتكر أو توجد وتبقى وتنتشر كل هذا الانتشار التاريخي والكوني إلا لأنها كانت وظلت وسوف تظل أبداً تعاليم وروايات وقراءات وعظات وأدعية ومدائح وأناشيد ووعيداً ووعوداً وتصورات ولم تتحول ولن تتحول إلى تعامل ورؤية ومواجهة والتزام وكيونة ومحاسبة ومحاكمة وتنفيذ..!

كانت قصائد مديح يقولها شاعر لا ينوي أو يعني معناها ودون أن يوجد مستمع لها أو مخاطب بها..!

.. لقد كانت أي الآلهة أبداً منابر ومحارِب ومعايد وصلوات وتضرعات ولغات متشائمة متعادية متنافسة، ولم تكن قط وجوداً فاعلاً معاملاً متعاملاً مقاضياً حاضراً أو حتى غائباً متدخلاً أو مؤثراً في أي شيء..

.. لهذا أذن لها بأن توجد وتبقى وتطغى وتصنع لها أضخم وأعلى وأثقل العروش وأكثرها وأقبحها وأفدحها وأغاياها تكاليف ومآسي بل وأثاماً وهموماً وفحشاً وعدواناً على كل العقول والقلوب والضمائر والأخلاق والتاريخ والعلاقات وإفساداً وتشويهاً وتضليلاً وتبليداً وإذلالاً لها..!

إن الإنسان في كل تاريخه لم يكذب على نفسه ولنفسه أو ضدها مثلما كذب عليها أو لها أو ضدها في قضية أو قصة الآلهة.. وهل كان كذبه هذا عن ضرورة واحتياج أم عن غفلة وبلاهة وخديعة وانخداع؟ وهل أفادته هذه الأكذوبة أم ضرته أم أفادته وضرته؟ وأيهما كان أقسى وأكثر: فائدتها أم ضررها أي إن كانت قد أفادته وضرته؟

لقد أوقعت ولا تزال توقع به كل أنواع الضرر وأفساها وأكثرها وحشية وقبحاً وتعدياً وجهالة..

.. وهذا شيء تراه وتعرفه وتقاسي منه وتفجع وترزع وتثوّه وتهان وتفقأ به كل العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق بل والتقوى..!

أما فائدتها أو قوائدها أي هذه الأكذوبة فما أصعب وأعصى إثبات ذلك والانتفاع به أي فائدتها

أو فوائد لها للحياة مجتمعة ولل البشرية مجتمعة لا لأفراد وجماعات الاستغلال والخداع والتسلط.. إذ قد يقال: وهل يمكن أن يوجد أي شك أو خلاف في ضخامة فوائد هؤلاء الخاصة منها.. ولكن قد تكون فوائد مزروجة بكل التقيض العاجل أو المؤجل البطيء أي التقيض الضار بالمستغلين المخادعين المتسلطين ضرراً مريباً ومعروفاً مقروءاً أو ضرراً متخفياً مجهولاً ولكن مرجعاً..!

أليس الاحتياج والاضطرار إلى الخداع والاستغلال وممارسة ذلك وتوقع أخطاره عذاباً.. كل العذاب؟

هل تكون قصة الإنسان مع آلهته عقاباً يعاقب به نفسه.. يعاقب به ذكاؤه وذكائه وعقله وعقله وموهبته المبدعة موهبته هذه أو يعاقب هو به ذكائه وعقله وموهبته أو يعاقبه به ذكاؤه وعقله وموهبته لأن تفوقه هذا قد أعطاه وصعد به وأسعده وأراحه ومجده كثيراً كثيراً ولكنه أخذ منه وهبط به وقضحه وعذبه وأشقاه وحيره وضلله وأتعبه وأعجزه أكثر وأكثر فتحوّل إلى عقاب؟

إن للتفوق في الكينونة ثمناً لا بد أن يدفع. إن التفوق يعاقب نفسه. هل وجد أو يوجد في هذا الكون كائن آخر وجد نفسه في معركة منافسة مع الإنسان على مجد التفوق أو على أشياء أخرى فاحتال هذا الكائن المنافس وتآمر وفكر ودبر ليتصر أو لينتقم في معركة المنافسة هذه فكانت النتيجة أن أصبح للإنسان آلهة. هذه الآلهة لتحطّمه وتمزّقه وتضلّله وتضعفه وتلهيه وتفسد وتسرق معانيه بمساعدة وتخطيط ماكر من هذا المنافس المتخفي الغامض؟ لقد سقط في أقسى مصيدة..!

هل أراد الإنسان بقصته مع آلهته أن يعاقب حياته على ما فعلت وتفعل به وعلى ما لقي ووجد ورأى ويلقى ويجد ويرى فيها من تبج وقحش وعيث وفوضى وآلام وفضائح وقبائح وهوان وصغائر وتفاهات ونهايات فاجعة مقيهة ذميمة ثقيمة بليدة خارجة على كل التفاسير الجميلة والمعقولة.. ولأنها أي حياته جاءت واحتلته دون موافقته أو استئذانه ودون أن يختار أو يرضى صياغتها وصيغتها.. لقد سكنت فيه أي حياته لتكون أقسى استعباد بل كل استعباد له..

إن كل استعباد وأي استعباد للإنسان بل ولأي كائن لن يكون إلّا استعباد الحياة له وبسبب استعباد الحياة. إن أي حي لن يكون حراً. لن يكون إلّا مستعبداً كل ألوان وصيغ الاستعباد..

حتى الآلهة لقد تحولت إلى أردأ وأهون مستعبدين لأنها أصيبت بالحياة. أي إن كانت كذلك..

إن أشهر ظالم هي الحياة التي تسكن الجسم وأشهر مظلوم هو الجسم الذي تسكنه الحياة..!

.. إنه لو حوكم وعوقب كل المستعبدين ولم يحاكم ويعاقب غيرهم لحوكمت وعوقبت كل الحياة ولم يحاكم ويعاقب غيرها أي لما جاز غير ذلك..

إنها أي الحياة تستعبد وتفرض كل ألوان الاستعباد ولا شيء غيرها يفعل ذلك أو يستطيعه. إن الحياة هي كل العبودية وإن الأحياء هم كل العبيد..

وبقدر ضخامة الحياة تكون ضخامة الاستعباد، فالإنسان مستعبد أكثر من الحشرة وهكذا..

لهذا فالسلطان أو الحاكم مستعبد أكثر من خدمه وأولاده وزوجاته، وقائد الجيش مستعبد أكثر

وأفسى من استعباد أي جندي من جنوده.. والتفاصيل تطول ولكنها لا تخفى...! وقد يخفى هذا على عيان العيون والعقول والقلوب والقراءات والتصورات.. وكيف أمكن أن يخفى هذا حتى على هؤلاء؟ كم يقاسي الإله من هوان العبودية والتعبد ومن هوان ممارسته للتملق والتضرع مؤملاً أن يجد من يصدقونه ويطيعونه ويعبدونه ويمدحونه ويتحدثون عنه ويهتمون به..!

.. كم حزن وندم وغضب وصرخ وشم وبكى وشكا وتأرق وتحرق لأنه لم يجد هؤلاء كما يريد مع عنف وديمومة عبوديته وتعبد وتملقه وتخضعه لكي يجدهم..!

لعل البحار والأنهار والأمطار لم تكن إلا قطرات من دموع تعبد وتضرعه وتملقه لمن يريد منهم أن يكونوا معه لا مع أعدائه ومنافسيه..!

إن كل تعبد كل المتعبدين لا يساوي تعبد الإله لعبيده لكي يعبدوه كما يريد أن يعبد وأن يكون وحده المعبود..

.. إنه لا حدود لإرادته أن يعبد وحده لهذا لا حدود لتعبد ولهوته في تعبد وتملقه لمن يريد منهم أن يعبدوه ويمدحوه وتملقوه.. لم يوجد مجنون مفتضح في إرادته لأن يعبد ويمدح ويشكر مثل الإله حتى ليستحق كل الرثاء والإشفاق..

.. ومن النماذج الأليمة البائسة لتضرعه أي الإله وتعبد وتملقه طمعاً في أن يحب ويعبد ويطاع ويمدح ويعترف به ويعلم سلطاناً مستبداً واحداً مطلقاً بلا شريك أو شبيه.

- نعم، من نماذجه هذه أن ذهب بكلف عقله وقلبه وضميره وشرقه وأخلاقه وعضلاته بل وخياله وكرامته بأن يصنع الفردوس ويصنع غلماناً وحوريات وخموره وحزاسه وخدمه وكل أساطيره وتفاهاته وفضائحه وبأن يصنع ويرسل الرسل والأنبياء بكل شروط وأساليب الحراسة والتضخيم والخوارق وبأن يؤلف وينزل الكتب المقدسة وينحول إلى أبلغ وأودأ وأفضح وأذل شاعر في تأليفها وكتابتها وإنزالها متعبد متضرعاً متملقاً مفتضحاً.

- نعم، أن ذهب بكل الافتضاح والهوان والتحقير والإذلال لنفسه ولكل أجهزته ومعانيه وتاريخه. يفعل كل ذلك محاولاً أن يخفي به من قد يرون ويحزنون لتعبد وتضرعه وتودده وتملقه فيقبلون ولو إشفاقاً وحناناً ومعاملة بأن يكونوا من أوليائه وأصدقائه وأنصاره ومن حزه ولو إعلاناً وتعليماً فقط بدون أي التزام بالسلوك أو حتى بالنيات..!

ثم ماذا؟ ثم تكون النتيجة والواقع الدائم ألا يجد أحداً من هؤلاء إلا ادعاء وإعلاناً وتعاليم وخطباً.. ثم ينذر جداً أن يجد من يقبلون أو يستحقون منحه هذه أي فردوسه هذا الذي تعجز بل وتخجل كل الأساطير الخرافية أن تكون شيئاً منه أو من خياله.. إن فردوسه هذا الذي شقي كل الشقاء في صنبه قد يصبح بلا سكان إذ لا يوجد من يستحقونه أو يريدونه.

.. كائن بيني مكاناً يسميه الفردوس يملؤه بالغلمان والحوريات والخمور ويكل أنواع البطالة والتفاهة والضياع والخمول والكسل ويعد له وينفق عليه كل هذه الأجهزة والحراسات والدعابات

والتكاليف بل وينفق عليه كرامته وشرفه وذكاءه إغراء ورشوة لمن يخاف ويهرب ويتعذب أن يرفضه أو يهجره أو يعاديه أو ينسوه، ويطمع في أن يكونوا من أوليائه وأصدقائه وأعرافه وذاكرته ومتعلقيه...!

هل يمكن أن يتصور مثل هذا الكائن هواناً ومسكنة وتعبداً وتضرعاً وتعلقاً وانفصاحاً وفضحاً للنفس؟ كم يجب الرثاء لهذا الكائن والإشفاق عليه...! ألا يجب أن يرثى له ويشفق عليه لا أن يعبد؟ .. إن أي كائن لم يتعبد أو يتملق لغيره بكل الأماليب المهيئة الفاضحة المهزومة مثلما فعل الإله...!

.. إن كل أوقاته واهتماماته وهمومه موقوفة ومنفقة على هذا التعبد والتملق بل كل أحاديثه ومخاطباته وصرخاته وآهاته وأثاته وتمنياته وأشواقه موقوفة منققة على ذلك...!

كائن يتعبد أذل وأدوم وأبلد التعبد أملاً في أن يجد من يعبد له ولو بأعضائه بلا عقل أو قلب أو ضمير أو فهم أو طهارة أو أي معنى جيد أو شريف...! وهل وجد من يعبد أو يتعبد بأي معنى من هذه المعاني؟ أليس كل العابدين والمتعبدين بلا شيء من ذلك؟

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد قبح مثل هذا؟ هل جاء أو يمكن أن يجيء ولو في التصور متعبد متملق ومنفق على تعبده وتعلقه أملاً في أن يجد من يعبد ويتعلقه مثل الإله أو غير الإله؟ .. إن أشهر معبود هو أشهر عابد، وإن أكبر إله هو أصغر عبد...! ما أعجبها وأفجعها من قضية...!

وهل في الوجود شيء لا يصنع أقصى وأقصى التعجب والانفجاع لو كان قد تخلق في المواجهين له عيون أو عقول أو قلوب أو ضمائر أو أخلاق ترى أو تقرأ أو تسأل أو تحاسب أو تحاكم أو تريد أو تحاول أن تفهم وتعقل وتقبل وتفكر؟



بعد هذه التحويحات الصاعدة الهابطة في حرائق وآلام وهموم وفواجع الرؤى والتفاسير والمساءلات والمحاسبات بالعقل والقلب والضمير والأخلاق والتمنيات تعود بكل الشوق والحماس إلى قضيتنا.. قضية الحكم علينا أي لنا بأن نكون شهداء... شهوداً على كل الأمم في الحياة الأولى وفي الحياة الثانية الخالدة...!

شهادتنا في الحياة الأولى على الأمم ولها لن تكون أمام محكمة أو محكمين وإنما نعلنها ونطلقها ونبلغها لكل العالم بكل الجهر والفخر ونفرض عليه أن يصدق ويؤمن ويتقبل راضياً مسروراً.

... نعلن ونذبح ونكتب ذلك كما كنا نفعل وكما نفعل وكما سوف نفعل في كثيرنا وخطبتنا وتعاليمنا وإذاعتنا وقرائتنا وصلواتنا وصحافتنا وفي كل وسائل وأجهزة تعبيرنا شاهدين على كل الأديان والمذاهب والنظم والانتماءات والحضارات والأخلاق والشعوب - شاهدين عليها بأنها جيدة أو رديئة..

وعليها أن تزداد مبالغة في شكرنا لأنفسنا وفي رضاها عنها وفخرنا بها إذ قد ازدادنا في هذا العصر إعلاناً عن ذلك وتبليغاً له أي عن جعل رؤيتنا لكل الناس وشهادتنا لهم أو عليهم هما كل الرؤية وكل الشهادة اللتين قرض علينا أن نؤديهما وفرض على كل العالم أن يتقبلهما ويدبر بهما ولهما اقتناعاً أو استسلاماً أو اقتناعاً واستسلاماً في كل الأزمنة.!

وعلى العالم أن يلقى المزيد مما يلقى إن لم يستجب لذلك.!

.. لقد مكنتنا الحضارة الجديدة الكافرة الضالة الفاسدة بوسائلها العجيبة من أن يستطيع أصغر عقل وأجهل عقل فينا أن يعلن بأعلى الأصوات وبكل الأصوات أن كل العالم وكل شيء فاسد وخاسر وضال وهالك وأنه لا نجاة ولا سعادة ولا مستقبل له إلا بالرجوع إلينا.. إلى ديننا وحضارتنا وأخلاقنا وتاريخنا وإلى خلقائنا وفقهائنا..

ولقد أصبحنا كلنا نعلن هذا الإعلان وتبلغ هذا التبليغ كل الأوقات إلى كل العالم بكل الأساليب، راجين ومتظرين ومطالبين أن يسمع العالم كله منا وأن يستجيب راضياً فرحاً وألاً فمضطراً مكراً لأنه لن يجد بديلاً آخر إلا الهلاك والضياع والمذاب والفساد الشامل الذي يقاسيه وسوف يظل يقاسيه.!

.. لقد بعثنا لكل البشر إلى نهاية العالم بل الكون كما بعث نبينا ووجب على كل البشر أن يؤمنوا بنا ويتبعونا كما وجب عليهم أن يؤمنوا بنبينا ويتبعوه في كل الزمن الآتي والباقي لأننا قد حكمنا علينا أو لنا بأن نكون وحدنا الحاملين لرسالة الإنقاذ لكل البشر كل الزمن..!

.. أليست الأمة التي يعلمها الإله وحدها أو يعلمها دينها أو نبيها أو حتى تعلمها الأقدار الجاهلة العمياء كل التعاليم والعلوم الصحيحة النافعة الأبدية أمة يجب أن تكون المعلمة والقائدة والمنقذة لكل الأمم حتى نهاية الزمن؟

ألسنا نحن هذه الأمة التي وضعها إلهها ودينها ونبيها وقلدها فوق هذا العرش المرهق المعذب المورط المزلول للجالسين والواقفين والصاعدين فوقه... فوق هذا العرش الذي في الصعود فوقه كل التكريم والتفضيل وأيضاً فيه كل التعذيب والإرهاق والإحراج والتكليف والتوريط والتحميل لما لا يطاق بل وكل الانقراض.!

أليس أصغر معلم وكل معلم فينا يعلن ويعلم بكل الجهر والإيمان والتقوى أننا نحن وحدنا الموضوعون فوق هذا العرش أي بديننا ونبينا وقرآننا وبكل تعاليمنا وتاريخنا وخلقائنا وفقهائنا وغزواتنا وفتوحاتنا بل ويعلم ويعلم أن كل من لا يؤمن بذلك فهو خارج على الله وعلى كل الأديان والنبوات وسبل الإنقاذ والخلاص؟

أليس أصغر وأجهل معلم فينا يمتنع العالم كله بتعاليمه؟

ألسنا جميعاً نؤمن ونعلن أن على كل البشر أن يتعلموا منا ديننا وقرآننا ونبرتنا وتعاليمنا وعباداتنا وتفسيرنا وأوصافنا ورؤانا للإله وأن يتحوروا في ذلك حتى نهاية هذه الدنيا وإلا فهم ضالون وفاسدون

وهالكون وجاهلون ومستحقون لكل العذاب والعقاب والمحكمة في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى وفي كل حياة؟

ألستنا نفعل ذلك بأسلوب ونيات التدنّين وإنقاذ البشرية؟

.. لهذا ألستنا جميعاً ملزمين ونؤمن بأننا جميعاً ملزمون بأن نحاول أن ندخل جميع الناس في ديننا وفي الإيمان بقرآننا وأن نعلمهم تعاليمنا وعباداتنا وأخلاقنا المنزلة وجميع عقائدنا وأن نرفقهم إلى فردوسنا وسماواتنا بل وبأن يؤمنوا بالجن والشياطين الذين بهم يؤمن، وأنهم لو آمنوا بكل شيء ندعوهم إليه والزموا به عملاً وسلوكاً - ولكنهم لم يؤمنوا بالشياطين والجن الذين بهم يؤمن والذين ندعوهم إلى الإيمان بهم - لكانوا من الضالين الكافرين الهالكين؟ إننا وحدنا دون كل العالم الملزمون بهذه المسؤولية العالمية بل الكونية والمسؤولون عنها المحاسبون عليها المعدون المستعدون المرجون لها! .. لقد حكم علينا بأن يكون نبينا نبي كل الأنبياء وبأن نكون نحن أنبياء كل الشعوب أو حكم لنا بذلك..!



أما شهادتنا على كل الأمم ولها في الحياة الأخرى الدائمة فما أخطرها وأصعبها وأعظمها في أساليبها وحساباتها وتائجها أي هذه الشهادة.. إنها شهادة أمام الله وأنبيائه وملائكته وكل أجهزته المختلفة وأمام كل العالم.. إنها شهادة قضاتها والمحكومون الحاكمون فيها والمتفدون للحكم فيها هم الله وحده.. كل الله بكل حضوره وحماسه ورهبته وجبروته وبكل انفعالاته المتضادة..!

وهي شهادة ليست مثل أية شهادة.. إنها لا تحاور أو تحاسب أو تتهم أو يطالب بالإنها أو تخفيها أو بالرحمة فيها وإنما تسمع وتنفذ بكل الحسم.. تشهد لهذه الأمة بأنها تستحق رضا الله وحيه والقرب منه لأنها آمنت بديننا وتبينا وقرآننا وتعاليمنا وعباداتنا وبأننا خاتم من تتخاطب وتتفاهم وتعامل معهم السماء بتعاليمها وبالتحدث عن رغباتها وشهواتها وأهوائها وأخلاقها وأسرارها ومسراتها وأحزانها أي السماء أي الآلهة.

إننا إلى نهاية العالم كل من نشكو إليهم الآلهة أناتها وأهانتها!

.. لهذا فلا مكان لها إلا التخليل في الفردوس أي لهذه الأمة التي شهدنا لها!

سيستمع أكثر العالم في ذلك الحشد أو الحشر الكوني الذي لن يتكرر إلى شهادتنا لهذه الأمة بأقصى مشاعر الغيرة والحسد واليأس من أن نشهد له مثل هذه الشهادة أو شيئاً منها..!

ثم نشهد على أمة أخرى شهادة مضادة لتجزى وتستقبل جزاء واستقبلاً مضادين أي لتلقى كل أنواع العذاب والهلاك وغضب الإله.

.. وهكذا تنوالى شهادتنا على كل الأمم ولها تحت أحوال من الذعر واليأس والندم والتمني والضياح تحرق الشمس بلهبها وتشرب وتجفف وتغرق البحار والأنهار بلهفاتها وزفراتها ولهفاتها ولوعاتها وتفتت وتزيل الصخور والجبال بعصرخاتها وهزاتها لتكون في الحقيقة نحن وحدنا القضاة

والمحكمين والحاكمين في هذه القضية على كل العالم ولكل العالم بلا منافس أو مشارك أو مكلف أو مطالب بذلك وليس الإله كما قيل سابقاً.. إنه أي الإله ليس إلّا منفذاً لما نحكم به. ستكون نحن الحاكمين وسيكون الإله هو المنفذ. إنه لن يكون ولا مشاركاً لنا في ذلك.!

.. إننا لن نصبح شهوداً فقط.. إن شهادتنا أي في ذلك اليوم تعني القضاء أي الحكم المحتوم تنفيذه ومنفذه هم الإله وأجهزته بكل الطاعة والإخلاص والإيمان.!

إننا سنكون المقررين لمصائر كل البشر في ذلك اليوم.!

.. إن كل شيء في ذلك اليوم الذي لن يولد مرة أخرى سيفيب عن رؤى ومسامح وقلوب وعقول وتوقعات واهتمامات ومخاوف وتمنيات وآمال كل العالم سوانا حتى الإله سيفيب.. سنبقى وحدنا كل الوجود وكل موجود في ذلك اليوم في كل حسابات كل العالم نحائفاً ومزملأً راجباً وبائساً..

لأننا وحدنا نحن الذين سوف نحكم عليه أو له.. سوف نضعه في الفردوس مجاوراً للإله وصديقاً له أو في الجحيم مساكناً لإبليس ومعذباً معه أي العالم كله بلا تبديل أو تغيير لهذا أو هذا.. إننا في ذلك اليوم سوف نصوغ العالم صياغة لا تبديل ولا نهاية لها ونقسمه تقسيماً لن يوجد من يحاول أو يستطيع تغييره أو الاعتراض عليه أو مقاومته أو الطعن فيه أو الهرب منه أي بشهادتنا له وعليه.!



أليس محتملاً أو محتمواً أن تخطيء أو تكذب شهادتنا هناك جهلاً أو محاباة أو هوى أو رحمة أو إشفافاً أو حرجاً أو رفضاً أو اشمئزازاً مما سوف يحدث واستقباحاً له وعجزاً عن تقبله أي ما سوف يكون؟ ولكن مهما حدث هذا الخطأ أو الكذب فلا بد من تنفيذ الشهادة.. إن الإله لا يتراجع عن قراراته.. أليست كل قراراته تستحق ويجب التراجع عنها دون أن يتراجع أي في كل ما فعله بلا استثناء أي شيء.. إنه لا أحد يجب تراجعاً عن كل شيء غير الإله.

.. إن من أشهر قراراته أن يخلق الإنسان ليعبده وليهبه الحب والرضا والفرح والسعادة والمجد والفخر فجاء نقيضاً حاداً شاملاً فاضحاً لكل ذلك. فهل تراجع؟ ومن هذه القرارات قراره بأن يكون ديننا وكتبنا المقدس منبياً ومعلماً ومصلحاً هادياً مؤلفاً لكل البشر إلى نهاية هذه الحياة وأن يجعلنا نحن كل القادة والهداة الروحانيين دون أي احتياج إلى أي دين أو نبي أو كتاب مقدس آخر أو إلى أي قادة أو هداة روحانيين آخرين حتى نهاية الوجود..

لم يوجد خطأ فاضح مثل خطأ هذا القرار، فهل فكر أو يفكر في التراجع عنه؟

إن أفجع وأفدح بل وأفضح قراراته قراره بأن يجعل نفسه إلهاً وبأن يكون هذا الوجود بكل ما فيه هو معرض ومكان ومسكن ونتاج وإبداع ألوهيته وكل ملاحيه وملاعبه. كل أعراسه ومآتمه.!

إنه لا عدوان على النفس ولا إهانة لها مثلما فعل الإله بنفسه.!

.. أليس كل شيء يقول راثياً له حزناً من أجله، مشفقاً عليه مفجوعاً بافتضاحه وعذابه مؤملاً
تغفلة عاره - يقول يجب أن يتراجع عن قراره هذين.. يجب.. يجب؟
إن أبشع ما في الإله أنه لا يخضع أو يستجيب لما يجب!
هل عبد الإله بحوافز التجدد والتعظيم أم بحوافز الرثاء والإشفاق والرحمة؟
.. وفقدان الإله لتحرك فكره وقلبه وضميره ورؤيته وحساباته هو الذي أفقده لموهبة التراجع عن
أي شيء قرره أو فعله..

.. وهذا الفقدان لهذا وهذا هو الذي جعل هذا الوجود جامداً صامتاً مستعيداً مقتبداً في ذاته
وبذاته لا يتحرك أو يسير أو يتعامل أو يعمل بعقل أو قلب أو ضمير أو رؤية أو حساب أو تخطيط أو
تدبير أو أخلاق لا من داخله ولا من خارجه، ولا ينتظر منه أو فيه أي شيء من ذلك حتى بدا ويبدو
أهدأ كأنه بلا أي قائد أو معلم أو موجه أو ناصح أو فاعل أو رؤية أو إرادة أو قدرة أو انفعال.. إنه لا
يستطيع أن يكون فاعلاً أو مفعولاً مرهناً أو مراداً أو مراداً له.. عاقلاً فاهماً أو معقولاً مفهوماً.. إنه لا
يستطيع أن يكون ذاته التي كانها أو أن يكون أية ذات أخرى أو أي شيء آخر أو أن يكون غير ما
كان أو ألا يكون البتة. إنه يكون بالأسلوب والمنطق والقدرة التي بها لا يكون!

.. إنه يكون ويحب ويقتى بكل المنطق والإرادة والتخطيط والتفاسير التي بها يفقد ويسوت إذا
أو لو فقد ومات. إن أي شيء لن يعد خطأ أو خللاً فيه مهما حدث هذا أو نقيضه..
.. إن حركته وتغييره وفعله ليست حركة أو تغييراً أو فعلاً بل سقوط واهتزاز وارتجاج
وتصادم..!

إن المولود والمقتول في حسابه عملية واحدة! إن هذا الوجود لم يوجد أو يصنع بأي قرار
فكيف ينتظر أن يتراجع عن أي قرار أو أن يتراجع عنه بأي قرار أو أن يكون له فاعل يفعل ويصوغ
ويبدئ ويخطط ويتراجع عن ذلك بالقرارات؟

كيف يمكن أن يوجد تراجع عن القرارات إذا لم توجد أية قرارات وإذا لم يوجد أي صانع
للقرارات؟ إن القرارات لغة إنسانية وليست لغة كون أو طبيعة أو إله. كل هذا الوجود وكل وجود بلا
منطق أو تفسير لهذا بلا أي قرار..!

إذن الإله لا يتراجع عن أي قرار لأنه لم يصنع أي شيء بأي قرار، ولأنه لم يوجد في هذا
الوجود ما أوجد وخلق يقرر أو ما يفتى ويأمر ويغير بقرار..!

إن الإله هو السلطان الأعظم والكائن المطلق الذي لا يصنع أي قرار ولا يتراجع عن أي قرار..!
إنه لم يوجد أي سلطان سواه كذلك أي بلا قرارات!

إن الوجود كله كما هو موجود وكما يظل موجوداً لهو كل التدليل الذي لا يحتاج إلى دليل
على أن الإله لا يتخذ أي قرار ولا يتراجع عن أي قرار..

وإن جميع من يحيون هذا الوجود وفيه ويتعاملون معه وفيه وبه ليعرفون ذلك ويعظمون إليه

ويعملون تحت حماية هذا الاطمئنان وهذه المعرفة مهما قالوا وأعلنوا وعلموا وتعلموا غير ذلك بل نقيض ذلك.. إن أي كائن لن يستطيع أن يحيا بعقيدته الدينية لهذا لا يوجد مخرج عليه بكل الشمول مثل الاعتقاد الديني..!

.. إن أي كائن لن يطمئن إلى ذاته أو إلى عمله أو إلى أي شيء أو يثق بذلك لو كان يعتقد صدقاً أن فوق هذا الكون أو في داخله كائناً مطلق القدرة والتصرف يصدر القرارات المطلقة متى شاء وكيف شاء دون إنذار سابق بل دون أي إنذار لا سابق ولا لاحق..

والذين يعملون ويثقون بأعمالهم وتخطيطاتهم وبأنفسهم وبالوجود الذي يعملون فيه ويتعاملون معه مطمئنين إلى ذلك كل الاطمئنان هم حتماً غير مؤمنين بهذا الكائن المطلق القدرة والمطلق القرارات والمطلق في اتخاذها مهما أعلنوا إيمانهم وقالوا عنه بل ومهما ابتكروا الأديان والنبوءات والكتب المقدسة المعلنه عن إيمانهم هذا والداعية إليه والأمر به. إنه لا خسران بلا أي ربح مثل الأديان والنبوءات والمعتقدات الغيبية..!

.. كيف يثق المؤمن المبيع لنبيه اليوم بأنه أي نبيه سوف يظل نبياً إلى الغد إذا كان يؤمن بأن إله نبيه يعمل ويتعامل باتخاذ القرارات أي بأن فوق هذا الكون أو في داخله كائناً مطلق القدرة ومطلق المعاني يصدر القرارات ويتراجع عنها أو يلغيها أو ينفقها أو ينسخها أو يصححها أو يغيرها أو يعد لها أو حتى يعاقبها؟

إن كل حياة وأعمال وابتكارات وتخطيطات وحسابات كل البشر المؤمنين وغير المؤمنين قائمة على أنه لا توجد قرارات ولا صانع قرارات من خارج الشيء والوجود.. من خارج آليته وذاتيته..! .. إن أي نبي لا يختلف في ذلك عن أي جاحد أي مهما كان محترماً أن تختلف الأقوال والدعاوي والمعتقدات المعلنه والمعلمة والمشائمة المخاصمة..

.. إن كل نبي لا يتعامل إلا مع ذاتية وآلية الأشياء مثل جميع الكافرين والمؤمنين به..!



وإذا كانت شهادتنا على العالم والعالم لا بد أن تكذب أو تخطيء أو تكذب وتخطيء فالمرجو والمتحني أن يفرض الإشفاق والحنان والحب والرحمة والشهامة والمنطق النبيل بأن يكون كذبها وخطؤها لمصلحة الفردوس وانحيازاً إليه ضد الجحيم؛ بل بأن يفرض أي كذب وخطأ شهادتنا هذه - أن يفرض الجحيم من كل من كان المفروض أن يكونوا من سكانه لكي يكونوا من سكان الفردوس..

نرجو أن يكون ذلك وكم يجب أن يكون.. إن هذا الخطأ والكذب لو وقعا لهما أعظم وأنبيل أساليب ومعاني التقوى بل والصواب..! وإنما لمطالبون ومرجوعون أن نفعلهما أي هذا الخطأ والكذب لنجعل الجحيم بلا أي ساكن. هل يمكن تصور واجب أعظم من هذا؟ فهل يمكن ألا نفعله؟ وقد يكون الأفضل ألا يكون هناك سكان فردوس ولا سكان جحيم ولا فردوس ولا جحيم..!

.. إذن ليخف أو ليتوقف دعر المفترضين والمهددين بأن يكونوا من سكان الجحيم وليؤمنوا في

شهادتنا كل الكذب والخطأ الشهمين الرحيمين المنتظرين الواجبين العاقلين الذاهبين بهم إلى الفردوس. إننا لا ننافس في الخطأ والكذب فهل نعجز عنها أو نرفضها هنا؟

ولكن قد يفسد هذا الاحتمال النبيل ضخامة وأصالة ووحشية حقدنا وبغضنا على كل أحد ولكل أحد واستمتعنا وإرادتنا لأن نجد كل الآخرين يقاسون كل ألوان العذاب والشر والبؤس، بل ولأن نزل بهم ذلك..!

إن هذه لإحدى بل لأعظم مواهبنا الأصيلة.. وهذه المزهبة الأليمة الشريرة قد تجعلنا نريد الجحيم لكل أحد حتى لمن يستحقون الفردوس.. لهذا قد نشهد على كل الناس شهادة تخلدكم جميعاً في كل العذاب.. في كل ما في الجحيم من عذاب وأهوال وشفاء..!

قد نشهد هذه الشهادة حتى على من لم يخلق الفردوس إلا لهم إن كان قد خلق..! .. إن مواهب الحقد والبغض والشر فيما قد جعلنا نشهد على أنبياء الأمم الأخرى بأنهم أول من يستحقون الجحيم فكيف بأسمهم وشعوبهم؟

إذن ما أقطع احتمالات خسران العالم كله بنا وبشهادتنا وبجعلنا شهوداً على الناس..! وهل جعلنا شهوداً على كل الأمم لهذه الأغراض؟ ما أقطع وأفتح أن يكون هذا هو التفسير..! إن طاقات الحقد والحسد والبغضاء وإرادة كل الشر فيما لكل الآخرين هي أقوى وأشهر وأغلد وأصل وأشمل طاقاتها. إننا في هذا بلا مناس. فهل لهذا اخترنا لأن نكون وحدنا كل الشهود على كل البشر لكي تلقى بهم جميعاً في الجحيم؟ هل لنا نعمة تساوي هذه النعمة؟ إنها حيرة.. حيرة فاجعة..

ما أقبح وأردأ وأفجع كل شيء في رؤى وحسابات من يحدقون في الأشياء ويفشرونها ويحاسبون تفسيريهم لها. ما أقسى وأدوم عذاب العيون الراهية والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق المحاورة المحاكمة المسائلة.. لهذا ما أقلها وأقل أنبياءها..!

ماذا لو كانت قد تخلقت هذه العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق في صاحب هذا الوجود أو حتى في أصغر وأردأ كائن فيه؟

هل يجد حيلة مكاناً يهرب إليه أو يختبئ فيه لئلا يرى أو يرى أو يتعامل أو يعرف مكانه؟ ولكن أليس قد حرب واختبأ هذا الهرب وهذا الاختباء؟

إنه لا شيء يستحق الرثاء والإشفاق مثل عيني الإله وعقله وقلبه وضميره وأخلاقه وكل معانيه أي لو كان يرى ويفسر ويحاسب ويحكم ويتساءل ويفهم ويقرأ ويقبل ويرفض..!

إنه لا أحد مثله يستحق كل ذلك على كل حالته..!

.. قد تقول كل التفسير إن طاقاتنا المتفوقة الأصيلة في حقدنا وحسدها وبغضها وإرادتها الشر والعدا ب لكل أحد هي التي جعلتنا نتصور الجحيم ونتصور أهواله وسكانه ونصفهم ونحدد لهم ونفرح به أي بالجحيم لهم وتعلن عنه ونضخمه كل التضخيم وأبشعه بل ونحول الحديث عنه إلى تمتد وإلى تمجيد للإله بكل الديمومة والتكرار وننزل كتاباً مقدساً نسبه إلى الإله ليتحدث عن التهديد به أي بالجحيم وعن أهواله وعما سوف يوقع بسكانه..!

.. وإنها أي طاقاتنا هذه الحاكمة الحاسدة المبيضة الممتنية المريدة كل الشرور والعذاب لكل الآخرين هي التي جعلتنا نتهم الإله بأنه مريد ومخطط وصانع هذا الجحيم ونذهب نبالغ في شكره وامتناده وفي الثناء على حكمته ورحمته وشقيقته وشهامته وعدله ورحه لأنه صنع هذا الجحيم كما صنعه ووصفه ولأنه شاء ومخطط ودبر لكل البشر أن يكونوا من سكانه مع استثناءات قد يكون استثناءها من العبث لغتها.. أليس الإله قد صاغ كل البشر صياغة تقضي بأن يكونوا جميعاً من سكان الجحيم؟

.. وإنها أي طاقاتنا هذه النفسية الأليمة الشريرة هي التي جعلتنا نصوغ الإله ونراه ونتمناه ونفسره هذه الصياغات والتمنيات والتفسيرات القطعية الرديئة المدتررة المخزية المقاتلة القاتلة السفهة التي نتعلمها ونعلمها ونحفظها والتي حولناها إلى دين وإلى كتاب مقدس وظفنا لتعليمهما وتحفظهما وحفظهما ونشرهما وتفسيرهما أضخم الأجهزة وأغلاها وأغباها وأكثرها سوءاً ورداءة وقبحاً وقزوراً..!

إن جميع المصورين والمتصورين لو تجمعوا من كل العصور ليتصوروا ويصوروا ويصوغوا كائناً أو نموذجاً لا مثيل له في تجمع كل البشاعات والنشوهات والوحشيات فيه لما استطاعوا أن يتصوروا أو يصوروا أو يصوغوا مثل الكائن أو النموذج الذي صورناه وتصورناه وصفاًه وسمياه ودعوانه إلهاً في تجمع كل البشاعات والنشوهات والوحشيات فيه.. لقد كان قبحنا بكل تفسير القبح النفسي والفكري والقلبي والأخلاقي واللغوي التعبيري هو الذي صاغه هذه الصياغات الظالمة العدوانية الشريرة الجامعة لكل معاني القبح والرداءة والسخافة بل والبلاهة والسفاهة..!

لقد صنعناه كما نريده لا كما يعقل أو يجب أو ينبغي أو يقبل..!

.. وقبحنا هذا هو الذي تصور وصور الجحيم بكل أهواله وبشاعاته تحت إملاء مواهبنا في الحقد والحسد والبغضاء وإرادة إيقاع كل الشرور بكل الآخرين بل بكل الكائنات.. إن من صاغنا لم يهينا بسخاء مثلما وهينا عواطفنا العدوانية الشريرة..!

وهل يمكن أن نصوغ الجحيم بكل التمني والتصور والرغبة والمنعة والشهوة ثم لا نحاول ملأه بكل من نستطيع ملأه به؟ لقد كان خلقنا للجحيم أي تصوراً يعني حتماً رغبنا المجنونة في أن نملأه بالسكان ولو متخلفين من زهور الورد.

.. لنقرأ وتحفظ ونذكر ونكرر دائماً بكل أصواتنا ومعانيها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَعْبُرُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَكَوْنُوا الرَّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾..
.. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾..

.. أخرجت للناس.. من أجل الناس لا مع الناس أو في الناس أو مثل الناس بل من أجل الناس وللناس.. كل الناس.. لكي نقتنع ونعلن أن لنا مزايا أخرى عظيمة وكبيرة.. من هذه المزايا أننا لا نفتضح مهما افتضحنا.. مهما كانت فضاحتنا كل مزاياها وكل تاريخنا ومجدنا وأعمالنا واهتماماتنا وأشواقنا وعلاقاتنا ولغتنا ونياتنا وكل إيماننا وتقوانا.. لأن من كل وجودهم وحياتهم وبدائياتهم ونهاياتهم وصيغهم وتفسيرهم واحتمالاتهم اقتضاح لن يروا أو يحسوا مفتضحين مهما افتضحوا..!



.. لعل من أندح أخطاء الطبيعة وخطاياها أنها صاغت الإنسان العربي صياغة جعلته يستطيع أن يتكلم.. أن تكون له لغة ويستطيع أن يتعلم ويتكلم أية لغة أخرى..!

ما أغياها إن لم تكن تدري وأوقحها إن كانت تدري..!

.. إنها لم تصعد بصياغته ليصبح متكلماً كما يتكلم المتكلمون ولم تبقيه تحت الطور الذي صاغته به لتحبيه من أن يجيء متكلماً كما يتكلم.. صاغته حروفاً ولم تصنعه كلاماً..

.. إنها لم تكن به حقية أو برة أو رحيمة بل لقد بدت كأنما تحمل له وعليه كل أسلحة الرغبة في فضحه وتحقيره وتسييره وتشويهه..!

.. إنه لم يوجد ولن يوجد جهاز مصيب بكل التشوهات وعارض لكل التشوهات ومعلن عنها مثل صياغة الإنسان العربي متكلماً أي قادراً على أن يكون لغوياً.. إن صياغة الإنسان متكلماً دون أن يبلغ طور التفكير لأخطر وأقبح من صياغة أي حيوان متكلماً بل ومن صياغة نبياً أو معلماً..!

.. إنه لا يوجد قبح مثل قبح اللغة متكلماً بها من لم يبلغوا طور التفكير فكيف إذا تحولوا ومحتوم أن يتحولوا أي من لم يبلغوا طور المفكرين إلى واضعي ومعلمي ومفتشري ومنزلي وعابدي ومخالقي آلهة وأديان وتبوات وتعاليم وكتب مقدسة منزلة وقيادات روحية وأخلاقية بل وعقلية لا لتقود الإنسان فقط بل ولتقود الحياة والوجود ولتكون الوصي الدائم الفريد على شهوات ورغبات ونيات ونهايات وإرادات وتفسير وأغراض وأهداف الآلهة والمعبر الفريد عن ذلك؟

التَّخَلُّفُ الْحَضَارِيُّ وَالتَّخَلُّفُ التَّكْوِينِيُّ وَآيُ التَّخَلُّفَيْنِ نَحْنُ مَتَخَلِّفُونَ

كثير هو الكلام عن التَّخَلُّفِ.. التَّخَلُّفُ المطلق أو المحدد بالتَّخَلُّفِ الحضاري أو العلمي أو الثقافي أو الفني أو الفكري أو التطبيقي أو حتى بالتَّخَلُّفِ الأخلاقي أو النفسي أو الصحي أو الديني.. وكثيرون هم المتحدِّثون عن ذلك بكلِّ الحماس أو بشيء من الحماس أو بلا أيِّ قدر من الحماس وإنما يتحدِّثون عن ذلك تقليداً أو عادةً أو لأنهم يرون أنهم لا بدَّ أن يتحدِّثوا هذا الحديث أو لأنهم في مواقف ووظائف من يفترض فيهم وينتظر منهم أن يتحدِّثوا كذلك حتى وإن لم يريدوا ذلك أو يعرفوا أنه قد يكون له أيُّ نفع أو يرجوا أن يكون له شيء من النفع بل حتى ولو كانوا يتمنون ويريدون ألا يزول هذا التَّخَلُّفُ الذي يتحدِّثون عنه بأسى ومرارة وبكاء بل حتى ولو كانوا مستعدين لأن يقاتلوا بكلِّ الأسلحة لحماية التَّخَلُّفِ الذي يتحدِّثون عنه.. لحمايته من أن يزول أو يهزم أو يضعف..!

أليس الكثير من الكلام وظيفية أو عادة أو وضعاً وليس رسالة أو خطة أو نية أو حتى شوقاً أو حباً أو نشاطاً نفسياً أو فكرياً؟

أليس أكثر الكلام بصقاً للنفس على الحياة وعلى الآخرين وعلى كل شيء وليس كلاماً؟

.. حين يتحدَّث رجل الدين عن جبروت الإله أو عن رحمته أو عما سوف يفعل أو ينزل من نعمة أو نقمة أو عن غضبه ورضاه أو عن جماله أي الإله أو عن حضوره أو عن سرعته في إثابته لمن أطاعه وفي معاقبته لمن عصاه أو عن أي شيء من شؤون.. شؤون الإله..!

وحين يتحدَّث أي رجل الدين منذراً مؤكداً بكلِّ التهويل والتهويل عن الانتقام العاجل الناجز الذي لا بدَّ أن يوقعه الإله بكلِّ العصاة والأعداء وبكلِّ الآخرين والمخالفين.. .. أن يوقعه بهم ليكون مرثياً مسموعاً محبباً محسوساً أي الانتقام.

- نعم، حين يتحدَّث رجل الدين كذلك فهل يمكن أن يعني أو يريد غير أن يتحدَّث أو هل يمكن أن يفهم منه غير ذلك؟ أي إن كان المستمعون إليه والسامعون له قد تخلَّق فيهم شيء من العقل والفهم وكانوا يحترمون رجل الدين هذا..!

إنهم إن لم يفهموه كذلك فلا بدَّ من أن يكونوا متهمين له في عقله أو في ذكائه..!

.. وحين يتحدَّث الزعيم أو الحاكم أو النبي أو القائد العربي عن الأمجاد والانتصارات والابتكارات والمعجزات التي سوف يصنعها لشعبه وللتاريخ وللإنسانية كلها والتي عجز عن صنعها

كل التاريخ وكل من مروا بالتاريخ أو مر بهم التاريخ فهل يمكن أن يعني أو يريد بذلك شيئاً غير أن يتحدث أي إن كان يعيش أو يعيش فيه أي قدر من العقل والفهم أو إن لم يكن مصاباً بكل بلادات وعاهات وعمايات الرؤية والقدرة والتجربة والفكر والحس والإحساس والمحاسبة للنفس ولكل شيء؟
أليس كل آلهة العرب وأنبيائهم وزعمائهم وقادتهم وحكامهم وعلمائهم وفلاسفتهم يتحدثون عن أنفسهم بهذا الأسلوب الشام لكل شرف الذكاء؟

.. ما أقل الكلام وأكثر الصمت لو لم يتكلم أو يقل أو يستطيع أن يتكلم إلا من يعني شيئاً أو من يريد أن يحقق شيئاً أو من يحقق أو من قد يحقق شيئاً أو ينوي أن يحقق شيئاً أو يحاسب نفسه..
لو لم يتكلم إلا من يعنون الكلام حين يتكلمون.. أو لو لم يتكلم إلا من يحسبون متكلمين حين يتكلمون..!

ما أقل هؤلاء.. ما أقلهم..!

.. ما أكثر ما هجا وسب وشوه وعاقب وعذب وبذد وضجع وحقر وعادى وخاصم وفضح الإنسان نفسه بالكلام الذي لا يعني أو يعطي أي معنى من معاني الكلام أو أية لغة من لغاته. إن الكلام الذي لم يصبح كلاماً هو أغبى وأقوى وأشمل وأنبج أجهزة الفضح والتحقير والتصفير والإساءة..!

ما أصعب ما لا بد أن يحدث لو أن البشر قرروا وعرفوا أن يقرروا ونفذوا ألا يتكلموا إلا حين يتكلمون..!

ما أجمل وما أصعب ما لا بد أن يحدث حينئذ..!

لقد ابتكر الإنسان لنفسه أو تخلقت فيه دون أن يتكر أساليب كثيرة متنوعة لاستهلاك وإنفاق ذاته وحياته ووجوده فيما لا يعني شيئاً بل فيما يضر كل أنواع الضرر... وكان من أقوى وأفسى وأشهر هذه الأساليب الكلام الذي لا يعني أي كلام، بل الذي يتحول إلى عداوات وبدايات ومخاصمات وفضائح وهموم وإلى حروب أحياناً بل وإلى شغل وملء وإغراق لكل الأجهزة المعبرة..!
ما أفضح ما فعل وبفعل الكلام الذي يقوله من لم يلغوا طور المتكلمين..!



إن الكلام بلا كلام هو أقوى إعلان أو هو كل الإعلان عن وجود وحياتة كثير من البشر والمجتمعات.. هل يمكن أن يعرف أحد أن العرب موجودون وأحياء يستهلكون أدوات ومواد الاستهلاك كما يستهلكها الآخرون وإن كان ذلك بمقادير أكثر وبأساليب أرباً.

- نعم؛ هل يمكن أن يعرف أحد أن العرب موجودون وأحياء لولا أنهم يتكلمون هذا الكلام الذي لا يعني أي معنى من معاني الكلام؟

.. لولا أن أنبياءهم وزعماءهم وحكامهم وقادتهم وأبطالهم بل وعلماءهم وفلاسفتهم ومعلميهم يتكلمون هذا الكلام..

.. لولا أن إلههم يتكلم هذا الكلام بأعلى الأصوات بكل لغات الصراخ وتعبيراته؟
 ما أغرب وأردأ هذا.. إن الكلام بلا كلام هو كل الدليل على وجود وحياة كثير من الشعوب
 وكثير من الناس وكثير من الكائنات.. هل كان يمكن أن يعلم أن الإله العربي موجود بكل جبروته
 وأوصافه الضخمة داخل كل ذرة من ذرات هذا الوجود لولا هذا الكلام الذي قاله أو الذي قيل إنه
 قاله.. هذا الكلام الذي يقرأ من كل كلام ويقرأ منه كل كلام؟
 هل كان الأفضل أو الأنفع أن يوجد هذا الكلام ليعلم بوجود متكلميهم ويعرفوا أم ألا يوجد لئلا
 يعلم بوجودهم ويعرفوا؟

إن الكلام الذي أصبح كلاماً هو أعلى ما صعد إليه الإنسان وصعد بالإنسان وصاغ له كل
 حضاراته وكياناته القوية المتفوقة.. إنه هو كل طاقاته الفاعلة المعبرة المخططة المنظمة.. إنه المركز
 الذي تتجمع فيه وتتعلق منه كل شخائمه العقلية والعلمية والنفسية والإبداعية..
 .. أما الكلام الذي هو ألفاظ الكلام وحروفه دون أن يكون كلاماً.. دون أن يكون منطوق
 الكلام وعقله وذكائه وأخلاقه فإنه أدنى ما هبط بالإنسان وهبط إليه الإنسان.. إنه هذا الذي تحول إلى
 تراث ثقبل فادح فاضح.. إلى تراث قائلته وكتبته وروته الآلهة والأنبياء والخلفاء والفقهاء والشعراء
 والشيوخ وكل المتبطلين والمنافقين والباطنيين المتناجرين المحتالين وحملوه التاريخ.. وحملوه كل
 خطوات التاريخ لتلقي به على كل خطواتنا وطرقنا ورؤانا وعلى كل منافذنا ونوافذنا إلى الحياة وإلى
 كل شيء لتتحول إلى معوقين تعويقاً شاملاً كاملاً كما نحن كائنون اليوم وكما كنا في آياتنا ومع آياتنا
 منذ كان لنا آباء..!

ألسنا نحن آباءنا ولكن في زمان آخر؟ ألسنا نلد آباءنا كما ولدونا؟

.. وإنه أي هذا الكلام هو هذا الوجود الثقيل الفادح الفاضح الشاغل الساليء لكل الأجهزة
 والوسائل والأدوات المكتوبة والمقروءة والمسموعة والمرئية الفاجعة الموجعة الشاتمة المخجلة لعبون
 وأذان وقلوب وعقول وضمائر كل شيء جميل بل وكل شيء غير جميل.. إنه اليوم كل عارنا
 وافتناحنا المسموع المقروء المرئي المكتوب..!

.. لقد أصبح بكل صيغه وأساليبه المكتوبة والمقروءة والمرئية والمسموعة أردأ وأفظع مستهلك
 ومهلك لكل احتمالات أن نرى أو نقرأ أو نعرف أو نسأل أو نتساءل أو نستيقظ أو نكون..!
 لقد أخذ منا كل احتمالاتنا الجيدة الممكنة المنتظرة أو لقد عبر عن فقداننا لهذه الاحتمالات
 دون أن نستطيع أخذها لو وجدت..!

.. أما ما ورثناه عن الآلهة والأنبياء والخلفاء والفقهاء وعن جيوش الشيوخ والمحدثين والمعلمين
 والماكرين والجاهلين من هذا الكلام الذي هو حروف وألفاظ كلام دون أن يكون كلاماً فقد أصبح
 هو المعلم المدرس الأستاذ لكل مدارسنا وجامعاتنا وأساتذتنا وعلوونا وعقولنا والحاكم لها المنحكم
 فيها بل لقد أصبح هو إياها..!

إننا نجد فيه ونراه ونريده المعلم لكل ما تواجه من حياة وحضارة ومعارف..!

.. لقد أصبح ميراثاً وتراثاً لا يقبل ولا يمكن الخروج عليه أو تخطئه أو تصحيح شيء منه..! لقد أصبح مقبرة خالدة لكل حياتنا ومعانينا.. لكل رؤانا وطموحنا وأشواقنا وتطلعاتنا وعقولنا وقلوبنا وخطواتنا وأيدينا بل وألستنا..!

إنه لا توجد ولم توجد ولن توجد قبور مثل قبورنا.. مثل قبورنا التاريخية في قدرتها على التسلط والتحكم والاستعباد وعلى إصدار الأوامر والنواهي المسموعة المطاعة..!

إنه لا يوجد ولم يوجد أمر نأو مطاع مثل قبورنا التاريخية..!

إن أقوى وأعظم ما فينا وما لنا هي قبورنا ومقابرنا التاريخية..

إنها لأعظم أمجادنا بل كل أمجادنا.. إننا لنزعم ذلك ونفخر ونفاخر به بل ونقاتل ونصنع أعظم الانتصارات به..!

إننا لنجد ونرى ونزعم في هذه القبور والمقابر كل التعويض والتكفير عن كل نقائصنا وضعفنا وهواننا وعجزنا وجهلنا وهزالنا.. عن كل ذنوبنا وعيوبنا بل إننا لنكاد نعجز عن رؤية أي شيء من ذنوبنا وعيوبنا لقوة تحديثنا في هذه القبور والمقابر.. لأن عيوننا مأخوذة أبداً للتحديق في هذه القبور والمقابر..! بل إننا لنكاد نباهي بذنوبنا وعيوبنا لأن لنا كل هذه.. لأن لنا كل هذه القبور والمقابر.. لأن من يملك كل هذه القبور والمقابر لن تظل عيوبهم وذنوبهم عيوباً ولا ذنوباً بل إنها لا بد أن تتحول وأن ترى مفاخر.. أعظم المفاخر لأنها ذنوب وعيوب من يملكون هذه المقابر..!

ولعل الإله لا يغار من أي شيء ينافسه في مجد الاحترام والتعظيم والطاعة مثلما يغار من هذه القبور والمقابر بل وفي مجد الرهبة والإيمان والحب له وبه ومنه..!

لعل الإله لا يجد في عباده ومنهم مثل ما تجد هذه القبور والمقابر منهم وفيهم.. هل يحدث أن ينقذ العرب أي العرب المسلمون أو أن ينقذوا أنفسهم من طغيان وسلطان واستعباد القبور.. قبور ومقابر الآلهة والأنبياء والخلفاء والفقهاء والشيوخ وكل من صنعوا كل هذا التراث الكتيب الأليم الفاجع ولا سيما من يسمون بالمحدثين أصحاب الصحاح؟

.. إن الإنفاذ من ذلك لا يكون بالمواعظ أو التعاليم أو الدعايات ولا بشيء من أساليب الإقناع ولا بكل أساليبه..

وإنما يكون ذلك بالصعود إلى طور تكويني أعلى.. إلى كينونة ذاتية أعظم وأعمق وحيثئذ يحدث الإنفاذ بلا أي وعظ أو تعليم أو دعاية أو محاولة إقناع..!

إن ذكاء العقل والقدرة على الفهم والرؤية لا تصاغان من الخارج كما لا تهدمان من الخارج..

إنهما يتخلفان ويتكونان ولا يخلقان أو يكونان..!

ولو أنهما أي ذكاء العقل والقدرة على الرؤية والفهم صيغا أو هدمتا من الخارج أي من خارجهما لكانا هما الفاعلين ذلك بنفسيهما بأساليب لن تكون وعظاً ولا نصيحاً ولا تعليماً ولا دعاية ولا أي تلقين من أساليب التلقين..!

لقد طال بنا هذا الحديث الاستطاردى وأبعد بنا عن القضية التي نريد التناور معها وهي قضية التخلف وأنواعه...

.. نعم، المتحدثون تحدثوا ويتحدثون عن كل أنواع التخلف بكل الإسهاب والإكثار وقد يكون ذلك بكل الحرارة والحماسة أو بشيء من ذلك أو بلا شيء منه، إن الحديث أو التحدث قد يكون أحياناً أسلوباً من أساليب التأوؤب أي بلا أي حماس أو حرارة أو قصد أو نية أو إرادة.. إنه قد يكون شخير نائم..!

ولكن تخلفاً عظيمراً نعله هو الخالق والمرسخ لكل أنواع التخلف لم يتحدث ولا يتحدث عنه المتحدثون عن التخلف وعن أنواعه وأوصافه وأسبابه.. وقد يكون التأوؤب والإسفاف أو الاستحياء أو الغفلة أو النفاق أو الكبرياء أو الشهامة أو المنفعة والمصلحة أو أشياء أخرى غير ذلك هي التي تمنع وتمنع من التحدث عن هذا التخلف، بل صرفت عن تصوؤره وعن التفكير فيه..!

.. حتماً التحدث عنه مزعج ومؤلم بل ومخيف، وقد يكون فيه شيء كثير من التناول أو من الإذلال والإهانة والتحدى بل والوقاحة.

إن كل الرؤى المحدقة الصادقة المعبرة وقاحة وقسوة وفجيمة وتعذيب وهجاء للمحدد والمحدد فيه. لهذا ما أقلها، أقلها..!

لهذا فإن التحدث عن هذا التخلف نوع من المخامرة بل المخاطرة النفسية والمقلية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية... والمتحدث عنه لا بد أن يقاسي كل أنواع المقاساة بقدر إدراكه لما يعني ذلك، لهذا كان شيئاً صعباً أن يوجد هذا المتحدث..

.. شيء يهاب كل المتحدثين الحديث عنه فلا يتحدثون عنه لقسوته ورهبته أو يمجزون عن تصوؤره لقسوة تصوؤره وبعد تفاسيره عن التصؤور.. لقسوة تفاسيره..!

- شيء من هذا أو كل هذا شيء منه كم هي قسوة المقاساة ومقادير المقاساة التي لا بد أن يقاسيها من يجرؤ على المخاطرة بالحديث عنه..!



ولكن ما هذا التخلف الذي ترتجف وتئن وتتوجع وتتفجع الكلمات والورق والقلم خوفاً ورهبة من الحديث عنه؟

.. إنه التخلف التكويني أو الذاتي أو الطبيعي أو النوعي أو السلالي.. لقد وجدت الجرأة للنطق بذلك بل وللحديث عنه.. إذن لا بد أن توجد الجرأة على كل شيء مهما كانت الرهبة منه والصدمة والفجعة في مواجهته والقسوة في تفاسيره والعذاب والحرع في عرضه..!

كيف جاء توزيع هذا التخلف وكيف جاءت أساليه وما صيغه أو نماذجه؟



الملائكة وكل سكان السماء متخلفون عن الإله هذا المتخلف.. والبشر وكل الكائنات الأخرى متخلفون عن الملائكة وعن جميع سكان السماء هذا المتخلف.. وكل الكائنات الحية التي هي دون البشر متخلفة عنهم هذا المتخلف.. وكل الكائنات غير الحية متخلفة عن الكائنات الحية هذا المتخلف..!

والآلهة التي وجدت متخلفة هذا المتخلف عن الآلهة التي يجب أن توجد..!

هذا تقسيم عام للتخلف. وهذا التخلف المرئي والمعلوم والمعايش المساكن المعامل ليس تخلفاً في رؤى الأكثرين أو في رؤى الجميع وتفسيرهم وإنما هي درجات أرادتها ورببتها ونقذتها الآلهة أو أفرزتها الطبيعة. ولكنه بالحتم تفاوت تحول إلى أقسى وأقصى أنواع التخلف محاسباً بعضه ببعض مهما كانت وقالت الرؤى والتفسير.

وتعبير تخلف ومعناه لا يكونان إلا حين محاسبة شيء بشيء ومقارنته به، والوجود يحتم علينا هذه المحاسبة والمقارنة! وبهذه المحاسبة والمقارنة لا بد أن ترى وأن تكون هذه الأنواع التي ذكرت متخلفاً بعضها عن بعض بكل القسوة وهول التباعد.. وهذا التباعد في التخلف كم فيه من إزاء وإيلاهم وعدوان وإذلال..

.. ما أقسى وأفظع ما يفعل تفوق الآلهة أو الإله الواحد على الملائكة وعلى كل شيء - ما أقسى وأفظع ما يفعل هذا التفوق بالملائكة وبكل شيء.. وتفوق الملائكة على البشر ما أقسى وأفظع ما يفعل بالبشر.. أليس مما يفعله الملائكة بالبشر لأنهم متفوقون عليهم أن يفيضوا أرواحهم ويزيلوا مدنهم ويتحولوا إلى أجهزة مخابرات ورقابة وجاسوسية عليهم وأن يصنعوا ويعدوا لهم الجحيم ويسوقوهم إليه ويخلدوهم ويلعنوهم فيه ويحرسوهم فيه لئلا يهربوا منه، وأن يوجدوا له أي للجحيم الوقود الدائم لكي يظل أبداً بلا انطفاء وبلا ضعف في قسوة الحرارة.. بلا أية أزمة في الوقود والحرارة..!

وتفوق البشر على الكائنات الأخرى.. الحيوانية والحشرية وغيرها ما أقسى وأفظع ما يفعل بها، ما أقسى وأفظع ما يفعل كل متفوق بالتخلف عنه..!

أما التقسيم أو التفسير الثاني للتخلف الذي أريد الحديث عنه فهو تخلف سلالة عن سلالة في النوع الواحد أو الجنس الواحد..!

الحيوانات والحشرات والنباتات أنواع متخلف نوع عن نوع هذا التخلف التكويني أو الذاتي أو الطبيعي..

وكل نوع من هذه الأنواع ينقسم إلى سلالات أو إلى أنواع وأصناف متفاوتة تفاوتاً بعيداً في تكوينها الذاتي الطبيعي أي متفاوتة جودة ورداءة ليعد ويفسر بعضها متخلفاً عن بعض تخلفاً تكوينياً ذاتياً طبعياً قاسياً وموذباً جداً..!

وهذا واقع مرثي معروف معترف به لا يختلف ولا يخالف فيه من يختلفون ويخالفون في كل شيء، ولا يرى أحد فيه أبة إهانة أو إزعاج أو إحراج أو تشبیط لأي شيء أو لأي كائن، ولا أي عدوان على أي شيء أو على أي كائن، ولا أي خروج على أي شيء من المنطق أو من العدل أو من النظام أو من الجمال، ولا أي نقص أو غياب أو عجز أو ظلم أو فوضى أو انحياز أو محاباة أو وقاحة أو دمامة أو بلاهة أو سفاهة في من أراد ذلك وفعله إن كان يوجد من أراده ودبره وفعله.. بل إنهم ليرون ذلك ويتعلمونه ويدرسونه ويعلمونه على أنه كل العدل والجمال والنظام والمنطق والذكاء والحب وأسخى العطاء والإحسان إلى من فعل به ذلك..! إنهم لا يرون فيما هو حادث تكوينياً أي خطأ أو خطيئة.!



.. كل هذا وليست هذه هي القضية التي نريد الحديث عنها، فهذه القضية لا يخيف ولا يزعج أو يرهب أو يهزج الحديث عنها، بل إن الحديث عنها لن يثير أي اهتمام وقد يرى الحديث عنها أفسى تغاسير السداجة والبله لأنها لا تحتاج إلى التحدث عنها أو إلى الاستماع إليها لبداهتها.!

هل يثير اهتمام أحد أو رفضه أو حرجه أو استنكاره أو حتى تساؤله أو تعجبه أن يقال إن الخيول أو الأبقار أو الدجاج أو الكلاب أو الصقور أو أي نوع من البقول أو الفواكه متفاوتة جودة ورداءة، قوة وضعفاً متفاوتاً تكرينياً ذاتياً طبعياً؟ لقد ذكرت هذه القضية الهينة السهلة المسلمة والمنفتحة عليها لأنتقل أو لأسافر منها إلى القضية الصعبة جداً.. الصعب المرهب المخيف المخرج للتحدث عنها والتفكير فيها بل والتصوّر لها فكيف إذن الحكم فيها وعليها.. فكيف يعرضها للحوار والمحاسبة والمناقشة؟

إن صعوبة وخطورة هذه القضية آتية من كونها محاورة للإنسان في نفسه، في ذاته أو ضد نفسه وضد ذاته..!

إن صعوبتها ليست في ذاتها.. ليست صعوبة على الفهم أو العقل أو الرؤية أو الاقتناع الفكري ولكنها صعوبة على الذاتية.. على الأنانية.. على انحياز الإنسان وانحياز كل كائن إلى نفسه حتى إلى أخطائه وخطاياها، حتى الإله، أليس منحازاً إلى أخطائه وخطاياها؟ إن الإنسان لا يريد أو لا يستطيع أن يرى أو يفهم أو يعرف ذنوب أو نقائص أو أخطاء أو فح أو جهل أو وحشية أو ضعف إله أو تبيته أو دينه أو كتابه المقدس أو تاريخه بالعين التي يرى بها آلهة وأنبياء وأديان وسور وآيات وتواريخ الآخرين أو بالفكر الذي يفهمها به..!

ولعل الحقيقة أنه لا يريد لهذا لا يستطيع.. إن الإرادة رفضاً وقبولاً تتحكم في الرؤية والفهم والتفكير وفي المواقف كلها حتى في مواقف الرؤية والعقل والإيمان والاقتناع..

إن كل الاختلاف أو أكثر الاختلاف بين البشر هو اختلاف إرادة وهوى وليس اختلاف رؤية أو عقل أو اقتناع.. أو هو اختلاف في الإرادة تحوّل إلى اختلاف في الرؤية والتفكير والاعتقاد والاقتناع والإيمان.. إن الآلهة والمعتقدات والنظريات والأفكار المطرودة من الأسواق المطاردة فيها ليس محتوماً أو حتى محتملاً أن تكون هي الأردأ أو الأبلد كما أن المتنصرة الراسخة القوية فيها أي في الأسواق

منها أي من الآلهة والمعتقدات والنظريات والأفكار ليس محتوماً أو متوقفاً أو منتظراً أن تكون هي الأفضل أو الأذكى أو الأنقى، قد يكون أردوها أكثرها انتصاراً ومجداً في الأسواق!

.. ماذا يمكن أن يحدث لو فهم هذه الحقيقة المؤمنون بآلهتهم وأديانهم ومعتقداتهم وآرائهم ومذاهبهم واتسماءاتهم بكل التعصب والغرور؟ وكيف لم يفهموها ولماذا لم يفهموها؟

وهل من الأفضل أو الأنفع أو الأقوى أو الأنقى أن يفهموها؟ هل فهم الحقيقة يهب الإنسان من الراحة أو من القوة أو من الجمال أو من المنافع والفوائد أكثر مما يهبه الجهل بها؟

أليس محتوماً ومطلوباً جداً أن تفهم الآلهة أو الإله الحقيقة لو كان فهمها أفضل أو أنفع من جهلها أي جهل الحقيقة؟

لماذا يصبر الإله وكل إله على أن يظل أبداً يجهل الحقيقة التي لا يستطيع أحد جهلها حتى ولو أراد جهلها؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد من يجهل الحقيقة مثل الإله بل هل وجد أو يمكن أن يوجد من يرفض فهم الحقيقة أو من يعاقب ويقاوم من يفهمونها أو يحاولون أو يريدون فهمها مثله.. مثل الإله؟

هل أرسل الإله أنبياءه وملائكته وأنزل كتبه وعلم أديانه إلا لكي يحجب الحقيقة ويبعد عنها؟ لقد جندهم لذلك بكل رغبته وقوته!

هل حشد ووظف كل هؤلاء وكل هذه إلا لكي يحقق هذا الحجب عن كل الحقائق وهذا الإبعاد عن كل الحقائق؟

ألم يقاس أي الإله كل المقاسة وينفق أضخم وأندح الإنفاق على خلق وإيجاد الجنة والنار الأسطوريين لكي يعاقب ويخيف ويهدد بإحداهما من يعرفون الحقيقة أو يحاولون معرفتها أو يؤمنون ويلتزمون بها أو يدعون إليها أو يدافعون عنها، ولكي يثيب بالأخرى ويبعد بها من يجتهدون نقيض ذلك؟

لقد اضطر إلى تدبير وإيجاد هذا الثواب والعقاب ليبعد عن معرفة الحقيقة..!

إن الإثابة بالجنة والمعاقبة بالنار والوعد والوعيد بذلك والتفكير فيه مبالغة مهينة لكل مقاييس ونماذج وتصورات العقل والمنطق.. إنها مبالغة تسخر من كل وقار وإثان وصدق وتصديق..!

إنها مبالغة عربية.. فهل الإله عربي كما أن الموعود والموعود بها عربي؟

إنها لأقصى هجاء لكل أخلاقي وتقاسير الصدق والتصديق..!

.. الجنة والنار بكل أوصافها المذكورة ثواب لغوم وعقاب لغوم آخرين..! هل تصدقون؟ إنكم تصدقون ولا تصدقون..! إنه مهما صدقت معتقداتكم وآراؤكم واتسماءاتكم وصلواتكم فلن تصدق أعضاؤكم ولا أخلاقكم ولا حياتكم..!

إنها لو صدقت عقولكم لما صدقت قلوبكم، ولو صدقت نفوسكم لما صدقت ذنوبكم، ولو صدقت أحلامكم ورؤاكم لما صدقت عيونكم، ولو صدقت تمنياتكم وهتافاتكم وتضرعاتكم وتيسعاتكم لما صدقت دموعكم وآثانكم وآهاتكم..

إنه لو صدق كل شيء فيكم لما صدق أي شيء فيكم..
إنكم مكذبون مهما كنتم مصدقين، وإنكم لكاذبون مهما بدوتم وكنتم صادقين.. مهما أردتم
أن تكونوا صادقين!

إن أقوى الصديق والتصديق هما في كل تفاسيرهما أقوى الكذب والتكذيب!
.. إن كل تصديقكم في هذه القضية ولهذه القضية لا يجد فيكم ولن يجد فيكم أي شيء
يصدقه. إنه تصديق محاصر بكل دلالات التكذيب ومقتصر بكل تفاسير التكذيب ومعامل بكل
معاملات وأعمال التكذيب.. إنه لا يوجد تصديق هو كل التكذيب وفيه كل التكذيب مثل تصديق
المؤمن لإيمانه بالله ودينه ومعتقداته وبما تقول له وبما تعده وتوعده به أي آلهته وأنبيائه وأديانه
ومعتقداته!

.. إنه لا يوجد مصدق مهان مغجوع مبارز مغائل بكل أساليب التكذيب وبكل أسلحة
التكذيب مثل الإله.. إنه لا يوجد مصدق ليكذب ومكرم لهان ومعروف ليجهل وممدوح ليهجي
ومطاع ليعصى ومذكور لينسى ومحبوب ليكره ومرضي ليرفض مثل الإله أو غير الإله.. إنه لا يوجد
ولن يوجد مخدوع منخدع مثله..

إنه أي الإله هو أشهر وأكبر وأقوى وأردأ خادع لنفسه..!

... إنه لا يوجد غير الإله من هو كل الصديق والتصديق والجمال والذكاء والحكمة والرحمة
والحب والعبرية والقوة غائباً وصامتاً ومضرباً عن العمل وعن التدبير والتفكير وعن الأمر والنهي ومن
هو كل الكذب والتكذيب والغباء والدمامة والقسوة والتفقه والبغض والضعف والعجز والعدوان
والانقضاح حاضراً ومرئياً وقاعلاً وأمرأ ناهياً ومفكراً مديراً مقروءاً مفترساً محاسباً..!

لهذا كم هم أعداء للإله من يريدون ومحاولون أن يحضروه ويظهروه وينطقوه ويرووه ويحاسبوه
ويفتشروه ويعاملوه ويحولوه إلى خالق فاعل مفكر مدبر مرشد أمر ناهي معامل متعامل..!
وكونهم لا يدرون أنهم أعداء ولا يريدون أن يكونوا أعداء لن ينقذهم من كونهم أقسى
الأعداء..!

بل إن هؤلاء هم كل أعدائه أي أعداء الإله.. هل يمكن أن يكون له أعداء غير من جعلوه أو
رأوه أو حسبه أو أعلنوه موجوداً.. موجوداً كما هو موجود أو في أية صيغة أخرى؟

إن الإله هو الكائن الذي لن يكون له أعداء غير من أوجدوه والذي لن يكون له أصدقاء غير
من نفوه أو طردوه من الوجود أو قتلوه ليكون غير موجود إن كان قد وجد.. إن قتل الإله إن وجد هو
أبلى عملية إنقاذ له من الحكم عليه بأن يظل موجوداً..!

إن الإله موجوداً هو أردأ وأخسر وأشقى موظف وإن وظيفته حينئذ هي أردأ وأشقى وأخسر
وأقبح وظيفية. إنه أي الإله هو العامل المقاسي المهرق المصدوم بلا أي أجر أو تعويض أو أمل أو
سرور..! كيف لم يفهم هذا الأذكاء بل كيف لم يفهم هذا الأغبياء؟ إن أي عامل أو موظف لن
يقبل أن يعمل بالشروط والظروف التي يعمل بها الإله..!

.. إنه لو أمكن افتراض قوة سحرية خارقة تسرق من العقلاء كل عقولهم لوجب أن يفترض أن هذه القوة السحرية المخارقة هي التي سحبت وسرقت من البشر كل عقولهم ورؤاهم في رؤيتهم لآلهتهم وفي إيمانهم بها وثقتيلهم وتصوّرهم لها..!

إن البشر لم يفقدوا كل عقولهم وذكائهم وبصالتهم وكبريائهم وإبائهم وصدقهم ونظافتهم إلا في تعاملهم مع الآلهة تعبدًا وتصديقًا وتفكيرًا وتفسيرًا وإيمانًا وتعليمًا ودعاية وتأميلًا وانتظارًا وتخوفًا وامتناعًا وحبًا وتعاديًا وتخاصمًا وتشائمًا وتقاتلًا من أجلها أي الآلهة وباسمها ودفاعًا عنها وطاعة لأوامرها وتشديدًا وتخطيطًا للحدود والسدود تقسيمًا لأنواع الإيمان ولأنواع المؤمنين بها ولأنواع تقاسيرهم لها..!

إن إيمان البشر بالآلهتهم كما آمنوا بها وكما تعاملوا وتخطبوا وتواجهوا بإيمانهم بها لهم أفسى سبب وإذلال لكل ما أبدعوا من حضارات وعقريات وفنون واقتحام واقتناح لكل سدود وحدود وأبواب الطبيعة العاتية المغلفة المحروسة بأفسى الظلمات والمناهات والأهوال بأعشى وأجهل وأشرس وأطغى الحراس..!



إلى أين أبها القلم أنت ذاهب وشارد بل وهارب؟ إنك أبها القلم المعذب لنبدو كالباحث عن آفاق وصحارى بلا حدود لكي تنطلق إليها وفيها كالهارب الشارد.. كالهارب من شيء نهايه وتخافه..!

.. هل هي الرهبة والهيبه من القضية التي يراد الحديث عنها؟

إنها لقضية يفرض بل ويطلب أن ترهبها وتهابها.. إنها قضية تقول.. تريد أن تقول: هل الطبيعة صارمة وشاملة بلا أية محاباة أو استثناءات في جعلها سلالات النوع الواحد من هذه الكائنات متفاوتة جداً لتجعل بعضها متخلفاً محاسباً ببعضها الآخر أم هي قد استنتت الإنسان من ذلك كرمًا وشهامه ونبلًا وحبًا أم قلته وغلطته أم أناية أرادت بها أن تصنع مخلوقاً واحداً هو الإنسان متميزاً ومتفوقاً حتى أنه لا يحكم بالقوانين التي تحكم بها كل الكائنات وكل شيء لنفجر وتباهي به ولتثبت أنها تستطيع أن تخرج على نفسها وعلى قوانينها ليعظم رضاها عن نفسها أم هي فعلت ذلك بالإنسان وللإنسان لأسباب أخرى والأسباب الأخرى كثيرة، كثيرة أي جعلت كل سلالاته مستوى واحداً ودرجة واحدة بلا أي تفاوت؟

ليت الطبيعة فعلت ذلك لأي سبب من الأسباب أو بلا أي سبب. ليت الطبيعة تسمع وتفهم وليت تستجيب لها..!

ماذا كان محتملاً أن يكون لو كانت الطبيعة تسمع وتستجيب للأمانى والآلام؟

.. ولكنها أي الطبيعة لا تملك أي معنى من هذه المعاني الجيدة.. إنها شريرة ونذلة ووقحة وسفينة بلا حدود أو مقاييس.. إنها لكذلك وأفظح من كل ذلك وإن لم تكن بالنية أو التدبير أو الإرادة أو التخطيط. وإنها لهذا لا تستحق المدح ولا الذم وإنما تستحق الفهم أي أن تفهم لكي

يستطاع التعامل معها وبها. إنها ليست بريئة ولا مجرمة مهما فعلت من الجرائم وإنها كذلك ليست محسنة أو متفضلة مهما أعطت وأحسنت وتفضلت..!

إنها تعامل وتصحح وتقرأ وتفسر وتحاسب ولكنها لا تحاكم ولا تعاقب. إنها مهما عوقبت فلن يكون مراداً عقابها..!

.. إن الطبيعة هي الكائن الذي يفعل كل الأخطاء والخطايا وكل النذالات والبلادات والحقاقت دون أن تستحق المحاكمة أو العقاب ودون أن يستطاع ذلك، ومثل الطبيعة في ذلك الإله.. كل إليه. إنه في اعتقاد المؤمن به هو المدير المبرر المخطط الفاعل لكل ما في هذا الوجود الفاجع من سوء وقبح وظلام وضلال وقساد دون أن تستطاع أو تجوز محاسبته أو معاقبته أو حتى قتله..

إنه لشر أنواع الهبوط بالإله والهجاء له أن يحمي ويبرأ من المحاسبة والمحاكمة والمعاقبة مهما كانت كل الأخطاء والخطايا أخطاءه وخطاياهم.. إن هذه الحماية والتبرئة ليست تكريراً ولا تمجيذاً.. إنها كل التحقير والتهمين والذم..!

إن الكائن يعاقب ويحكم ويحاسب ويعاقب ويحصى عليه ويحقد في أخطائه وخطاياهم بقدر ضخامة مسؤولياته وضخامة مسؤولياته بقدر ضخامته هو وضخامة معانيه وأوصافه وأخلاقه ووظائفه.. إن الكائن يحاسب وتضخم عيوبه بقدر ما يحترم ويعظم..!

إن كل الكائنات تحاسب وتحاكم وتعاقب على أخطائها وخطاياها إلا الطبيعة والإله والمجانين وقد يقال وأيضاً إلا الحيوانات والحشرات فإنها مثل الطبيعة والإله والمجانين في ذلك..!

كائن لا يحاكم ولا يحاسب وهو الفاعل لكل شيء. هل مثل هذا تحقير؟

.. إنه لا يمكن اتهام الطبيعة أو وصفها بأي قدر من الشهامة أو النبيل أو اليسالة أو الحب أو الحكمة أو الرؤية أو من الأنانية الذكية المرادة المحسوبة المنظمة لكي يقال إنها بشيء من أوصافها هذه قد وهبت الإنسان هذه المزية أو هذا التمييز أي جعلت سلالاته متساوية ولم تجعل أي سلالة متفوقة على الأخرى كما فعلت بجميع الكائنات وكما جعلت الأفراد من السلالة الواحدة متفاوتين بل كما جعلت فرداً واحداً يفعل ما لا يستطيع أن يفعله شعب كامل.. ما أنذل أو ما أنبل هذا التمييز للفرد الواحد..!

وكذلك لا يمكن اتهام الطبيعة بمحابتها للإنسان أو بانحيازها إليه لتسعده أو تفرحه أو تمجده وتعظمه وتربحه أكثر وأدوم وأصدق بل لقد خضت الإنسان بأقصى قسوتها ووحشتها وبأعنف أساليب ترويعها وتشويهها وتعميدها وتقييدها وإذلالها...

كيف وهل فعلت الطبيعة ذلك بالإنسان؟ إنها لأعظم مفاجأة لم يقلها أو يعرفها أحد..!

إنها لم تقس على أي كائن كما قست على الإنسان.. لقد وهبته التفوق العلمي والعقلي

والإبداعي والتكويني وكثيراً من أنواع التفوق ولكنها لم تحمه ولم ترد أن تحميه بذلك من أهواله.. لقد عاقبته على هذا التفوق أو كأنما أرادت معاقبته على ذلك فزرعت وركبت وصاغت فيه كل المعاني والنماذج والصيغ والفرائز والأوصاف الفادحة في قبحها وتعذيبها وترويعها وتحطيمها وإذلالها وفي تشويهها لكل شيء..!

لقد حكمت عليه حكماً منفذاً بأن يتعذب كل حياته بأقصى وأوقع وأبشع معاني العذاب.. بأن يحقد ويحسد ويغار وينافس ويغضض ويغتاب وينم ويشتم ويخاصم ويمادي ويخاف ويشك ويتوجس ويتوقع ويتملق ويتناقض ويدل ويكذب ويكرع ويسجد ويصلي ويتضرع ويكي ذعراً ونفاقاً وضعفاً وضلالة وخسة وانهمازاً واندحاراً..

.. وبأن يكون قاتلاً مقتولاً.. مستعبداً مستعبداً.. خادعاً مخدوعاً ضالاً مضللاً.. كاذباً مكذوباً.. وبأن تكون له قوميات وجنسيات وسلالات وأوطان وألوان ومذاهب متنافسة متباينة متخاصمة متباززة متقاتلة.. وبأن يكون له تاريخ معتقل ومستعبد وسارق وشاتم ومثقل لحاضره ومستقبله وباصق على حاضره ومستقبله..!

.. وبأن تكون له أديان ومعتقدات ونبوات وألوهيات وربهانيات ومشیخات وكنائس ومساجد وكعبات مقسمة مفرقة له صانعة ومبيحة ومشركة له العداوات والحروب والقتل والسيي والنهب والاسترقاق واغتصاب أعراض الجوارى وتحويل النساء الحرات إلى إماء مملوكات..!

ولكي تتحول أي أديانه ومعتقداته ونبواته وربهانياته ومشیخاته وكنائسه ومساجده وكعباته إلى إذلال وتعويق وسباب لكل معانيه وأخلاقه.. لعقله وفكره وقلبه وضميره ولكل رؤاه واتجاهاته وتصرفاته وقراءاته وتفسيره وحيته وبغضه وموالاته ومعاداته بل ولغاته..!

إنه لا خسiran ولا تشويه ولا مقاساة بلا أي ثمن أو تعويض أو شكر مثل خسiran وتشويه ومقاساة الإنسان بآلته وأبيائه وأديانه ومعتقداته..!

إن كل طغيان قاهر مذل يعاقب الإنسان من خارجه فقط.. أما داخله.. فكره وقلبه وضميره واعتقاده وتصميمه ورضاه وغضبه ووجهه وبغضه فيظل حراً وقد يكون معادياً متربصاً محارباً متآمراً جداً ضد الطغيان القاهر له من خارج ذاته..! وكم هو قبيح وفاجع أن يستثنى من كل الطغيان طغيان الآلهة والأنبياء والأديان والمعتقدات ليكون طغياناً خارجياً وداخلياً.. طغياناً محيطاً محاصراً مدمراً للنفس والذات من داخلها وخارجها.. وقد يكون الطغيان والتسلط الداخلي هنا أفسى وأكثر ترويعاً وإذلالاً وكنياً وتحطيماً ومعاشية ومحاصرة وإرهاباً.. ما أفسى وأقبح وأوقع أن يكون الكائن محاسباً ومعكماً ومراقباً ومسكوناً ومرتباً من داخله..! ما أقبح وأوقع وأندل وأبذل هذا الكائن في الداخل..!

.. كل هذا شيء مما أنزلته الطبيعة بابنها أو بمخلوقها الإنسان.. وكان من أفدح وأخطر ما فعلت به وله أن ألهمته وعلمته ابتكار الأسلحة وصناعتها بدءاً بالعصا والرمح والسكين والخنجر والسيف وانتهاء بما لا نهاية له..

.. فعلت به وله ذلك وكأنها تعاقبه على تفوقه العقلي والعلمي والشعوري والنفسي والإبداعي والعملية..!

فعلت ذلك وكأنها تكفر وتعتذر عن جعلها له متفوقاً في ذلك.. وكأنها تجازيه بالنقيض وتسحب منه ما قد يحسب محاية له...!.. فعلت بالإنسان ذلك وكأنها تبالغ جداً في انتقامها من نفسها ومن كل شيء ومن كل أحد، وتبالغ في غضبها على نفسها وعلى كل أحد وكل شيء..!

.. وكأنها تريد أن تدلّل على أن تفوق الإنسان العقلي والعلمي والإبداعي ليس إلا تفوقاً في الجنون والغباء والسفه وفي إرهاب وتدمير وتعذيب نفسه وحياته وكل شيء أو أنه تحول إلى ذلك..! ليس إنتاج الإنسان للأسلحة لكي يقتل ويقتل بها نفسه هو كل الجنون والغباء والسفه؟

بعد كل هذه التفسير لبعض ما خصّت به الطبيعة الإنسان يأتي هذا السؤال: هل يحتمل أن تكون أي الطبيعة قد حابته، أي حابت الإنسان أو انحازت إليه ووهبته المزيد والكثير من عواطفها النبيلة الكريمة الرحيمة أم أنها قد فعلت العكس وخصّته بأقسى قسوتها؟

ماذا لو حوسبت حياة الإنسان بحياة أي كائن من الكائنات التي نعدّها ضعيفة وحقيقية ومستقدرة؟ أي الحياتين حينئذٍ سترى أفضل؟ المراد بالأفضل الأكثر سعادة وراحة وبراءة وهناءة وصداقة وأماناً وحباً، والأقلّ خوفاً وقلقاً وشرّاً وخبثاً وعداوة وعدواناً وعدائياً وتعدياً وتلوثاً وتلويثاً وفساداً وإفساداً ودلاً وإذلالاً وعبودية واستعباداً وقبحاً وتقيحاً..!

أليس الأفضل في ذلك هو الأفضل في حياته.. هو الأفضل حياة؟ إذن أليست كل حياة.. كل حياة كل الكائنات أفضل وأعظم حظوظاً من حياة الإنسان بهذه التفسير؟

إن قيمة أي تفوق محسوبة بقيمة عطائه، فهل أعطى تفوق الإنسان حياة الإنسان ما جعلها أسعد أو أتقى أو أنظف أو أنبل أو أرحم أو أبسل أو أكثر حرية أو صدقاً أو عدلاً أو شهامة أو حياً من حياة الكائنات المتخلفة جداً؟

إن التفوق لا يعني دائماً الأفضل أو الأنفع أو الأجمل.. فتفوق الوحوش على الحيوانات الجميلة البريفة المسالمة المرحبة لا يعني ذلك.. وتفوق المعتدي على المعتدى عليه لا يعني ذلك.. وتفوق الطغيان والطاغية على الحرية والأحرار لن يعني شيئاً من ذلك، وهكذا تفوق المرض على الصحة، والدماة أو العامة على الجمال، والخبث والدناءة على البراءة والصدق، والسلاح الفتاك على الحياة والعمران، والضللال على الهدى، والظلام على النور..

إن الأشياء تساوي نتائجها ولا تساوي تفوقها أو تخلفها، قوتها أو ضعفها، صراخها أو صمتها..

إن غرائز الحقد والحسد والبغض واللؤم والخبث والمكر والكيد والشماتة - إن هذه الغرائز وحدها لتكفي للهبوط بحياة الإنسان ولتشويهها لتكون أكثر هبوطاً وتشوهاً من كل حياة ومن أية حياة، وإنها لتكفي لتكون حياة الإنسان أكثر عذائاً من أية حياة، وليكون تكوين الإنسان أسوأ من أي تكوين، وليكون أكثر دماة من أي دميم...

وإن خياله الذي ابتكر الجحيم الموصوف والمعلن عنه في الأديان ليعذب به ويخلد في عذاب المخالفون في الدين أو العقيدة أو المذهب أو الرأي...

- إن خياله هذا ليهبط بوقاحة وبلاذة نفسه وخياله وبوحشيتها تحت كل وقاحة وبلاذة ووحشية!

.. الإنسان يعد الجحيم الموصوف لنفسه ويوعدها ويهددها به وسوف يعذبها به.. إذن هل يوجد مثله تخلفاً وشقاء؟ هل يوجد أي كائن يقبل أن يكون مثل الإنسان نفوقاً وتخلفاً.. سعادة وشقاء.. ذكاء وغباء.. جنوناً وعقلاناً؟

الإنسان يشكر الجحيم ليوعد ويهدد ويعذب به نفسه.. هل يصدق هذا؟

هل يمكن تصور قبح أو بلاذة أو تخلف أو شقاء يساري قبح أو بلاذة أو تخلف أو شقاء من يخترع ويخلق الجحيم ليوعد ويهدد ويعذب نفسه به أو ليوعد ويهدد ويعذب به كائنات أخرى؟ هل يستطيع تصور تخلف أو شقاء أو جنون أو غباء مثل تخلف وغباء وجنون وشقاء من يخترع الآلهة ليرهب ويذل ويهين ويشغل بها نفسه وحياته.. ليصغر ويصغر أمامها ساجداً راکعاً باكياً متضرعاً مصلياً صارخاً دون أن تسمع طالباً دون أن تهب أو تستجيب، مادحاً معجداً دون أن تشكر، أنا متأوهاً دون أن ترحم أو تحزن، منتظراً دون أن تحضر أو تظهر بأنها لن تحضر أو تظهر؟ هل عاقب أو أخاف الإنسان نفسه وحياته مثلما عاقبهما وأخافهما باختراعه للآلهة؟



.. لماذا الإنسان دون جميع الكائنات هو الذي يبكي ويتأوه ويئن ويقيم المآتم ويضرب خديه ويلطم ويصفع وجهه وقفاه ويحول أماته وأنينه وبكائه إلى أناشيد وأغنيات وصلوات؟ أليس ذلك لأنه أكثر عذاباً وشقاءً وأهوالاً من جميع الكائنات التي تعرفها بل ولأنه أكثر اقتضاحاً وانهاياراً وركوعاً؟ .. أما الضحك فقد يكون أقسى أنواع البكاء بل والابكاء، قد يكون البكاء الذي يبكي.. إنه ضحك على النفس ومن النفس وعلى كل شيء ومن كل شيء.. لعله أي الضحك أقسى أساليب السخرية.. السخرية من كل كينونة تعد دمية وذمية ومن كل كينونة تعد جميلة وعظيمة..!

إن البكاء والأنين والأحزان والآهات لأصدق وأدوم وأقوى بل وأتقى تعبيرات الإنسان عن نفسه وعن حياته وعن كل الوجود الذي يواجه ويعايش ويصارع.. إن كل الوجود ليس إلا دموعاً إما سائلة واقعة وإما متخفية متوقعة آتية..!



نعم، إن التفوق قد يعني أو لا يد أن يعني المزيد من التخلف ومن الشقاء والآلام والضياع والورطات..!

إن أقوى التماذج لذلك الإنسان والإله.. هذا الحكم على الإنسان قد ذكر التدليل عليه في الصفحات الماضية..

أما الإله فماذا صنع له وفعل به تفوقه الشامل الساحق؟

لقد حوله تفوقه إلى أشهر وأكبر معذب سروع مهان مفجوع بما فعل وخلق مريداً مديراً له وإلى أردأ متخلف في كل أساليبه في التدبير والتفكير والتصميم والاختراع والخيال والخلق.. والدليل على ذلك كل هذا الوجود الذي نرى ونعرف ونواجه ونقاسي ونشكو منه ونتعذب ونفجع به ونقاوم ونعاني بكل العذاب كل قبيح وتشوهات وآلام وإنسانه وحشرات وحيوانات وجماداته وكل كينوناته المخطئة الخاطئة المتناقضة القوضوية المتشائمة المتصادمة المتناطحة المتقاتلة الباصقة المتقايدة المتضاجعة المتضاربة المتصاعدة الباكية الآنة المتأوهة الصارخة المستفرغة لكل ذلك في كل معاني الإله وعليها.. في أذنيه وعينه وقلبه وعقله وضميره وأخلاقه وثيابه وعرشه وقناه وجهته وطلعته وغيبته..

- المستفرغة لكل ذلك على كل شيء وفي كل شيء منه أي من الإله.. إن كل هذا الوجود لطلمات يتلقاها الإله على خديه بكل الصبر والاستسلام.. إن كل شيء في هذا الوجود ليس إلا استفراغاً ينصب كله على كل معاني الإله..

.. إذن هل يوجد مستقبل لكل القبح والفحش والعفن مستفرغ عليه كل الفحش والقبح والعفن مثل الإله أو غير الإله؟

.. إذن هل يوجد فاعل لنفسه وب نفسه كل الشرور والعذاب والغیظ والتحقير والسوء مثل الإله أو غير الإله؟ إذن هل يوجد من يجب له ويطلب له كل التعليم والتصحيح وكل الرثاء والبكاء مثل الإله أو غير الإله؟

إذن هل يوجد أو وجد أو قد يوجد من صنع له أو قد يصنع له تفوقه الساحق كل أنواع وأقصى أنواع التخلف والعذاب والهوان والافتضاح والفواجع مثل الإله أو غير الإله؟

إذن هل وجد أو يوجد من تطالب كل الشبهات والعمومات والرحمة بإنقاذه من نفسه ووجوده ومن أفعاله وأخلاقه وتصرفاته ومواجهاته وورطاته وبأسائه مثل الإله أو غير الإله؟

إذن هل يوجد ما يجب على الحضارات وعلى الإنسانية كلها أن تفعله مثل إنقاذها للإله من أن يكون أو يحسب أو يزعم موجوداً، ومثل إنقاذها لنفسها من اتهامها له بأنه موجود أو بأنه كان موجوداً أو بأنه قد يوجد أو بأنها قد تأذن له بأن يوجد؟

إذن هل يوجد من يجب عليه أن ينقذ نفسه من نفسه أو من يجب عليه أن يناضل بكل قواه لكي يثبت أنه لم يوجد ولن يوجد في أي مكان من هذا الكون مثل الإله أو غير الإله..

بل لكي يثبت براءته من أن يكون قد رأى أو سمع أو عرف شيئاً من هذا الكون أو قرأ عنه أو حدث عن أي شيء منه أو تصوره أو تصور أنه قد يوجد كما وجد وكما أوجده أي متهماً بأنه أوجده كما وجد؟ هذا الكون بكل ما فيه وبدون أن يستشار إرادته وديره وخلق الإله ثم غرق في إعجابه ورضاه عن نفسه وفي امتداحه لها لذلك.. من قال هذا؟ هل وجد من قاله؟

بعد هذا نستطيع أن نقول: إنه لا يوجد أي احتمال لأن تكون الطبيعة قد حابت الإنسان أو انحازت إليه بجعلها له متفوقاً علمياً وعقلياً وفتياً وتكوينياً وفي أشياء أخرى أو بمجيئه كذلك.. بل إنه لو كان ممكناً أن تحاكم الطبيعة على ما فعلت بالإنسان ووجد من يحاكمونها على ذلك لما كُفّت كل العقوبات عقوبة لها جزاء قسوتها عليه.. لقد جعلته أكثر من كل الكائنات هموماً وخوفاً وقلقاً وغيظاً وارتباباً وبؤساً وافتضحاً وعاراً وذلة وهواناً ومشاكل وأزمات وورطات بل وأمراضاً وآلاماً نفسية وعاطفية وفكرية وأخلاقية واجتماعية وعائلية وقومية وتاريخية ودينية وأشياء أخرى كثيرة ألّيمه جعلته وصاغته أكثر وأعنف تعاسة وبؤساً وعذاباً من كل الكائنات المرئية المعروفة..!

.. كما جعلته أي الطبيعة أكثر وأقوى وأقسى شروراً وآثاماً وطغياناً وعدواناً وفسوقاً وفساداً وظلماً وقسوة ووحشية ونذالة وخبثاً وبغضاً وحقدًا وشماتة واستهزاء وفرحاً بالآلام ومصائب ومشاكل وأحزان الآخرين وتعرية وعرضاً لعار وقضائح الآخرين وإعلاناً عن ذلك..

- أي جعلته أكثر وأقسى وأقوى في ذلك من كل شيء وكل أحد.. إن أي كائن من هذه الكائنات المهجوة لن يقبل أن يستبدل أخلاق الإنسان وتفوقه وتصرفاته بأخلاقه وتخلّفه وتصرفاته هو كما لن يقبل أن يستبدل شقاء الإنسان وعذابه وهوانه بعذابه وشقائه وهوانه هو، أو أن يستبدل ألوهيات ونبوات وأديان وتدين وتقوى الإنسان بحيوانيته أو حشريته أو جماديته أو نباتيته هو...!



أجل.. الطبيعة لم تحاب الإنسان بل لقد فسدت عليه أقسى قسوة ولكن دون أن ندري أو نريد.. إنها الكائن الذي يصنع كل الآثام دون أن يكون أو بحسب آثاماً. وقد بناقستها ويتفوق عليها في ذلك الإله..!

إذن هل حكمت عليه بقوانينها التي لم يضعها أي واضع.. التي لم يشرعها أي مشرع ولا أي قانوني والتي لن يرضاها أو يفتق بها أحد مهما استسلم لها كل أحد..!

أعني قوانينها التي صنعت فروقاً هائلة وقد تكون ألّيمه بين سلالات النوع الواحد من مخلوقاتنا أي من إفرازاتها واستفراغاتها التي سميت بمخلوقاتنا؟ ويراد هنا الفروق التكوينية الذاتية الطبيعية التي لا يستطيع أي شيء أن يزيلها.. لا التعليم ولا التربية ولا الظروف ولا الترغيب ولا التهريب ولا الجنة ولا النار بالوعد والوعيد بهما.. ولا كل الحضارات والمواجهات الصعبة أو السهلة.. الجيدة أو الرديئة.. كما أن هذه كلها لا تستطيع أن تزيل الفروق في الألوان وفي السمات الذاتية أي الجسدية أو الفروق بين أنواع الكائنات كالقروى التي بين الإبل والأغنام أو بين الصقور والغربان أو بين الخيول والبقر أو بين الشحير والقمح، أو بين الرمان والحنظل أو بين الجن والإنس أو بين الملائكة والآلهة أو بين الإله المقروء في الكون والإله المقروء في تعاليم وروايات الأنبياء، أو بين النبي مرثياً والنبي مروباً.. بين النبي في عيون زوجاته والنبي في أذان أتباعه.. بين النبي أو الشيخ أو المعلم في بيته والشيخ والمعلم والنبي فوق المنبر أو في المحراب أو بين الدين وعدواً وعطاء مكتوباً والدين تطبيقاً واختياراً.. بين الدين قراءة

وتفسيراً والدين دراية وتفكيراً.. أو بين العرب مرويين عن التاريخ وفي التاريخ والعرب مرثيين بالعيون وفي الحياة.. أو بين الناس معتقدين والناس متعاملين.. أو بين المؤمنين أدياناً والمؤمنين أعضاء وشهوات.. أو بين الشيطان ملقوناً ومعلماً عصيانه والشيطان ملعاً معبوداً..

.. بين الشيطان في الأفواه والخطب والشيطان في النفوس والرغبات.. أو بين الإله مدعواً ومسجداً والإله معاملاً ومستنجباً.. بين الإله مؤملاً والإله مجرباً... بين الإله في آهات وأتات قتلاه وجرحاه ومرضاه والإله في مدائح شعرائه وموظفي محاربهه ومنابره... بين الإله مكتوباً على جسد ذبابة أو قملة أو بعوضة أو جرثومة والإله مقروءاً في آيات توراته وإنجيله وقرآنه... بين الإله محارباً بدعوات أنصاره والإله محارباً بأسلحة أعدائه.. مقاتلاً بخناجر أوليائه ومقاتلاً بأفتك أسلحة محاربي وعصوم أوليائه.. بين الإله في أفكار وتصورات أذكي المجتمعات والإله في أفواه وتصورات أبلد المجتمعات.



ويتعاضم تفاوت سلالات النوع أو الجنس الواحد تقدماً وتخلفاً وتعاضم الفروق بينها أي بين السلالات بقدر ما يتعاضم النوع أو الجنس.. فالتفاوت بين سلالات أعظم الحيوانات أعظم من التفاوت بين سلالات أدناها، كما أن التفاوت بين سلالات أعظم الفواكه والأشجار والبقول والنبات أضخم من التفاوت بين سلالات أضعفها وأقلها شأنًا..

وهكذا الحكم في كل شيء حتى في أنواع الجمادات.. فالتفاوت بين اللؤلؤ أعظم من التفاوت بين الأحجار..

.. الإنسان أرقى الكائنات المعروفة لنا.. أرقاها تكويناً.. إن تفوقه التكويني على كل الكائنات التي عرفناها تفوق يهر ويهرّب التصور والخيال وكل الحسابات والمقارنات حتى ليعجز التفكير بل ويرفض التفكير أن يقتنع بأنه أي الإنسان ولادة هذا الكون أو استفرغه أو بأن مخطط ومريد وخالق الكون هو مخططة ومريده وخالقه أي إن التفكير ليعجز ويرفض أن يقتنع بذلك أو أن يتصوره لو لم يحكم عليه بالافتناع به وبرؤيته ومواجهته.. إن الفكر الإنساني محكوم عليه بأن يصدق ما لا يستطيع الافتناع به..

.. الكون الذي ولد أو يخلق أو خلق وصاغ الإنسان كيف أمكن أن يلد أو يخلق أو يخلق ويصوغ ما نجد ونرى ونعرف من حشرات وجراثيم وكائنات صغيرة أليسة غائصة في الأرواح والعذاب والهبوط، أو الكون الذي فعل وأوجد هذه كيف أمكن أن يفعل ويوجد الإنسان بأسلوب البصق والولادة أو بأي أسلوب آخر، كيف، كيف.. كم هي مفجوعة ومهزومة: كيف، كيف..

.. إن كلمة «كيف» وكذا «لماذا» مهزومتان أمام هذا الكون وأمام كل شيء أبداً، أبداً..
... إنها لو حكمت أو حكمت كلمتا: كيف ولماذا لما وجد أو لما بقي شيء في هذا الوجود ولا في أي وجود.. إنها أي «كيف» و«لماذا» لم تستشارا ولم تحترما في أية كينونة أو وجود..
إن كل من يستعملون كلمات لماذا وكيف أو يتعاملون بها لن يكونوا إلا عابثين أو لاغبين أو

هازيين أو جاهلين إن كانوا يتوجهون بأسفلتهم وتساؤلهم إلى منطق الأشياء.. إلى الأشياء من حيث منطق كينونتها وتفسير كينوناتها وصيغها ومن حيث حوافز وأهداف وجودها وصيغ وجودها بداية ونهاية.. لو أن الإله يخاطب نفسه بشيء من لماذا وكيف وكان جاداً صادقاً فهل كان يمكن أن يفعل أو يخلق شيئاً؟ حتى وجوده هل كان يمكن حيثي أن يوجد وجوده؟

.. والإنسان الذي هو بكل هذا التفوق التكويني على جميع الكائنات الموجودة في وجودنا كيف يمكن أن يكون التفاوت بين سلالة في التقدم والتخلف أي التكويني؟؟ كل الحسابات تقول إنه تفاوت لا بد أن يكون كبيراً ومثيراً وعظيماً وأيضاً فاجعاً مذللاً..!

.. قد يكون في التفاوت بين آحاده إشارة صارخة وإخزة جارحة مؤلمة أو مفرحة إلى ضخامة التفاوت الواقع والمتوقع والمتظر بين سلالاته...!

.. وهنا أي في هذا السؤال عن التفاوت بين سلالات الإنسان تقدماً وتخليفاً يوجد كل الخطر والحذر والحرج والهيبة والرعبة والاستحياء والصدمات والمقاساة النفسية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية والقومية والإنسانية..!

لهذا جاء ويحيى الحديث والتساؤل عن هذه القضية قليلاً وخافتاً متخفياً أي إن جاء..!

ولا بد أن نسارع بلا رؤية أو تدبر أو حذر أو تبصر إلى الهجوم على من يغامر لو وجد هذا المغامر بالحديث أو بالتساؤل عن هذه القضية وإلى إغراقه بكل النهم الشريرة وإلى إطلاق كل أسلحة التشنيع عليه. إن إطلاق النهم غذاء روحي لأكثر البشر... إنهم يناصرون آلهتهم وأديانهم ومذاهبهم بتضخيم وتركيد النهم..!

.. إننا نفعل ذلك بكل الغضب والحماس والهوس.. نفعله وكأننا نصلي للإله وتمجده ونذاع عنه ونبرئه من أقسى وأبشع النهم..

كأننا نخاف عليه أي على الإله من أن يكون قد فعل بنا ذلك.. قد فعل بنا أعظم المظالم والقبائح والفضائح والبلادات والإهانات بكل النزق واللؤم والخبث أو بكل الجهل والغباء..!

هل الإنسان يخاف من الإله أم يخاف عليه وأي الخوفين أقوى وأغوى؟

لقد فعل بنا الإله كل شيء رديء وأليم ومهين وفاجع وموجع وقاضح حتى ولو لم يفعل بنا ذلك..!

.. إن الذين يريدون ومحاولون أن يبرثوا الإله من أي ذنب أو قبح أو ظلم أو سوء أو بشاعة أو رذيلة أو خطأ فاحش إنما يريدون ومحاولون أن يقتلوه.. أن ينفوه.. أن يطردوه ويطارده.. أن يعلنوا أنه ليس هو صاحب هذا الكون ولا موجد بل وإنه ليس موجوداً فيه أي في الكون.. إنهم يفعلون ذلك بالإله دون أن يدروا.. بل وهم يرفضون أن يدروا..

إنه لا يمكن تبرئة الإله من أي شيء قبيح وأثم ما لم ينق من هذا الوجود.. ما لم ينق من ذاته.. من وجوده..!

إن الإله موجوداً هو كل هذا الوجود. إذن هل مثله أخطاء وخطايا؟

.. لقد كان المفروض ألا يخفى هذا على أحد حتى ولو تجمع فيه كل غباء هذا الكون بل وكل غباء إله هذا الكون.. كل غباء كل إله..!

أليس غباء الإله هو كل الغباء؟ كيف خفي هذا على أحد؟

إن الإنسان لم يفقد كل ذكائه في فهمه ورؤيته وتفسيره لشيء مثلما فقد في فهمه ورؤيته وتفسيره للإله..!

إن غير موجود لم يعتد على كل معاني الإنسان مثلما اعتدى على كل معانيه الإله أي الذي لم يعاقب بالوجود.. بوجوده..!

إن كائناً غير موجود قد اعتدى على الإنسان اعتداء لن يعتديه أي كائن موجود..

.. إن أي كائن لم يعتد على غيره ويعوقه ويشوّهه بمحاولة فهمه وتفسيره وتمجيده ورؤيته له وإجلاله له فوق كل شيء وداخل كل شيء حتى فوق أقيس وأبشع وأقذر الأشياء وداخلها مثلما اعتدى الإله على الإنسان ومثلما شوّهه وعوقه بمحاولة فهمه وتفسيره وتمجيده ورؤيته وإجلاله فوق وداخل كل شيء أي بمحاولة الإنسان أن يفعل ذلك بالإله وللإله..!



قد يكون عالم اليوم أقسى وأقوى لتوكيد للفروق التكوينية الهائلة بين سلالات البشر...

عالم اليوم المنقسم إلى متقدمين تقدماً مذهلاً في كل صيغ التقدم ومعانيه.. وإلى متخلفين تخلفاً مخجلاً مذللاً فاجعاً في كل صيغهم وتفسيرهم..

.. المتقدمون يظنون يعجزون العيون الرائية المحدقة فيهم عن اللحاق بهم رؤية محققين في كل آفاق وسموات التقدم والابتكار والصعود حتى ليخشى ألا تتسع كل السفنات والآفات لخطواتهم وتحليقاتهم الدائمة المتعاطمة المتجددة حتى ليخشى أن يكون الإله قد أصبح في فرع دائم مرهق خوفاً على عرشه من قفزاتهم أن تسقطه أو تدمره أو تغير وضعه متخطية صاعدة فوقه أو أن تزيله من الوجود أخذه له في صعودها الكاسح الماسح..!

بل إنه ليخشى ويتوقع أن يكون الإله قد أصبح يقاسي كل عذاب العجز والهيبة والرهبة والخوف والغيرة والخجل أمام تفوقهم المتخطي لكل حساباته وقدراته وتخطيطاته بل المتخطي لكل تطلعاته ورؤاه وتحدياته هو وجميع مستشاريه..!

لقد تخلى أو كاد يتخلى عن جميع وظائفه في هذا الكون أمام سيطرتهم عليه..!

... لقد أراد في عمره المديد أي الإله أن يعلن عن عبقرياته في رؤية الغيب الذي سوف يأتي وأن يعرض هذه العبقريات عرضاً عالمياً أبدياً.. فابتكر الأنبياء ليكوتوا هم أجهزة إعلامه وإعلانه وعرضه لهذه العبقريات في رؤية الغيب ومعرفة فلم يستطع ولم يستطيعوا أن يتحدثوا عن قفزة واحدة من

قفزات هؤلاء الخالقين أي الآلهة الحقيقيين. لماذا لم يفعلوا؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يروا أو حتى يتصوروا شيئاً من ذلك أي الإله وأنبيأوه لم يستطيعوا ذلك...!!

هل يوجد أو يحتمل أن يوجد تفسير غير هذا التفسير؟

.. ما أعظم وأغرب النتائج لو أنهم أي الإله وأنبياء استطاعوا أن يروا أو يتخيلوا ويعرفوا شيئاً من إبداعات هؤلاء الخالقين واستطاعوا أن يتحدثوا وينبئوا عنها وأن ينزلوها ويكتبوها ويعلموا عنها ويمدوا بانتظارها.. يحدونها المحتوم. لقد كان ذلك لو حدث مغنياً عن كل الوعد والوعيد والمواعظ والنصائح والتعاليم والإغراء بالرشوة وبالفردوس وعن التهديد بالجحيم من أجل الإيمان بهم أي بالإله وبالقادمين من عنده يتكلمون لغته ويحملون توقيعاته، ويقرؤون نياية عنه كتابه وتعاليمه، ويذوقون من عيونهم دموعه، ويطلقون من أفواههم أنات وأعات قلبه وضميره وأخلاقه وهزائمه ويؤسه ويأسه وهمومه المشتركة المتجددة، ويشتمون ويلعنون ويحقرون ويمادون بل ويقتلون ويقاتلون كل من عداهم وعدا عبيدهم بكل السفه والبذاءة والحقد والبغض والقسوة زاعمين أنهم يفعلون ذلك بلسان وغيره ونخوة وكبرياء وشرف من جاؤوا من عنده..

.. ويقتلون ويقاتلون ويضربون ويخربون ويدفرون ويشوهون بعضلاته. ما أعظم وأخطر ما قاتلت عضلاته بغير عضلاته..

.. أليس كل هذا بعض ما يفعله ويحييه به الأنبياء؟ أليست هذه هي وظائفهم.. كل وظائفهم؟ لقد كان عجزهم أي الإله والأنبياء عن أن يروا أو يتصوروا أو يعرفوا شيئاً من ذلك ليتنبأوا ويخبروا غيباً به أقسى وأقوى إضعاف وهزيمة بل وتكذيب وهجاء وفضح لهم ولما جاؤوا به، هل يستطيع المؤمنون بهم أن يدافعوا أو أن يجدوا تفسيراً لذلك؟

هل يمكن أن يكونوا قد عرفوا ذلك أو حتى تصوروه ثم لم يملأوا الدنيا وملأوا كل الصحائف والمنابر والمحارب حديثاً وتنبؤات وتبوعات عنه وبه وتباهياً ومبارزة لكل أحد ولكل شيء بنبوءاتهم وتنبؤاتهم هذه، متحدثين لكل الزمن والتاريخ والأحداث والقوانين والطبيعة ولكل القوى والآلهة الأخرى أن تكذبها أو أن تأتي بمثلها أو أن تنبأ بمثلها؟

أليس التحدي يتفوق الذات على كل شيء وكل أحد هو أحد أخلاق الإله الأليمة؟

أو هل يمكن أن يكونوا آلهة وأنبياء أي أوعية لكل معاني الآلهة ثم بمعجزوا عن رؤية أو تصور أو معرفة هذا الذي سوف يصبح كل شيء.. كل الوجود وكل من في الوجود؟

لقد جاء الأنبياء من عند الإله معلماً ملقناً لهم ليمدحوه ويمدحوه مثل طفل مسرف في غرارته وسذاجته يطالب بجنون وافتضاح بأن يكون كل المزايا والمدايح الخارقة لكل المقاييس والهائلة المهينة الفاضحة الفاجعة لكل العقول.. بأن يعلن ويعرف ويرتل ويصلي كل الدهور بأنه كل ذلك. وكان من أعظم شهواته كما روى من علم ولفن وأرسل.

- كان من أعظم شهواته أن يوصف بأن كل الغيب الذي كان والذي سوف يكون والذي لن

يكون ليس إلا تحديثه واحدة وقراءة واحدة من تحديثاته وقراءاته.. بل ليس إلا إغماضه واحدة وأمية واحدة من إغماضاته وأميائه..

إنه لم يكن يفتح عينيه أو يفارق أميته فيقرأ ويكتب ويحسب أو يتصور ويتخيل لكي يرى ويفرأ ويعرف ويعلم كل الغيب.. ما كان وما سوف يكون وما لن يكون.. نعم، كان مجنوناً في رغبته ومطالبته بأن يعرف ويعلم بأنه عالم كل الغيب..!.. كان يباهي بذلك حتى ليفقد ويتسى كل الاستحياء والوقار من عطف وثرق مياحاته به، حتى ليكاد ينسى أنه إله..!
.. كان مجد علم الغيب أعظم ما يسحره ويهره بل ويفضحه..!

كان يمتنى ويريد أن تعلن عن مجده هذا كل الكائنات، الحشرات والجمادات والحيوانات كما جعلها كلها مسبحة مصلية ساجدة ذاكرة قارئة لكتبه المنزلة على أنبيائه مقسمة لها عليمه بها معلنة عنها مبنية مؤكدة لإعجازها فاعلة لكل ذلك بشتى الأساليب التي يعرفها المؤمنون الراؤون لذاته في كل ذات وفي كل شيء حتى في أقبح وأصفر وأقبح الذوات والسامعون لصوته في كل الأصوات حتى في أنكر الأصوات وأكثرها حزناً وبؤساً وذلة وهواناً والمشاهدون القارئون لجماله حتى في الوجوه التي تهاب وترهب أن تقف أمام المرأة بل التي تمنى أنها لم توجد أية مرآة في العالم وأن تحطم كل مرآة قد وجدت وأن البشر كل البشر لم يتعلموا التعامل بها أي بالمرآة، لعل المرأة أقوى ما يصنع الفرح والرضا وما يصنع الحزن والغيظ..!

لعلها أقسى مكروه وأقوى محبوب. لعلها أقوى صديق وأقوى عدو..!

.. نعم، كان جنون الإله بأن يعلن عن نفسه عالماً بالغيب جنوناً يصنع الأسى والذهول والغضب بل والاشمئزاز..!

ويضغط هذا الجنون عليه واستجابة لرغبات هذه الطقولة الغريبة المتسلطة على كل تصرفاته وعواطفه فكر فاهتدى أو أراد فاهتدى دون أن يهتم بالتفكير.. فاهتدى إلى أن يتكر أو يخترع الأنبياء والكتب المنزلة للتحدث عن علمه بالغيب.. عما كان بل وعما لم يكن معقداً أنه قد كان.. وعما سوف يكون بل وعما لن يكون متصوراً أو مروباً له أنه سوف يكون بل وللتحدث عما لن يكون وعما يستحيل أن يكون...

لقد ذهب بكل المياهاة والنزق والسذاجة والرضا والجراة يتحدث برواية أنبيائه وكتبه المنزلة عنه.. يتحدث عن بدء الكون وبدء كل شيء وعن نهاية الكون ونهاية كل شيء بأساليب قد يزعم أنها مفصلة ودقيقة وذكية جداً..!

قد تحدث عن أصفر وأضال وأبأس الحشرات والحيوانات والديدان وعن أخلاقها وأوصافها وعن أدبائها وتديتها وتقواها وعن ضمايرها بل وعن لغاتها وعلاقاتها بعضها ببعض وعن نياتها وعواطفها وعن بداياتها ونهاياتها.. وتحدث عن الجن والأبالسة وعن كل مزايهم وريثالهم وكيف كانوا وبدؤوا وكيف ينتهون وإلى أين وماذا يعملون وكيف يعملون وكيف يظهرون ويختفون وعن علاقاتهم بالإنسان وبالإله وبكل شيء..

كان حديثه عن الجن والأبالسة نوعاً من الشعر الذي لم يوجد ولن يوجد! .. وتحدث عن يأجوج ومأجوج وعن الجنة والنار وعن سكانهما وعن الحور العين وعن الفلمان فيهما أي في الجنة والنار وعن وظائفهم أي الحور والفلمان وعن عددهم وممارساتهم.. كان حديثه عن الفلمان والحور هجاء لكل ما يفترض في الآلهة من كرامة ونظافة وذكاء وحياة وتقوى..!

.. وتحدث عما سوف يأكلون ويشربون ويجدون ويلاقون ويقاسون ويتكلمون ويعملون أي نزلاء الجنة والنار..

كان في حديثه سخياً سخاء لم يوجد مثله منه في الحياة الدنيا أي عن أهل الجنة.

.. وتحدث وتحدث ولا يزال يتحدث وسوف يظل يتحدث عن علمه بالغيب وعن رؤيته له وعن كل شيء حدث أو سوف يحدث أو لن يحدث، كان حديثه عما لن يحدث أقوى وأكثر من حديثه عما سوف يحدث أو قد يحدث..!

.. من قوة إصرار وتسلط شهوته هذه عليه لم يكتف بنبي واحد أو بعدد قليل من الأنبياء يرسلهم ليتحدثوا عن ذلك بل لقد ظل يصطنعهم أفواجاً، أفواجاً ليتحدثوا بأساليب وأصوات ولغات وحساسات مختلفة ومن سموات مختلفة ليظل الحديث عن أمجاده وطفانيه وجبروته وربهوته وعن إعجابه بنفسه وحبه لها ووقوفه معها ضد كل شيء وفي كل المواقف وفي كل الاختلافات معها في كل شيء وعن علمه لكل الغيب السالف والآتي والذي لن يأتي.

- نعم، ليظل الحديث عن كل ذلك مشتتلاً صارخاً في كل الدهور والأماكن..

لقد كان ممكناً ومعقولاً بل ومطلوباً مفيداً أن يبعث نبياً واحداً فقط ليبلغ ويحلم ويقول ويفسر كل شيء بأساليب ولغات وبيانات وفصاحات تصلح لكل العصور والعقول والأخلاق والناس. أي إن كان محتملاً أن يكون في هذه الأرض أنبياء وأديان..!

إن ذلك يحمي بل يتخذ من تعدد الأديان والنبوات والأنبياء.. عظيم، عظيم ما في هذا من القوائد والمنافع والحماية من الشرور ومن الفظائع واللمنات والنكبات والعداوات والمشاحنات والأحقاد والبغضاء والحروب التي صنعتها وبصنعها تعدد الأديان والأنبياء بل وتعدد الآلهة لأن تعدد الأديان والأنبياء هو في كل تفاسيره ولغاته ونتائجه لن يكون إلا تعدداً للآلهة، فإله أي دين ونبي غير إله الدين الآخر والنبي الآخر...

وتعدد الآلهة يعني تعدد الأحقاد والخلافات والعداوات والأسلحة التي يتخاصم ويتعادى ويتلاعق ويتقابل بها الأعداء.

.. ولكن هذه النعمة والحماية أي أن يكون النبي والدين واحداً لكل البشر لم يتما.. لإنهما لم يتما لرغبة الإله المسعورة في أن يظل الحديث عنه وعن أمجاده ومزايه وعن علمه بالغيب وبكل شيء حديثاً بملأ الحياة ويشغلها ويملأ كل شيء ويشغله دائماً، دائماً.. أن يظل حديثاً متجدداً بكل اللغات والأصوات والأساليب... وقد نقل الإله شيئاً من مزايه هذه إلى الزعامات والقيادات العربية وخص

الثورية منها بالنصيب الأكبر أي والأقبح الأفضح من ذلك...! هل علمهم أم علموه أم لا معلم ولا معلم؟

.. إن تعدد الأديان والأنبياء لإحدى النكبات التي حلت بالإنسان ولا تزال حالة به بل ولا تزال تتجدد، تتجدد...!

هل كل الأشياء تموت أو يموت أو يضعف أو يذبل الحماس لها أو تنسى إلا الآلهة والأديان والأنبياء فهي تتجدد؟ وتجددها اليوم رهيب، رهيب.. لقد كانت تتعادي وتتبارز وتتقاتل بالأيدي والرماح والمخارج والسيوف والأفواه المحاصرة في المنابر والمحارب وفي الكتابة على الألواح...! فكيف اليوم؟ فكيف حينما تتعادي وتتقاتل بالشموس والنجوم والأقمار والمجرات وبطاقاتها وأشعتها وعيونها ومن فوقها؟ إن هنالك أمرين لا مثيل لهما في إلحاحهما وفي ضخامة الحاجة إليهما: أن يصبح البشر دولة واحدة وأن يكون لهم دين واحد ونبي واحد وإله أوصافه وأخلاقه واحدة فهل يتحقق ذلك؟



... فالإله الذي هو بكل هذا الشره إلى أن يعلن عن نفسه وأن يعلن عنه كل شيء بأنه عالم بكل غيب بل وراء لكل غيب كيف لم يتحدث عن أي شيء من هذا الكون الذي حدث وكان يوماً غيباً، غيباً.. عن هذا الكون الذي هزم وأذل وفضح وغير كونه الذي كان يباهي ويعلن أنه لن يتغير وأنه كل الكمال...!

.. لقد تحدث عن القمل والنمل والذباب والضفادع والصراصير والهداهد والغريان والكلاب وعن أصفر وأحقر الكائنات والأشياء فلماذا لم يتحدث عن أي شيء من هذه الحضارة التي من المحتوم أنها اليوم قد أصبحت كل انبهاره وانزعاجه وهمومه واهتمامه وكل التحدي والتعجيز والقيظ والإدلال والهزيمة له بل وكل التهديد لمستقبله ولعرشه ولكل ما قال وعلم وأنزل وأراد.. لموهبته وقدرته على التخطيط والتصميم والإخراج محاسباً ذلك ومقارناً له بقدرتها أي بقدرة هذه الحضارة.. قدرتها التخطيطية والتصميمية وقدرتها على إخراج ما نخطط وتصمم وتخلق...!

.. ما أقسى المقارنة بين أي تخطيط وتخطيط الإله أي من حيث الحوافز والأهداف والنتائج.. إنها مقارنة تصنع الحرج والفرز والاندهار والهجاء للنفس والاستحياء منها ولها. من النفس ولها...!

هل كف عن الحديث عنها والإخبار بها غيرة منها وحسداً لها؟ هل تفوقها الذي سوف يكون حكم عليه بالصمت الحزين المهين أي الصمت عنها؟

ماذا نقول من التفسيرات المحتملة لصمت الإله عن الإخبار بهذه الحضارة التي كانت سوف تأتي والتي أتت اليوم أي أتت بدايتها لتحول إلى ذهول وسؤال لكل التصورات والمقول: كيف حدث هذا؟ كيف حدث؟ أم أنه أي الإله صمت عن ذلك هذا الصمت المريب الذي يصعب أو يستحيل أن

يوجد له أي جواب ملائم أملاً في أن يظور مواهبه وقدراته لكي يكون حينما تأتي أي هذه الحضارة قادراً على مناقشتها ومناقشتها ومواجهتها أو على التعامل معها وبها وعلى فهمها، هل يستطيع التعامل معها أو الفهم لها؟ هل استطاع ذلك هو أو من يتعاملون معه؟

وإذا كان هذا حسابه في هذا الصمت فهل نجح في حسابه؟ أم أن التفسير لصمته هذا الذي يحتاج إلى كل الخبراء والعباقرة والمفسرين لكي يقاسوا في محاولة تفسيره.

- نعم، أم أن التفسير لذلك أنه كان في حسابه مع نفسه قد قَرّر وصمّم وأمل أن يمنع حدوثها أي حدوث هذه الحضارة بكل قواه وقوى أعوانه فاقتنع أنها لن تأتي لهذا لم يتحدث عنها؟

كيف لم يمنع مجيئها؟ أعجز أم كسل واسترخاء؟

إنها أقوى وأذكى خصومه وأعدائه ومنافسيه..!

لن نحتاج إلى استعارة ذكاء لكي ندرك أن وجود هذه الحضارة بطلاقاتها وقيمها العلمية والعقلية والنفسية والأخلاقية وبياداعاتها وعطاياها المادية والفنية والفكرية والتحررية ليس مما يرضي الإله أو يريحه بل إن ذلك ليصنع له كل الإزعاج والفزع والخطر والإذلال والتهديد بكل ما يخاف منه..!

هل كان يريد إسقاط نفسه وعرشه بها أي بهذه الحضارة يأساً وهرباً منهما أي من نفسه وعرشه ومما يقاسي ويواجه ويرى واحتقاراً ورفضاً لما يأخذ ويجد ويقبض ثمتاً لتفاهة وعذاب وتكاليف وجوده، لهذا رأى أن تأتي هذه الحضارة لكي تفرغه من وجوده ومن نفسه؟ هل كان أي الإله يريد الانتحار بهذا الأسلوب؟

هل ذلك كذلك؟



هل التفسير لصمته هذا أي عن ذكر هذه الحضارة غيباً بالسنة ونبوات أنبيائه أنه صدم بها حينما رآها وعلمها وشاهد ضخامتها وتفرقها فنياً وعلمياً ومنطقياً بفروق ترفض المقارنة على كل ما فعل ويفعل فأصابته الإغماء والغيبوبة أو بالذهول القاسي الذي جعله يصمت عنها أي عن هذه الحضارة فلا ينبيء بها كما أنبأ ورغب أن ينبيء عن كل غيب عرفه أو رآه أو تصوره وظلته..؟

.. هل التفسير أنه تحاور طويلاً، طويلاً مع مواهبه البلاغية البيانية متسائلاً هل تستطيع أي مواهب البيانية البلاغية أن تتحدث عنها أي عن هذه الحضارة حديثاً لا يتحول إلى كل العار لكل حديث وبيان وبلاغة.. حديثاً يستطيع أي قارئ أو سامع له أن يقول إنه حديث متحدث عن هذه الحضارة.. وبعد التساؤل والتشاور والتحاوّر الملتب مع مواهب البلاغية البيانية قالت له بكل الانهزام والذعر: اصمت أيها الإله.. اصمت فلن أستطيع ولن تستطيع، فاستجاب بمسكنة وغيظ وصمت بل وباستسلام حزين، حزين..؟!

هل التفسير لصمته الإله عن الإنبياء بهذه الحضارة على السنة أنبيائه وأديانه كون الأعداء هم

الذين سوف يخلقونها ويحيونها ويهيئونها ويعلمونها ويصدرونها. وتقوى الإله وتدينه وعروبته وأصاليته تحرم عليه وتحميمه من أن يعترف بمزايا الأعداء فكيف يتحدث أو يعلن عنها بل تحرم عليه وتحميمه من أن يصدق أنه يمكن أن تكون للأعداء أية مزايا؟

الأعداء لهم أو قد يكون لهم مزايا؟ هل يطبق هذا إله محمد أو محمد أو قوم محمد...؟
أليس دينه ودين نبيه محمد ودين قومه العرب ودين أتباعه المسلمين وتدينهم برفضان بكل الحماس والإيمان أن يكون للأعداء أية مزايا وبصران على إنكار مزاياهم مهما كانت ضخامة مزاياهم بل مهما كانت مزاياهم هي كل المزايا؟ حتى إبليس القاهر لهم بمزاياه بصرون على إنكار مزاياه وعلى إنكار بسالته وحرته؟!



آه.. ماذا؟ ماذا لو أن الله تنبأ في قرآن محمد بكل التفاصيل عن الصعود إلى القمر.. ذاكراً أسماء النازلين فوق القمر ووطنهم وأعمارهم ودينهم واسم المكان الذي انطلقوا منه وأوصاف السفينة التي أقلتهم وحجمها ووزنها وطولها وعرضها وعدد الأيام والساعات التي استغرقتها الرحلة وتاريخ بدايتها ونهايتها وماذا رأوا ووجدوا هناك وكيف عادوا وفي أية حالة عادوا وماذا كانت العواقب الدولية والعلمية.. نعم، ذاكراً كل ذلك وغيره وكل شيء يتصل بهذه الرحلة؟

.. ماذا لو أن ذلك قد حدث وقرأه العالم بعد الرحلة مسجلاً في قرآن محمد بكل التفاصيل بكل الدقة والصرامة..؟

ما الذي كان محتملاً أن يحدث حينئذ؟ ما أعظم ما كان محتملاً أن يحدث.. ما أروع وأقواه.. أية قوة لا يستطيع فهمها أرادت وأصرت بل وقالت لكي لا يحدث ذلك؟

أليس مما لا بد أن يحدث حينئذ أن يجن كل العالم إيماناً وإعجاباً بمحمد ودينه وقرآنه وإلهه وقومه، وأن يصبح القرآن هو كتاب كل العالم وأن يتحول أي كل العالم إلى أتباع ورعايا وتلاميذ للعرب ولدينهم ودينهم وإلى مسلمين مستسلمين لهم، وأن يبايع أي كل العالم... يبايع العرب قادة وخلفاء وزعماء ومعلمين له بلا أي منافس أو منازع، وأن تلغى كل الأديان وكل الكتب المنزلة وكل الأنبياء ليقبى الإسلام وحده والقرآن وحده ونبوة محمد وحدها..

.. أن يتغير العالم وكل شيء متحولاً إلى الأفضل والأزكى والأطهر وأن يعتف ويقوى الالتزام بالتدين والتقوى والأخلاق البريئة النظيفة القوية طاعة للدين وللقرآن وللنبي الذي أخرج بهذه الرحلة القمرية الكونية ورآها وقرأها ووصفها قبل حدوثها بأربعة عشر قرناً؟

هل يمكن أن يوجد حينئذ من لا يؤمن أو من لا يصبح أتقى الأنبياء افتراضاً.

.. هائلة ورائعة وعظيمة هي النتائج لذلك لو أنه قد حدث..! إن من عطاء ذلك أيضاً أن تموت أو تهون وتضعف الشكوك والخلافات والمنازعات والادعاءات والانتماءات المخربة المتخاصمة المتقاتلة المتشائمة..!

وأيضاً من عطايها ذلك أن يكون فخر العرب بأنفسهم وأسجادهم فخراً حقيقياً بدل أن يظل أبداً فخراً عطالياً شعرياً وأن يصدق ادعائهم الدائم بأنهم قد وهبوا الوجود والحياة والإنسان شيئاً جيداً بدل أن يكونوا دائماً موهوبين كل شيء جيد عندهم.. بأنهم قد وهبوا ولو أخباراً صادقة ونبوءات لا أفعالاً...

حتى الأخبار والرؤى والنبوءات الصادقة الذكية لبيت العرب وهبوا..!

إذن لماذا لم يحدث ذلك وله كل هذه المزايا والمنافع؟ هل تعمدت ذلك يا إلهي أي ألا يحدث؟ هل أنت متآمر ضد نفسك وضد العرب وضد كل شيء؟ هل أنت أردأ وأقسى متآمر؟ هل حرمت نفسك من هذا المجد وحرمت كل العالم كذلك لعنف رغبتك في أن تحرم العرب ونبي العرب منه؟

حتى أنت يا إلهي تحسد العرب وتناضل لكي تحرمهم من كل مجد؟

أيها العرب، أيها المسلمون، يا كل البشر اسألوا الإله، أغرقوه بالأسئلة.. قولوا له بأسلوب ونيات المحاسبة والمحاكمة: لماذا لم تفعل ذلك.. لماذا؟ لماذا؟

حاسبه، حاكمه، أغرقه، أحرقه بالمسألة والمحاسبة..!

كان يستطيع أن يصنع أعظم مجد بأقل تكاليف بل بلا أي تكاليف فلم يصنع.. إذن أية محاسبة ومعاقبة تكفي لمحاسبته ومعاقبته؟

ما أقسى ورطات المؤمنين حينما يسألون هذا السؤال أو يفكرون فيه أو يتحاورون ببسالة مع إيمانهم.. هذا السؤال يقول: لماذا لم يفعل الإله ذلك؟ لماذا؟ إنه سؤال لا بد أن يسأله أو يجب أن يسأله كل شيء وكل أحد..!

إن من لا يسأل هذا السؤال فلا بد أن يكون الله أو أحد غيره قد فعل به شيئاً..!

.. ما أكثر وأقوى وأقسى الأسئلة التي لا بد أن يسألها الإنسان وكل شيء موجهة إلى الإله وإلى كل شيء فيه وعنه أي لو لم يرد ويخلق الإله كل شيء صامتاً عن الأسئلة..

ما أعجب الصيغة التي صيغ بها الإنسان.. إنه مهما سأل كل الأسئلة عن كل شيء فإنه يظل بعيداً جداً عن الأسئلة التي يجب أن تكون كل الأسئلة.. عن الأسئلة التي يجب أن تكون موجهة إلى من يجب أن توجه إليه كل الأسئلة..

إنه لو سأل أو مهما سأل الحشرة أو الوحش أو المشوه أو البليد أو الدميم أو الكافر أو الآثم أو الزلزال أو الموت: لماذا جئت أو لماذا جاء هكذا لما سألت الفاعل لذلك كذلك لماذا فعلت كما فعلت ولا لماذا جئت كما جئت ولا لماذا جاء وفعل كما جاء وكما فعل. إنه يحاسب الخطأ والمخطيئة ولا يحاسب المخطيء والخاطيء، ويحاسب من فعل الخطأ والمخطيئة ولا يحاسب من فعل به الخطأ والمخطيئة.. من فعل به فعل الخطأ والمخطيئة. إن من فعل الخطأ والمخطيئة مفعول به فعل الخطأ والمخطيئة.

إن كل مخطيء وخاطيء، ليس إلا كائنين قد فعل بهما الخطأ والخطيئة..

.. إن الخاطيء والمخطيء مفعول به قبل أن يكون فاعلاً..!

لقد صممت صمماً أبدياً رؤى الإنسان وفكره وأخلاقه ومساءلاته عن أعظم القضايا..

صممت هذا الصممت تبليداً أو عجزاً أو رهبة أو يأساً من أن تجد الجواب أو التفسير المقنع المرضي أو فراراً من قبح أو ضعف الجواب أو التفسير الذي قد يقال أو لا يذ أن يقال..! هل الخطأ أو الغباء هو الذي يصنع ويرسخ عقائد الإنسان واقتناعه وصمته تفكيره وضلال رؤاه وموت رؤاه أم الذي يصنع ذلك هربه إلى العجز والراحة وإلى الكسل والاسترخاء والتوقف عن النشاط والتوقع الفكري والنقسي.. أليس الإيمان محطة استرخاء وكسل وجلس؟ أليس الإيمان فراراً من الصراع والتضال العقلي والنفسي بل والأخلاقي والإنساني؟ إذن أليس الإيمان عجزاً وتقصيراً وذنباً لا تقوى؟ هل الإنسان يؤمن لأنه يعرف أم لأنه لا يريد أن يعرف ويخاف أن يعرف ويرفض أن يعرف ويرفض المحاولة لأن يعرف وعاجز أن يعرف؟

هل المؤمن أكثر أو أقوى معرفة أو حياً أو إخلاصاً وطاعة للحق والحقيقة من غير المؤمن؟

هل قلب المؤمن أو مخه أو عواطفه أو حواسه أو أي عضو من أعضائه أكبر حجماً أو أذكى أو أنقى تكويناً من غير المؤمن؟ هل المؤمن يرى الكون ونظامه أو فوضاه أو جماله أو دمايته أو منطقته أو عيشه أذكى أو أقوى مما يراه غير المؤمن؟ هل المؤمن أكثر إنسانية في أي معنى من معانيه أكثر من غير المؤمن؟ إذن لماذا جاء مؤمناً ولم يجيء مثيله مؤمناً؟

هل للمؤمن علاقات سرية بالإله ليس لغير المؤمن شيء منها أو مثلها؟ هل بينهما صفة توجب أقوى العلاقات؟

هل المؤمن مؤمن لأنه مؤمن أم لأنه غير مؤمن؟ هل المؤمن أذكى أو أنقى أو أصدق إيماناً من أقوى، وأكثر الناس رفضاً وإنكاراً للإيمان؟ هل يمكن أن يكون المؤمن كما هو كائن أو أن يحيا كما يحيا أو أن يعامل الناس ويتعامل معهم كما يعاملهم ويتعامل معهم لو كان مؤمناً؟ إذن هل المؤمن مؤمن أم شعار ولغة مؤمن؟ هل المؤمن مؤمن بأعضائه أكثر من غير المؤمن؟

هل المؤمن يرى العادة أو الآفة أو الحشرة البائسة أو الدمامة في جمال الإله وفي رحمته وحكمته وعبقريته ومحبته أو يسمع الأنة أو الآهة أو الصرخة الفاجعة الموجهة في أذني الإله.

- نعم، هل المؤمن يرى ذلك أو يسمعه غير ما يراه ويسمعه غير المؤمن؟

هل الإله كشف ذاته وألقى بالحجاب عن وجهه ليراه المؤمن في كل ذاته أكثر مما فعل لمن ليس مؤمناً أو دون أن يفعل ذلك لمن ليس مؤمناً؟

هل الإله قد صاغ قلوب المؤمنين وهو في حالة رضا وسرور ومحبة وذكاء وصاغ قلوب غير المؤمنين وهو في حالة غضب وكآبة وبغض وحقد وعجز وبلادة لهذا جاؤوا متناقضين تناقض الحالتين اللتين صاغناهم؟

هل أراد الإله أن يكون عادلاً ونيبلاً بأساليب وتفسير ليست معهودة ولا منقولة بل ولا مقبولة
نقسم البشر إلى فريقين: فريق مؤمن ليكونوا له عبيداً ورعايا وإلى فريق غير مؤمن ليكونوا للشيطان
خصمه القوي الباسل العنيد الحر عبيداً ورعايا؟ هل أعجب أي الإله بيسالة الشيطان فقرر أن يقسم
البشر بينه وبينه؟ هل وجد أن البشر يسعدون بطاعتهم للشيطان أكثر من سعادتهم بطاعتهم له فهمهم
هذه السعادة؟

... وقد كان سخياً ونيبلاً جداً أي الإله إذ جعل لخصمه وعدوه الأكبر النصيب الأوفر في هذه
القصة أو التقسيم، بل لقد كاد يجعل كل البشر محسوبين من نصيب الشيطان ومحولين إلى نصيبه
متنازلاً عن حقوقه فيهم كرمياً وشهاماً..!

لقد أصبح من الصعب جداً أن يوجد من وجدوا وظلوا رعايا للإله إذا وضعوا تحت الحساب
والمحاسبة الدقيقين الحادين.. أما الشيطان فلن يخاصم في رعاياه ولن يشك في ولائهم له..!
وأنت أيها القارئ إن وجدت وأنا من رعايا ونصيب أي الخصمين تحت: الإله أم الشيطان؟
ولكن أيهما أفضل لنا أن نكون هذا أو هذا؟

ما أضعف أملنا في أن نكون من نصيب الإله وأضعف أمل الإله في أن نكون من نصيبه..!
إنه لا يوجد ولن يوجد ولم يوجد من تنازل ويتنازل تنازل قادر كل القدرة لعدوه عن كل النصر
في كل معاركه معه ليكون هو أبداً كل المنهزم ويكون عدوه أبداً كل المنتصر.
- أجل، إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد من فعل ويفعل ذلك غير الإله..!

إن تنازل الإله عن الإنسان للشيطان تنازل لا يستطيع أي شيء في هذا الوجود أو في غيره أن
يقبله أو يقبله أو يفره.. أتنازل هو أم هزيمة؟ أيهما؟ والتنازل في هذه القضية ليس خسراً أو هواناً أو
عداياً للمتنازل فقط بل وللمتنازل عنه أكثر.. أي تفسير أو سر وراء تنازل الإله عنا لإبليس؟
هل سحر الشيطان الإله فجعله يوقع مسحوراً على وثيقة هذا التنازل؟

.. إن القصة أو الحادثة الفاجعة تقرأ وتفهم هكذا: خلقنا الله ماناً علينا مباحياً راضياً عن نفسه
معلنأ بكل الأجهزة واللغات عن مباحاته بنفسه وبرضاه عنها وعما فعل ثم وهبنا للشيطان..!.. وهبنا له
بكل السخاء والتقوى..! ثم ذهب بكل التضرع والاستجداء والتوسل والعجز يطالب باسترداد ما
وهب..!

هذا كل معنى القصة أو الحادثة الكبرى..!

هل يوجد عقل أو قلب أو ضمير أو خلق لا يتفجر بل لا يحترق انفجاعاً وغيطاً واشتمزازاً
ودعراً من ذلك؟

اقرأوا القصة أو الحادثة يا أصحاب العقول والضمائر النائمة أو الميتة أو التي لم تخلق.. يا
أصحاب العقول والضمائر المدفونة في أرذاً التوايت.. اقرأوها.. اقرأوها..!

اقرأوها بانفجاع.. بكل الانفجاع.. إن الإنسان في مستواه المطلوب أو المقبول أو المفترض هو

كل لغات وتفسير الانفجاع.. هو الذي يقاسي أبداً من الانفجاع بكل معانيه..

والذين لا يتفجمون مهما واجهوا هل يمكن أن يحسبوا بشراً في معانيهم مهما كانت صيغهم؟
هل يمكن أن يغيروا ويظفروا؟

أليست بداية الإنسان العظيمة المتطورة هي الانفجاع والاندحاش؟ أليس مما يتميز به الإنسان على من دونه موهبة التعجب والانفجاع والاندحاش؟ أليس مما يتفوق به المتقدم المبدع على المتخلف العاجز الانفجاع والاندحاش والتعجب؟

أليس الانفجاع هو بداية الفعل وسلاحه ورؤيته وتفكيره الجديدين؟ إن موهبة الانفجاع هي موهبة الإنسان التي تنطلق منها جميع مواهبه والتي تحرك جميع مواهبه..!

هل الانفجاع أو الاندحاش أو التعجب بالتعليم أو بالافتداء أو بالمواجهة لما يفعل ذلك؟ ليت ذلك كذلك؟ ليته ممكن أن يحول ذلك إلى مواد دراسية تدرس وتعلم في المدارس والجامعات والمعاهد أو حتى في المساجد والكنائس والنواصي والمجالس.. إنه حينئذ أي الانفجاع والاندحاش والتعجب لا بد أن يكون أغلى وأعظم وأرفع ما يدرس ويعلم..!

إن فقد الانفجاع لأقوى فجيعة، إن الانفجاع لأتقى معاني التقوى.. إن الإنسان وحده هو الذي يصاب بالانفجاع دون كل الكائنات الأخرى.. حتى الملائكة إنهم لا يصابون بالانفجاع ولهذا يفعلون كل الفطائع والفضائح والقبائح والجرائم التي يفعلون مطيعين للأوامر دون أن يقاسوا من الانزعاج أو الغضب أو الاستنكار ودون أن يرفضوا أو يعصوا أو حتى يحاوروا أو يسألوا أمرهم ومسخرهم الذي هو أقطع وأقوى وأطفي أمر ومسخر..!

إن الملائكة لو كانوا يقاسون أي قدر من الانفجاع لما وجد مثلهم ثواراً على رئيسهم ومليكمهم وقائدهم وأمرهم..!

والإله لو كان يعرف أو يعيش أي قدر من الانفجاع هل كان يمكن أن يخلق أو يواجه أو يرى أو يعيش هذا الوجود كما خلقه وكما يواجهه وبراه ويعيشه؟

هل كان يمكن أن نرى أو نجد حينئذ شيئاً من هذه الآثام والآلام والعبث والقبائح والشرور التي تغطي كل هذا الوجود بل هل كان يمكن حينئذ أن يوجد هذا الوجود أو شيء منه؟

إن الإله لا يفجع أو يتفجع بشيء أو من أي شيء لهذا وجد هذا الوجود كما وجد وبقي كما وجد..!

إنه لن يرضى عن هذا الوجود وعن مواجهته ورؤيته وقراءته إلا من يرى ويفرأ ويواجه ويفهم ويتفعل بعقل وقلب وعواطف وأخلاق وعيني حجر..

ويجب هنا الاعتذار إلى الحجر..!

والمراد بالانفجاع الغضب والرفض والاستنكار المزعج بالقلب والعقل والضمير والأخلاق مما يرى أو يسمع أو يعلم.. فطبع، فطبع ما يرى ويسمع ويعلم..!

.. والذين لا يقاسون أقصى المقاساة هذا الغضب والرفض والاستنكار بالعقل والقلب والضمير والأخلاق هل يمكن أن يناضلوا النضال الصادق العنيف المنتصر لمقاومة وإزالة أي شيء رديء أو لإيجاد وتشيد ونصر أي شيء جيد أو جميل؟

أليس كل شيء جيد وجميل هو عطاء الرفض والغضب والاستنكار بالقلب والعقل والضمير والأخلاق وكذا مقاومة وإزالة وهزيمة كل شيء رديء أو ذميم أو دميم هو عطاء ذلك؟

ليت كل طاقات الانفجاع قد تجمعت في الإله. إنه لا فجيرة ولا انفجاع ولا منفعج لو كان الإله مصاب بالانفجاع، أي إنه حينئذ لن يخلق أي شيء فاجع.. أي شيء يوجب الانفجاع أو يصنعه أو يوحى به أو يحرض عليه أو حتى يعلمه..!

إنه لن يوجد أي منفعج لولا وجود ما يفجع، وإنه لن يوجد ما يفجع لولا وجود الإله الذي لا يفجع..!

إن كل انفجاع لن يكون إلا انفجاعاً بذات الإله أو بسلوكه وأفعاله، أي إن كل ما يصنع الغضب والقيظ والذعر والاستنكار لن يكون إلا ذات الإله أو فعله...

.. إلا ذاته مقروءة ومفسرة ومتصورة ومحاسبة منتظرة فاعلة وإلا فعله مواجهاً معاملاً مرثياً متحولاً إلى هذا الوجود أو إلى أي وجود..!.. إنه لا يوجد فاعل لكل الانفجاع دون أن يقاسي من أي انفجاع غير الإله..!



هذا بعض ما يقال عن القسم المتفوق من سلالات الإنسان.. ويعني هنا التفوق التكويني الذي تخلق عنه كل أنواع التفوق وصاغ ووهب كل أنواع التفوق..!

والمتفوقون هذا التفوق لا بد أن يتفوقوه مهما كانت الزواجر والنواهي والمثبطات الدينية أو التعليمية أو التاريخية أو الاجتماعية التي يواجهون، كما أن تفوقهم هذا أو أي تفوق أي تكويني لن تخلقه أو تضخمه أو تسرع به المحرّضات أو الأوامر أو الوعود الدينية أو التعليمية أو التاريخية أو الاجتماعية حتى ولا فردوس الأنبياء بكل غلمانته وحيورياته وبكل ما فيه محولاً إلى وعد توقّعه وتشهد عليه وبه الآلهة والأنبياء والملائكة وكل سكان السماء. إن الفردوس بكل ما فيه لن يستطيع أن يكون ثمناً لتخلق العبقريّة أو حتى الذكاء فيمن لم يخلق عبقرياً ولا ذكياً..!

.. إن تفوقهم هذا ينبت أو يتخلق أو يولد فيهم كما يتخلق وينبت ويولد فيهم لون جلودهم وعيونهم وكل سمات وأوصاف أبدانهم بل كما تتخلق وتنبت وتولد فيهم أعضاؤهم مع اختلاف في التعبير والصفة وفي أشياء أخرى..

إنه مهما استطاع إرهاب التفوق أو طرده أو مطاردته أو مقاتلته أو اتهامه وسبه أو وضع كل المعوقات والمثبطات والحواجر والسدود أمامه فإنه لن يستطيع قتله أو إضعافه أو منعه من التخلق والمجيء.. المجيء بأشكال الصور والصيغ والأساليب.. إنه لا يمكن قتله أو موته مهما أمكن بل وقع

قتل المتفوق وموته، كما لا يمكن إيجاده أي إيجاد التفوق أو المتفوق حتى ولو تحولت كل الآلهة إلى شعراء لامتداحه وإلى متضرعين ومصلين طلباً لمجيئه وإلى إعلانات عن قدومه ولترحيب به..

.. إن التفوق وكذا التخلف لا يخلقان وإنما يتخلقان.. لا يطلبان ولكن يتكونان ويجيشان بلا استئذان من الرضا والتقبل أو من الغضب والرفض.. بلا مبالاة بهذا أو هذا وبلا اهتمام بالنفع أو الضرر.. يتكونان ويجيشان بلا أي حسابات من أي نوع وبلا أي تفاسير..!

إن التفوق لا يجيء أو يتخلق لأنه نبيل أو محب أو لأنه نافع، وإن التخلف لا يجيء أو يتخلق لأنه نذل أو عدو أو شرير أو لأنه ضار وإنما يجيشان كما يجيء الجسم جميلاً أو دميماً.. قوياً أو ضعيفاً.. أسود أو أبيض.. بعاة أو سوياً سليماً أي بلا نيات جيدة ولا نيات خبيثة رديئة!

حتى التقوى النفسية والسلوكية والأخلاقية إنها موهبة وليست طاعة لدين أو تعليم أو موعظة وكذا الخروج على هذه التقوى.. فمجيء الأديان والنبوات والكتب المنزلة لم يفعل ولن يفعل شيئاً في هذه القضية.. إنها ليست إلّا عبثاً وخسراً وتكاليف بلا أجر أو ثمن أو تعويض وصراحاً بلا أي سامع.. إن الإنسان لم يعاقب حياته مثلما عاقبها بها أي بالآلهة والأديان والنبوات والكتب المنزلة..!

.. ولهذا فإن من لا يؤمن بأي دين أو تعاليم أو آلهة قد يكون تقياً هذه التقوى النفسية والأخلاقية والسلوكية وقد يكون خارجاً على هذه التقوى، كما أن المؤمن بأقوى الآلهة والأديان والتعاليم وبها كلها أقوى إيمان وكل إيمان قد يكون ملتزماً بهذه التقوى وقد يكون خارجاً عليها مع الاختلاف في النسب لاختلاف المواهب الإنسانية النفسية والعقلية والأخلاقية والعاطفية لا للاختلاف في قوة الإيمان والدين أو في ضعفهما..!

.. الدين والإيمان ليسا إلّا لغات لأخلاقنا ومواهبنا الإنسانية..!

وقد يكون من لا يؤمن بأي إله أو دين أو نبي تقياً هذه التقوى أقوى وأصدق من المؤمن بكل الآلهة والأديان والأنبياء لأن مواهبه وطاقاته ورواه وحساباته الإنسانية أقوى.. قد جاءت أقوى مما لدى المؤمن من ذلك..! قد يكون ذلك كذلك..!

وقد تكون الأسباب معقولة ومفهومة ومجوبة ومرئية أي التي تجعل غير المؤمن بالآلهة والأديان والأنبياء أقوى مواهب إنسانية من المؤمن لهذا يجيء أقوى منه في التقوى الإنسانية والنفسية والأخلاقية والسلوكية والعاطفية، كما أنه يجيء أقوى منه في إبداع الحياة وفي صياغتها صياغة أقوى وأذكى وأجمل بل وأتقى وأحكم وأرحم..

وأقوى وأكثر علاجاً لأخطاء الإله وخطاياهم وتشوّهاته وتشويهاته وإخفاء لها وتخفيفاً من قبورها وعذابها..

كما أنه أي المبدع غير المؤمن قد يكون أكثر نفعاً للإله من المؤمن لأن إبداعاته تتحول إلى مسلاة وإلى فرح وسعادة وإعجاب ومرح له أي للإله وإلى تعويض عن نقصه فيما فعل وخلق وإلى دعاية جيدة له حين يذهب المؤمنون يدعون بكل المباهة والتصديق أن الله هو الذي علمه ذلك وهذه إليه، بل وحين يذهبون يدعون ويعلمون بكل الجهر والديمومة أن جميع ابتكاراته واكتشافاته قد

سبق إليها وإلى إعلاناتها في كتابه المنزل أي الإله ويذهبون يحشدون النصوص من الكتاب المنزل الدالة على ذلك ليحولوها إلى أبهر وأقهر المعجزات القاهرة الباهرة لكل المصور والشعوب. أليس هذا حادثاً؟
ألم يحولوا كل ما اكتشفه وعرفه غير المؤمنين إلى براهين على صدق الإيمان؟

...وكم هي فضيحة وهزيمة للمؤمن والإيمانه لو أقيمت مقارنة بين التقوى النفسية والعقلية والسلوكية والأخلاقية والإنسانية التي يتعامل ويلتزم بها ويحيها ملحد مبدع عبقرى والتي يتعامل ويلتزم بها ويحيها أحد كبار معلمي الدين والإيمان من شيوخ وأحبار ورهبان بل وخلفاء راشدين وغير راشدين؟

إن جميع مبتكري الأديان ودعاتها ومعلميها من أنبياء وشيوخ ورهبان لم يهبوا الحياة أو البشرية من المزايا والمنافع المادية والمعنوية أو الإنسانية بكل تفاسيرها وصيغها شيئاً مما وهبه لها إنسان واحد كل علاقاته بالأديان إما الإهمال التام أو الرفض العنيف أو الحياد البارد..!

ماذا لو قرأنا أو تصورنا الحياة مفترضين أنه لم يأت إليها ويعمل فيها ويحيها الممدودون بلا دين أو الخارجون عليه أو الناسون أو الناقدون له، وأن المؤمنين من أنبياء وشيوخ وأحبار ورهبان ودعاة ووعاظ ومعلمين ومفسرين للدين وعاملين ملتزمين بطوقسه هم كل من جاؤوا إلى الحياة وكل من عملوا فيها وصاغوها وخططوها ونظموها وعاشوها.. مفترضين أنه لم يأت إليها إلا الله وملائكته وأنبيأؤه والمؤمنون بهم الرايون عنهم؟

هل تستطيع حينئذ قراءة الحياة أو تصورها؟ هل يستطيع الإله حينئذ أن يباهي بخلقه لها أو بإعطائنا إياها أو يجرؤ على أن يمن علينا بها وبمعاشتنا لها وفيها أو يفكر في أن يطالبنا بشمن ذلك أو في أن يزعم أنه هو صانعها أو صاحبها أو أنه يعيش فيها أو فوقها أو أنه يواجهها أو يراها أو يعلم بها؟ نحن هنا نفترض الإله كائناتاً يقبل ويرفض.. يعجب ويشتمز..!

أليس هذا الافتراض مبالغه كاذبة مسرفة في تقدير الإله؟

بل هل يقبل حينئذ أن عبده أو أن يؤمن به من يحيونها أو يتموا إليه بأي معنى من معاني الانتماء فكيف يقبل أن يتخاطب معهم بالأنبياء أو بالأديان أو بالملائكة أو بالكتب المنزل أو بكل ذلك؟
وبكل التفاسير كيف أمكن أن يتخاطب الإله مع من خلق راجياً مؤملاً واعظاً واعداً راشياً متعلقاً خائفاً ألا يطاع ومحترماً؟



لقد طال الحديث عن السلالات الإنسانية المتفوقة أي تفوقاً تكوينياً طبيعياً ذاتياً أي إلزامياً لا يستطيع منعه مهما استطاع إرهابه أو تضليله أو معاقبته أو مطاردته أو إخفاؤه أي موقفاً وبأسلوب ما..!
أما السلالات الإنسانية المتخلفة أعني تخلفاً تكوينياً فكل قوانين الطبيعة وأخلاقها ومنطقها وتجازيها ورؤيتها والرؤية لها تحكم بوجودها وبفسوة وبؤس وجودها بل وباتساع وجودها.. إنها تغطي الوجود والتاريخ..!

إن هذه السلالات موجودة وتهين وتشوه وتعذب وتحقر بوجودها كل هذا الوجود وإن كان يصعب ويقع ويحرج ويؤذي جداً تحديدها وتحديد مكانها وقومها..!

إن المتخلفين شتى أنواع التخلف كثيرون بل هم الأكثرون.. ولكن المشكلة أو الحيرة أو السؤال: هل تخلفهم هذا تخلف تكويني ذاتي طبيعي أم تخلف حضاري علمي مكاني زمني وقتي ظرفي يمكن علاجه وتخفيفه كما يمكن علاج وتخفيف أمية القراءة والكتابة وكما يمكن علاج الجهل بقيادة السيارة والطيارة وباستعمال كل عظاما ووسائل وأدوات الحضارة وألوانها وفتونها وأزيائها وتعبيراتها أي حتى يستطيع التعامل معها وبها..!

إن التخلف التكويني لا بد أن يتحول إلى كل أنواع التخلف وأن يعني كل أنواع التخلف.. التخلف العقلي والعلمي والثقافي والفكري والفني والأدبي والصناعي والحربي والعاطفي والإنساني بل والأخلاقي والديني والاعتقادي واللغوي التعبيري بل والنفسي ولكن ليس محتوماً أن تعني كل هذه الأنواع من التخلف - ليس محتوماً أن تعني التخلف التكويني الذاتي الطبيعي الذي لا يستطيع الخلاص منه.

قد تكون فترة خمول أو خمود أو غيبوبة أو إعياء أو ضياع أو انهيار أو انهيار أو نهاية رحلة أليمة محطمة أو نهاية تاريخ كئيب ذليل مدمر جبان مرسخ كل أسباب ومعاني الجهل والتخلف تحتاج الإفاقة والخلاص منه والتخلف له إلى طاقات طاقات.. وصدمات، صدمات..

أليس الاستيقاظ وفتح العينين من النوم وبعد النوم أحياناً يكون بطيئاً ثقيلاً وأحياناً خفيفاً سريعاً؟
أليس استرداد الصحة يأتي أحياناً قفراً وأحياناً حبواً؟ أليست عبقرية الفرد تعلن عن نفسها في سن العشرين أحياناً وأحياناً في سن متأخرة عن ذلك؟

أليس كل شيء يجيء سريعاً وأحياناً وأحياناً يجيء بطيئاً؟

إذن كيف يعرف إن كان ينبغي أن يعرف نوع التخلف الذي يقاسي منه أكثر المجتمعات والشعوب والذي يقاسي هو من أكثر المجتمعات والشعوب لأن التخلف يقاسي من المتخلفين كما يقاسي من المتخلفون.

- نعم، كيف يعرف إن كان من الجائز البحث عن معرفته أهو تخلف ثابت أم تخلف زائل؟

يعرف أي يظهر بالتجربة والتحدي وبالمواجهات الصعبة الصانسة والمتحدية والمخيفة والمعقدة المبارزة المحاوررة بكل الأساليب المهينة والمجاملة.. الصديقة والعدوة.. المتخلفون تخلفاً زائلاً أي غير تكويني.. غير ذاتي طبيعي يتغيرون بل يقفزون أمام هذه المواجهات على كل المستويات صيفاً وتقاسير، أزياء وذوات.. خصوصاً ومعاني...!

إن طاقاتهم المحبوسة الصامتة تنفجر وتنطلق بكل الانبهار والحماس والقوة..!

أما المتخلفون تكوينياً طبيعياً ذاتياً فلن تصنع هذه المواجهات ولا أية مواجهات أخرى.. لن تصنع منهم أو فيهم أي شيء جيد، ولن يستطيع التاريخ ولا التجارب أو الهزائم أو المهانات ولا كل

ألوان العذاب والمشاكل والورطات والمقاساة والتهديدات والتحديات أن تصنع منهم أو قبيح هذا الشيء الجيد...

إن الحضارة حينئذٍ قد تصنع ثيابهم ولكنها لن تصنع ذواتهم، أو تصنع لغاتهم دون أن تصنع معانيهم، أو تصنع بيوتهم ووسائل مواصلاتهم دون أن تصنع سكانها والمسافرين عليها، أو تصنع مدارسهم وجامعاتهم دون أن تصنع أساتذتها وطلابها، أو تصنع نظراتهم دون أن تصنع عيونهم أو رؤية عيونهم، أو تعلمهم القراءة دون أن تعلمهم كيف يقرؤون ولا ماذا يقرؤون، أو تعلمهم أن يخالفوا ويخاصموا ويبرزوا ويتحدوا ويحاربوا ولكنها لا تعلمهم كيف يفعلون ذلك، أو تضع في أيديهم أقوى وأذكى وأحدث الأسلحة دون أن تضع في قلوبهم وعقولهم الجرأة أو الذكاء أو في أيديهم القوة، أو تعلمهم كيف يستهلكون دون أن تستطيع تعليمهم كيف ينتجون، أو تلقنهم الشعارات دون أن تريد أو تستطيع تلقينهم الالتزام بها أو الاحترام أو الفهم لها، أو تعلمهم التكلم بلغات الآخرين دون أن تعلمهم العمل أو التفكير بمبراهيمهم أو عضلاتهم أو عقولهم، أو تهبهم أماكن وأصواتاً في المنظمات الدولية دون أن تهبهم مكانة أو منطقاً أو احتراماً فيها، أو تحولهم إلى أرقام وتقرؤهم أرقاماً في تعداد العالم ولكنها لا تجد فيهم معنى الأرقام ولا تحولهم إلى معناها ولا تطالبهم بمعناها ولا تنتظر منهم معناها ولا تريد فيهم أو منهم معناها ولا تفسرهم أو تحاسبهم بمعناها..!

إنها تفعل بهم ولهم دون أن تفعلهم..!

بل إن المتخلفين هذا التخلف لا بد أن يزدادوا تخلفاً إذا واجهوا حضارات وإنجازات المتفوقين وفرض عليهم التعامل معها وبها ومعايشتها وفهمها والأخذ بها، أو إن تخلفهم حينئذٍ ينكشف ويفتضح ويقاسي ويهرق دون أن يزداد لأنه لا يقبل الازدياد كما لا يقبل النقصان..!

ولكن هل يوجد شيء لا يقبل الزيادة والنقصان؟

إن المتخلف بقدر تخلفه أي تخلفه التكويني يكون عجزه وانفضاحه وهزائمه وورطاته إذا واجه المتفوق وواجه إبداعاته وقدراته وفرض عليه التعامل بها ومعها وفرضت عليه مناقشتها ومعايشتها بل أو محاكاتها وتقليدها أو حتى مخاطبتها..!

إنها لأقسى مواجهة مواجهة المتخلف تكوينياً للمتفوق تكوينياً..!

إنه لاحتمال أن يزداد المتخلف هذا التخلف بمواجهته لحضارة المتفوق تخلفاً وليس فقط يظهر ويفتضح تخلفه، كما أنه احتمال أن يزداد جهلاً وبلادة وتخبطاً وتورطاً ووقوعاً في الأخطاء والحقاقات والقبائح والفضائح بل وأن يزداد عجزاً نفسياً وعقلياً وأخلاقياً وإنسانياً..!

لأنها أي حضارة المتفوق تحمله وتلقي عليه ما لا يستطيع أن يحمل، وتعلمه ما لا يستطيع أن يتعلم، وتلقنه ما لا يستطيع أن يفهم، وتره ما لا يستطيع أن يرى، وتخطبه بلغات لا يستطيع إتقانها، وتضعه في طرق لا يستطيع ولا يعرف السير فيها، وتعرض عليه مواجهات ومواقف وأخلاقاً وكيونات لا يستطيع التكافؤ معها، وتلقي به إلى وجود أو إلى كوكب ليس في قدرته أو إرادته أو معرفته أن يعيش فيه أو أن يعايش سكانه بأي قدر من التفاهم أو التلازم أو التكافؤ أو التقارب أو التعاون أو

التواضع وتعبير وتحقر بكل الأساليب تاريخه وتاريخ كل آياته بل وتاريخ كل آلهته وأنبيائه..
.. إنها تفعل، تفعل به وتظل أبداً تفعل به.

وكل هذا لا بد أن يتحول إلى أقصى إرهاب وإذلال وتحطيم لكل معانيه. إنها تفرض عليه أن يكون أكبر من حجمه!
إذن أليس محتمواً أو محتملاً جداً أن يزداد تخلفه وتخلفاً كما هو محتوم جداً أن يزداد أي تخلفه انقضاءً وانكشافاً وإعلاناً عن نفسه؟

إن هذا يعني حتماً أن فرض حضارة المتفوق على المتخلف ومواجهته لها لا بد أن تسيء إليه وتشوهه وتضعفه وتعذبها مهما كانت ضخامة وشهامة عطايها ومساعداتها ومنافعها وإنقاذها له. إنها هبوط به وخسران له مهما كان صعودها به وأرباحه منها.. إنها لعذاب وتعذيب وإهانة له مهما وهبه من الاستمتاع والأبعاد المكتوبة والمخطوب بها والمعلنة والمسجلة والمعترف بها دولياً..!

إنها تهيب ما لا يستطيع أن يفهم أو يتحمل أو يقبل أو يتكافأ معه.

وهذا لا بد أن يعني أن المسافة بين تفوق المتفوق وتخلف المتخلف أي التكويني الطبيعي الذاتي السلافي لا بد أن تزداد اتساعاً وقسوة وإلاماً بمرور الأيام وبالمواجهة بين الفريقين أي النوعين.. بالمواجهة المستمرة..

إن المتفوق يقفز ويظل يقفز في تفوقه وفي تنوع وتجدد تفوقه، أما المتخلف أي تخلف كينونة وذات وسلالة فيظل في طوره الواحد المتخلف أو يزداد هبوطاً وإعياء وتنوعاً وتجدداً وتجديداً في تخلفه لمواجهته الصعبة المرهقة المهيبة المحيرة المخرجة أي مواجهاته لحضارة المتفوق التي تبهر وتمعز وترهب العيون والعقول والخيال والحسابات لو حاولت متابعتها أو تفسيرها أو رؤيتها أو حتى قراءتها أو معايشتها فكيف التكافؤ أو السبر معها.. فكيف التنبؤ بها..؟

لقد عجز كل الأنبياء ومعهم كل آلهتهم وملائكتهم عن الإنباء بها لأنهم عجزوا عن تخيلها وعن رؤيتها..

ماذا لو أنهم استطاعوا تخيلها أو حتى الاحتلام بها؟

ماذا لو رأوها بعيون خيالهم المستيقظ أو بعيون أحلامهم النائمة؟

أليس محتمواً حينئذ أن يحولوا كل نبواتهم وكل نصوص كتبهم المنزلة وكل أوصافهم المثبتة على آلهتهم إلى أحاديث عنها؟

أليس محتمواً ألا يجدوا حينئذ شيئاً يتحدثون عنه غيرها؟

.. إن عيون الآلهة والملائكة والأنبياء عجزت أن ترى أو عجزت ورهبت أن ترى هذه الحضارة لتتنبأ بها.. هذه العيون التي استطاعت وجرت أن ترى الغلمان والخوريات على السرر في الفردوس وفي أيديهم الكؤوس الملأى يصبرونها في أفواه الأنبياء والعبدقيقين المشائبيين النائمين على الأرائك المعزولة المنسوجة من شعور أباط وأجفان جوارى الفردوس وغلمانهم.. النائمين على السرر المختنقة بازدهام وتنافس الغلمان والجوارى عليها..!

لقد تخيلوا ورأوا ما لن يكون وما في كينونته كل العار والفحش والقيح لو كان وتحدثوا عن ذلك بكل الابتهاج والمباهاة وعجزوا عن رؤية وتخيل ما لا بد أن يكون أي ما كان أي ما أصبح كائناً لهذا صمتموا عنه هذا الصمت القاضح المكذب لما يزعمون لأنفسهم من نبوات وتنبؤات وعلم ورؤية للغيب بل ومن خيال أو أحلام جيدة أو ذكية..

إن عيون خيالهم ونبوءاتهم وعقولهم ترى ما لا يرى وما لن يرى وتعجز وتعمى عن رؤية ما يرى وما لا بد أن يرى! إنه لا خيال خارج على كل معاني الخيال وشاتم مفسد مشوه مكذب لكل خيال مثل خيال الآلهة والأنبياء وخیال المتحدثين عن الآلهة والأنبياء..

إن خيال الآلهة والأنبياء وحديثهم عنه بأساليب التنبؤات والنبوءات قد أفسد وشوه وقبح خيال المتحدثين عنهم والمفسرين لهم والمؤمنين بهم..!

ليتهم أي الآلهة والأنبياء تعلموا الخيال والتنبؤ به من أعدائهم.. إن خيالهم والتنبؤ به في كتبهم المنزلة والمحفوظة والسرورية والمعلمة قد أصبح نفاقاً ووزراً على الحياة والتاريخ وعلى المؤمنين بهم المصدقين لهم. لقد أصبح علماً يحفظ ويعلم ويدرس ويفسر وتوظف له الوظائف والموظفون وينفق عليه أسخى وأقصى الإنفاق وتفسر به كل علوم ومعارف البشر واكتشافاتهم وابتكاراتهم العلمية والفكرية والأخلاقية والفنية بل والصناعية بل والصعود إلى القمر وإلى الكون الأعلى.. لقد أصبح أي خيال الآلهة والأنبياء ونبوءاتهم المنزلة كل العلوم والعقول والتنبؤات الصادقة..! إن كل ما يحدث من معارف وعلوم واكتشافات وابتكارات وإنجازات..

- نعم، إن كل ما يحدث من ذلك يصبح مرجحاً أي بعد أن يحدث.. موجوداً في خيال ونبوءات الآلهة والأنبياء المنزلة المكتوبة المحفوظة أي يصبح مرجحاً فيها بعد أن يوجد لا قبل ذلك، أما قبل أن يوجد فلم يجده ولن يجد أحد فيها..!

إن نبوءات الآلهة والأنبياء لا توجد ولا يجدها أو يراها المؤمنون بهم المفسرون لهم إلا بعد أن يوجدوها ويعلموها أعدائهم.. أعني نبوءاتهم العلمية الكشفية الكونية..! لقد أصبح العلميون المبتكرون الكاشفون غير المؤمنين هم أنبياء الآلهة وأنبياء الأنبياء ونبوات النبوات وأصبحوا المفسرين علمياً وكشفياً وغيبياً للكتب المنزلة المقدسة أي بعلومهم واكتشافاتهم واختراعاتهم وتنبؤاتهم..!



والمتفوقون هم الذين يدفعون ثمن وتكاليف تخلف المتخلفين.. هم الذين يزرعون لهم أرضهم، ويشيدون لهم مصانعهم ويصنعون لهم أسلحتهم، ويلجمون ويوجهون ويعقلون ويضبطون لهم أنهارهم، ويكشفون ويستخرجون ويثمنون لهم ثروات أرضهم الطبيعية، ويصنعون لهم الصحة حاميين لهم من الأمراض والأوبئة، ويفرضون لهم وعليهم السلام والاستقرار والاستقلال حاميين بعضهم من بعض، وبالعاجزين من أقصى وأقدم القحط والمجاعات المولودة مع ولادة تاريخهم وأربابهم، ويستمعون إلى حماقاتهم وبذاءاتهم وتهديداتهم بكل الصبر والتسامح والوقار، وقد يخسرون أحياناً شيئاً من دماء

أبنائهم من أجل ذلك، ويتحملون خلافاتهم، ويحرسونهم من نتائجها دافعين في ذلك ومن أجله أغلى الأثمان العقلية والنفسية والأخلاقية والوطنية والسياسية الدولية، ويمذبون ويهينون عقولهم وذكاءهم ويروضونها لكي تستطيع التعامل مع عقولهم أي عقول المتخلفين ومع غيائهم وجهالاتهم، ويجعلون أنفسهم مسؤولين عن مجاعات وأمراض ومشاكل المتخلفين الطارئة أو الموسمية أو الدائمة وعن أمتهم وجهاليتهم..!

وقد يتخاصمون ويتعادون ويتقاتلون أي المتفوقون بعضهم ضد بعض دفاعاً عن المتخلفين وحماية لهم..!

نعم، إن المتفوقين يفعلون كل ذلك للمتخلفين وبهم ويفعلون لهم وبهم أشياء أخرى ولا فائدة هنا من البحث عن النيات فالأعمال وكل الأشياء بتائجها لا بنياتها..

إن كل شيء لا يساوي إلا نتائجه لا نياته حتى الآلهة لا تساوي إلا ذلك..!

وتعامل المتفوقين مع أرض المتخلفين وفيها قد يكون هو الثمن الذي يتقاضونه تعويضاً عن عساثرهم وفواجعهم وآلامهم وضباع جهودهم بتعاملهم مع المتخلفين وبمساكنتهم ومواطنتهم لهم في هذا الكوكب وتعويضاً عن عطايهم ومساعداتهم لهم..!

وتعاملهم مع أرض المتخلفين وبها وعملهم فيها ليس أخذاً منها ولا من أهلها بل عطاء لها ولهم أي ولأهلها. إنه لا يصنع مجد أرض المتخلفين أو يكتشف أسرارها إلا المتفوقون..!

إن أهلها المتخلفين لا يعرفون ما فيها من طاقات وثروات واحتمالات وما فيها من ممرات وطرق ومراسي وموانئ كونية، ولو عرفوا لما فعلوا ولا قدروا. والمتفوقون هم الذين يعرفون ويقدررون ويفعلون..!

والمتخلفون يزعمون ويعتقدون أن المتفوقين يأخذون ويربحون منهم بل وإنهم يؤخرونهم ويقفرونهم ويمرضونهم ويزرعون فيهم الجهل والبلادة والفساد وكل المعاني الشريفة الرديئة القبيحة ويصدونهم ويعوقونهم عن التقدم والقوة والرخاء والفهم والعالم والانتصار بل وعن التدين والإيمان وعن الطهارة النفسية والعقلية والأخلاقية والإنسانية..!

وقد يزعمون يوماً أنهم هم الذين صاغوهم سوداً إن كانوا سود الجلود..!

وهذا الاعتقاد والزعم هما أحد أساليب المتخلفين في التعبير القبيح عن تخلفهم..!

والانشقاق والانقسام الدولي.. الكلي والجزئي الذي حوّل العالم المتفوق أو المتقدم إلى كتل ودول متعادلة أو متنافسة بكل الحساس والتلف جاء نافعاً واهباً بكل السخاء للمتخلفين.. لقد ذهبت بكل جنون التنافس هذه الكتل والدول تبحث بكل الهوان والمسكنة والتضرع عن صداقة وحب ورضا وولاء هؤلاء المتخلفين مؤملة ومطالبة أن يتفضلوا ويمنوا عليها بتقبل كل ما يريدون ويحتاجون إليه لتقدمه إليهم شاكرة راضية سعيدة فرحة معترفة بالتفضل عليها.. التفضل الذي لن تنساه أو تنسى الإعلان عنه والاعتراف به واعده بالمزيد.. المزيد..!

لقد تحولت هذه المنافسة على المتخلفين إلى كل السخرية وأفساها من المتفوقين كئلاً ودولاً.. زعماء وشعوباً.. وتحول المتخلفون إلى متدللين مذلين وموجعين وفاجعين بتدللهم ودلالهم.. لقد أصبحوا غواية وإغراء أكثر من غواية وإغراء الجنس المتقاتل المتنافس عليه بكل الجنون.

.. هل هذا يعني أن الإنسان أو أن الكائن كل كائن يهبط ويخاف من الهبوط والسقوط ويتنظر له ذلك بقدر ما يصعد، وأنه يهون وبذل ويركع ويتضرع ويضعف ويتملق وينافق بقدر ما يقوى ويعز ويضخم ويتفوق وينتصر، وأنه يصغر ويخاف ويطيع بقدر ما يكبر ويخيف ويطاع كما أنه يتصادم ويتعرض للتصادم بقدر ما يتعاضد حجم ذاته، وكما أنه يخسر ويفقد إما حياً وإما ميتاً بقدر ما يربح ويهدد ويملك، وكما أن ضخامة القيل لم تهبه من الأمان أو من المزايا الأخرى أكثر مما وهبت النملة أو الذرة أو الأرنب أو الفأرة ضآلتها من ذلك، وكما أن تفوق الإله الساحق على إبليس لم يهبه من المجد أو السلطان أو الطاعة له أو من الانتصارات أو من الفرح أو السعادة أو من الأتباع والرعابا المخلصين أكثر مما وهب أو مثلما وهب إبليس تخلفه من ذلك؟

ما أحيب حظوظ الإله مقارنة بحظوظ إبليس في تقسيم البشر والحياة بينهما، إذن هل يربح المتفوق من تفوقه أكثر وأعظم مما يربح المتخلف من تخلفه أو بتخلفه أو مع تخلفه أو هل يخسر هذا أكثر أو أقسى مما يخسر هذا أي من وجوده؟

إذن هل يوجد من يربح من وجوده مهما كان وجوده؟ حتى الآلهة هل يمكن أن يوجد من يجزئ على الافتراض بأنها رابحة من وجودها أو بأنها قد تربح من وجودها أو بأنه قد يوجد خاسر من وجوده مثل خسرانها من وجودها؟

إن كل شيء يجب أن يحزن للآلهة لضخامة خسرانها بوجودها!

هل يجزئ على الافتراض بأن الشمس تربح من وجودها أكثر أو أفضل مما تربح أية شمعة أو مما يربح أصغر نجم حتى ولو افترضت الشمس كائناً حياً يريد الربح ويعرفه ويفسره؟ هل يربح الكون من وجوده لو جاء أكبر مما جاء؟

هل في وجود الموجود ربح له كيفما جاء؟

لهذا هل يمكن أن يريد أو يقل أن يوجد أي موجود لو تخير قبل أن يوجد بين أن يوجد وألا يوجد؟ لهذا لم يعط أي موجود هذا التخير والاختيار لهذا وجد الوجود؟ حتى الآلهة أنها لم تخير هذا التخير ولم تعط هذا الاختيار..!

وكم يجب الاستيقان أو الافتراض بأنه لا حزن ولا غضب كحزن الآلهة وغضبها لأنها قد حرمت من هذا التخير والاختيار.. الآلهة لم تختار وجودها.. ما أفبح وأفطع هذا..!

.. وكم يسيء إليها أي إلى الآلهة ويطعن في كرامتها وشرفها وذكائها وكبريائها من اعتقد أو حتى ظن أنها راضية عن وجودها أو سعيدة به أو حتى قابلة له أو رابحة منه أو غافرة أو مسامحة لمن أوجدها إن كان لها موجد أو لو كان لها موجد..!

ما أقسى التصديق في خسائرها أي الآلهة وفي أرباحها من وجودها أي لو كان لها من وجودها أية أرباح؟

ما أقسى وأدوم عذابها من تكبيرها في أرباحها وخسائرها من وجودها أي إن كانت تفكر في ذلك.. لو كانت تفكر في ذلك..!

الآلهة تفكر في خسائر وجودها وأرباحه.. الآلهة لا تفكر في ذلك..!

هل يطاق هذا أو هذا؟

أليس غضبها على وجودها هو الذي صاغ أخلاقها وتصرفاتها البائسة الأليمة المقروءة والمرئية والميثوقة في كل هذا الوجود الذي أريد ودير وخطط وصنع بكل الغضب والغيط والألم والتهور والضياح والمرارة والاكتئاب؟

كائن يصنع الجحيم عقاباً والفردوس ثواباً ويرسل الأنبياء والأديان بكل هذه الوعود والوعيد هل يمكن تصور مثله غيظاً وغضباً وأسى وتوتراً وألماً وانفجاعاً وبأساً ورغبة وحسرة وتوقعات ومواجهات حزينة أليمة قاسية، قاسية مشوهة مخربة معذبة مفسدة للذات.. لكل معاني الذات وتقاسيرها..!

إن الذات التي تصدر هذه الوعود والوعيد لن تكون ذاتاً معقولة أو عاقلة!

.. إن المبالغة المجنونة في تصنيف الوعد والوعيد لا بد أن تعني أقبح وأرذأ التفاسير.. وهل يمكن تصور جنون مبالغة في الوعد والوعيد مثل الوعد بالفردوس والوعيد بالجحيم.. بالفردوس والجحيم المنزلين المقروئين الموصوفين في الكتب المنزلة أي في الكتاب المنزل؟

إن من يبالغ في وعده ووعيده إلى أن يقتحم المستحيل فلن يكون شخصية سوية أو سليمة. لن يكون كاذباً ومتهوراً فقط، إنه لا بد أن يكون أسوأ وأرذأ من ذلك كثيراً.. إن الكذب يحتاج إلى مقادير من الذكاء والوعي والفن. قد تكون حاجة الكذب إلى ذلك أكثر وأعظم من حاجة الصدق إليه. الكاذب يجب أن يكون ذكياً وفناناً أكثر من الصادق..!

إن المؤمنين الذين صدقوا وتقبلوا هذا الوعد والوعيد بالجحيم والفردوس دون أن يفجعوا ويصدعوا بكل القسوة لن يكونوا قد تعاملوا مع أي قدر من الذكاء أو العقل أو التفكير أو المحاسبة كما لن يكونوا قد قاسوا أو يقاسون أي معنى من معاني الاحترام لمن روي لهم عنه هذا الوعد وهذا الوعيد بهذا الجحيم وبهذا الفردوس ولمن رواهما لهم ووعدهم وأرعدهم بهما. أليس احتراماً لمن نحترم ألا نصدق عنه وفيه ما يهين الذكاء والعقل والصدق والوقار؟

ألنسا نهين ونعتدي ونسب بالتصديق أقسى مما نفعل ذلك بالتكذيب؟

أليس التصديق أحياناً إهانة وتكدياً وتجرعاً وكفراً أكثر من التكذيب ومن الكفر؟ أليس كل تصديق هو تكدياً؟

أليس التصديق لأي شيء هو تكدياً لشيء مضاد؟

.. إنه لاقتراض إن لم يكن حتماً أن إيمان المؤمنين بهذا الوعد والوعيد أي بالفردوس والجحيم بكل أوصافهما المرورية وبغيرهما من الوعود والتعودات الدينية المتخيلية لكل حدود وحواجز المعقول والمقبول والسمكن.

- نعم، إن إيمان المؤمنين هذا بذلك قد أفسد وأذل وشوه وعوّق ذكاءهم وتفكيرهم وتصوّراتهم وكل رؤاهم ومحاسباتهم للأشياء بل ولأنفسهم؟ أليس ذلك إساءة إليهم مثلما هو إساءة إلى من آمنوا له بهذه الوعود وبهذا الوعيد؟

إن الإيمان في أكثر الأحيان إساءة وسباب لمن كان الإيمان به.. إن من لم يؤمن بالشيء فلن يكون قد أساء إليه أما المؤمن بالشيء فقد يكون إيمانه به سيئاً وإهانة وتشويهاً له..!

.. إنه لمحتوم بل وواجب أن أحسب مبالغاً بكل إسراف المبالغة في رؤيتي هذه أي في رؤيتي للعلاقات بين المتفوقين والمتخلفين التي سبق الحديث عنها..

ولا لوم ولا إنكار على من رأيي مبالغاً هذه المبالغة بل قد يكون اللوم والإنكار على من لم يرني كذلك..!

إنها لرؤية يصعب أو يستحيل تغيلها أو حتى الحديث عنها والاستماع إليها في مجتمعاتنا مهما كانت أقل من الواقع المرئي بل العالي لكل الرؤى.. إن مجتمعاتنا لا تقبل من يرى أو يعرف فيتحدث.. إنها تريد من لا يرى فيتحدث. تريد من يسمع فيتحدث..!

.. إن مجتمعاتنا عنيفة جداً في رقة تقواها وتهذيبها وأحاسيسها حتى لقد أصبحت لعنف رقتها هذه وضعفها لا تطيق الحقائق الصعبة وغير الملائمة وغير المرضية لرققتها هذه المحولة لها إلى كل معاني الضعف وصيفه كما أصبحت لذلك لا تطيق الحديث عنها أي عن الحقائق الصعبة ولا الاستماع إليها كما أصبحت لا تطيق رؤية الأضواء القوية التي قد تكشف الحقائق الصعبة غير المرضية الملائمة المجاملة لرققة تقواها وتهذيبها وأحاسيسها التي حوّلتها إلى أكبر وأشهر سوق لتقبل كل أنواع التزوير..!

.. لهذا أصبح المزيّفون المنافقون المدللون المخاطبون لخصائصها هذه المطاردون للحقائق الصعبة المؤلمة وللأضواء القوية الكاشفة لها هم كل أنبياء أسواقها ومنابرها ومحاريبها بلا أي منافس.. إنه لو جاء إليها أي إلى مجتمعاتنا العربية نبيان: نبي يراها تحت أضواء الشمس ويتحدث عنها وإليها كما يراها وكما يرى.. ونبي يراها ويسمعا في الظلام ويتحدث عنها وإليها كما يسمعا لما قاست أو ترددت أو تحيرت لكي تختار النبي الذي تؤمن به من النبيين..!

إن كل الأنبياء والمعلمين والكتّاب الذين عاشوا ورسخوا في التاريخ العربي وفي الحياة العربية إنما كانوا يطفئون كل الأضواء ويهربون من كل الأضواء ثم يذهبون بكل الرؤية يتحدثون عن كل شيء تحت كل الأضواء زاعمين أنهم هم مضيو كل الأضواء..!

إن كل الأنبياء والمعلمين والدعاة وأغلب القادة والزعماء إنما كانت رؤاهم في الظلام. كانت رؤاهم قوية ويقينية لأنها كانت في أحلك الظلمات..!

إن رؤية من يرى في الظلام أقوى تأثيراً وإقناعاً وإرضاءً من رؤية من يرى في النور..!



.. المجتمعات والشعوب مقسمة إلى جماعات من حيث الأعمال والممارسات أي من حيث وظائف الحياة.. إنهم حكام وقادة عسكريون وسياسيون وزعماء وعلماء وكثاب ومفكرون وأساتذة ومعلمون وعمال وفنانون وقنيون ومزارعون وشيوخ دين وغير ذلك. وهم متنقلون في هذه الوظائف والأعمال والممارسات ومتنقلة فيهم وعليهم.. وهذا التنقل يأتي بأساليب وفي ظروف متعددة.. وجماعات المجتمعات أو السلالات المتخلفة تخلفاً تكوينياً لا بد أن تكون كلها متخلفة.. فالحكام والقادة والزعماء والعلماء والكثاب والمفكرون والمعلمون والأدباء متخلفون ولا بد أن يجيشوا متخلفين كما أن العمال والمزارعين والفنيين وأصحاب الحرف والأعمال اليدوية وغيرهم وغيرهم لا بد أن يكونوا كذلك متخلفين في نفس المستوى ونفس الأساليب..

ولكن كل جماعة من هذه الجماعات المتعددة لتعدد أعمالها وممارساتها يجيء تخلفها معترفاً عن عملها ووظيفتها.. فتخلف الحاكم والقائد والزعيم والمحارب يجيء تخلف حاكم وزعيم وقائد ومحارب، كما أن تخلف الكاتب والعالم والمفكر والمزارع والعامل والحرفي يجيء تخلف كاتب وعالم ومفكر ومزارع وعامل حرفي وهكذا.. إنه كله تخلف ولكن الأساليب مختلفة ومتعددة..! ولو تبادلوا الوظائف والمناصب لجاء التخلف كما جاء أو لبقى كما كان..!

.. ولا يمكن أن تكون جماعة من هذه الجماعات متخلفة أي هذا التخلف التكويني الذاتي الطبيعي في أي مجتمع أو سلالة من هذه المجتمعات أو السلالات ثم لا تكون كل الجماعات متخلفة، كما لا يمكن أن تكون جماعة مجتمع أو جماعة سلالة متفوقة أو متقدمة ثم لا تكون كل جماعاتها أو جماعاتها كذلك مع الاختلاف المحتوم في أسلوب التعبير عن ذلك..!

ولا بد أن يفهم أن هذا الحكم يعني به التعميم لا التخصيص أي في المجتمعات المتفوقة أو المتقدمة، فليس كل فرد في أية جماعة من جماعات هذه المجتمعات أو السلالات المتفوقة أو المتقدمة لا بد أن يكون أو ينتظر أن يكون متفوقاً متقدماً. فكل التفوق والتقدم فيها ولكن ليس كل أفرادها متفوقين أو متقدمين. إن الستان الجيد لا يعني أن كل نبتة أو كل شجرة فيه جيدة..!

وبهذه الرؤية أو التفسير فإنه إذا تعاقب بديمومة الحكام أو القادة أو الزعماء الفاسدون أو الرديون أو العاجزون أي المتخلفون في مجتمع أو شعب من المجتمعات أو الشعوب فإن هذا يعني أن كل جماعاته أو طوائفه متخلفة أي هذا المجتمع أو الشعب.. كل جماعات علمائه وكثابه ومفكره ومعلمه وشيوخه وأحباره وزعمائه وعقائمه ومزارعيه وفنانيه وفنانيه وغيرهم وغيرهم.. كما أن تخلف جماعة من هذه الجماعات بديمومة في أي مجتمع من المجتمعات لا بد أن يعني تخلف حكامه وزعمائه وقادته بل وأنبيائه بل وآلهته..!

ولن يكون حيثي تغيير الحكام والقادة والزعماء علاجاً بل لن يعني شيئاً غير تكاليف التغيير التي

قد تكون فادحة كبيرة وأليمة جداً.. ما أعظم ما خسر البشر بتغيير الحكام والقادة والزعماء بالقوة.. بل ما أفدح خسائر البشر بتغيير الآلهة والأنبياء والأديان..!

.. وليس تخلف جماعة من هذه الجماعات هو الذي صنع تخلف الجماعات الأخرى أو ساعد عليه أو أغرى أو أوحى به كما لن ينتظر من أية جماعة أن تعالج الجماعات الأخرى أو أية جماعة منها - أن تعالجها من تخلفها أو أن تعينها على ذلك..

إن تخلفها يأتي إليها جميعاً، كما أن تفوقها أو تقدمها يأتي إليها كذلك أي لو جاء..

إن المتفوق لا يفعل أو يخلق تفوقه ولكنه يفعل به أو يتخلق فيه وكذا المتخلف. إن الكائن لا يصنع تفوقه ولا تخلفه إلا بقدر ما يصنع ذاته وصيغة ونوع وجنس ذاته..!

إن الكائن لا يكون بالإرادة بل بقوانين الكينونة حتى الإرادة لا تكون بالإرادة ولكن بصيغ وقوانين الذات والكينونة.. إن كل شيء يوجد ويكون بالتخلق لا بالخلق حتى طاقة الخلق وإرادته إنما توجدان وتكونان بالتخلق لا بالخلق.. إن كل شيء تكون لا تكوين..!

.. وبكل الغباء والبلاهة والنشوة التي وجدت كل العقريات والمعجزات والحلول لكل المشاكل والعقد والمتاهات في كلمة واحدة تردّد هذه الكلمة غائبين عن كل تفكير ورؤية وحساب وتجربة: وإذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدرة.. نردّها بكل الغيبوبة وكأننا بها نغزل ونسج ونصوغ الكون.. كأننا بها نقرر ونضع ونفسر قوانين الطبيعة.. قوانين كل هذا الوجود. كأننا بترديدها نصوغ كل كينونة نريدها..!

إذن ليرد الأبله أن يكون عبقرياً لكي يصيح كذلك.. وليرد أغبي وأعجز وأضعف وأجهل الناس وأكثرهم دماثة وتشوهاً أن يكون أذكى الناس وأقواهم وأعلمهم وأجملهم لكي يصيح كذلك.. .. ليرد الأرنب أن يكون أسداً، والتملة أن تكون فيلاً، والقزم أن يكون عملاقاً، وأمسود اللون أن يكون أبيض لكي يكون ذلك..!

.. إذن ليرد كل كائن أي شيء وكل شيء ليكون ما أراد.. ليرد الإله أن يكون الإنس والجان كما يريد لكي يكون له ذلك.. لينجو من الغيظ والفضب والعصيان والتحدّي له.. لينجو من عذاب ذلك وتحقييره وهوانه وإذلاله له. هل يوجد مفجوع مصدوم مثل الإله؟ إذن هل يوجد محتاج إلى الإنقاذ من كل أنواع المقاساة مثل الإله؟

.. ليرد كل نبي وكل معلم وكل صاحب مذهب أن يكون وحده المستقبل المحبوب المنتصر في كل الأسواق وكذا كل زعيم وقائد وحاكم ورجال ليكون له ما يريد..

إن كل الأحياء يريدون الحياة حتى أضعف وأصغر وأعجز الحيوانات والحشرات فهل استجاب لهم القدر كما أرادوا منه؟ إن من أصبحوا أعظم العباقرة وأقوى الأقوياء وأغنى الأغنياء لم يريدوا الحياة أو لعلمهم لم يريدوا الحياة أكثر مما أرادها أجهل وأغبي وأضعف وأفقر الفقراء والجهلاء والضعفاء والأغبياء.. إن الساقط في امتحان الدراسة المدرسية أو الجامعية قد يكون أكثر وأقوى إرادة للنجاح من مثيله الناجح..!

.. الله نفسه يريد ويريد وأبداً يريد فلا يستجيب له القدر بل ويفعل دائماً ضد ما يريد أي القدر.. إنه كما يقول ويقول أنبياءه يريد لنا وبنا الخير واليسر والهدى والإيمان وأن نكون ونكون ويكون كل شيء كما يريد ومطالب وأمر ورجو ويحب..

.. لقد تحمّل تكاليف إرسال وإنزال الأديان والأنبياء لأنه يريد لنا.. فهل استجاب له القدر أو هل يمكن أن يستجيب له؟

بل هل يمكن أن يوجد من خرج ومخرج القدر على إرادته مثل الإله أي بالتفسير المراد بالقدر هنا؟

وقد يدافع عن هذا القول البائس بأن يقال: إن المراد بالإرادة هنا التصميم فيكون المعنى: وإذا الشعب صتم يوماً على أن يحيا حياة قوية سعيدة منحضرة منتصرة كريمة فلا بدّ أن يستجيب القدر أي فلا بدّ أن يحدث ما صتم عليه..

وهذا أيضاً لن يكون صحيحاً لأن التصميم وحده لن يفعل.. إن التصميم يحتاج إلى أشياء كثيرة منها القدرة والذكاء والعلم والتدبير والحسابات المعقّرة وإلى الظروف الجيدة وغير المضادة.. إن التصميم وحده سلاح بلا ذخيرة بل سلاح يطلقه حامله على نفسه أو بهدّد به نفسه أي منفذاً تصميمه أو محاولاً تنفيذه..!

.. إن كثيراً من الكلمات المرددة تتحول إلى مخدرات وإلى عزاء كاذب مضلل خادع للمجتمعات العاجزة المتخلفة.. إنها تظل تنشدها وتكررها وكأنها تصوغ وجودها بها أو تخطط وتعد لصياغته أو تعلن عن بدئها بصياغته أي بإنشادها لإحدى هذه الكلمات..!

قد يتحول إنشاد الأمثال المأثورة إلى تعويض عن الفعل..

إن أصدق تعريف للإنسان أنه المرید الذي لا يفعل إرادته مهما فعل.. المهزوم أمام إرادته مهما انتصر.. المعذب بإرادته المفجوع بها مهما سعد.. إنه المرید دون أن يريد إرادته.. إن الإرادة بلا إرادة..!

إن الكينونة لا تكون بالإرادة وإنما تكون الإرادة بالكينونة..!

لهذا فإن كل كائن يريد بأسلوب وصيغة كينونته..

إنها إذا اختلفت الكينونة واختلفت صيغها اختلفت الإرادة..

.. إننا نريد لأننا نكون ولا نكون لأننا نريد. إن الإرادة ليست إلا إحدى تعبيرات ومخلوقات ومسخرات وموظفات الكينونة..!



وهناك قولة مكررة ومرددة أخرى وهي مخطئة مثل هذه القولة ولكنها ليست في بلاهتها.. تقول هذه القولة: «الحاجة أم الاختراع».. يقول القائل هذه القولة معتقداً أنه بذلك يكشف أسرار هذا الكون وأنه يقرأ على الآلهة ويعلمها ما يجب أن تعلمه وأن تستفيد منه..!

«الحاجة أم الاختراع»، من قالها؟ لقد كان قائلاً في غيبوبة..!

.. ليست الحاجة أم الاختراع ولكن القدرة.. القدرة بكل معانيها هي أم الاختراع والاكتشاف والإبداع والإنجاز وأم كل شيء إبداعي..

.. إن المخترع والمكتشف هو كائن أو إنسان قد استطاع وليس كائناً أو إنساناً قد احتاج.. ولو أنه كان محتاجاً لما كان أكثر أو أقوى احتياجاً ممن لم يخترع ومن لم يخترع.. لهذا فإن المخترع والمكتشف قد يخترع ويكتشف ما ليس هو محتاجاً إليه وما ليس محتاجاً إليه أحد أو ما لا يحسب أن أحداً قد يحتاج إليه.. بل قد يخترع ويكتشف ما هو مضاد للحاجة ومقاوم لها..

وليست المجتمعات أو الشعوب أو حتى الأفراد التي اخترعت واكتشفت وأبدعت وغزت الفضاء وصعدت فوق الكون وإلى الكون وفعلت وبهرت وقهرت أشد احتياجاً إلى ما فعلت من المجتمعات والشعوب والأفراد التي لم تفعل شيئاً من ذلك.. وليس الذي اكتشف مرضاً أو اخترع علاجاً لمرض أو لوباء كان هو أو أهله أو هو وأهله وشعبه يقاسون من هذا المرض أو الوباء ويحتاجون إلى الإنقاذ منه أكثر ممن لم يخترعوا ويكتشفوا ويفعلوا أي شيء جيد أو مفيد... وليس الحيوان المفترس أو الطائر أحوج إلى الاقتراس والطيран من الحيوان الذي ليس كذلك أي ليس مفترساً ولا طائراً..

ولهذا فإن المستقبل الضخم الباهر لمن يستطيعون وليس لمن يحتاجون...

إذن أيها الضمءاء الفقراء المرضى المهزومون احذروا فإن احتياجكم إلى القوة والصحة والغنى والانتصار لن يصنع لكم ذلك ما لم يصنعه لكم التفوق في القدرة الذاتية، بل إن احتياجكم بدون هذه القدرة لا يهتأ أن يتحول إلى مزيد من الاحتياج.. إلى مزيد من العجز عن الاختراع والابتكار والاكتشاف وعن العمل الجيد القوي.. لا تنتظروا من أشدكم احتياجاً أن يصبح أعظمكم اختراعاً!

.. إنه لم يكن يوجد أشد حاجة إلى قطرات الماء من العرب في جزيرتهم الظمأى فهل اخترعوا أنهاراً أو ينابيع أو سحاباً ممطراً أو سماءً ممطرة أو إلهاً باكياً لتتحول دموعه إلى نهر أو ينبوع أو إلى قطرات أو رذاذ من المطر أو حتى إلى آبار روية أسخى وأفضل من الآبار التي كانت والتي عجزوا عن الاستسقاء بها ومنها بأسلوب جيد أو ذكي؟ لقد كان احتياجهم إلى اختراع مثل هذا الإله احتياجاً توجبه وتطالب به كل ظروفهم وحياتهم..!

نعم، حتى مثل هذا الإله عجزوا عن اختراعه..!

لقد كان كل ما فعلوه في مواجهة هذا الاحتياج المذل المهلك أن اخترعوا صلاة الاستسقاء.. يا له من اختراع عربي لا تجرؤ كل الاختراعات أن تدخل معركة المنافسة له.

وتفسير هذا الاختراع لمن لا يعرفه: إنه إذا طال بل إذا دام شح السماء فلم ترسل شيئاً من دموعها ليتقاطر من عيون السحاب تجمع المؤمنون في العراء ليصلوا للإله صلاة يسمونها صلاة الاستسقاء لكي تدمع عيناه أي عينا الإله لتتحول دموعه إلى قطرات من المطر. لكي تدمع عيناه رحمة أو ندماً أو انفعاجاً..!

لقد عجز ورفض وجهل الإله والسماء والسحاب أن يفهم أو يتعامل أو يتعاطف مع هذه الصلاة أو يقتنع بها أو يستجيب لها بل أو يشارك فيها أو يحضرها. إنها صلاة بلا ميثب عليها أو مستقبل لها. إنها مناجاة ومخاطبة وتضرع لصخور الصحراء!..

.. وقد كان من الممكن أن يوجه اعتراض أو سؤال إلى المصلين هذه الصلاة ليقال لهم: إذا كانت الصلاة تخترق قوانين الطبيعة فيجئ المطر حيث لا مطر فلماذا لا تصلون راجين ومطالبين أن يجيء أو يتخلق نهر دائم، ليكون الأمل والطلب والاستجابة والعطاء والنتائج أعظم وأكبر وأنفع وأدوم وأقوى وأذكى!..

وكم في هذا من الفوائد والمنافع والراحة والتكريم حتى للإله نفسه.. أليس في هذا إنقاذ له أي للإله من الإحراج الدائم بالمطالبة الدائمة له الفارضة عليه أخلاقياً ونفسياً وعقلياً ووظيفياً أن يستمع إليها ويستجيب لها؟ أليس الفاعل يعظم بقدر عظمة ما يفعله، ويصغر بقدر ما يصغر ما يفعله ويريد ويتره؟

أليس مطالبته بالأضخم واستجابته لهذه المطالبة أعظم تمجيدهاً ومجداً له؟ أليس مطالبته بكل الأنسان المغفودة كلها ليعيدها كلها فيعيدها أفضل وأعقل وأتقى وأكرم وأكثر راحة له من مطالبته بها سنأ، سنأ ليعيدها واحدة بعد واحدة، بعد واحدة أي إذا كان سوف يطلب منه فيستجيب ويريد أن يطلب منه ليستجيب؟ أليس تحريك عضلات الإله لتصنع نهراً دائماً أفضل وأعظم من تحريك عضلاته لتصنع سحابة لتزول قطرات من المطر؟

أليست صناعة النهر الدائم أعظم راحة للإله من أن يصنع كل عام سحابة؟



.. إن الحاجة لا تصنع الاختراع وإنما تصنع الآلهة والأديان والأوهام والدجالين والمضللين المخادعين وتصنع العذاب والضييق والرؤى والخطوات والأخلاق الضائعة الخاطئة المدمرة والعواطف الأليمة القبيحة العدوانية الشريرة كما تصنع الهوان والمذلة.. تصنع كل ذلك بإرادة التداوي منها والظفر بها!..

.. إن كل الوجود والحياة والكيونات احتياج.. احتياج دائم شامل.. فهل هذا يعني أن كل وجود وحياة وكيونة اختراع بكل نماذج وصيغ وتفاصيل الاختراع أي إذا كانت الحاجة أم الاختراع؟ لقد هان وسهل ورخص إذن الاختراع والمخترعون.. إن الحياة والوجود سوف يضيقتان حينئذ بالمخترعات التي لن يتسع لها هذا الوجود ولا أي وجود..



والحاجة أم الاختراع؟ إذن يا أصحاب أعنف وأحر وأضخم وأكثر الحاجات طوبى لكم.. كل المعجذ والبشرى والفرح لكم لأنكم سوف تصبحون كل السادة والقادة أو أقوى السادة والقادة في العالم

لأن مخترعاتكم ومبتكراتكم ومكتشفاتكم وإنجازاتكم لا بد أن تصوغ وتقود وتحكم كل العالم لمقررتها وقوتها وكثرتها وضخامتها وتفوقها، لأنها لا بد أن تجيء متكافئة مع احتياجاتكم ورداً ملائماً عليها.. إذن فلتردكم الأقدار احتياجاً وقسوة وشمولاً في الاحتياج لكي تزيدكم قوة ومجداً وتفوقاً وإبداعاً...

.. هكذا تقول كلمة: «الحاجة أم الاختراع». لقد وجد من يصدقون!..

بائس هو العقل الإنساني.. كم يستقبل من الأكاذيب والضلالات والبلادات والجهالات والشعوذات والبلهات والإهانات واللطمات والصفعات لكي يتقبل ويصدق ويؤمن ويبلغ ويمضغ ويهضم ويختزن ويحترق.. بل لكي يخضع ويستسلم ويأبى ويشكر..!

كم يلقي من أنواع الأوحال والقاذورات في عقل الإنسان دون أن يمتليء أو يزدهم أو يغلق أبوابه ونوافذه أو يضع حراسة أو حماية أو شروطاً على أبوابه ونوافذه..

.. دون أن يحدد أو يحاسب أو يفحص ما يلقي فيه من ذلك!..

هل يوجد عرض مباح بل معروض بلا أية حماية لكل الفاجرين الفاسقين الفاسدين المصابين بكل الأمراض الخبيثة مثل العقل الإنساني لكي يصيبوه بكل دنسهم وقبحهم؟

إن الإنسان لا بد أن يضع شيئاً من الحراسة والحماية أو كل الحماية والحراسة على كل شيء له أو فيه أو يتصل به إلا عقله فإنه لا يضع له ولا عليه أي شيء من ذلك..

إنه لا يوجد موهوب لكل اللصوص والمخربين والمحنتين والأغبياء ليفعلوا به ما يريدون ويستطيعون مثل عقل الإنسان...

إنه لا يوجد من يهتق ويستفرخ ويلقي فيه وعليه كل الباصقين والمستفقرين والملقين مهما كانت أوصافهم وأخلاقيهم ونياتهم وأمراضهم بلا أية حماية محلية أو دولية.. أخلاقية أو دينية أو فكرية أو صحفية أو إنسانية..

- نعم، إنه لا يوجد من يفعل به كل ذلك بلا أية وقاية أو حراسة أو شروط مثل العقل الإنساني!..

إنه لا يوجد مستودع لكل الزبالات، لكل أنواع الزبالات مثل أعظم شيء في الإنسان وهو عقله!..

إنها لمشكلة.. إنه لو أمكنت حماية كل شيء وأي شيء من العدوان عليه ومن التخريب والإفساد له لما أمكنت حماية العقل من ذلك!..

إن العقل هو الكائن المتفرد بألا حماية له!..

لقد تحول أغلى وأكرم وأنفع شيء في الإنسان والحياة إلى أرخص وأهون وأضر وأخسر شيء فيها!..

إنه لا أمل في حماية العقل أو الفكر الإنساني من الزيف والضلال والسقوط والهوان مهما تعاضلت عطايه وإنجازاته وانتصاراته وتحليقاته.. إنه المنقذ الذي لا منقذ له ولا منقذ منه!..

.. إنها لأقسى مأساة وأعظم ورطة أن يكون الهادي هو المضل والمهتدي هو الضال والمعلم

هو المجهل والواهب هو الآخذ ومعلم الصعود هو معلم الهبوط والسقوط ومتقبل السقوط والهبوط والفاعل بنفسه السقوط والهبوط..!

إن كل جيوش العالم وأسلحته ومعاهداته ومحالفاته وحراساته وحدوده ومعارفه وحضاراته وطبه وعقائره واكتشافاته وأديانه وأخلاقه لا تستطيع أن تحمي العقل من الزيف والضلال والغواية والخداع والانخداع والغباء والبله والسقوط ومن التصديق لأكذب وأبله وأجهل الخرافات والعقائد والمكائد والدعابات بل ومن قبله هو لكل ذلك...!

من أين يجيء الإنقاذ أو ينتظر مجيئه إذا كان صانع الهدى والصواب هو صانع الخطأ والضلال وكان واهب البصر هو المانع من الرؤية والمفسد لها وكان النبي هو الدجال وكان الملاك هو الشيطان.. إذا كان الإله الذي يرسل الأنبياء ليهدوا ويصلحوا هو الإله الذي يرسل الأبالسة ليضلوا ويفسدوا وكان الإله المخطئ الصانع للوجه الجميل هو الإله المخطئ الصانع لأفزع التشوهات لكي يزرعها في الوجه الجميل..

إذا كان العقل الذي قال لنا وعلمنا ويقول لنا ويعلمنا كل الحقائق والذكاء هو العقل الذي قال ويقول لنا وعلمنا ويعلمنا كل الأباطيل والغباء أو هو المحسوب والمزعوم هذا وهذا والقابل لهذا وهذا، مزعوماً ومحسوباً هذا وهذا..

.. إذا كان العقل لا يصعد إلا لكي يهبط، ولا يقوى إلا لكي يضعف، ولا يستطيع إلا لكي يعجز، ولا يعلم إلا لكي يجهل، ولا يبني ويعمر إلا لكي يهدم ويخرب، ولا يقود إلا لكي يقاد، ولا يعز إلا لكي يذل، ولا يرى إلا لكي يفقد الرؤية ويفقأ العيون الرائية والعيون التي تريد الرؤية أو تحاولها؟ هل وجد مقاوم ومفسد للرؤية وللفهم وللتفكير وللصدق بل وللعقل مثل العقل؟

.. أليس كل هذا هو كل تاريخ العقل وكل حاضره وكل مستقبله؟

وهل يكون شيئاً من الدفاع عن العقل أو مزيداً من الاتهام له والهجوم عليه أن يقال إنه لم يكن في أغلب مواقفه ورؤاه أو فيها كلها إلا عميلاً مطيعاً لغيره. إنه أبداً أو غالباً يرى بغير عينيه، ويفكر بغير فكره، ويتكلم بغير لغته، ويقف في غير مكانه وعلى غير قدميه، ويقاتل بغير سلاحه وغير أعدائه، ويعمل لغير مجده ولغير حسابه! لقد كان أبداً كذلك وسوف يظل كما كان!

هذا التفسير للعقل هل فيه شيء من الدفاع عنه والفرق به والغفران له والاعتذار عنه أم فيه كل المزيد من الاتهام والفضح والتهوين له والنزول به؟

من أين جاء العقل ولماذا جاء؟ هل جاء بنفسه ومن أجل نفسه ولاحتياجات ومصالح نفسه وضرورتها أم جاء به غيره من أجل غيره واستجابة ل حاجات و ضرورات ومصالح غيره مستعبداً مقهوراً دون أن يريد أو يدري أو يستطيع أن يرفض أو يحاور أو يحاسب أو يطالب بقراءة الحساب أو فهمه أو كشفه؟

هل ساءل العقل نفسه شيئاً من هذه الأسئلة فتعذب بها وبالتفكير فيها وبمعرفة الأجوبة عنها أم صمت وغفل أو تغافل عنها رهبة وانفجاعاً واستحياء؟

العقل لم يأت من نفسه ولا لنفسه ولا بإرادة أو معرفة نفسه ولم يخلق بضغوط من نفسه على نفسه لأنه يحتاج إلى نفسه أو يستفيد منها أي من وجوده. لقد كان معانداً من فكرة وجوده بل لقد كان غائباً عنها لم يفكرها أو يفكر فيها أو يدبر بها أي قبل فرض وجوده عليه..

إذن ما القصة؟

إن أكوأنا وحشوداً هائلة وأليمة وبائسة من الضرورات والاحتياجات والحواجز والمصادمات والممارسات والأخطاء والمخاوف والآلام والتجارب والهزائم والمعجز وغير ذلك وأمثال ذلك من أنواع الكينونات ظلت دهوراً، دهوراً تعيش وتحاصر وتقهقر وتذل وتعذب هذا الكائن العجيب الغريب المسمى إنساناً حتى تولد أو تخلق فيه هذا الشيء المسمى عقلاً دون أن تعرف هي أو يعرف هو كيف تخلق ولا لماذا تخلق لكي يكون أي العقل عميلاً ذليلاً مطيعاً مستعبداً لغير نفسه ولغير أوامر واحتياجات وضرورات ومصالح ورؤى وتفكير وتخطيط نفسه لنفسه.. ليكون سلاحاً في أيدي القوى المعادية المخاصمة المضادة المسخرة المستعبدة المدلة له الخارجة عليه..!

.. لقد تخلق أي العقل في الإنسان بالقانون أو بالأسلوب أو الآلية التي تتخلق بها الصخور والصحارى والبراكين والزلازل والتي تتخلق بها أعضاؤه: يده ورجلاه وعينه وأذناه وأظفاره وأسنانه وكل نكروته وتكويناته الذاتية..!

لهذا كان محتوماً أن يوجد أي الإنسان في صيفه الأولى قبل وجود عقله كما كان محتوماً أن يكون وجوده المطلق قبل وجوده في صيفته الإنسانية. إن الإنسان لم يوجد وجوداً واحداً ولا مرة واحدة بل مرات.. لقد ظلّ يوجد ثم يوجد وسوف يظلّ يوجد ثم يوجد..!

.. وقد يكون استنتاجاً صحيحاً أن العقل لن يقبل أن يوجد أي لو خير ليكون وجوده كما كان أي مسخراً مستعبداً مفسّرة محللة بل مشرعة مقدسة به كل الأخطاء والخطايا والجرائم والمظالم والسفاهات والبلادات والبلهات والعداوات والعدوان والخصومات والملاعنات والأكاذيب والحروب بل والفسوق وكل أنواع النذالات والسفالات..! حتى الأديان المتعددة المتعادية المتناقضة قد جاء العقل مشرعاً مقدساً لها كلها بل ومنكراً طارداً لها كلها..!

.. إن كل الفضائل والقبائح والآثام تفعل باسمه وتديره وتخطيطه وتفسيره وتعليمه وتدريبه ومساعدته ولكن ليس بشهوته أو إرادته أو حريته أو بسالته أو حتى بقدرته..!

فهل يقبل أن يوجد ليكون ذلك لو كان مختاراً؟

إن العقل قد أبدع واكتشف وأنجز كل ما في هذه الحياة من مبتكرات وقدرات وأشياء نافعة ومنقذة للحياة والأحياء، ولكنه لم يفعل ذلك بتفسير أو حسابات أو رؤى عقلية أو عن اقتناع بقيمة أو بجدوى أو بمقلانية ما كان ويكون أسباباً ونتائج، فاعلاً ومفعولاً له وبه ومن أجله..!

وإنما فعل ذلك وبفعله خاضعاً خضوعاً بلا أية رؤية أو تفكير أو اعتراض لضغوط وإملاء القوى التي يعمل لها وبأوامرها ضده وضد كرامته وشرفه وصدقه وذكائه وكبريائه..!

إنه أي العقل هو أقوى وأذكى ما في الإنسان وإنه لأضعف وأذل وأكذب وأخسر ما فيه..!

إن العقل قد أعطى وجود الإنسان وحياته أعظم وأقوى وأضخم ما فيهما ومع هذا قد يجوز أو يجب أن يطرح هذا التساؤل: هل كان تخلق العقل في الإنسان ربحاً له أم خسراناً؟ قد يكون هذا التساؤل مذهلاً وصادماً فاجماً بل لا بد أن يكون كذلك لخروجه على كل التصورات والاعتقادات والمسلمات..

ولأنه لم يوجد من تساهل هذا التساؤل أو توقع أن يوجد من يسأله..

.. لهذا قد يحسن أن يوضع هذا التساؤل أو السؤال في هذه الصيغة: أن يكون الإنسان كما كان أي بذاته وعقله وأن يكون بذاته فقط دون عقله أي الكينونتين لا بد أن تجعل عذابه وهوانه وجبنه وكذبه ونفاقه وعاره واقتضاحه وفسوقه وعدوانه وعداوانه وخصوماته ونذالاته وسفاهاته وأحزانه ومخاوفه ومشاكله وأزماته وغراياته وضلالاته وسقطاته وزندقاته وإيمانه بالأوثان والآلهة وتعبده وخضوعه لها.

- نعم، أي الكينونتين ستصيب الإنسان بكل هذا وتعاقبه بكل هذا أكثر وأقسى وأعصى على العلاج والحل..

وأنهما ستكون إصابتها للإنسان بذلك أقل وأخف وأرحم؟

هل وجد من تسأله هذا التساؤل وحاولوا أن يعرفوا الجواب فعرفوه أو عجزوا عن معرفته أو هابوا معرفته؟

إنه سؤال صعب جداً.. وإنه ليعيد كثيراً عن موهبة التساؤل وقدرته ورسالته حتى التساؤل محتاج إلى القدرة والبسالة والموهبة بل هل مثل التساؤل احتياجاً إلى ذلك؟

إن التساؤل سلاح.. إذن أليس إطلاقه يحتاج إلى البسالة والقدرة والمعرفة؟

.. ولكن هل محتوم أن يظل الإنسان أبداً بعيداً عن اقتحام الأسئلة الصعبة من هذا النوع.. عن اقتحام الأسئلة التي تهاب كل الآلهة اقتحامها وتعجز عن اقتحامها بل وعن تصورها وعن تصور وجود من قد يقتحمونها وترفض أن تخلق من قد يقتحمونها أو يتصورونها والتي لا بد أن تعاقب كل العقاب وأشد العقاب من يقتحمونها أي لو وجدوا أو حتى يتصورونها لأنها أي الآلهة لا تخشى على نفسها وعلى وجودها من شيء مثل خشيتها من الأسئلة الصعبة ومن الذين قد يسألونها. إنها أي الآلهة لم تجد وجودها أو تظمن إلى وجودها وبقاتها إلا بحراسة كل العقول والألسنة والتصورات من هذه الأسئلة بل إلا بإغلاقها دونها. إن الأسئلة هي أسلحة كل أعداء الآلهة..!

لهذا فإن كل الأنبياء لم يجبلوا لشيء مثلما جاؤوا ليقاوموا هذه الأسئلة ويصدوا عنها ويعلموا ضدها وليعاقبوا عليها وليقاتلونها ولينزلوا السور والآيات في لعنها وفي التخويف منها.. إن أصدق تعريف لأي نبي: إنه عدو الأسئلة.. بل لعلهم أي الأنبياء لم يجيئوا إلا لكي يحذقوا من كل اللغات والعقول والأفواه والتصورات والتعاليم والأديان حروفها وكلماتها أي الأسئلة.. إن الأنبياء لا يقاومون أو يكرهون مثل أن يكونوا سائلين أو مسؤولين أو معاشين لمن يسألون ويتساءلون..!

.. إن القيمة العقلية والفنية والجمالية والأخلاقية والدينية بل والنفعية لأي شيء ولكل شيء لا تساوي أو تعني إلا حراسته من أن توجه إليه الأسئلة..!

إن كل شيء يهون ويفتضح ويقبح ويصفر ويصاب بكل الدمامات والنشوهات إذا أطلقت عليه الأسئلة..!

.. والمراد بالأسئلة هنا الأسئلة التي تريد أن تفهم وتفكر وتحاسب وترى وتفتتح لا الأسئلة التي يراد بها الإيمان والطاعة والتعبد وتلقي الأوامر للاستسلام وتلقي الأجرة بالآمر بالإيمان والاستسلام. إن الأسئلة المباحة والمشروعة في الأديان وفي أغلب المجتمعات والحالات هي التي يريد بها سائلوها أن يسمعوا الأوامر لطيعوها..!

.. إن معرفة الجواب عن السؤال في صيغته الثانية - والذي هذا الحديث عنه - هي معرفة للجواب عنه في صيغته الأولى القائلة: هل تخلق العقل في الإنسان ربح له أم خسران؟ إن معرفة مقاييس الربح والخسران قد تكون غير مستحيلة ويجب ألا تكون مستحيلة مهما كانت صعبة..!

إن قيمة العقل وقيمة أي شيء في الإنسان وفي كل كائن هي أن يكون عطاؤه المادي والمعنوي أكثر وأعظم وأفضل من أخذه أي ليكون ربحاً لا خسراناً.. إن أي شيء وكل شيء لا يراد أو يمدح أو يطلب إلا لما فيه أو لما يظن فيه من مزايا وفوائد وإن اختلفت حسابات المزايا والفوائد..

فهل العقل يعطي الإنسان هذا العطاء أكثر مما يعطيه ذلك أن يكون إنساناً أو كائناً بريئاً من العقل؟ إن السؤال صعب والجواب أصعب..! لنقرأ ونفكر وتر الإله.. إنه كل العقل.. فماذا فعل به عقله؟ أليس هو الذي أوقع به كل ما يعاني ويقاسي ويرى ويواجه ويتحمل؟ هل للإله مثل في عذابه الذي أوقعه به عقله؟ هل يفعل الإله بنفسه ما فعل بها من أخطاء ومشاكل وورطات لو كان بلا عقل؟ إذن هل يمكن تصور خاسر بشيء مثل الإله خاسراً بعقله؟ إذن هل الكائن الموهوب عقلاً كائن محظوظ أم كائن مظلوم؟ هل هو كائن محايي أم كائن محارب؟

ما أصعب أن يجاب بصدق عن هذه الأسئلة.. بل ما أصعب الصدق في كل شيء، لهذا ما أقل الصادقين.. ما أقلهم..!

.. نعم، العقل بكل صيغه وتفسيره وتعبيراته قد صاغ ويصوغ الإنسان ووجوده عقلياً ونفسياً وأخلاقياً وفنياً وعواطف ومشاعر ورؤى ومواجهات وعلاقات وتصادمات وكينونات وتكوينات وقدرات صياغات شاملة ضخمة كبيرة مثيرة..

فهل هذه الصياغات أعطته من السعادة والراحة والكرامة والشجاعة والنظافة والشرف والرضا والأمان والاستقرار والحرية والحب والتقوى والصفاء والجمال ورضا الآلهة وإرضائها وجودة العلاقات معها وبها ومن الانسجام والفرح والأمل أكثر مما أعطته النقيض.. كل النقيض وأقسى النقيض؟ من يستطيع أن يجاب على هذا التساؤل دون أن يفزع ويفجع؟

وهل وجد من سأل هذا السؤال لكي يسأل: هل وجد من أجاب عنه؟
إن أغلب الأجوبة أو كل الأجوبة عن هذه التساؤلات والأسئلة لن تكون إلا الهرب منها
والصمت عنها أي لو وجدت..!

إن الكلام هنا افتراضي لما كان يجب أن يكون واقعياً..!
ولكن أليست أكثر الأجوبة عن أغلب الأسئلة ليست في كل التفسيرات والحسابات إلا فراراً
وصمتاً وعجزاً عن الأجوبة الصحيحة المعقولة المطلوبة مهما كانت ضخامتها وكثرتها؟
أليس الهاربون الصامتون العاجزون عن الأجوبة هم أسرع من يجدونها ويعلمونها.
كم هم قليلون الذين يعلنون عجزهم عن أجوبة أية أسئلة مهما كانت صعوبتها بل استحالتها في
قدرتهم ورؤيتهم وبسالتهم؟

أليس هذا يعني أن أغلب المجيبين على الأسئلة أو كلهم ليسوا إلا هاربين وصامتين وعاجزين
عن الأجوبة مهما ألفوا وكتبوا الكتب بل وأنزلوا الكتب المقدسة المفسرة لأجوبتهم عن كل الأسئلة
المنطوقة والمصموت عنها؟

إن كل الآلهة والأنبياء والمعلمين في كل مواقعهم لم يحدث أن أجابوا عن سؤال واحد مع أن
أجوبتهم عن كل الأسئلة قد أصبحت كتباً يثقل على التاريخ وعلى الحياة حملها وقراءتها..!
لقد كانت كل أجوبتهم لعناً وإهانة للأجوبة وللأسئلة..!

.. إن الأسئلة بمعناها الصحيح القوي هي أقسى أساليب المحاكمة للمسؤول أو للمسؤول عنه
حتى ولو كانت بلا أجوبة وبلا انتظار أجوبة..!

إن المسؤول أما محاكم أو محاكم ما جاء السؤال عنه..!
لقد حرم الإله والنبي الذي تلقى منه وروى عنه.

- نعم لقد حرما السؤال عن أي شيء بأسلوب شامل صارم حين قالوا: «لا يسأل عما يفعل»..!
إنه أي الإله الفاعل لكل شيء كما يقولون.. إذن لا يجوز السؤال عن أي حادث أو حدث أو
عن أي شيء أو عن أي وجود أو موجود في هذا الكون أو في أي كون لأن كل ذلك مما فعل
ويقعل وقد جاء الأمر بالألا يسأل عما فعل ويقعل..!

لقد جاء الإله والنبي العربيان تعبيراً قوياً أليماً عن الإنسان العربي وجاء الإنسان العربي تعبيراً
حزيناً رديفاً ولكنه صادق عنهما أي في هذه القضية.. لهذا لم يوجد مثل الإنسان العربي محروماً
حارماً من التساؤلات والأسئلة ومحروماً لها أي بمعناها الصحيح القوي المطلوب لا بالمعنى الذي يراد
به سماع الجواب لكي تكون الطاعة والامتثال.. إن السؤال هنا ليس سؤالاً بل طلب للأوامر..!

إن أكثر وكل من يسألون يسألون ليؤمنوا لا ليفهموا أو ليحاوروا أو يحاسبوا..
.. إن كل العرب يرون كل سائل أي سؤال بحثاً عن العقل والمنطق والحكمة والصواب

والفهم - برونه زنديقاً مخيفاً يجب الخلاص منه بكل الأساليب المبيدة.. وأي عربي لا يكون كذلك فلا بد أن يكون وأن يحسب خارجاً على العروة والإسلام!..

إن الذين لا يسألون الأسئلة الصعبة المحتاجة إلى الأجوبة الصعبة لن يصنعوا الحياة الصعبة أي القوة المبدعة المتطورة المتجددة!..

إن الحياة القوية المتفوقة المتجددة هي التعبير الدائم الفعّال عن الأسئلة الدائمة الصعبة وعن أجوبتها..

.. إن الإنسان ليس إلّا سؤالاً.. إن بدايته سؤال ونهايته سؤال، وإن كل إبداعاته وحضاراته ومعارفه وكيوناته المتجددة المتفوقة ليست إلّا أسئلة وأجوبة.. ليست إلّا أسئلة تحولت إلى أجوبة.. إلى أجوبة خلقة..

إن كل الكيونات الكبيرة ليست إلّا أجوبة عن أسئلة!..

إن الإنسان لو لم يتحول إلى أسئلة لما تحول إلى أجوبة.. إلى أجوبة هي كل حضاراته وابتكاراته وعلومه وأفكاره وثقافته وآدابه وفنونه وكل كيوناته الجديدة القوية العظيمة..

ولأن الإنسان هو وحده السائل المجيب المطالب بالجواب بين كل الكائنات المعروفة لنا كان هو وحده صاحب وخالق كل الحضارات والإبداعات والكيونات العظيمة المتجددة المتفوقة المتطورة أبداً..

إنه أي الإنسان لو جاء غير سائل أو غير مجيب لما جاء خالفاً مبدعاً متخطياً أبداً لوجوده وكيوناته ولظل في صيغة وكيونة واحدة كما ظلّ الإله.. كل الآلهة في صيغة وكيونة واحدة وكما ظلت كذلك الشعوب والمجتمعات التي لا تسأل هذه الأسئلة ولا تجيب عنها بل لا تحتاج إلى الإجابة عنها أو تشعر بهذا الاحتياج إلى هذه الإجابة!..

ما أعجب وأعرب ما كان محتوماً أن يحدث في هذا الوجود وفي كل وجود لو كان الإله مصاباً بموهبة السؤال والتساؤل أو بمرضهما وعذابهما وبالالتزام بالإجابة عنهما وعن كل سؤال وتساؤل يستحقان الإجابة وتتحتم الإجابة عنهما!..

أليس محتوماً معرفة الإجابة التي لا بد أن يجيب بها الإله لو كان مصاباً بالتساؤل؟

هل كان يمكن أن يوجد حيثي من يسألون أو من لا يسألون؟

ولعله أي الإله قد صاغ نفسه في صيغة من لا يسأل ولا يجيب لئلا يحدث ما كان محتوماً أن يحدث حيثي..

كيف لو تحول الآن إلى هذه الصيغة المحروم منها.. صيغة من يسأل ويجيب بالحتم والموهبة أعني الفاعل لهذا الوجود؟ ما أصعب وأقبح أو ما أسهل وأجمل وأعرب ما هو محتوم حيثي أن يحدث!..

.. أكرر أنه لا بد من معرفة النوع الذي أعنيه من الأسئلة.. والإنسان أو كل كائن يكون

متسائلاً أو مغلقاً دون كل لغات التساؤل بالموهبة لا بالتعليم ولا بالظروف الموجبة للتساؤل..
إن الإنسان يعلم القراءة والكتابة والعلوم والصناعة والزراعة وكل الأعمال اليدوية وغير اليدوية
ولكن لا يستطيع أن يعلم كيف يصبح متسائلاً التساؤل المراد هنا، كما أنه يستطيع تعليمه كل ذلك
دون أن يستطيع تعليمه أن يكون ذكياً أي إذا لم يكن ذكياً.. إن الذكاء قد ينظم وينظم التعبير عنه
ولكنه لا يخلو أو يزرع في فاعله.

.. إن موهبة التساؤل لا تعلم لمن فقدتها إلا إذا كان ممكناً أن يعلم السمع أو الأبصار أو الشم
لفاعله..

إن كل شيء وكل وجود وموجود وكل رؤية وسمع ومعرفة وتجربة ومعايشة ومواجهة وقراءة
ومسائكة وتخيل وتصور لكل شيء ولكل وجود وموجود.

- إن كل ذلك ليس إلا أسئلة صامتة.. صامتة ناطقة صارخة تقول بكل اللغات والأصوات
والتعابير وبكل الانفجاعات والذهول والغضب والاستنكار والتعجب والرفض - تقول: كيف.. لماذا..
كيف حدث أو وجد هذا، وكيف حدث ووجد كما حدث ووجد، ولماذا حدث ووجد كما حدث
ووجد.. من أراد فعله، ولماذا أراد فعله كما أراد فعله.. ولماذا لم يرد فعله في صيغ ونماذج
وتفاسير أخرى.. ولماذا أراد ويريد فعله ويفعله مهما جاءت صيغه ونماذجه وتفسيره.. ولماذا جاء
مريده وفاعله مريداً وفاعلاً.. مريداً وفاعلاً بهذه القدرة والإرادة والأسلوب!!
ومريده وفاعله من أراد فعله وأراد فعله كما أراد فعله..

الشيء من أراد فعله ولماذا أراد فعله كما أراد فعله ومريده وفاعله من أراد فعله ولماذا
أراد فعله كما أراد فعله.. والمراد المحقول كيف قيل أن يكون مفعولاً مراداً ومفعولاً مراداً كما
فعل وأريد أو كيف أريد وفعل دون أن يريد أو يدري أو يقبل ذلك..!

إن كل الأشياء وكل وجود وموجود مهما كان قبحه أو جماله وقبحها أو جمالها فهي أسئلة
وإن لم تنطق أو تسمع أو تدق بكل القسوة والصراخ والتعدي والإذلال والضياع آذان وعقول وضمائر
وأخلاق وشرف وذكاء وكبرياء الآلهة والأنبياء والمعلمين والمفكرين وكل الرائيين والسمعين والمفسرين
والناطقين بأية لغة من اللغات بكل الاستهزاء والتعجيز والأزدراء..!

إنها تدق ولكنها تدق أشياء غائبة غير موجودة في مكانها..!

إن أصغر وأقبح حشرة.. ذبابة أو قملة أو صرصار أو جرثومة ليعتشد فيها.. في وجودها وصيغة
وجودها وحياتها وظوائف وجودها وتفسيره ومنطقه.. ليعتشد فيها من الأسئلة غير الناطقة ما لا
تستطيع أن تجد أي جواب عنها كل مواهب وعقريات وغرور وكبرياء كل من فوق هذا الكون وكل
من في داخله وكل من حوله ومعيد عنه..

.. لو كان يوجد مسؤول عن هذا الوجود وكان مصاباً بموهبة التساؤل ثم قرأ ما في آية حشرة
ولكن ذبابة أو قملة أو موهبة من الأسئلة الصامتة الصارخة المذلة الهازمة لكل الأجوبة فكيف يمكن

حيث أن يواجه نفسه أو أن يراها أو يعاملها أو يتعامل بها؟ كم في افتراض هذا المسؤول من وحشية وعدوانية عليه. إن الافتراض قد يكون عدواناً مثل فعل العدوان.!

.. ماذا لو أن أي نبي أو حكيم أو فيلسوف قد جاء ليعلمنا ما في هذا الكون من عقل وحكمة ومتطق وتفكير وحب ورحمة وجمال - لو أنه قرأ ما في هذه الحشرة بل أو ما في أعظم كائن وكيثونة من أسئلة لم تسأل حتى اليوم يعجز كل ما في كل وجود وموجد من ذكاء وعقل وعلم وحكمة أن يجد أي جواب عن أي سؤال منها؟

.. وماذا لو أن هذا النبي أو الحكيم أو الفيلسوف قرأ ما في وجود الإله وذاته ووظائفه وما في فوائد ومنافع وجوده لنفسه أو لغيره وقرأ ما في ذلك من أسئلة كل سؤال منها يقتل وينفي ويهين كل تفاسير ومعاني الآلهة والألوهيات كلها، كلها..؟

وماذا لو أن صاحب أجمل وجه أو أذكى كائن قرأ ما في جمال وجهه أو ما في ذكائه من أسئلة حزينة أليمة فاجعة؟

إن وجود كل شيء.. أعظم شيء وأردأ شيء لهو كل الأسئلة التي تبحث عن يسألها والتي لم تجد من يسألها..!

إنه لم يكن ممكناً أن يوجد أو أن يبقى أي شيء أو أي أحد إلا لأنه كان محبباً من أن يكون محاكماً أو محكوماً بالتساؤل وبالأجوبة المفسرة المنطقية التفاسير. إن أعظم وأجمل شيء ليسقط لو حركم وحكم بالأسئلة عن وجوده وعن معنى وتفسير ومنافع وجوده..!

.. هل يقول الخيال أو التمني أو العقل إنه قد يحدث في أي وقت آتٍ ألا يوجد أو يبقى أو يفعل أي شيء أو أي أحد إلا بعد أن يحاكم ويحكم بكل تفاسير وقوانين السؤال والمساءلات وأجوبتها؟ هل يستطيع العقل أو الخيال أن يرى أو يعرف ما الذي لا بد أن يحدث حيث؟

إن كل البشر في كل مستوياتهم الحضارية قد ابتكروا اللغات أو تخلقت فيهم اللغات بكل فنونها البلاغية والشعرية والجمالية ولكنهم جميعاً عجزوا أو هابوا وعجزت جميع لغاتهم عن ابتكار الأسئلة وعن التكلم والتخاطب بها أعني الأسئلة المرادة هنا..!

إن البشر إذن كلهم متكلمون ولغويون وكلهم غير سائلين أو متسائلين بل وكلهم غير غافرين أو متقبلين لمن يسألون أو يتساءلون بل غير مفترضين أنه قد يوجد سائلون أو متسائلون..!

إن الإنسان إذن في هذه القضية مثل الكائنات غير اللغوية، بل إنه أردأ منها لأنها هي محايدة منطقياً من الوجود والأشياء التي هي خارجة على الأسئلة وعلى المنطق أما هو فمحتاز لها..!

إن جميع الكائنات التي نعرفها ما عدا الإنسان تعيش وجودها والوجود التي تعيش داخله.. تعيش ذلك حزينة أو مسرورة، ضاحكة أو باكية.. تعيش بصمت بلا تقديس أو تأليه، بلا مدح أو ذم.. دون أن تنزل الأديان أو تنشئ القصائد أو ترتل الآيات والصور أو تكتب التعاليم في تمجيد وجودها أو نفسها أو موجدتها أو أي شيء..

.. دون أن تجد في وجودها أي إله أو قداسة أو تفسير..!

أما الإنسان فيتفوق عليها في ذلك، إنه لا يكتفي بأن يعيش ذاته ووجوده والوجود الذي يعيش فيه وبه.. إنه لا بد أن يحول كل ذلك مهما كان قبحه وفحشه وجنونه وعدوانه وسفهه إلى كل القداسات.. إلى أديان وعبادات.. إلى منطق وأخلاق وجمال وحب وعبقريّة كل الآلهة والأنبياء والعقول.. إنه ينفق وقته في قراءة وتفسير ما في وجوده وكل وجود من أسرار تقدس وتعبد..

.. إنه يحول نفسه إلى عبد ذليل مؤمن متعبد ويحول كل شيء إلى إله هو كل الجمال والكمال والبراءة والصفاء حتى ليحرم ويمنع توجيه الأسئلة والتساؤلات عنه أو إليه أو أن يعامل أو يرى أو يخاطب بأي شيء من: لماذا أو كيف..!

أليس تقدّيس الكائن تقدّيساً مطلقاً تقدّيساً لإرادته وتديره وتخطيطه ولما يفعل؟

.. إن العقل الإنساني لم يهبط مثل هبوطه حينما حوّل كل وجود وكل موجود وكل شيء إلى إله يعبد أي إلى أخلاق ومنطق وقدرة وإرادة وتدير وفرح وحب ومجد إله.. حينما حول كل وجود مهما كانت بشاعته وفظاظته وردائه إلى ألوهية تقدس وتعبد وتحول كل الدنيا إلى محارِب ومناير تصلي لها وتحدث وتخطب كل الأوقات شاء عليها وتفسيراً لرحمتها وحكمتها وحبها وجمالها واعتزافاً بالعجز عما يجب لها..!

إذن فإن أي شيء لم يهبط هبوط العقل الإنساني..!

إن كل غرائزه وأعضائه الهابطة لم تهبط هبوط عقله أي في هذه القضية وأيضاً في قضايا أخرى أو في كل القضايا.. أليس أي عقل الإنسان هو العميل الذليل والدليل والتصير لتنفيذ كل عمليات هبوطه ولكل أعضاء وغرائز الهبوط فيه؟

إنه لا يوجد عميل ودليل وتصير لتنفيذ الهبوط الإنساني مثل العقل الإنساني..!

.. إنها لفاجعة ألا يدري الإنسان أو العقل الإنساني أنه لا يجوز إنكار أي شيء أو أي حدث أو أي وجود أو موجود أو رفضه أو تغييره أو تصحيحه أو تبديله أو المطالبة بنقيضه كما لا يباح أو يغفر ذمه أو رؤية عيب فيه أو التحدث عن أنه قد يكون أو أن يصاب بأي عيب بل ولا يجوز النضرع إلى أي إله أو أي خالق ليغير أو يفعل أي شيء أو ليشفي وينقذ من أي شيء كما لا تجوز الشكوى أو البكاء أو التألّم أو الغضب مما يحدث ويصيب ويؤلم أي من أي شيء..

- نعم، إنها لفاجعة ألا يدري أن أي شيء من ذلك لا يجوز ولا يغفر أو يقبل أو حتى يعقل إذا كان يؤمن أنه يوجد كائن واحد مطلق الكمال والقُدرة ويخلق كل شيء بكل القدرة والحكمة والرحمة والمحبة والانقياد وإرادة المصلحة والمنفعة.. وبكل ما في التخطيط والتدبير والتصميم والإخراج من ذكاء وعبقريّة وكمال وجمال وموهبة بل وإعجاز..

- إذا كان يؤمن بهذا الكائن أو كان يوجد هذا الكائن..!

كيف لم يعلم أن رفض أي شيء في هذا الوجود هو رفض لفاعله.. رفض لتفكيره وتديره وتخطيطه وإرادته ولأخلاقه وعلمه وقته وقدرته وذكائه وإخلاصه وصدقه ولفعله ووظيفته بل

ولوجوده.. رفض لكل شيء فيه؟. كيف لا يعلم أن كل الآهات والأنات والدموع المتحدرة تألماً أو حزناً أو انفجاعاً أو ذعراً أو ضعفاً أو بؤساً ليست إلا شكوى وأسلحة وحجارة وقذفات وإفرازات تطلق وتصيب وتلقى على المسؤول عن كل شيء والفاعل لكل شيء والمريد لكل شيء بل ليست إلا لعنات توجه إليه ويرمى بها كل وجوده كل طلعات وجهه؟

إنه لا يوجد وجه يتلقى من الطعنات والبصقات مثل وجه المسؤول عن كل شيء..!

كيف لا يعلم أن صراخ الطفل ليس إلا صرخاً ضد آلامه، وأن صراخه ضد آلامه ليس إلا صرخاً ضد وجوده الذي صنع آلامه، وأن صراخه ضد وجوده ليس إلا صرخاً ضد إيجاده، وأن صراخه ضد إيجاده ليس إلا صرخاً ضد موجدته الذي صنع وجوده وآلامه، وأن صراخه ضد موجدته ليس إلا اتهاماً ومحاكمة له أي لموجدته.. لأخلاقه وتدييره وتفكيره وإرادته وقدرته ولكل معانيه..

وأن علاج أي مريض أو مشوّه أو مصاب بأية عاهة ليس إلا تصحيحاً لخطأ أو غلطية من أخطاء وخطايا المسؤول عن كل شيء بداية ونهاية ودائماً.. المسؤول عن كل شيء تدبيراً وتقديراً وتخطيطاً وإرادة وفعلاً..

وأن تشييع أية جنازة أو إقامة أي مأتم لن يكون في كل التفاسير إلا تشييعاً لجنازة واهب الحياة وأخذها وإلا إقامة مأتم على جثمانه.. أي تشييعاً لجنازة كل معانيه وإقامة مأتم على كل معانيه..

وأن إنزال العقاب أو إقامة الحد على أي مجرم أو مذنب أو عاصٍ ليس إلا عقاباً لمن أراده أي المجرم أو المذنب أو العاصي.. لمن أراده وخططه وفعله وصاغه ليحيى.. كما جاء ويكون ويفعل كما لا بد أن يكون ويفعل أي ليس إلا إنزالاً للعقاب بالمريد المخطط الخالق الصانع وإقامة للحد عليه..؟

نعم، كيف لا يعلم الإنسان أو العقل الإنساني كل ذلك؟

كيف أمكن أن يحدث هذا.. ألا يعلم الإنسان والعقل الإنساني أن الكائن الكامل كمالاً مطلقاً أزلاً وأبداً في كل أفعاله ونياته ورؤاه وطاقاته لا يجوز أن يغير أو يبدل أو يصحح أو يرفض أو ينقد أو يحاسب أو يعارض أو يرى فيه أي عيب أو نقص أي شيء يصنعه أو يوجد أو يريده أو يخططه أو يديره أو يفسده أو يدمره أو يشوهه..

وألا يعلم أي الإنسان والعقل الإنساني أن أبشع عاهة يزرعها هذا الكامل الكمال المطلق في الوجه الجميل البريء ليست إلا أعظم صور الجمال بصور ويعرض ويصنع ويرى بها هذا الكامل الكمال المطلق وجهه وأخلاقه وجماله وحيه ورحمته وحكمته وذكاءه وقنونه وفرحه وسعادته وتخطيطه وتدييره وأشواقه وطموحه وشهوته ومسلاته ولهوه ولعبه السعيد المرح، وأن علاج هذه العاهة أو محاولة علاجها لن تكون إلا شتماً وتحقيراً وعصياناً له وخروجاً عليه، وأنها أي هذه العاهة الويلة هي أعظم وأجمل هدية يخص بها هذا الكائن الكامل الكمال المطلق صاحب هذا الوجه المصاب بها، وأن التحديق فيها أي في هذه العاهة تحديق في جمال وجهه أي جمال وجه هذا الكامل الكمال المطلق وفي جمال كل معانيه وأخلاقه بل وصلاة وشكر له على تفضله وإحسانه إلى هذا الوجه الذي أصابه بما به أصابه؟

نعم، كيف أمكن أن يحدث هذا؟

كيف أمكن أن يجهل الإنسان والعقل الإنساني ما لا يستطيع جهله؟



إذن ألا يمكن أن يكون أشد عقاب سوف يعاقب به الإله هو العقاب الذي لا بد أن يعاقب به من يغيرون أو يصححون أو يحاولون أن يغيروا أو يصححوا شيئاً في هذا الوجود.. شيئاً مما أراده وديره وخططه وفعله ورآه كل الحكمة والرحمة والقوة والجمال.. مثل أن يزيلوا مرضاً أو تشوهاً أو نقصاً أو ضعفاً أو عذاباً أو شيخوخة أو بلهاً أو جنوناً أو غباءً أو جهلاً أو قحطاً أو فقرًا أو بؤساً أو يقارموا ويمنعوا وباءً أو يحولوا صحراء إلى عصب وريحاء أو يجعلوا الإنسان أطول عمراً وأقوى جسماً وصحة وأجمل جمالاً وأقل دمامة أو أكثر سعادة وراحة وسروراً أو يفعلوا أي شيء فيه تصحيح أو تغيير أو تبديل أو تجميل لأي شيء في هذا الوجود لأن فعل ذلك أو أي شيء منه عدوان على إرادته وحكمته ورحمته وتديبره وتخطيطه وعلى تكوينه وعمله وعلى كل فنونه ورؤاه وحساباته النفسية والعقلية والفنية والأخلاقية والشخصية والدعائية والتمجيدية للنفس والسلطوية القهرية التفردية.. لأن فعل ذلك عدم له ولما ينته كل عضلاته وعقرياته وشهواته وتخطيطاته وحساباته وإراداته وكل معنوياته، لأن فعل ذلك تسفيه شامل قابس معلن له.. تسفيه تحول إلى كينونات وحياة بل وإلى تعاليم وتعليم ونظم ومباهاة ونضال.. لأن فعل ذلك إعلان حرب على الإله.. هل يوجد محاربون للإله مثل من يغيرون أو يصححون أو يصلحون ما فعله بكل حكمته وإرادته ورغبته وتخطيطه؟

.. أيهما أقبح: ألا نرى ما لا يستطيع ألا يرى أم أن نرى ما لا يستطيع أن يرى لأنه لا يمكن أن يرى؟

أليس الذين لا يستطيعون أن يروا ما يرى وما لا يبد أن يرى هم أكثر من يرون ما لا يرى وما لا يستطيع أن يمكن أن يرى؟

أليس من يجهلون ما لن يجهل هم أكثر من يعرفون ما لن يعرف؟

أليس أعجز الناس عن الإيمان بالحقائق هم أقدر الناس وأقواهم إيماناً بالأباطيل والخرافات؟

أليس أعجز الناس عن فهم الموجود هم أقدرهم على فهم ما لن يوجد؟ أليس أعجز الناس عن الرؤية هم أقواهم رؤية؟

أليست العيون المبصرة أشد عى من العيون العمياء؟

أليس أعجزهم عن فهم ما هو كل المنطق هم أقدرهم على فهم ما هو خروج على كل المنطق.. على كل منطق؟

أليس الاقتناع أو الزعم بأن هذا الوجود قد وجد بالمنطق وبحكم وبسير ويخطط بالمنطق إهانة وسباً وتجهيلاً لكل منطق؟ أليس وضع هذا الوجود في ضمير وتفكير وعيني إله وتفسيره فلسفة للإله تحقيراً لكل الضمائر والأفكار والعيون والفلسفات وتحقيراً لكل إله؟

أليس اختراع الإله ليكون تفسيراً ومنطقاً لهذا الوجود هو أقيح وأبلد اختراع؟

لعل أولى بدايات العقل الإنساني.. بداياته الضخمة في تحطيم وإفساد وتشويه وتبليد نفسه هي اعتقاده بأن هذا الكون تدبير وتخطيط وفن ومنطق وإرادة وخلق وصياغة وإخراج وحكمة ورحمة وقدرة أضخم وأنبل وأعقل وأفضل وأجمل وأقدر إله.. أو لعل ذلك هو أول بدايات الإنسان في فعله لذلك بنفسه أي بعقله..!

ولعل هذه البداية لا تزال هي أعظم وأقوى وأشمل ما محطّم وبفسد وبشوه وبضلل العقل الإنساني وبصبيه بأبشع وأفدح البلادات والإهانات..! هل أهان الإنسان عقله أو أهانه عقله مثلما أهانه في هذه القضية؟ هل وجد مهين مهان مثل عقل الإنسان؟

لعل العقل الإنساني لو لم يضرب نفسه هذه الضربة أو لعل الإنسان لو لم يضرب عقله هذه الضربة لجاء أي العقل الإنساني ولكان أعظم صحة وقوة وبسالة ونشاطاً وذكاء واقتحاماً وصفاء..

إذن لماذا جاءت هذه الضربة. هل يوجد مستفيد منها؟

.. إنه لا بد أن تكون أكثر العقول ذكاء وبسالة وصدقاً وتديناً ونظافة وتقوى ورؤية هي أقدرها على التحرر من ذلك وأسرعها إليه وأكثرها أقواها جرأة عليه..!

إن إيمان العقل وتقواه وكرامته في قوته ومقاومته وجرأته ونشاطه لا في ضعفه واستسلامه واسترخائه...

إن العقل كائن محارب محاسب لا كائن مستمتع مصدق مطيع، أي إن المفروض والمطلوب أن يكون كذلك..

ولكن لقد ظل أي العقل يجيء دائماً أو غالباً نقيض ما يفترض فيه ويطلب منه ويجب عليه..

لقد جاء أي العقل ليكون هو العيون التي ترى غير ما يرى ويكون هو الآذان التي تسمع غير ما يسمع، ويكون هو الكائن الذي يجد غير ما يوجد أي ليكون ذلك وكذلك غالباً أو إلا شذوذاً. إنها لاستحالة أن يصبح العقل معلم نفسه..!

لقد جاء العقل ليكون تفسيراً وتبريراً وتمجيذاً لكل ما هو خروج على العقل.. ليكون رؤية للعقل فيما هو أفسى صدمة للعقل.. لقد جاء العقل ليكون كل المعلمين ضد العقل..!

لقد تخلق العقل مما ليس عقلاً وفيما ليس عقلاً فأصبح معلماً ومؤيداً وحارساً وداعية وقاعلاً لما ليس عقلاً... بل وأصبح مقاوماً معادياً للعقل.. لكل ما هو عقل..!

نعم، لقد أصبح العقل أشهر وأشرس أعداء العقل..!

.. العقل خالق ومبدع وواهب ولكن ما الحافز وما الهدف وما المنطق وما النتائج وما النفع وما الراحة أو السعادة أو السرور أو الحماية أو الأمن أو السلام أو الحب أو الوفاق أو التقوى أو الأخلاق أو الصدق أو الشرف أو الوقاية من الأخطار والآلام والخاوف والمشاكل والهموم والأحقاد والبغضاء والخصومات والحروب والانقسامات أو من الضلال والأخطاء والبلادات والتزييف والتزوير والخداع

والانخداع أو من أي سوء أو قبح أو تذالة أو سفاهة أو سفالة أي في وجود العقل ووجوده خالقاً مبدعاً واهباً؟

هل وجوده ووجوده كذلك أي مبدعاً خلاقاً وهاًباً أعطى كل ذلك أو شيئاً من ذلك أكثر من النقيض؟

هذه هي القضية التي كان الحديث عنها..

إنها لقضية يصعب جعلها أكثر مما يصعب فهمها..!

لعله لم يكن هناك بد من هذا التوضيح مع أن هذا القصد مفهوم أو يجب أن يفهم بدون أي توضيح أو تصحيح..

وقد تكون أحياناً أو دائماً أسهل الأشياء على الفهم هي أصعبها على الفهم..!

وقد سبق الحديث عن أن الإله قد تخلق فيه كل العقل الخالق المبدع الواهب كل الخلق والإبداع والهبات وكل شيء وسبق التساؤل هل مجيء الإله كذلك جاء أفضل أو أنفع أو أشرف أو أنظف أو أنقى أو أكثر عطاءً للسرور أو الراحة أو الرضا أو الاطمئنان أو السعادة أو الحب أو البراءة له أو لأي شيء من أن يكون أي الإله قد جاء بدون هذا العقل الخلاق المبدع الواهب لكل شيء؟ ولعل الشك أو الاختلاف لن يتدخل في جواب هذا التساؤل.. وهل تعذب أو انتفضح أي كائن مثلما تعذب وانتفضح الإله لأنه جاء ذا عقل خلاق مبدع وهاب؟

إن الذي قد يجيب على هذا التساؤل هو العقل أو بمعونته أو تأليفه أو تنسيقه أو تحريضه أو بلغته أو بادعائه.. إذن كيف يجوز أن تقبل إجابته أو حتى نتحاور أو يستمع إليها؟ ألا يخقر العقل هذا النقد له مقسراً عقربه بأنه أي هذا النقد ليس إلا نقد العقل للعقل؟

نعم، أليس الناقد والمنقود هنا هما العقل ولو ظاهراً أو لغة؟

أليس في هذا تعويض للعقل عن هوانه وإذلاله واتهامه؟

لولا العقل هل كان يمكن أن تفهم أو تعلن عيوب وذنوب العقل؟

إذن ليفرح ويسعد ويفخر ويعتز العقل بذلك..

إنه كل الرؤية مهما كان كل العمى.. إنه كل من يرى مهما كان قبح عماء..!

ألا يكفي العقل فخراً ورضاً ومجداً واعتذاراً إليه أنه لا يمكن فهم ذنوبه أو عيوبه أو ذنوب أو عيوب أي شيء إلا به؟ أيها العقل أنت الجاني والمجني عليه.. الظالم والمظلوم في هذه القضية بل أنت المتهم البريء..!

ألا يهيك هذا شيئاً من الراحة والعزاء؟

إن العدل والمنطق ليقولان: إنه بقدر ما يجب الهجوم عليك يجب الدفاع عنك..

ولكن الرأي الآخر يقول إنك لا تستحق الهجوم ولا الدفاع فأنت لست نفسك ولكنك وجود

آخر جاء في صيغة أخرى..!

إنك أيها العقل لست مخطط أو مرشد أو صانع نفسك أو مطيع أو خادم أو قائد أو لغة أو مأمور أو أمر أو معلم نفسك. إذن ما أنت؟ هل أنت نفسك؟ وهل تقبل أو يرضيك أو يساعدك أو يهيك العظمة أن تكون نفسك؟ هل تقبل أن تكون نفسك لو كنت مختاراً أن تكون؟ العقل محكوم أبداً ولم يصبح حاكماً قط ولن يصبح هل عرف هذا أحد؟



لقد طال بنا الحديث.. طال بنا بعيداً عما نريد الحديث عنه وعن القضية التي هي القضية. ولعله طال بنا فراراً سملوياً بالرهبة من القضية التي هي قضية هذا الفصل بل التي هي قضية كل القضايا.. إن هذه القضية التي لا بد أن ترمقنا بالحدّر والرهبة هي هذا السؤال أو التي يحددها ويعلم عنها هذا السؤال الذي يقول بكل الرهبة والإزعاج والأزعاج..

هل نحن متخلفون؟ نعم، نحن متخلفون في كل الصيغ والتفاسير الحضارية أو في كل كينوناتنا العلمية والفكرية والثقافية والصناعية والزراعية والإبداعية والعسكرية بل واللغوية والأخلاقية والدينية.. الاعتقادية والإيمانية والتعبدية..

إننا قد نعترف بتخلفنا هذا التخلف دون أن يضعف أو يهتز إعجابنا بأنفسنا بل وبفوقنا العالمي.. .. ولكن ليس هذا هو السؤال الذي لا بد أن يكون هذا جوابه.. إن السؤال المعني هنا هو السؤال الرهيب الذي لم يوجد أو يقل أو يندر أن يوجد من سأل أو يسأله..

إن المراد بهذا السؤال الذي لا بد أن يكون صادماً فاجعاً مزعجاً: هل نحن متخلفون تخلفاً تكوينياً أي ذاتياً أي عرقياً جنسياً سلالياً أي تخلفاً لا يستطيع علاجه بأي دواء أو حيلة أو وسيلة أو تعليم أو حضارة أو مواجهة أو تحدٍ أو بأية صدمات أو قارعات أو تجارب أو زلازل أو ضربات أو نكبات أو حتى بأية نبوات أو ألوهيات..

بل يزداد ويقبح ويفحش افتضاحه وضعفه وعجزه وهوانه وهزائمه وردائه ويتعظم ويتعدد ويتوزع إعلانه عن نفسه كلما واجه نقيضه الذي يتحداه ويذلّه ويهزمه ويطلبه بأن يتعلم ويتغير أو يهزم ويموت..!

إنه التخلف الذي كلما علم وتعلم ازداد جهله، وكلما أعطى وسعد ازداد فقده وفقره وصغره، وكلما استقل وحزّر ازداد استعباده وهوانه وعبوديته، وكلما عرف القراءة والكتابة ازدادت أميته، وكلما حمل وامتلك أقوى وأحدث الأسلحة عظمت هزائمه وكلما ألبس أثقل وأغلى وأجمل الملابس ازداد عريه وتمره، وكلما كبر حجمه صغر معناه، وكلما ازداد عدده نقصت قوته وازداد ضعفه، وكلما عنف وتكبر وتعصب وشمخ إيمانه ودينه وتدينه فقد تقواه وبرائه وصفائه وطهارته وصدقه وناقض وقاوم وشوّه كل معاني الإيمان والدين والتدين.. كلما عظم إلهه ودينه قبح عصيانه لإلهه ودينه.!

.. كلما قال: الله أكبر قالت أخلاقه وأعماله وتقواه: الله أصغر وأنا أصغر.!

.. إنه التخلف الذي لا تستطيع نبوات كل الأنبياء ولا تعاليم كل الأديان ولا وعيد ووعود

وتضرعات وهتافات كل الآلهة الرحيمة والمتوحشة أن تداوي منه أو أن تخففه أو أن تعرف كيف تفعل ذلك أو تعلم فعله..

إنه التخلف الذي لا يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن ينقذ منه أو يعلم القدرة أو يهب القدرة على الخروج منه أو على إخفائه أو على إضعافه أو على التخفيف من افتضاحه وفضحه.. إنه التخلف الذي لا استطاع التخلص منه إلا بقدر ما تستطيع الآلهة التخلص من أخلاقها وأوصافها..!

إنه القانون أو الآلية أو الطبيعة التي فرضت على الوجود أو التي فرضها الوجود على نفسه دون أن يدري أو يريد أو يفهم لماذا أو يستطيع أن يرفض أو يعارض أو يقاوم أو حتى يهتض أو يحتج أو يعلن الإضراب عن التكاثر والتوالد أو عن الاستمرار في البقاء وفي صيغ وأساليب الكينونة التي كانت أو التي كانها دون أن يمتأذن أو يستشار أو يختار أو تختار له الصيغ أو الأساليب أو الكينونات التي يجب أن تكون أو التي قد تكون مريحة وملائمة ومعقولة ومقبولة وذكية وتقية ونبيلة ونظيفة وشريفة أكثر، وأكثر..

إنها الخطيئة التي لا يوجد مخطئها والوجود الذي لا يوجد موجد له أو من يدعي أنه موجد..! إنه القانون أو الآلية أو الطبيعة المهينة الهازمة الشائمة لكل منطق وخلق وتخطيط بل ولكل إله موجود أو محتمل.. التي حكمت دون أن تدرس أو تحرف القضية وحيثياتها وأسبابها أو تستمع إلى أقوال المختلفين والمتخاصمين فيها أو تعرف حقوقهم واحتياجاتهم أو تفكر فيها أو تتساءل عنها.. التي حكمت بالفروق الهائلة الأليمة الظالمة المجنونة بين الكائنات جماعات وجماعات.. سلالات وسلالات.. أجناساً وأجناساً.. أنواعاً وأنواعاً.. أعراقاً وأعراقاً.. أفراداً وأفراداً..

.. بالفروق بكل أساليبها وصيغها وتفاصيلها ومستوياتها وألوانها.. لقد جاء الفرق بين الأفراد.. بين فرد وفرد أقل وأخف جداً من الفرق بين سلالة وسلالة أو جنس وجنس أو نوع ونوع أو عرق وعرق يستثنى من ذلك كائن واحد هو الإنسان لا يشاركه في ذلك أحد حتى ولا الآلهة أو الملائكة..

.. إن الفروق بين أفراد الإنسان لا تساويها في نتائجها أية فروق..!

فالفرق بين إنسان وإنسان أي بين فرد من البشر وفرد أعظم وأضخم جداً من الفروق بين كل السلالات والأجناس والأعراق والأنواع. حتى الفروق بين آحاد الآلهة والملائكة وسائر الكائنات الغيبية السماوية تهون وتخفت وتختل وتهزم أمام الفروق بين آحاد الإنسان..!

والقانون أو الأخلاق أو الآلية أو الطبيعة أو الفكرة أو الرؤية أو العمارة التي صنعت الفرق بين إنسان وإنسان هي التي صنعت الفروق بين سلالة إنسانية وأخرى.. إنها الصناعة أو المصنوع الذي ليس له أو لها صانع..!

.. والذين يتكبرون وينفون ويرفضون الفروق بين السلالات البشرية استغظاً واستقباحاً واستعباداً لذلك عليهم أن ينكروا ويرفضوا وينفوا الفروق بين الأفراد البشرية لنفس هذه الأسباب والتفسيرات والحسابات..

.. والإله أو المسؤول الذي لم يتورع عن صناعة الفروق بين الأفراد كيف يتورع أو يخجل أو يتعبد أو يهاب أو يتقي أن يصنع الفروق بين السلالات؟ والذي تتقبل أخلاقه أو إيمانه أو تقواه أو عقله أو ضميره أو كرامته الفروق الهائلة بين أفراد الإنسان كيف لا يتقبل شيئاً من الفروق بين سلالاته؟

إن الفروق بين الأفراد ليس إلا أقوى إعلان عن الفروق بين السلالات أو الأجناس.. فالأفراد المتفوقون جداً لا تلدهم أو تصنعهم إلا بعض السلالات أو الأعراق، وهذه السلالات أو الأعراق لا تهب هؤلاء المتفوقين بندرة أو شذوذ أو بقلة بل بتتابع ونكاثرت وتنوع وديمومة. إنهم توالد فيها.. والسلالات الأخرى لا تلد أو تصنع من هؤلاء المتفوقين الخلاقين أحداً، ألا يعني هذا أقوى التدليل على الفروق بين السلالات؟

.. مجتمعات تلد المتفوقين الخلاقين بتتابع وأخرى لا تلد منهم أحداً. أليس لهذا تفسير هو ما ذكر؟ كيف أمكن أن يوجد أي خلاف أو حتى احتمال خلاف في هذه القضية؟

... إن الذين يرفضون وجود هذه الفروق بل ويرفضون تصوّرها والحديث عنها يؤمنون بها ويلعنون إيمانهم بها بين سلالات الحيوانات والنباتات والطيور وكل الكائنات ويحاولون استبدال سلالة بسلالة من هذه المخلوقات بل ويفاعون بأن ما يملكونه منها من السلالة المتفوقة لا المتخلفة.

.. كيف أمكنت رؤية الفروق التكوينية الذاتية الطبيعية بين سلالات الخيول والأبقار والكلاب والدجاج والصقور والأغنام والنباتات والحشرات والجمادات والأحجار ثم لم تمكن رؤية شيء من هذه الفروق بين السلالات والأجناس البشرية التي تفقاً وتفجع وترهب وتملاً الفروق بينها عيون ووقار وحسابات وتمنيات كل شيء وكل أحد والتي تفضح وتهجو أخلاق ومنطق وذكاء وعدل وشرف ونخوة وتخطيط كل إله في هذا الوجود أو فوقه.. والتي تكذب وتصلد كل من يرى في هذا الوجود أي شيء من العقل أو التدبير أو التفكير أو الحكمة أو الحساب الذكي أو حتى الغي.. والتي تنفي بل وترفض أن يكون داخل أو خارج هذا الوجود أي مسؤول عنه أو أن يقبل أي مسؤول أن يكون داخله أو خارجه أو فوقه ليكون مسؤولاً عنه..!

والتشابه أو التقارب أو حتى التساوي في صيغ ومظاهر وأجساد السلالات البشرية لا يحمي من ضخامة الفروق بينها في معانيها، كما أن هذا التشابه أو التقارب أو التساوي في صيغ ومظاهر أجساد وذوات سلالات الكائنات الأخرى لم يمنع من وجود الفروق الهائلة بينها في الخصائص والأوصاف وفي الجودة والرداءة..

.. كذلك يقال في التشابه والتساوي في ذوات الأفراد المتفاوتين بلا حدود أو مقاييس أو حسابات في ضخاماتهم وضآلتهم المعنوية...

.. التفاوت بين أفراد الإنسان لا يقي أي احتمال لأن يكون فوق هذا الوجود أي مسؤول يريد ويدبر.

.. إن عملية التطور ومراحلها وبدء الكيونة وظروف كل ذلك لا بدّ أن تصنع هذا التفاوت المحول للسلاسل البشرية إلى مجتمعات متفوقة جداً وإلى أخرى متخلفة جداً..

هل يمكن أن يوجد تطور بدون هذا التفاوت أو أن يوجد وجود أو كيونات بدون أن تكون محكومة بقوانين التطور كلها وبنتائجها وعملياته وظروفه المختلفة المتفاوتة في قوتها وسرعتها وفي بطئها وضعفها وفي كل معاني ذلك؟

.. الإنسان كائن تكوّن بالتطور.. إذن لا بدّ من التفاوت الهائل بين فصائله..

إن نفي التفاوت بين السلاسل البشرية يعني اتهاماً خطيراً وتفسيراً خطيراً.

إنه يعني أنه يوجد مسؤول عن كل هذا الوجود وعن كل شيء هو الذي أرادته وخططه وديره وخلقه وصاغه في كل صيغته وكيوناته وأخرجه متفاوتاً كل هذا التفاوت القبيح الأليم البليد، ولكنه لأسباب قد تدعى معرفتها قد حايى الإنسان محاباة مخترقة لكل قوانين الكيونة والوجود وقوانين كل شيء إذ جعل سلالته متساوية في كل طاقاتها الإبداعية والإنسانية وفي كل معانيها وتفسيرها وقدراتها واحتمالاتها..

وكم هو اتهام أليم فاجع قاس الزعم أنه يوجد مسؤول عن كل هذا الوجود ومريد فاعل مدبر لكل هذا الوجود بكل ما فيه..

.. كم هو اتهام أليم فاجع قاس ظالم قبيح لهذا المسؤول..!

هل يوجد كائن يقبل أن يكون هذا المسؤول مهما كان انحطاطه وهوانه وسفاهته؟

.. وعلى هذا التفسير أو التصور أو الاعتقاد أو الزعم لا بدّ أن تنهاوى الأسئلة والاتهامات قائمة بكل الغضب والقسوة والعنف والانفجاع والحماس: إذا كان هذا المسؤول مفتوناً كل هذا الانتان بحبه وإرادته ومحاباته للإنسان فلماذا إذن أراد ودير وصنع كل هذا التفاوت الرهيب الشنيع المهيمن بين أفراد في كل شيء.. في الذكاء والغباء.. في العبقرية والتفاهة.. في القوة والضعف.. في الجمال والدمامة.. في الصحة والمرض.. في التشوّه وفي استواء الذات.. في الإيمان والكفر.. في دخول الجنة ودخول النار، وفي صداقته ومعاداته.. وفي جعل فرد النبي محمداً وجعل فرد آخر أبا لهب أو أبا جهل.. وفي السمر والسقوط.. وفي الشهامة والندالة.. وفي الغنى والفقر وفي كل شيء..!

إنها لا بدّ أن تنهاوى عليه هذه الأسئلة والاتهامات التي لن يستطيع أي سد أو حاجز ألا يتحطم ويهوي أمام أي سؤال أو اتهام منها.. إنها أسئلة واتهامات لا بدّ أن تهزم وتسقط كرامة وشرف وكبرياء وذكاء وأخلاق كل من توجه إليه منهما بها..

.. وهل يوجد أقسى أو أنذل من أن يتهم أي كائن بأنه هو مريد وفاعل هذه الفروق؟

.. إن موقع هذه الفروق بأفراد الإنسان لا يمكن فهمه أو الغفران له أو العفو أو الصفيح عنه أو وصفه بأي معنى جيد أو ذكي أو كريم أو نبيل أو معقول أو غير مريض شاذ خارج على كل المقاييس المتصورة والمحتملة والمتوقعة..

إن الإنسان بهذه الفروق لا يمكن أن يوجد أو حتى يتصور مشوه معذب مهان محقر معتدى عليه مثله.. كيف لم يفهم هو ذلك؟

إن عجزه عن فهم ذلك هو أحد التشوهات التي أوقعت به..!

.. إن وجهاً دميماً مشوهاً جداً أمام وجه جميل جداً ليصق على كل ما في هذا الوجود من شمس ونجوم ومجرات وبحار وأنهار بل وعلى كل ما فيه من آلهة وملائكة وأنبياء وأديان وكتب مقدسة..!

إن مواجهة هذا الوجه لهذا الوجه ليكفي قبحها لإطفاء أضواء كل الشمس والنجوم ولتجفيف مياه كل البحار والأنهار..!

.. ماذا يمكن أن يقول هذا الوجه الدميم المشوه أمام الوجه الجميل السوي لو تحول إلى كلمات؟ وماذا يقول ويصنع مخطط وصانع الوجهين لو سمع ما يقوله حيثلج الوجه الدميم أي بافتراض أن للوجهين مخططاً وصانعاً؟

وماذا لو أن هذا المخطط الصانع الخالق كانت له عينان تريان فرأى الوجهين متقابلين وفهم كل ما في هذا التقابل من أنات وآهات وحسرات ولعنات واتهامات...

.. لو أنه قرأ وسمع وقتر ورعى وعقل ذلك؟

أليس بقاء هذا الوجود كما هو باقياً قاطعاً لاحتمال وجود المخطط الصانع له؟

.. هذا المشهد أو الموقف هل له مثيل في قبحه أو بشاعته أو بلادته؟

.. نبي أو ولي أو قديس أو شيخ أو داعية من دعاة الإله يرى هذين الوجهين متواجهين فيهدف إليهما ولإلهه متحدثاً عن ضخامة وشمول وعظمة رحمته ورأفته وحكمته وعدله وجماله وحبه للجمال والكمال وعن معاداته للقيح والفسوة والإذلال والعدوان زاعماً أنه أي أن إلهه لا بد أن يتفجر سروراً ورضا وإعجاباً بهذا التمجيد لحكمته ورحمته وشفقته ومحبه وشهانه.. هل حدث هذا؟ هل رآه أو سمعه أو علمه أحد؟ لنصب كل العيون والآذان بكل العمى والصمم ثلثا ترى.. أو تسمع هذا النبي أو الولي أو القديس أو الشيخ أو هذا الداعية في هذا المشهد أو الموقف.. ليمت كل إله لثلا يرى أو يسمع أو يعرف ذلك أو يتهم به.. كيف تستطيع أية عين أن ترى ذلك ثم يؤمن عقلها أو قلبها أو ضميرها بأن هذا الوجود غزل ونسج وحياسة أعظم إله؟

.. أيهما أتبع وأوقع: الإله الذي يفعل ذلك ثم يذهب ويظل يراه ويستمتع بكل البهجة والكبرياء والرضا إلى كل الحمد والشكر والتمجيد له لأنه فعله أم هؤلاء الذين يهبونه كل الثناء والمدح والحب والتعبد لأنه المريد المدير الفاعل لذلك؟

أجل، أي الفريقين يصنع أعظم الغضب والفيظ والاشمئزاز والانفجاع: الفاعل لأفبح القبح أم المادح للمجد لهذا الفاعل؟

كم هو قبيح ورديء وضياع وفوضى ألا يكون لهذا الوجود محاسب محاكم.. لا له هو ولا لإلهه ولا لإنسانه..!

كل هذا الوجود بكل آلهته وكائناته بلا مسؤول. كيف يطلق هذا؟

ولأنه لا يوجد هذا المحاسب المحاكم المعاقب المعلم الناهي الشامل فإن الإنسان أي مجتمعاً يعمل ويقول ويعتقد ويعلم ويفهم كل ما يريد ويستطيع أي كلة بلا محاسبة أو معاقبة أو محاكمة أو حتى معاتبة أو تصحيح أو تعليم أو حراسة أي من خارجه..

ومثل الإنسان في ذلك الكون والإله أي وكل الآلهة الموجودة أو المفترضة..!

حتى الآلهة بكل ما يزعم لها من أوصاف وأخلاق ورغبات وقوى وسلطان وأوامر ونواهٍ ووعيد ووعود إنما أرادها وصاغها الإنسان بلا محاسب أو محاكم أو معاقب أو مراقب.. إن شيئاً لم يشوه شيئاً أو يعتد عليه مثلما شوه الإنسان الآلهة ومثلما اعتدى عليها بصياغته لها ولأوصافها..

لقد كان يصوغها ويعرضها ويشوهها كما يستطيع ويريد بلا أية حماية..!

.. إن الثلاثة أي الآلهة والإنسان والكون أي الموجود منها والمفترض يتحاربون أبداً أبشع وأشمل وأدوم الحروب بكل الأسلحة المادية والمعنوية بكل القبح والفحش والقسوة والنذالة والسفه والجهالة والبلادة دون أمل في أن يوجد من يمنع أو يصلح أو يشفع أو يهدي أو يصحح أو يبدل أو يخلق ويصوغ من جديد.. إن الحروب والعداوات بين هؤلاء الثلاثة هي كل الحروب والعداوات.. حتى الحروب والعداوات بين الإنسان والإنسان ليست إلا حروباً وعداوات بين الإنسان والآلهة وكذلك بين الإنسان والكون.. إن الإنسان في كل حروبه لم يحارب غير الآلهة والطبيعة.. إنها لو وجدت محاكمة من خارج الثلاثة لتعاقب كل فريق من الثلاثة على ما فعله بالفريق الآخر من عدوان وتعذيب وتشويه وإبلام وقبح وإفساد وتضليل لما استطاعت أي هذه المحاكمة أن تجد أو تنصور عقاباً يكفي لتعاقب به أي فريق من الثلاثة..!

.. إن هؤلاء الثلاثة هم كل الأعداء وهم أيضاً كل الأصدقاء..!

هكذا جاءت القصة القبيحة الحزينة جاءت ليكون كل الأعداء هم كل الأصدقاء وكل الأصدقاء هم كل الأعداء أي في العلاقات بين هؤلاء الثلاثة الأصدقاء الأعداء..

إنه لو وجد الإله والكون فقط أو الإنسان والكون فقط لكانت الحروب والعداوات أقل وأخف..!

.. الكون والإنسان يعتديان على الإله كل أنواع الاعتداء بلا أية حماية، والكون والإله يعتديان على الإنسان كل أنواع الاعتداء دون أية حماية، والإنسان يعتديان على الكون كل أنواع الاعتداء بلا أية وقاية..!

ما أبشع هذا، وما أبشع ألا يوجد من يشكى إليه من ذلك..!

... ما أبشع ألا يوجد من ينفذ الثلاثة بعضهم من بعض وألا يوجد من ينقذهم من أنفسهم..! أي الثلاثة أكثر احتياجاً إلى الإنقاذ: الإله أم الإنسان أم الكون؟ إنه لن يوجد المنقذ مهما وجد الجواب..!

ما أعظم حاجة الإله إلى أن ينقذ من عدوان وتشويه وقضح وإرهاق وتكاليف ومضايقات ومطاردات وعرض وإزعاج وفجع الإنسان والكون له.. لهذا لعله أكثر الثلاثة احتياجاً إلى الإنقاذ. إنه أي الإله يصاب بكل ذلك وبواجهه ويقاسيه ويتكلفه ويصبح مسؤولاً عنه وملزماً متهماً به بلا أي ثمن أو تعويض أو ربح أو فائدة له..!

وما أشد حاجة الإنسان إلى الإنقاذ مما يوقعه ويهدده به الإله والكون بكل أفرادهم وما يعدونه له من أول البداية إلى آخر النهاية، إذن قد يكون الإنسان هو أكثر الثلاثة احتياجاً إلى الإنقاذ. أما احتياج الكون أو كل ما يسمى الطبيعة إلى الإنقاذ من الإله ومن الإنسان فهذا أكبر وأصعب من كل حديث وتفسير..!



ثم نعود إلى السؤال المزعج الحزين لنقول مرة أخرى هل نحن متخلفون التخلف التكويني الطبيعي الذاتي السلالي؟ لماذا يرهبننا ويزعجننا ويفجعنا هذا السؤال؟ لماذا يفعل بنا ولنا ذلك سائلين ومسؤولين عنه ومستمعين سامعين له مجيبين عنه قارئين مفسرين له أي لو حدث أن فعلنا أو فعل بنا ولنا ذلك؟

هل ذلك لأننا متخلفون هذا التخلف لهذا نرهب ونرفض أي حديث أو تساؤل عنه بل أي تفكير فيه وتصور ومحاورة له؟ فهل يصبح وبغني رفضنا حتى لمساءلة ومحاورة هذه القضية بكل هذا العنف والحساسية تدليلاً وشهادة على أننا مصابون بهذا التخلف الذي نرفض ونرهب بل ونعاقب الحديث عنه ولو بأسلوب ونيات المحاورة والمساءلة وإرادة الفهم والدراسة له؟

لماذا نهاب الحديث عن نقص لا يحتمل ولا تنصور أن نكون مصابين أو أن نصاب به؟

هل من ليسوا متخلفين هذا التخلف يرفضون أو يهابون أو يكرهون الحديث عنه مساءلة ومحاورة ومناقشة ودراسة بل هل يهابون أو يقاومون اتهامهم به أو أن يوجد فيهم من يتساءلون: هل نحن متخلفون هذا التخلف؟

لو وجد في أرقى الشعوب والمجتمعات وأعظمهم تقدماً وقوة من يكتب ويندب ويخطب متسائلاً أو حتى متهماً متزعجاً: هل نحن متخلفون هذا التخلف أو حتى معلناً معتقداً أن شعبه أو مجتمعه متخلف هذا التخلف ومحاولاً التدليل على ذلك فهل يمكن أن بغضب أو يفجع من ذلك شعبه أو مجتمعه أو يخاف من ذلك أو يتهمه بأنه يحطم أو يضلّل أو يخدر أو يضعف طموح وقوى وآمال ومستقبل قومه ووطنه كما نفعل نحن أمام هذا السؤال أو الاتهام أي لو وجد..؟

هل يخشى أو يرفض التقى القوي البريء من الجريمة الحديث عنها أي عن الجريمة وعن تفاسيرها ونتائجها والمحاسبة عليها والمقاومة لها أو البحث عن فاعلها أم الذي يخشى ويرفض ذلك هو الفاعل لها والمصاب بإدمانها؟

هل ينزعج المبصرون السامعون الأسوياء الأقوياء جداً من الحديث عن العميان أو عن الصم أو عن المقعدين المشلولين؟

هل يفضى المتفوق من الحديث عن المتخلفين وعن أسباب تخلفهم بل أو من التساؤل: هل هو من المتخلفين؟

.. إذن حذرنا من هذا التساؤل ورفضنا له قد نكون لهما دلالات وتفسير أليمة رديئة. إن ذلك أسلوب آخر من أساليب امتداح النفس والتحدث عن التفوق ولو بالتاريخ والآباء على الآخرين.. كل الآخرين..

ودلالات وتفسير هذا الامتداح حزينة وذميمة. إنها تعني نقبض ما يقوله ويعنيه المديح والحديث عن التفوق..

.. إن الحديث عن التفوق نقبض للتفوق وإن الحديث عن النفس ورؤيتها بكل التواضع الذاتي أي غير المعلم الملقن الاستعراضي نوع من التقدّم والبحث عنه والإرادة له والسير في طريقه.. إن الذكي والعظيم لا يقول أنا ذكي وعظيم أما من ليس ذكياً ولا عظيماً فيقول إنه ذكي وعظيم بل وأكثر من ذلك..!

.. إن مشاعر ورؤية الذات في المرأة لها تفسير ودلالات متناقضة.. إن المرأة الواحدة ليست واحدة أمام المحققين فيها. إن الإنسان لا يرى بعينه ولكن عينه ترى به. إن العيون لا ترى ما أمامها بل ترى ما في داخلها وما وراءها وما يراود لها.. إنها لا ترى ما ترى ولكنها ترى ما عملت وأريد منها أن ترى..!

.. ماذا لو كانت العيون ترى ما أمامها؟ ماذا ترى حينئذٍ حينئذٍ حينئذٍ؟

.. إن العيون ترى ما لا يرى وما لن يرى أكثر وأقوى من أن ترى ما يرى وما لا يستطيع ألا يرى..!

إن العيون لم تتركب في الرائي لترى بل لترى ضد الرؤية..!

لقد جاءت العيون لترويض الرائي على ألا يروا ما يرون بل على أن يروا نقبض ما يرون ونقبض ما يرى.

.. إن سؤالنا لأنفسنا هذا السؤال أو حتى شكنا أو اعتقادنا وإعلاننا بأننا متخلفون هذا التخلف لن يسحب منا أو يضعف فينا شيئاً من قدراتنا واحتمالاتنا الكامنة الصامتة الجيدة ولن يعوقنا أو يؤخرنا عن تخطي هذا التخلف بل المفروض ولو نظرياً أن نحاول الانتصار على ذلك.. عليه سؤالاً واعتقاداً وإعلاناً أي مواجهين له كذلك بالسؤال والاعتقاد والإعلان أي إن كانت هذه القدرات والاحتمالات فيها.

.. نعم، المفروض أن نحاول هذا الانتصار ولو بنيات وأسلوب التحدي والتكذيب والمنافسة وحماية النفس.. إن الطاقة الموجودة الصامتة الساكنة لا بد أن يطلقها ويفجرها أو قد يفعل ذلك التحدي والانتقام والتكذيب والهجوم لها، ولن يفعل ذلك العكس.. إن التحدي محرض قوي على إطلاق وتفجير الطاقة الساكنة الصامتة المسترخية المختفية..!

.. إن الضعفاء المتخلفين البلقاء لم يصبحوا كذلك لأنهم اتهموا أو أفهموا أو اعتقدوا بأنهم كذلك أو لأنه قيل لهم كونوا كذلك، وإن الأقرباء المتفرقين الأذكى لم يصبحوا كذلك لأنهم وصفوا بذلك ولا لأنهم أعلنوا كذلك ولا لأنهم اعتقدوا بأنهم كذلك بل ولا لأنهم أرادوا أن يكونوا كذلك، إن المواهب وكذا فقدما تخلق لا خلق..!

إن الموهوب محكوم عليه بذلك وكذلك فاقد الموهبة، إن الطاقة الإبداعية تتكون في الكائن كما تتكون أعضاء..!

.. فالمواهب لا تتخلق أو توجد أو تفقد بالأوامر أو الاتهامات أو الاعتقاد أو بالشفاؤل أو التشاؤم، كما أن الدمامة والجمال وسواد اللون وبياضه وكل أوصاف الجسم لا تكون بذلك لا نغياً ولا إلباتاً..

إن أذكى الأذكى سيكون أذكى الأذكى مهما قيل له أو اعتقد أو خاف أو تصور أنه أغبى الأغبياء..

وإن أغبى الأغبياء سيكون ويظل أغبى الأغبياء مهما قيل له أو اعتقد أو تصور أو أعلن أنه أذكى الأذكى..

إن كل الأنبياء بكل كتبهم المنزلة وتعاليمهم ووعدهم ووصاياهم التي روتها الملائكة عن الآلهة لا يستطيعون أي كل الأنبياء أن يصوغوا من ضمير ضعيف ضميراً قوياً أو من عقل بليد عقلاً ذكياً أو من نفس وقحة شريرة نفساً مهذبة خيرة أو من موهبة ضعيفة موهبة قوية أو من عواطف وأحاسيس مسترخية خامدة عواطف وأحاسيس متوقدة نابضة مهما صاغوا ركباً راكمة وجهاً ساجدة والسنة زائفة كاذبة واعظة وأخلاقاً معادية مخاصمة شائمة، وشعوباً وطوائف مقسمة متباغضة متبارزة متحاربة متلاعنة..!

هل يفقد الإله ألوهيته أو تضعف ألوهيته لو قيل له أنت لست إلهاً أو أنت ضعيف الألوهية أو لو شك في ذلك أو ساءل نفسه عن كونه كذلك..؟

ألا يحدث أن يشك الإله في ألوهيته أو في قوتها وكمالها؟ كيف لا يحدث؟

.. وهل يصبح أي الإله أفضل أو أقوى أو أنقى أو أذكى ذاتاً أو أخلاقاً أو تديراً أو تفكيراً أو حكمة أو رحمة أو تعاملاً مع النفس ومع كل شيء أو أن يتحول ويتغير إلى هذا الأفضل الأقوى الأنقى الأذكى لو قيل له أنت كذلك أو لو اعتقد وأعلن عن نفسه أنه كذلك..؟

حتى الإله إنه بكل كينوناته ومراهبه وطاقاته وأخلاقه تخلق لا خلق أي تكون وكيونة لا تكون، وكما جاء الإله تكوناً وكيونة لا تكوناً هكذا جاء كل شيء..

.. وبالمطلق الذي تكون به الإله تكونت وتتكون كل الأشياء..!

.. إن كل شيء لكذلك أي تخلق لا خلق.. الشمس والنجوم والمجرات والبحار والأنهار وكل موجود ووجود وكذا الآلهة والإنسان وكل ما كان وما سوف يكون تكون لا تكون..!

إن التحديق في الأشياء لن يرى غير ذلك...

حتى ما يرى ويزعج ويبدو خلقاً ليس إلّا تخلقاً. إنه كيتونة لا تكون.. إنه كيتونة في ذات من يرى مكتوناً وفي ذات من يرى مكتوناً.. أي في ذات من بدا أنه فعل التكوين وفي ذات من بدا أنه قد فعل به التكوين..

هل يمكن تكوين أي شيء أو فعل أي شيء به قبل تكونه وكيتونه؟

إذن أليس كل شيء وكل وجود تكوناً لا تكويناً مهما بدا وفهم غير ذلك؟

.. ليت الأشياء والكائنات تكون بإطلاق الأوصاف عليها أي بأن يقال لها أنت هذا أو يقال لها أنت تفيض هذا.. ما أسهل وأعظم حيث كل شيء..

حتى الإرادة هل تستطيع أن تصوغ أو تهب الشيء أو الكائن غير كيتونه؟

هل تستطيع الآلهة أن تكون غير ما كانت.. أفضل أو أقوى مما كانت مهما أرادت ذلك؟

إذن لماذا لم تكن هذا الأفضل والأقوى؟ هل عجزت عن أن تريد أم عجزت عن أن تكون أم عجزت عن هذا وهذا؟ هل يحتمل أن الآلهة لم ترد لنفسها أن تكون أعظم وأقوى وأدنى وأذكى وأعلم وأنشط مما كانت لكي تكون انتصاراتها على أعدائها وضرياتها لهم أحسم وأبطش، ولكي يكون نصرها وتأيدتها وتمليكها وعطاؤها لأوليائها وأنبيائها وأصدقائها أقوى وأضخم، ولكي تكون أمجادها ومزاياها أكبر وأكثر وأشمل، ولكي تكون كرامتها وشهامتها أنبل وأشرف، ولكي تجعل كل شيء أجمل وأنظف وأسعد، ولكي تكون أوامرها وسلطانها وتعاليمها وشهواتها ورغباتها هي القائدة الحاكمة المطاعة المحترمة المرادة المنفذة في الوجود كله؟

إن كل العقول لتقف هنا متصافرة ذليلة مهزومة حزينة مفعوجة لتتساءل: لماذا لم ترد الآلهة لنفسها ذلك ولماذا لم تصغ نفسها هذه الصباغة لكي تكون لها وللإنسان ولكل شيء هذه المزايا؟ هل يمكن أن تكون الآلهة قد اعتقدت أنها هي وكل ما تفعله هما كل الكمال والجمال حيث لا يحتاجان إلى أي تصحيح أو تبديل أو تكميل؟

.. هل يمكن أن تفهم أي العقول أنها أي الآلهة لم ترد ذلك أو أنها أرادت ولكنها لم تستطيع أو تفهم أن تفعله؟

ما أقسى ورطة وعذاب وفجيعة وحيرة العقول الرائية القارئة المتسائلة.. لهذا ما أقل هذه العقول!

إنه لا شيء يذبها ويفجها ويهزها ويهينها مثل أن تحاول فهم الآلهة أو محاسبتها أو مساءلتها أو التحديق فيها أو مطالبتها بأن تكون مفهومة أو معقولة أو مغفورة.. هل اعتدي على العقول مثل الآلهة أو اعتدي على الآلهة مثل العقول؟؟ من يحكم؟.. في هذه القضية هل جنى غير العقل على العقل؟ أليس المهان هنا هو المهين؟ أليس العقل هنا هو الذي صنع عاره أي خاضعاً مطيعاً لطغيان وسلطان وأوامر وشهوات وبلادات غيره؟ وقد سبق في هذا الفصل الكلام عن وظيفة العقل ومكانته. وهو الرأي الذي رأيته وأراه..

إن العقل المحسوب أعظم المواهب والهبات هو أعظم المآسي والورطات..!



ولكن ما الجواب عن السؤال الصامت الصارخ أبداً بكل الأصوات واللغات وهو هل نحن متخلقون بالتخلف التكويني الذاتي السلالي...؟

.. عن السؤال الصامتة عنه كل الألسنة الناطقة به كل الأفعال والأوضاع والكيونات.. كل الأوقات.. بكل الأساليب والتفسير.. إنه السؤال الذي صممت عنه كل ألسنتنا وصرخ وصرخ به كل وجودنا وتاريخنا..

كم هو صعب السؤال فكيف الجواب عنه؟

إن كل جواب عن هذا السؤال لن يكون حاسماً ما لم يكن بالفعل أي ما لم نتجاوزه بكيوننا أي ما لم نتحول من متخلفين كل صيغ وتفسير التخلف إلى متقدمين كل صيغ وتفسير التقدم أي التفوق..

.. غير هذا الجواب الذي هو جواب بالفعل والكيونة عن هذا السؤال الكريه تبقى أجوبة أخرى منها الجواب بالتجارب العملية القاسية الدائمة..

تقول هذه التجارب: لقد ظل تخلفنا الشامل الفاجع طويلاً، طويلاً يواجه ويمارش كل التحديات المهينة الحزينة الضاربة القارعة.. كل التفوق الغازي المحارب الهازم المعلم المغري المذل الفاضح العالي الساحر القاهر لكل العيون والأذان والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق.. المبارز بكل الجبروت بكل أسلحة ووسائل الانتصار والقهر لكل ما في تاريخنا ومقابرنا ومحاربينا ومنابرنا وذكرياتنا وأشعارنا من آلهة وأنبياء وأديان وأبطال وأمجاد وفتوحات وغزوات وانتصارات مقروعة مكتوبة معبودة متعبد متعبد بها.. يبارز كل ذلك مهدداً له بالتحطيم والإزالة والتكذيب والفضح والتهوين والاستهزاء به.

- نعم، تقول هذه التجارب: لقد ظل تخلفنا كل الزمن يواجه التعايش كل ذلك بكل هذه القسوة دون أن يستعين بطاقة التفوق الساكنة المختبئة فينا ودون أن تتحرك هذه الطاقة من داخلنا لكي تعينه أي تعين تخلفنا أو لكي تطرده لتكون بديلة أي لو افترض وجود هذه الطاقة..

.. تقول هذه التجارب فيما تقول: ألا يعني ذلك حتماً أن هذه الطاقة ليست في داخلنا ولم توجد قط في داخلنا..

ولو كانت هذه الطاقة أي طاقة التفوق والتخطي للتخلف موجودة في داخلنا وصامتة كل هذا الصمت في مواجهة هذه التحديات فهل يمكن حينئذ تصور مثلها بلادة وخموداً وهواناً بل وموتاً، موتاً؟

أليس فقدتها ونفبها حينئذ أكرم وأشرف لها من وجودها ومن إثباتها بل وأشرف وأكرم لنا؟ إنه لصعب جداً بل ومستحيل جداً أن تكون هذه الطاقة أو الموهبة موجودة في داخلنا ثم نظل

خامدة هذا الخمود أمام هذه التحديات، إنه لصعب بل ومستحيل اعتقاد ذلك أو زعمه..!
هل في ذاتنا طاقة ليست في الذوات الأخرى وهي قدرتها على اعتقال سواها العظيمة في
داخلها دون أن تأذن لها بالانطلاق؟

.. إنه لمستحيل أن تظل كل العيون المبصرة رافضة للرؤية أو مغلقة دون الرؤية أو عاجزة عن
الرؤية أمام كل المواجهات المتعددة المدمرة الخطيرة المحتاجة لكل الرؤية والتي لا إنقاذ منها إلا
بالرؤية..

أو أن تظل كل الأقدام السليمة القوية رافضة للحركة أو عاجزة عنها أو مهملتها أو ناسية أو
كارهة لها وهي تواجه كل الأخطار بكل صيغها ومعانيها التي لا يحسي أو ينقذ منها إلا الحركة بكل
قوتها.

إذن ما أقسى وأقوى ما تقوله التجارب في هذه القضية.. أليست التجارب المحكمة الكاملة هي
كل وسائل النفي والإثبات؟

لو كنا نملك هذه الطاقة الصامتة المختبئة الساكنة أمام كل ما نواجه فهل يمكن أن يوجد ما
يستحق كل العقاب والهوان والمذمة مثل هذه الطاقة؟ هل يوجد حيثئذ مثلها هواناً وبلادة وسقوطاً؟
.. وهل الطاقة الصامتة العاجزة الساكنة أبداً طاقة؟

لقد عجزنا كل هذا العجز في كل معانيها وصيغها وطوائفها ومواقفها ووظائفها وكتلتها وانتماءاتها
حتى ليصعب أو يستحيل تفسير ذلك بغير الاقتناع بأنه لا يوجد شيء في داخلنا أي شيء قوي صامت
قادر على الصمت وقابل للصمت أمام هذه المواجهات..

ومع هذا كم أتمنى وأنتظر وأطالب أن يكذب هذا التفسير أو هذا الاحتمال..

إن هذا التفسير أو الاحتمال ليطالبتنا ويفرض علينا أن نواجهه بأدكى وأقوى وأقسى المواجهات
لكي نثبت بطلانه. إن الحديث عنه نوع من المواجهة والمقاومة له أو يجب أن يكون كذلك كما أن
معرفة المرض وإعلانه والشكوى منه قد تكون بدءاً لمقاومته وللشداوي منه أو يجب أن تكون كذلك..
كما أن الأتني أو الصراخ رفضاً لشيء أو إعلاناً عن قبحه وظلمه وفحشه وبلادته وهوانه وفساده قد
يكون أسلوباً من أساليب إعلان الحرب عليه أو دعوة إلى ذلك وتحريضاً عليه..!

إذن علينا ألا نزعج أو نفضب ممن يتحدثون عن هذا التخلف الذاتي التكويني السلالي بل ولا
ممن يخشون أو يظنون أو حتى يعتقدون أننا مصابون به.. لأننا إن كنا مصابين به فلا ضرر من ذلك
البتة لأن تخلفنا حيثئذ لن يزيد أو يتعظم. أما إن لم تكن مصابين به فإذن حديثنا عنه وتخوفنا أو حتى
اعتقادنا بإصابتنا به قد يحرض أو لا بد أن يحرض طاقاتنا الكامنة الساكنة على الانطلاق والتفجر
خضوعاً وطاعة واستجابة لقوانين التحدي..!

إذن فعرض هذه القضية إما لا ضرر ولا نفع فيه أو فيه نفع بلا أي ضرر.

.. ومن سيئات هذا التخلف أو من حسناته ومنافعه أن المحكومين المصابين به لا ينتقلون بين

التقدم والتخلف أو بين التخلف والتفوق.. أي لا يصبحون لا هم ولا أجدادهم أو أحفادهم في فترة من التاريخ أو الزمن تحت ظروف وأسباب معينة متقدمين أو متفوقين وفي فترات أخرى نقيض ذلك.. إنهم أبدأ متخلفون في كل الظروف والأزمان.. كذلك لا يتخلق من هؤلاء المتخلفين أفراد عابرة مبدعون خلّاقون على المستوى الأعلى العالمي.. لا في الحكم ولا في القيادة أو الزعامة أو السياسة ولا في الحروب ولا في العلم أو الفكر ولا حتى في الشعر أو الفنون أو الآداب ولا في أية قضية من قضايا الإنسان أو الحياة أو الحضارة. إنه تخلف شامل متساوي في أنواعه وتنوعه..!

إن التخلف في أي نوع من هذه الأنواع لا بد أن يساوي بل ويعني تخلف الأنواع الأخرى.. فالتخلف في السياسة أو الزعامة أو القيادة أو الحكم لا بد أن يساوي ويعني التخلف في العلوم والآداب والفنون والتفكير.. كما أن التخلف في هذا لا بد أن يعني ويساوي التخلف في ذاك أي في المجتمعات والشعوب المصابة بهذا التخلف الذاتي التكويني..!

إنه لن ينتظر مفكر أو عالم مبدع فيمن كل زعمالهم وقادتهم وحكامهم متخلفون..!

.. وما يقال ويرى عن تقدم وتفوق آباء هذه المجتمعات والشعوب بتلك المبالغات المخجلة المضحكة لم يكن ولن يكون إلا إشاعات وأوهاماً وأكاذيب قد يكون من الحوافز عليها إرادة التعويض والتفكير عما هو حادث وواقع..!

إن العاجزين والناقصين لا بد أن يبحثوا عن التعويض بأساليب وصيغ فاضحة مخجلة ولا بد أن يجدوا ويعلموا هذا التعويض.. والمتخلفون هذا التخلف متفوقون جداً في الادعاء وفي المبالاة بآبائهم وتاريخهم بل وفي اعتقادهم وزعمهم أن تاريخهم وآبائهم وأنبياءهم وخلفائهم هم بداية ونهاية كل كون جميل عظيم بل وأنهم المعلمون للشموس والنجوم كيف تضيء وتصمد، وللأنهار كيف تجري وتروي، وللحقول كيف تخضر وتزهر وتثمر، وللنسيم كيف يهب ويلطف ويلطف، وللآلهة كيف تسعد وتفرح وترضى وتعطي وتغفر وترحم، وللكون كيف يصبح منطقياً وعلمياً وأخلاقياً وإنسانياً وتخطيط وتدير ومشيتة وصناعة إله، وللعقل والدين كيف يفتران كل قبح ووحشية وعبث وقوضى وسفاهة وبلاهة في كل شيء بكل الجمال والحب والرحمة والذكاء والعدل والنظام والعقل، وللعبون أن ترى كل جمال الإله في أبشع الدمامات والنشوهات وفي كل الدمامات والنشوهات..

.. ألسنا نزعم ونعتقد أن أنبياءنا وخلفائنا وآبائنا هم كل هؤلاء المعلمين لكل ذلك؟ بل ألسنا نرى ونعلن ونعلم أن كل أمجاد الماضي والحاضر والمستقبل تسكن في مقابرنا التي يسكن فيها أنبيائنا وخلفائنا وآبائنا وشعراؤنا بل تسكن أي كل أمجاد الحاضر والمستقبل والماضي في سطور وحروف كتبنا التي رويناها وكتبناها وتلقيناها عن آلهتنا وأنبيائنا وخلفائنا وفقهائنا وجهائنا وكذائينا ودجالينا؟ أليست أعظم أمجاد إلهنا بل كل أمجاد إلهنا هي أمجاده المدفونة في مقابرنا مع أنبيائنا وخلفائنا وفقهائنا وغرائنا والمدفونة في سطور وحروف كتبنا؟

أليس كل مجد قد كان أو سوف يكون مدفوناً في مقابرنا ومكتوباً على سطور كتبنا؟

.. إنه لا شيء بثقل وبهين وبذل وبفسد وبسرق ويستعيد عقولنا وذكائنا وأشواقنا وأخلاقتنا

وأوقاتنا وصفاء نفوسنا مثل قبورنا وكتبنا التي روتها وكتبها وفشرتها قبورنا..!

إنه لا يوجد عدو لنا مثل قبورنا ومثل كتبنا التي روتها قبورنا ورويناها عنها.

إن كذب التاريخ والكذب على التاريخ وبالتاريخ هو أصدق الصدق في مجتمعاتنا وتعاليمنا..!

إن كل كذب قد يحاسب ويحاكم ويعاقب وقد يكتشف وقد يؤذن أو يغفر أن يفعل به وله

وذلك إلا الكذب على التاريخ والكذب به وإلا كذب التاريخ أي في مجتمعاتنا وحياتنا..!

إذن كيف نصدق أننا كنا في التاريخ أو في إحدى فترات التاريخ متقدمين أو متفوقين أو لسنا

نعيش ونعيش تخلفنا هذا الشامل الفاجع الراسخ الذي لم يستطع أن يداوي أو يخفف منه أي شيء

ولا كل شيء.. من سحب منا ذلك التفوق المخارق المعجز وكيف سحب إن كان قد سحب أي قد

وجد وسحب؟ هل يمكن أو يستطيع أن تسحب من الأبناء خصائص الآباء الوراثية؟ هل وجدت أو

يمكن أن توجد مثل هذه المعجزة؟ إنها لو وجدت لأصبحت تهديداً خطيراً رهيباً لكل شيء.. إنه لن

يوثق حينئذ بأن أية كائنات أو سلالة سوف تبقى فيها خصائصها منتقلة في أجيالها دون أن تسحب

منها بأسلوب خارج على كل ما عرف من قوانين الطبيعة وأخلاقياتها.. إنه لتهديد رهيب حينئذ لكل

شيء ولكل واحد.. إن عمالية السحب هذه لو وجدت لن تبقى أماناً لأي شيء ولا ثقة بأي شيء.. إن

أرقى وأذكى وأقوى وأعلم الشعوب اليوم قد تتحول حينئذ فجأة إلى كل النقيض بل تتحول إلى

كائنات أخرى..!

.. منذ ألف وأربعمائة عام تفجرت في شعب صحرائي أُمِّي طاقات ومواهب على كل الاتجاهات

وبكل الصيغ والتفسيرات قهرت وبهرت وأذلت وأخافت كل العالم وأذنته وعلمته وتعلم منها كل شيء أي

من ذلك الشعب الصحراوي الرملي الأُمِّي.. وفجأة وبعد أعوام قليلة سحبت أو انسحبت من هذا الشعب

الصحراوي الأُمِّي هذه الطاقات والمواهب ليصبح هو وسلالاته ناقداً لكل شيء أي من الطاقات

والمواهب والنشاط والابداع مهزوماً في كل ميدان متخلفاً كل صيغ وتفسيرات التخلف.. ليتحول إلى كل

الرتاء أو إلى كل الشماتة والاستهزاء في كل مواجهاته وممارساته وتصرفاته ومواقفه وفي كل معانيه ليعيش

أبناءؤه أي أبناء هذا الشعب حتى اليوم مسحوبة منهم كل هذه الطاقات والمواهب..

ليواجهوا عالم اليوم بكل أحداته وكنيونه كما يواجهونه وكما يواجههم.. بكل هذا الهبوط إلى

فراع كل حضري..!

هل حدث هذا؟ وكيف حدث؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير غير الاقتناع بكذب التاريخ

والكذب على التاريخ والكذب بالتاريخ؟ هل وجد كاذب أو مكذوب عليه أو به مثل التاريخ؟

هل له من تفسير غير الاقتناع بأن أولئك الآباء من ذلك الشعب لم يكونوا إلا نسخاً وصوراً

قديمة نسخ وصور منها أبناءهم.. أبناء اليوم.. إن هؤلاء الأبناء ميراث صحيح عن أولئك الآباء.. أليس

الأبناء أصدق إرث للآباء في كينونة كل الكائنات..!

.. لعل مزاياهم الحضارية المتفوقة المروية لم تكن إلا شعراً عربياً.. إلا شعر مديح عربي.. هل

قرأنا شعر المديح العربي لنعرف ماذا يساوي ويعني؟ إن شعر المديح العربي هو تعبير عن كل الإنسان العربي وليس عن الشاعر العربي فقط..

إنه تعبير عن كل الإنسان العربي.. عن احترامه للمصدق وللکلمة ولما يقول ولنفسه وللغته وقومه وتاريخه ولكل شيء.. إن الشاعر العربي مادحاً يعبر عن خصائص وأخلاق الإنسان العربي في كل طوائفه ومواقفه ومواقفه وليس عن الشاعر العربي وحده.. إن من لم يعرف شيئاً عن الإنسان العربي فقرأ شعر الشاعر العربي لكفاه ذلك ليعرف كل شيء عن خصائص ومواهب وأخلاق الإنسان العربي..!

.. لقد تعلم وتلقى وورث أخلاق شعره من أخلاق شعبه.. لقد حول أخلاقه ورؤاه إلى شعر ولم يتكرها.. لقد أعطى لشعبه ما زرع فيه شعبه. لقد تكلم بلغة شعبه بأسلوب يسمى شعراً.. إن الشعر العربي كلام عربي جاء بصيغة تسمى شعراً.. إذن فشعر المديح العربي يساوي الإنسان العربي، والإنسان العربي يساوي شعر المديح العربي لأن الشاعر العربي هو الإنسان العربي متحولاً إلى شعر ومفروماً شعراً.. فالإنسان العربي ليس غلطة قبيحة شاذة في الإنسان العربي ولكنه هو في حالة نطق.. أهما ألقى تعبيراً عن الإنسان العربي.. القرآن العربي أم الشعر العربي؟ القرآن ليس شعراً ولكن هل يتفوق على الشعر في الوفا المفقود؟

.. فالشاعر العربي إذا كان قبيحاً ومنافقاً وكذاباً وذليلاً ولبداً وقاضحاً مفتضحاً مفطرحاً فالإنسان العربي كله كذلك...

.. فالإنسان العربي الراوي أمجاد آبائه والمؤمن بها كل هذا الإيمان هو كذلك.. هو شاعر عربي بلا وزن أو قافية..

.. إن الشعر لم يخلق الأخلاق العربية ولكن غير عنها وكذا فعل القرآن..

إن العرب لم يقطنوا إلى فضح الشعر لأخلاقهم ومواهبهم كما لم يقطنوا إلى فضح القرآن لذلك فيهم..!

نعم، أولئك الآباء الصحراويون الأميون الرمليون.. آباء هؤلاء الأبناء انطلقوا وهجموا فغزوا وفتحوا واحتلوا فأخذوا ونهبوا وغنموا وأذلوا واسترقوا الفتيان والفتيات والعجائز وباعوهم وباعوهن واشتروهم واشتروهن وامتلكوهم وامتلكوهن واغتصبوا أعراضهن وأعضاءهن المحرمة المحترمة وحولوا شعوباً إلى عبيد وأوطانهم إلى غنائم وحولوا ملوكهم وساداتهم وعظماءهم إلى خدم وإلى بضائع تباع وتشترى وتعرض في أسواق البيع والشراء والمساومة. وحولوا غروشهم وتيجانهم وقصورهم إلى لعب وملاعب وقلائد ومضاجع لجوارهم وغلمانهم المنهزين المسروقين.

لقد فعلوا كل ذلك في لحظات أو حماقات أو سفاهات أو مفاجآت فعلها التاريخ بنفسه لا يمكن فهمها أو تفسيرها بأكثر أو أدكى من أن يقال لقد كان التاريخ ينتحر، ينتحر بذلك.. لقد كان هذا الانتحار أشهر وأقسى عمليات التاريخ الانتحارية..

إن التاريخ ينتحر كثيراً ومرات، مرات كثيرة، ولعله دائماً في حالات انتحار دائمة.. لعل كل ما يفعله التاريخ انتحار ولكن الاختلاف في الأساليب وفي العنف والخفة..

إن التاريخ لا يفعل شيئاً لا يكون الانتحار ونبات الانتحار كل تفاسيره..!

ولعل أعجب أو أسوأ أو أفضل ما في انتحار التاريخ أنه انتحار لا ينهي المنتحر..! إن كل شيء تنتهي حياته إذا انتحر إلا التاريخ والآلهة. إنهما أي التاريخ والآلهة في انتحار دائم دون أن يقتلا حياتهما.. لقد فعلوا أي هؤلاء الآباء كل ذلك ولكن ماذا فعلوا لأنفسهم أو لمن أوقعوا بهم كل ذلك من مزايا من أي نوع؟

.. ماذا أعطوا لأنفسهم أو لأبنائهم وأحفادهم حتى اليوم أو لمن فعلوا بهم ذلك من حضارة أو تقدم أو علم أو رخاء أو محبة أو سلام أو قوة أو حتى تدين أو تقوى أو أي شيء جيد أو نبيل أو ذكي أو قوي؟

ليصت كل جواب عن هذا السؤال وليكن الجواب هو ما ورثه هؤلاء الآباء لحياة وكيونات أبنائهم ولحياة وكيونات من غزوا وضخوا وملكوا وحكموا وعلموا ونقلوهم إلى دينهم ولغتهم والانتماء إليهم أو إلى دينهم فقط، أي وإلى تاريخهم وتعاليمهم وحضارتهم وكبرياتهم واعتزازهم ومباهاتهم بعجزهم وتخلفهم وجهلهم وهوانهم وهزائمهم وبقبورهم.. حتى المباهاة بكل هذا نقلوها إليهم ونقلوهم إليها..!

.. هو ما ورثوه إياه تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً، مراثياً مروياً ومفروءاً ومسموعاً ومعروفاً وفاجعاً، فاجعاً..!

إن كل وجود هؤلاء الأبناء والأنبياء بكل ضعفه وهوانه وجهله وفضائحه وهزائمه وقبائحه وفساده وآثامه ونذالاته ليس إلا ميراثهم عن أولئك الآباء والسلف المعلمين الغازين الفاتحين المسترقين القادمين من الصحراء والرمال والأمية..

.. إلا ميراثهم عنهم الطبيعي أو التعليمي أو التلقيني التقليدي القهري.. والميراث أو الإرث أو التوريث الطبيعي السلافي هو أقوى وأعظم وأكبر ما يورث بل هو كل ما يورث في التفسير الأعظم الأشمل. إن كل شيء نقله أو نستطيعه أو نعلمه أو نريده ليس إلا إرثاً طبيعياً سلالياً..

إن معرفتنا للقراءة والكتابة ولأي شيء وكل شيء وتكلمنا باللغات وغير ذلك ليس إلا إرثاً وتوريثاً طبيعياً سلالياً، لقد ورثنا طبيعياً القدرة على ذلك أي خلقت وولدت فيها هذه القدرة خلقاً وولادة طبيعية وإلا لما استطعنا ولا عرفنا ولا أردنا أن نتعلم ذلك ولا شيئاً منه بل ولما وجد من يريد أو يستطيع أن يجعلنا شيئاً من ذلك..!

إن الأبناء كما يرثون أعضاءهم عن آبائهم كذلك يرثون مواهبهم وطاقاتهم واحتمالاتهم العلمية. .. إن والدَي الإنسان الأميين أو اللذين ماتا ساعة ولادته هما اللذان علّماه الكلام والمشى على قدميه وعلّماه القراءة والكتابة والجنس والزواج وكل شيء.. أي هما اللذان ورثاه ذلك طبيعياً ورسالياً كما أنهما قد ورثاه القدرة على ذلك بهذا الأسلوب السلافي الطبيعي التكويني..

إذن فهؤلاء الأبناء والأنبياء ليسوا إلا وارثين لهذا الميراث القبيح الكريه الصغير الرديء من أولئك الآباء والمعلمين السالفين.. وارثين له بكل أساليب وتفسير الإرث والتوريث الطبيعي التكويني السلافي المتولد عنه كل إرث وميراث وتوريث..

إن كل شيء وارثة حتى ما لا يستطيع إلّا بالتعليم والتلقين بل والمكابدة والنضال...
ولهذا فإن ابن الإنسان يجيء إنساناً بكل خصائص وطاقات واحتمالات الإنسان طبيعة وتفسير
وواقعاً ومتوقعاً.. وابن أي كائن آخر غير الإنسان يجيء وارثاً لصيغة أبيه ولمعانيه بلا إرادة ولا تدبير لا
من الوالد ولا من المولود..!



وبدون اعتذار عن التكرار نقول: إنه لو حدث أن شعباً أو مجتمعةً من الشعوب أو المجتمعات
كان في فترة من فترات التاريخ متفجراً بكل أنواع العبقريات والطاقات الإبداعية المعجزة والمذهلة
والهازمة لكل عبقرية وإبداع بكل الصيغ والتفسير والمقاييس ثم فجأة وبضربة قاجعة سحبت منه أو
ماتت فيه أو فقد كل ذلك.. كل هذه العبقريات والطاقات المبدعة ليصبح كل أبنائه وأحفاده وسلالته
كل ما يتصور وكل ما لا يستطيع تصوّره من الضعف والعجز والهرمان والجهل والبلادة والتخلف
والافتضاح في كل كينوناتهم وممارساتهم ومواجهاتهم واستعراضاتهم دون أن ينقذ أو ينفع أو يجدي
أي شيء أو أية محاولة.

- نعم، نقول: إنه لو حدث ذلك لأصبح أفتقع وأخطر إنذار وتهديد لكل العالم القوي المتحضر
المبدع بأن يحدث له كل ما حدث لهذا الشعب أو المجتمع فتسحب أو تنسحب أو تهرب منه أو
تموت فيه كل عبقرياته وطاقاته وإبداعاته وعلمونه وأفكاره وتفوّقه المعجز الشامل ليهري إلى كل
حضيض التخلف والعجز والجهل والهرمان والضياع مثل الذي حدث لهذا الشعب أو الشعوب أو لهذا
المجتمع أو المجتمعات.. ليفقد كل العالم حيثيذ كل وجوده الحضاري الصانع الصائغ لكل كينوناته
الكائنة اليوم والكائنة غداً بأساليب وصيغ لا حدود لتجدها وتطوّرها..!

ليعود أي كل العالم بدويّاً بدائياً بلا أمل في عودة مواهبه وعبقرياته وحضاراته إليه..!
إنه لخطر.. لأبشع خطر لو صح ما قيل عن هذا الشعب أو المجتمع من صعود بلا حدود ثم
هبوط كهذا الهبوط الذي نجده ونراه ونعرفه وتقاسبه اليوم بل منذ دهور..
هل فطن أو يفطن العالم إلى ذلك؟ وماذا لو فطن إليه؟ هل يستطيع حيثيذ أن يفعل أي شيء؟
إنه شيء لا تمكن الوقاية أو الحراسة أو العلاج منه أو التعقيم ضده..!

إن كل شيء قد يحمي ويحرس ويعالج وينقذ إلّا العبقريات والمواهب والطاقات التي تنسحب
من صاحبها أو من مكانها انسحاباً لا تعرف أسبابه أو بلا أسباب أو خروجاً على كل الأسباب.. أي
مثلاً انسحبت من هؤلاء الآباء ومن سلالاتهم..!

إن كل العلم والتفكير والمنطق والخيال والتجارب والرؤى عاجزة أن تعرف كيف أو لماذا
تنسحب العبقريات والطاقات والمواهب وكل معاني التفوق والحضارة الشاملة من أصحابها كما
انسحبت من هؤلاء الآباء أي لو كانت قد تخلقت في هؤلاء الآباء ثم انسحبت منهم بالأسلوب الذي
انسحبت به منهم..!

إذاً لتفجع يا كل العالم الغازي للشموس والأقمار والنجوم والأكوان. إنك مهدد بهذا

الانسحاب.. لنتنظر في كل اللحظات هذا الانسحاب.. إن مجيء الموت قد تكون له علامات وأسباب قد تمكن معرفتها ومقاومتها أما هذا الانسحاب فبلا أسباب أو علامات تعرف وتقاوم..
.. ومع كل هذا وبعد كل هذا كم أرجو وأتمنى وأطالب لو كانت القضية قضية مطالبة بأنها لم توجد وبأن تزيل كل الفروق بين جميع الكائنات البشرية وغير البشرية.. سلالات وأعرافاً وأجناساً وأنواعاً وأفراداً..

إنها لقيحة وأليمة وظالمة وفاجعة وعدوانية وبلدة وإهانة لكل الأخلاق والحسابات ولكل منطق ورؤية ومعنى جيد أن توجد هذه الفروق والتفاوتات بين الكائنات الحيوانية وبين الكائنات الحشرية وبين هذه الكائنات وهذه الكائنات وبينها وبين الإنسان وبين الإنسان.. سلالات وأعرافاً وأجناساً وبينه أفراداً، أفراداً..

كيف أمكن أن توجد هذه الفروق بكل فحشها وسخفها وقبحها وإذاتها وضلالها.. هل أرادها ودبرها أي مرشد مدبر؟

كم في هذه الفروق من العدوانية والوحشية والإذلال والمهانة والتشويه والقيح والتقيح.. كم فيها من الغباء والقسوة..!

كم فيها من تشريع وتيسير للاعتداء والإذلال والافتراس والغيظ والأثم ومن خلق أسباب ذلك ووسائله بل ومن تحويله إلى شرائع وأديان وفروسيات وإلى أخلاق وشهوات وحكمة ورحمة ومنطق إله.. أعظم إله..!

ألم تفسر بأنها كل النبل والحب والذكاء وكل عبقرية النظام؟

أما الفروق بين أفراد الإنسان في اللون أو في الجمال والدمامة أو في القوة والضعف أو في الصحة والمرض أو في الضخامة والفضالة أو في الذكاء والغباء أو في النصر والهزيمة أو في التكامل والتشويه أو في الرؤية والعمى أو في الطول والقصر أو في أي شيء يصنع تفوق فرد على فرد تفوقاً ذاتياً أو غير ذاتي اجتماعياً أو تاريخياً أو عرقياً أو سلالياً أو مكانياً أو وطنياً...

أو في غير ذلك من الفروق الصانعة للغيظ والغضب والخوف والإذلال والحزن وللهموان وللمشاعر وظروف الهوان وللهمزائم والسقوط ولكل الآلام النفسية أو العقلية أو الأخرى أو للعار.. أو من الفروق الصانعة للتعالي والكبرياء والغرور والتطاول والبراقة والتسلط والطفيان... الصانعة للآلهة والعبيد وللملايكة والأبالسة، والمستحقين الفردوس ومستحقين الجحيم.. ولموظفي الجنة وموظفي النار..!

- أما هذه الفروق فكيف لم تسقط كل احتمال بأن يكون في هذا الوجود أي تخطيط أو تدبير أو فعل جميل أو رحيم أو عاقل أو عادل أو مفهوم أو معقول أو مقبول أو مغفور أو لا يستحق أقسى المحاسبة والمحكمة والعقاب؟

كيف لم تسقط هذه الفروق كل تفسير جميل أو ذكي أو منطقي أو أخلاقي لهذا الوجود أو لأي شيء فيه؟ كيف يقبل أي كائن مهما كان سفهه وجهله وقبحه ووقاحته وبلادته وقسوته أن يكون هو المدير أو المرشد أو الفاعل لذلك أو المشارك فيه؟

كيف أصيب العالم كله بكل العمى والبلادة والتبؤد والجهالة لكي لا يرى أو يفهم أو ينكر شيئاً؟ كيف استطاع العالم أو أحد منه أن يعايش أو يواجه أو يرى أو يقرأ أو يفتر هذه الفروق؟ ... إن اتهام النفس بكل التهم بكل القسوة والعنف بكل الإعلان عن ذلك طموحاً وتطلعاً إلى الأقوى والأعظم والأجمل لأفضل وأنفع وأذكى وأشرف من الإعجاب بها والرضا عنها والمباهاة بها كل الإعجاب والرضا والمباهاة..

إن هذا الاتهام للنفس حياة وتاريخاً.. ماضياً وحاضراً.. أجداداً وآباء وأبناء قد يحرض على التخطي والتفوق والمفارقة لما كان ولما هو كائن ليأتي البديل الأعظم الأنفع في كل شيء.. إن تحريض الذات للذات على التخطي للتخلف ولأي نقص أو ضعف أو هوان أو عيب هو أقوى وأنفع تحريض..

أما هذا الرضا والإعجاب والمباهاة بالنفس ماضياً وحاضراً ولا سيما بالماضي والآباء والتاريخ.. نعم، أما هذا الرضا والإعجاب والمباهاة فقد يشغل ويلهي الحديث عنه والإعجاب والمباهاة به والانصراف إليه والبحث عنه وتبشيره وعرضه والاهتمام به عن كل عمل آخر قوي وجديد وعظيم.. عن كل محاولة إبداع أو تفوق على ما كان. إنه قد يتحول إلى تعويض والهاء عن كل عجز ونقص وتخلف.. ألم يسحبنا إعجابنا بآبائنا وتاريخنا إلى المقابر وإلى الصفحات السوداء المكتوبة بالحروف والخطوط الرديئة وبالأيدي الأمية الجاهلة المريضة المرتجفة لتجد فيها ولتهينا كل ما تتفوق به على كل ما تفوق به الآخرون علينا بل وعلى كل ما قد يتفوقون به علينا على مدى عمر الشمس والنجوم والوجود، ولكي تشغلنا عن كل محاولات واهتمامات جيدة جادة قد تجعلنا نستطيع شيئاً مما نحن عاجزون عنه!!

ألم يتحول إعجابنا بآبائنا وبحبنا عن كل ما نريد وتفرضه الحياة المتجددة القوية علينا في قبورهم إلى قيود وسدود وأغلال في أيدينا وأرجلنا وعقولنا ووجوهنا بل ورؤانا وأشواقنا؟

إذن ألم يصبح آباؤنا أقوى وأقوى الأعداء لنا أي بهذا التفسير؟

أليس الآباء يتحولون إلى عمى وصمم في العيون والأذان فلا ترى أو تسمع وإلى بلادة وجُمود وغيوبة في العقول والنفوس فلا تفهم أو تفكر أو تتشط أو تقتحم؟

والمراد بالآباء هنا آباؤنا الذين تحولوا إلى تراث ديني أو اعتقادي أو ثقافي أو عقلي أو أخلاقي أو أدبي أو نفسي أو اجتماعي أو تعليمي ثقيل فادح راسخ..!

ما أعظم ما سرق منا واستهلك وشغل وألهى فينا هؤلاء الآباء بل وضللوا وأفسدوا من أوقاتنا واهتماماتنا وحماسنا وأشواقنا وعقولنا وذكائنا وصفائنا وحبنا وبراءتنا ووقارنا بل ومن عضلاتنا وضرבתنا وسلاحنا وأموالنا وإنتاجنا وحياتنا.. وذلك بقراءتنا وتفسيرنا لهم وباهتمامنا واشتغالنا بهم وبتفكيرنا وتحديقنا فيهم وبالنصرافنا وبحبنا عنهم وإلهمنا وتعلمنا وتعليمنا لهم ولما قالوا وروي عنهم وباعتقادنا بأن فيهم وفي قبورهم كل ما يطلب ويراد وينفع في الحياتين: الأولى الفانية والثانية الباقية الخالدة وباختلافنا وتعادينا وتقاتلنا وانقسامنا وتخاصمنا وتشتائنا عليهم وبهم ومن أجلهم وبتشبيدنا لقبورهم

ومعابدهم واحتفالاتنا بهم ولتحكيمنا لهم في عقولنا وأفكارنا ورؤانا وتصوراتنا وفي مخاوفنا وآمالنا وحاضرنا ومستقبلنا..!

إنها لقضية تستحق كل التفكير والدراسة والاهتمام والعلاج ولكن لم تواجه بشيء من ذلك. إنه أسلوب من أساليب الانتحار الجماعي الشعبي القروي العلني الدائم بلا أية مقاومة أو استنكار أو علاج أو حتى رؤية له أو حديث عنه.. إن كثيراً من الشعوب لم تعاد وتقاوم وتفسد وتضل حياتها مثلما فعلت بها ذلك بآبائها هؤلاء..!



إن الإله هو أكبر وأشهر النماذج الأليمة الفظيعة لمن يكون موقفهم الدائم من أنفسهم موقف الرضا والامتداح والإعجاب والمباهاة بها ولها وعنهما دون أن يكون لهم أي موقف من مواقف النقد أو الاتهام أو الاستنكار لها أي لأنفسهم..!

ولهذا فإنه أي الإله في كل تاريخه لم يتغير إلى أي شيء من الأفضل أو الأذكى أو الأقوى أو الأتقى أو الأعلم أو الأرحم أو الأحكم بل ولا يردد هذا التغير أو يتصوره أو ينويه أو يقبله أو يتحدث عنه.. هل يوجد محتاج إلى التغير والتطور مثل الإله فلماذا لم يحدث ذلك؟

لو أنه أي الإله لم يكن معجباً مباهاً بنفسه وتاريخه وراضياً عنهما مادحاً معجداً لهما بل كان منهما ناقداً رافضاً لكيثوثتهما كما كانا أي نفسه وتاريخه متأثراً مستحيين منهما غاضباً عليهما وعلى كيثوثاتهما محاسباً محاكماً لهما على مجيئهما كما جاء.

- نعم، لو أنه كان كذلك أي الإله ولم يكن في رؤيته لنفسه وتاريخه كما كان أليس محتوماً أن يكون أو أن يحاول أن يكون بل ويتمنى أن يكون أفضل وأعظم مما كان في كل شيء؟ ولعل معاملة البشر له أي للإله دائماً بالمديح مهما فعل بهم وبأي شيء أقوى الأسباب في أنه لا يتغير أو يتطور أو يرى نفسه رؤية ناقدة متهمة مطلوبة له بالتغير والتطور..

إذن فالقسوة في نقد النفس واتهامها بالعجز والتقصير والتخلف محرضة على المحاولات والتطلعات الجيدة النافعة..

أما الرضا عنها والإعجاب والمباهاة بها والامتداح لها فلن يفعل شيئاً جيداً أو نافعاً إن لم يعوق ويبطئ ويؤخر ويفعل كل شيء رديء. والمفروض أن يفعل كل ذلك..

.. إذن أليس علينا أن نصدم ونفجع ونخيف أنفسنا دائماً بكل القسوة والإرهاب قائلين لها نحن متخلفون تخلفاً شاملاً قاسياً مهيباً.. فهل تخلفنا هذا تخلف تكويني وسلالة وجنس؟ نخشى ذلك لأن كل شيء فينا يدل على ذلك بل وعلته وبشته ويرد كل التفاسير الأخرى. أرجو وأتمنى أن توجد تفاسير أخرى.. أليس واجباً علينا ومطلوباً منا أن نظل نقول ونفعل ذلك بكل الحرارة والحماس والجهر وبكل أساليب الإعلان والمحاسبة والمحاكمة والمعاقبة ليكون ذلك محرضاً لنا على تخطي تخلفنا وعلى تحقيق تخطيه إن لم يكن تخلفاً تكوينياً طبعياً سلالياً لا يمكن الخروج أو العلاج منه..؟!

أيهم أفسى نقداً واثماً لأنفسهم ولآبائهم وتاريخهم: المتفوقون أم المتخلفون.. الأقوياء أم الضعفاء؟

أيهم أكثر رؤية لعيوب الذات ونفائسها وتحديقاً فيها؟

وأي الفريقين أكثر غلواً في الإعجاب والمباهاة بالنفس والآباء والتاريخ؟

إن معرفة الجواب عن هذا السؤال أو الأسئلة قد نجعلنا أو نرجو ونطالب أن نجعلنا نغير رؤانا ومواقفنا من قضية الإعجاب والمباهاة بالنفس وبما كناه ومن قضية النقد والاثم لذلك مهما كانت القسوة وأساليب الإعلان والتحدث عن هذا النقد والاثم..

ولكن هل رؤية النفس والآباء والتاريخ والتحدث عن ذلك بالإعجاب والمباهاة والامتناد والتمجيد.

- هل هو تفكير أو معرفة أو رؤية أو محاسبة وحساب أم هو طبيعة وموهبة وغريزة ومستوى طورى تكويني أي أم هو أحد تقاسير وصيغ ومعاني التخلف السلالي الطبيعي الجنسي الذاتي وأحد عطايا ومواهب هذا التخلف الذي لا يستطيع الانتصار عليه بالإرادة أو التعليم أو المحاولة أو بأي شيء آخر ما لم يتغير أو يبدل الجهاز أو الآلة أو الموهبة التي تصنع التخلف والتفوق أو التأخر والتقدم...



أه.. قد تكون التفسير الباطلة السخيفة المريحة بديلاً عن التفسير الصحيحة الجيدة المزعجة وقد تكون مفضلة عليها..!

لعل الأكثرين يفترون بحثاً عن الراحة لا عن المنطق والصواب..

.. لعل الحافظ الأقوى على اختلاف أكثر التفسير الرديئة الكاذبة وعلى الإيمان بها والدفاع عنها وعلى اجتناب ورفض أكثر التفسير الصحيحة الصادقة هو البحث عما يريح والهرب مما يزعج ولو في الحسابات والتقدير والتصورات الخاطئة..

إن أكثر الأخطاء الفكرية ليست أخطاء عقلية ولكنها رغبات نفسية..

هل كان خلق الإله للإنسان وللوجود وللإبليس وتخليفه وتسليطه وتسويده على الإنسان - هل كان عن خطأ عقلي فكري حسابي منطقي أم عن رغبة نفسية انفعالية جامحة شاردة فاضحة ضالة هائمة؟

كذلك إيجاده لنفسه أي الإله كما أوجدها ونفيله ومعايشته لها - هل كان عن خطأ عقلي أم عن هوى نفسي عاطفي مظلم ضائع؟ هل يمكن أن يكون عقله قد قال له: إن وجوده كما وجد منطقي أو فني أو أخلاقي أو جمالي أو حتى شاعري أو إنساني؟ هل كان هناك أي حساب أو محاسبة في هذه القضية أو في أية قضية يعملها أو يتعامل بها الإله؟

في غار حراء لم تجد الإله ولا الملاك

.. إلى من أتحجل وأخرج وهزم بحبه وصدافته لضخامة وجمال وصدق وبسالة نماذجهما
وتفاسيرهما ومعاملتهما وديمومتها.

كل الحب والصدقات..

حتى لقد أتحجلا وأخرجنا وهزما أي حبه وصدافته كل حب وصدقات الآلهة والأنبياء.

.. كل تصورات الآلهة والأنبياء وأعوانهم للحب والصدقات..

.. كل الحب والصدقات بين الآلهة والآلهة.. بين الأنبياء والأنبياء.. بين الآلهة والأنبياء.. بين الأخلاق والأنبياء والآلهة.. بين الأنبياء وأتباعهم.. بين الآلهة وعابديها ومنظريها وقارئها ومفسريها.. بين الآلهة وضمائرها ورؤاها وتمنياتها وشهواتها وعضلاتها..

.. بين الإله فاعلاً ومريداً ومخطئاً ومجزباً والإله مفسراً ومراداً ومتظراً ومدعواً مطلوباً منه..

هل يمكن تصور حب وصدقة مزعومين ومفقودين بكل صيغ وتفسير ومعاني الزعم والفقد مثل حب وصدقة الآلهة.. مثل الحب والصدقة للآلهة.. مثل الحب والصدقة واهبة لهما الآلهة وموهوبين للآلهة؟

كيف لم يفهم كل العالم ذلك؟ حتى أغنى أغبياء العالم كيف لم يفهموه؟ كيف استطاعت كل عبقریات الغباء أن تجهل هذا.. أن تهبط أو تصعد إلى كل هذا الغباء؟ كيف استطاعت كل مواهب الإله أن تتصور وتدبر وتخطط وتصوغ هذا الغباء لشبه لمجدها وحبيبتها الإنسان؟

من يهب الإنسان غباؤه؟ هل واهبه غباؤه هو واهبه ذكائه؟ هل يسكن أو يعقل أو يقبل تصور هذا؟

نعم، إنه لن يوجد أو يتصور حب أو صدقة هما كل التقويض بل كل الرفض والعداوة والهدم لكل تفاسير كل حب وصدقة مثل الحب والصدقة للإله واهباً لهما وموهوبين له..!

أليس أقوى وأتقى وأشهر أساليب الإله وتصورات في حبه وصدافته وفي تعبيره عنهما أن يذهب بكل النخوة ومشاعر السخاء والعطاء بدبر ويخطط ويفعل مجاهراً مفاخراً بكل لغات ومعاني الحماس والاهتمام والشوق لكي يصيب بأقصى وأقطع وأنكر وأدوم العاهات والتشوهات والآلام والأخطاء الرهيبة ولكي يقع في كل الأثام والمعاصي.

- نعم، لكي يفعل كل ذلك بمن يهيم كل حبه وصدافته لكي يفعله.. يزرعه في وجوههم

وعيونهم وقلوبهم وعقولهم وأخلاقهم ومشاعرهم وعواطفهم بل وفي إيمانهم وتقواهم أي لأنه يهيم
ويريد أن يهيم كل حبه وصدافته؟

أليس التشويه والتعذيب والإذلال بل والإيقاع في الضلال والفساد وفي كل الأخطاء والخطايا
بكل نيات المكر.

- أليس ذلك أشهر وأقوى وأشمل أساليب الإله العربي أو كل إله للتعبير عن حبه وصدافته
للتعبير عن ضخامة وسخاء ونبل حبه وصدافته؟

هل وجد من قال أو يقول غير هذا؟

هل وجد أو يوجد من لا يحكم بالكفر على من لا يقول ويعتقد هذا بل ويكفر كل من لا
يكفر من لا يعتقد ويقول هذا؟ أليس كل مؤمن بالنبي العربي وبالدين العربي يقول هذا ويعتقده؟ كن يا
قلمي عظيماً قوياً جسوراً ذكياً.. كن متكافئاً مع موقفك.. مع موقعي.. كن يا قلمي، كن.

آه، ما أقسى «كن» هنا.. ما أقساها.. ولكن بماذا تفسر أو تفهم القسوة؟ هل لها تفسير محددة
مفهومة؟ من صنع أو فهم أو حدد تفاسيرها؟

حتى الإله وأعوانه ومستشاروه هل فهموا أو حددوا أو صنعوا ذلك؟

ماذا كان محتوماً أن يحدث لو أنهم أي الإله وأعوانه ومستشاريه فهموا وحددوا وصنعوا ذلك؟

كن يا قلمي المفجوع الخائف دون أن يكون أو يستطيع أن يصبح فاجعاً أو مخيفاً..!

كن عظيماً قوياً جسوراً ذكياً لكي تستطيع.. لكي تجرؤ أن تقول: لقد طلب مني.. بل لقد
أمرني.. لقد أصدر أوامره السلطانية علي وإلى...

لكي أذهب، أذهب إلى غار حراء، حراء..

.. إلى مخبأ وملجأ ومسكن ومرقد ومستراح الإله الذي قد أصبح شيخاً ضعيفاً كبيراً عاجزاً بل
ومستحيئاً وخائفاً من مفادرتة.. من أن يظهر أو يرى..

.. لكي أذهب إلى هذا المخبأ والملجأ والمسكن والمرقد والمستراح للإله الذي قد أرهفته
وأذله وهزته وشوّته وعدّته الشيخوخة بكل قبحها، قبحها، قبحها..

.. لكي أذهب إلى الغار.. إلى غار حراء.. غار الوحي.. غار ملاك الوحي.. غار نبوة النبي
العربي محمد.

.. إلى الغار الذي لم يأت إليه أو يسكن أو يتعامل أو يظهر أو يفخر أو يرض أو يسعد أو يفرح
أو يعظم الإله في أي مكان مثلما كان كل ذلك أو مثلما اعتقد أنه أي فيه قد كان كل ذلك.

أعني الإله..!

لكي أذهب إليه.. إلى هذا الغار.. غار حراء الذي هو كل مجد وعبقريّة وعلم وتقوى الإنسان

العربي وكل حضاراته وانتصاراته وكل استقباله ومقابلاته لآلهته وألوهياته بل ولكل مواجهاته ومخاصماته ومصالحاته وصداقاته وعداواته..

.. الذي هو كل رؤاه وآرائه وعقائده، كل إيمانه وكفره..

هل غير الأمة العربية أمة كل مجدها وتقواها وقوتها وعبقريتها وعلمها وحضاراتها بل وكل آلهتها وأنبيائها في غار... يحيل بهم وبها غار، ويلدها ويعلمها ويربها ويخلقها ويلدهم ويعلمهم ويربهم ويخلقهم غار.. بل ويصوغها ويفسرها ويصوغهم ويقسهم غار. نعم، غار بكل صيغ الغار وتفسيره؟ ولكن هل هذا الغار موجود حتى اليوم؟ هل يتصور هذا؟ هل يمكن ألا تكون هذه الآبار المجتونة في سخائها وقوتها وفيضاناتها قد أغرقته أو دمرته أي هذا الغار أو أنه هو قد غرق أو هرب أو مات تحت رهبة أو إذلال أو تحدي هذه الآبار له؟

أيمن أن تكون منافسة هذه الآبار له قد قتله؟

هل يستطيع أو يجرؤ أو يتحمل الإله الذي صنع هذه الآبار وملأها وخبأها بل ودفنها تحت الأقدام والخيام والمباني أن ينافس أو يواجه أو يفاخر الإله الذي اكتشفها وفهمها وأظهرها وأخضعها واستعبدها وفصحها بانتصار كل معانيه على كل معاني من بصقها في ضمير البدانة والجهالة.. من اختار لها الصحراء وطناً وسكناً بل وقبراً.. إذن أليس محتملاً أو مطلوباً أو محتوماً أن يكون إله هذا الغار قد فعل شيئاً لإخفاء غاره فراعاً به من مواجهته لهذه الآبار.. الآبار التي سحبت منه كل مجده وكل رعاياه بل وسحبته من التاريخ وسحبت التاريخ منه؟

.. أجل، لقد حدّق في عابساً مبسماً أمراً مطالباً ملزماً لي بأن أذهب إليه.. إلى الغار.. أذهب إليه بأسلوب الإسراء والمعراج وعلى أجنحة براقه.. وبأن أحب كل صلواتي وتضرعاتي ونداءاتي وهتافاتي واستجدلاتي وإيماني وتقواي لملاك الوحي.. لملائكة الوحي لكي تهبني، تنزل علي، إلي وحيّاً.. أعلى وأقوى ما عرفت وأنزلت السماء من وحي.. سورة أو آية أو إصحاحاً أو سقراً من القرآن أو التوراة أو الإنجيل أو من الوحي الذي لم ينزل والذي هو أسمى وأتقى وأذكى وأعلم وأصدق من كل ما نزل..!

أليس الوحي الذي لم ينزل هو أفضل وأعظم وأشرف وأجمل في كل الحسابات والمقاييس من الوحي الذي نزل.. الذي أوحته وأنزلته أعلى السموات على أعظم الأنبياء راوية وناقلة له عن أعظم الآلهة؟

ليت كل الوحي الذي نزل لم ينزل وكل الوحي الذي لم يستطع أن ينزل نزل..! لماذا لم يحدث ذلك؟ هل هناك قوة غير مفهومة أو معقولة تدبّر دائماً ليكون ما ينزل ويوحى أردأ وأفجع مما لا ينزل ولا يوحى؟

أليس أعظم وأعقل وأنظف وأنفع آلهة الإنسان وأنبيائه وزعمائه هم الذين لم يجيئوا إليه ولن يجيئوا.. هم الذين عجزوا عن المعجزة وعن أن يعرفوا كيف يجيئون وكيف يستطيعون بل ورفضوا أن يجيئوا؟

أليس أعظم الأكوان نظاماً وفتاً وجمالاً ومنطقاً وأخلاقاً وتكويناً هو الكون الذي عجزت كل الآلهة عن فهمه وتصوره وإرادته وخلقه وصياغته وإحضاره بل وعن حبه؟ أليس كل ما لا ينبغي أن يكون هو الذي يكون وأن يكون هو الذي لا يكون؟ هل حدث أن جاء شيء أي شيء ولو واحداً ولو مرة واحدة كما ينبغي أن يجيء؟

.. كان يريد لي أن أتلقى هذا الوحي بهذه الأوصاف والشروط لكي أجرؤ على مخاطبتكم به إذ بدونك لن أجرؤ على ذلك. إنه يعرف موقفه هذا!

لقد كان في موقفه هذا كما هو في كل مواقفه حقياً رحيماً كبيراً وأيضاً مخيفاً! ... كان محتوماً أن أطيع الأوامر!

هل استطاع العصيان للأوامر بل أو للتلميحات أو للإشارات أو للإيماءات أو للهمسات الصادرة إلي.. الأمرة المرعدة. الناطقة أو حتى الصامتة؟

أليس هناك من صمتهم أبلغ وأقوى نطقاً من كل اللغات الناطقة؟

.. ما أقدر الأوامر أي أحياناً حتى الهامسة بل حتى الصامتة منها - ما أقدرها على الإخضاع، على أن تصنع كل الخضوع وإرادة الخضوع لها بلا محاسبة أو مساءلة أو بحث عن أي تفسير!.. ما أقدرها، أقدرها. ولكن ما أجملها وأنفعها وأنبهها في فعلها هذا.. في قدرتها هذه!

آه. لعلكم جربتموها وسعدتم بها وتمنيتهم المزيد منها أي من هذه القدرة على الإخضاع، المسعد المفرح المطالب بالمزيد، المزيد من هذا الإخضاع والخضوع.. من قدرتها على أن تسحر وتقهّر وتبهر مع تمنّي من سحرتهم وقهّرتهم وبهرتهم بالمزيد، المزيد من قهرها وبهرها وسحرتها لهم؟ ما أجمل أن تسحر بساحر ولكن ما أفصح أن تسحر بدجال!..

آه. ألا يحتمل أن الإله يتعذب كل العذاب وأقسى وأدوم العذاب الآن وكل آن إذ يجد أنه عاجز، عاجز عن أن يعرف أو يملك أو يستطيع أي شيء أو قدر من القهر أو البهر أو السحر الذي تعرفه وتملكه وتستطيعه وتفعله كله، كله هذه الذات.. هذه الشخصية!..

ولعله أي الإله يقاسي كل الأوقات كل المقاساة محاولاً أن يتعلم شيئاً من سحر وقهر وبهر هذه الشخصية!

.. مطيعاً مستسلماً متعبداً مرتلاً كل أناشيد الصلوات والمصلين!..



ذهبت إلى الفار.. غار حراء.. غار محمد وإلهه وملاكه.. إلى الغار العابس البابس البائس البائس.. ذهبت إليه استجابة للأوامر.

دخلت الغار دخلته.. صدمت.. ذهلت.. فجمعت.. خجلت، خجلت من نفسي وقومي وديني وتاريخي وإلهي ونبي ومن قراءاتي ومحققاتي!..

تضاعف وزهد بتضاعف وتضاعف صدماتي وفواجعي وذهولي وخجلي، خجلي.. من نفسي ومن كل شيء عرفته أو قرأته أو تذكرته أو اعتقدته أو احترمته أو تعلمته أو حفظته أو أملتة أو انتظرته.. ذهبت أحدى وأتلفت.. أين أنا، أين أنا من أنا؟ هل أنا أنا؟ ماذا أرى؟ هل أنا أرى؟ هل أطيع أن أكون أرى ما أرى؟

آه.. فجيعتي، فجيعتي هنا في هذه اللحظات بلا حدود أو مقاييس أو حسابات.. بلا عزاء أو شفاء.. أعني فجيعتي بمجيئي إلى الغار.. إلى هذا الغار.. بوصولي إليه.. بمواجهتي له.. بقراءتي له..!

ظلمت أحترق، أحترق بكل طاقات الاحتراق.. أحترق حيرة وذهولاً وعجزاً وبأساً وانتهزماً وتحديفاً وسؤالاً وسؤالاً، تساؤلاً، أيمكن أن يكذب ويوزر التاريخ كل هذا التزوير والكذب؟ إذن هل كذب على الإنسان وعطل وأفسد طاقاته العقلية والأخلاقية مثل الرواية؟

أهذا هو الغار.. هو غار حراء.. هو الغار الذي لجأ واختبأ فيه الإله كل التاريخ المحسوب كل تاريخ الوجود والكينونات مقسماً ومقرراً ألا يظهر أو يعرف أو يسمع أو يقرأ أو يوجد أو يفعل أو يحيا أو يخاطب أو يعامل فيه أو به أو منه أو معه أو إليه.. إلّا هنا ومن هنا...

متحدثاً باللغة العربية إلى النبوة العربية معلماً لها الديانة العربية لتكون الديانة العالمية الكونية النهائية ولتكون الأمة العربية هي المعلمة الأبدية لكل الإنسانية كيف تعبد إلى السماء وكيف تفهمها وتعامل معها بل ولتكون القائدة لها إلى ذلك ولتكون المفشرة المعلمة لخصائص وأخلاق وشهوات وأوامر وطلبات سكان السماء والمالكة لكل مفاتيحها ومنافذها أي السماء بل والسفير الوحيد لديها لكل البشرية..

.. ذهبت إليه.. إلى الغار، غار القرآن المغلق والهادم لكل غار قبله ولكل غار بعده لأنه يجب أن يكون هو كل غار وآخر غار والغائر والغور من كل غار..!

كما أنه أي القرآن قد أصبح وأعلن نفسه كل قرآن وكل توراة وكل إنجيل ووحى وكل نبي وإله..!

.. ذهبت إلى الغار الذي ولد وورث وعلم ولقن وآلف وحرض وخلد أقسى وأقوى وأغنى وأجهل وأدوم ألوهيات ونبوات وديانات ووقاحات ووحشيات التعصب والحقد والبغضاء والعدوان والعداوات والجهالات والبلادات والخرافات المهينة لكل التفاسير... والتي لا بد أن يشترط فيها وعليها ألا يستطيع بل أو يراى الشفاء منها..!.. هل أستطيع أو هل يستطيع الشفاء أو يراى أو أريد أي الشفاء مما علّمه وقاله هذا الغار مهما تعاضم الطب والأطباء؟

آه.. ولكن هل يمكن وجود أو تصور مسافة فاصلة أو معروفة أو حتى معلنة تساوي في بعدها وقسوتها وجهالتها وبذاءتها وتضليلها وضلالها شيئاً من المسافة الفاصلة بين الجمال والقيح.. بين الشهامة والذالة.. بين الذكاء والغباء.. بين العلم والجهل.. بين المنطق والخروج على كل منطق.. بين الملاك والشیطان.. بين الإله وإليس.. بين النبي وقتله.. بين النبي والدجال..؟!

وهل وجدت أو يمكن أن توجد هذه المسافة الفاصلة أو أن يوجد أي فصل بين هذا وهذا..
بين شيء وشيء؟

هل وجد من عرفوا وحددوا هذه المسافة أو هذا الفصل أو البعد بين الشيء ونقيضه؟
ولكن مهما فقدت وأنكرت هذه المسافات الفاصلة أليس محتوماً أن توجد ونظلم موجودة وأن
تزداد وجوداً واتساعاً وأبعاداً.. بين هذا وهذا..

بين الإنسان والإنسان.. بين النبي والنبي.. بين الإنسان العربي والإنسان الآخر.. أي الإنسان
الذي أصبح آخر، آخر ويصبح آخر، آخر أكثر كلما واجه الإنسان العربي أية مواجهة وكل مواجهة..
أليس الإنسان العربي مواجهاً ورافضاً.. محارباً ومسالماً مصادقاً يصنع الإنسان الآخر أي يعلن عنه وعن
تفوقه! بين النبي العربي القاتل: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» والقاتل بكل نخوة وفروسية
وتقوى العروبة وإيمانها وشهامتها وتبوتها وبكل التكرار.. التكرار: «واغلظ عليهم» «وليجدوا فيكم
غلظة» «أشداء على الكفار».

— نعم، بين النبي العربي القاتل والمعلم والمريد والفاعل لكل ذلك..
والنبي غير العربي.. النبي اليهودي الإسرائيلي القاتل والمعلم والمشرع المصلي المغني لما يقول
وبما يقول..

— نعم، والنبي غير العربي أي الإسرائيلي اليهودي القاتل وسكان السماء يسمعون ويستمعون بكل
الانبهار والانتقار والذهول والإعجاب مع كل مشاعر المعجز عن إرادة ذلك أو القدرة عليه فكيف فعله
والالتزام به أي ما يقوله هذا النبي الذي لم يكن عربياً.. أليس سكان السماء أعجز من كل العاجزين
عن فعل وإرادة ما يجب وينبغي فعله؟ النبي القاتل في أصعب وأذكى وأقوى وأبسل مواقف التحدي
والرفض والتعليم والبسالة والتقوى والحب للإنسانية ولتجميل الإله الذي لا جمال له والذي لن يكون
له أي جمال أو يعرف ما الجمال..!

وهل يعرف الجمال أو يحترمه أو يفعله من يزرع العاة في الوجه الجميل البريء؟
نعم، والنبي غير العربي والذي لن يكون عربياً.. القاتل وكأنه يريد أن يلقن ويعلم الإله العربي
بل وكل إله أن يكون كذلك أو شيئاً منه..

— القاتل: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر»..!

آه. كم في هذا القول من إرادة التعليم والتهديب للإله، لكل إله؟ أليست هذه الكلمة تطالب
الإله بأن يقطع يديه وكل أعضائه وعضلاته لئلا يرمي أي أحد بأي حجر؟..!

والنبي غير العربي القاتل: «أحبوا أعداءكم.. أحبواهم، باركواهم.. اغفروا للاعنيكم اغفروا لهم»..
«اعتقدوا إليهم عن قسوة وإساءة الإله والطبيعة عليهم وإليهم.. عوضوهم عن كل ما قاسوا وواجهوا
ورأوا وعرفوا بالحنان والإشفاق عليهم».. «كونوا لهم شيئاً من حب ورحمة وأخلاق الإله التي لم
يستطع أو يرد أن يكونها أي الإله أي حبه ورحمته وأخلاقه المقررة؟»

وقولوا لهم إن الإله لم يكن يريد أو يرضى أن يصيبهم بما أصابهم به بل إنه لم ير أو يعرف أنه قد أصابهم..! لقد كان غائباً عن قلبه وضميره وعقله وعينه وأخلاقه وعدالته وكرامته وشهامته ورحمته وحكمته حين أصابهم بما أصابهم كما كانت كل هذه المعاني والأوصاف غائبة عنه بل هاجرة ورافضة له حين فعل ذلك..

أليست غيبة الإله وغيوبته دائمتين بلا تحديد زمني أو مكاني؟

هل أفاق الإله من غيبته وغيوبته في أية لحظة من لحظات وجوده؟

أليس كل شيء يقول: لاء، لا؟ إن بقاء أي شيء يعني أنه لا يوجد إله مقيم..!

وقولوا لأعدائكم ولاعنيتكم ومخالفيتكم وخصومكم لستم أعداء ولا خصوماً ولا لاعنين ولا مخالفين ولكنها أخطاء وتناقضات ومناقضات صنعتها وأوحت بها اللغات والتعبيرات والتحيزات والقراءات والحدود والأبعاد الزمانية والمكانية والتشوهات الكونية..

وقولوا لهم: نحن نرفض وننكر بل ونقتل ونقاتل كلمات أعداء وخصوم وملعونين وخوارج وكفار وضالين وخبيثاء ومخادعين وماكرين ومتأمرين..

هل ابتكر البشر أي آلهة البشر وأنبيأؤهم وزعمائؤهم وقادتهم ومعلموهم وكل الصاعدين فوق منابرهم ومحاربيهم ابتكاراً يساوي في قبحه وفحشه ونذالته وبلادته ابتكارهم لكلمات أعداء وخصوم وأضداد.. لكلمات عداوة وخصومة ومضادة.. قال هذا أو يريد أن يقوله أو ينبغي أن يقوله هذا النبي غير العربي والذي لن يكون عربياً..!

.. نعم، أو مثل المسافة الفاصلة بين إرادتنا واستطاعتنا.. بين تقبلنا ورفضنا.. بين قولنا وفعلنا.. بين اعتقادنا وتفكيرنا.. بين عقائدنا ومعارفنا.. بين إيماننا وسلوكنا.. بين رؤيتنا ورأينا.. بين أعضائنا وتعاليمنا وضمائرنا.. بين إلهنا فاعلاً ومرئياً وإلهنا معلماً ومفسراً ومروياً ومعتقداً.. بين إلهنا مسموعاً من قم النبي والمعلم والشيخ والقارئ ومن فوق المنبر والمحراب..

وبين إلهنا وجوداً وأنبياءً وبكاءً وتشوهاً وألاماً وعاهات وضعفاً وهواناً وبلادة وجهالة...

في كل أجساد وعيون ووجوه وعقول وأخلاق وقلوب وضمائر وبيوت ومواطن وأفواه ولغات وحياة كل الكائنات.. حتى الكائن الذي هو الإله أو المحسوب المزعوم إلهاً..!

أليست كل العاهات والتشوهات والدمامات والضعف والشيخوخة والآثام والهوان والفضائح وكل القبايح قد تخلقت في ضمير الإله وقلبه وعينه وأشواقه وأخلاقه ونياته وفي وجهه وجسده ويديه وعضلاته وفوق عرشه وفي أركان وحلي وأصباغ عرشه قبل أن يصيب بها من أصاب ويصيب؟ إذن أليست ذاته أي ذات الإله ونفسه هما المزرعة والمصنع الكونيين لكل ما ينكر ويقبح ويفضح ويرفض ويؤلم ويذل ويخجل؟

.. نعم، ذهبت إلى الغار في طرفان من الانفعالات التي لا يستطيع تحديدها أو ضبطها أو

التقايم أو التماور معها أو إطفاء أو تبريد شيء من حرائقها.. إنه لو وجد العدل في كل شيء والضبط لكل شيء لظلت الانفجالات بلا عدل ولا ضبط..!

.. ذهبت مطيعاً للأوامر..!

.. وبعد مقاساة أقسى عذاب الانتظار المصاب بكل رهبة وهيبة التوجس والتوقع وأخطار واحتمالات المواجهة التي لم أجربها أو أتوقع أن أجربها أو أر من جربها أو يجربها..!

.. جاء إليّ ملاك الوحي.. جاء إليّ بوجه وطلعة وملامح وتعبيرات وحركات وكلمات واعترافات لا بد أن توقظ وتحرك وتهز وتخيف وتضعج بلادة وخمول ونوم وموت وصمم وأمن الإله لو سمعها أو رآها أو قرأها أو فهمها..

.. جاء إليّ لاعتنا نفسه.. معذراً إليّ وإلى الإنسانية كلها مما فعل بها.. بل لاعتنا بألغاز غامضة من حكم عليه بهذه الوظيفة وظيفة توصيل الوحي من السماء إلى الأرض..!

.. ما أقسى ما فعل بها كما اعترف وقال أو كما قال صراخه الفاجع المقجوع دون أن ينوي أو يعني الاعتراف.. قال والدموع تتقاطر من عينيه والارتجافات والزفريات تهز كل ذاته: إنه هو الذي علم الإنسانية كلها هذا الغباء والبلى والجهل والحقد والبغض والتعصب والعدوانية والتقسيم للبشرية، وإنه هو الذي علمها أي الإنسانية السجود والركوع وكل أنواع وأساليب كل هذه العبادات والتعبد بكل هذا الهوان والطاعة والبلادة والتبذد.. بكل هذه الصيغ والأساليب.. بكل هذا التحقير والهجاء للنفس والقلب والعقل والضمير والأخلاق بل وللأعضاء الراكعة الساجدة.. بكل هذا التحطيم للهجمات والقامات.. للكرامة.. للكرياء.. للذكاء.. للشجاعة.. للنظافة.. إنه تحطيم، تحطيم لكل تفاسير الإنسان. لقد كانت حظوظ الإنسان العربي من عملية التحطيم هذه من أضخم الحظوظ وأقواها تدميراً وتضليلاً وإذلالاً وتعجيزاً. وقد تكون مواجهاته لإسرائيل أقسى تعبير عن ذلك وتفسير له..!

.. قال أي ملاك الوحي: أنا الفاعل لكل ذلك بتعليمي وإيماني حين أوحيت وعلمت النبي العربي كل ذلك طالباً بل فارضاً عليه أن يحول كل ذلك إلى دين وأخلاق وسلوك وضمير وإيمان وهوان وتحطيم عالمي كوني لا استطاع ولا يراد العلاج أو الشفاء منه.. لقد دلت التجارب الطويلة الأليمة على أن في ما أوحيت إلى النبي العربي خصائص ليست في أي شيء آخر. إحدى هذه الخصائص أنه لا استطاع الشفاء منه بل ولا يرا..!

.. جاء إليّ ملاك الوحي يقاسي كل العذاب بكل أسباب وصيغ ولغات وتعبيرات ومنطق العذاب كل العذاب ذارفاً كل الدموع بكل غزاراتها وتعبيراتها وآلامها وأدائها ومذاهبها وانتماءاتها.. هو وكل مستشاريه وأعدائه وأصدقائه..

قائلاً وقائلين بكل لغات ومشاعر وعذاب الإحراق والاحتراق والصدق والحب والأسى والندم والتوبة والاعتذار والاستغفار.. بكل نيات الاتهام والتعنيف والتجهيل لمن فرض عليهم هذه الوظائف..! إنها وظائف بالإكراه.. بلا أجر أو شكر.. لممارسة أفبح الممارسات.. قائلاً وقائلين: إننا عاجزون، عاجزون..!

عن أن نرضى أو نتقبل أو نطيع لنفعل ونتحتمل ونتحتمل المزيد من أخطائنا وخطايانا التي حولناها إلى معابد وعبادات وآلهة بل وإلى سجون ومعتقلات للتاريخ لا يستطيع كما لا يراد الخروج منها بل ويضلل الواقعون فيها ليوقموا كل العالم فيها..

.. لقد قاسيتنا، وإننا لا نزال نقاسي وسوف نظل نقاسي، نقاسي من تعذيب وتأنيب ضمائرنا وأخلاقنا وتقوانا غير الإنسانية لنا لقبح وقسوة وبشاعة وبلادة وجهالة وخديعة ونذالة وتضليل وإفساد ما قلناه وأوحيناه وعلمناه من هذا الغار وفيه وبأسه!

هل ضللت أو أسرت طاقات الإنسان ومعانيه مثلما ضللت وأسرت في هذا الغار ومنه؟ هل تستطيع أية قوة خيرة في هذا الوجود أو في أي وجود أن تسحب من عقل التاريخ أو من أخلاقه أو حتى من عيونه ولغاته أو من ذكرياته ومحفوظاته وسجلاته شيئاً مما قلناه أو علمناه أو أوحيناه في هذا الغار وإليه ولو سترأ على عارنا واعتذاراً عما فعلناه وإنفاذاً للحياة وللإنسان منه.. إنقاذاً لعقله وضميره وأخلاقه وعواطفه بل ولرؤاه وطموحه وعضلاته ولغاته لأن ما علمناه يفسد ويضلل كل ذلك فيه؟

... هكذا كان ملاك الوحي ومن معه يتكلمون. اقتنعت أو أردت أو تمنيت الاقتناع بأنها لا توجد أية مسافة فاصلة أو عازلة بين كلماتهم ونياتهم وضمائرهم بل بأن كلماتهم أو أفواههم هي نياتهم وضمائرهم وأخلاقهم وإراداتهم.. بأن هذه ليست غير هذه.. ليست هذه رسول هذه.. رسولها الصادق أحياناً والكاذب أهدأ.. ويظهر أن جميع الكائنات.. الحيوانات وغيرها كذلك. ولعل الإنسان هو وحده المصاب بهذا الانفصال القبيح الخطير جداً بين لسانه ونياته بل وكل حقيقته ووجوده. ما أضخم وأدوم شرور وأخطار هذا الانفصال!

إنه لشيء من الاعتذار الجيد المطلوب بل ومن التكفير عن الأخطاء والخطايا والنقائص أن يعترف بها فاعلوها ويعلموا اعترافهم جاهرين باعترافهم.

- أن يفعلوا ذلك تحت حوافز الصدق والتقوى وبنياتهما - أن يفعلوا ذلك تائبين ونادمين لا أن يفعلوه كما يفعل الإله حين يعلن ويعترف بكل السذاجة أو البلاهة أو الوقاحة والسفاهة أو بالتفسير الذي لا تفسير له أنه المرید المخطط الفاعل لكل شيء.. لكل المظالم والآلام والقبايح والفضائح والأخطاء والخطايا بل والمعلم لكل ذلك القائد إليه - حين يفعل ذلك بلغات ونيات وشاعريات ومشاعر وتفسيرات المباهاة والامتنان والإصرار على الإصرار..!

هل وجد أو هل يمكن أن يوجد أو يتصور أو يقبل أن يوجد من يعلن افتخاره ومجده وعبقريته وشهامته وتقواه وتفصله وامتثانه على كل شيء وكل أحد بأنه ولأنه هو الذي أراد وأحب وخطط وقرر وفعل كل شيء وكل أحد كما جاء بكل بداياته ونهاياته.. بكل ما يلقى ويرى ويواجه ويقاسي بين بداياته ونهاياته.. حتى الحيوانات والحشرات بكل ما تفعل ويقبل بها بداية ونهاية..! هل وجد أو يتصور مذموم مشتم أو من يستحق أن يكون ذلك مثل المرید المخطط الفاعل لكل المراد المخطط المفعول.. لكل ما كان ولكل ما سوف يكون؟

أليس كل من شتم أو ذم أو حقر أو رفض أي شيء أو أي أحد إنما يعني وإن لم يعرف المرید المخطط الفاعل لكل شيء ولكل أحد؟ كيف أمكن جهل هذا؟

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد أو حتى يتصور قبح هو كل القبح.. بحسب ويزعم ويرى كل الجمال مثل قبح الإله، أو جمال هو كل القبح وأقبح القبح يرى ويزعم كل الجمال مثل جمال الإله أي مثل قبح الإله أي لأنه أي الإله هو كل شيء وكل أحد. كل الوجود إرادة وتدييراً وتخطيطاً ورؤية وأخلاقاً وخلقاً وصياغة بل ووجوداً؟

.. كيف وجد من يسمع أو يقرأ كلمات وأوصاف قبيح ثم يتصور أو يفهم أو يعتقد أن المعني بذلك غير الإله أي غير المرید المخطط الفاعل الخالق الصانع لكل شيء؟ حين يصرخ أي صارخ بانفجاع وألم قائلاً: ألعنك، أكرهك أيتها الحشرة، أيتها العاهة، أيتها الشيخوخة، أيتها المرض فهل يمكن أن يكون المعني بذلك غير الفاعل ومن الفاعل؟

.. كيف وجد من يسمع أو يقرأ من يقول أكرهك وألعنك وأحتقرك يا صانع ومؤيد ومخطط كل الآلام والآثام والبلادات والحقارات والإهانات بكل الندالة والسفاهة والفحش ثم يفهم أو يتصور أنه يمكن أن يكون المراد بذلك غير الفاعل لكل شيء والمسؤول عن كل شيء أي غير الكائن المزعوم إلهاً؟

.. من يستطيع أن يتقبل أو يعقل أو يغفر أو حتى يتصور هذا..

.. حاكم أو كائن ما قادر قدرة مطلقة ومستغني عن كل شيء استثناء مطلقاً بكل معانيه يذهب يسرق وينهب ويقتل ويدمر ويطالب لنفسه بكل الرضا والإعجاب ثم يذهب يشتم ويحاكم ويعاقب واحداً من رعاياه لأنه فعل شيئاً مما فعل ويفعل هو تحت ضغوط الاحتياج والعجز والجهل..؟

هل وجد هذا الحاكم أو الكائن؟ هل وجد من يعرفه أو يقبل معرفته؟

.. ما أقيح وأفجع وأبلد ألا يرى أو يقرأ أو يحاسب ويعاقب الإله نفسه.. ألا يحول كل رؤاه وقراءاته ومحاسباته ومحاكماته ومعاقباته لكل شيء وكل أحد وأيضاً استمزازة وغضبه وعيظه من كل شيء وكل أحد وعلى كل شيء وكل أحد.

.. ألا يحول كل ذلك إلى نفسه وعلى نفسه ومن نفسه وهو الذي يريد ويدبر ويخطط ويفعل كل ما تحرمه وترفضه وتلعنه وتحاكم وتحاسب وتعاقب عليه كل الأديان والأخلاق والتعاليم والقوانين حتى أديان وأخلاق وتعاليم وقوانين الخارجيين على كل ذلك وعلى كل الحب والحنان والرحمة والمنطق والعدل والشرف والإيمان والأديان أي وما يحرمه ويلعنه ويحاسب ويحاكم ويعاقب عليه وبه هو، هو نفسه.. كيف حدث ذلك؟

الفاعل لكل الآثام والأخطاء والذنوب والنقائص بتدبير وتخطيط وإرادة وتصميم وتعتقد وهو يستطيع ألا يفعل شيئاً من ذلك وهو لا يحتاج ولن يحتاج إلى شيء من ذلك.

— نعم، هذا الفاعل المسيء إلى كل صيغ وتفسير الأساطير والخرافات بضخامة أسطوريته

وغرافته ولضخامة ذلك كيف يحاسب أو يحاكم أو يعاقب أو حتى يلوم أو يذم من فعل واحدة من ذلك تحت أقسى ضغوط العجز والجهل والاحتياج... واحدة من الكون... كون الآثام والذنوب والأخطاء والمظالم والنقص التي يفعلها هو كلها بكل المباهاة والغرور والكبرياء والأساليب الإعلانية مطالباً بأفدح الأثمان ممن فعلها بهم وبكل الشكر والتعبد والحمد له لأنه فعلها؟

.. أين ذهبت من الإنسان بل من الكون كله كل الرؤى والعقول والأخلاق أي في هذه القضية وفي أكثر القضايا؟ من سرق كل ذلك أو قتل أو ضلَّه وحولَه إلى تقيض معانيه ووظائفه؟ كيف وجد من استطاع ذلك أو أرادَه؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد أو حتى أن يتصور خارج على كل ما يقوله ويعلمه ويطلب به ويستدحه بافتضاح وهوان ومسكنة مثل الإله؟ هل وجد مثله عصياناً لنفسه ولقوانينه ولكل ما يقول؟ هل وجد خارج على كل الأديان التي يعلمها مثل الإله؟

هل مَرَّ بالكون كله أو تخلق في الكون كله خارج على كل التعاليم والأخلاق والأديان والعدالة والحب والرحمة والعقل مثل الإله أو غير الإله؟

هل حارب الأديان أو أهانها أو هزمها أو شوهها أو أذلَّها مثل منزلها ومعلمها أو غير منزلها ومعلمها أي بسلوكه وأخلاقه وإراداته وشهواته وخططه وخدعه وتآمره حتى مع أقوى أعدائه.. إبليس؟

هل وجد متأمر على الأديان مثل من أوجاها وشرعها؟

أعتذر، أعتذر بأن أقول إنني أعني الإله المزعوم المعلم الذي زعمته وعلمته وفشَّرتَه المحارب والمنابر واللمحي والعمائم والآيات والصور أي القرآن وأيضاً التوراة والإنجيل وكل قرآن وتوراة وإنجيل جاء أو قد يجيء..!

رهيب فاجع ما فعلته وأوقعته بالإنسان والتاريخ وما ورثتها وغرست وزرعت فيهما الآيات والإصحاحات والأسفار وكل ما في معناها..! كيف لم يفتن كل العالم إلى ذلك؟

هل أفسد الإنسان وشوَّهه وأذلَّه ولقَّنه البلادة والجهالة والخرافة والفظاظة والعداوة بل والوقاحة والبذاءة مثل قرآنه وإنجيله وتوراته.. مثل كل قرآن وإنجيل وتوراة قد جاءت أو زعم أنها جاءت أو قد تجيء بأسمائها أو بأسماء أخرى؟

.. هل وجد في كل أعداء الإنسان أو هل يمكن أن يوجد مثل قرآنه وتوراته وإنجيله أو مثل ما هو معنى من معاني قرآنه وتوراته وإنجيله؟ من أول من فتح أبواب أو منافذ السماء ليستجدي منها قرآناً أو توراة أو إنجيلاً..! لتستفرغ على الأرض ذلك..! ما أعظم ذنوب هذا الأول إن كان قد وجد..!

.. كم هو فظيخ، فظيخ أنها لم توجد منظمات ومحاكم عالمية بل كونية يتألف قضائها وشهودها من كل الشموس والنجوم والمجرات ومن سكانها وآلهتها إن كان لها سكان وآلهة لكي تحاكم الإنسان.. لكي تحاكم ثورة الإنسان وإنجيله وقرآنه على فسوته وفحشه ووقاحته وبلادته في ظلمه وشتمه وتحقيره وتشويهه للإله باتهامه له بأنه هو المريد والمخطئ والفاعل والصانع المخرج لكل شيء حتى للنبوات والزعامات والقيادات والعقريات والشاعريات العربية.. العربية.

كيف فقد العالم.. الكون كله كل تفاسير ومعاني الرحمة والإشفاق والعدل والشهامة والذكاء والمنطق في تصوّره ورؤيته وقراءته وتفسيره وتقديره للإله وفي تعاليمه عنه وتعليمه له بل وفي صيغ تعبده له.. في صيغ وأساليب وتفسيرات وصلاته وصيامه وحبّه ودعائه ووصفه له وثنائه عليه؟

إن أي حاج لم يهج مهجوه مثلما هجا الإنسان آلهته بتعبّده وعبادته وأوصافه لها مرثية أي أوصافه وعبادته ومسموعة ومقترنة ومؤداة صلاة وحباً وصيماً!.

.. نعم، كيف أمكن أن يوجد من يشك في أنه لم يوجد ولن يوجد محتاج إلى أن يتعلم أبجديات الأخلاق والعقل والعدل والمنطق والحب والرحمة والتهدّيب والصدق والجمال والبسالة بل والإيمان والتدين والتقوى مثل الإله أو غير الإله الذي بعث إلينا كل أنبيائه لكي يعلمونا ما لا يستطيع أو يبره هو أن يتعلم شيئاً منه ولكي ينهونا عما لا يريد أو يستطيع أن ينهى أو يمنع أو يزجر نفسه عنه؟ هل وجد أو يوجد خارج على كل تعاليمه وعلى كل التعاليم مثل الإله؟

أليس هو الكائن الذي لن يوجد مثله أو غيره في أمره بالمعروف الذي لن يفعل شيئاً منه وفي نهيه عن المنكر الذي لن يترك شيئاً منه أو يتنظف أو يتزهد عن شيء منه؟.

كيف لم يتحول المؤمنون به من عابدين له إلى معلمين له.. يعلمونه الأخلاق والصدق والوفاء والالتزام بما يقول وبما يطالب به ويفسرون له أنه ذنب وعيب كبيران ألا يفعل المعروف الذي يأمر به وألا يترك المنكر الذي ينهى عنه؟!.

.. وهنا بكل الروح والانتزاع واللهفة والحب والشوق قلت: إذن ما الحل.. ما العلاج! قلت لمن أرجو منه الحل والعلاج! قلت ذلك وأنا أعرف أن الحل والعلاج لا يعنيان أكثر من البحث والسؤال عنهما!.

.. أليس البحث والسؤال عن الحل والعلاج مطلوبين بل ومحتومين مهما كان محتوماً ومعلوماً معروفاً ألا يوجد أي الحل والعلاج بل مهما كانت فظاعة وقسوة وقبح الإعلان عن الحل والعلاج؟ أليس البحث والسؤال عما لا وجود له ولا جواب عنه هما إحدى أقوى وأشهر وأرحم الخدع للنفس لكي تتقبل ما لا يمكن أو يقبل تقبله أو للإلهاء عن ذلك وعن التحقيق والتفكير فيه؟

.. من الممكن أن يقال إن المخادعين الماكرين وأيضاً إن الرحماء الأتقياء الطيبين هم الذين اخترعوا السؤال والجواب ليلهووا ويخدعوا الإنسان أو ليفرحوه ويسعدوه ويحزوه!.

.. إن إرادة التلهي والتسلي واستفراغ وتفريغ النفس والعقل والقلب والضمير والرؤية من شحنات الاحتجاج والضيق والرفض والاشمئزاز من كل ما يرى ويسمع ويواجه ويقرأ ويفسر ويفعل ويحدث بكل التراحم والتراكم والدوام.

- نعم، إن هذه الإرادة بهذه التفاسير لهذه الاحتياجات قد تكون هي أقوى وأشهر وأصدق التفاسير للبحث عن حل وعلاج ما لا حل أو علاج له وللسؤال عما لا جواب له!.

ولعل احتياج الإنسان إلى اللغة ليستفرغ ذاته أكثر من احتياجه إليها ليتكلم أو ليفكر!.

إنه لو وجد كل الحل والعلاج والجواب لكل شيء وعن كل شيء وعن كل سؤال لبقى الحل والعلاج والجواب بلا حل أو علاج أو جواب..! إن كل شيء ينتقل من سؤال إلى سؤال لا من سؤال إلى جواب، ومن مشكلة إلى مشاكل لا من مشكلة إلى حل..!

إنه لو فسر الفعل والحدوث بالإرادة والقوانين الذاتية الآلية لجاء السؤال عن الإرادة وعن القوانين الآلية الذاتية.. ولو فشرت الإرادة والقوانين الذاتية بالقدرة والحاجة والضرورة لجاء السؤال عن هذه.. ولو فشرت هذه بالوجود أي بوجود الموجود المرهف المحكوم عليه بالحاجة والضرورة لجاء السؤال عن الوجود.. عن وجود الموجود.. ولو فشر هذا بوجود الموجود الأول لجاء السؤال عن وجود الموجود الأول.. لجاء السؤال هنا مرقفاً وهازماً صامداً مسكناً كل سؤال وكل سائل وكل متعامل بالسؤال والجواب..!

إن كل الأسئلة والأجوبة لم تصغر وتذل وتفتضح وتهزم مثلما حدث لها كل ذلك متاملة مع الموجود الأول ومتاملة به. هل يوجد سؤال أو جواب أو عجز عن السؤال والجواب لولا الموجود الأول؟ إنه لو فسر هذا الموجود الأول أي المحسوب كذلك بالكلمة المعروفة المشهورة المقنعة لمن يبحث عن الاقتناع والافتناع لا لمن يريد أن يعرف لا أن يقتنع بلا معرفة.

- بالكلمة القائلة: «لا يسأل عما يفعله أي وعما يكون وعما لا يكون.. لا يسأل لأنه لن يجد جواباً ولن يوجد جواب».

- لو فشر هذا بهذا لقليل: إذن لقد انتهى كل سؤال..!

إنها لو فشرت كل وحدات كل الأشياء والآحاد بعضها ببعض لجاءت مجتمعة بلا أي تفسير أي بلا أي سؤال أو جواب.. إنها لو وجدت كل التفسير لأعضاء الذات لما وجد أي تفسير للذات بأعضائها..!

وإنه لو فسر الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق لجاء مجتمعين أي الخالق والمخلوق بلا أي تفسير.. بلا أي سؤال أو جواب.. ولنتصور القضية هكذا:

أحدهما جاء ليكون خالفاً معبوداً والآخر جاء ليكون مخلوقاً عابداً.. هل وجد من أراد هذا أو خططه أو علمه أو فعله؟

ما التفسير لمجيء هذا الممتنى المركب من الخالق المعبود ومن المخلوق العابد؟ هل يستطيع تصور قبح هذا الممتنى؟

ألا يخجل ويهرب كل سؤال وسائل ومسؤول من هذا السؤال فكيف الجواب؟ إنه لو فشر كل شيء بكل شيء لجاء كل شيء مقسراً أو مفسراً بلا تفسير..!

اسمع أيها الموجود.. يا من عوقبت وعذبت بوجودك وإيجادك أقسى وأوقع العقاب والعذاب والتعذيب.. بوجودك وإيجادك دون أن تدري أو تختار أو تستشار أو تقبل أو تعرف..

اسمع بغضب وانفجاع وغيظ ورفض واستكثار ومقاومة لا بصبر أو تحمل أو سكون أو هدوء بل ولا بالرفض المسالم الصامت المتوقر الكسول..

اسمع.. أنت موجود.. إذن أنت خارج على كل سؤال وجواب بل مهين محقر هازم لكل سؤال وجواب.. لكل من ابتكروا السؤال والجواب..!

أنت لا تستحق أن تتحول إلى سؤال لأنه لن يكون عنك أو لك جواب. لن تصبح جواباً..
.. أيتها الكائنات اللغوية أي الهابطة إلى طور الكائنات اللغوية. أليست الكينونة اللغوية هبوطاً مهما حسبت وبدت صعوداً؟ أليست هبوطاً إلى حضيض الاعتقادات والخرافات والسفاهات والأكاذيب؟

.. يا هذه الكائنات التي لا مثيل لفضحها واقتضاحها وعازرها وسفاهاتها وبلاداتها وجهالاتها ووقاحتها وكذبها والكذب عليها لأنها بلغت طور الكائنات اللغوية.

.. يا هذه الكائنات احذني من لغاتك كل سؤال وجواب ومن وجودك كل من يسأل ومن يجيب..! احذني ذلك إن كنت تبحثين عن السؤال والجواب لا عن التلهي والتسلي واستفراغ الذات..!

إن الأشياء لو كانت لا توجد إلا بمنطق السؤال والجواب لما وجد أي شيء.. إن السؤال والجواب بعد وجود الشيء لا قبله.. إنهما منطلقان عنه وليس منطلقاً عنهما. إنهما جاءا منه ولم يجيء منهما.

.. إن منطق السؤال والجواب كيرفض وجود الكائن الأعظم أكثر مما يرفض وجود أصغر حشرة..!

إنها لو وجدت كل الأجوبة عن وجود أي شيء أو أي كائن لما وجد أي جواب عن وجود الكائن الأول الأعظم..!

أعود يشوق لأقول بكل الشوق: قلت له مخترقاً كل حراسات هذه الأفكار: إذن ما الحل، ما العلاج أي لهذه القضية المحتاجة إلى تلقي الوحي من غار حراء؟

.. لقد ضاع كل الأمل في أن ينزل الوحي.. في أن أجد ملاك الوحي أو منزل الوحي في غار حراء.. غار الوحي وملاك الوحي وإله الوحي..

لقد مات هذا الغار.. مات، مات وهجره إلهه وملاكه.. لقد قاطعاً وقطعاً التعامل به وفيه ومعه ومن..

لقد مات بأسلوب الانتحار ونياته.. مات هذا الموت بعد أن رأى وفهم وقرأ قبح وقسوة ونذالة كل شيء مما فعله وأوقعه بالإنسان والحياة وبكل شيء حتى بالحيوان المأكول المركوب المسخر المحمول عليه لأنه شرع وعلم ومجد وإذلاله وتسخير به وشمه وتحقيره بل وقتله تعبدًا وإرضاء وإسعاداً للإله الذي يعجز كل الطب عن شفائه أي لأنه أوحى إلى الإنسان العربي.. إلى النبي العربي ما

أوحى.. ماذا أوحى إليه؟ هل تستطيع كل الحسابات والإحصاءات أن تحصى أو تحسب الخسران الذي أصاب الحياة والإنسان من هذا الوحي والإيهاء؟

هل أساء أي إله إلى نفسه مثل إساءته إليها بإيحاءه ومخاطبته ومحاورته للإنسان العربي.. للنبي العربي مؤملاً أن يجد أو يرى شيئاً مما يريد أو مما يراد أو مما يرضيه أو يفرحه أو يسعده أو يمجده أو مما يريد أو يرضي أو يسعد أو يفرح أي بصر أو قلب أو ضمير أو عقل أو فكر أو خلق أو أمل جيد أو نقي أو ذكي أو كريم أو رحيم؟

أليس أردأ الكائنات حظاً ووجوداً هي الآلهة وأردأ هذه الآلهة هي المتكلمة المريدة المخططة الفاعلة، وأردأ هذه هي العارضة لنفسها المعطلة عنها الفارقة المفسرة لها؟

.. قلت له: إذن ما الحل - ما العلاج وقد مانت وهزمت وهربت وأغلقت كل المغارات.. كل ملائكة وآلهة وأنبياء المغارات والغيوان.. فطبع، فطبع أن تتخلق آلهة الإنسان في المغارات والغيوان! نحت عنف أقسى وأقوى التناقضات والتصادمات والمواجهات قلت له، قلت: إذن ما الحل، ما العلاج.. إني أحترق، أحترق!..

هنا خشع وصمت وتواضع وتوقع وتوهر ورهب كل شيء، أما الآلهة فقد هربت، هربت لئلا تكون مسؤولة أو منقذة أو مطلوباً منها ذلك أو مرجوة له..

وهنا قال المسؤول المخاطب الذي لم يكن مسؤولاً أو مخاطباً والذي لن يكون كذلك...

قال بكل الرضا عن نفسه وعن كل ما يريد ويرى ويفعل ويحدث وعن كل ما سوف يقول ويريد ويرى ويفعل ويحدث. قال من لم ير نفسه ولو مرة واحدة رؤية نقد أو رفض أو احتجاج أو محاسبة أو محاكمة أو تصحيح أو حتى عتاب!

قال الإله المظلوم المشتم المذموم بزعمه إلهاً وبإتهامه بكونه إلهاً.. بأنه إله أو بأنه كان إلهاً أو بأنه قد يكون إلهاً أو أنه قد يقبل أن يكون ذلك أو كذلك؟

هل يمكن أن يوجد أو يتصور اتهام أو تحقير أو سب لأي شيء مثل زعمه إلهاً أو إتهامه بأنه إله أو بأنه قد كان أو قد يكون ذلك أو كذلك؟

إذن هل يوجد من يحتاج إلى أن يكون كل القبح والفحش والغباء والنذالة والوقاحة مثل الإله أو مثل من يعد ليكون كذلك أو مثل من يقبل أن يكون كذلك أو ذلك أو يستطيع أن يكونه؟ ما أكثر وأعظم الشروط الذميمة الرديئة فيمن يقبل ويريد ويستطيع أن يكون رباً وإلهاً وخالقاً وحاكماً لكل هذا الوجود!

... إن كل عار وقبح وفحش وآثام ووقاحات وفضائح كل العالم وكل شيء لن تكون شيئاً محاسبة بعار وقبح وفحش وآثام ووقاحات وفضائح رب وخالق وحاكم وإله هذا العالم.. هذا الكون أو المتهم المزعوم بأنه ذلك أو كذلك. بل أليست كل ذنوب وقواشح هذا الوجود هي بعض ذنوب وقواشح من بصقه زاعماً أنه خلقه؟

أعتذر إليك، أعتذر إليك يا إلهي الضعيف البريء الغائب العاجز عن أن يصعد إلى طور من ينهم ليحاسب ويحاكم ويعاقب.

.. أعتذر إلى ضعفتك وعجزتك وهزيمتك وضياعك وغييبتك يا إلهي، يا إلهي البائس الحزين!

إنك يا إلهي بريء براءة من لم يوجد ولن يوجد.. أيهما أنفع وأنبى لك: أن تكون بريئاً هذه البراءة لأنك مفقود أم أن تكون متهماً بكل شيء؟

إني هنا لا أقول ولا أريد أن أقول لك يا إلهي يا من لن يساويه أي بريء في ديمومة براءته لأنه لن يساويه أي مفقود في ديمومة فقدته!

.. ولكنني أقول للأمر المطاع..

أقول له: ما الحل.. ما العلاج..!

إني أقول له ذلك بخشوع ورحمة وتقوى ولغات الصلاة والتعبد لا بأي معنى من معاني السؤال أو البحث عن الجواب..!

إن أتقى وأصدق التفسير للسؤال والجواب أنهما صلاة، صلاة بلا إله.. صلاة من يحتاج ويريد أن يجد إلهاً فلم يجده ولن يجده ولو جده لما وجدته كما يريد أو كما ينبغي..!

.. إن كل منطق وحساب وتفسير يضيع، يضيع حين الصلاة.. يغيب، يغيب عن رؤية وتفكير وعقل وقلب وضمير المصلي الصادق الخاشع في صلاته بل وعن أخلاقه..!

هل يمكن أن يكون أو أن يعد مصلياً أي مصلي لا يفقد عقله وقلبه وضميره ورؤيته وأخلاقه وتفسيره لنفسه ولكل شيء حين يصلي؟

.. هل يمكن أن يصلي من لم يفقد كل ذلك؟

إنه بقدر ما يكون المصلي مصلياً تهزم كل معانيه. لهذا فإنه لا يوجد ولن يوجد من يصلي كل معاني الصلاة مهما صلي..!



سمعتي أطلبه بالحل والعلاج..!

أدرك بهوبة الإدراك فيه.. أدرك عنف حيرتي وعجزتي ورغبتني وحاجتي إلى أن يحل ويعالج..!

ليت الإله يتعلم أو يستعير أو يوهب شيئاً من إدراكه..!

هل يمكن أن يوجد أو يبقى في هذا الكون شيء يشكى أو يبكي منه لو حدث هذا أي أن

يتعلم أو يستعير أو يوهب الإله شيئاً منه من إدراكه أو أي شيء من معانيه؟

.. الإله يدرك ويتعلم ويستعير الإدراك، إذن كيف بقي أو بقي أي شيء كما بقي وعفى؟
.. هنا، هنا أطلقها أهات وأنات لا تعني شيئاً مما تعنيه الآهات والأنات بتفسيرها ودلالاتها
المعروفة..!

... هنا أطلقها تحديات وهمهمات وإشارات وابتهامات ملبقة بكل المعاني والإيهامات التي لا
بد أن يصلي الإله في كل المعابد والمحارب متديناً بكل الأدهان راجياً ومتضرعاً أن يفهم أو يلمهم أو
يعلم شيئاً من معانيها وتفسيرها، أو يستطيع إطلاق مثلها مؤثرة وقاهرة وموحية مثل تأثيرها وقهرها
وإيهاماتها..!

.. مشحونة ومملوكة بكل المعاني والتفسير التي لا بد أن يحزن الإله كل الحزن وأقسى الحزن
حين يعجز بكل ذكائه وكبريائه عن فهمها وتفسيرها.. عن فهم وتفسير أي شيء منها.
.. وعن أن يكون مثلها.. مثل أمرها ونهيها وسلطانها القاهر..!

... والتي لا بد أن يسعد الإله كل السعادة وأن يفخر ويتكبر كل الفخر والتكبر لو استطاع
بكل ما خطط وأراد وصنع لنفسه من ذكاء وفهم وعبقريه أن يفهم أي شيء منها ولو ظناً أو أملاً أو
ادعاء أو توقفاً حتى ولو لم يملك هو مثلها ليتعامل ويعامل ويتسلط بها..!

.. نعم، وهنا قال بصوت لا بد أن يفتن ويهرب ويهز ويقتهر ويسحر السماء لكي تذهب
تناضل وتحاول أن تسكت وتخفي كل الأصوات المسموعة وأن يتحول كل شيء إلى صمت، صمت
ولكي تهب آذانها كل طاقات ووظائف ومواهب السمع والاستماع.

.. لكي تجمع وتوحد استماعها إلى هذا الصوت.. استماعاً ورهبة وانفهاراً وانهاراً وانسحاراً
ورغبة في أن تفهم، تفهم.. وأملاً وطمعاً في أن تتعلم أو توهب لتتعلم وتعامل به وتستعمله ليكون لها
جيروت أمره ونهيها اللذين لا يستطيع ولا يراود عبيانها أو نسيانها أو إهمالها أو الاسترخاء حين
سماعها..!

نعم، وهنا قال..!.. ولأنه قال فلا بد أن تركع كل الآلهة لكي تحاول أن تسمع وتفهم ما قال
أي شيء مما قال..!.. صعب تصور ماذا يصنع الاستماع إليه..!.. صعب تصور ذلك على من لم
يجرب الاستماع إليه..!

.. آيتها الشمس والنجوم والمجرات احتفظي بشيء من قوة ووقار واتزان أعصابك وأعضائك
وعضلاتك وكرامتك وكبريائك ونظامك لكي تستطيعي أن تستسمي إليه وهو يقول وكأنه يعلن موت
السماء.. وكأنه يقرأ نعيه للسماء على سكان الأرض وهو يقول إن كل الحل.. كل العلاج هو
الصمت، الصمت، لا علاج إلا الصمت لأنه لا غار بعد اليوم.. لا غار.. وإذا لم يكن غار فهل تكون
أو تبقى سماء أو يأتي أي آيت من السماء؟

لأن الغار.. غار حراء قد مات، مات بعد أن ماتت كل نبوة وكل نبي بعد النبوة العربية.. بعد
النبي العربي لأنه لا يمكن أن يجزؤ على الحياة أو الوجود أو أن يتقبل ذلك أي نبي أو نبوة بعد أن

جاء وجاءت النبوة والنبي العربيان. إنه لا غار بعد الغار العربي إذن لا إله ولا نبي بعد الإله والنبي العربيين بعد موت أو إغلاق غارهما. وقد ماتنا حزناً على غارهما الذي مات. والآلهة والأنبياء لا يعيشون إلا من الغيران مثلما جاء الإله والنبي العربيان!

قال: إن الحل والعلاج.. إن كل الحل والعلاج هما الصمت، الصمت الذي يجب أن يتحول إلى شيء من صمت الإله.. من صمته في غار حراء وعنه وفي كل غار وعن كل شيء كل شيء وعن كل شيء. وهل يستطيع الاقتداء بالإله أو تقليده في أي شيء من صمته؟

إن صمت الإله ليس صمت لسان ولغة فقط بل وصمت قلب وفكر وضمير ورؤية وأخلاق وحركة وعمل وشوق وحب بل وصمت وجود.. هل يمكن تصور وجود صامت صمت وجود الإله؟

.. الصمت، الصمت انفجاعاً وأسى وذعراً وبأساً لموت كل الآلهة والأنبياء أو لاختفائها وعجزها عن المجيء والظهور لأن جميع المغارات والغيران التي تجيء منها وتتخلق وتتعلم وتتدرب فيها قد ماتت أو هدمت أو أغلقت.. لأن جميع المغارات والغيران قد أصيبت بكل ذلك أي لأن غار حراء.. الغار الذي ولد وخلق ورعى وعلم وأخرج وأرسل ملاك الوحي العربي والإله والنبي العربيين قد مات أو أغلق أو هدم أو هرب أو اختفى استحياءً وندماً وتوبة واعتذاراً واستغفاراً مما فعل ومحاكمة ومحاسبة ومعاقبة لنفسه على ما فعل بالحياة والإنسان ما أوحاه..

إنه لمفروض أن يرى أي غار حراء أنه هو الذي خلق أو ولد أو علم أو أغرى وأغرى الملاك والنبي والإله الثلاثة الذين هجموا على الحياة والإنسان زاحفين منه لهذا فهو المذنب كل ذنوبهم!

.. بعد هذا الإرهاق العقلي والفكري والنفسي والأخلاقي والتصورى الذي لا بد أن يبيع الإله كل أرضه وسمواته وكل تاريخه أو يتنازل عن كل ذلك إذا كان الثمن أو الجزاء أو التعويض ألا يقاسي هذا الإرهاق أو شيئاً منه.

- نعم، بعد هذه المقاساة لكل هذا الإرهاق قال المخاطب: إنه الصمت، الصمت كما صمت الغار، غار حراء والد وخالق ومعلم ومرى كل الآلهة والأنبياء.. قلت له: أنقذني، أنقذني لا أنقذ الله منك أحداً ممن سحرت وقهرت وبهرت!

ولكن هل يمكن أن أحسب حكيماً أو واعياً أو مالياً موالاة نافعة أو ذكية حين أدعو وأتسنى لك أن تظل ساحراً قاهراً باهراً أو حين لا أدعو وأتسنى لك الإنقاذ من طاقات ومواهب السحر والقهر والبحر فيك ومن حماسها ونشاطها واتساعها وإغرائها؟ ألسنت في هذا مثل المؤمن الذي يتمنى ويريد ويدعو لإلهه أن يكون المريد المخطط المدبر العاشق الفاعل لكل شيء ولكل أحد؟

.. أليست أعمال وعمليات السحر والقهر والبحر أخذاً من الذات واستنفاداً وإرهاقاً وإحراقاً لقدراتها واستراحاتها واسترخاءاتها العضلية والنفسية والفكرية والأخلاقية بل والدينية؟ أليست هجوماً بأقوى طاقات الذات وأسلحتها؟ والهجوم أليس إرهاقاً وإنفاقاً لطاقات الذات وتعدياً وإرهاقاً لها؟ حتى الجمال البصري المرئي الجسدي الساحر القاهر الباهر برؤيته هو أخذ واستنفاد وإرهاق وإحراج بل

وقتل وتعذيب وتهديد وإحمال وفضح ولو أحياناً للذات المخلوقة المحكومة به مهما كان فعله بالرائين المبصرين المقهورين المبهوتين المسحورين بل لأنه كذلك يفعل بهم..!

إن هذا الجمال مقاتل والمقاتل لا بد أن يهرب ويهرب ذاته وطاقاته ويستفدها..

.. أليس الساحر الباهر القاهر فاعلاً والفعل معاناة واستهلاك للذات؟ أليست الشمعة المضيفة المشعلة والجهاز المتحرك العامل المعطي يستهلكان وينفقان طاقتهما بل وذاتيهما دون الشمعة والجهاز الصامتين الخامدين المتروكين؟

أليسا بفعلان ذلك بطاقتيهما وذاتيهما بقدر ما يعملان ويعطيان؟ أليس القلب الخافق أقوى وأصدق وأدوم الخفقان بأحر الحب والحنان والشوق والعطف يستهلك ويعذب ذاته أكثر من القلب الآخر؟ أليس الحب المنفذ والمحروم.. الواهب والعاجز جهاز إحراق واحترق واستنزاف؟

.. إنه لا مثيل للإله عدواناً على نفسه وإرادة للعدوان عليها وتديراً وتشريعاً وتعليماً وحياً لهذا العدوان عليها!؟

إنه لا مثيل له معادياً مقاتلاً مستهلكاً سارقاً مشوّماً مورطاً فاضحاً مضعفاً معذباً لنفسه ولكل معانيه وطاقاته أي لو كان ذلك حقيقة وليس أغبى رواية يرويها غار حراء أو غيره من الغيران والمفارات وتروى عنه.. إنه لا مثيل للإله في شيء من ذلك لأنه لا مثيل لمطالته أو للانتظار منه أو لمحاولته أو إرادته أو رغبته أو لمسؤوليته بأن تكون قدرته المنفذة على أن يسحر ويقهر ويهر ويتسلط بكل صيغ ذلك ومعانيه وتفاسيره بلا حدود أو مقاييس أو مستويات محددة أو مقررّة أو حتى مفهومة. إنه أي الإله لم يعرف أن ذلك استنزاف شامل للذات.. استنزاف بلا تعويض أو استرداد. إنه لم يتعلم أو يعلم أن من يسحر ويقهر ويهر ويتسلط معذب ومسرّقة مستهلكة مستنفدة طاقاته وأخلاقه وأفكاره وذكاؤه وحماسه بقدر ما يفعل ذلك وبقدر ما يكونه وكذلك من يريد ويدبر ويخطط ويخلق ويطلب ويرجى ويتنظر منه أي مثلما يفعل الإله أو يقال عنه ويعتقد فيه ويوصف أي مثلما أصاب إله وصاحب هذا الوجود من استنفاد واستهلاك وسرقة لكل طاقاته العضلية والذاتية ومن تعذيب وفجعة وإذلال وتحقير وتشويه لكل معانيه الراقية والمفكرة والمفسرة والمحاسبة المحاكمة المعاقبة أي المفروضة كذلك..!.. كيف لم يفتن أي الإله إلى ذلك؟ كيف لم يتحول البشر من مؤمنين به عابدين له إلى راثين ومنقذين ومبرئين له؟

.. هل يمكن وجود بل تصور معذب مشوّء محقر مشتم مهزوم مهان مثل إله ورب وخالق وصاحب ومخطط ومنظم هذا الوجود لو كان محكوماً أو موجوداً أو مفسراً أو متعاملاً أو حتى مطالباً بأي قدر من الحكمة أو الرؤية أو الرحمة أو التفكير أو المحاسبة أو المحاكمة أو المعاقبة. هل يمكن أن يوجد أو يبقى أي إله لو كان محتوماً أن يتعامل بشيء من هذه المعاني؟

.. هل يمكن أن يوجد أو يتصور أي تفسير غير هذا التفسير لعجز الإله الذي جعله يضطر إلى أن يترك كل الأخطاء والآثام والفضائح والفواحش وكل المخطئين والآثمين والمجرمين..

يتركها ويتركهم تكون وتفعل ويكونون ويفعلون دون أن يمنع أو يعاقب أو يقتل أو يقاتل أو

يأتي خارجاً من اختبائه وكهفه صارخاً، صارخاً بأسلوب الإنذار والتحذير حاملاً كل أسلحة المقاومة أي لعجزه الذي أوقعه به استهلاكه واستنفاده وإنفاقه لكل طاقاته.. طاقاته المضلية والنفسية والعقلية والتخيلية والحماسية في ممارسته وكفاحه فاعلاً لهذا الكون ومواجهاً له بكل معانيه.. أو غير هذا التفسير لعجزه الذي تحولت دموعه وأناته وأهاته وأحزانه...

إلى نبوات وأديان وصلوات وتضرعات وإلى حج وصيام وإلى كل هذه الأساليب والصيغ من الهوان والقبح المسماة والمزعومة تعبداً وتقديساً وشكراً لصانع الموت والأمراض والتشوهات والحشرات؟

.. هل يمكن أن يكون للنبوات أو للأديان أو للمحارب والمناير أو للكتب المقدسة المنزلة الباكية المبكية الفاجعة المفجوعة.

- هل يمكن أن يكون لها أي تفسير غير تفسيرها بأنها دموع وأنات وأهات وصرخات عذاب الإله وشكواه من عذابه وأحد تعبيراته عن عذابه وأيضاً من عجزه عن أن يقاوم أعداءه وعصاته والخارجين عليه المتحدين المهينين له.

.. عن أن يقاوم ليمتنع ويعاقب شيئاً من الأخطاء والآثام والجرائم والفواحش والفضائح والمظالم المبرئة والمعلومة التي حشد كل اهتماماته ونخواته وحماساته وشهاماته ونبواته وأديانه وتعاليمه ووعايفه وموظفيه للعنفا وللنهي عنها وللتحريض عليها وللتعليم وتفسير وإعلان قبحها وفحشها وأضرارها.. كيف لم يتحول كل قبح وإثم وخطيئة وظلم ونقيصة وفحش وضلال وطغيان وفساد وخراب وهوان وألم ومرض - كيف لم يتحول كل هذا وكل شيء إلى سؤال قاتل، قاتل: أين أنت أيها الإله.. أوجود أنت.. أوجود؟

.. يا كل عبارة التفاسير من كل المجتمعات والمعصور.. اجتمعوا لتدارسوا وتتساءلوا وتجادلوا وتتفاوضوا وتتفاوضوا وتتعاونوا بكل الحماسة والصدق والقوة والتقوى..

لتعرفوا وتقولوا شيئاً في تحليل وتفسير وفهم هذه القضية أو شيئاً عنها..

إنها لقضية لا مثيل لها في عجاء وتحقير كل العالم.. كل معانيه وتفسيره بل وكل حضارته وعقباته.

كيف هزمت وتبلدت بل وماتت كل رؤى الإنسان وذكائه أمام هذه القضية؟

.. هذه القضية تقول: إن سلطان وحاكم وصاحب وصديق وحبيب وخالق ورب وإله هذا الوجود يرفض ويمقت ويلعن ويقاوم وينكر ويعاقب كل الآثام والآلام والأخطاء والمظالم والفضائح والشرور التي تغطي كل هذا الوجود بل ويتعذب ويتشوه ويفتضح ويخجل ويتمرر ويتلوّث ويشتم بها ليظل أمامها مواجهاً معاشاً مساكناً لها باكياً شاكياً حزناً مقهوراً بها ومنها، مستغيثاً طالباً مؤملاً النجدة والإنقاذ ممن يسميهم أنبياءه ورسله وكل معاونيه بل أو من أعدائه...

دون أن يفعل أي شيء لمنع أو قتل أو طرد ذلك بأي أسلوب من الأساليب المانعة أو الطاردة

أو القاتلة بل أو المحاسبة المعاقبة.. دون أن يفعل أي شيء لحماية نفسه من أشياء يستغيث بكل شيء وكل أحد بكل المسكنة راجياً أن يحمي منها!

.. قولوا يا كل عباقرة كل العالم وكل المصور.. قولوا، وهل يمكن أن تقولوا شيئاً غير هذا، غير أن تقولوا: هل يمكن أن يوجد أو يتصور أو يقبل أو يغفر أي تفسير أو تحليل لهذا غير أنه أي إله هذا الوجود عاجز، عاجز عجزاً مطلقاً؟ أليس المعجز المطلق هو أتقى وأذكى التفسير لأي إله؟ أليس هذا التفسير للإله في هذه القضية هو أنبل وأرحم وأذكى وأتقى التفسير لأن كل التفسير الأخرى التي قد تعد بديلة عن هذا التفسير أو هرباً منه قبيحة، قبيحة لا تغفر لأردأ كائن؟

إن كل إله لهذا الكون وأي إله له وإن أي إله وكل إله لا بد أن يواجه هذه الورطة وأن يحكم بها..!

أليس كل إله ورطة.. ورطة في نفسه ولنفسه ولكل شيء وكل أحد؟ هل يوجد خالق ومواجه ومعايش ومساكن لكل الورطات مثل الإله أو غيره؟ إنه أي هذا الإله وكل إله: لا بد أن يكون عاجزاً كل المعجز أو فاسداً وكاذباً وقبيحاً كل الفساد والكذب والقيح!

وأي هذين الاختيارين الأليسين القبيحين الفظيعين يجب أو ينبغي أو يطلب أن يختاره المؤمن في تفسيره للإله! ما أصعب وأفجع موقف المؤمن إذا وقف أو لو وقف موقف الاختيار للإله!

يا كل عباقرة وأتقياء وأنبياء كل العالم هل تجدون تفسيراً أو اختياراً ثالثاً غير هذين الاختيارين والتفسيرين؟ ألا تستطيعون إنقاذ الإله والمؤمنين به من هذه الورطة.. هذه المصيدة؟

.. إنها مهما كانت أمانيتكم وتعاليمكم وقراءتكم وظروفكم الموروثة الثقيلة المذلة فلن تجدوا أي اختيار أو تفسير ثالث يا كل أنبياء وعلماء وأتقياء وعباقرة كل العالم..!

هل يصعب أو يخفى عليكم حينئذ أي التفسيرين أو الاختيارين يجب أو لا بد أن تروا به الإله أو أن تحكموا به على الإله أو أن تحكموا عليه بالإله؟

آه، إن كل حكم بالإله وحكم له لن يكون إلا حكماً عليه. بل إن كل شيء حكم نهائي عليه!

.. إذن يا كل أنبياء وعلماء وأتقياء ورحماء وشعراء كل العالم اذفروا كل أناتكم وآهاتكم وأحزانتكم ورثائكم وإشفاقكم وتقواكم وأشعاركم وكل فنونكم دموعاً مغرقة محرقة على الإله.. على إلهكم الذي لن يكون له أي تفسير: غير تفسيره بأنه عاجز عجزاً مطلقاً أبدياً لا شفاء ولا إنقاذ له منه، أو بأنه فاسد بل فاسق وقبيح وكذاب ولئيم ومتآمر متعاون مع كل الأخطاء والخطايا والفساد والفسوق ومع كل المرئيين والفاعلين لذلك لكل ذلك. ومع هذا فإن من الصعب أو المستحيل أن يعرف لحساب أو لمصلحة من يفعل ذلك أي الإله!..!

.. ماذا لو وجد تفكير حر شجاع ذكي بل أو بليد، وكان محكوماً عليه بأن يؤمن بأن فوق هذا الكون أو الوجود إلهاً أو حاكماً أو سلطاناً أو مسؤولاً أو حتى مرئياً قادراً قدرة مطلقة.

- نعم، لو وجد هذا التفكير الرائي الحر الشجاع الذكي بل أو البليد أليس محتوماً حينئذ أن

يرى ويعتقد أن هذا الإله أو السلطان أو الحاكم أو المسؤول فوق هذا الوجود هو أفسد وأفسق وأقبح وأكذب وألأم وأسفه وأندل من كل من هو كل ذلك ومن كل من يتهم أو قد يتهم أو يجب أن يتهم بكل ذلك؟.. الإله الصالح التقى المؤمن الرحيم يتأمر ويتعاون مع أقوى أعدائه ضد نفسه. احترفي أيتها العقول لغلا تفهمي هذا. هل هنا أي في هذه القضية وأيضاً في كل القضايا الأخرى ساحر لا حدود ولا تفاسير لطاقتة الساحرة قد سحرت كل العالم فجعلته لا يرى ولا يفهم ولا يحاسب ولا يحاكم بل جعلته يفعل ذلك ضد ذلك وخروجاً على كل ذلك؟ هل حكم على العالم واشترط على وجوده أن يتحول إلى أقوى ساحر ضد نفسه ليظل مسحوراً، مسحوراً حتى يجب أن يكون واعياً، واعياً؟

آه... كل العذاب والانفجاع والشروع والاحترق والأسى لكل عقل يفكر، ولكل عين ترى، ولكل ضمير وقلب وأخلاق تشترط وتحاسب وتحاكم وتعاقب وتؤنب، ولكل مؤمن تقي رحيم صادق ينتظر من إلهه أي شيء من ذلك.. أي قدر من الإيمان أو التقوى أو الصدق أو الحب أو العدل. آه.. كل الرثاء والعزاء لكل مؤمن يريد لإلهه وفيه أي قدر من الحكمة أو الرحمة أو الذكاء أو الأخلاق..!

.. ألا يمكن أن يقال إن كل الآلهة بل وكل الأبالسة قد تأمرت على الإنسان لكي تسحب منه كل تقواه وذكائه وضميره وأخلاقه وعقله بل وكل إيمانه وتدينه ونظافته وشرفه ورؤيته وشجاعته وكرامته لكي يستطيع أن يجدها ويؤمن بها ويرأها ويعلمها كل الجمال والحب والرحمة والتقوى والتدين والشهامة في كل صيغ وتفسير ومراثي القبح والبغض والقسوة والفسوق والنذالة والزندقة والقدارة لكي يرى الآلهة ويقرأها ويفهمها ويجدها في نفسه لا في ذاتها؟ أليس الإيمان بأنه هذا الكون الذي نجده ونراه ونعامله ونقرؤه ونواجهه بكل أخلاقه وصيغه وتفسيره ورؤاه.

- أليس هذا الإيمان أقوى تفسير وتعبير عن وقوعنا في هذا التأمر؟ هل كان يمكن أو يحتمل أن يؤمن الإنسان.. أن يؤمن أي إنسان بمدير ومريد ومخطط وخالق وصانع هذا الوجود أو الكون لو لم تقتل فيه أو تسحب منه كل تقواه وإيمانه وتدينه وأخلاقه وذكائه وشرفه وعقله وضميره ورؤيته ونظافته وشجاعته؟

لهذا ألا نستطيع أن نقول أو ألا يجب أن نقول: إن الإله قد تأمر وتعاون مع آخرين بل مع كل الآخرين حتى مع أقوى وأشهر أعدائه وخصومه أي إبليس لكي يسحبوا منه أي من الإنسان أو ليقنلوا ويذلوا ويسكتوا ويفسدوا فيه كل هذه المعاني.. كل معانيه القوية والذكية والشريفة والشجاعة لكي يستطيع الإيمان به والتعامل معه بل والتصور له بالفكر أو بالعواطف أو بالأخلاق؟ أليس أحد شروط هذا الإيمان أن يفعل به أي الإنسان كل ذلك؟ إنها لقضية صعبة، صعبة فكيف أمكن أن تتحول إلى كل هذه السهولة أعني الإيمان بهذا الإله وكل نتائج وتفسير هذا الإيمان..! إن كل الحسابات الحرة تقول إنه لا أصعب من هذا الإيمان بل لا أكثر استحالة منه. إذن ما الذي حدث؟

.. لتراجع تفاسيرنا لهذه القضية ولكل قضية ولكل شيء.. وهل نستطيع أو نجرؤ أن نراجع هذه المراجعة؟

ولو فعلنا ذلك فهل يمكن أن نقول لنا كل تفاسيرنا أو أي شيء منها إنه ممكن أو محتمل أو

منتظر أو مقبول أو مغفور أن يكون أو يجيء الإله الذي ولده وبصقه واستفرغه ورثاه وعلمه وأرسله غار حراء أفضل أو أنبل أو أتقى أو أقوى أو أذكى من الإله الذي أهدها إلينا وقرأه علينا وفسره ووصفه لنا القرآن الذي كُتِبَ وتحت وحفظت وقرأت آياته وسوره حجارة وكأبة وقحط الغيران والمغارات؟

أليست حجارة وكأبة وقحط ووحشة ووحشية هذا الغار هي التي صاغت وألفت أخلاق هذا الإله وسور وآيات ولعنات وعداوات هذا القرآن؟

- اسمعوا، اسمعوا. وهل تستطيعون أو تقبلون أن تسمعوا؟ وهل يمكن أن يوجد من تستطيع أو تقبل آذانهم أن تسمع هذا أو شيئاً منه حتى ولو استعارت من آذان الآلهة كل صممها وبلاذتها وخمولها وموتها ووحشيتها وقبحها وهوانها؟ وهل يقبل أو يستطيع أي كائن أن يتعلم أو يستعير من الإله أي شيء؟

اسمعوا يا من لن تسمعوا ولم تسمعوا بل يا من يجب عليهم ألا يسمعوا.. اسمعوا..

لهذا أطلب إليكم أن تسمعوا لأنني لن أنتظر منكم أو أخشى عليكم أن تسمعوا.. إن كل من يقبل أو يستطيع أن يسمع لن يقبل أو يستطيع أن يبقى موجوداً أي لو أنه وجد أو قبل أن يوجد..!

هل استطاع أو يستطيع أي كائن أن يعايش أذنيه إلا مشروطاً عليهما ألا تسمعاً بل أن تسمعاً لئلا تسمعاً.. أن تسمعاً نقيض ما تسمعان..! ماذا لو أن الكائن الأعظم فوق هذا الكون القبيح المتوحش سمع أنه أو آهة أو صرخة أو استغاثة مفجوع أو مظلوم أو مهان أو مريض أو جائع أو مقهور؟

.. بعد هذه الحراسة والحديث عن هذه الحراسة والافتناع بهذه الحراسة على آذانكم لئلا تسمعوا وبأنكم لن تسمعوا أقول لكم اسمعوا اسمعوا: إن إله ومريد ومخطط ومدبر وخالق ومعلم ومرئي ومرسل إله هذا الوجود وكل وجود هو الغار.. غار حراء..!



إذن كم يجب علي أن اعتذر وأتوب إلى مخاطبي.. أو أن يعتذر ويتوب إلي لأنه طالمني بالذهاب إلى هذا الغار.. غار حراء الهاجي لكل الغيران والمغارات.. الباصق المستفرغ الهاجي لكل الآلهة والأنبياء.. لآخر الآلهة والنبيات!

هل تقبل الإنسان أو أي كائن في مستواه أو في مستوى أعلى من مستواه أن تكون له حواس أو أحاسيس أو أن يعايشها ويتعامل بها ومعها إلا بأن تكون حواسه وأحاسيسه بلا حواس أو أحاسيس بل بأن تكون نقيضاً ورفضاً ونفياً لكل تفاسير والتزامات وأخلاق ومعاني كل الحواس والأحاسيس بل وحماية وحراسة من كل ذلك؟ لقد أرهت وخلقت كل معاني من يعايشون هذا الوجود ويعيشون فيه لتكون ضد معانيها وخروجاً عليها..!

.. إله هذا الكون يعايش ويساكن ويواجه ويفهم ويرى ويسمع كل كونه هذا بكل صيغه وتفسيره ومعانيه.. بكل رؤاه وسمعه وشقه ولمسه وتفكيره.. بكل عواطفه.. بكل حنانه ورحمته وحبه

وشهائته ونبله وذكائه وتساؤه.. بكل حواسه وأحاسيسه التي يفرق ويضيق ويضل في اتساعها ورعتها كل أحد وكل شيء..

ثم يقبل أن يظل موجوداً مستوياً فوق هذا الكون مبتساً مغالاً مصلياً ممجداً لنفسه راضياً عنها سعيداً فرحاً بها وبجودة وعظمة وسخاء ظروف وجوده..!

كيف وجد من يقول أو يعتقد هذا أو شيئاً منه بل أو من يتصوره أو من يستمع إلى من يقول أو يتصوره؟ كيف لم توجد مقاييس أو حدود دنيا أي ضعيفة هابطة للغباء والخطأ لا يستطيع الهبوط تحتها.. لا يستطيع أو يقبل بل أو يمكن تخطيها؟

كيف لم يوجد من يوجدون هذه المقاييس والحدود أو يذكرونها.

.. هل يستطيع كل ما في الكون وكل ما في كل أحد وكل شيء من رثاء وأسى أن يكون شيئاً من الرثاء والعزاء بل والبكاء لأمة ترى وتعلن وتعلم وتفاخر أن كل أمجادها الحضارية والعلمية والإنسانية والبلاغية والإعجازية بل والإلهية والنبوية والأخلاقية والدينية والقرآنية وأيضاً الحرية العسكرية الغروسية..

ترى وتعلن وتعلم وتباهي أن كل أمجادها هذه وغيرها إنما حيل بها وولدها وعلمها وربها وأرسلها وحارب وانتصر بها غار، غار حراء..

وأنه هو المؤمل والمتنظر والمطالب والمرجو أن يفعل بها ولها كل ذلك في الحاضر وفي كل المستقبل أي غار حراء.. أي هذا الغار الذي لا بد أن تخجل وتهون وتفجع كل المغارات والغيران لو انتهى أو انتسب أو لو نسي ونسب إليها؟!

إذن من هي الأمة التي لن يصدق أو يقبل أن يقال إلا عليها وعنّها إنها أمة الغار بل وإن كل سعادتها ورضاها وفرحها ومجدها بذلك وبأن يقال وتقول إنها كذلك؟

أليست هذه الأمة هي الأمة العربية في كل عصورها وأطوارها ومجتمعاتها وأفكارها ومفكراتها؟

هل وجد مفكر أو فنان أو شاعر أو معلم أو نبي.. مؤمن أو كافر.. شرقي أو غربي.. يساري أو يميني أو غير كل ذلك حاول أو أراد أو استطاع أو تمنى أو توقع أو وعد أن يخرجها من هذا الغار أو أن يعلمها غير تعاليم هذا الغار أو أن يصعد أو أن يخطو بها فوق هذا الغار أي أمة الغار.. أي أمتي العربية أمجد الأمم قولاً وشعراً ورواية. كم أنا حزين، حزين لأمتي التي لن يوجد لها تفسير أصدق أو أنقى أو أقوى من تفسيرها بأنها أمة الغار التي لا يستطيع أو يجزئ أن يولد أو يظهر أو يتكلم أو يوحى إليها أو ملاكها أو نبيها إلا من الغار.. إلا من هذا الغار.. غار حراء الذي ترفض كل الغيران والمغارات أن يسمى غاراً خوفاً من أن تنهم بأنه أحد آبائها أو أبنائها أو أقربائها.

... إله ونبي وملاك وقرآن ودين لا يقبل أن يلدّه أو يعلمه أو يرسله أو يريه إلا هذا الغار.. إلا غار حراء.. أو لا يستطيع أن يفعل ذلك غيره، غير هذا الغار.

.. ماذا يمكن أن يسمى أو يفسر هذا الإله أو الملاك أو النبي أو القرآن أو الدين؟ ماذا يمكن

أن يساوي في حياة الإنسان أو حضارته أو معرفته أو منطقته أو أخلاقه أو وجوده أو حتى في إيمانه وتدقيقه وتقواه؟ هل يمكن أن يساوي غير ما سواه ويساويه الإنسان العربي الذي كان والكائن والذي سوف يكون أو قد يكون؟

.. هل يمكن أن يفسر من بلدهم وبهيمهم ويعلمهم ويربهم ويصوغهم هذا الغار.. غار حراء..

بأصدق أو أنقى أو أوفى أو أشمل أو أدوم من تفسير مواجهة إسرائيل لهم.. من تفسير مواجهاتهم بكل صيغها ولغاتها وطاقاتها ونائجها وتفسيرها وأخلاقها لإسرائيل؟ هل استطاع أو عرف الإله بكل نبوآته وبلاغاته وتلاوته نقرآته أن يفسر أو يصف من واجهوا إسرائيل مثل تفسير ووصف هذه المواجهة لهم؟

.. آه يا غار حراء.. هل وجد أو يمكن أن يوجد فاضح لآلهتك وأنبائك وأبنائك أو فاضح لك بآلهتك وأنبائك وأبنائك مثل إسرائيل؟ هل جاءت إسرائيل تعبيراً عن شمول قوتها وتفوقها أم عن شمول تخلف وضعف مواجهيها؟ من يعرف هذا؟

.. من هذا الكائن الذي أراد ودبر وصنع هذا الفضح بكل صيغه وتفسيره وميادينه واتجاهاته وتعبيراته لك يا غار حراء ولآلهتك وأنبائك وأبنائك لهذا صنع إسرائيل كما صنعها وصنعك أنت ومن تصنع كما صنعكم؟ من هذا الكائن الفظيع القبيح؟ هل صنع هذا الكائن إسرائيل كما صنعها، كما جاءت وصنعك أنت ومن صنعت يا غار حراء وجئت وجاؤوا كما جئت وجاؤوا لتحقيق هذا الفضح وللإعلان عنه وللتشهير به عالمياً وكونياً؟

ولماذا اختار هذا الكائن إسرائيل جهازاً لهذا الفضح؟ هل أراد بذلك المبالغة في إعلان أمجاد إسرائيل أم المبالغة في الإعلان عن تصغير من لا يحتاجون إلى تصغير؟ هل هؤلاء يحتاجون إلى المزيد من الإعلان عن مزاياهم أو يحتاج أولئك إلى المزيد من الإعلان عن فقدهم لكل المزايا وعجزهم عنها؟ ليتك يا غار حراء الوالد والواهب والمعلم لبني إسرائيل لتصوغهم كما صنعت قومي العرب لكلا يحدث هذا التفاوت القاتل.

.. هل وجدت أو يمكن أن توجد ولو تصوراً كل هذه النقائص أو مثل كل هذه النقائص مجتمعة كلها بأقبح وأشمل التجمع في ذات من أراد وأحب ودبر وخطط وصاغ كل شيء ليحيى ويكون كما جاء وكان ثم ليذهب بكل الأساليب والتفسير التي بها يذهب، يذهب؟

.. إن كل طاقات وعيقرات وإنجازات كل البشر بل ومسراتهم لتصغر وتهون وتقيح وتهزم وتخسر وتصعق خجلاً أمام أنه أو صرخة أو أمة أو استغاثة أو دعة يطلقها مغجوع أو مظلوم أو مريض أو مهزم أو مهان أو مشوه أو عاجز أو يائس أو محكوم عليه بوجود يرفضه كل الجمال والحب والفرح والمنطق.. إنها لن تطلق أو تقبل رؤية أو قراءة حياة الإنسان.. أي إنسان بل أو أي كائن محاسبة أو محاكمة أو مفسرة كلها بأكملها.

إن الرؤية والقراءة الشاملتين لأي شيء قتل له. لهذا لم توجد هذه الرؤية أو القراءة.

.. آه. كم يجب على وجودي أن يعتذر إلى وجودي.. إلى ذاتي أي إلى موجوداً.. أن يعتذر موجودي إلى وجودي.. إلى كل صيغ وتفسير وجودي وإيجادي.. أن يعتذر كل وجود إلى كل موجود وكل موجود إلى كل وجود.. أن يعتذر بكل نيات التوبة والتندم ومعاقبة الذات كل من فعل الإيجاد والوجود إلى كل من فعل به الإيجاد والوجود..!.. هل يوجد مذنب أو موقع به الذنب لو لم يوجد الفاعلون للإيجاد؟ إذن أليس الإيجاد هو كل الذنوب؟

إن أعظم آثام الموجد الأعظم بل وآثام كل منطق ومبدأ الإيجاد.. كل إيجاد وكل موجد.

- إن أعظم آثام ذلك أن جعل الموجد الموجود يتقبل بل ويرضى ويسعد به أي بإيجاده ووجوده بل ويحولته إلى إيمان وعبادات وصلوات وإلى آلهة ونبوات وأديان.. أن جعله يحول ويفسر العامة والتشوه والعجز في وجهه وذاته إلى جمال وقوة وحب في ذات وقلب موجد..! .. أن جعله يفعل ذلك بكل لغات الشكر والرضا والتعبد والميابة..

مهما اشمأزت وفجعت وذهلت وهربت كل القباحات والدمامات والتفاهات والبلادات والآلام والمآسي والفضائح والبأس ذعراً مما في وجوده وإيجاده من ذلك من كل ذلك..!.. أن جعله يقول شكراً وحمداً لك يا من أوجدتني أعمى وأصم وأبكم ومقعداً ومشوهاً ومصنعاً لكل الآلام والبؤس.. إن الموجد الأعظم بل والأصغر لم يشبع أو يرض أو يكف قبحه وعدوانيته أن يوجد من يوجد بلا استئذان أو تدبير أو تفكير أو استشارة أو موافقة أو اختيار.. بل تعدى وتخطى ذلك كثيراً كثيراً بكل القبح والتهوين والإذلال والافتضاح والعدوان..

بأن جعل من أوجد محكوماً ومصنعاً ومخلوقاً بكل ذلك يحول إيجاده وموجدته أي بهذه الصيغ وفي هذه الظروف إلى تعبد ومعبود بكل صيغ وتفسير ومعاني ذلك..! بل وجعله يزداد إيماناً ورضاً وإعجاباً وإتتهالاً وتدينياً وإسلاماً واستسلاماً بقدر ما يقسو ويتبع ويهون ويذل ويتعذب وجوده بل ويهجره وجوده..!

آه. أنا موجود موجد راضٍ عن وجودي وإيجادي ممجد لفكرته ومنطقه وحوافره وأهدافه وتفسيره أو متقبل له مستمسك به بل معاد محارب لآعن لكل من يريد أو يحاول إنقاذ منه.. من ذلك أي مهما كانت صيغ وظروف ومستويات واحتمالات وتوقعات وجودي وإيجادي. لقد وجدت أي أوجدت لأكون معرضاً لكل آثام وأخطاء وبلادات وسفاهات ودمامات كل وجود وموجود لكي أصرخ، أصرخ: ما أجمل وأنبل وأذكى وأتقى ذلك..!

إذن هل يستطيع كل الرثاء والعزاء والأسى أن يكفي رثاء وعزاء وأسى لي عن مأساة وجودي.. عن مأساتي بوجودي.. برضاي عن وجودي وتقبلي وتعبدي وصلاتي لوجودي حتى حينما يصبح وجودي هو كل أعدائي وكل أعداء كل وجودي..!

آه. هل يمكن أن يربح أو يستفيد أي كائن من وجوده مهما كان وجوده أو صور وتخييل وجوده؟ ماذا تساوي أو تعني أرباح الوجود الجيد السعيد؟ هل فكرنا أو تساءلنا أو عرفنا؟

.. إني أريد هنا أن أكون عدوانياً مقلداً مؤذياً جريئاً بلا نموذج أو أني لا بد أن أكون كل ذلك وأتسى من كل ذلك دون أن أريد أو أدبر وأخطئ أو أسعد أي حين أقول واضطر أن أقول: أيها الموجود الموجد الأعظم.

.. أيها المزعوم ذلك المتهم بذلك.. أيها المتهم المبرأ الذي لن يجده متهموه ليعاقبه ولن يجده مبرئوه ليهتروه.. أيها المالك المحتكر لكل الأوصاف الفاقد لكل الأوصاف الخارج على كل الأوصاف..!

.. ماذا تستفيد أو تربح أو تجد في وجودك مهما كانت صيغ وتفسيرات ونماذج وظروف وجودك؟ هل تجرؤ على التفكير في هذا التساؤل أو على محاسبته أو على فهمه بل أو حتى على قراءته؟

إذن أليس الذين رأوك وفشروك موجوداً وحكموا عليك بأنك موجود هم أنذل وأقبح وأوحد أعدائك.. بل هم أول وأولى بل كل من يستحقون كل غضبك وعقابك وانتقامك أي إن كنت تفهم وتصنع شيئاً من ذلك؟

.. كيف أمكن أو يمكن جهل هذا أو الاختلاف فيه؟

اسمع يا إلهي.. اسمع بأذان غير أذانك التي جربناها وعرفناها..! لقد كان من صنع لك يا إلهي أذنك أعظم فنان أي في جعله لهما بلا وظيفة بل ضد الوظيفة المفروضة فيهما..! اسمع، اسمع:

لقد وجدت في أزل لا حدود بل ولا تصور لأزله.. لأزل أزله.. هكذا قالوا إن وجودك وجود أزلي دون أن يعرفوا أهم بمجدونك ويسعدونك بذلك أم يفعلون النقيض؟

فهل تأذن أو تغفر أن أسأل هذا السؤال الصغير الكبير أيها المتهم بالأزلية والأبدية.. هذا السؤال الذي يهين ويحرج ويهزم ويدل كل شيء أو الذي يجب أن يفعل ذلك..!

إني يا إلهي أسأل هذا السؤال حتى دون أن تأذن أو تغفر بل حتى ولو كان محتوماً أن تقاسي من الغضب والحيرة والعجز والافتضاح.. حتى ولو كان محتوماً أن تغرق في عرق الاستحياء والانهمام والضياع..!

.. هذا السؤال الذي يقول أو الذي يجب أن يقول وأن تقول معه كل الكائنات الأخرى بكل لغاتها ونياحها ونقيقها ورغائها وبكائها وخرسها وضياعها وبكل فواجعها وفضائعها وآلامها وهوانها وعارها.. الذي يقول: وأنت أيها الموجود الأزلي الأبدى هل تريح من وجودك أي ربح مادي أو معنوي.. نفسي أو فكري أو أخلاقي.. هل جاء وجودك بحثاً عن الربح أم عيشاً أم اضطراراً أو إكراهاً؟ هل جئت ولادة بلا والد ولا ولادة وبلا عمل من أعمال التلقيح والحبل؟

وهل جاء وجودك بالصيغ والتفسير التي بها جاء باختيارك ومعرفتك ورضاك وحساباتك أم جاء خروجاً على ذلك؟

وهل وجدته أي وجودك بعد أن رأيت وجزيته وعرقته هو الصيغة التي لا تقبل أو ترضى سواها؟ وكيف استطعت أو تستطيع أن تقتنع أن الصيغة التي جاء بها وجودك هي أفضل أو أعظم الصيغ؟ .. هل سمعت شيئاً من هذه الأسئلة ألقي عليك أو ألقينته أنت على نفسك في أية فترة من فترات تاريخك الطويل.. الطويل؟

ماذا كان يمكن أن يكون جوابك أو وجودك لو واجهت هذه الأسئلة؟

.. فكره فكر في ذلك.. راجع ذكرياتك. راجعها..!

هل سمعت يا إلهي من طالبك بذلك؟.. ألا تكون أفضل مما أنت لو سمعت ذلك؟

هنا سؤال، سؤال يحاصرني ويحرقني.. يقول السؤال: هل الإله يصاب بالشيخوخة وبكل آلام وقبح ومعاني وهنها؟

.. إن كان يصاب بذلك فما أقسى الاحتمالات التي لا بد أن يصاب بها كل هذا الوجود وكل شيء.. ما أقسى وأفجع حيثئذ التوقعات والتصورات..! وقد يقال برؤى وحسابات أخرى: بل ما أجمل وأرحم وأنفع أن يكون ذلك كذلك..!

إنها لا توجد أية قوانين أو عقاقير أو معاهدات أو تعهدات أو منظمات دولية أو كونية تحمي الإله من أن يصاب بذلك أي بالشيخوخة وبكل أعراضها وتعبيراتها. إذن كم هو مريع أو مزعج هو ذلك! إن إصابة الإله بذلك تعني حتماً أن تكون آخر الأديان والنبوءات والتعاليم والشرائع والكتب المنزلزة معرضة لأن تكون هي الأضعف والأعجز والأقبح محاسبة بما سبقها من ذلك.. من أمهات وأنوات وبنات وزميلات وشبهات وقرينات..

.. الآلهة تصاب بالشيخوخة ثم بالموت أو بالشيخوخة بلا موت أو لا تصاب بشيء من ذلك. أي هذه الاحتمالات أقل قبحاً وعذاباً وأبها أكثر أو أقل خروجاً على العقل والمنطق والقوانين؟

.. إن ذلك لا بد أن يعني أو قد يعني موت الألوهيات ونهاية عصورها.. موت ونهاية عصر الآلهة والألوهيات.. نهاية وموت الوجود أو الكون الذي تريده وتصنعه وتحكمه الآلهة والألوهيات أي كون الآلهة تصاب بالشيخوخة وبكل أعراضها وآلامها ومعانيها..

.. هل هذا أي عصر الآلهة والألوهيات والوجود أو الكون الذي تصوغه وتريده وتتصوره الآلهة والألوهيات هو العصر الذي لا يستطيع كل الأخلاق والعقول والرؤى والطاقت والنمنيات والاحتياجات أن تتصور أو تتخلى أو تقبل أو تعقل أو تفعل أفضل وأعظم منه بل أو مثله؟ ماذا لو طلب من كل من يعيشون في عصر الآلهة.. من كل من يعيشون ويعاشون الوجود الذي تحكمه وتريده وتخططه وتصوغه وتعامل به ومعهم الآلهة والألوهيات.. لو طلب منهم أن يفجروا غيظهم وغضبهم واشمئزهم؟

ماذا يمكن أن تقول الحيوانات والحشرات وكل الكائنات.. كل العاهات والدمامات والنشوهات والمهانات والتفاهات والمخاطر والفضائح والآلام والهموم والنقائص التي جربت وعاشت وقاست

وعرفت عصر الآلهة والألوهيات والكون المحكوم بالألوهيات والآلهة.. التي أرادت أن تخططها وأحبها وأصابت بها وعاشتها وعابستها أي الآلهة والألوهيات.

- نعم، ماذا يمكن أن تقول لو أنها سفلت هذا السؤال أو هذه الأسئلة واستطاعت أن تجيب عليها؟ هل قاسى أي شيء أو أي أحد أية مقاساة بأي تفسير من تفاسير المقاساة إلا في عصر الآلهة والألوهيات؟

هل فكر البشر... عابرتهم أو أنبياؤهم أو شعراؤهم أو علماءهم أو أتقياؤهم أو أضداد هؤلاء هل فكروا في هذا التساؤل أو تساءلوه في هذه القضية وفي محاكمتها والحكم عليها؟ وهل علم الإنسان في كل تاريخه ألا يفكر مثل أو غير هؤلاء أي أنبيائه وعلمائه وأتقيائه وشعرائه وخلفائه؟

.. ماذا يمكن أن يكون الجواب أو الموقف أو الفعل لو حدث هذا أي لو حدث هذا التفكير الذي لم يحدث ولن يحدث؟

.. قبيح وأليم أن يكونوا قد فكروا فيه وتساءلوا عنه وفيه.. وقبيح ألا يكونوا قد فعلوا ذلك...!
.. قبيح وأليم ألا يفكروا أو يسألوا أو يروا أو يفهموا وقبيح أليم أن يفعلوا ذلك أو يكونوا ثم يظلوا في ثيابهم وجلودهم..!

.. لنراجع السؤال الرهيب أعني لنرجع إليه لنقول: هل تصاب الآلهة بالشيخوخة؟

هل الأفضل والأفنع أن تصاب أم ألا تصاب؟

والمنطق إن وجد منطق ماذا يمكن أن يقول ويرى في هذه القضية؟ إنه سؤال لا يطاق كذلك لا يطاق الصمت عنه. إذن كيف جاء الصمت عنه بكل الشمول؟

... ما هي النتائج المحتمومة أو المحتملة حينئذ أي إن كانت الآلهة تصاب بالشيخوخة وبكل نتائجها وعواقبها ومعانيها..؟ أليس المطلوب والمنطقي أن يحدث ذلك مهما كانت النتائج والعواقب التي قد تكون جيدة جداً؟

.. أليس محتوماً أن تكون أكبر هذه النتائج أن تموت أي الآلهة.. أن تموت موتاً طبيعياً بسلطان الشيخوخة أو أن تموت منتحرة رافضة لقبح وعذاب وهوان الشيخوخة وفراراً من مواجهتها ومعابستها ومن تعذيب وتأليب ضميرها لها لإصابتها بكل الكائنات بها؟

وماذا يعني ويعطي موت الآلهة من نتائج؟

إنه قد يعطي ويعني موت كل شيء بالتفسير القائل بأنه لا وجود ولا بقاء لأي شيء إلا بالآلهة..!

وقد ثبتت نقيض هذا القول والرأي..!

كما أنه قد يعني ويعطي أي موت الآلهة أن يتحرر الوجود وكل شيء من أقسى وأشمل طغيان واستعباد بل من أوقع وأجهل وأبلد استعباد وطغيان..!

أليست الآلهة والألوهيات هي كل بدايات ونهايات وتفسير وجيوش وجنود وطاقات

وتخطيطات كل أساليب الطغيان والاستعباد؟ أليست هي الفاعلة والمعلمة لكل ذلك والآمرة والمطالبة به بأن تعبد به؟

.. هل يستطيع كل الطغيان أو الاستعباد الذي كان أو الذي سوف يكون أو قد يكون أو الذي قد استطاع تصوّره أن ينافس صيغة واحدة من صيغ طغيان واستعباد الإله أو أي إله حينما يفرض فرضاً دائماً ملزماً على عين ألا ترى أو على أذن ألا تسمع أو على قدم ألا تخطو أو على يد ألا تمسك بالقلم أو بأي شيء أو على قامة ألا تنتصب أو على قلب ألا ينبض أو يتحرك أو على لسان ألا يستطيع أن يقول: أدعوك.. أصلي لك.. أحبك.. أعتف لك.. أنتظر.. أنتظر.. أنتظر يا إلهي.. الغائب الغائب أبداً، أبداً.. المتظر أبداً، أبداً!

.. أو أحتج عليك وأحاسبك وأستكره وأنكره وأشمز منك وأفجع بك يا إلهي لأنك لم تكن شيئاً مما أريده أو مما يجب أن تكونه..

بل لأنك يا إلهي كنت دائماً ومصر مستمر دائماً على أن تكون ضد ما يجب وينتظر ويراد ويحتمل أن تكون.. لأنك كنت وتكون دائماً أصغر جداً من الحجم المزعوم والمرجو لك بل أصغر من أصغر حجم..

بل لأنك يا إلهي جئت في كل أحجامك هجاء وتحقيراً لكل الأحجام المادية لهذا فإن حجمك هذا أي المادي لا يراحم ولن يراحم أي حجم، أما حجمك المعنوي يا إلهي فلم يوجد ولن يوجد من يجده...!

لقد جئت يا إلهي في حجم ترفض كل الأحجام أن تكونه أو تكون شيئاً منه أي في حجمه المادي أو المعنوي.. إنك يا إلهي بلا أي حجم بكل التفسير..

.. إن الرؤية النافذة الذكية الشجاعة لتقول ويجب أن تقول إن كل الطغاة المستعبدين المذلين القاتلين لكل الحريات يجب أن يتحولوا إلى معلمين ومؤدبين ووعاظ لكل الآلهة ليدربوهم على أي قدر من صيغ وأخلاق وتفسيرات وأساليب التحرر والحرية ومن الإيمان بهما والاحترام لهما والالتزام بهما..

- نعم، لتقول ويجب أن تقول: إن كل الطغاة ليتحولون إلى أنبل وأفضل وأتقى الأحرار والمحربين لو حوسبوا أو فسروا بالآلهة.. بأي إله.. ليت كل الآلهة تحدد طغيانها واستعبادها بطغيان واستعباد كل الطغاة والمستعبدين.. ما أطيبها حيثلي.. ما أطيبها!

.. انظروا.. افروا.. فسرُوا.. افهموا مثلاً واحداً.. طاعيتي الأكبر يفرض علي ألا أنتحرك أو أقرأ أو أرى إلا بقيود وشروط ومؤقتاً لأنني عدو ومقاوم له أو لأنه حسبني كذلك أو خاف أن أكون كذلك.. أعني بطاعيتي الأكبر حاكمي أو زعمي أو قلدي المصاب بكل عاهات الطغيان..!

أما الإله.. أما إلهي فإنه يفرض علي بتعجيزه لي بكل أساليب وآلات وصيغ التعجيز وهو يملك كما قيل ويقول كل آلات وأجهزة وقدرات التعجيز والتعطيل بلا أية حماية من أي نوع.

- أما إلهي هذا فإنه يفرض علي فرضاً أبدياً إلهياً ذاتياً ليس فقط ألا أمشي أو أتحرك أو أرى أو أفكر أو أسأل أو أحاور أو أستنكر أو أحتج أو أصرخ أو أئن أو أبكي أو أتكلم حين يجب وينتظر أن أكون كل ذلك وأكثر من كل ذلك..

بل إنه ليفرض علي ألا أفكر أو أفهم أو أشعر أو حتى أغضب أو أشتت مهما كنت ومهما كان كل شيء.. إنه يفرض كل ذلك علي بأسلوب لا مثيل له في قبحة وعدوانيته ووحشيته..!

.. يفرض علي ذلك ليس فقط بالتعليم والأوامر والتهديد والوعيد والرسول والكتب المرسله المنزلة بل بإصاياتي بكل أسلحته اللثيمة الغادرة المحولة لكل طاقاتي وأعضائي إلى كل صيغ وتفسير المعجز والتعجيز التدل الوقع المتوحش بلا أي مثيل أو نموذج. هل يقاس طغيان وعدوان من يمنع بالأمر والنهي والتهديد بطغيان وعدوان من يمنع بالتعجيز الذاتي.. يتمجيز الذات؟

.. يفرض علي كل ذلك أو يصيني ويضربني بكل ذلك ويوقعه بي إيقاعاً ذاتياً عشوائياً وحشياً بلا أية مراجعة أو رجوع أو محاوره أو مسائلة أو معاتبة أو محاسبة أو محاكمة أو انتظار للإنقاذ أو أمل فيه..!

طاغيتي الأكبر يقول لي: كن جباناً ونذلاً وإلهي يخلقني كذلك..!

.. يفعل بي كل ذلك لا لأنني عدوه ولا لأنه يخشى ذلك، فأيهما الأتبع طاغيتي أم إلهي النبيل الرحيم؟

إلهي الحكيم الرحيم النبيل يفعل بي كل ذلك لا لأنني عدوه أو كنت عدوه أو صديقاً لعدوه أو يظنني عدوه أو أنني قد أصبح عدوه أو أنني قد أستطيع أو أريد أن أكون ذلك أو شيئاً منه.. إنه الفاعل الضارب دون أن يكون شيئاً أو معاقباً بل دون أن يكون قاصداً أو رائياً أو فاهماً من يضرب ومن يفعل به ما يفعل..!

بل إنه يوقع ويفعل بي كل ذلك لأنني عبده وعاभده وصديقه الصادق الذي لا يريد ولا يستطيع ولا يعرف أن يكون غير ذلك..

إنه يفعل ويوقع بي كل ذلك لأنني مخلوقه المؤمن المطيع العاجز المحب المتضرع إليه المؤمل فيه ومنه وحده.. لا لأنني متأمر عليه، ولا لأنه يتوقع أو يخاف أن أتأمر عليه.

إن إلهي هو الكائن الفريد الذي لا استطاع تفسيره بأي تفسير من التفسيرات الجيدة الذكية أو الرديئة البليدة..!

... لا لأنه يتهمني بالرجعية أو بالتقدمية.. بالشيوعية أو بالرأسمالية.. بالملكية أو بالجمهورية.. بالثورية أو الإصلاحية أو العقلية.. بالثورية أو الحرية.. بالثورية أو التقدمية.. بالثورية أو الأخلاقية أو الحضارية أو الإنسانية أو الجمالية أو العلمية..

نعم، أليست الثورية أو الثورة نقيضاً ونفياً لهذه القيم؟

إنه لا يفعل بي ذلك قصاصاً أو حساباً أو عقاباً أو زجراً أو تأديباً أو بحثاً عن العدل أو الجمال

أو الحب أو رغبة في أن يتعلم المزيد من فنون القتال والعدوان والإيذاء والتشويه والتعطيم..!

إن إلهي لو كان يضرب حساباً أو عقاباً أو عدلاً لما وجد من يضرب غير نفسه..!

.. إنه أي إلهي لا يفعل أو يوقع بي كل ذلك أو شيئاً منه لأنه يحاسب أو يحاكم أو يعاقب أو يفكر أو يخطط أو يرى أو يقرأ أو يغتر أو يفهم بل لأنه يضرب ويضرب ويظل يضرب، يضرب بلا أي حساب أو تفسير أو منطق أو حوافر أخلاقية أو فنية أو دينية أو مذهبية أو دفاعية..!

إنه يضرب لأن له عضلات تستطيع أن تضرب لا لأنه يفهم لماذا يضرب..!

آه.. أليست كل ضربات وخبطات الطبيعة العمياء العشوائية الجنونية الإجرامية العدوانية الحمقاء هي شيئاً قليلاً، قليلاً من ضربات وخبطات إلهي.. وحبيبي.. صديقي.. عزيزي.. محبوبي..

إلهي، إلهي الذي أراه وأعلنه وأعتقد وأفسره كل الحب والرحمة والجمال والمنطق والأخلاق والوقار والتهديب بل والتدين والتقوى..

.. إلهي، إلهي الذي أراه كل شيء ولكنني لن أجده أي شيء؟

.. إذن أينما يجب ويتظر أن يتعذب حزناً ورتاء للآخر: أنا أم إلهي؟ أينما يجب أن يكون معلماً ومهذباً ومؤدباً للآخر: أنا أم إلهي.. الإنسان أم الإله؟ كم هو جميل ونافع أن تتعلم الآلهة من الإنسان.. ليت ذلك يحدث. ليت..!

إن هنا سؤالاً لم يوجد من يسأله مع أنه يفرض على كل شيء وكل أحد أن يكون سؤاله الأول بل أن يكون كل أسئلته..!

إن تسيان هذا السؤال أو العجز أو الاسترخاء عن سؤاله لهجاء وسب لكل شيء..

يقول هذا السؤال بكل الانفعاج والترجيع والغضب والأسى والذهول - يقول:

لماذا أريد وخطط وخلق وصيغ وأخرج ونقذ ودثر هذا الكون ليكون ضارباً ومضروباً.. غالباً ومغلوباً.. جميلاً ودميماً.. قوياً وضعيفاً.. مخيفاً وخائفاً.. ظالماً ومظلوماً.. مشوهاً ومتشوهاً.. ذليلاً وعزيباً.. شباباً وشيخوخة.. صحة ومرضاً.. ولادة وموتاً.. إلهاً وعبداً.. عابداً ومعبوداً.. خالقاً ومخلوقاً؟ لماذا جاء أي الكون وكل شيء كما جاء ولم يجيء بصيغ أخرى؟ هل حدث ذلك بأي تدبير أو تخطيط أو تصميم أو إرادة أو خلق خالق؟ كيف؟ كيف؟ لماذا؟ ماذا يقول أي منطق في هذه القضية؟ هل يقول لأنه الأفضل أو الأعقل أو الأجمل أو الأمثل أو الأذكى أو هو كل المستطاع؟ هل هذا كل ما أمكن تصوّره ومعرفة من صيغ ومعاني الجمال والحب والإبداع؟

.. ما أقبح وأصعب الإجابة عن شيء من هذه التساؤلات بشيء من هذه الاحتمالات

والإجابات..!

هل وجد في كل التاريخ جواب صحيح عن أي سؤال صحيح؟

.. هل يوجد أو يحتمل أن يوجد أي جواب عن أي سؤال من هذه التساؤلات..!

ما أنقصر كل سؤال جاد صحيح شامل محاسب محاكم.. ما أنقصر لأنه لن يجد الجواب..
الجواب الذي يسأل ويبحث عنه!

إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد أغبى أو أنذل أو أردأ من الأنبياء بل ومن كل المعلمين الذين
لم يحترقوا بتصور وقراءة هذا السؤال بل الذين لم يحولوا كل آلهتهم وأنبيائهم ومعلميهم وعقائدهم
وأديانهم إلى حرائق، حرائق ليحرقوا بها أنفسهم وكل شيء..

لئلا يسمعوا أو يفهموا أو يقرؤوا أو يواجهوا هذا السؤال.. هذا السؤال المدل الهازم المحرق
لكل شيء.. لئلا يروا أو يسمعوا آلهتهم وأنبياءهم وشيوخهم وأحبارهم ورهبانهم وكل معلميهم يتحدثون
بكل الكبرياء والرضا عن جمال وحب وحكمة ورحمة وروعة كل شيء!

.. إن العار والقيح لو كانا طاقات إحراق لأحرقا كل إله ونبي وزعيم وفائد ومعلم..
.. لوجب أن يحرقا.. لقررا أن يحرقا هؤلاء أكثر وأقوى وأحر من أن يحرقا أي كائن آخر.. أي
برغوث أو نملة أو صرصار أو ذباب.. ومن أن يريد أن يحرق هذه الكائنات..!

إن إحراق كل الحشرات والجرائم لن يساوي في مزاياه وعواقبه الجيدة النافعة شيئاً من مزايا
إحراق كل الآلهة والأنبياء والمعلمين والقادة والزعماء ومن العواقب الجيدة لذلك!

أليس من أعظم وأتقى ما تتفوق به الكائنات الأخرى على الإنسان أنها بلا آلهة وأنبياء وقادة
وزعماء ومعلمين؟ هل صنع أو يصنع الهوان أو العار أو العذاب أو الإبادة للإنسان مثل هؤلاء؟

.. حاسبوا وحاسبوا واتهموا وعاقبوا كل شيء وكل أحد بكل القسوة والوحشية والشمول
والديمومة.. بكل العدل والتقوى أو بكل الظلم والفسوق..

ثم انظروا وفكروا واسألوا وتساءلوا: هل يمكن أن يكون كل ذلك شيئاً من المحاسبة والمعاقبة
والمحاكمة والانتقام الذي يجب أن يحاكم ويحاسب ويتهم ويعاقب به كل آلهة وأنبياء وقادة وزعماء
ومعلمي هذا الوجود؟

من الذي تصور أو ابتدع أو قرّر أو نفذ هذه الفكرة القائلة والمعلمة والمقننة بأن المخلوق هو
الذي يجب أن يحاسب ويحكم ويعاقب ويتهم ويسب ويهجن وليس الخالق أي بما فعله ويقعله به
الخالق؟ أليس الآلهة والأنبياء والمعلمون والزعماء والقادة هم الذين علموا ونشروا وروّجوا هذه
الخطيئة.. هذه الجهالة.. هذا الظلم والقيح؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد قبح أو ظلم أو إبادة أو سقم أو عدوان مثل ذلك؟

.. الخالق المخطط المرشد المدير الفاعل يحاسب ويحكم ويعاقب ويقاوم ويلعن مخلوقه على
ما فعل به لأنه جاء في الصيغة التي صاغه بها...! هل تستطيع أو تقبل الشمس أو السحاب أو
النجوم أن تتعامل مع الإنسان أو تمر به لو عرفت ذلك؟

هل يمكن أن يوجد عذاب أو انفجاع أو غيظ أو غضب أو اشتغاف يساوي بعض ما أعاني من
ذلك حينما أفكر أو أصدق في هذه القضية أو أحاسبها أو أحاكمها أو أقرؤها أو أفسرها أو أسألها أو

في أية قضية أخرى من قضايا الوجود والكينونة محاكمة بالعقل أو بالأخلاق أو بالفن والإبداع أو بالنفع والضرر؟

.. لماذا لا أجد من يشاركوني في شيء من ذلك؟ ما أقسى الوحدة في رؤية الوجود ومحاسبته ومحاكمته وقراءته.. ما أفجع الوحدة في مجالسة ومحاورة ومحاسبة الإله وتفسيره!

.. لماذا تجمعت وتعاونت وتأمرت كل الآلهة القبيحة المتوحشة لكي توقع بي وحدي كل قبحها ووحشيتها ونذالاتها وأخطائها وخطاياها.. لكي تقرأ علي وحدي كل بلادتها وجرائمها وفضائحتها وتقتاصها.. لتسد وتملأ كل الطرق والآفاق التي أتجه إليها أو أحقق فيها؟

لماذا، لماذا؟ لماذا أنا وحدي الرائي القارئ المفتر لكل قبح وذنوب وبلادات كل الآلهة.

.. هل هي الفاعلة لذلك المسؤولة عنه أم أنا المسؤول عن كل ذلك الفاعل له؟ إذن من الفاعل لي لأكون كما كنت؟

اهربوا، انتحروا يا كل صانعي المنطق وواضعيه ومخططي..

للا تسمعوا هذا السؤال.. للا تفسروه.

أليست كل أخطاء وخطايا وبلادات وتفاصيل وضلال المخطط المدير المراد المفعول المخلوق هي حتماً بعض أوصاف وأخلاق الفاعل لكل ذلك؟ كيف وجد أو يوجد من جهل أو يجهل ذلك؟ هل جهل أو قد يجهل ذلك مثل أو غير الآلهة والأنبياء والمعلمين عنهم؟

.. هل يعقل أو يقبل أو يغفر أن يتهم المصمم المخطط المفعول المصنوع بأي شيء يجيء أو يتخلق أو ينبت في ذاته أو بأي شيء يريد أو يفعله أو يقوله أو يراه أو يعتقد أو يقدر ما يقبل ويعقل ويغفر أن يتهم الوجه الجميل البريء بالعاهة الوحشة التي يصاب بها.. بالعاهة البذيئة الوحشية التي لا بد أن تتحول إلى كل اللعنات والتشوهات والدمامات والبصقات والاستفراغات في وجوه وعيون وجلود وملابس وأخلاق كل آلهة وأنبياء وشعوب ونجوم وأنهار وسحاب وحقول وزهور وقادة وزعماء ومعلمي كل هذا الوجود وكل معاهده ومعابده ومصاحفه وعقائمه وأديانه وأضرحة وقبورته وكعباته ومزاراته وبداياته ونهاياته.. أليس كل الآلهة والأنبياء وكل معلمي الآلهة والأديان يجيئون ليعلموا هذا الذي لا يعقل أو يقبل أو يغفر؟

.. أيها المؤمن النقي الصفي المحترق في صدق إيمانه وتقواه وحبته هل تقبل أن يكون لك إله يحدد ثم يظل يحدد في عاهة قبيحة رهيبية وبيلة زرعتها أو زرعت في وجه جميل بريء مؤمن نقي ثم يقبل أن تبقى له عينان.. يحدد، يحدد بهما أتبع وأبذل وأعشى من تحديق الحيوانات والحشرات؟ وهل في تحديق الحيوانات والحشرات شيء من القبح أو الوقاحة أو البلادة أو العمى المتجمع في تحديق الإله.. الآلهة كلها؟

إذن إلى تحديق الحيوانات والحشرات كل الاعتذار من هذه المقارنة.

.. هل يوجد أو يتصور أبداً أو أقسى أو أفحش أو أوقح بل أو أفسق وأكفر من تحديق الآلهة..

من عيون الآلهة.. من قلوب وعقول وضمانر وأخلاق الآلهة.. من عروش ومضاجع الآلهة بل أو ما يساويها أو يشبهها في كل ذلك أو في أي شيء منه؟ إن كفر وفسوق كل الكافرين والفاستقين لن ينافسا شيئاً من كفر وفسوق عيون وقلوب وعقول وضمانر وأخلاق الإله.

هل تقبل أو تستطيع أية عين أو أذن أو عقل أو قلب أو ضمير أو أخلاق أو عواطف ومشاعر أو حسابات أو حواس أو أحاسيس أن ترى أو تسمع أو تواجه أو تقرأ أو تفهم أو تفكر أو تحاسب أو تشاهد أو تعيش أو تسكن شيئاً مما ترى وتسمع وتقرأ وتواجه وتشاهد وتعلم وتعيش وتسكن الآلهة بل وتريد وتخطط وتصنع وتخلق وتدير بكل هذا التبلد والاسترخاء والكسل والعجز والخمول والقبح.. بل وبكل هذا الفرح والطرب والرضا والإعجاب والتمجيد والتعبد والعبادة للذات.. بكل هذه الوحشية والرغبة العدوانية؟!..

هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور من يزرع العاهة أو الدمامة أو التشوه أو العجز أو المرض في الوجه أو في الأعضاء كلها أو في الجسد كله ثم يذهب بكل الكبرياء والوقاحة والغرور المعلن المعلم بطالب يضمن ذلك ممن أصابه بذلك مشروطاً أن يكون الثمن شكراً وحباً وتمجيداً وعبادة وإيماناً وهواناً بل ومالاً وإنفاقاً وعطاء وفقراً وموتاً باسمه ومن أجله وفي سبيله ودفاعاً عما يقول ويريد ويعلم وباسم الطاعة والاحترام والاتباع لمن زعموا أنبياءه وأوليائه ودعائه.

- نعم، هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور من يفعل ذلك أو يقبله غير الآلهة.. غير الإله؟

هل يوجد أو وجد جرأة على فعل ما لا تستطاع الجرأة على فعله مثل الإله؟

انظروا يا من تستطيعون وتقبلون أن تنظروا.. يا من لم تنظروا قط إلى ما أطلبكم أن تنظروا إليه وأن تنظروا..

.. انظروا إلى هذه الدمامة أو العاهة أو النقيصة أو التعويق أو التعجيز أو إلى كل الآلام والآفات في هذا الوجه أو الجسد أو الشيء.. انظروا إلى كل ذلك بكل الحماس والرؤية وتوهج الأخلاق.. هل تستطيعون أن تروا ذلك أو أن تحذقوا فيه دون أن تقاسوا كل الآلام والأسى والانفجاع بل والذعر والغضب والغيظ والاشمئزاز بل ودون أن تحملوا السلاح وتسدوه.. تطلقوه..؟

.. إذن هل تصدقون أن الإله ينظر إلى ذلك ويراه ويحذق فيه بل ويريده ويخططه ويصنعه ويوقمه بكل الفرح والرضا والسعادة والإعجاب والكبرياء عارضاً نفسه في كل ملابس وحلي الأعراس والأفراح؟

ما أفندح وأخسر الإنفاق على أعراس وأفراح الإله..!

.. اسألوا أنبياءكم وفقهاءكم وشيوخكم وأديانكم وقرآنكم وتوراتكم وأنجيلكم إن لم تصدقوا ذلك ليقولوا لكم: ماذا يمكن أن يكون عقابكم إن لم تصدقوه بل إن لم تروا وتمتقدوا وتمنوا أن هذا هو كل الحكمة والرحمة والحب والجمال والإبداع والتقوى؟!

ما أفسى وأقبح وأوقع وأفجع وأخسر وأبلد الإنفاق على الإله.. على الإيمان به وعلى احترامه

وحبه وتمجيده وطاعته وتقواه وتعليمه وتعاليمه وتعلمه وعلى تفسيره وطاعته وحبه وفهمه والاقتناع به وعلى تصوّره والخوف منه والإعلان عنه.. هل وجد أو يمكن أن يوجد منفق عليه بلا أي ثمن أو شكر أو جزاء أو منطق أو فهم أو تفسير أو معنى مثل الإله أو غيره؟

هل سرق الإنسان بكل نماذج وتفسير وقبح السرقة ومعانيها مثل الإله بل أو غير الإله؟

إذن أليس الإله والإنسان هما أعظم وأوقع وأقبح سارق ومسروق في هذا الوجود؟

اسمع وتفهم أيها الإنسان، أيها العالم.. أطالبك أن تسمع وتفهم..

وهل كان يمكن أن توجد أو تبقى لو كنت تسمع أو تفهم أيها الإنسان.. أيها العالم أي

وكننت تستجيب لما تسمع وتفهم؟

.. أطالبك أيها الإنسان، أيها العالم بما لن تستطيع أو تريد أو تقبل أو تتحمل أن تسمع أو

تفهم..

إذن حاول أن تسمع وتفهم..!.. حاول أن تفعل ما لا ينتظر منك أن تفعل.. نعم حاول أن

تسمع وتفهم هذا..!

.. هل يوجد أو يتصور سارق كل السرقات من كل المسروقين، بكل صيغ وتفسير ونيات

السرقات.. بأغبي وأوقع وأشمل كل السرقات بكل أساليبها ولغاتهما مثل العلاقات والمعاملات

والصفقات والمعاهدات والمبايعات..

مع الإله ومع كل أجهزته، ومع كل إله وموظفيه؟ هل وجدت أو يمكن أن توجد مراهنه أو

متاجرة أو تجارة خاسرة كل الخسران وأقصى الخسران بلا أي احتمال للربح أو لتعويض الخسران مثل

المراهنه أو المتاجرة أو التجارة أو المقامرة..

بالإيمان بالإله وبالإعلان عنه وبالدهاية والتفسير والتعليم والوعظ والتخريف والوعد والوعيد به

وفيه وله وعنه؟

كيف أمكن أن يقع الإنسان كل الإنسان في هذه الورطة.. في هذا الخسران.. في هذه البلاده

والغفلة اللتين لا بد أن تغفر كل البلادات والغفلات محاسبية بهما؟

إن كل الهوان والافتضاح والبلادة والقبح للإنسان حين عجز عن فهم ذلك..

حين عجز عن فهم ذلك أو عن إعلان فهمه والالتزام بفهمه كل أنبياء وعلماء وفقهاء وشعراء

وعباة الإنسان في كل العصور والمجتمعات.. أو حين جبنوا وخدعوا وكذبوا فلم يقولوا ما فهموا

وما وجب أن يقولوا بل فلم يناضلوا ويقاوتوا ليكون هذا الذي لم يستطيعوا قوله جهلاً أو غيماً أو جبناً

أو نفاقاً أو خداعاً أو متاجرة..!

أليست هذه التفسير هي كل التفسير أو بعضها لهذه القضية!

.. نعم، ثم ماذا لو أن الوحش أو الحشرات أو كل هذه وكل هذه أعارت أو وهبت أو علمت

أو ركبت شيئاً من عيونها أو قلوبها أو ضمائرهما أو عواطفها أو أخلاقها أو حساسياتها..

بل أر شيئاً من إيمانها أو تقواها أو تدبئها ورحمتها وحبها وحنانها وجمالها وكم كان واجباً ومطلوباً ومفيداً أن تفعل ذلك أي أن تفعله للأنبياء والفقهاء والشيوخ والوعاظ ولكل المعلمين والمفسرين والمعلمين والمتحدثين والمصلين والفارين لجمال وحب ورحمة وحكمة وعدل وذكاء وأخلاق كل شيء، كل شيء لأن كل شيء هو كل تفاسير ومعاني إلههم.. كل عبقرياته وطاقاته وأشواقه وفنونه بل وكل تقواه وصلواته وإيمانه؟

إن كل الأشياء حتى أتبعها وأبلدها وأنزلها وأنحشها ليست إلا ذات وصيغ إلههم.

.. لماذا لم تفعل ذلك أي الوحوش والحشرات؟ ليتها فعلته. إنه حيث لا بد أن تصبح وتكون وتحسب وتعلن أعظم وأتقى وأقوى مصحح ومعلم لهؤلاء.. أي للأنبياء وأمثالهم وأتباعهم وكم هو تخفيف من قبح هذا الوجود أن يتعلم أنبياءه وعلماءه وزعماءه وفقهائه وشعراؤه من وحوشه وحشرات أخلاقها أو رحمته أو حبها أو ذكاءها أو تقواها أو حتى جمالها ونظافتها أو صداقاتها أو سلامها أو آدابها أو تهذيبها أو تواضعها أو صدقها أو عدلها أو حتى كرامتها وبساتنها!

إذن لماذا لم يحدث ذلك؟ لماذا لم تفعل أي الوحوش والحشرات لهؤلاء أو تفعله بهم؟ أليست وحشية وقبح ونذالة وأحوال وعفن وسقوط وفجور وبلادة وسفه وهوان ووقاحة كل الوحوش والحشرات هي أعلى مستويات وتفاسير كل الصيغ والمعاني الجميلة الذكية الرجوة المطلوبة أي لو حوسبت وحوسمت بكل صيغ ونماذج وأخلاق ومستويات ومعاني كل الأنبياء والأولياء والفقهاء والمعلمين للإله وعنده؟!

هل يمكن أن ترى أو تحسب أو تتهم أي الوحوش والحشرات بأنها متآمرة مع الإله أو مع كل الآلهة في هذه القضية لهذا لم تفعل ولم تحاول أن تفعل ما كان وما يجب ويتظر وينبغي أن تفعله؟

ماذا يمكن أن يكون التفسير؟ ما هي التفاسير المحتملة؟ ما أصعب وأخسر وأبلد البحث عن التفاسير..! هل كان ذلك عجزاً أو إهمالاً أو تلبساً أو نسياناً أو تعتداً أو بخلاً أو عصباناً من الوحوش والحشرات وفيها أم كان غيبة وغيوبة ووحشية وبلادة وعناداً في الآلهة والأنبياء والفقهاء والوعاظ وفي كل المعلمين للسماء وعنها، لهذا عجزوا عن أن يروا أو يقرؤوا أو يفهموا الوحوش والحشرات ليتعلموا منها أو امتنعوا عن ذلك عناداً أو قسوة؟ وهل في تفاسير هؤلاء ما هو أذكى أو أتقى أو أنبل؟

.. هل يكون التفسير أن هذه الكائنات أي الوحوش والحشرات وكل الكائنات الأخرى المماثلة كانت تعلم أن هؤلاء أي الآلهة والأنبياء والشيوخ والأخبار والرهبان وكل الحاملين للألواح المعلمين للثورة والإنجيل والقرآن لا يمكن أن يتعلموا أو يعلموا؟ إن معرفة ذلك عن هؤلاء لن تخفى علي أحد.. لن تخفى على الوحوش والحشرات!

هل يجوز أن يفجع أو ينكر أو يفزع أي كائن لو قالت أقسى وأنذل وأردأ وأقبح الكائنات: إنها يائسة كل اليأس من القدرة بل وخجلى كل الخجل من أن تعلم أو تعبر أو تهب شيئاً من إيمانها أو تقواها أو حبها أو حنانها أو عدلها أو نبلها أو إشفاقها أو شهادتها أو ذكائها أو حتى من جمالها لمرید ومخطط ومصمم وعاشق وخالق وصانع كل هذا الوجود وكل وجود وكل شيء أو لأحد من دعائه

ومعلميه ومفسريه ومادحيه وعابديه مفسرة ذلك بأن كل ما سوف تعلم أو تعبر أو تهب من معانيها هذه لهؤلاء لن يتعامل إلا مع الهوان والإذلال والضياع والخسران.. لن يجد أو ينتظر أن يجد غير ذلك وأن كل العقول والأخلاق لتعجز وترهب وتخجل أن تتعامل أو تتحاور أو تتفاهم مع أخلاق وعقول الآلهة ومعلميها حتى أخلاق وعقول الوحوش والحشرات.١

.. ما أطول وأصعب المسافات التي لا بد أن يخطوها ويتجاوزها الآلهة والأنبياء وكل المعلمين لأوامر السماء وأخلاقها..

.. أن يخطوها ويتجاوزوها ليصلوا إلى معابد ومعاهد الوحوش والحشرات ليدرسوا ويتعلموا فيها الإيمان والتدين والأخلاق والحب والرحمة والحكمة والحنان والذكاء والنظافة..

.. ليتعلموا فيها تفاسير أخرى لأنجيلهم وتوراتهم وقرآنهم.. تفاسير أذكى وأتقى وأجمل مما تعلموا وعلموا.. هل يوجد محتاجون إلى أن يتعلموا الإيمان والتدين ومعاني الأديان مثل معلميها أي مثل الآلهة والأنبياء ودعاتهم؟

.. هل يعود السؤال القائل: هل الوحوش والحشرات في هذه القضية متأمرة مع الآلهة وضدها لهذا لم تفعل ما يجب وما ينتظر أن تفعل أي أن تعلم الآلهة وأنبياءها ودعاتها ومعلميها ومفسريها ما يجب أن يتعلموا ويعلموا؟ هل كانت الوحوش والحشرات ترفض وتقاوم أن تتحول الآلهة وأنبياءها ودعاتها ومعلموها ومفسروها.. إلى أفضل أو أعظم أو أجمل مما كانت وكانتوا؟

ولماذا ترفض وتقاوم ذلك؟ هل هذا الرفض والمقاومة لأسباب أنانية شخصية انتهازية أم لأسباب أخلاقية فكرية عاطفية أدبية تهذيبية؟ ألا يمكن أن تكون أي الوحوش والحشرات قد تعلمت الأنانية القبيحة من الآلهة والأنبياء ودعاتهم؟

.. هل رشتها الآلهة أو عقدت معها أي مع الحشرات والوحوش صفقات أو اتفاقات أو معاهدات تجارية آثمة مثلما يعتقد بين الأخلاق والأعضاء.. بين العقل والدين والشهوات أي لكي لا تفعل ذلك.. لكي تلتزم بهذا الرفض والمقاومة؟ ولكن أليست الآلهة والملائكة والبشر ومن في مستواهم أو أعلى منهم هم وحدهم الذين يتعاملون بالرشوات والصفقات المأجورة الآثمة؟

وهل تهبط الوحوش والحشرات والكائنات التي هي أقل وأردأ من ذلك إلى هذا الحضيض الذي تهبط إليه وتوجد وتولد وتحيا وتموت فيه الآلهة والملائكة والبشر ولا سيما من يسمون ويزعمون أنبياءهم وأولياءهم وفقهاءهم وشيوخهم وكل معلميهم مجد السماء والطريق إلى مجدها. أليس المتحدثون عن الصعود إلى مجد السماء والمعلمون لهذا الصعود ولهذا المجد هم أقوى من يعلمون الهبوط إلى حضيض الهبوط وأردأ الهابطين هذا الهبوط؟

نعم، أليس محتوماً هنا تكرار الأسئلة؟ أليس تكرار الانفجاع وما يفجع بدون تكرار الأسئلة بلادة وموتاً وهواناً؟ أليس تكرار الوجود والحياة تكراراً للرؤية وتكرار الرؤية تكراراً للانفجاع وما يفجع.. تكراراً للغيب والغضب؟

.. إن الذين لا يسألون ويتساءلون اليوم وغداً دائماً ما سألوهم وتساءلوا عنه بالأمس وقبل الأمس وفي كل تاريخهم الذي كان.

- نعم، إن هؤلاء موتى ومقبورون داخل أجسادهم.. إنهم لن يكونوا أو يحسبوا أحياء أو رائين أو قارئين أو محاورين أو محاسبين أو محاكمين.. إنهم بلا عيون ولا قلوب ولا أخلاق ولا ضمائر..! يقول السؤال المكرر والذي يجب أن يتكرر بقدر ما تتكرر الآلام والأحزان والعبث والفضائح والتفاهات والمظالم والهزائم والمعاصي والنذالات والأكاذيب.

.. بقدر ما تتكرر أخطاء وآثام وعبث ومطالبات الآلهة... بقدر ما يتكرر وجودها أي الآلهة والحديث عنها وإليها.

... بقدر ما تتكرر الرؤى والمرائي الحزينة الأليمة الدميعة الفاجعة..

بقدر ما تتكرر الصلوات والدعوات والشكايات والمتاجاة والمخاطبات والمطالبات للآلهة التي لم تصبح ولن تصبح سامعة أو مجيبة أو فاعلة أو شهمة أو غاضبة على عجزها وخمولها وبلايتها وغيبوتها.

... بقدر ما تتكرر رؤى كل العيون والعقول والأخلاق والإيمان والتقوى لأخطاء وخطايا الآلهة.. لغارها وهوانها وكذبها وعجزها وقبحها وهزائمها..!

وهل تستطيع هذه الرؤية؟ هل يستطيع البقاء من يستطيعها؟

.. بقدر ما تتكرر الولادة والوفاة.. الوجود والفناء.. المجيء والذهاب.. الصحة والمرض.. الشباب والشيوخة..!

.. بقدر ما تتكرر دورات وحركات وتناقضات وتصادمات كل ما في هذا الوجود وكل وجود.. بقدر ما تطلع الشمس والنجوم لتغيب وتغيب لتطلع ويصغر القمر ليكبر ويكبر ليصغر.. بقدر ما يتكرر ذلك..

بقدر ما يتكرر ويتكرر دون أن يوجد من يقول: لماذا؟ لماذا؟

أليس التكرار قانون وطبيعة كل شيء؟

هل تكون موجوداً دون أن تتكرر رؤيتك وإرادتك واحتياجاتك واشتراطاتك وحبك وبغضك؟

هل تكون موجوداً دون أن توجد معانيك.. دون أن يوجد شيء من معانيك.. من الرؤية والإرادة والاحتياج والاشترط والحب والكراهة والقبول والرفض؟

وهل تتكرر هذه دون أن يتكرر انفجاعتك واستكارك وغضبك وخوفك وعذابك؟

وهل يتكرر هذا فيك وعليك دون أن تتكرر آهاتك وأثارتك وصراخاتك؟

وهل تتكرر هذه ثم لا يتكرر سؤالك وتساؤلاتك ومحاوراتك وصيحاتك ومحاولاتك ومبارزاتك بالتكرار والديمومة؟

.. إذن فالوجود والحياة تكرر والتكرار وجود وحياة.. لا وجود ولا حياة بلا تكرر، ولا تكرر بلا حياة وبلا وجود..

لهذا لم يوجد ولن يوجد مكرر ومتكرر معلن عن نفسه وممجد لها ومدلل عليها بالتكرار مثل الإله.. مثل كل الآلهة؟

أليس كل تكرر هو شيئاً من تكرر الآلهة ومن تعبيرها عن نفسها.. عن رضاها وغضبها.. حبها وبغضها.. فرحها وكآبتها.. عن عبثها وهزلها وضيقها وضياها وسأمها وعن احتياجها إلى است فراغ نفسها بالتكرار.. التكرار..!

إنه لو كان التكرار أو التكرار رديماً فلن يكون هناك أردأ من الآلهة..!

إن كل أفكار وآمال وتصوّرات وفنون ومحاولات وأفعال ومطالب الآلهة تكرر. تكرر.

لننظر إلى كل شيء في هذا الكون الكبير الصغير.. العاقل المجنون، النظامي الفوضوي.. المفسر بكل التفسير دون أن يكون له أي تفسير... هل نرى أو نجد فيه حينئذ غير التكرار.. التكرار الفاجع الصادم الفائق لكل العيون والعقول والضمائر والفنون والرؤية المسائلة المتسائلة المحاسبة أي لو وجدت؟ غير التكرار.. الذي لن يوجد له أي تفسير أو تبرير..!

إنها لو غفرت وقبلت ونفعت كل أعمال وعمليات التكرار لكان تكرر الإله وتكرار أعماله وعملياته هي وحدها التي لن تكون مغفورة أو مقبولة أو نافعة.. لن تكون مفهومة..!

... نعم، يقول هذا السؤال الحزين المضجوع الفاجع: ماذا لو أنها أي الوحوش والحشرات وكل الكائنات الأخرى المماثلة لها قد أعازت أو علمت أو وهبت أو فسترت شيئاً من ذلك أي من معانيها للإله أو لكل الآلهة وهي كلها محتاجة إلى أن تعلم وتوهب وتعار كل ذلك أي كل معاني الوحوش والحشرات وكل الكائنات التي هي أعلى أو أدنى منها..

والى أن تفسر لها هذه المعاني بعد أن تقرأ عليها؟ أليس كل شيء حتى الوحوش والحشرات أقل بل وأنبل وأتقى قبحاً وفحشاً وحماقاً ونذالة وعدوانية من كل إله؟

.. إذن لماذا لم تفعل ذلك أي الوحوش والحشرات لكي تقلل وتخفف من قبحها ووحشيتها أي من قبح ووحشية الآلهة ولو تمنياً وتأميلاً؟

وهل يستطيع أي شيء أن يقلل أو يخفف من فبح أو وحشية مخطط وصائع هذا الوجود؟

.. هل يمكن أن يكون التفسير لذلك أنها أي الوحوش والحشرات قد رأت واعتقدت أنها أي الآلهة غير محتاجة إلى ذلك ولا إلى شيء منه؟ هل يمكن أن يرى أي كائن أن إله هذا الكون ليس محتاجاً إلى أن يتعلم كل شيء لفقده كل شيء جيد؟

.. هل يمكن أن يكون التفسير لموقف الوحوش والحشرات هذا أنها قد امتنعت هذا الامتناع رفقاً بالآلهة واشفاقاً عليها وراء لها وابتعاداً عن إهانتها وإذلالها وعن إشعارها بنقصها وهبوطها حتى

تحت مستوى الوحوش والحشرات... عن إشعارها باحتياجها إلى أن تتعلم كل شيء لأن كل شيء فيها يحتاج إلى أن يتعلم؟

.. أليس كل شيء حتى الوحوش والحشرات توجب عليه تقواه ورحمته وشهامته وحساباته وإشفاقه أن يرثي ويحزن بل ويفجع ويخجل ويتعذب بفكره وعواطفه وأخلاقه لكل نماذج وتفسير ومستويات وممارسات واهتمامات وطاقت الإله الأخلاقية والعقلية والفنية والنفسية بل والمعاشية والمكانية والاجتماعية والوظيفية؟ أليست كل كينونات الإله وتكوينه وكونه في ذاته وخارج ذاته خروجاً على كل المقاييس العقلية والأخلاقية والفنية؟

.. أليس محتوماً أن تعرف أي كل الوحوش والحشرات والهوام وكل الكائنات المحسوبة المزعومة رديئة وشريرة ودميمة وبلدة ووقحة وعفنة.

- أن تعرف أنها كلها هي بعض عطايا عقله وفنه وأخلاقه وتخطيطه وتدبيره وشهراته ولذاته وأهوائه أي الإله بل وبعض صيغ تطهره وتعطره وتوضئه وصلاته لنفسه ولمجده ولكل قبحه وفحشه؟ هل وجد من يصلي ويتعبد لقبحه وفحشه بل ويفرض على الآخرين أن يصلوا ويتعبدوا لكل ذلك فيه مثل الإله بل غير الإله؟ هل يوجد ما يذم غير الإله أو غير ما فعل وأراد الإله؟

.. هل وجد أو يتصور من يستحق كل الرق والإشفاق والرثاء بل والبكاء له وعليه ومن أجله مثل الآلهة أو غير الآلهة لقسوة وقبح وقبح ودمامة وتفاهة وبلادة وعبت ولادتها ونشأتها ومجيئها وبقائها وثمان وتكاليف وجودها والذعر من وجودها والتعبد لوجودها والتعادي والتباغض والتلاعن والتخاصم والتقاتل بسبب وجودها أو باعتقاد وإعلان وجودها أو باسم وجودها واحترامها؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد أي عامل أو فاعل أو موظف مرهق ملزم ملتزم بأن يعمل ويعمل بدوياً وعضلياً ومعنوياً بلا أي أجر أو ثواب أو جزاء أو متعة أو سرور أو هدف غير الآلهة؟

- نعم، هل وجد أو يتصور من يستحق ذلك موهوباً له حتى من الوحوش والحشرات والهوام رثاء له وإشفاقاً وبكاء عليه مثل الإله.. مثل كل إله لهبوط وعجز كل مستوياته ونماذجيه وتفسيريه وقدراته.

.. لهبوط كل نماذج ومستويات حياته وحظوظه واستمتاعه ومجده عن كل المستويات والنماذج بكل صورها ولغاتها وتفسيرها حتى عن مستويات ونماذج حياة وحظوظ واستمتاع وأمجاد كل الكائنات.. كل الوحوش والحشرات والهوام..!

هل يمكن أن تقاسي أو تواجه أو تريد أو تفعل أو تعايش أية حشرة أو وحش أو هامة من الهوان أو الحرمان أو المعصيان أو الإذلال أو الغيظ أو التحدي أو من القسوة والظلم والعدوان والأخطاء والخطايا أو الضياع والخسران مثلما يقاسي أو يواجه أو يريد ويفعل ويعايش ريساكن الإله. أي إله.. كل إله؟

هل يقبل كل كائن مهما كان ضعفه وهوانه وخسرانه أن يكون ثمن أو جزء وجوده ثمن أو جزء وجود أي إله.. أعظم إله؟

ماذا لو عرضت الألوهية.. لو عرضت وظيفة الألوهية.. لو عرض التنصيب إلهاً على عرش الألوهية.. لو عرض على أي كائن أن يصبح إلهاً.

.. لو عرض ذلك عرض هبة مع كل التضرع والتودد إلى المعروض عليه ليقبل هذه الهبة.. هبة أن يصبح.. أن ينصب إلهاً.. أي الإله الوحيد الفريد أو الإله المشارك لكل آلهة هذا الكون الأخرى.. أي ليصبح إلهاً بكل تفاسير وصيغ وحظوظ ومستويات ووظائف وأمجاد إله هذا الكون.. كل آلهة هذا الكون..

.. لو عرض ذلك عرضاً مطلقاً على كل كائن وعلى كل شيء بكل السخاء والتضرع والتودد لكي يتكرم ويرحم ويشفق ويحامل ويضحي فيقبل العرض ولو بأسلوب ونيات وأخلاق الغداء المتحول إلى انتحار..

- نعم، ماذا لو وجد هذا العرض السخي بكل هذه التفاسير؟ هل طرح هذا العرض؟ أليس مطروحاً دائماً؟ هل وجد مطروح معروض في كل الأسواق مثل وظيفة الألوهية؟

.. هل يمكن أن يوجد حيثئذٍ من يقبله مهما كان في تقبله أعلى نماذج وكل نماذج الغداء أي أن يصبح إلهاً حتى ولو تضرع إلى من يراد منه تقبل ذلك كل شيء وكل أحد بكل ذمومه وعقله وقلبه وصلواته..

حتى ولو عرفوا وبلغوا أي المعروض عليهم ذلك قَامَنُوا واعتقدوا مفجوعين مروعين أن هذا الكون سيصبح بلا إله.. بلا أي إله لأن إلهه قد أصبح شيخاً هرمًا عاجزاً، عاجزاً فهو محكوم عليه بأن يحال إلى التقاعد أو بأن يموت أو بأن يظل في وظيفته ومسؤوليته بلا قدرة.. بلا أية قدرة عقلية أو نفسية أو أخلاقية أو عضلية بالأسلوب الذي تظل به الزعامات والقيادات العربية في وظائفها بلا أي استحقاق.

... نعم، هل يمكن أن يوجد حيثئذٍ من يقبل هذا العرض عليه بكل هذا السخاء والتودد أي العرض عليه بأن ينصب إلهاً لكل هذا الوجود حتى الزعامات والقيادات والنبوات العربية.. حتى الحشرات والوحوش والهوام هل يمكن أن تقبل ذلك مهما تقبلت كل الإذلال والتحقير والتعذيب والإهانة والهجاء لكل معانيها وتفسيرها وأخلاقها وسعادتها وحياتها وذكائها؟ حتى الزعامات والقيادات والنبوات العربية لن تقبل ذلك مع غرورها الخارج على كل تفاسير الغرور ولغائه وحدوده..!

أي إن كانت قد رأت أو فهمت أو فشرت أو تصورت ماذا تعني أو تساوي أو تكون الآلهة. كل الآلهة بكل الرؤى والتفاسير والقراءات والحسابات!

هل يقبل أي كائن أن يكون خسرانه بوجوده مثل خسران الإله.. أي إله وكل إله بوجوده؟
كيف حدث هذا؟ كيف أمكن تصور هذا؟

من وهب الآلهة وجودها وذواتها وصيغها ونماذجها ووظائفها وحظوظها وأخلاقها وصاغ لها ذكائها؟

كيف وجد هذا الواهب وهل وجد؟

هل يمكن أن يكون أي هذا الواهب غير الإنسان... غير ذعره وجبنه وخداعه ونفاقه وكذبه وروحانيته وأنانيته وقبح ودمامة ونذالة ضميره وعقله وأخلاقه ورؤيته؟ هل يمكن أن يكون أي معنى جيد قد وهب الآلهة وجودها الذي زعم أنه قد كان أو أذن بذلك؟ أليست معاني الإنسان هذه هي التي رأت وجرؤت واستطاعت أن تهيب الآلهة وجودها وذواتها ونماذجها ووظائفها وحظوظها وأخلاقها وتفسيرها أي معاني هذه الرديئة الجامعة لكل معاني الرذالة والقبح؟

.. هل كان يمكن أن يهب الإنسان هذه الهبة بل أو أنه يتصورها لو كان يعايش أو يعاني أو يعامل أو حتى يفاوض شيئاً من الضمير أو الحب أو الصدق أو الجمال أو الرؤية بل أو من الرحمة أو الإشفاق أو الاستحياء؟

إنها الهبة التي تهيب واهبها كل معاني القبح والفحش والبلادة والنذالة.

.. إنه لو حوسب الإنسان على خروجه على كل حدود وصيغ وشروط ومعاني الضمير والذكاء والرؤية والأخلاق والمحاسبة والصدق والتقوى بل والإيمان والصفاء لهان كل خروجه هذا محاسباً بخروجه على كل هذه القيم أو المحسوبة قيماً حين استطاع وجرؤ ورأى أن يهب الآلهة وجودها وذواتها ونماذجها وأخلاقها وحظوظها ووظائفها وتفسيرها بالأساليب التي وهبها بها كل ذلك لكي تجيء وتكون وتحيا وتواجه وتميش وتعايش وتريد وتغير وتعدل كل ما هو كائن ومزعوم ومتوقع بكل أوصافها وظروفها وأخلاقها ووظائفها وتاريخها وبكل قسوة حرمانها من كل أنواع الاستمتاع المادي والمعنوي. إنه لا وجود هو كل الخسران والعذاب والانفجاع بلا أي ربح أو فرح أو سعادة أو مجد أو ثمن غير وجود الآلهة.

.. إنه لن يغش كل التفسيرات الرديئة وأردأ التفسيرات الرديئة مثل الإنسان حين اعتقد وزعم وأعلن أنه يكرم ويمجد ويرضي الكائن الذي سته إلهاً بإجلاله له على هذا الوجود وبإلقائه واعتقاله فيه وبإنهائه له بأنه أي هذا الوجود هو كل عقله أي عقل هذا الذي سته وزعمه إلهاً وكل ضميره وقلبه ورؤاه وعيقرياته ومواجهاته وقراءاته وشهاماته ومغامراته وأخلاقه وكل حبه ورحمته وطموحه ونضاله وآماله وكبرياته وأفراحه وأمجاده وكل غذائه... كل غذاء حواسه وأحاسيسه ومعانيه وأعضائه ومجاعاته بل وكل أرباحه...! إن كل هبوط ليعجز ويهرب ويستحي أن يتنافس بهبوط الإنسان حين آمن أن أي كائن يقبل أو يستطيع أن يكون موجوداً بالأوصاف والأخلاق والنماذج والظروف والوظائف والتفسير والمكان والكيونة والمكانة التي أوجد بها أو وجد بها من زعمه إلهه.

.. إنها لو وجدت محاكمة كونية تحاكم وتعاقب على العدوان بكل أنواعه وتفسيره وصيغه أعني على العدوان بالتصور والاعتقاد والإعلان والتعليم والتعاليم والتدين والتعبد والمخاطبة لوجدت أي هذه المحاكمة أنه لا جريمة لا يكفي كل العقاب أن يكون عقاباً لها مثل عدوان الإنسان أو غير

عدوان الإنسان على الإله بتصوره ورؤيته واعتقاده وتدئنه وتمجده له وإعلانه عنه وتعليمه وتعاليمه وتعاليمه له وعنه ولصفاته وعنهما ولوجوده وهن وجوده. أليس العدوان بالتصور والاعتقاد والادعاء والإعلان والتعليم والمخاطبة عدواناً؟

.. إنه لا يوجد ولن يوجد محقر مهين مشوه لا عن متهم فاضح لكائن يرى ويزعج ويعلم أنه يفعل به وله نقيض ذلك مثل الإنسان بإيمانه بالإله وتصوره له كما آمن به وكما أعلنه وتصوره ورآه في الذات والمكان اللذين رآه ورضعه بهما وفيهما!

إنه لا يوجد صافع لاطم يعتقد أنه مصافح مقبل معانق مثل الإنسان بإيمانه بالإله وتعامله معه. حتى صلواته وعباداته وتضرعاته ودعواته ونوقعاته.. إنها لأقسى وأقبح هجاء وسباب واتهام لمن زعمه وأعلنه واعتقده إلهه. إنها أي عباداته وصلواته وتضرعاته لكل هذا الهجاء والسباب والقبح والاتهام في كل التفسيرات والقراءات والاحتمالات. إنها لأقبح هجاء قاله أقبح وأجهل وأبلد شاعر معتقداً معلناً أنه يصوغ أعظم وأجمل المدائح..!

.. ماذا يعني أن يتعبد ويصلي لإلهه أي لمن زعمه إلهه؟

نعم، ماذا يعني أن يفعل الإنسان ذلك؟ كيف لم يفكر في ذلك؟

إنه يعني أن إلهه هذا كائن صغير ساذج تافه.. طفل غريب.. بلا وقار أو كبرياء أو كرامة أو احترام للذات..

حتى ليذهب بكل الافتضاح والنزق والهبوط بطالب بأن يخاف ويرجى ويعبد ويمدح ويرشى ويهتف ويصلي له ويكذب عليه وله لكي يبالغ في الجزاء على ذلك وفي الرضا والفرح به وعنه ولكي يجن مبالغة في العقاب على تركه أو التقصير فيه.. إنه يطالب بالمديح والتعلق ليدفع الثمن..!

إنه يطالب بذلك من الصغراء والصغار جداً ليجعلهم أحبابه وأوليائه وجلساءه.

.. إنها لأردأ وأقبح وأضعف صيغة لأي كائن.

.. حتى أردأ إنسان إنه ليرفض ويخجل أن يفسر بذلك مهما كان كذلك.

.. وماذا يعني أن يدعو ويتضرع إليه طالباً وراجياً أن يفعل نقيض ما فعل.. أن يشفيه وينقذه مما أصابه به.. من مرض أو عاهة أو عجز أو هزيمة أو قضيحة أو ورطة أرادها ودبرها وصنعها له وأصابه بها بكل التسديد والحكمة والرحمة والمنطق والحسابات الصادقة الدقيقة الحكيمة؟ هل يمكن أن يقال أو يظن أنه قد يصيب بأي شيء بدون هذه المعاني والحسابات؟

ألا يعني ذلك أنه يراه أي يرى إلهه عابثاً سفيهاً متناقضاً نزقاً متزقاً ينقض ويهدم ويلغي ما أراد ودبر وخطط ورأى وعقل واعتقد وصنع وفعل وبني بكل الحكمة والمنطق والعدل والحساب الذي لا يخطئ.

.. يفعل ذلك أي هذا النقص والهدم والإلغاء والتراجع لأنه طلب منه أن يفعله لا لأن ذلك هو العدل والحكمة والرحمة والمنطق، ولأن لما فعل ما فعل ولتراجع عما فعل دون أن يطلب منه التراجع؟

.. أو ألا يعني ذلك أنه يرى إلهه هذا يريد ويدبر ويخطط ويفعل ما لا يصح أو يقبل أو يعقل ويصيب به لكي يطلب منه بكل التضرع والتذلل أن يتراجع ويزيل ما فعل ليراجع عنه ويزيله تحت أقيح وآسفه مشاعر النخوة والكبرياء والرضا عن النفس؟

إنه يضرب لكي يقول له المضروب: اشهد أنك ضارب، ضارب فلا تضرب..!

.. أو ألا يعني ذلك أنه أي الإنسان يرى إلهه هذا كائناً لا يمكن أن يفهم أو يفسر بأي منطق أو بأي تفسير لهذا يعامله ويتعامل معه برؤيته هذه له أي بلا أي منطق أو تفسير أو حساب؟

يا لهول هذه التفسير والاحتمالات والتصورات والرؤى..!

يا لهول قبورها وبلادتها وغوايتها وإهانتها لكل تفاسير الإنسان..!

يا إلهي اشفني، انقذني مما أصببتني به.. إن ذلك يساوي: يا إلهي انقض ما أردت ودبرت وخططت ورضيت وفعلت لي وبني وعلي. انقض ما رأيت وقدرت أنه كل الجمال والكمال والخير والتقوى لك ولي..! ويساوي يا إلهي: لقد كنت ظالماً أو مخطئاً أو مخطئاً ظالماً فيما فعلت فارجع وتب واعتذر واجعل وكفر عن ذنبك وخطئك واغسلهما بأغزر وأحر الدموع والآهات والتضرعات إلي أنا مظلومك وضحية أخطائك ومظالمك ونزواتك..!

إني أحاسبك وأحاسبك وأطالبك يا إلهي بلغة التضرع والتردد..!

.. أو يساوي: إنك يا إلهي لا تعزي أو تغذي أو تشيع أو ترتوي من التعزي والتغذي إلا بأن توقع بي أنسى الآلام حتى أصرخ، أصرخ معلناً أنك قد أوقعت بي ذلك بأقسي أساليبه وإني الآن أعلن أنك قد أوقعت بي ذلك؟ لهذا أرجوك وأنتظر منك أن تتركني ولو وقتاً ما لتعود مرة بل مرات أخرى إلى تعزيك وتغذيك بتعذيبي وعذابي. أليس التعزي والتغذي ولو بالتعذيب على فترات وليس بالدمومة؟

... أو يساوي: إنك يا إلهي لا تحيا أو تسعد أو تعجب بنفسك إلا بأن تفعل الشيء ونقيضه بلا أي هدف أو مصلحة أو تفسير لهذا أرجوك وأدعوك أن تفعل بي ولي الآن نقيض ما أنت فاعل بي ولي..!

أليس التناقض والتراجع هما أعظم فنونك وأخلاقك يا إلهي؟

... أو يساوي: إنه لا مثيل لجنونك واقتانك يا إلهي في حيك لنفسك وفي خوفك عليها وفي تدليك لها لهذا لا مثيل لشهوتك ونضالك ومطالباتك لتكون المعبود الممدوح المشكور الممجّد المقدس وحدك المنزه من كل عيب وريب ونقص واتهام وشك فيك.. لهذا أطلب منك وأنتظر منك لمصلحتك أن تكون ولو أحياناً رحيماً وشهماً ونبيلاً وكرهماً أو حتى عاقلاً وذكياً ومتوقراً ومستجيباً فاعلاً ما يرجى ويطلب منك مخففاً من قسوتك متراجعاً عنها أي أحياناً لكي لا تفقد أو تتشوه أو تستقط الصورة أو الرؤية التي تريد أن تظهر وترى بها.

لكي تكون وتظل ما تريده لنفسك أي أن تكون وتظل وحدك المعبود الممدوح الممجّد

المقدس المشكور المبرأ المنزه من كل ما لا يرضى أو يعقل أو يقبل وإصرارك يا إلهي على ألا تشغيني وتغذني ولو فترة ما مما أصبتي به قد يجعلني أعجز عن أن أراك كما تريد وتطلب أن أراك.. عن أن أراك في الصورة التي تريد وتطالب أن أراك بها وهذا قد يجعلني لا أعبدك وأمجّدك وأمدحك وأقدسك وأؤمن بك كما ترجو وتطلب أن أفعل.

إن المسيء المتوحش الفاجع الضارب أبداً قد يرفض ويلعن حتى ولو كان هو أنت! ..
إني يا إلهي أذكرك بهذه الأخطار التي قد تلقي بها على نفسك أو تلقي بنفسك فيها وعليها..!

ليتك يا إلهي تسمع وإذا سمعت فهمت وإذا فهمت فعلت! ليتك!



نعم، يا إلهي لتفكر أنت وكل أعوانك وخبرائك ومستشاريك أي لتفكروا: هل يمكن أن توجد أية تفاسير غير هذه التفاسير لصلوات وعبادات وتضرعات ومخاطبات ومناشدات الإنسان لك وإليك يا إلهي؟ ما أنعم حظوظ من محاورته ومناشدته وتمجيده وامتناده والتهافت به والتضرع إليه وطلب العون والغوث منه أقسى هجاء واتهام له!

إذن هل يمكن أن تصور حظوظ تساوي أو تنافس حظوظك في التعاسة يا إلهي؟ هل يمكن أن يوجد من يقبل أن يشتري حظوظك يا إلهي بحظوظه مهما كانت تعاسة حظوظه؟

إذن وإليك، وإليك يا إلهي من كل التفاسير والحسابات والقراءات والرؤى..!

وإليك يا إلهي من كل العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق الراهية القارئة المفكرة المحاسبة المحاكمة المحاوره..

ما أقسى وأقبح العلاقات بينك وبين أي عين أو عقل أو قلب يرى أو يفهم أو يحاسب!

.. ولكن قد يقال برؤية أخرى: ما أعظم حظوظك يا إلهي لأن مثل هذه العيون والعقول والقلوب والأخلاق والضمائر لم توجد بعد وإن وجدت فهي ضائعة ضالة مهزومة هاربة أمام أضدادها ونقائضها فهي لن ترى أو تسمع أو تواجه أو تقاوم أو تناصر أو حتى تخيف أو تزعج. إنها غريقة، غريقة في مجتمعات نقائضها وأضدادها.. لقد كانت الطبيعة مأكرة لئيمة لهذا صاغت العيون والعقول والقلوب والضمائر والأخلاق التي قد تستطيع أن ترى أو تحاور أو تسأل أو تحاسب أو تخاصم آلهتها نادرة وضعيفة ومهزومة وغالبة!

.. ولا بد أن تقول تفاسير أخرى: إن فقد أو ضعف أو انهزام هذه العقول والقلوب والرؤى والضمائر والأخلاق أمام أضدادها ونقائضها لا بد أن يجعل حظوظ الإله أردأ وأقل وويلاته أعظم وأقسى وأكثر لأنها لو وجدت قوة منتصرة لأنقذته من كل تصورات واحتمالات ونماذج ومعاني وجوده.

.. من كل ما في وجوده من تشوهات وتشويهات واتهامات والتزامات ومواجهات ومعاملات ومخاطبات ومطالبات وتضرعات حزينة أليمة قبيحة.. من ويلات ويلات..!

أليست كل الولايات في وجوده وكل وجوده ويلات؟

.. لأنقذته من أن يكون محاسباً للإنسان ولكل شيء ومحاسباً بالإنسان وبكل شيء ومحاسباً له الإنسان وكل شيء.. مسؤولاً عن الإنسان وعن كل شيء مسؤولاً عنه الإنسان وكل شيء..

مفتراً بالإنسان وبكل شيء مفتراً به الإنسان وكل شيء..!

.. من أن يكون معاملاً ومواجهاً ومعايشاً ومواطناً ومحاوراً وقارئاً مفترساً مسائلًا مساوياً مفاوضاً للإنسان ولكل شيء..

.. ومن أن يكون الإنسان وكل شيء معاملاً ومواجهاً معايشاً مواطناً مساكناً محاوراً قارئاً مفترساً مسائلًا مساوياً مفاوضاً له..!

من أن يكون راثياً مساكناً للإنسان بكل عريه وقبحه وافتضاحه وانطراحه وانبطاحه..!

.. من أن يكون هو مدبر وخالق الجحيم وسكانه والفردوس وسكانه، وخالق إبليس ليتأمر معه ضد نفسه وضد الإنسان وضد الحياة وضد أنبيائه وأوليائه وضد كل المنطق والعقل والأخلاق والكرامة والتفوق والشرف.. ضد كل تعاليمه وأوامره ومطالباته وتمنياته وكبرياته ويسالاته.. ضد عيوبه وآذانه وأفراحه وأشواقه.

... ضد كل سمواته وأرضه وآفاقه وطرقه واتجاهاته.. ضد كل معانيه وتفسيره..

.. من أن يكون قد أراد ودبر وصنع وصاغ إبليس وهو في رعيه وعقله وضميره وفوق عرشه بكل كبرياته ليكون أي إبليس الهازم الحذل الفاجع الفاضح له أبداً في كل أكوانه وأمام كل مخلوقاته.. ليكون أي إبليس سلطان رقايد وصائغ وحاكم هذا الكون.. ليكون إلهه.. ليكون كل أحد وكل شيء رعية وعبداً عابداً له أي لإبليس..!

.. ليسرق منه كل ما صنع وفعل وامتك. كل ملكه وأملكه..!

.. كيف أمكن أن يصدق أو يتقبل أو يغفر أحد أن الإله قد خلق إبليس وأعطاه كل كينوناته وقدراته وأسلحته لكي يسحب منه كل مجده وسلطانه وليظل يفتقاً ويقاقل ويعذب عبيه وأذنيه وعقله وقلبه وضميره وأخلاقه بانتصاراته الدائمة الشاملة الحاسمة المرثية والمسموعة والمواجهة والمعروفة والمكتوبة المقررة في كل الميادين والمعارك على كل شيء وكل أحد..

لكي يطرده من كل ملكه ويعتقله ويقعده محصوراً محصوراً فوق عرشه..

.. لكي يذهب أي الإله يعاني ويلهث.. يلهث ويعاني هو وكل خبرائه وأعوانه ومستشاريه لكي يرسل الأنبياء والمعلمين ويؤلف وينزل الأديان والكتب المقدسة والتعاليم لكي يقي شيئاً من ملكه وفي ملكه ملكاً له لئلا يصبح ويظل إبليس مفتصباً وسارقاً منه كل ملكه.. مالكاً كل ملكه.

.. لئلا تكون وتظل كل المعاملات معه أي مع إبليس ومن أجله وقد كانت كذلك وظلت

حتى المعاملات المحسوبة والمزعومة مع الإله ومن أجله.. كانت وظلت مع إبليس ومن أجله!
.. لكي تذهب وتظل كل معاناته ولهائه معاناة ولهائاً بلا أي عطاء أو حتى عزاء أي في إرساله
وإرساله الأنبياء والمعلمين والأديان والتعاليم والكتب المقدسة..!

.. ولكي يضاف إلى هزيمته وإذلاله هزيمة وإذلال كل ما أُرسل وأنزل وعلم ووظف من أنبياء
ومعلمين وأديان وتعاليم وكتب مقدسة؟ كيف جرؤ أو يجرؤ أي نبي أو معلم أو دين أو كتاب منزل
أن يعرض نفسه في مكان يعرض فيه إبليس نفسه؟

.. قصة الإله وإبليس قصة تفسد كل التفسير لكل الأشياء.. إنها لكل الهجاء والتحقير
والإسقاط والانتهاك لكل مواهب التصور والخيال. إن كل التصورات والقراءات والعقول والأذان يجب
أن تموت لتلا تصورها أو تقرأها أو تفهمها أو تصدقها أو تسمعها..!

إن كل الهجاء لن يكفي هجاء للإنسان لتصوره وانتكازه قصة الإله مع إبليس هذا..!
.. نعم، إن هذه العقول والقلوب والعيون والضمائر والأخلاق لو وجدت قوة منتصرة لأنقذت
الإله من نفسه.. من وجوده.. من أن يكون موجوداً..!

لكي تنقذه من هذه الويلات والفضائح والقبايح والهزائم والهموم التي أبداً يقاسمها ويفعلها
ويتعذب ويشوه بها بلا أي ثمن أو سعادة أو فرح أو مجد أو منطق أو فهم أو إنقاذ أو أمل في
الإنقاذ..!

إذن هل يوجد أو يتصور إنقاذ يساوي هذا الإنقاذ في أي معنى من معانيه؟
أجدني لا أزال مدفوعاً إلى الحديث عن قصة الإله مع إبليس هذا. ما أصعب أن يصمت العقل
أو القلب أو الضمير عنها.

.. أن يصمت عن هذه القصة..!

.. الإله بتفسير ومنطق هي ضد كل المنطق والتفسير يرى ويريد ويقرر أن يصوغ إبليس عدوه
الأول الأقوى بل الذي هو كل أعدائه قوة هائلة لكي يصبح هو مهزوماً ذليلاً حسيراً كسيراً في كل
مواجهاته له.. مواجهاته العقلية والنفسية والأخلاقية والتعليلية التخيلية الدعائية بل والعملية.

هكذا أراد ورأى وقرر أن يعاقب نفسه..!

.. ليفعل بنفسه ما يشاء، قد يكون له ذلك. ولكن إن جاز وغفر له وقبل منه أن يفعل ذلك
بنفسه فكيف يجوز أو يغفر له أو يقبل منه أن يطلق هذه القوة على الإنسان البريء وعلى كل شيء
بريء لتدفعه وتقوده إلى كل الآلام والفضائح والمهلك والخطايا.. لتوقع به كل ذلك.. لتفسد وتشوه
وتلوث وتعذب وتخيف وتضل وتسكن عقله وقلبه وضميره ورؤاه وأخلاقه وكل معانيه وعلاقاته بنفسه
وبكل شيء وكل أحد.. لتدثره وتفرقه في الخلافات والخصومات والعداوات والانقسامات والحروب..
الحروب؟

.. لقد عشق أي الإله أن يوجد عدواً له يذله ويهزمه ويطارده فهل جهل أو أخطأ أو أراد أو

عجز حين تحول هذا العدو إلى إفساد وإضلال وتشويه وتعذيب وإرهاب وتخداع دائم شامل لغيره..
للإنسان ولكل شيء؟

من يستطيع أن يفهم ذلك أو يعقله أو يفشره أو يدافع عنه؟
هل ما لا يستطيع فهمه أو قبوله أو تفسيره أو الدفاع عنه هو الذي يفهم ويقبل ويعقل ويدافع عنه بكل الحساس والحرارة والقوة والإيمان؟

.. لقد أراد أي الإله أن يرضي ويسعد نفسه بمحاربتها وإهانتها وهزيمتها وإذلالها وفضحها
فخلق من أوقع ويوقع به كل ذلك بأقصى الأساليب والتفاسير ولكنه لم يكن حكيماً أو عليماً أو حازماً
أو شهماً في ذلك إذ تحول ذلك إلى عدوان لا مثيل له على الإنسان والحياة وعلى كل شيء.. إلى
إفساد شامل دائم عالمي كوني..

إلى ترويع وتشويه لكل شيء ولكل أحد..!

.. لقد غضب على كائن قد عصاه أي على إبليس فاستجاب لغضبه وللتعبير عن غضبه بلا أي
قدر من الذكاء أو الحكمة أو الرؤية أو الوفاق أو العدل أو الغروسية النفسية فحول هذا الكائن العاصي
المقتضوب عليه إلى قدرة مطلقة لتكون كل الإذلال والإهانات والهزائم والفيظ له، للإله. وكل الإفساد
والتضليل والتعذيب والتشويه والتلوين للإنسان والحياة ولكل شيء.. لتكون كل قادته ومعلميه
وحاكميه ومرهبه أي الإنسان، لتكون أقوى وأخلد وأشهر هؤلاء في حياة الإنسان..!

.. نعم، هل يمكن أن يوجد من يستطيع أن يفهم ذلك أو يعقله أو يفشره أو يقرأه أو يسمعه
فكيف يدافع عنه أو يفشره؟ إنه لن يوجد لو كانت الأشياء شيئاً مما يجب أو يعقل أو ينتظر أن
تكون..! ولكن أليس ما لا يعقل أن يكون هو الذي يكون؟

.. أليس النضال لشقاء وتطهير وتنظيف عقل الإنسان وعقائده وإيمانه وتصوره من هذه القصة..
قصة الإله مع إبليس من أعظم وأنفع وأوجب أساليب النضال لتكريم الإنسان وحمايته.. لتكريم الحياة
وحمايتها؟

أليس تنظيف عقل الإنسان وتراثه وإيمانه من الاعتقادات والتصورات والروايات البليدة القبيحة
المهينة أنفع وأعظم وأوجب من كل أعمال وعمليات التنظيف؟



.. نعم، هل كان يمكن أن يوجد أي شيء لو كان لا يوجد ولا يكون إلا ما يعقل أو يفهم أو
يرضى أو ينفع أن يوجد وأن يكون بالصيغة التي جاء بها أو بأية صيغة أخرى؟

حتى الإله وكذا كل إله لو أنه سئل أو فُكر قبل أن يوجد ويكون: هل يفهم أو يعقل أو يرضى
أو ينفع أن يوجد ويكون في صيغته التي وجدت وكانت أو في أية صيغة أخرى وكان قد قرر والتزم
ألا يوجد ويكون إلا إذا عرف واقتنع أن وجوده وكيثونته مفهومان أو معقولان أو مرضيان أو نافعان
فهل يمكن أن يوجد ويكون أو أن يقبل ذلك أي إلا إذا كان وجوده وكيثونته اغتصاباً؟

وهل يمكن أن يوجد من قد يريد أن يختصب للإله أو لأي إله وجوده وكيونته.. أن يختصب له أي وجود أو أية كيونة مهما وجد من يريد ويتمنى أن يختصب منه كل وجوده وكيوناته؟ إنه لا يمكن وجود أو تصور خسران أو تشويه أو توريط أو تعذيب أو إرهاب لكل أحد ولكل شيء مثل وجود الآلهة وكيوناتها ولو تصوراً وتلقيناً.

إن أي كائن لم يربح من أي إله أو من الإيمان بأي إله أي شيء مهما خسر به وبالإيمان به كل شيء.١

إن البشر لم يعاقبوا أنفسهم وحياتهم مثلما عاقبوها بإيجادهم للآلهة وإيمانهم بها.١

.. حتى الذين أوجدوا الآلهة أي زعموا وأعلنوا واعتقدوا وجودها خداعاً ومتاجرة ورغبة في التسلط والسلطان أو جهلاً وعجزاً ورهبة وتخيلاً وانخداعاً ووهماً وهل أوجد الآلهة موجودها إلا بأحد هذه التفسيرات أو بها كلها؟

- حتى هؤلاء لن يكون وجود الآلهة وكيوناتها ربهاً أو مجداً أو سعادة أو قوة أو أماناً أو صحة أو ذكاء أو ثراء لهم، وإنهم ليعرفون ذلك بالمنطق والتفكير أو بالرؤية أو بالأخلاق أو بالمواجهة والتجارب والسلوك والتكاليف والمقاساة.. إن المعرفة بالفعل والكيونة والمعاناة هي أبداً أذكى وأقوى وأبقى وأصدق من المعرفة بالاعتقاد أو التلقين أو الفكر.

.. إن الذين يؤمنون ويعلمون أن بيوتهم وغرفهم ومسرهم وكل أماكنهم وطرقهم واتجاهاتهم وخطواتهم وكل الأشياء مشحونة ومسكونة بكل الأبالسة والعفاريت والقوى الخفية الشريرة المطلقة التصرف والوجود والكيونات والضرربات الأليمة لا يفعلون ذلك لأن في وجود هؤلاء أو في إيمانهم بهم خيراً أو نفعاً أو أي شيء جيد مفيد لهم ولن يكون ذلك كذلك ولا لأنهم يعتقدون شيئاً من ذلك.

ومثل هؤلاء من يؤمنون بالآلهة ويدعون إلى الإيمان بها وإلى التعمد والتقديس لها والخوف منها...!

إنه العجز والجهل والوهم والخوف والضيق والتلقين المتحول إلى كل أنواع التعذيب للنفس والحياة وإلى كل أنواع التحقير والإذلال والتشويه للعقل والقلب والضمير والرؤية والأخلاق والعلاقات مع الذات ومع كل شيء وكل أحد..

لماذا لا نجد مسيحاً ولا سقراطاً عربياً؟

إلى من أنتظره وأتمناه وأطالب به صديقاً أي عطاء ووفاء وفداء والتزاماً وسلاماً وحرماً لا مراسلة ومخاطبة ومجاملة وموافقة وقراءة لفظية.. لا مصافحة ومعاينة وقبلات عربية فقط، فقط..

صديقاً كصدافة الإنسان وكل كائن لشهواته ورغباته وأمنياته ولذنبه لا كصدافته لشعاراته وكلماته وانتماءاته ولعقائده ومذاهبه وآلهته وأنبيائه وأديبانه وزعاماته.. كصدافته لأشراقه وخطاياها لا كصدافته لصلواته وعباداته وهنقاته.. كصدافته لإبليس لا كصدافته لملاكه..

كصدافته لأعضائه لا كصدافته لأخلاقه.

أيها الصديق المتعني بصيغه هذه..

.. كم من مسيح وسقراط ولدهما الدين العربي أو الفكر العربي أو التحدي العربي أو الحضارة العربية أو الأخلاق العربية؟

كم من مسيح أو سقراط عربي صعدوا أو حتى مشوا إلى التاريخ أو صعدوا أو مشوا بالتاريخ، أو صعدوا أو حتى مشى بهم التاريخ.. على أفلاك وأنهار وبحار وجسور من الصليبان والسموم التي حولت الحياة والتاريخ من حياة وتاريخ صليبان وسموم وجهالة وهداوة وطغيان ورق واستعباد وإرهاب وأمية إلى حياة وتاريخ حضارة وعلم ومعرفة وفكر وعقل وثقافة وعدالة وتسامح وحرية ومحبة وأمان ومساواة.. حولتهما أو تحاول أو تكاد تفعل ذلك بالتحدي والمواجهة والمقاومة لها أي للصليبان والسموم.. لوعيدها ووحشيتها وجهانتها وإرهابها وظروفها وفاعليها والفاعلين بها..!

لقد دمر الإنسان أي الإنسان الآخر الذي لم يكن عربياً. دمر وأحرق ودفن كل صليبان وسموم التي أهدعت الحياة والتاريخ الحديثين ووهيتهما كل صيغ وتفسير الحضارة والإنسانية ولغائهما وأخلاقهما أعني صليبان وسموم المسيح وسقراط أي بروح وأسلوب التصدي والتحدي والمقاومة لها بكل القوة والذكاء والبطولة.. بالموت بها.. بالصمود فوقها وبايتلاعها رشفاً وتذوقاً متلذذاً..!

لقد فعل بها أي بالصليبان والسموم كل ذلك الإنسان الآخر الذي لم يكن عربياً ولم يتعلم أو يتكلم اللغة العربية ولم يقرأ القرآن العربي أو يصل الصلاة العربية متوجهاً إلى الكعبة العربية متضرعاً متملقاً منافقاً راشياً للإله العربي بأخلاق ونيات وكبرياء وذكاء الإنسان العربي.. ما أقبح الإنسان عابداً للإله متملقاً إليه وأقبح الإله معبوداً مضلقاً إليه متقبلاً لذلك مطالباً به..!

أليست الطاقة أو الموهبة أو الروح التي هاجمت الصليب والسم لتموت بهما هي التي صاغت الإنسان الجديد وصنعت الحياة الجديدة القوية؟ أليست القدرة على الموت العظيم الكبير قدرة على

صناعة الحياة والتاريخ الكبيرين العظيمين! أليس الموت طاعة للعقل والأخلاق وللكرامة الإنسانية ورفضاً للغياء والجهل والكذب والضللال والخداع والتزوير والإذلال النفسي والفكري والديني والاعتقادي.

- نعم، أليس هذا الموت هو أعلى مستويات الحياة؟

لهذا أليست المجتمعات والشعوب التي لا يتخلل فيها من يموتون هذا الموت لا تصنع حياة قوية أو عظيمة أو كريمة أو حرة؟

.. إن هذا الموت هو أنبل موت كما أن أنذل موت هو موت الجنود في الحروب بين الشعوب التي تشعلها العداوات أو الخلافات أو الخصومات أو المنافسات أو الشهوات أو الاستعراضات أو المطاعم والطموح بين القادة والزعماء والحكام والأديان والمذاهب والانتماءات والغبوات والجهالات والوقاحات.. هل يستطيع التحديق في خسائر ومآسي الإنسان والحياة في هذه الحروب؟ ولكن هل يمكن أن يظن أو يزعم أن لها.. لهذه الحروب أي ربح أي إذا حقق فيها تحديقاً شاملاً رايئاً قارئاً؟

كيف لم يفهم هذا كل الأذكىء بل وكل الأغبياء؟

.. لنحديق في كل الحروب التي وقعت أو سوف تقع أو قد تقع محاسباً ومفترضاً بعضها ببعض. كلها بأكملها ليصبح المفاجئا وترويعنا بهذه الحقيقة بلا حدود..

إن أية حرب لم تكن ولن تكون إلا عدواناً أو صيداً أو إزالة لعدوان حرب. وهل يمكن أن يوجد أو يتصور أي ربح في العدوان أو في الاضطراب إلى صد وإزالة العدوان.. في العدوان الذي يوجب ويصنع الحاجة إلى مقاومته وطرده؟

إن العدوان ومقاومته محاسبين ومفشرين ومحاكمين معاً هما أخذ من الحياة ومن الإنسان بلا أي عطاء.. أخذ لا مثيل لبشاعته وخسائره وأمواله.. إن كل حرب لن تكون إلا عدواناً أو محاربة لحرب..!

.. إن مقاومة العدوان وطرده بالحرب ليسا عطاء للحياة أو للإنسان ولكنهما تخليص لهما.. تخليص لهما بالحرب مما أوقعت بهما الحرب. إن تكاليف مقاومة العدوان وإزالته بالحرب ليست أرباحاً ولكنها خسائر تتحملها الحياة والإنسان.. خسائر محسوبة على الحرب.. على الحرب في صيغتهما وتفسيريهما: معتدية ومدافعة مخلصة منقذة..!

إن الحروب الانتقادية التحريرية ليست إلا صناعة وتخطيط الحروب العدوانية وليست إلا شيفاً من صيغها وتفسيرها..!

فكل الحروب من حيث البدء والابتكار والتفكير والمبدأ جرائم وخسائر وجنون. كل الجنون بكل التفسير والرؤى والحسابات والصيغ والمقاييس والقوانين..!

كيف أمكن أن يخفى ذلك على أحد؟

إنه لن يكون معظيماً أو نافعاً أو محسناً أو مشكوراً بل لن يكون ويعد إلا مجرمًا أو مجنوناً أو كل ذلك من قفاً عيباً أو قطع يداً أو رجلاً ثم شفى من ذلك أو قتل حياً ثم أحياء موقعاً كل التعذيب والترويع والخسائر والإذلال بمن فعل به ذلك..!

أليس هذا تفسيراً صغيراً صادقاً للحروب المعتمدة والمدافعة المنقذة؟ هل لها.. للحروب أي تفسير غير ذلك؟

إن كل الجرائم والشرور والخسائر والمآسي والحقاقت والبلادات لتجتمع في ابتكار وصناعة السلاح بكل أنواعه ومستوياته.. في اختراع وصياغة السلاح الذي أمنت به وصلت له وعلمته ودعت إليه ومجده وأُنزلت في تمجيده وتعليمه الآيات والصور كل الأكوهيات والنبوات والأديان والزعامات والقيادات والوطنيات والمذاهب والنظم والشعوب وكل المؤمنين الأتقياء والزنادقة الفجار..!

.. إنه لو كان قد خلق للإنسان إبليس ليكون كل أعدائه ومقسطيه ومضليليه وموقمي كل الشرور والآلام والمآسي والدمار به وكان هذا الإبليس ذكياً وماكراً وعبقرياً في ذلك لكان محتوماً أن يصوغ ويصرف كل اهتماماته في قضية واحدة.. في أن يجعل ضحيته الإنسان مبتكراً وصانعاً للسلاح.. لكل أنواع الأسلحة بارعاً وبأسلاً في استعمالها..!

إن كل وظائف السلاح الجنوني التكاليف في تخطيطه وصناعته هي أن يضرب ويدمر ويقتل ويرقّع أو أن يقاوم ذلك بالضرب والقتل والتدمير والترويع. إنه لا يشيد مصنعاً أو يبني بيتاً أو يحيي ميتاً..!

إذن هل يجد إبليس الإنسان شيئاً يوقعه بالإنسان مثل أن يدلّه ويحرضه على ابتكار السلاح وصناعته والتعامل والتخاطب به وأن يجعله أضخم وأغلى وأقبح ما يباع ويشترى ويخزن وتقام عليه كل الحراسات وأقواها وأكثرها خوفاً وتخويفاً وتكاليفاً؟ إن إبليس الإنسان لم يسعد أو ينتصر مثلما فعل في ذلك..!

كم هي قاذحة الأخطار والأضرار والآلام التي قد توقعها أو تزرعها رصاصة أو قذيفة واحدة تطلقها يد ظاهرة أو خفية لتصيب هدفاً مقصوداً أو هدفاً غير مقصود..!

فهل يستطيع إبليس أن يجد ما يحارب به صديقه الإنسان مثل أن يغويه بابتكار السلاح وصناعته والتعامل به وبأن يجعل عبقريته في ذلك بلا حدود؟



نعم، لقد فعل بها ذلك أي بصلبان المسيح وبسموم سقراط بصعوره فوقها وتجزعه لها بأسلوب ونيات الإذلال والقهر والتهوين والتشويه والعقاب والقتل لها..

أليس رفض الطغيان والجهالة ومقاومتها إلى حد الموت صلباً وتسميماً هما أنبل وأتقى وأقوى وأقصى أساليب القهر والتحدي والمقاومة والفضح لهما والاستهزاء بهما؟

لقد أخاف وهزم وأهان السموم والصلبان بذلك وسخر منها بموته بها فخافت وهانت وجنت وصغرت واستسلمت وتحولت إلى عارٍ لكل التاريخ.. أما من ماتا بها فقد صعدا بالتاريخ وصعد بهما.. بموتهما التاريخ وصعدا فوق التاريخ..!

.. إنه الموت الذي عجز عن الصعود إلى مجده الإله الذي حرضه ودفعه وساقه عنف وغبته في

المجد.. في أي مجد وكل مجد إلى أن يخطط ويخلق أرداً وأفنج وأقذر الحشرات والكائنات والعمائم والآفات والقياحات والتشوهات لكي تكون له مجداً ولكي يدعيها ويرها أعظم وأشهر وأوسع وأشمل وأدوم وأظهر أمجاده وأعظمها حكمة ورحمة وجمالاً وعبقريّة أو مؤملاً أن تكون كذلك!.

ولو أنه أي الإنسان الذي لم يكن عربياً قد جبن وذلّ وهان وهرب من مواجهتها ومقاومتها خوفاً من الموت صلباً وتسميماً لحكمته وأذنته وطاردته ولظّلت تفعل به ذلك ولو بعقله وتفكيره وتصوّره وأخلاقه ومخاوفه حتى ولو لم يصعد هو أو تهبط هي لتصبب ذاته المادية الترابية. أليس الصلب والتسميم بالتوعد والتوقع والتهديد والانتظار أقسى من الصلب والتسميم بالتنفيذ؟ أليس الخطر المنفذ أهدون من الخطر المنتظر؟

إن اقتحام الأعطال والمخاوف يقتلها أو يطردها أو يضعفها ويخيفها كما أن مقاومة الطبيعة مقاومة بداواتها وجبالاتها وبلاداتها وبذائاتها ووحشياتها وتذللها وتعلّمها وتجثّلها وتصوّغها صياغات حضارية وإنسانية وجمالية ومنطقية وعلمية أعني الاقتحام والمقاومة اللذين يقودان بيسالتهما وتسميئهما إلى الموت بالصلب والتسميم!..

إن الموت مقاومة للموت هو أقوى وأعظم وأشهر وأنبيل الأساليب لمجيد الحياة وتكريمها وتقويتها وتثبيتها بل ولمقاومة الموت أي القتل.. إن الموت العظيم هو أعظم مقاوم للموت وللحياة القبيحة الذليلة!..

إن الإنسان يقتل الصلب والصليب والسم والتسميم بالموت بهما لا بالحياة الذليلة الجاهلة المنافقة.

المستسلمة خوفاً منهما واتقاء لهما واستسلاماً للمعاقبين والمهددين بهما. إن السم والصليب لا يخافان أو يحترمان إلّا من قتلاه مبارزاً لهما!.

إن الذين ولدوا المسيح وصنعوا صليبه والذين ولدوا سقراط وصنعوا سته هم الذين أصبحوا يلدون كل مسيح وكل سقراط بلا أي صليب أو صلب وبلا أي تسميم أو سم.

إن الذين صنعوا للصلب والتسميم أعظم المجد وأشهره هم الذين حولوهما إلى تاريخ فاجع وذكريات فاجعة يعتقدون أنها لن تتكرر ويرفضون أن تتكرر حتى ولو تحولت كل مجتمعاتهم وشعوبهم إلى نماذج أنقى وأقوى من نموذجي سقراط والمسيح اللذين استحقا الموت ونفذ فيهما صلباً وتسميماً كما رأت وقضت أخلاق وأحكام وحضارة وتفكير ودين وضمائر عصرهما وشعبيهما بل وآلهتهما!..

.. بل إن هؤلاء هم الذين حولوا المادة التي صنعوا منها صليب المسيح وسم سقراط إلى مادة عجيبة خارقة يصنعون منها وبها سفناً وجسوراً وتسوراً وأجنحة يحلقون بها فوق النجوم.. فوق عروش ومضاجع ومساكن الآلهة المخشبة الهاربة من كل العيون والعقول والآذان والمحاورات والمواجهات والمحاسيات والمساءلات والمسؤوليات والمواقف التي ينتظر ويجب ويطلب وتطالب أن تقفها وتقف

عليها بل وتصنعها - يحلقون بها فوق عروش ومساكن ومراقد ومخابئ الآلهة ويصعدون ويذلون ويفقؤون ويزعجون ويهزمون بها عيونها وآذانها وأعصابها وعمودها وكسلها واسترخاءها وأمنها وإعجابها بنفسها وبأعوانها وثقتها بحماية حصونها لها..!

إن ثقة الإله وإعجابه بنفسه لم يصدما مثلاً صدماً بهؤلاء الأبالسة..!

إنه لو لم يوجد مقاومو الصليب والسم بالموت بهما لما وجد ولا عرف هذا الصليب والسم، وإنهما لو لم يوجدوا وعرفوا بوجود من تقتل ويتقبل الموت بهما لما وجدت هذه الحضارة العاصرة بأبنائها فوق خيال صانع ومخطط الشمس والنجوم والأقمار والمختبئ الساكن الرائد فوقها بكل الاستسلام والضياع والغبوبة الدائمة الكئيبة العقيمة.. الحامي الحارس لنفسه بكل الرقى والتماثم والتعاويد لتحمية من أسلحة ورؤى وتطلعات العيون.. كل العيون بكل أسلحتها ومعاقباتها.. المبدد لوقته بالثاؤب والمطاس وبالسب والهزاء لكل من سواه وبالثناء الساذج الفاضح القبيح على نفسه..!

.. ولكن لماذا لم يكن لقومنا مسيح مثل هذا المسيح المعانق بكل الرضا واليسالة والفرح لصليبه، ولا سقراط مثل هذا السقراط المصافح الرافع بكلتا يديه لكأس سمه إلى كلتا شفتيه بكل السعادة والقوة؟ بل لماذا لم يلد ولا يلد قومنا من يمتنون أو ينتظرون أو يتقبلون أو يطلبون أو يفتخرون أو يتصورون أن يتخلق أو يولد فيهم مسيح واحد أو سقراط واحد من هذا المقاس ولو شذوذاً أو غلطاً أو ادعاءً؟

إن قومنا مهما كانت أمجادهم المدعاة لن يدعوا أو حتى يقبلوا الادعاء بأنه قد تخلق أو قد يتخلق فيهم مسيح أو سقراط واحد لأن هذا لن يكون مجداً في عقائدهم وحساباتهم كما أنهم لن يصدقوا أن أحداً قد يصدقهم لو ادعوه لأنفسهم مهما تخطوا كل الحدود والحسابات والوقار في تصديقهم ورؤيتهم لأنفسهم وفي اقتناعهم بتصديق كل الناس وكل أحد لهم في كل ما يزعمونه ويعتقدونه ويعلمونه من أمجادهم التي لن يقبل أحد أن يفضح ويهجو نفسه بإنكارها أو بالشك فيها أو بالعجز عن رؤيتها أو عن الاقتناع بها أو عن الركوع والاستسلام لها حتى ولو كانت من الأمجاد التي لا تستطيع الشمس ولا النجوم أن تعرف أنها قد مرت بها أو رأتها أو أنها قد مرت بمن رآها أو عرفها أو قد يراها أو يعرفها..!

أليست كل أمجاد قومنا هي من الأمجاد التي لم ترها أو تعرفها أو تمر بها الشمس أو النجوم أو تمر بمن رآها أو عرفها أو بمن سمع أو شقي بها ناصرة مكزومة له أو هازمة مذلة مهينة له؟

إن لنا إذن لفضلاً ومنة على الشمس والنجوم لأننا لم نرهقها بالتحديق في أمجادنا وفي الانهيار بها وفي محاولة تفسيرها وتعليمها والتعلم منها.. كما أن لنا كل هذا الفضل والمنة على كل الآخرين لأننا لم نرهقهم شيئاً من هذا الإرهاق بالتحديق في أمجادنا وبالانهيار والإعجاب بها وبتفسيرها وبالخوف والخلج منها وبمناقشتها ومحاولة اللحاق بها..!

أليس أصحاب الأمجاد المتفوقة التي تصنعها المراهب والطباقات والأخلاق المتفوقة مرهقين ومخيفين وهازمين ومذللين ومتحدين ومنافسين للآخرين.. لغيرهم بكل القسوة والإحراج والترويع

والتهديد؟ أليس الفاقدون لهذه الأمجاد والمواهب والطاقت مريحين ومسعدين ومفرحين لمناقسيهم
وخصومهم وللمبارين لهم؟



بل إن قوماً ليفاخرون مفاخرات تزعج وتضجع كل شيء وكل أحد.. يفاخرون هذه المفاخرات
لأن نبيهم الوحيد الذي يروونه ويعلمونه ويؤمنونه أعظم الأنبياء وآخر الأنبياء وكل الأنبياء بل وقاتل
وملطي كل الأنبياء..

يفاخرون هذه المفاخرات لأن نبيهم هذا قد هرب من مكانه وقومه المبعوث إليهم ذلك الهرب
الأليم الحزين المدعور المتخفي بالليل والظلام المحتال الذي لم يفكر فيه أو يقبله أو يتحرك في
تصوره لا سقراط ولا المسيح حتى ولا على أجنحة الملائكة إلى فردوس الحوريات والغلمان
المصنوعة أذاتهم وأعناقهم وأيديهم وأصابعهم وجلودهم ونياهم من اللؤلؤ والمرجان والذهب والسندس
والحرير ومن أنداء وأرداف الحوريات ومن سررهن وأرائكهن.. المغزولة المنسوجة أجسادهم على
منازل ومتاسج الإغراء والإغواء والجنس..!

.. النبي العربي الأحد الأوحد الآخر.. تبعته السماء إلى قومه محروساً بكل عضلات الإله
وجبروته وتخطيطه وذكائه ودعائه ومعجزاته وأعوانه وجيوشه وشرطته وحراسه السماوين..!

- هذا النبي العربي يهرب بذلك الأسلوب من وطنه الذي بعث فيه ومن قومه الذين بعث إليهم
والذين اختاره الله لهم كما هرب وكما جاءت أوصاف هربه..!

هل فطن العالم إلى ذلك أو عرفه؟ وكيف يمكن أن يكون حكمه عليه ورؤيته له حينئذ؟ أم لعل
العالم مسقط للإنسان العربي حتى للنبي العربي من كل محاسبة ومحكمة غافر له إنسانياً ومنطقياً كل
ما يفعله ويفعل به. إن العالم لم يكن سخياً ورحيماً وغافراً متسامحاً مثلما كان كذلك ولا يزال
كذلك في تعامله مع العرب.. تعامله النفسي والفكري والأخلاقي واللغوي وفي تعامله العملي وفي كل
معاملاته لهم ومعهم.. لقد فعل ذلك ليكون محقراً ومهيناً..!

كم هي صعبة ومؤلمة بل وفاجعة أحياناً هي تفاسير ودلالات الرحمة والسخاء والغفران
والتسامح؟ إن ذلك مؤذ ومؤلم ومهين أحياناً أكثر جداً من النقيض..!

لبنّا جثنا وكنا ممن يقسو عليهم العالم ومن يحاسبهم ويحكمهم ويخافهم ويغار منهم ويحقد
عليهم ويحسد لهم لا ممن يرحمهم ويسخو ويشفق عليهم ويغفر لهم ويسامحهم ويصلي لهم وعليهم
ومن أجلهم ويضحك لهم وفي وجوههم ويضحك متحدثاً عنهم واليه يذرف الدموع الساخرة رثاء
لهم وإشفاقاً عليهم..!

لبنّا جثنا تفوقاً وقوة يرهبان وبلعتان ولم نجيء عجزاً وتخلفاً يرحمان ويمدحان وبرئان.. ما
أقسى المديح إشفاقاً ورثاء..!

ما أقسى المديح لمن يستحقون الدم واللوم والإشفاق..

.. لدينا دموع في عبون الأعداء والخصوم وكل الأشرار وفي قلوبهم لا ضحكات أو ابتسامات ساخرة راثية، أي دموع خوف لا رثاء..

.. ما التفسير لهذا الهرب؟ لقد وجد المؤمنون له كل التفسير وأجمل التفسير وإن كانت كل التفسير قد رفضت تفسيره وعجزت عن تفسيره. إنه ليست للتفسير قواً أو ضوابط أو علامات أو منطق أو قيود أو حدود بها تعرف وتقبل أو ترفض وتستكره. إنها لا تعلم أو تدرس أو تفهم!

إن كل مؤمن لا بد أن يجد أصدق وأذكى التفسير لإيمانه ولكل ما يؤمن به. إنه إذا آمن بأي شيء فلا بد أن يجد له هذه التفسير التي هي الأذكى والأصدق. ولو آمن بنقيض هذا الذي آمن به لوجد له وفيه هذه التفسير التي هي الأذكى والأصدق.. إن الإيمان يعني فقد كل التفكير والرؤية والتحاو مع الذات.. إنه لو آمن بتعدد الآلهة لوجد في ذلك كل الذكاء والصدق والجمال والمنطق، ولو آمن بتوحيدها أي بآله واحد فقط لوجد في إيمانه هذا كل ذلك أي كل الصدق والذكاء والجمال والمنطق..!

ولو آمن بالشیطان إلهاً لرضي عن إيمانه مثل رضاه عن إيمانه بالآله المذكور المعلوم المجهول..!

ما أعظم فجيعة المؤمن لو لم يؤمن بالآله ثم ذكرت له أوصافه وأفعاله..!

.. إن هذه إحدى علامات وخصائص كل مؤمن أو كل مؤمن عربي ومن كان وجاء في مستواه إن كان يوجد آخرون في مستواه أي في مستوى الإنسان العربي..!

لهذا فإنه لم يوجد معتد على ذكاء الإنسان وعلى منطقته وكرامته وعلى رؤاه وأخلاقه وحياته وعلاقاته بغيره وعواطفه نحو غيره.. نحو مخالفته مثل إيمانه. إن الإيمان أعظم مخرب لمعاني الإنسان..!

ما أضخم وأبشع الهزائم والفضائح والآلام والتشوهات والمعوقات والبلادات والعداوات والأخطاء والخطايا والخسائر التي أوقعها والتي سوف يوقعها إيمان الإنسان بالإنسان وحياته وبكل شيء بلا أي ثمن أو تعويض..!

.. ما أعظم مآسي الإنسان بمن جازوا إليه ليعلموه هذا الإيمان ويرسخوه فيه.. إنهم أقسى من كل أعدائه وإن لم يكونوا من أعدائه..!

ولا بد من معرفة الفرق بين الإيمان وبين العلم والمعرفة والاقتناع..! ماذا لو حاكم الإنسان إيمانه ومن ابتدعوا له الإيمان وعلموه إياه؟ كيف لو حاكم من آمن به الإنسان الإنسان؟

إنما من قال أنا مؤمن إنما يقول وإن كان لا يدري: أنا مغلق كل النوافذ بين كل شيء وبين كل معاني الإنسان في ذاتي..!

.. أنا معطل بل مخرب لكل طاقات الإنسان المتخلقة في تكويني..

.. إنه يقول دون أن يعرف: أنا لا أرى ولا أفكر ولا أحاسب أو أسأل أو أحتج أو أغضب أو

أنكر أو أرفض أو أشمز أو أقاوم أو أشرط أو أطلب أو أطالب أو أجد أي فرق بين شيء وشيء.. بين أي شيء وجد وحدث وأي شيء ينبغي أن يوجد ويحدث لأنني مؤمن..

.. أنا أرى الحشرة والعاعة والقبح والعذاب والخراب والدمار والعار والموت كل الجمال والحكمة والرحمة والعدل والعبقرية كما أرى كل شيء كل ذلك.. أرى جمال ونبل إلهي في أقيح وأنذل شيء..

.. أنا أرى هذه الرؤية لأنني لا أرى ولا أستطيع أن أرى ولا أريد أن أرى وممنوع من أن أرى لأنني مؤمن ولا إيمان إلا بذلك..

.. إنه لا إيمان مع الرؤية ولا رؤية مع الإيمان أي الرؤية بالعقل والتفكير والأخلاق والعواطف والقلب والعيون أيضاً. إن الرؤية بالعيون يجب أن تكون رؤية بكل معاني الرائي.

فالمرئي بالعينين يجب أن يكون مرئياً بالعقل والفكر والقلب والعواطف والأخلاق وبالمحاسبة والمحكمة والتفاسير وإلا فلا يكون مرئياً.. إن العيون لا ترى وإنما يرى بها. إنها لا ترى بنفسها لنفسها ولكن ترى غيرها لغيرها..!

إن للحيوان عيوناً ولكن هل يرى مهما رأى؟



هل عجز قومنا عن الصعود إلى الطور الحضاري الإنساني الخلاق الذي صعد إليه الآخرون لأنهم أي قومنا عجزوا عن الصعود إلى الطور الذي يجعلهم يلدون مثل هذا الذي صنع صليبه ليصعد به فوق التاريخ.. ليمجد به التاريخ، أو يلدون مثل هذا الذي صنع سمه ليقتل به بداوة التاريخ وجينه وهوانه وطفانيته وليلدل به على أن الموت بهذا السم بهذا الأسلوب بهذه البسالة والتحدي يذل الذل ويهزم الهزائم ويقهر القهر ويزرع وينبت الحياة والقوة والتفوق والحضارة والحرية والأمان؟ هل يستطيع أن يقهر الجهل والبداوة من لا يستطيعون أن يقهروا القهر ويلدوا الذل؟



قال هذا ويقول كائن يقاسي حرباً لا هدنة ولا سلام فيها ولا مثيل لها في أي تفسير من تفاسيرها.. حرباً لم يقاس مثلها أي محاربين أو متحاربين.. حرباً بين رؤية هذا المكان وفكرته.. بين إرادته وقدرته.. بين أشواقه وتمنياته ومواجهاته.. بين أخلاق ومنطق ذاته وأخلاق ومنطق إلهه.. بين وجوده وشروطه.. وشروطه لوجوده ولكل وجود..

.. حرباً غير مرئية السلاح أو الجنود أو المكان.. حرباً ليس القتال فيها غير المقتول وليس المقتول فيها غير القتلى، وليس فيها متصمر ومهزوم بل كل من فيها مهزوم، مهزوم.

.. إنها حرب الذات للذات. إنها أفسى الحروب ولكنها أكثر وأصدق وأنبل الحروب منطقاً وتفسير وحواظ..

لن يكون إنساناً بمعاني الإنسان من لا يحارب هذه الحرب..

.. نعم، قاله المعذب المفجوع نياية وتعويضاً وتكفيراً عن بلادة ونذالة وقبح وهوان وعذاب وافتضاح وعار وعيشة ووقاحة كل شيء وكل أحد.. كل إله وكل إنسان وكل حشرة.. كل نجم وكل قمر وكل شمس وكل مجرة وكل مجموعة كونية لا تعرف لماذا هي ولا من أين ولا أين ولا متى ولا كيف ولا ما الثمن أو الجزاء أو التفسير أو المصير..

.. لا تعرف من الفاعل ولا من أين جاء أو لماذا جاء ولا لماذا فعل..؟

قاله ويقول به كل طاقات الاحتراق سائلاً متسائلاً:

كيف وجد من جرؤ وفكر وتوقع في عدوانه بل وجن لكي يريد ويستطيع أن يوجدني وأن يوجدني كما أوجدني في الذات والصفة والزمان والمكان والأسلوب والمنطق والتفسير والظروف التي بها وفيها أوجدني إن كان قد وجد هذا الموجد لي؟

وعلى أي قياس أو مقياس أو بأية حسابات جمالية أو فنية أو منطقية أو أخلاقية أو عاطفية أو نفسية أو شوقية أو شرعية أو دينية تعيدية أو حتى شهوانية طفيلية انتقامية اضطرارية جنونية عيشية.. ذاتية أو عالمية كونية.

- نعم، على أي قياس أو مقياس وبأي حساب رأى وقزّر وتجاسر أن يوجدني كما أوجدني أي هذا الذي أوجدني إن كان ممكناً أن يتهم أي كائن.. أي عاقل أو مجنون.. أي عاث أو جاد بأنه قد أوجدني لأجيه كما جئت، لأكون كما كنت، لأذهب كما ذهبت، كما سوف أذهب.. ما الفخر أو المجد أو السعادة أو اللذة أو العبقريّة التي أرادها ووجدها موجدي في إيجادها لي إن وجد؟

.. قاله وكتبه من نعيش وتتفجر وتتوقع وتتصارع وتتناطح داخل ذاته في أعماق عقله وقلبه وضيميره وأخلاقه وكل معانيه كل الأوقات كل أخطاء وخطايا وقباحات ووقاحات وعذاب وورطات كل هذا الوجود.. كل ألهمته وإنسانه وكائناته ووحداته بل وكل حشرات. حتى حشرات تعذبه وتروعه وتفجعه بكل عذابها ونقائصها وضعفها وبكل كينوناتها..!

كيف جاءت وجاءت كما جاءت أي الحشرات وكل الكائنات؟

.. قاله وكتبه المحاسب المحاكم المعاقب لنفسه.. لكل معانيه بكل ما يجب وينبغي ويفترض أن يحاسب ويحكم ويعاقب به كل شيء وكل أحد نفسه بل وأن يحاسب ويحكم ويعاقب كل كائن.. كل وجود وموجود به مقسماً عليه أي على كل وجود وموجود..!

هل يوجد معذب مفجوع مثل من يريد أن يجد لكل وجود وموجود، تفسيراً معقولاً؟

هل يوجد أو حتى يتصور عذاب أو انفجاع مثل عذاب أو انفجاع من يحمل ويتحمل ويقرأ ويفسر ويحسب ويحكم ويعاقب به كل شيء وكل أحد نفسه بل وأن يحاسب ويحكم ويعاقب كل كائن.. هل يطاق عذاب من يقرأ الآلهة بعقله أو تفكيره أو ضميره أو أخلاقه أو قلبه أو بعينه أو بشيء من معانيه؟

ماذا لو أن الإله أو أي إله رأى وقرأ وفتر وحاسب وحاكم نفسه؟ هل يستطيع حينئذ أن يجد أو يتصور عقاباً يكفي ليحاسب به نفسه على خطأ واحد أو خطيئة واحدة من أخطائه وخطاياها؟ كيف لم يستطع أن يفعل ذلك؟

ماذا لو أن محكمة من كون آخر مؤلفاً أعضاؤها أو قضاتها من ذلك الكون الآخر قدم إليها إله وخالق ومريد ومخطط ومصمم هذا الوجود لتحاكمه على أخطائه وخطاياها بل على شيء من أخطائه وخطاياها المفرقة لهذا الوجود.. لكل شيء فيه؟

هل يمكن أن نجد حينئذ هذه المحكمة أي عقاب تراه وترضاه عقاباً كافياً له، بل كافياً لأي ذنب من ذنوبه أو لأية غلطة من غلطاته أو لأية جهالة أو نزوة من جهالاته ونزواته أو لأية قباحة أو وقاحة من قباحاته ووقاحاته؟

ألا يمكن أن توجد يوماً ما هذه المحكمة وهذه المحاكمة؟

هل يمكن تصور ما لا بد أن يحدث حينئذ؟ هل يمكن؟

كيف أمكن أن يتصور الإنسان أن لهذا الوجود بكل صيغه وتفاصيله وبداياته ونهاياته مريداً ومدبراً ومخططاً ومصمماً خلافاً راعياً مسؤولاً جالساً فوقه بكل الكبرياء والرضا والإعجاب بالنفس وعنها.. بكل معاني وتعبيرات الكسل والاسترخاء والشاؤب والتحديث في مرآته ليسعد ويفرح بما يرى من جماله وجلاله؟

ثم كيف أمكن أن يتقبل ذلك عقله أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه أو رؤاه أو حتى تقواه، حتى تقواه وتدينه؟

إن التصور والتقبل لهذا الكائن المزعوم إلهاً فوق الوجود الذي نراه ونعرفه ونقاسيه ونقاسي منه لخروج على كل تفاسير ومعاني التقوى والتدين..!

إن من يعيش فيه أي قدر من التقوى والتدين الصحيحين الواقعيين الصادقين لا بد أن يبرأ من ذلك وأن يعلن براءته.. إن المؤمن بهذا الكائن المزعوم إلهاً لهذا الوجود لبريء من كل معاني التدين والتقوى مهما كانت وجاءت المزاعم واللغات والتعاليم والكتب المنزلة..!

.. إن من يحسبون أقوى الناس تقوى وتديناً هم أبعد الناس عن كل تقوى وتدين!

لهذا فإنه لا يوجد ولن يوجد أبعد عن كل معاني التدين والتقوى مثل هؤلاء الذين يجيئون إلينا زاعمين أنهم رسل وأنبياء ووسطاء قادمون من عند هذا الكائن المزعوم إلهاً فوق هذا الكون ليعلمونا الإيمان به وليعلمونا جبروته وطفانيته واستبداده وكل أخلاقه وشهوته ورغباته..

ليحدثونا عن ذلك ويفرضوا علينا الإيمان به وبكماله وجماله..!

كيف يكون تقياً أو متديناً من يتهم إلهه بأنه المريد المدبر الخالق لكل هذا القبح المفرق لهذا الوجود؟ بل كيف لا يكون أفجر الفاجرين؟ وكيف لا يستحق أقسى المحاكمات والعقوبات لا ابتداعه هذا الاتهام والإصرار عليه؟

إن من أول وألزم الشروط على التقى المتدين ومن أول وألزم معانيه أن يحترم ويوقر ويثزه من يتقى ومن يتدين ويدين له بكل الصيغ واللغات والتفاسير من كل ما يكره ويرفض وينكر ويؤذي ويشوه ويعاب الوصف والتخلق به ويستحي منه.

.. من كل ما يفجع ويعذب ويحرج الحيون أو القلوب أو العقول أو الضمائر أو الأخلاق أو الحسابات أو التوقعات أو التمنيات.. من كل ما يخلج ويتأثم من أن يفعله أو يرهذه أو يرضى عن يفعله ويرهده..!

فهل من التوقير أو الاحترام أو التنزيه لأي كائن الاعتقاد أو الإعلان بأنه المريد المدير الفاعل لكل شيء بكل صيغه ومعانيه وتفسيره.

.. بكل بداياته ونهاياته؟ أليس ذلك أقسى وأوقح وأقبح إهانة؟

إذن هل يمكن أن يكون متهم إله بذلك تقياً أو متديناً أو عابداً له بل أو غير سائب له بكل لغات وبداعات السب وكل تفاسير السب وفجوره ووقاحاته وإهانته؟

بل هل يمكن ألا يكون مسيئاً مهيناً معتدياً مستحقاً لكل العقوبات ولأقصى العقوبات؟

أليس من قال: إن لي إلهاً مريداً مخطئاً صانعاً لكل هذا الكون بكل ما فيه إنما يقول: لي إله قاتل سارق مخرب مدمر ظالم معتد مفسد ممرض مقعد مفقر قاس منجر متهور موقع بكل أحد وكل شيء كل التشوهات والعاهات والعيوب والنقائص والعجز والتعجز والعذاب والأفتضاح والفضائح والدعر والجبن والألم والهوان.

.. مصيب بكل ما يفجع ويستفزع ويستنكر وبكل ما تعاقب عليه كل الشرائع والأخلاق بل والأديان؟

أليست هذه الآثام بعض آثام صاحب هذا الكون إن كان له صاحب؟

إنه لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد موصوف بكل الشرور والآثام والنقائص مثل الإله.. مثل كل الآلهة.. ولا واصل لها بكل ذلك مثل المؤمن أو غير المؤمن بها..!

هل في داخل تكوين الإنسان قوة خفية خارقة لا يستطيع فهمها ولا تصحيحها ولا الانتصار عليها جعلته عاجزاً عن رؤية وفهم ما لا يستطيع العجز عن رؤيته وفهمه كما جعلته قادراً على فهم ما لا يستطيع أو ينفي أو يقبل فهمه وعلى الإيمان بما لا يستطيع أو يقبل أو يرضى الإيمان به بل جعلته يعادي ويخاصم ويلاعن ويقاتل ويقتل من أجل أن يؤمن وأن يجعل كل الآخرين.. كل العالمين يؤمنون به بما لا يستطيع الإيمان به؟

ولعله لم يوجد غير الإنسان أو مثل الإنسان من يعاقب ضخامة ذكائه بضخامة غيابه وسيء إلى أمجاد ذكائه بخطايا غيابه..!

إن الإنسان لم يعاقب وبهين ذكائه وصدقه مثلما عاقبهما وأهانهما بإيمانه بآلهته وكذا فعل إلهاته وكرامته بتعامله بآلهته ومعها ومن أجلها وباسمها ودفاعاً عنها وتعبداً وتفسيراً لها وتخاصماً وتعادياً وتلاعناً وتخالفاً وتجارباً بها..!

إن طرد الآلهة من هذا الكون ومن حياة الإنسان أو منعها من المجيء لو كان ذلك ممكناً لأعظم وأتقى إنقاذ لها من نفسها ومن الإنسان.. من إيمانه بها وأوصافه وتفسيره لها وتعامله بها ومعها، وإنه أي هذا الطرد أو المنع لأعظم وأتقى إنقاذ للإنسان منها مؤمناً بها وعابداً مطيعاً متصوفاً قارئاً راعياً لها متحدثاً عنها وإليها خائفاً منها مصلحاً راعياً ساجداً فوق التراب بكل ذاته وكبريائه وأعضائه باحثاً في التراب عن كل فرحها أي الآلهة ورضاها ومجدها وسعادتها وكرامتها وكبريائها وأشواقها وانتظارها أي في التراب..!

إن على كل باحث عن إله أن يبحث عنه في التراب..!

أليس من يتعبد ويتقرب لإلهه بالسجود بكل جسده وأعضائه وعقله وقلبه وأشواقه وأخلاقه على التراب إنما يريد أن يصل إلى إلهه من طريق التراب وفي التراب وبالتراب وأن يشتري كل رضاه وثوابه بالتراب راعياً ساجداً عليه؟

إنه يجعل التراب مسجوداً عليه أغلى وأتقى وأفضل ثمن للإله وثمن يقدم للإله ويشترى به حبه ورضاه وسعادته وثوابه وصداقته.. إن أصدق أوصاف الإله أنه الكائن الترابي..! .. إنه لا يستقبل عبيده راضياً مثلما يستقبلهم في التراب وفوق التراب.



إن الإنسان لم يفقد وهن ويشتم ويشوه كل عقله وذكائه ورؤيته وشرفه ونزاهته وكرامته وحبه وتقواه وتدينه وإيمانه واحترامه لتعامله ولمن يتعامل معه إلا حينما آمن وأعلن وعلم أن هناك كائناً مطلق القدرة والكمال والجمال هو وحده الذي أراد ودبر وصمم وخلق وصاغ وولد كل هذا الوجود وكل وجود بكل ما فيه ثم استوى فوقه ليرى ويسمع ويفرح ويضحك ويتسم ويغني لنفسه وينشدها كل أناسيد المديح والتمجيد بكل الإعجاب والرضا والاسترخاء والثناؤب والإصفاء إلى المادحين الممجدين الهاتفين الداعين المستغيثين المتضرعين المصلين الباكين الصارخين دون أن يعرف أو يشعر أن عليه أن يسمع أو يستجيب أو يغث أو يرحم أو أن ينتظر منه ذلك أو يكون مطالباً بشيء من ذلك.

.. دون أن يظهر أو يتكلم أو يعتذر أو يخجل أو يأسى أو يبكي أو يعاقب نفسه على كل ما فعل، فاعل وأمر ومخاطب ومعاش كل شيء وكل أحد لا يرى ولا يسمع ولا ينتظر. هل صدق ذلك أحد؟

إن الإيمان بهذا الكائن فوق هذا الوجود يعني حتماً بكل التفسيرات الحكم عليه بكل الجرائم والغشائات والسفاهات والعذاب والتعير والتحقير والتوريط..!

يعني الإلقاء بكل حواسه وأحاسيسه ومعانيه وأخلاقه في كل الأحوال والآثام والعار والنقائص والفسوق أو يعني اتهامه أو وصفه بكل ذلك بأنفسى من كل ذلك..!

فالمؤمنون به يحكمون عليه بكل ذلك أو يتهمونه ويصفونه ويمدحونه ويعيدونه ويصلون له بكل ذلك ظالمين أو مظلومين أو ظالمين مظلومين، ظالماً أو مظلوماً أو ظالماً مظلوماً..!

.. هذا الكائن إذن يا له من أخسر وأردأ كائن محاصر بأقبح وأنجع وأبلد وأقسى وأندل الظروف والحظوظ والتفاسير والأوصاف!..

لهذا هل يوجد محتاج إلى الإنقاذ العالمي مثل الإله لإنقاذه من إيمان الإنسان به ومن تصوراتهِ ورؤاه وأوصافه ومدائحهِ وعباداتهِ وصلواتهِ له وتحذنه عنه..

أو مثل الإنسان لإنقاذه من إيمانه بهذا الإله وبأي إله آخر؟

إن أي كائن لم يشوّه أو يعاقب أو يشتم مثلما شوّه وعوقب وشتم الإله بإيمان الإنسان به وعلاقاته به.. وإن أي كائن لم يعاقب ويشتم نفسه مثلما فعل الإنسان بنفسه كل ذلك بإيمانه بالإله وعلاقاته به..!

إنه لا شيء يجمع مثل العجز عن فهم ذلك!..

إن فلك الارتباط بين الإله والإنسان وتشديد أقوى وأعلى السدود والحدود والحواجز المغلقة أبداً والفاصلة بينهما كل معاني الفصل حيث لا يتلاقيان أو يتخاطبان أو يتعاملان أو يدري أحدهما بالآخر أو يذكره أو يتذكره أو يعرفه أو يصغه أو يشناق إليه أو يتمناه أو يعبه أو يطالبه بأن يعبه..

أو ما أقبح هذا عابداً وأقبح هذا معبوداً. ما أقبح العابد والمعبود..

- نعم، إن ذلك لو حدث لمن أعظم وأنفع الإنجازات العالمية الكونية التي لم يحاول قط تحقيقها ولا حتى التفكير في تحقيقها أو الحديث عن ذلك!.. ليت ذلك حدث. لماذا لم يحدث؟. إن فيه لكل الحماية لكرامة الإله ولكل حواسه وأحاسيسه ومعانيه من كل اعتداء وإيذاء وإزعاج وتعذيب وتوريط وتكليف وإهانة وتحديات فاجئة بل وصفعات ولطمات قبيحة!..

أما للإنسان فإن فيه أضخم الحماية لكل معانيه وليست الحماية كلها..

أتمنى أن أتحول إلى اعتذار إلى كل الآلهة عما فعله وأوقعه بها البشر بإيمانهم بها وبما عناه ويعنيه إيمانهم بها من تصورات وتفسيرات وعلاقات لا تقبل أو تغفر أو تحتل بأي مقياس من مقاييس العقل أو الأخلاق أو الشرف أو الجمال أو الفن أو الحب أو القدرة أو الرؤية أو المعاني الجيدة بل أو المعاني الرديئة جداً..

إن هذا الوجود لو حوكم أو قسر كله مجتمعاً كتلة أو صورة أو مسؤولية واحدة أو منطقاً أو تخطيطاً واحداً لكان محتوماً أن يجيء الحكم عليه والتفسير له بأنه كل القبح والدماة والسفاهة والجهالة والوقاحة والظلم والعدوان والفساد والمذابح والتعذيب والعبث والأخطاء والخطايا بل وكل الفسوق والفجور والزندقة والعار والافتضاح والجنون والخروج على كل العقول والمنطق والأخلاق والكرامة والنبل والوقار. وهل يوجد أو يمكن أن يوجد أي شيء من ذلك خارج هذا الوجود أو أي وجود؟ أليس الوجود هو كل هذا؟

إذن ماذا يمكن أن يكون المتهم بكل ذلك.. بأنه كل مريده ومخططه وخالفه وعاشقه والنائم المستوى فوقه بكل العظمة والكبرياء والمباهاة والإعلان عن النفس وبالنفس، مطالباً بأن تركع وتسجد

وتدل له كل الجباه والهامات والقامات والذوات والعقول والأخلاق شكراً وتمتعاً له على ذلك ولأنه كذلك ولأنه لم يوجد أو ير إلا في ذلك؟

كيف أمكن أن يوجد من يتصور كائناً يسميه إلهاً لئتهم بأنه هو صاحب هذا الوجود الذي ذكرت هنا بعض أوصافه ليذهب بعده ويسعده ويفرحه ويمتدحه ويتملقه ويرضيه لينال كل حبه وجزائه ومكافأته بأنهم له بذلك وإعلانه لاتهمه هذا بل وتعليمه وتدريبه لهذا الاتهام أنه أي بأنه هو وحده صاحب كل هذا الوجود والمسؤول عنه بكل وحدته وصفاته وبدائياته ونهاياته وأخلاقه وتفسيره وحوافزه وأهدافه أي هذا الوجود وبكل ماديته ومعنوياته؟

هل يطاق هذا الاتهام؟ هل يستطيع تحمله؟ هل يمكن أن يقبل أي كائن مهما كان قبحة وفحشه ونذالته وبلادته وهوانه وانفضاحه وطفيلانه وعدوانه أن يكون منهما به؟

إنه اتهام تهون وتصغر بل وتفقر أمامه كل الاتهامات؟

هل وجد أو يوجد غير الإنسان يحول كل الأوصاف القيحة الدميعة الرديئة البليدة الأليمة الفاضحة المرفوضة المشتومة المذمومة المهانة المهينة إلى أعظم الأوصاف.. إلى كل الأوصاف العظيمة لكي يصف بها إلهه.. لكي يجعلها ويعلمها ويفسرهما ويعلمها بأنها وعلى أنها كل أوصاف إلهه العظيمة؟

كم يستحق هذا المتهم بذلك أي الإله - كم يستحق من الرثاء والرحمة والإشفاق والإنقاذ والأسى عليه والدفاع عنه.. هذا المتهم المزعوم والمعلن والمعلم والمفسر بأنه المستحق لكل التآليه والتفديس والعبادة والشكر والإعجاب والتهنئة بل والحسد لأنه متهم بذلك؟

لقد كان المفروض والمطلوب والواجب أن يحول الإنسان كل إيمانه وتقواه وتدينه إلى اعتذار عن اتهامه للإله بذلك أي بأنه هو وحده صاحب هذا الوجود والمسؤول عنه لا أن يصنع من اتهامه هذا أفدح وأقسى وأخطر وأعجب إله يفرض عليه أن يهبه بكل المسكنة والهوان كل إيمانه وتقواه وتدينه ويستعيد بكل الإذلال لكل عقله وقلبه وذكائه وكرامته ورؤاه وأخلاقه ولكل معانيه وحتى لكل لغاته ومحاوراته ومخاطباته وعلاقاته..!

همني يا عقلي مزبداً من الغباء بل كل الغباء لكي أحاول الاقتناع أو حتى الظن بأن ما حدث في هذه القضية قد حدث أي بأن الإنسان قد اعتقد وآمن وأعلن أن كائناً عاقلاً قد أراد وخطط وصاغ وصنع هذا الوجود وأن هذا الكائن مستر أو مستلطي فوقه أي فوق هذا الوجود يراه ويرعاه ويرضاه ويعامله ويخاطبه بكل البهجة والسرور والإعجاب وأنه بهذا الاعتقاد والإعلان والإيمان يقدس ويعبد ويحترم ويرضي هذا الكائن ويشتري فردوسه وينجو من جحيمه..!

لنستسلم وتنبّد كل الاستسلام والتنبّد ولنصب بكل المعجز عن الرؤية يا عقلي لئلا تحترق ونحرقني بتفكيري في هذه القضية وتحديثي فيها وبمحاسني لها وبانفجاعي بها وبمساءلاتي عنها..

.. لتست يا عقلي، يا فكري، يا رؤيتي، يا مساءلاتي ومحاسباتي فإن الحياة لا تحب أن تقبل أو

تحتمل أو ترضى أو تعايش أو تسمجد أو يدافع عنها أو يشكر أو يمدح أو يعبد فاعلمها إلا بموت وخمود وصمت وغيبة العقل والتفكير والرؤية والمساءلة والمحاسبة.

.. لنهزم يا عقلي يا كل معاني الإنسان في كما هزمت كل العقول وكل معاني الإنسان في كل من يعايشون ويساكنون ويقسمرون ويقروون هذا الوجود بكل الإعجاب والانبهار والرضا والتعبد والصلاة والتأليه والتمجيد...

لنستمر أو تقترض يا عقلي شيئاً أي شيء من بلادة آلهة هذا الوجود لتنظر إلى وجهك ونفسك ولأنظر إلى وجهي ونفسي في المرأة والحيون التي تنظر بها وفيها آلهة هذا الوجود إلى نفسها ووجوهها وإلى كل شيء كان أو سوف يكون أو لن يكون..

لماذا يا عقلي شئت عليك الآلهة كل هذا الشح المعبذب الفاجع المتحول إلى حرائق في كل رؤاك وحساباتك وتفاصيلك ومعاملاتك واشترطاتك ومحاكماتك وتساؤلاتك.

- نعم، لماذا شئت عليك هذا الشح يا عقلي فلم تهيك أي الآلهة من بلاداتها وبلهها وسفهاها وهوانها وكذبها ودمايتها وقضائيتها التي وسعت وصاغت كل هذا الكون.

- فلم تهيك من ذلك ما يجعلك تتقبل وترضى وتسعد وتؤمن وتفرح وتعجب وترى كل القبح والدمامة والظلم والجهل والغباء والعبث والخطأ والضلال والعذاب والتعذيب والعار والجنون.

- نعم، وترى كل ذلك كل الجمال والعدل والعلم والذكاء والجد والصواب والهدى والسعادة والكرامة والعقل والمنطق والحب والتقوى كما وهبت الآخرين ذلك بكل السخاء والإغداق والإغراق والديمومة فجعلتهم يرون كل ذلك كذلك.. يرون كل شيء هذه الرؤية..

.. يرون في أدنى حشرة كل عقول وضماير وأخلاق وعقوبات كل الآلهة؟ لماذا يا عقلي لم تأت الآلهة فاهلة لشيء من العدل في تقسيمها وتوزيعها لبلاداتها وتبليدها وفي ابتلاعها لكل القبائح والفضائح والمخازي والآثام والنقائص والنشوهات والعامات والآلام وفي اشتهاها وخلقها لكل ذلك محاولة له إلى معابد وعبادات وديانات ونبوات وألوهيات وكميات وإلى كتب مقدمة تنزل وتحفظ وتنشد وتفسر وتعلم ويصلى بها ولها ومعادى ويحاسب كل شيء باسمها ومن أجلها لكي تخدم وتفسد وتخدع وتضل وتشوه وتضعف وتستعبد وتذل بل وتقتل بها كل عقول ورؤى وتساؤلات واشترطات وأخلاق وبسالة وكرامة وغضب الأكثرين بل الجميع ثم لتجعل أفراداً معدودين يحسبون شذوذاً وغرباء في كل مجتمعاتهم يقاسون من ذلك كل أهوال الانفجاء والاغتراب والاشمئزاز والاستنكار والاصطدام والرفض والمقاومة بلا أي معين أو تصير لا بشيء من معانيه ولا بشيء من عضلاته أو حتى من كلماته؟

ما أفسى عذاب من يتعذبون برؤى ومحاسبات وشروط وتفسيرات ومحاكمات عقولهم وأخلاقهم وضمايرهم ومعانيهم الإنسانية. لهذا ما أقل هؤلاء وأصعب أن يوجدوا..!

لقد جاءت الآلهة مأكرة.. مأكرة جداً في هذه القضية مع أنها أعجز الكائنات عن المكر الذكي

وأجهلها به بلا خلاف. لقد جاء أسلوب مكرها في هذه القضية إن جاءت شحيحة جداً في إيجادها لهؤلاء الذين يتعاملون ويتمدبون ويقرؤون ويفسرون ويحاسبون الأشياء بعقولهم ورؤاهم وأخلاقهم وضمايرهم ومعانيهم الإنسانية.. لأن هؤلاء لو جاؤوا الأكثرين لما وجدت من تعامل أو تخاطب أو من يعاملها أو يخاطبها أو يعترف بوجودها أعني الآلهة!

ماذا لو أن كل العقول والعيون والأخلاق والضماير والمشاعر جاءت متعاملة بطاقتها ووظائفها المزعومة والمطلوبة والمفترضة؟ هل كان يمكن أن توجد حينئذ كلمة: الله أكبر أو الله أعلم أو الله أرحم أو الله أكرم أو الله أحكم أو الله أقدر أو أقوى أو الله هنا أو كان هنا أو مر من هنا أو قد يمر من هنا؟

أو كلمة: ما أجمل هذا أو أفضل هذا أو أنفع هذا أو أعقل هذا أو أعدل هذا أو أشرف هذا أو أسعد هذا أو أحكم هذا أو أتقى هذا أو أعظم هذا؟

إن الإنسان يرى الشيء أو الوجود أو الكون.. براه ويعتقده ويعلمه جميلاً أو عظيماً أو عبقرياً أو نبياً أو منطقياً أو أخلاقياً أو مقبولاً أو معقولاً أو إلهاً أو براه ويعتقده ويعلمه ويفسره كل ذلك لا لأنه كذلك أو شيء من ذلك بل وهو نقىض وإهانة وتشويه وسب لكل ذلك ولكل شيء، ولكنه أي الإنسان يرى الشيء والوجود والكون هذه الرؤية ويعتقده ويعلمه هذا الاعتقاد والإعلان لأنه قد وجد ووجد فيه ومنه ولأنه قد حكم عليه بأن يساكنه ويعايشه ويعامله ويجده ويقراه ويفسره ويحيا به وفيه ومعه وبألا يجد أو يعامل أو يعايش سواه.. ماذا لو وجد الإنسان إلهاً وكوناً آخرين جاءا كما ينبغي أن يجيئا؟ ماذا يمكن أن يقول ويرى حينئذ في الإله والكون اللذين وجداه؟

.. بدون هذا التفسير هل كان ممكناً أن يعتقد أو يقول أي إنسان أو أي كائن آخر إن كل ما في هذا الوجود من حشرات ووحوش وآلام وأمراض وأوبئة وتشوهات وعاهات وموت وجرائم ومجرمين وجنون ومجانين وظالمين ومظلومين وكفر وكافرين وعدوان ومعتدين وسفالات ونزالات وتناقضات وجهالات وبلادات وعداوات وعبث وعار وافتضاح وخزي وسقوط ونهايات قبيحة مدمرة - أن يقول ويعتقد ويعلم أن كل ذلك ليس إلا شيئاً من أعظم وأجمل الصيغ والصور والتفاسير والأزياء والمعارض للحكمة ورحمة ومحبة وقدرة وعبقرية وفنون أعظم إله، بل وأن كل ذلك ليس إلا أعظم وأقوى الدعاة إلى الإيمان بهذا الإله وبأنه كل الجمال والحب والرحمة والحكمة والقدرة والعبقرية والشهامة والكرامة والإحسان والتفضل، وأن كل الأديان والنبوات والكتب المقدسة إنما جاءت لتعلم ذلك وتدعو إليه وتبشر به؟

لو أن هذه الآفات والفظائع التي لا حدود لقبحها وفحشها وخروجها على كل المعقول والمقبول لم توجد فلم يتدرب الإنسان على رؤيتها ومواجهتها ومعايشتها ومعاملتها والتعامل بها.

- لو أن ذلك لم يحدث فهل كان يمكن أن يتصور أي الإنسان أن أي كائن قد يريدها أو يدبرها أو يفعلها أو يخلقها أو يقبلها أو يغفرها مهما كان نخب وجهله وعجزه وهوانه ونذاته وفجوره

فكيف يتصور أن فاعل ذلك هو أعظم إله يستحق أن تهون وتذل وتركع وتسجد له كل الهامات والقامات والجباه والعقول والأخلاق شكراً له على ما فعل؟

ماذا لو أن الإنسان لم يجد الإله كما وجده أو كما اعتقد وقيل له إنه وجده بكل أوصافه وأخلاقه التي يفترها ويصورها ويعلن عنها هذا الوجود فلم يرض عقله وأخلاقه وحياته وكل شيء فيه على التعامل معه والرضا به وعلى تفسيره أعظم وأجمل التفاسير.

- نعم، ماذا لو أن ذلك لم يحدث؟ أليس محتوماً حينئذ أن يصاب بكل الصدمات والفواجع النفسية والعقلية والأخلاقية والفنية لو عرض عليه شيء من تصور هذا الإله ومن صوره المعلقة والمعروضة والمرسومة والمنحوتة فوق وداخل كل شيء في هذا الكون؟

إنه لو لم يوجد أي شيء أو أحد مما وجد ثم تجمعت كل العقول والتصورات والتمنيات والمواهب الفنية والإبداعية لتتصور أي شيء ترضاه وتقبله وتصممه وتخلقه لما أمكن أن تجد هذا الشيء في هذا الوجود الذي وجد حتى ولا في تصورهما. إنها حينئذ لن توجد شيئاً مما وجد أو مثل شيء مما وجد حتى ولا الإله ولا الملائكة ولا الأنبياء لأنها لن تستطيع تصوره فكيف تستطيع أن تقبله أو ترضاه أو تخطئه وتخلقه؟

إن كل شيء في هذا الوجود.. كل شيء قد وجد حتى الآلهة والأنبياء وسكان السماء خارج بكل صيغه ومعانيه وأهدافه وحوافزه وتفسيره وبداياته ونهاياته على كل المقاييس والنماذج والعقول والتمنيات والاشتراطات والجمال والتفاسير بل وشاتم محقر فاجع لها..

لقد حكم على العقل بأن يكون خارجاً على العقل وضد العقل وبأن يكون مفسراً ومؤيداً لما هو كل الخروج على العقل ولكل ما هو مضاد لكل العقل..

لقد حكم على العقل بأن يجيء محكوماً في صيغة حاكم، مهزوماً في صيغة متصور، مأموراً في صيغة أمر، أعظم كاذب في صيغة أعظم صادق، أذل مستعبد في صيغة أعز وأقوى وأعظم وأنبأ حر محرر..

إذن هل يوجد أو يتصور أذل أو أخسر من العقل؟

إن الحاساة أن أقوى وأعظم ما في هذا الوجود يتحول إلى أخسر وأضعف ما فيه.. أليس العقل كذلك؟ أليس الإله كذلك؟

إنه لا شيء كالعقل تحول إلى كل الهوان والاستعباد والتزوير والتضليل والخداع والانخداع وإلى تقبل وتفسير ما لا يمكن تقبله وما لا تفسير له.. تحول إلى تفسير لأقبح وأردأ وأغبي وأنذل الأشياء بأجمل وأذكى وأعظم وأنبأ التفاسير..

إنه لم يسخر مثله ليكون ضد نفسه وعدو نفسه ومحقر نفسه.. إن أي شيء لم يخضع ويروض نفسه ليكون كل الخروج على نفسه وكل الإذلال لها مثل العقل..

إنه لا يوجد محتاج إلى إنقاذه من نفسه مثل من يفترض فيه ويطلب وينتظر منه أن يكون هو

كل الإنقاذ والمنقذين أي مثل العقل.. إنه لا يساوي العقل ويفوق عليه في هذه القضية غير الإله..!
ما أتمس حظوظك وأفسى ورطتك أيها الإنسان إذا كان المرجو الوحيد لإنقاذك أي عقلك هو
أول ما يحتاج إلى الإنقاذ فيك..! إنك أيها الإنسان لا تستطيع أن تهتدي إلا بعقلك الذي هو كل
ضلالك.. كل قادتك إلى كل ضلالك.. الذي هو كل مفسر ومسوغ ومشزع ومسجد لكل
ضلالك..!

إذن أيها الإنسان هل يكفي كل الرثاء أن يكون شيئاً من الرثاء الذي يجب لك؟
إن الإنسان لا يرى لأن له عينين، ولا يسمع لأن له أذنين، ولا يرحم أو يعطف أو يحنو لأن له
قلباً، ولا يحس لأن له مشاعر وأحاسيس، ولا يهتدي لأن له ديناً، ولا يحترم الآلهة ولا معاني الآلهة
لأن له إلهاً، ولا يلتزم بشيء من معاني التعبّد والصلاة والإيمان لأنه يتعبد ويصلي ويؤمن..
إن الإنسان خارج على كل معاني الإنسان ومضاد لها لأنه إنسان..!

كما أنه لا يعقل لأن له عقلاً.. كما أنه مضاد للعقل وخارج على كل العقل في كل رؤاه
وعقائده واقتناعاته وأديانه وتفسيره لكل شيء لأن له عقلاً.. إنه ليس كذلك مع أن له عقلاً بل هو
كذلك لأن له عقلاً..!

إن ما هو مفروض أن يكون سبباً للشيء وصانعاً للشيء قد أصبح ضد الشيء ومانعاً من كينونة
الشيء..

إن المشكلة الصعبة التي لا علاج لها أنه لا يوجد خارج العقل أو الكون من يصححه أو يعلمه
أو يحاسبه أو يحاكمه على أخطائه وخطاياه أو من يحميه ويمنعه منها أو يفسرها ويعددها له أو يذله
عليها كما لا يوجد خارجه نموذج يقلده أو يناقسه أو يتعلم منه أو يهتدي به أو يسأله أو يهدده لكي
يحاول أن يكون أعظم أو أعلم أو أعقل أو أقوى مما كان لئلا يسبق ويقهر ويهزم ويصبح متخلفاً عن
مسابقه..!

لقد جاءت النتيجة هنا قبيحة وأليمة ورديفة مثل النتيجة التي جاءت من كون الإله واحداً
ووحيداً لتكون ذاته هي كل رؤاه ومثله ونماذجه وأشواقه وتطلعاته وأفراحه ومبارزته ومنافسه ومعلمه
وكل فنونه وقراءاته وقدراته ومبارياته بل وكل آبائه وأبنائه وأزواجه وعشيقاته ومحظياته وكل محاوريه
وواعظيه ومحرضيه وناقديه ومهذبيه ومحاسبيه ومحاكميه.. ليكون ويظل كما يصوره ويرسمه ويعرضه
هذا الكون السخيف الأليم الفاجع الخارج على كل الحسابات العقلية والأخلاقية والفنية..!

لهذا كان محتوماً ألا يتخطى أو يغير أو يصحح أو ينقذ ذاته أو أن يجد أو أن يرى فيها أي
عيب أو نقص أو قبح أو ضعف أو خطأ أو تشوّه أو عدوان أو عبث أو سفه مهما كانت كل ذلك..
كما كان محتوماً ألا يحاورها أو يسألها أو يحاسبها أو يحاكمها ليعاقبها ويصنحها أي ذاته مهما
استحققت كل المساءلات والمحاسبات والمحاكمات والعقوبات..!

لمت آلهة كثيرين جاؤوا متبارين متنافسين متسابقين متخاصمين متحاورين متحاسدين ليصنح
ويعلم ويرهب ويحرك بعضهم بعضاً..

.. أليس ذلك أفضل وأنفع وأقوى من إله واحد جامد، جامد كما رأينا ووجدنا وجربنا وخسرنا وفجعنا؟

ماذا لو لم يكن للبشر في كل أحقاب وجودهم إلا حاكم واحد وقائد واحد وعالم واحد وفيلسوف ومفكر واحد ومبتكر واحد وشاعر واحد وكاتب واحد وعقل واحد وقلب واحد؟
أليس أشنع وأخطر وأردأ من هذا ألا يكون لهم ولكون ولكل شيء إلا إله واحد وخالق واحد بصيغة وولادة واحدة.. بطفولة واحدة وعمر واحد لا يتخطاهما إلى الشباب أو الرجولة أو الكهولة أو إلى تبديل أو تغيير أي شيء فيه؟

الإله طفولته وبدايته هي كل أطوار وجوده.. كيف قبل أو حدث هذا؟
حتى المرأة أنه لم يصنع أو يستورد أو يسرق أو يقتصب لنفسه امرأة لكي يرى بها شيئاً من ذاته ووجهه..!

ولعل الاعتقاد بوحدانية الإله إنما أوحى به وأسلته وعلمته وحدانية السلطان والمخلقة والقائد والحاكم وشيخ القبيلة ورب الأسرة المتوارثة المتأصلة المنفذة وكذلك رغبة كل إنسان أو كل كائن في أن يكون وحده الأقوى والأعلم والأكبر والأجمل والأشهر والأمر الناهي المطاع المقدس المحكم المرجوع إليه وحده لا شريك له ولا ند ولا مثل له.

أليست الرغبة في هذه الوحدانية أصالة إنسانية وتاريخاً إنسانياً؟

لقد حوّل البشر أنانياتهم ورغباتهم وسفاهاتهم وكبرياءهم وقبحهم إلى تصورات وأوصاف للإله ولهذا جعلوه مثلهم يحب ويكره.. يرضى ويفضض.. يريد ويشتهي ويتكبر.. يفرح ويحزن.. يصادق ويعادي.. يحاسب ويحاكم ويعاقب ويقسو في ذلك.. يمدح نفسه ويمجدها.. يطالب بأن يمدح ويعبد ويسجد ويركع ويصلي له ويرشو على ذلك ويعد بالرشوة عليه بل ويجن ويصغر ويخف جداً رغبة في ذلك ومطالبة به.. ويذوب إعجاباً ورضاً وحجاً ومدحاً لمن يفعلون له وبه ذلك حتى ليصنع الفردوس بكل حورياته وغلمانته وثفاهاته رشوة لمادحيه..!

إنهم يرون الإله كذلك.. كل يرى إلهه كذلك لأنهم هم كذلك أي يريدون لأنفسهم ذلك..

لقد فسر المؤمنون إلههم بأصغر ما في أنفسهم وأخلاقهم من تقاسير..!

ولعلمهم لم يحرموه أي الإله من أن يكون له زوجة أو ولد أو أي قريب أو رفيق أو رفيقة إلا عوقاً على وحدانيته من المنافسة أو المشاركة أو الضعف أو الاتهام بذلك..!

كيف يترهونه من أن يكون له زوجة أو أبناء أو أقارب وهم يمدحونه ويصفونه بأنه يبتغى ويحقد ويتنقم ويسكر ويخدع ويكيد ويعاقب ويرشو ويطلب بالمديح ويجن فرحاً بالمديح والمادحين ويرسل الرسل وينزل الأديان والكتب المقدسة لتعليم مديحه ويحترق غضباً وغيرة من أية لغة من لغات المنافسة والمشاركة؟

.. كيف يترهونه من الأبناء والآباء والأقارب والزوجات بل والعشيقات وهم يرون أنهم يمدحونه

ويمجدونه ويعبدونه باعتقادهم وإعلانهم وتعاليمهم بأنه هو وحده المريد والمدير والمخطط والخالق بكل الرضا والإعجاب لكل هذا الوجود ولكل ما فيه ولكل من فيه؟ مريد ومخطط وخالق هذا الوجود كيف يمكن أو يجوز تنزيهه من أي شيء رديء أو قبيح أو بليد؟

.. لثمت كل العيون والآذان والعقول والأخلاق والضمائر والقلوب والمحاسبات بل والتذنين والتقوى والزهادة لئلا ترى أو تسمع أو تفهم أو تعرف أو تحاسب أو تسأل أو تسائل أو تصرخ، تصرخ أو تعلم أنها مركبة في الإنسان وأن كل انتماءاتها إلى الإنسان وأنها كل أسجد الإنسان وأن كل أمجادها بانتمائها إلى الإنسان الذي تصور وأراد وخطط وخلق هذا الإله والذي تصوره وأراد وخططه وخلق وصاغه هذا الإله..!

أيها يستحق الرثاء أكثر: الإنسان الذي أراد وخطط وأخرج هذا الإله أم الإله الذي أراد وخطط وصاغ هذا الإنسان؟ أيها يستحق أنسى العقاب؟

كيف قبل أو يقبل أي كائن أن يكون خالق الإله أو خالق الإنسان؟

هل الإله جناية إلهية على الإنسان أم هو جناية إنسانية على الإنسان وعلى الإله.. على اسم الإله؟

إن كان الإله هو الذي أوجد الإنسان كما أوجده وكما وجد فهل يستطيع حينئذ تصور عقاب يكفي عقاباً للإله؟

وإن كان الإنسان هو الذي أوجد الإله ليجعله متهماً بكل شيء ومسؤولاً عن كل شيء فهل يوجد مثله في قبح وبلادة وضخامة تزويره وجنائه على نفسه وعلى هذا الإله.. على اسم هذا الإله؟

إن المجني عليه في هذا الافتراض هو الجاني أي هو الإنسان وأيضاً هو اسم الإله..!

وأي الافتراضين أقل قبحاً وإبذاً وأهوالاً في النتائج؟

إن البشر لم يعتدوا ويخسروا ويقبحوا ويخطئوا أو يلدروا ويجهلوا ويكذبوا ويأثموا في أي تصور أو ابتكار من تصوراتهم وابتكاراتهم في كل أطوار وخطوات وجودهم مثلما فعلوا في تصورهم وابتكارهم للآلهة ولأوصافها وأخلاقها ومنطقها وحياتها ولكل صيغ وتفسير وجودها وبقائها وطلبائها ورغباتها وأرباحها وخسائرها أي الآلهة والأرباح والخسائر منها وبها..!

هل تستطيع كل ابتكاراتهم أن تكون كفارة عن هذا الابتكار؟

.. إن هذا التصور والابتكار لهما أفسى وأشمل تفسير التحقير والتهوين والتعذيب والتوريط والتجهيل والسباب للمتصور المبتكر ولما تصوره وابتكره أي للآلهة.. إن مواهب ومزايا وعبقريات الإنسان لم تهين وتحقر وتشتم مثلما أهينت وحقرت وشتمت بهذا التصور والابتكار..!

إن كل العزاء لمن وقع عليه هذا التصور والابتكار وأوقعا به أنه لن يعلم أن أحداً قد تصوره أو ابتكره أو يتصوره أو يبتكره لأنه لم يحضر ولن يحضر ليعلم ذلك أو غيره..!

إنها لا توجد تهنة تساوي في إنفاذها وصدقها ونفعها تهنة الآلهة ببراءتها من تصور وابتكار من تصورها وابتكروها.

.. ببراءاتها من اتهامها بأنها قد وجدت في ذاتها مهما وجدت في تصور المتصورين الغائبين عن عقولهم وأخلاقهم ورؤاهم ومحاسباتهم وضمائرهم أي المفترضة فيهم ولهم والمطلوبة منهم وفيهم أي لو وجدت وأعلنت وصدقت ونفذت هذه البراءة..!



نعم، إن الآلهة هي الكائنات المتفردة في شذوذها وخروجها على كل التفاسير والحسابات.. إنها الكائنات التي لا يمكن تنزيها وتبرئتها من أي قبح أو فحش أو إثم أو ظلم أو خطأ أو خطيئة أو جهالة أو بلادة أو عبث أو سفه أو عدوان أو قتل أو سرقة أو من أن تكون كل ذلك وفاعلة لكل ذلك إلا بتنزيها وتبرئتها من وجودها.. إن الآلهة هي الكائنات التي وجودها هو الأخطاء والخطايا كلها..!

إنها لا أخطاء ولا خطايا بلا آلهة ولا آلهة بلا أخطاء وخطايا..!

.. إنه لفاجع ألا يعلم كل مؤمن بأي إله أنه يتهم إله بكل هذه الشرور والقبائح والفظائع ويراه ويعتقده ويعلمه هو وحده فاعلمها كلها بكل الكبرياء والإعجاب والفرح والفخر والامتنان والرضا عن النفس لما فعلت وتفعل، وأن كل الفاعلين الآخرين ليسوا إلا أعضاء وصوراً وصيغاً ولغات وأزياء وأنبياء وأطفالاً وأمعاء وأصواتاً وجلادين له أي للإله، أو ليسوا إلا موظفين بالإكراه عنده يؤدون وظائفهم بالإكراه كما أراد وأحب وخطط وقرر وعرف وفعل بلا أي عصيان لإرادته أو تخطيطه أو تصميمه أو تدبيره أو تقريره أو علمه أو حكمته مهما كان العصيان للفتنة، أي لأوامره وتعاليمه التي لم يكن يريد لها أن تطاع بل أن تعصى..!

.. إن أي عصيان وكل عصيان لأي إله لن يكون إلا عصياناً للفتنة وتظاهرة لا لمطلقه أو رغبته أو خطئته أو مشيئته أو لمبقرته. إن أبشع المعاصي والمظالم والموبقات هي كل الطاعة والاستجابة والتسجيد والإرضاء لحكمة الإله ومنطقه وإرادته وشهوته. إن جميع أوامر وشرائع الإله التي لا تطاع ولا تنفذ ليست إلا تمثيلاً بليداً أليماً يشترك في تأليفه وإخراجه وتمثيله الإله والأنبياء والفقهاء والسلطين المستطون وأصناف أخرى.. إنها تمثل دون أن تراد أو يراد أن تطاع أو تنفذ، بل المراد أن يطاع وينفذ نقيضها..!

الإله يحشد وينزل ويؤلف الأنبياء والأديان والكتب المنزلة لكي يطاع ويعبد ويفعل كل ما يأمر به وهو في السر والعلن يحشد كل طاقات مكره ودعائه مريداً ومخططاً ومصمماً ومنفذاً أن يعصى كل العصيان وأقبح العصيان.. ينزلها ويؤلفها ويوظفها لكي تدعو إلى ما ترفض وتمنع أخلاقه وقوانينه ونظامه وكل معانيه وأجهزة مخابراته أن يكون..! هل يمكن أن يوجد أو يتصور تمثيلية هزلية قبيحة بليدة تهبط إلى مستوى هذه التمثيلية التي أبطالها الآلهة والأنبياء والزعماء والحكام والقادة ومفترو الأديان والصوفى العقول والأخلاق وغيرهم وغيرهم؟

قاتل كل الأحياء وخالق كل القتلة والمريد المخطط المدير الميسر الملهم الدافع لهم ليكونوا

قتلة..

والمهندس المقدر المقرر لكل الأخطاء والخطايا والآثام والآلام والشور ولكل فاعليها لتكون ويكونوا كما كانت وكانوا..

والسيد الفرح الراضي عن عبقرته ومهارته بأن يكون ذلك كذلك..!

.. هذا الكائن يرسل الأنبياء وينزل ويعلم ويشزع الأديان والشرائع بكل الحماس والغضب والإرهاب والإغراء والتهاويل لتنهى وتمنع وتحمي وتعصم من كل ذلك ولتهدد وتوعد بكل العقاب والعذاب بأقصى الأساليب كل من يفعلون ولو بنياتهم أو شهواتهم أو حواسهم شيئاً من ذلك؟ أليس خيراً للعقول ألا توجد إن كان محتوماً أن تعرف ذلك؟

أليس من الأسمر والأفضل والأنبل بل والأقوى والأثقى والأذكى للعقول ألا توجد وألا تقبل أن توجد إن كان محتوماً أو حتى محتوماً أن تعرف هذا الكائن أو أن تتصوره أو أن تؤمن به أو أن تكره على الإيمان به أو أن تعلم الإيمان به؟

هل يمكن تصور فضيحة أو إهانة أو مهانة أو هزيمة للعقول مثل ذلك أي مثل أن تتصور هذا الكائن أو أن تؤمن به أو أن تكره على الإيمان به أو أن تعلم الإيمان به؟

وهل وجد هذا الكائن؟ ومن وجده؟ وهل يمكن أن يوجد أو أن يجده أحد من الباحثين عنه أو المتصورين له أو المؤمنين به أو من الدعاة إلى الإيمان به؟

أليست كل القوانين والنظم والأخلاق والشرائع والتعاليم الطبيعية والكونية والدينية والإنسانية والعقلية ترفض وتمنع وتشتم تصوره وتصور وجوده فكيف تقبله أو تقبل الإيمان به أو الدعوة إلى الإيمان به أو التمجيد له؟

إن أي شيء أو أحد لم يهن أو يحقر نفسه أو يسيء إليها أو يشتتها مثلما فعل العقل بنفسه في هذه القضية وفي قضايا أخرى..!

بل لكل كل شيء وكل أحد لم يفعل بنفسه شيئاً من ذلك ويفتره تفسيراً جميلاً وذكياً ومقبولاً بل وعقرياً لولا العقل.. لولا تفاسير العقل ورؤى العقل وتعاليم العقل وضلال العقل..!

لهذا جاء الكائن صاحب العقل أو المصاب بالعقل هو أكثر الكائنات قبحاً وفحشاً وسوماً وخروجاً على العقل وتشويهاً وهجاءً وتعدياً ومقاومة وإذلالاً للعقل..!

إنه لا شبهة لجنابات العقل ولا لفضائحه وقبائحه وبلاداته وأخطائه وتزويره وكذبه وتشويهه وتوريطله، وإذلاله وذلك حين تصور هذا الكائن كما تصوره ثم آمن به ودعا إلى الإيمان به وفتره وعلمه وزور البراهين والتفاسير على وجوده ونصبه فوق هذا الكون وفوق كل شيء ووجده ورآه داخل كل شيء.. داخل ذات وحياة وأخلاق وقلب وضمير وطنين كل حشرة وجروثمة وقبح وعاهة وتشوه وتأوه وأنين ودمار وخراب ووباء وشيخوخة ونهاية كتيبة رهيبة..

.. وحين أعلن وفتر وجعل أي العقل كل هذه الآفات والسيئات والفظائع الجنونية هي أجمل وأنبل وأرحم وأحكم وأصدق وأبلغ وأسحر وأثقى صور وصيغ وتفاسير هذا الكائن أي الإله وأحاديثه إلى نفسه وعن نفسه وإعلاته عنها وعرضه لها..!

.. وحين رآها واعتقدتها وأعلنها كل ضمير وعقل وقلب وأخلاق وعقوبات وشاعريات وفنون ولعب ومسلاة وملهاة وعبادات وصلوات هذا الكائن أي الإله..

أليس العقل وحده هو الفاعل لكل ذلك وهل تورط في أي شيء من ذلك أي كائن لم يصب بالعقل؟

إذن أيها العقل هل تستطيع حسناتك أن تغفر سيئاتك أو أن تتكافأ أو تتنافس معها أو أن تتحول إلى شيء من التكفير أو الاعتذار عنها أو عن شيء منها؟

إن الكائنات الموصوفة بالعاقلة كائنات قد أصيبت بالعقل ولم تكرم أو تثب أو تشرف أو تترف به. إنها مصابة لا مثابة وموزطة لا مكرمة ومعذبة لا منعمة أو معززة ومقسو عليها لا مرحومة أو محابة ومفتضحة متعرة مملوثة مملنة عن ذلك لا مسترة أو متوقرة أو متطهرة أو صامطة عن ذنوبها وعيوبها.. عن فضحها وكشفها وإعلانها..!

.. إنها أي الكائنات الموصوفة بالعاقلة متعادية متباغضة متلاعنة متصافعة متبارزة متباعدة متقاتلة بمذاهبها ونظمها وآلهتها وأديانها وقومياتها وأعرافها وتاريخها وأوطانها وانتماءاتها التي ابتكرتها ورسختها وخلدتها لها وفيها عقولها..

وليست متحاببة أو متصادقة أو متعاطفة أو متحانية أو متسالمة أو مسالمة أو متعاونة معها تصافحت وتعانقت وتحالفت وتلاقت وورقت المحالقات والصدقات ولعنّت الحروب والمداوات والخصومات بكل لغاتها ومؤتمراتها..!

إن كونها كائنات عاقلة هو الذي أوقع وفعل بها كل ذلك..!

حتى جحيم الأنبياء بكل أهواله المتفوقة على كل تصورات كل جنون وحتى غضب الآلهة.. حتى هذا وحتى هذا إنما تصوّرهما وابتكرهما وصاغهما وحزّض عليهما وقاد إليهما وأهل لهما العقل..!

.. الجحيم وجيروت الآلهة بكل أهوالهما ليسا إلا إحدى هبات العقل..!

ما أبشع إذن هباته، ما أبشعها وأفجعها بل وأردأها..!

.. إنه لم يكن ممكناً أن يكون أو يوجد أو حتى يتصور لا هذا ولا هذا لولا العقل أو لولا الكائن الموصوف بالعقل أو المتهم بأنه الكائن العاقل في هذا الكون المرئي المعروف..!

إذن ماذا يمكن أن يقال عما أوقعه العقل بالكائنات الموصوفة بالكائنات العاقلة أو بالكائن الوحيد الموصوف بالكائن العاقل؟

.. إن العقل هو معلم كل الزندقات.. إذن هل يوجد مخرب ومفسد ومجرم ومضلل في حساب المؤمن مثل العقل وإنه لن يوجد زنديق واحد لولا العقل، إذن كيف يمكن أو يجب أن يرى المؤمن العقل؟

إن العقل هو مبتكر ومعلم وملقن وفارض كل الآلهة والأديان والمعتقدات الغيبية والنبوات بكل

أثقالها وأحقادها وإرهايها وإذلالها واستعبادها وخداعها وأخطائها وأوهامها وتكالييفها وخسائرها والخسائر بها وبكل ما فيها من قدرة على التشويه والتعويق..!

إذن هل يوجد عذر للحياة في حساب الحياة مثل العقل؟

إنه لولا العقل لما وجد أحد أو شيء من ذلك أو من هؤلاء أي من الآلهة والأنبياء والأديان والعقائد والتصورات الغيبية التعبدية..!

إذن هل تستطيع الحياة أن تحصى الأخطاء والخطايا والخسائر والآلام والكوارث والفضائح التي أوقعها بها العقل؟

والمفترض ألا أكون محتاجاً إلى أن أفسر ما المراد هنا بالعقل أو بالكائن الموصوف بالكائن العاقل..!

ولعل العقل هو الشيء الذي تتعاضد وتتغير أخطاره وإرهاقه وإرهايه وعجزه وتعجزه وذله وإذلاله بل وجهله وتجهيله بقدر ما تتعاضد وتتغير ابتكاراته وإنجازاته وتحليقاته وطاقاته وأسفاره في كل الكون وفوق الكون بل وخارج الكون.. إن تحليقه العالي تحليق للمخاطر والمخاوف والمتاعب الموقعة به وبالإنسان وبالحياة..!

إن العقل هو الكائن الوحيد الذي تتحول ابتكاراته وإنجازاته الرائعة المذهلة إلى أثقال وأعباء وتبديد وتشبث وترويع وتشويه وتضليل وإزعاج وحيرة لرؤى وأخلاق وأفكار وحسابات وخطوات ومعتقدات وأديان وسلام وإعجاب ورضا الإنسان والحياة. إنه أي العقل بقدر ما يعطي يحاسب ويعاقب ويطلب ويتفنن في ابتكار المتاعب والهموم..!

.. إن ابتكارات وإنجازات وتحليقات العقل تحول الكائن المصاب بالعقل من كائن يعيش داخل ذاته ومع ذاته وفي حدود ذاته في توافق بلا أي تصادم أو مشاكل إلى كائن يعيش ويتحرك خارج كل الحدود.. حدود ذاته وحدود الكون وحدود كل شيء وحدود ما ليس شيئاً بكل التصادم والتناقض والمعاناة والخوف والقلق واللاهث والركض الدائم وراء ما لا يعرف أو يوجد أو يربح أو يرضى أو يخفف من اللاهث والركض..



.. أيها العقل، أرجوك وانتظر منك ألا تغضب أو تفجع أو تنزعج.. إنني لست لك معادياً أو خصماً.. إنني لا أستطيع ولا أريد أن أكون ذلك. إن ما قلته لك وعنك ليس إلا شيئاً من حرارة الصداقة والمودة والإشفاق..!

إنني لست أنا المتهم أو الناقد لك بما وجهت إليك هنا بل أنت الناقد المتهم لنفسك. لقد نقدتك واتهمتك بك.. لقد نقدتك واتهمتك بالعقل.. بعقلي. إذن فالعقل هو الناقد المتهم للعقل. إنه لولا العقل لما وجد منقود منهم ولا ناقد منهم. إنك أنت القاضي الذي حكم وأنت المحاكم الذي حكم عليه. أما أنا فلست موجوداً هنا..

إنك أيها العقل أنت الطيب وأنت المريض في هذه القضية..

.. أنت المريض الذي يرجى ويطلب منه الدواء والشفاء.

إني مع قسوة هذا الهجوم عليك أيها العقل لأتسنى وأطالب أن تتعاضم عقولنا حتى تصبح معرفتها لهذا الكون ولكل كون ولكل شيء ولكل الآلهة أسهل عليها من تعلم وقراءة حروف أية لغة سهلة بسيطة..!



ولكن أيها العقل هل أنت فاعل أم مفعول، مفعول بك؟ هل أنت فاعل لوجودك ولأخلاقك وخصائصك ووظائفك وأفعالك أم مفعول بك كل ذلك؟ هل أوجدت وجودك كما جاء أو اخترته أم أوجد بك وأوجدت به دون أن يكون السؤال: أر أوجد لك أو أوجدت له فأنت لم توجد له وهو لم يوجد لك..؟! إنه لا تدبير ولا تفسير لوجودك..!

.. هل الأشياء توجد نفسها أم تكون نفسها.. أم تتكون فيها نفسها وتتكون في نفسها؟ هل يمكن أن يوجد أو حتى يصنع أي شيء نفسه أو أي شيء من خصائص وأوصاف نفسه؟

هل الوجود تكون وكيّنونات أم إيجاد وتكوين؟ حتى ما يبدو أنه إيجاد وتكوين أليس تكوناً وكيّنونة لا إيجاداً ولا تكوناً؟ إنه لو كان الشيء يوجد نفسه لكان المعنى أنه يوجد قبل وجوده قبل وجود نفسه..!

حتى إيجاد الشيء لغيره إنه لا يمكن أن يكون. إن الشيء بل كل الأشياء توجد أي تكون وتتكون كيّنونة وتكوناً تتولد وتكون وتتكون منهما الأشياء لتبدو العملية كأنها إيجاد وتكوين وخلق وإبداع.. إنها حيل وولادة لا خلق ولا إبداع ولا إيجاد ولا تكوين.. إن كل شيء ليس إلا ولادة وتولداً حتى الآلهة وحتى الإيجاد والخلق والإبداع والعقريات ولادة وتولداً.. إن الولادة ليست إيجاداً ولا تكوناً ولكنها تكون وكيّنونة، وكذلك كل ما تفعله أو يبدو أنها تفعله كل وحدات هذا الكون والطبيعة وكل ما تفعله العقول والعقريات الإنسانية، وأيضاً ما تريده وتديره وتخلقه الآلهة إنه تكون وكيّنونة وليس إرادة أو تدبيراً أو تخطيطاً أو خلقاً..!

إن الآلهة لا توجد إرادتها أو تدبيرها أو أفعالها ولكن تلدها وتولد فيها..!

أليست الآلهة قد تكونت وكانت بكل ذواتها وصفاتها وأفعالها وأهوائها ومجاعاتها ولم تكن أو توجد بأية إرادة أو خطة أو حكمة أو تدبير أو تخطيط أو قدرة أي إن كانت قد جاءت؟

.. إنها بعد وجودها لو وجدت لا تحتاج إلى أن توجد أو تصنع أو تخلق أو تكون وقبل وجودها أو بدون وجودها كيف يمكن أن تفعل شيئاً من ذلك؟ إن الفاعل لا يفعل ولكن وجوده يكون ويتكون بصيغ الفعل والأفعال. إن الفاعل يفعل أفعاله بالقانون الذي يكون ويتكون به ذاته أي الذي تكون وتتكون به ذاته. إن الفاعل يفعل ما يفعل بالقانون الذي يفعل به ذكائه وإرادته وعيقرته وقدرته وصفاته ذاته وأعضائه..!

إن عبقريات الكائن وقدراته وإراداته وصفاته حبل وولادة وليست إبداعاً أو تكويناً أو تخطيطاً ومثل ذلك كل أنعماله، وكذلك كل ما يتولد عن عبقرياته وإراداته وطاقاته وصفاته.. إذن فإن كل شيء في هذا الوجود وفي كل وجود لا يوجد أو يفعل أو يخلق أو يراد أو يخطط وإنما يكون ويتكون أي في الرؤية الشاملة البعيدة المحاسبة المحصية مهما كانت كل الاعتقادات والاقتناعات والحسابات بل والبداهيات غير ذلك بل نقيض ذلك أي تقول وتعلم نقيض ذلك.. هل النهر أو السحاب يوجد أو يفعل أو يخطط أم يكون ويتكون؟ أليس كل شيء كذلك؟

.. هل يعجز أحد عن فهم ذلك حتى الآلهة هل يمكن أن تعجز عن فهمه أو تحتاج إلى من يجعلها تستطيع فهمه مهما كان عجزها عن الفهم.. عن فهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟ أليس كل عاجز عن الفهم إنما فرض عليه عجزه هذا عجز آلهته؟ إن عجز الكائن يعني عجز من تكون منه أي عجز من ولده أو بصقه أو خلقه في اللغة الشائعة..!

.. أيها العقل إنه لمطلوب منك ألا تقاسي أي قدر من الاستحياء أو الانقباض أو الانهزام.. إن القضية هنا ليست إلا تساؤلاً أو تحاوراً أو تخاصماً أو تقائلاً أو تلاوماً وتعاتباً بين العقل والعقل.. بين العقل ونفسه ليست بين العقل وأي خصم آخر..! إنه لا وجود هنا لغير العقل في هذه المعركة..!

إن من أكبر أخطائك وخطاياك أو كل أخطائك وخطاياك أو الأخطاء والخطايا المسقطه عليك المتهم بها أنت أيها العقل أنك أبدأ في كل خطواتك وقراراتك وشجاعاتك واقتناعاتك ومحاوراتك ومخاضاتك ومبارزاتك وعداوتك وصداقاتك وإيمانك وكفرك وحربك وسلامك ورضاك وغضبك وإعجابك وانفجارك ونشاطك وخمولك وحرارتك وبرودتك وتقواك وفجورك.

- إنك في كل ذلك لم تكن ولن تكون إلا عبداً مأموراً مطيعاً مسخراً مستعبداً لغير نفسك.. لغير معانيك بل مذلاً وشامتاً وعاصياً لنفسك ولكل معانيك المزعومة والمعلمة لتكون ما يراد منك أن تكونه..

.. لتكون الخصم المحارب المشوّه اللاعن لنفسك..!

إنك أيها العقل أبدأ تسمع وترى وتفهم وتقبل وترضى وتمدح وتعجب وتقتنع وتؤمن وتصادق وتناصر أو تفعل نقيض ذلك بغير عينيك وأذنيك وقلبك وضميرك واقتناعك وأخلاقك وأوصافك وكرامتك وتجاربك ومشاهداتك خارجاً على كل ما تزعمه لنفسك ويزعم لك..

إنك أيها العقل أنت أبدأ المقود المزعوم قائد العبد المزعوم إلهاً والرعية المزعومة سلطاناً والمأمور المزعوم آمراً والمحكوم المزعوم حاكماً والجبان المزعوم باملاً..!

إنك النقيض الشامل لكل ما يقال ويزعم لك وعك..!

ألسنت مستعداً أبدأ أن تؤمن بكل شيء وبأي شيء وينقيضه.. أن تؤمن بالشيء ثم تكفر به.. أن تكفر به ثم تؤمن به بل أن تؤمن وتكفر بالشيء في وقت واحد ورؤية واحدة؟ ألسنت مستعداً دوماً أن تؤمن بكل الآلهة والأديان والمعتقدات والمذاهب والنظم والأخلاق والتعاليم المتناقضة المتضادة وأن تكفر بها وأن تنقل بينها ومنها إليها.. أن تحاربها وتلعنها كلها وأن تدافع عنها كلها وتمدحها كلها مقسماً عليها ومتقلاً بينها أي مأموراً مسخراً مطيعاً ذليلاً.

.. أن ترى وتعلن كل شيء جميلاً ذكياً عدلاً أخلاقياً وأن تراه وتعلمه نقيض ذلك.. أن ترى وتعلن العذاب والقسوة وحكمة ورحمة والرحمة والحب والسعادة بلاء والتور ظلاماً والظلام نوراً؟
أليس قد فعلت كل ذلك ولا تزال تفعله وسوف تظل تفعله؟ إنك كل ذلك والفاعل لكل ذلك لأنك لا توجد أو تتخلق أو تريد أو تحيا أو تتحاور أو تعمل في ذاتك أو لها أو معها أو منها أو من أجلها أو برضاها أو بموافقتها أو حتى باستشارتها..!

ولكنك أيها العقل تكون كل كيموناتك وتفعل كل أفعالك محكوماً ومقوداً بكل الإذلال والإكراه والجبروت بضرورات وشهوات ومجاعات وحماقات وتفاهات وتناقضات ومخاوف وهموم وتماسة وبؤس وضعف وفحش وآلام وأثام وضياح وعبث الذات والوجود للذين تخلقت وتكونت منهما وفيهما واستعبدت لهما بكل معاني وأساليب الإهانة والقهر والتسخير دون أن تريد أو تدري أو يترك لك شيء من الكرامة أو الوقار أو الاستتار أو من الحرية للتعامل معها أو لتصحيحهما أو لفراقهما أو حتى للتحاور معهما.. دون أن يكون لك أيها العقل اختيار أو رأي أو مصلحة أو مجد أو سعادة أو جزء في ما تفعله أي في ما تكره على فعله وتسخر لفعله وتؤمر بفعله.. إن كوارثك أيها العقل رهبة فاجعة. إنك لتستحق الرثاء والعزاء من كل شيء وكل أحد..!

إذن أيها العقل هل هناك من يشابهك أو يساويك في مأساتك؟ حتى الآلهة هل يمكن الزعم أن فيها شيئاً من المشابهة أو المماثلة أو المساواة لك في مأساتك هذه؟

آه.. أليست كل المآسي شيئاً من مآسي الآلهة ومن التعبير ومن الحديث عنها ومن التذكير بها والتفسير لها؟

إن ضخامة مآسي الآلهة جعلتها لا تفجع بأية مأساة بل ولا ترى أية مأساة.. كما أن ضخامة أخطائها وخطاياها أي الآلهة جعلتها تعايش وتساكن وتواجه كل الأخطاء والخطايا وأبشع الأخطاء والخطايا بكل الصمت والسكون بل بكل الرضا والتسلي والغناء للنفس وبكل التحديق في مرآتها.. هل مثل الآلهة تسلياً وتمزيقاً وتلهياً بالأخطاء والخطايا بل واستمتاعاً؟

ماذا لو لم تكن الآلهة كل الأخطاء والخطايا إرادة وتديراً وتخطيطاً وشوقاً وحجاً ونظاماً وفعلًا؟ هل يمكن أن تقبل حينئذ أي شيء في هذا الوجود رؤية أو مواجهة أو معايشة فكيف تقبله مريدة أو مصممة أو عاشقة أو خالقة له أو متهمه به؟

لو أن إلهاً تخلق فجأة أو قدم من كون آخر ليس فيه شيء من أخطاء وخطايا كوننا هذا وكان قد تخلق فيه أي في هذا الإله القادم فجأة شيء من معاني الرؤية أو الرحمة أو الحكمة أو القلب أو الضمير أو الرفض أو الاحتجاج أو المحاسبة أو التساؤل أو العدل أو المقاومة الأخلاقية أو المنطقية.. فرأى أخطاء وخطايا الآلهة الموجودة.. أخطاءها وخطاياها المغرقة والمغطية لكل شيء في هذا الوجود..

ورأى أيضاً أخطاء وخطايا هذا الوجود التي أرادتها وعشقتها وخططتها ودبرتها وصاغتها وأخرجتها وحرستها وخلدتها وخلقت كل أسباب وظروف وجودها وخلودها وشملها الآلهة الموجودة.

- نعم، لو أن ذلك حدث هل يمكن حينئذ تصور ما لا بد أن يصاب به هذا الإله الجديد المتخلف القادم فجأة.. أن يصاب به من الانفجاع والذعر والغيظ والغضب والاستنكار والاشمئزاز ومن التصميم على المحاسبة والمعاقبة وعلى الإزالة لكل هذا الوجود ولكل آلهته التي صنعت وقبلت ورضيت وعاشت كل أخطائها وخطاياها وكل أخطائه وخطاياه بكل هذه البلادة والقسوة والسفه والقبح والفحش والصمت بل وبكل الرضا والإعجاب والتعجب والتأليه والصلاة للذات والمطالبة بالتعبد والتأليه والصلاة للذات؟

أليس محتوماً أو محتملاً جداً أن يرفض حينئذ هذا الإله أن يكون إلهاً أو أن يظل موجوداً اشمئزازاً واستقباحاً لما رأى ووجد؟ إن تكرار الرؤية والمواجهة لما يصنع الاستقباح والاستبشاع يسحب من الرائي المواجه مشاعر الاستقباح والاستبشاع!..

.. ثم كيف لو أن إلهاً هذا.. إله هذا الوجود انتقل أو نقل إلى كون آخر صاغه إله آخر فيه كل أوصاف وأخلاق وشروط الإله المفترضة والواجبة أو حتى شيء منها.. فرأى وعرف أي إلها.. إله هذا الكون الفروق بين الكون الذي خلقه هو والكون الذي خلقه ذلك الإله الآخر.. وعرف ووجد ورأى الفروق التي بينه وبين ذلك الإله الآخر.

- نعم، لو أن ذلك قد حدث فماذا يمكن أن يفعل إلها.. إله هذا الكون بنفسه رفضاً وعقاباً لها وهرباً واستحياءً منها؟ هل يمكن تصور ما لا بد أن يفعله حينئذ بنفسه؟ ألا يمكن أن يحدث ذلك؟ أليس من الواجب والنافع أن يحدث؟ إن مأساة إلها ومأساتنا فيه أنه لا يرى أو يعرف غير نفسه وغير ما فعل!..

.. كيف لم يتخيل إلها.. إله هذا الكون ذلك الإله الآخر ولا ذلك الكون الآخر ليتعامل مع تخيله هذا؟ هل هو فاقد لكل خيال؟ هل هو شرط محتوم في كل إله أن يكون معصوماً من كل خيال وتخيّل؟ كيف يمكن أن يوجد أو يبقى أو يقبل أن يوجد أو يبقى أي إله يحيا ويبض فيه أي قدر أو نوع من الخيال والتخيّل أو من القبول والرقض والاحتجاج والتساؤل؟

إنه لشرط في كل إله أن يكون مغلقاً دون كل تعامل وتجاوز عقلي أو عاطفي..!

ولأن كل إله فاقد لموهبة التخيل والخيال فقد عجز إلها أي إله كوننا هذا عن أن يتصور أية نماذج أخرى للآلهة ولما يجب وينبغي أن تفعله وأن يكون لكي يصوغ منها ذاته وخلقها والوجود الذي يصنعه متعلماً من تلك النماذج الأخرى.. هل يمكن تصور ما لا بد أن يحدث لو كان صاحب هذا الوجود يمتلك أو يملكه أي قدر أو نوع من الخيال والتخيّل؟

وأينا أكثر خسراناً بفقد إلها للتخيّل والخيال: نحن أم هو؟ أم الوجود الذي يورثه والذي أوجده؟

.. ومن العلامات الأكيمة على أنه أي الإله معصوم من كل خيال وتخيّل أنه متجمد أبداً في حالة واحدة.. عقله وقلبه وضميمه ورؤيته وفنه وتخطيطه وشهواته وأهواؤه ورغباته ومطالباته وهمومه وهزائمه وكيوناته وأفعاله والكون الذي كونه بل وحرمانه من كل متعة جسدية أو معنوية..

- كل ذلك متجمد في صيغة وحالة واحدة وفي قبح وفحش واحد.. إن كل متخيل لا بد أن يغير ويتغير أو يحارل ذلك بكل السرعة والحماس والرغبة والقوة.. إن المتخيل لا بد أن يكون متطوراً.. لهذا جاءت الآلهة غير متطورة، جاءت عاجزة عن التطور.. الآلهة عاجزة عن التطور..

هل يمكن تصور مأساة مثل هذه المأساة؟

.. خالق هذا الكون المتجمد المتبلد في كل صيغه وأساليبه وقوانينه وأخلاقه وفنونه ومنطقه وسفاهاته وتفاهاته وبلاداته وعاهاته وتشوّهاته وفي تكرار كل أعطائه وخطاياها.

- هذا الخالق هل يمكن أن يكون متخيلاً أو شاعراً أو فناناً أو ناقداً أو ملهماً أو عاشقاً أو ناهضاً بل أو حياً؟

هل يمكن أن يكون جمالاً أو نبلاً أو عقلاً أو عدلاً أو حياً أو رحمة أو حكمة أو تقوى أو عبقرية أو محباً لذلك مريداً مخطئاً له؟ ما أعظم عذابه لو كان شيئاً من ذلك.. وما أعظم قبحه لأنه لم يكن شيئاً من ذلك..!

.. أيها الكون كم أنت هجاء وتحقير وإذلال لكل معاني الآلهة والجمال والمنطق والذكاء والأخلاق والحب والإبداع والفن ولكل أسباب ومعاني الإيمان والتدين والتقوى..!

إن كل شيء فيك لسباب وهجاء لكل منطق يقول: آمنوا وتدينوا أو اتقوا أو احتراموا..

كم أنت نفى ورفض لكل ما يقال عنك وفيك..!

.. كم أنت مأساة لكل العقلاء والرحماء والحكماء والأتقياء.. وكم أنت مسلاة وملهية وصلاة لغير هؤلاء.. للمناقضين لهم..

.. كم أنت عقاب وعذاب لكل العقول والأخلاق المكددة المحاسبة..!

.. إنه لا مثل لقبح أو ليشاعة أو لانتضاح إله أنت أيها الكون كل آزيائه وحلاه وسكنه وصوره ومواكبه ولغاته وكل العرض والمعارض والتفاسير لمواهبه العقلية والغنية والشاعرية والنفسية والأخلاقية والجمالية والإبداعية والإعلانية الدعائية..!

كم أنت أيها الكون أفتع الصور والتصوير لمن صورك..!

.. إن من أقبح وأقبح وأبلد ما فيك أيها الكون أن حولت كثيراً ممن يعايشونك ويساكنونك ويحيونك ويحيون ويتخلقون فيك ومنك وبك ويمارسونك ويضاجعونك وتمارسهم وتضاجعهم وتفضحهم ويفضحونك وتلعنهم ويلعنونك.

- إن حولتهم إلى مجانين إعجاباً وافتناناً بك ورضاً عنك وشوقاً إليك وثناء عليك وسقوطاً وتساقطاً في أرحالك وإيماناً بمن أراذك وخططك وصاغتك وخلقتك وصلاة وتعبداً له وانتظاراً له ومنه وإعجاباً بحكمته ورحمته وجماله..!

إن الإعجاب بك الذي تحول إلى تعبد وتقديس وتألوه لك أيها الكون ولمن زعم خالقك وصانك ليس إلا تعبيراً عنك.. عن أوصافك وأخلاقك وعن كل مستوياتك المنطقية والفنية..!

إنك أيها الكون أنت المتحدث عن نفسك إلى نفسك..

.. إنه لا يتحدث سواك ولا تحدث إلا إليك..

لأن كل المعجبين المقدسين المؤلهين العابدين الهائفين المؤمنين المتدينين لك ولمن زعم صانعك ومخططك وفنانك ليسوا إلا إليك.. إلا أعضائك وأبناءك وخلقتك.. إلا لغتك ومنطقك وعقلك وقلبك وضميرك وكل معانيك.. إذن فأنت أيها الكون العابد المقدس المؤله لنفسك.. لأخطائك وخطاياك وشرورك وآلامك وحماساتك وتفاهاتك وعيبك نصبت الإنسان ناطقاً معلماً معبراً خطيباً عنك. جعلته كل لغاتك المنطوقة والمسموعة والمكتوبة والمقروءة والمعلمة والمتحولة إلى آلهة وأديان ونبوات وكتب مقدسة يقتل من يخالفها أو يتقدها أو يشك فيها أو يقول أريد أن أفهمها أو أنا عاجز عن فهمها أو عن الاقتناع بأنها هي كل العلم والعقل والجمال والإبداع والأخلاق والتقوى والسعادة والمجد وكل الحاضر والمستقبل والماضي بل وكل شيء..!

وكانت أيها الكون أردت أن تخدع وأن تدافع عن أخطائك وخطاياك وأن تحولها إلى هدى وتقوى وأن تضلل وتعمي عن رؤية ومحاسبة وقراءة مخازيك ومأسيك وأن تصنع لنفسك أمجاداً وعقوبات وأنساباً لا تطلو لصعود صعودها وأن تحول نفسك إلى معبود تصلي لك العقول والقلوب والأعضاء، وأن تضع حولك حراسة تنتظر وترجو وتحاول أنت ألا يستطيع اقتحامها وذلك حين أعلنت وعلمت على لسان إنسانك.. على لسان أحد استغراغتك الإنسان: إنك بكل صيفك وتفاسيرك ووجداتك وأحاديثك وأجزائك وبكل سفاهاتك وحماساتك وفحشك وفسوقك وزندقاتك.

- نعم، حين أعلنت وعلمت على لسان إنسانك أنك في كل ذلك لست إلا إرادة وتخطيط وتصميم وخلق وجمال وفن وحب ومجد وفرح وسعادة أكبر وأعظم إل.. لقد زينت كل قبحك وذنوبك وعيوبك بأضخم الآلهة والأنبياء والأديان..!

إن تمجيدك أيها الكون للإنسان بلسان الإنسان ليس إلا تمجيداً لذاتك.. تمجيداً لخلقك ولقوانينك وأخلاقك وقدرتك وولادتك ولأعضائك الخالقة للإنسان المخلوق منها الإنسان الذي هو أحدها أي الذي هو أحد أعضائك..!

.. وإن تمجيد الإنسان لك ليس إلا تمجيداً لنفسه.. تمجيداً لمصممه وصانعه ووالده وباصقه ولأهوائه وشهوته وسفاهاته وسجاياته وبلاداته وغواياته ولضعفه وهوانه واستعباده ولأحقاده وأحزانه وعداواته وأمراضه وشيخوخته وموته وعاره ولمن حبيب إليه وغرس وزرع فيه كل ذنوبه وعيوبه وقصائمه وقبائحه وكل مساوئه وسيئاته وأخطائه وخطاياها..

لقد خلقتك وركبته خاطئاً مخطئاً عاشقاً لأخطائه وخطاياها مستمتعاً بها لهذا يهيك كل تمجيده وحب وولائه..!

.. إن تمجيد الإنسان لك أيها الكون ليس إلا تمجيداً لآلامه وبلاداته وجهالاته وأخطائه وخطاياها ولكل فحشه وقبحه وضعفه وعاره وفسوقه وكفره ومأسيه ومخازيه ولكل ما يواجهه ويقاسيه من نروج للعقول والقلوب والأخلاق والكرامة والإيمان والتقوى والصفاء والحب والجمال..

لأنك أنت الموقع به كل ذلك والصانع له ليكون كل ذلك والسعيد المشتبه لأن يكون كل ذلك، لقد مجنك حتى وجد فيك كل عيديات وفنون إله.. وجدها في كل جرثومة وحشرة وعاءة..!

.. كما أن تمجيد أي الإنسان للإله.. لخالفك أيها الكون لن يكون إلا تمجيداً لكل ما يرى ويعرف ويواجه ويقاسي ويفعل من فضائح وقبائح وآثام وآلام ومظالم وفسق وكفر وفحش وموء ورداءة وبذاءة وعبث وهزائم وكوارث..!

إنه لا تمجيد يحمل من الغباء والكذب والهوان مثل هذا التمجيد..!

كيف لم يعرف كل إنسان أن تمجيد الإله هو تمجيد لكل قبح وفحش وظلم وخطأ وخطيئة وسفاهة ونذالة وفاحشة تفعل أو تنوي أو تشتبه أو تراد في هذا الكون أو في أي كون آخر.. تمجيد لكل ما ترفضه الميرون والقلوب والعقول والأديان والأخلاق والضمائر والحضارات والبدوات..!

.. تمجيد لكل ما أراد أي الإله ولكل ما خطط وصمم وشاء وأحب وخلق وفعل وعبث ولعب وتسلى به أي لكل ما حدث ويحدث وما سوف يحدث..؟!

إذن هل يوجد أو وجد تمجيد لمن يستحق كل الاستنكار والغضب والتوبيخ وكل الحساب والعقاب وأقصى الحساب والعقاب بل وكل البغض والرفض والسياب والمعاداة والمقاومة بكل الأسلحة مثل التمجيد للإله.. مثل التمجيد لصاحب هذا الكون.. لحاكم هذا الكون.. لمنظم هذا الكون.. للمستوي فوق عروش هذا الكون.. للمباهي بأنه هو وحده صاحب ومبدع ومالك هذا الكون والمتصور العاشق له قبل أن يكون والمسؤول عنه وعن كل ما فيه ومن فيه؟

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مذموم مشتم مهان محقر بدعوى ونيات وأساليب التمجيد والمدح له مثل الإله أسوأ وأردأ وأشقى الكائنات حظاً..!

لهذا كم يجب الرثاء والعزاء له أي للإله.. وكم يجب الإشفاق والبكاء عليه والرحمة به..!

إنه لهذا يجب الأسى والدعاء والصلاة والغفران له ومن أجله لا أن يدعى أو يشكر أو يرجى أو يهنا أو يحسد أو يعلى له.. يجب أن تكون كل الصلوات والعبادات والدعوات طلباً لإنقاذه لا طلباً منه ليفعل أي إنقاذ..!

إنه لا يوجد ولن يوجد محتاج إلى الإنقاذ من نفسه ومن كل أصدقائه ومحبيه وعابديه ومعامله مثل الإله الذي يطلب ويرجى ويتنظر منه كل الإنقاذ لكل شيء من كل شيء يراد الإنقاذ منه..!

إن كل البحار والأنهار والسحاب لو تحولت إلى دموع في كل الميرون لن تكفي أو تجزي لتكون دموع بكاء وأسى وحزن على الإله.. على المتهم بأنه صاحب هذا الكون لإرادة وتخطيطاً وتديراً وصياغة وخلقاً واستواء فورة..!

أي الأحزان ابتكرت البكاء.. دموع البكاء: أحزان هذا الكون.. أحزانه على نفسه وعلى فاعله

المتورط به أم أحزان صانع هذا الكون على نفس وعلى من فعل بهم ما فعل؟ أيهما يفترض أن يكون أقسى وأدوم وأصدق وأتقى أحزاناً: الوجود أم موجدته؟

إن ابتكار أو تخلق الدموع الباكية لن يكون إلا إعلاناً واعترافاً كونياً بأن هذا الكون وموجده إن كان له موجد لم يخططاً أو بصاغاً أو يحكما بأي قدر من العقل أو الفن أو الحكمة أو الرؤية أو الرحمة أو المحبة أو الذكاء أو الشهامة أو النظام..!

إن أية دمة تلذفها أية عين لن تكون إلا هجاء وذمماً واتهاماً ورفضاً ومحاسبة لهذا الوجود ولصنعه وصانعه إن كان له مصمم أو صانع..!

إن هذا الكون وربه إن كان له رب هما وحدهما المستحقان لأن يحاسبيا ويحاكما ويعاقبا على كل الدموع والأحزان المتساقطة من كل العيون والقلوب المتفجرة في كل القلوب والعيون.. إن قلوبهما أي الكون وربه وعيونهما هي التي نقلت إلى كل العيون والقلوب وفجرت فيها كل دموعها وأحزانها أعني قلوبهما المفقودين وعيونهما المفقودة.. إن كل الدموع والأحزان إنما فجرتها القلوب والعيون التي لم توجد أي عيون وقلوب الكون والأرباب..!

لماذا أيتها النقط العربي جئت بديلاً عن الإنسان العربي؟

١.. الكبار يقرؤون ويفسرون ويبرون مزاياهم
وانتصاراتهم وتفوقهم بتواضع ومحاسبة وهمس
ونقد.... والصغار يهتفون لأخطائهم وتفاهاتهم
ونقائصهم وهزائمهم وفضائحهم وتخلفهم وعجزهم
بمباهاة وكبرياء وتمجيد وصراخ..٢.

شكراً لتفاؤلك أيها الصديق الأستاذ ولشرياتك ولكتاباتك الغنائية الوردية المرححة، ولأحاديثك
عن حرية الصحافة التي أنت أحد قياصرتها الكبار، وعن حق كل مخالف معارض رافض في نشر آرائه
المضادة المعارضة الناقدة المهاجمة فوق عناوينها بألوان حمراء.. شكراً لك على كل ذلك وعلى
مداحك السخية البعرية «للعبور» ولأمجاد الكونية..٣.

لقد حرضني أسلوبك هذا على أن أكتب إليك هذه الكلمة المتقاطرة من عيون وقلوب وأخلاق
النجوم مفعوجة بما ترى وتسمع وتقرأ وتواجه مؤملاً ومطالباً أن تنشرها في المكان والأسلوب اللذين
يستحقهما ما فيها من الإثارة والجد والحساسية وضخامة القضية والدلالة والتفسير..!

وأرجو ألا أكون قد قرأتكم قراءة مبالغ في خطئها لمبالغتها في التفاؤل والتصديق وفي إرادتها
لذلك واحتياجها إليه أي لمبالغتي أنا في ذلك وفي إرادتي له واحتياجي إليه.. لهذا طمعت في ما لا
يجوز ولا يمكن الطمع فيه في وجودنا العربي الدائم..

.. نعم، أرجو ألا يكون ذلك كذلك.. فإن كان هذا الذي لا أرجوه فإن قلمكم الفرع المرح
المغني دائماً بأعظم وأجمل البشريات هو المسؤول المغفورة له قدرته على خديعتي وعلى تأميلي في
المستحيل الذي كان المقروض ألا يخدع في تأميله أحد، وعلى جعلي أحذق في النجوم مؤملاً
التحليل إليها وفوقها على صهوات خيول عربية..٤.

ألم يصعد النبي العربي فوق كل الكون على ظهر جمل يسمى بالبراق؟

لقد طال أيها الصديق تدليلنا لأذاننا ولأذان أنبيائنا وزعمائنا وقادتنا وجماهيرنا، وطال بل ودام
إسماعنا لأذاننا وآذانهم كل إعجابنا وهتافنا وإيماننا وصلواتنا البليدة المخدوعة المؤمنة أحياناً والكاذبة
الدليلة المنافقة دائماً أو أكثر الأحيان.

لقد طالت ودامت أشعارنا الجاهلة الجاهلية نغنيها وننشدها تسجيلاً وتعظيماً لعجزنا وجهلنا وهزالنا ونقائصنا ومبارزة ومفاخرة بها، حتى لقد رفعناها وعلقناها فوق الكعبة وسميناها «المعلقات» لضخامة إعجابنا ومباهاتنا بها..!

إن الإنسان العربي محتاج إلى أشعار ومعلقات وأنشيد جديدة مناقضة جداً للقديمية التاريخية.. مناقضة لكل محفوظاته ومروياته ومتسردة عليها ليضرب ويصدم ويفجع بها أذنه وأذان زعمائه وأنبيائه وقادته وجماهيره بل وأذني الإله.. أذني الإله اللتين قد أفسدهما بل وعوقبهما وأضلهما بما كان يسمعهما وبما لا يزال يسمعهما. أيهما أكثر تفضيلاً للآخر: الإله العربي أم الإنسان العربي؟ ما أرفع جنایات الآذان على الإله العربي وعلى الإنسان العربي..!

.. أليست الآذان تفسد وتضل وتعمق بنوع ما تسمع؟ أليس الإسماع الدائم لأذني الإله التمجيد والمدح شكراً له على أتبع القبائح التي يريدنا ويدبرها ويفعلها مسؤولاً أو يجب ويفترض أن يكون مسؤولاً عن إصراره على ذلك وتكراره له ورضاه عنه وإعجابه به؟ ماذا كان يمكن أن يحدث وأن يكون قد حدث لو كانت أذناه أي أذنا الإله تعاقبان وتحاسبان وتحاسبان على كل شيء قبيح أو رديء أو بليد يفعله لا أن يصلى له ويمجد ويشكر على ذلك؟ ما أحوج أذني الإله إلى التوبيخ لا إلى المدح..!

هل انتظر أو توقع أن تنشروا هذه الأثة أو الآفة في المكان وبالأسلوب الملائمين؟ إن كان محتوماً أن تسخروا من توقعي هذا فأرجو أن تسخروا بشيء من الرفق والرحمة والوقار.. ولا مانع من أن يهيبكم ذلك شيئاً من الضحكات المدوية السعيدة المتكافئة مع أسلوبكم في مخاطبتكم للسلطان ولرعاياه..!

ما أقسى ما تفعلون بالسلطان ورعاياه بأسلوبكم السعيد الممجد الطيب..!

.. تحدثتم بفرح وإعجاب مترف عن رفع الرقابة عن صحافة الوطن العربي الذي تستفرون عليه وفيه وبه ومنه وباسمه كل ما تجرؤون على استفراغه وتربحون وتأمينون وتتعبدون وتتمدحون وتزيتون وتزيتون باستفراغه..!

ولكن هل جهلتم أو أردتم أن تتجاهلوا هذا.. أن تتجاهلوا أن رفع الرقابة عن الكلمة في أي وطن أو مجتمع عربي يدل على مأساة.. يدل على أن هذا الوطن أو المجتمع قد أصبح مستسلماً استسلاماً ذاتياً.. مقيداً بلا قيد ومربوطاً بلا رباط ومغلولاً بلا غل ومسجوناً بلا سجن ومحكوماً مضروباً بكل السياط بلا أي سوط أي أصبح كل ذلك وكذلك من داخله..؟!!

لقد أصبح سلطانه أو حاكمه آمناً من أي رفض أو اعتراض أو نقد أو حتى تساؤل.. لقد أصبح يحكم قطعاً لا مثيل له في الطاعة والهدوء والاستسلام بلا أية حراسة أو أوامر من خارجه..!

أما فرض الرقابة على الكلمة في أي بلد عربي فإن دلالة ذلك أقل سوءاً مهما كان قبحها. لأن هذا

الغرض للرقابة يعني أو قد يعني أنه قد يوجد من قد يخفق قلبه أو عقله أو أخلاقه أو طموحه أو آماله بالرفض أو بالنقد أو بالمعارضة أو بالاستنكار ولو بأخفى الأساليب الهامسة.. ولو بالنمى والانتظار.. إن الكائن الحي قد يوضع في قيد أو قيود، أما الكائن الميت فلن يوضع في شيء من ذلك..!

لهذا فقد يكون من الصواب أن يقال: إن أذل المجتمعات العربية هي المجتمعات التي لا رقابة فيها على الكلمة..!

إن هذه لإحدى خصائص المجتمعات العربية - إحدى خصائصها الأليمة.

إنه إذن لشيء من البشرى أن يقال ويسمع أن ذلك الوطن العربي قد شدد وضاعف الرقابة على وسائل التعبير بكل أنواعها بل وبالح في الحراسة على كل عقل وفكر وقلب وعاطفة ولسان لأن ذلك يعني احتمال وخشية تفجر ذلك أو شيء منه بلغات الرفض أو النقد أو الاحتجاج أو المقاومة أو حتى المحاوراة والمساءلة..! ووجود ذلك ولو احتمالاً في أي وطن عربي شيء عظيم وعلامة مفرحة بل مبشرة..!



ولكن هذا الحديث المحرق المحترق عن ماذا؟ إنه عن هذه الفاجعة.. الفاجعة بكل تفاسير وصيغ وقسوة الفواجع..!

إنها فاجعة تعايش وتراحم كل ألوان القواجم الأخرى في عالمنا العربي وليست غريبة أو فريدة في عالمها العربي.. إنها هذه: حين أعلن العرب نفطهم سلاحاً تحت أعجب وأفجع الهزائم التي لن ينافسها أي مفيل أو شبه دقت كل الأجراس والأصوات والطبول العربية معلنة أن العرب قد ملكوا كل أمجاد الكون وأذلوا كل الرقاب وخطفوا من الشمس والنجوم كل أضوائها وكبرياتها وعيونها.. أما العالم فقد أصابه الصمت والذهول إما انفجاعاً أو اندهاشاً أو استمزازاً أو احتقاراً أو استصغاراً لنا أو لأسباب أخرى ليست مكرومة أو مشرفة..

نعم، أكثر من مئتي مليون عربي معهم كل العالم أو أكثر العالم بأصواته ومواقفه ومساعداته لأن معهم أي مع العرب كل محاباة الطبيعة بكل عطائها العشوائي البليد يعجزون قتالاً وعضلات وعقلاً وأخلاقاً وسلاحاً على امتداد أكثر من خمسة وعشرين عاماً عن مواجهة مليونين أو ما يزيد عن ذلك قليلاً من البشر.. من بقايا الرعب والتعذيب والتقتيل والتشريد والتحجير والإذلال والمطاردة التي اشترك وتعاون وتحالف وتنافس على توقيعها عليهم وبهم كل الآلهة والأنبياء وكل الأبالسة والملائكة وكل الشعوب والبشر أنقياء وفجاراً، مؤمنين وكافرين وكل التاريخ بل وكل الأديان والكتب المقدسة.. من بقايا كل أساليب الموت والتشريد والتهديد.

يعجزون عن مواجهة هذا العدد الضئيل الفقير الطريد المنبوذ المشتوم بكل لغات كل الآلهة والأديان والقوميات والنظم.. المزروعة في عضلاته العقلية والدينية والنفسية والتاريخية والعرقية

والجسدية كل حراب كل العالم ضاربة بأيدي وعضلات كل الآلهة والأنبياء والعنصريات والقوميات والأديان والمذاهب والأحقاد والعصيات والانتعاشات المغروسة فيها أنياب كل الوحوش والوحشيات..! وحين يعجزون هذا المعجز المعجز في عجزه لا يصمتون صمت إلههم أو يغيبون غيبته وغيبوته أو يتجمعون في معابدهم يصلون ويدعون من لن يسمعهم أو يستجيب لهم، كذلك لا يذهبون يبحثون عن الطب والأطباء أو يخلقون الطب والأطباء للتداوي من عجزهم الذي لا بد أن يتحول إلى إخراج وقضح وهجاء لقدرة وموهبة وفن وذكاء من أرادهم وخططهم وخلقهم وصاغهم، كما لا يحاولون أن يضموا أنفسهم تحت كل معامل التحليل وأجهزة التشريح لاكتشاف أسباب ضعفهم المعجز تفسيره لكل التفسير ولكل المفسرين..!

كما لا يحاولون الاختفاء والاستتار والهرب من كل عيون وآذان وقراءات وتفسير كل العالم لهم وتساؤله عنهم رحمة بأنفسهم بل ورحمة بالعالم وحماية له من قسوة الانزعاج والصدمات.. إن عجز العرب في مواجهتهم لهذا العدو لهمو علة ذاتية تكوينية لن يكفي أن يوضع لاكتشافها وتحليلها وعلاجها كل معامل التحليل وأجهزة الكشف والتشريح وعقريات كل الطب والأطباء وكل وسائل وأساليب العلاج..

إنه لمن المشكوك فيه أن تستطيع كل الآلهة أو تعرف أن تعالج وتشفي من هذه العلة لو تجمعت وتحالفت وتعاونت أي الآلهة لتفعل ذلك.. أليس مفروضاً أن تحاول الآلهة ذلك لتكفر وتعتذر وتراجع عن خطيتها هذه أو لتسترها؟

إذن لماذا لم تفعل أي الآلهة ذلك؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير غير أنها لا تستطيع ولا تعرف أن تفعله؟

.. المصابون بهذه العلة أي العرب يصلون لها ويدعونها بكل المسكنة والتذلل والصراخ والإيمان والأمل طالين ومتظرين أن تشفيهم منها.. ومن المجد والخير لها أي للآلهة والستر عليها أن تستجيب لهم وتشفي هذا الشفاء. فلماذا لا تفعل؟ أليس محتوماً أن تقول كل التفسير: إنها لا تفعله لأنها لا تستطيع ولا تعرف ولا تعلم؟ أليس من أوصاف كل إله أنه لا يستطيع ولا يدري كما لا يعرف أو يتعلم كيف يستطيع أو يدري؟ أليس المعجز عن كل شيء هو الأوصاف الدائمة لكل الآلهة؟ إنه لم يصدق ولن يصدق من أوصاف أي إله غير أنه العاجز، العاجز المطلق المعجز..

.. نعم، إن قومي لم يفعلوا شيئاً من ذلك أمام هذه المواجهة البائسة بل ذهبوا يقرؤون ويفسرون ويعلنون أنفسهم على كل العالم بكل الدوي والديمومة والكبرياء والمباهاة...

.. ذهبوا يعرضون أنفسهم أمام كل الرأيا والرؤى ذهبوا يقولون بكل الأساليب: إننا لسنا فقط عاجزين وضعفاء بلا حدود أو مقاييس بل وأغبياء بلا حدود أو مقاييس حتى لقد حولوا إلههم ونبيهم ودينهم إلى إعلانات عن حالتهم هذه بل وجعلوهم شركاء لهم في ذلك.. في تكوينهم الذاتي هذا.. إنه لم يشوّه شيء شيئاً مثلما شوّه ويشوّه قومي إلههم ونبيهم ودينهم. إن العربي ليجعل إلهه ونبيه ودينه

دائماً شريكاً له في كل أخطائه وخطاياهم ومسؤولاً عن كل ذلك وإعلاناً عنه وتفسيراً قبيحاً ذليلاً من تفاسيره..؟ إن العربي ليحول ويفسر ويعلن ويرى هزيمته وفضيحتة وضعفه وهوانه فضيحة وهزيمة وضعفاً وهواناً لإلهه ودينه ونبيه. إنه ليفعل ذلك بكل الصيغ والتفاسير واللغات والجهر بل وإرادة التدين وإن كان لا يدري ذلك..! أليس يعلن ويرى إلهه صائناً لكل صياغاته؟



نعم، ذهبوا بكل النشوة والكبرياء والجرأة والرضا ومشاعر القوة والانتصار والمباهاة والتفوق يقولون لكل العالم: سنحاربك إن لم تحارب بدلاً عنا عدونا هذا الصغير الضئيل الفقير المطارد المقهور المعادي دولياً وتاريخياً وطبيعياً أي بانحياز الطبيعة ضده إلى أعدائه.. إلينا..

إننا لن نحاربك أيها العالم بأيدينا أو عضلاتنا أو بقولنا وأخلاقنا أو بعقريتنا أو بتفوقنا الحضاري أو العلمي أو الإنساني.. ولا بجيوشنا بل بآبارنا.. بنفطنا الذي هو نفطك لو جرؤنا على قول الصدق.. سنحاربك أيها العالم هذه الحرب إن لم تحارب عنا عدونا هذا.. قال وأعلن قومنا ذلك بكل الأصوات حتى بأصوات إلههم ونبيهم وقرآنهم ودينهم مفسرين له بكل التفاسير وقارئين له بكل الفرائض من فوق وداخل كل المنابر والمحارب..!

هل حدث ذلك؟ هل عرف أو سمع العالم به؟

إذن لنصعد أيها العار.. ليصعد مجده فوق كل مجد وليهزم كل مجد.. لتسجد كل الهامات تحت هامتك.. تحت هوانك..!

لقد هتفت وصلت كل الأصوات والعقول والشهائم والبيانات والقيادات والعقريات والكبرياء العربية بل والآلوهيات والنبوات والديانات العربية لهذا السلاح العربي أي للنقط العربي مقاتلاً بديلاً وتعويضاً عن الفارس العربي الذي غابت أو نامت أو ماتت فروسيته طويلاً، طويلاً حتى يتس من قدموها واستيقاظها وبشها وانبائها..!

نعم، أليست الفروسية عذاباً وهولاً يأكلان ذات صاحبها؟

أين أنت أيها الذكاء؟ أين أنت أيها الكرامة؟ كيف غبتما في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى من قضايا قومي؟

كيف غبتما عن جميع زعامات وقيادات ونبوات وعقول وأخلاق وأقلام وأصوات وثورات قومي؟ هل سرقتما؟ من سرقكما من قومي؟ هل سرقكما سارق؟ وهل يعيدكما سارقكما ومتى إن كان لكما سارق؟ هل سرقكما من قومي إله قومي لكي يزدادوا له تعبداً وهواناً واستسلاماً أليس الإنسان بقدر بلادته وهوانه يؤمن ويستسلم ويذل ويطيع؟

.. أيها الذكاء، أيها الكرامة لتصابا بشيء من الشهامة والحنان والإشفاق والثناء لتفكرا في العودة إلى الإنسان العربي.. لتعودا إليه ولو بمقادير قليلة، قليلة أقل مما يفترض ويطلب للإنسان؟ كيف استطعنا أيها الذكاء، أيها الكرامة أن تسمعا أي عربي ولو عربياً واحداً يقول جهرأ أو

هيساً: إننا سنحارب العالم بالنفط لكي يحارب عنا هذا العدو الصغير الفقير المهجور المضطهد دولياً وتاريخياً؟

كيف استطاعت أذن عربية واحدة أن تسمع ذلك؟ هل سحرت الأذان العربية؟ هل ماتت؟ هل أصبحت معادية لهم لهذا قبلت منهم ولهم أن يقولوا هذا وأن تصغي إليهم طرية بقولونه؟

.. أما العالم.. كل العالم فيبدو أنه لم ينكر أو يفجع أو حتى يتعجب.. هل رأى ذلك طبيعياً فينا بل كل الطبيعي؟ هل رأنا أصغر وأقل من أن ينكر علينا أو يفجع بنا أو ينفدنا أو يحاسبنا.. حتى عدونا هذا الصغير الفقير الضئيل الذي طالبنا العالم أن يحاربه عنا لم يفعل أو يقل شيئاً من ذلك. هل احتقرنا العالم بكل هذه القسوة؟ أليس ألقى أساليب ومعاني الاحتقار لأي قوم أن يروا غير مستحقين لأن يحاسبوا أو ينفدوا أو يحاكموا أو تعاب أو تنكر نقائصهم أو ذنوبهم أو عيوبهم أو تغاهاتهم أو أخطائهم مهما عظمت وتفهمت وقبحت وشملت ودامت.. أن يروا مغفوراً لهم مصصوا عنهم.. أن يصيبوا غير مرئيين أو مقروئين أو مفسرين مهما افتضحوا وصفروا وتفهوا وهانوا؟ هل يطلق أي إنسان أن يكون غير مرئي أو مفسر أو مستنكر أو صانع للاستمزاز أو للاستقبح أو للتعجب أو التساؤل أو للسخط مهما تعرى وافتضح وقبح في كل الصيغ والأحجام والمقاييس والتفاسير؟ أليس الخطأ والذنب يريان ويحاسبان بقدر ما يرى ويقدر المخطيء المذنب؟



مبالغ أنت أيها العالم في إهانتك وإساءتك لقومي حين غفرت لهم عارهم هذا بكل السخاء والرحمة اللذين يعنيان كل القسوة والتحقير والتعبير الصامت كل الصمت تعبيراً والناطق الجاهر كل النطق والجاهر تفسيراً وتقديراً..!

ألا تخشى أو ترى أيها العالم أن يأتي يوم يحاسبك فيه العرب.. يحاسبك فيه أحفادهم ويحاكمونك ويعاقبونك على هذا الغفران لهم.. الغفران الأليم المهيمن في يوم آت قد يكون قريباً أو بعيداً جداً، ويطلبونك بالتعويض والتكفير للذين قد تعجز عن تسديدهما لضخامة الإهانة والإساءة والجريمة إذ رأيتهم لا يستحقون العقاب أو العتاب أو الإنكار أو حتى الغضب أو الالندعاش أو التساؤل والحيرة مهما كانوا وفعلوا حتى حينما جعلوا النفط كل قواهم وأسلحتهم وحروبهم الفكرية والعقلية والأخلاقية والعنصرية في كل مواجهاتهم ومبارزاتهم لهذا العدو الصغير.. الصغير بل وفي جميع مواجهاتهم ومخاصماتهم وعلاقاتهم مع العالم كله ومع كل شيء.. حينما أعلنوا ذلك بكل الجهر والمباهاة..

.. فكر أيها العالم.. أن ذنبك هذا عظيم، عظيم.. فكر في أن العرب أي الأحفاد قد يعجزون عن أن يغفروا لك غفرانك لهم عارهم هذا الذي لن تستطيع أن تغفره لهم الحروف التي كتب بها ولا الصفحات التي كتب عليها ولا الأقلام التي خطته وخط بها ولا العيون التي قرأته ولا الآذان التي استطاعت سماعه والاستماع إليه..!

إنك أيها العالم تفكر في كل قضايك. إذن أنت مطالب أن تفكر جداً في هذه القضية.. في قضيتك هذه بكل الحرارة والمرارة والقسوة والحذر الشديد..



إن بقاءنا ألف عام بل آلاف الأعوام تحت الهزيمة نتعذب ونئن ونبكي ونعيش كل العار ونقاسيه بكل الانفجاع والترويع ومشاعر المذلة والهوان ليخلق لنا وفينا ذلك عضلات وأظفاراً وأنياباً وقلوباً وعقولاً وأخلاقاً وأدياناً ونبوات وألوهيات تجعل خمسين رجلاً.. خمسين فارساً منا يجرؤون ويستطيعون أن يواجهوا رجلاً أو غلاماً واحداً من رجال وغللمان عدونا هذا الصغير الفقير الطريد المخذوف أبداً بكل أسلحة العداوة والعدوان والبغضاء والحقد والتعصب الذي يصنعه ويجمعه ويقهره كل ما في تكوين الإنسان وظروفه وحياته من شرور ومخاضات ومناقضات ومنافسات وعداوات وجهالات وآلام وأمراض وقبح ومن آلهة وأنبياء وأديان متعاقبة متنافسة متناقضة متعادية.. قبيح وثقل ما تحمله وما حملته حياة الإنسان من ذلك... إنه لا يوجد حامل لأقبح وأفجع وأغبي وأثقل الأثقال مثل حياة الإنسان وتاريخه.. الأثقال النفسية والعقلية والأخلاقية والدينية والاعتقادية.. لهذا فإنه لا معذب في هذا الوجود مثل الإنسان مهما تعاظم مجده وسعاده..!

.. إن أثقل الأثقال التي تحملها حياة الإنسان وتاريخه هي آلهته ونبواته وأديانه، وإنها لأقسى أعدائه وأقوى المحرضين لأعدائه الذاتيين والنفسيين عليه وعلى حياته.. على صفاتها وسلامها وجمالها وحباها بل وعلى صدقها وتقواها وشرفها وإشراقها..

إن الإنسان لم يعاقب أو يشوه حياته وكل معانيه الإنسانية مثلما عاقبها وشوهها بآلهته وأنبيائه وأديانه وبما ورثه ويره من تاريخه.. بكل تراثه وبكل مفاخره بتراثه وبما صنعه له وورثه إياه تراثه من خلاقات وعصومات ومنافسات ومبارزات وملاعنات وعداوات ومواجهات ومصادمات ومن معابد متزاحمة متحادة متقاتلة بكل النيات والتمنيات واللغات والصلوات بل وبكل الضربات وأقسى الضربات الواقعة أو المتوقعة المحشودة المخزونة في النفوس والبالغة المنطوقة في العقائد إما نصوباً وحرفاً وجهرًا وإما تفسيراً وتعلماً وهماً..

إنه لو كانت هناك قوة كونية خارج الأرض معادية للإنسان تدبر وتخطط المؤامرات لتوقع به أي بالإنسان أقسامها لقاتل كل الأفكار والعقول إن ابتكار الآلهة والنبوات والمعتقدات والأديان المتعددة المختلفة المتعاقبة المتعادية المتنازعة المتصارعة المتنافسة المغفطية لكل تاريخ الإنسان المقتسمة المقسمة له لهر أقسى وأذكى وأنجح هذه المؤامرات التي أوقعتها هذه القوة الكونية الشريرة بالإنسان..!

إن أقوى قائدين لأقوى جيشين متحاربين لن يوقعا بحياة الإنسان من الويلات والعداوات والأحقاد والمذاب والخراب والبذات النفسية والأخلاقية مثل ما يوقعه بها.. بحياة الإنسان نبيان جاءا بدينين مختلفين متنازعين متنافسين لكليهما أتباع ومعابد وتعاليم وكتاب مقدس وكلاهما يعلن أن الله قد قذف فيه كل معاني عقله وقلبه وضميره وأشواقه..!

.. إن المعابد المتجاورة التي تشيدها وتعتد وتتعلم فيها الأديان المتعددة التي جاء بها الأنبياء المتعددون لن تكون إلا حصوناً وقلاعاً للبغضاء والآ مصانع أسلحة.. شر الأسلحة ليرهب ويعادي ويقاتل بها الإنسان نفسه.. ليرهب ويحارب ويشوه ويلوث ويعاقب بها كل معاني الإنسانية.. النفسية والفكرية والأخلاقية واللغوية والدينية بل والقومية والوطنية.. من أراد ودبر وصنع للإنسان هذه الكارثة؟ هل يوجد داخل هذا الكون أو خارجه عدو للإنسان بكل هذه الوحشية؟



نعم، إن بقاءنا آلاف الأعوام تحت كل الهزائم نقاسيها، نقاسيها بكل معانينا وحياتنا لتصنع منا قدرة على أن نتدأ من عجزنا هذا لأفضل وأعظم انتصاراً ومجداً لنا من كل انتصار يوهب لنا حياً أو احتراماً لنفطنا أو خوفاً أو مخادعة ونفاقاً منه وله.. لغباؤه ويدأوته الحزينة..

وقح ونذل وقاس أنت أيها العالم حينما أحببنا واحترمتنا وعظمتنا وأطعنا وصادقتنا والبيتنا وأنشدت فينا أروع قصائد الحب والغزل والمدح والتعبد بل والمباينة بكل حضاراتك لنا - حينما أعلنت ذلك وخطبت به وقرأته بكل الأصوات واللغات في كل المحافل والاحتفالات والحفلات الدولية وأنت لا تعيننا بشيء من ذلك وإنما تعني به كله أبارنا.. نفطنا المعز المذل...! هل تغفر لنا أو لنفطنا أيها العالم وقد حوّلك احتياجك وظلموك إليه أي إلى نفطنا - حوّلك إلى نذل مفية مهين ذليل؟ أينا أكثر احتياجاً إلى غفران الآخر؟

هل نحن أحوج إلى أن نغفر لك لأننا أهنا وأنفسنا وفضحتنا أخلاقك وصدقك وكرامتك وبساتلك بنفاقك وخضوعك لنا أي لأبارنا.. لنفطنا، أم أنت أحوج إلى أن تغفر لنا لأنك كذبت علينا ولنا وصليت وناققت وتملقت وذللت وسجدت لنا وأنت لا تعيننا بأي شيء من ذلك وإنما تعني به كله نفطنا ولأنك لم تجد فينا ما خلا نفطنا شيئاً يستحق المحاسبة أو المحاكمة أو المعاملة أو المحاوراة أو المساءلة أو الرؤية أو القراءة أو الفهم أو التفسير أو الخوف أو حتى المساومة أو الغضب أو الاستنكار لهذا غفرت لنا كل نقائصنا بل وجعلتها بل وجعلتها أي نقائصنا هي المعلمة والقائدة والمصححة والمحضرة لكل من يريدون أن يتعلموا ويعلموا ويتقدموا ويتحضرُوا ويصلحوا ويصحبوا كل شيء فيهم وفي حياتهم بل وفي الكون بل وجعلتها أي نقائصنا كل ذلك لكل من أصبحوا كذلك أي عالمين متعلمين متقدمين متحضرين مصلحين مصححين لأنفسهم ولحياتهم وللكون ولكل شيء..!

لقد أعلنت أيها العالم ذلك ولا تزال تعلمه أو جعلتنا نعتقد أنك تعلمه وتعتقد، أو تعتقده دون أن تعلمه، أو تحياه وتعرضه دون أن تعتقده جحوداً ونكراناً وحسداً وغيره من أمجادنا التاريخية والأيدية. لقد جعلتنا نعتقد ذلك وتعلمه. فملت ذلك وكأنك تريد أن تقول لنا: لقد فعلتم كل شيء جيد وعظيم وجميل في كل معاني الحياة فلا تفكروا أو تحاولوا أن تريدوا أو تفعلوا أي شيء جديد أو آخر..

.. كأنك تريد أن تخدعنا وتضللتنا وتخدركنا وتموئنا عن أي تحرك أو صعود، كأنك ترانا محتاجين إلى أن يفعل بنا ذلك من خارج أنفسنا لأننا لا نستطيع أو نريد أن نفعله بأنفسنا بلا أية قوة خارجية خادعة مضللة مخدرة معوقة بل ولو تجمعت وجاءت كل القوى لتمنعنا من أن نفعل ذلك بأنفسنا ولأنفسنا.. من أن نفعله بها ولها بكل الفسوة والقيح والافتضاح.. كأنك أيها العالم لا تعرف ذلك فينا.. كأنك لا تعلم أيها العالم أن من أوصافنا التي لم تتغير ولن تتغير أننا مهما احتجنا إلى كل الآخرين ليصنعوا لنا ربنا وفيما كل شيء جيد أو عظيم أو جميل أو قوي أو نافع أو معقول أو محتوم أو حتى نقي فإننا لم نحتج ولن نحتاج إلى من يصنع لنا شيئاً من ضعفنا أو عجزنا أو هواننا أو جهلنا أو تخلفنا أو هزائنا أو فقرنا أو عيوبنا أو ذنوبنا أو إلى من يعلمنا ذلك أو يدلنا أو يحرصنا عليه أو يقودنا إليه أو يدعو لنا إلينا ليوقعه بنا أو يدعو لإلها أو يغيره ويغيره ليجيء أسوأ أو أقيح أو أعجز أو أقسى مما جاء.. إننا لم نحتج ولن نحتاج إلى من يخدعنا، إننا مخدوعون ذاتياً كل الانخداع!

.. حتى إلها إن كل شيء وكل أحد لن يستطيع أن يجعله أفضل وإننا نحن لن نحتاج إلى من يعلمنا أو يساعدنا على أن نراه أو نعتقده أو نفسره أو نصنعه أو نجده أو نجعله كل هذا الأسوأ الأرداً..

.. إننا نريد ونفعل كل الأشياء الرديئة بلا أي معلم أو فائد أو مضلل أو مخادع، ونرفض ونعجز أن نفعل الأشياء الجيدة حتى ولو علمتنا إياها وحرّضتنا عليها كل قوى هذا الوجود بل وكل آلهته وأباليسته.. حتى الأباليسة إننا لا نستطيع أن نتعلم منهم شيئاً لا من مزايهم ولا من رذائلهم.. إننا لمستغنون بنفائسنا عن أن يعلمنا الأباليسة أية نقيصة..!

إن إبليس وذريته لو لم يخلقوا أو لو أنهم ماتوا أو لو أنهم لم يعرفوا أو يدخلوا أرض العروبة لما جاءت نقائصنا أو سيئاتنا أو غواياتنا أقل أو أكثر أدياً أو استحياءً مما جاءت...

ولو أنه لم يبعث فينا أو إلها أي نبي أو دين أو معلم أو مهدي أو ينزل علينا أي قرآن أو تعاليم لما جاءت تقواننا أو هداننا أو عقولنا أو أخلاقنا أو براءتنا أقل أو أضعف مما جاءت أي لو كان لنا شيء من ذلك.. من الهدى أو التقوى أو العقول أو الأخلاق أو البراءة النفسية والإنسانية..

إن كل عبقریات وحيل كل الأباليسة وحلفائهم وأعوانهم لم تساعدنا على معرفة وفعل وترسيخ أية سيئة من سيئاتنا...

وإن جميع أديان وتعاليم ونبوءات وكتب جميع الأنبياء لم تستطع أن تساعدنا على أن نكون لنا حسنة أو مزية واحدة ترى أو تعرف أو يعترف بها أو تحترم أو تهاب أو تعد وتحسب حين تعد وتحسب الحسنات والمزاي - لم تستطع ولن تستطيع ذلك.. إن كل الآلهة والأباليسة يريون من سيئاتنا ومن حسناتنا لو وجدت.



في هذا اليوم سهلت وزارت ونبحت وغنت جميع الأجهزة العربية المرئية والمقروءة والمسموعة

معلنة بكل مشاعر الحماس والكبرياء والنخوة أنه مهما حدث فإن سلاح النفط سيظل معداً لإطلاقه على كل العالم مرة ومرات أخرى ودائماً ما لم يحارب إسرائيل بكل الأسلحة ويعاها حماية وراثاء واحتراماً وتعظيماً لعبونا وهواننا وبلادنا بل وترسيخاً وتخليداً لكل ذلك فينا!

... لتعصب أيها التاريخ بكل الصمم والأمية وفقد الذاكرة لفلا تكتب أو تروي أو تذكر أو تتذكر شيئاً عن العرب.. عن حرورهم وأمجادهم النفعية.. ولكن هل أنت أيها التاريخ تفعل أي شيء من ذلك بالصدق أو الذكاء أو الإنقاذ أو الأخلاق أو التقوى لكي يخشاك من يجب أن يخشوك؟ هل يوجد مزور مثلك؟ هل يوجد تزوير غير تزويرك أيها التاريخ؟ ألسنت كل المزورين؟



.. لماذا أيها النفط العربي جئت بدلاً عن الإنسان العربي؟ لماذا جئت بهذه الضخامة والقوة والانتصارات وجاء الإنسان العربي بهذه الضلالة والعجز والهزائم؟ هل مجيئك كما جئت هو الذي جعل الإنسان العربي يجيء كما جاء أم كان مجيئك كما جئت أي بكل هذه القوة والضخامة والانتصارات تعويضاً لمجيء الإنسان العربي كما جاء أي بكل هذه الهزائم والضعف والضلالة؟ هل القضية قضية تقسيم أم قضية تعويض؟ هل في القضية سرقة أو نهب واغتصاب؟ هل سرقت أو نهبت أو اغتصبت من الإنسان العربي كل معانيه القوية الفعالة لتصبح أنت هذا الجبار ويصبح هو هذا الهزيل الضعيف في كل صيقه وتفسيره.. في كل أفعاله وأفكاره؟

هل هنا خيار صعب أليم لا بد منه: هو أما أنت وأما هو دون احتمال أو إمكان أن تكون أنت وهو معاً؟ ومن يمكن أن يكون المقرر الفارض لهذا الخيار إن كان ذلك كذلك؟ ولماذا جاء هذا الخيار ولم يجيء الخيار الآخر؟

إذن أيها النفط العربي هل أنت سارق ناهب مفتصب شرير أم أنت بديل نبيل رحيم؟

وماذا لو لم تأت أو لم تأت كما أتيت لا سارقاً ناهباً غاصباً ولا بديلاً نبيلاً رحيماً؟ هل لهذا جواب وهل يمكن معرفة الجواب؟ وهل أنت إن كنت بديلاً بديل نبيل أم بديل أليم، أليم لثيم؟ وأين غاب السؤال الذي يجب أن يقول: لماذا استحتم أيها النفط العربي أن تجيء قوياً جباراً كما جئت ويجيء الإنسان العربي كذلك؟ هل توجد قوة شريرة فوق هذا الكون معادية للإنسان العربي منعت أن يحدث ذلك؟

وأي الخيارين أفضل وأنفع للإنسان العربي إن كانت القضية قضية خيار أو تخيير محتوم: أن يجيء أي الإنسان العربي مثلما جاء نفعه قوياً جباراً مخيفاً ويجيء نفعه مثلما جاء هو ضعيفاً هزلياً ذليلاً أم أن يحدث العكس أي مثلما حدث وما هو حادث؟ وهل يمكن أن يقال لقد كان من الأفضل الأنفع أو الأمسر للإنسان العربي ألا يكون له نفع بكل هذه القوة أو بلا أية قوة إذا كان محتوماً أن يجيء وأن يظل هو بكل هذا الضعف؟

أليس اختفاء من لا يستطيع أن يكون عظيماً أو جميلاً أو نظيفاً أو ساراً أفضل من ظهوره؟ ولكن لا يمكن أن يصدق القول لو قيل بأن النفط العربي بضخامته وقوته وإغوائه وإغوائه قد أسكت أو أنام أو أمان أو أضعف المواهب والطاقات العربية ومنعها من التفجير والظهور القاهر الباهر بإغوائه عنها وأنه لولاه لانطلقت في الإنسان العربي ومنه وعنه أضخم وأقوى المواهب والطاقات... .. لا يمكن أن يصدق هذا القول لو قيل لأن وجود الطبيعة القوية الغنية السخية لا يصد أو يخيف أو يعتقل الطاقات والمواهب إذا وجدت بل يحركها ويحرصها ويؤججها ويفجرها ويتحول إلى أقوى وأذكى وقود لها..

كما أن فقد مثل هذه الطبيعة الغنية القوية السخية لن يعوق المواهب والطاقات الموجودة من التعبير عن نفسها بأقوى وأبدع الأساليب، فالمواهب الموجودة لن تفقد أو تفقد أو تسكتها أية ظروف، والمواهب المفقودة لن توجد أية ظروف.. إن المواهب الموجودة القوية تصنع الظروف الملائمة وتحول الظروف غير الملائمة إلى ظروف ملائمة..

أما المواهب المفقودة فلن تصنع منها الظروف الملائمة أية مواهب ملائمة للتعامل المشكافي، معها..

فالمثقفون العاجزون تخلفاً وعجزاً ذاتيين لن يكونوا متخلفين أو عاجزين لأن ظروفهم جيدة ولا لأنها رديئة..

والمثقفون القادرون ذاتياً وتكوينياً لن يكونوا متخلفين ولا عاجزين مهما كانت جودة ظروفهم أو رداءتها..

قد يقول التفسير الفاجع لقضية الإنسان العربي ونقطه إن صاحب هذا الكون قد تورط أو تعجل قبضق هذا النفط في الأرض العربية بكل هذه الضخامة والإسراف فأصابه الندم والحسد للإنسان العربي بكل القسوة والانفجاع ولم يعرف أن يتراجع عما فعل فذهب يعاقب بكل الوحشية والفظاظة واللؤم، فكان عقابه أن سحب من الإنسان العربي كل المواهب والطاقات الفاعلة القادرة المبدعة الخلاقة المنتصرة الذكية انتقاماً من إعطائه ما لم يرد أو يقبل أن يعطيه له وهو ضخامة هذا النفط..!

لقد غلط فأعطاه فحسده فعاقبه عقاباً لا يستحقه على ما أعطاه..!

إن من درس وعرف أخلاق ونفسية الإله العربي وردود فعله لا بد أن يرى هذا التفسير محتملاً إن لم يره محتوماً أو لن يراه مفروضاً أو مستحيلاً.. إن الإله عربي العواطف والمشاعر.. وهل يبارى العربي في موهبة الحسد وفي الاستجابة القبيحة لها؟

إن للحسد والحاسد شأناً كبيراً ونبلاً في حساب الإله العربي.. لقد تحدثت عنهما في قرآنه بكل التهويل والتضخيم والانفعال المدعور المفجوع، لقد تحدثت عنهما بأسلوب من يخشى على نفسه منهما..!

إنه ليكاد يخاف على جبروته وقوته من جبروتهما وقوتهما..!

.. لقد أنزل على خاتم سيد وسultan أنبيائه محمد سورة التعوذ والتعوذ يأمره بكل الرهبة والتوقعات الأليمة المحترقة بأن يستعبد به ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

إنه لم يكتف بأن يعيده ويحميه من شرور الحاسدين وهو القادر على ذلك وعلى كل شيء بل من ضخامة خوفه من ذلك أي من قدرة الحاسدين وفتكهم فقد منطقه وتوازنه بل وخرج على كل منطق وتوازن وتعقل واحترام للنفس وأمره.. أمر من يريد إنقاذه من ضربات الحاسدين أن يطلب منه هذا الإنقاذ بكل أساليب الاقتضاح كأنه قد نسي أنه وحده القادر على هذا الإنقاذ والمريد الفاعل له.!

كم في هذا من التضخيم لخوفه من الحسد..!

إنه لشيء رديء وقبيح وفاضح بكل التفاسير والحسابات أن يقول أي قائل: إنني أخاف الحسد.. أن أحسد.. إنني أستعبد بديني أو بالهي أو بتقواي من أن أحسد.. من أن يقتلني أو يشوهني أو يفقرني أو يذلني أو يسحب مني مجدي أو جمالي أو قوتي أو ملكي وسلطاني أي حاسد فكيف بمن يطلب منه ويوحى إليه إلهه بأن يقول ذلك وأن يحوله إلى كتاب مقدس.. إلى قرآن منزل خالد يقرأ ويحفظ ويصلى به ويعلم معجراً لكل الكون ولكل من فيه كل الأزمان؟

ماذا لو أن أي حاكم أو زعيم أو قائد ذهب يعلن في خطبه وبياناته أنه يخاف من الحسد والحاسدين وأنه يصلي ويتعبد ويفعل كل شيء خائفاً ومستعيداً من شرور الحسد والحاسدين طالباً الإنقاذ.. الإنقاذ مستعيناً بالرقى والتماائم وقراءة الأذكار؟ هل يمكن أن يقابل أو يفهم مثل هذا بغير السخرية والرتاء والاستهزاء؟ إن الإله العربي يخاف كل هذا الخوف على نبيه العربي الأرواح من الحسد إذن ألا يعني ويفسر هذا أنه أي الإله العربي يخاف على نفسه من ذلك خوفاً أشد وأحد من خوفه على نبيه؟

لنقرأ هذا ولنفكر فيه...

لماذا يختفي الإله اختفاء أبدياً عن كل العيون والعقول والقلوب والضمائر وعن كل تطلع وانتظار له وإلى؟ لماذا؟

ولماذا يجيء أبداً تخطيطه وتديره وإرادته وخلقه وفعله وعرضه لنفسه بكل هذا القبح والضعف والقبح والرداءة والأخطاء والخطايا وبكل الخروج على كل الفن والإتقان والجودة والجمال والمنطق والحكمة حتى تحولت كل عبقریات وحضارات ونضال الإنسان إلى محاولات تصحيح وعلاج لأخطائه وخطاياها؟ لماذا؟ ولماذا يحول نفسه أبداً إلى مهزوم مقهور ذليل أمام كل أعدائه، أمام إبليس وكل أبنائه وأعدائه ليظل أبداً حزيناً كئيباً مغيظاً مقاسياً لكل الغضب والعذاب النفسي والقلبي والأخلاقي بل والاجتماعي والكوني حتى ليستحق كل الإشفاق والرتاء والرحمة من كل القلوب والمواطف الرحيمة بل والقاسية؟ لماذا؟ ولماذا يجعله يعلن نفسه أي الإله دائماً محروماً كل الحرمان من كل المتع والاستمتاع بلا أي استثناء.. بلا أي مثيل؟ لماذا؟

هل للإله مثيل في حرمانه من كل اللذات؟ لماذا اختار لنفسه ذلك؟

لماذا جاء كائناً يستحق أبداً أن يرحمه ويعطف ويشفق عليه ويحزن ويرثي له كل أحد دون أن يستحق غيره أو غبطة أو حسد أحد حتى ليذهب من قسوة غيظه وغضبه وعذابه وعصيانته وهزائمه يقاسي كل المقاساة ليخلق الجحيم بكل أهواله وتكاليفه وحراسه وزبائنه ليرد به على عتف عذابه وقسوة حياته.. ليرد به على ما قاسى ويقاسي بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض؟ لماذا؟

هل وجد عامل معذب بلا أي أجر أو خلاص غير الإله؟ لماذا؟

ألا يكون التفسير حتماً أو احتمالاً أنه قد فعل ذلك بنفسه.. قد فعل كل ذلك بنفسه دون أن يحاول إخفاء أي شيء منه بل محاولاً المبالغة في إبرازه وتكراره وفي الحديث عنه.

نعم، ألا يكون التفسير أنه قد أوقع بنفسه كل ذلك بكل هذا العنف والديمومة ليحمي نفسه من الحسد لأنه لا مثيل له في خوفه من الحسد.. ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾ وإذا لم يكن هذا هو التفسير فأني تفسير إذن؟ إن جميع التفاسير لتفبح وتبذل وتهزم أمام هذا التفسير مهما كانت عبويه وذنوبه..!

إن الإله هو الكائن الذي لا بد أن تكون أجمل تفاسيره هي أردأ التفاسير في منطق كل تفسير ومنطق كل مفسر لأي شيء..!

لهذا فإن أي مفسر للإله لن يجد أي تفسير يرضاه أو ترضاه التفاسير أو ترضى أن يحسب منها.. أن يحسب تفسيراً ليدس فيها..!

فكل تفاسير كل الآلهة هي خيار بين القبيح والأقبح لا بين الجميل والقبيح أو الأجل والأقبح. إن تفاسير كل الآلهة لهجاء لكل التفاسير..

.. إنه لا شيء علم العقل الإنساني التفاسير الرديئة الخاطئة الخارجة على كل التفاسير ودره عليها مثل تفاسيره لآلهته.. إن الإنسان لم يهن أو يفسد عقله أو يخرج عليه مثلما فعل به في هذه القضية.. إنها لقضية تستحق من الإنسان كل اهتماماته.. كل اهتمام عقله وذكائه وكرامته وأخلاقه وحضارته، بل وكل اهتمام تدينه وتقواه وشرفه ونظافته إن كان له أو إن كان قد بقي له شيء من ذلك.. إن الإنسان لم يعاقب كل معانيه مثلما عاقبها بتفاسيره لآلهته..!

إن ها هنا أبها النقط العربي لسؤالاً لعله لم يسأله أحد مع أن المقروض بل والواجب أن يسأله كل أحد..

إنه سؤال قد يهاب الإله سؤاله أو الاستماع إليه أو التفكير فيه أو تصوره أو انتظار أو تفسير جوابه..!

إن أقوى وأوجب وأصدق وأذكى الأسئلة هي أكثر الأسئلة صمتاً عنها وجهلاً بها وقراراً وخوفاً منها وإعراضاً عنها لأنها أكثر الأسئلة تعذيباً وتمجيزاً وإرهاباً وإحراجاً وتكذيباً وتجهيلاً لسائلها وللمسؤولين عنها المطالبين لها بأجوبة..!

لهذا فإنه لا يوجد ولن يوجد مثل الإله صمتاً عن الأسئلة بل ورقصاً وخوفاً من الأسئلة التي

يجب أن يكون هو سائلها والمسؤول المجيب عنها والمحاسب المحاكم بها وعليها أو مثله معاقباً عليها ومعلماً ضدها..!

لعله لم يرسل أحداً من أنبيائه إلا لإسكات كل الأسئلة التي لا بدّ منها..!

... إنه لا يعرف من يخاف الأسئلة وينتهي عنها ويعاقب عليها ويضع كل الحراسات والتشريعات ضدها مثل الإله وأقرب المقرين إليه..!

ماذا لو أن الإله وجه إلى نفسه عن نفسه أو عن أي شيء فعله أو يفعله سؤالاً واحداً جاداً صادقاً ذكياً؟

ماذا لو أنه سأل نفسه: ماذا أنا ولماذا أنا.. كيف جئت ولماذا جئت ومن أين جئت وجئت كما جئت ومتى جئت وهل أبقي وكم أبقي ولماذا أبقي.. وما الثمن أو الفائدة أو المنطق؟ وهل حرضني معرض على المجيء ولماذا حرضني؟ هل جئت مختاراً أم مكرهاً.. هل ندمت على مجيئي أم فرحت ورضيت به وعته.. وهل أسافر أم أبقي أبداً مقيماً في مكاني وذاتي وعالمي؟ .. ولماذا فعلت وأفعل ما فعلته وأفعله.. ولماذا لم أفعله ولا أفعله في صيغ ونماذج وأحجام وأعداد وألوان أخرى؟

هل أمرض حينئذٍ أو أموت أو أحزن أو أحاسب وأحاكم وأعاقب؟ هل فكرت فيما فعلت وأفعل قبل أن أفعله وأصمم على فعلي له.. ولماذا جاء وبجيء تفكيري وإرادتي كما جاء ويجيان.. هل أنا حر في إرادتي وتفكيري أم هما يحتلان ذاتي ويتفجران ويتخلقان فيها كما تتخلق الأمراض والآلام والمجاعات والانفعالات والأعضاء في الأجساد الحية؟ هل جئت قبل إرادتي وتفكيري أم جاءت إرادتي وتفكيري قبل مجيئي.. وهل رضيت لإرادتي وتفكيري عن وجودي ورضي وجودي عن إرادتي وتفكيري وهل حدث تلاؤم وتعاون وتكافؤ بين وجودي بكل صيغه وطاقاته وتفاصيله وبين إرادتي وتفكيري بكل تهويماتهما ومناهناتهما ونزواتهما وعشوائياتهما وبدائياتهما؟ هل وجودي يبدأ وله نهاية أم بلا بداية ولا نهاية؟ وهل أستطيع أن أفهم هذا أو هذا؟

- نعم، ماذا لو سأل الإله نفسه كل هذه الأسئلة أو حتى واحداً منها؟ وهو حتماً لم يسأل واحداً منها وإلا لما حدث أو بقي أي شيء مما حدث وبقي حتى ولا وجوده أو ذاته؟ هل يمكن أن يسأل نفسه شيئاً من هذه الأسئلة؟ هل يتصور ما لا بدّ أن يحدث حينئذٍ؟



والسؤال الذي أغرقنا وأحرقنا وألقى بنا في كل هذه الحرائق والفواجع من الأسئلة هو سؤال يتصل بأقصى وأقبح فاجعة كونية تاريخية.. يتصل بقضية يصعب أو يتندر أو يستحيل أن تتكرر في التاريخ أو في الوجود أو حتى في الخيال؟

إن الصانعين لهذه القضية متفوقون بضعفهم على كل شيال..!

.. إنه سؤال يتصل بالمواجهة العربية الإسرائيلية التي قاسى منها التاريخ والكون والمنطق

والأعلاق بكل الترويع والانفجاع والذهول وبكل مشاعر العار والخزي.. إنه لم يؤلم أو يفزع التاريخ مثلاً فعل به قومي العرب!..

إن لقومي مزية عظيمة.. إنها إذلالهم لكبرياء التاريخ ولكرامته..

.. يقول هذا السؤال: ماذا لو كان العرب بلا نفط حين مواجهاتهم لإسرائيل.. كل مواجهاتهم لها؟ ثم يقول السؤال: وماذا لو كانت إسرائيل تملك كل النفط العربي حين حدثت جميع هذه المواجهات والعرب لا يملكون إلا أنفسهم.. إلا مواهب وطاقات الإنسان العربي.. لا يملكون إلا إلههم ونبيهم ودينهم وقرآنهم وتاريخهم وشعرهم وشعراءهم وإنسانهم بكل أوصافه؟

.. لتكسف وتكشف بل لتحت كل الشمس والأقمار والنجوم وكل شيء أمام هذا السؤال انفجاعاً وفراراً من رؤية وسماع نتائج وتفسير ذلك وتوقعاته!..

هل تستطيع أو تقبل أية لغة أن يؤلف منها هذا السؤال لقسوة وقبح ما لا بد أن يكون جوابه؟ هل جاء كل هذا الصمت عن هذا السؤال لأن جميع اللغات ترفض أن تسأله استمراً واستقباحاً وانفجاعاً؟

بالستان أذا الإله إن سمعتا هذا السؤال!..

.. كيف لم يتذكر أو يذكر الإله العربي ولا النبي العربي هذا السؤال أو هذه القضية أو هذا الافتراض؟ هل ذلك عجز عن معرفة أو تخيل أو توقع ما سوف يحدث أم كان ذلك رهبة أو استحياء أو انفجاعاً أو تستراً على ما لا يطاق كشفه وإعلانه ومعرفته؟ إنه لصعب بل لأقسى هجاء لهما تصور خيالهما وقراءتهما بكل هذا الضعف والعجز والغفلة!..

.. ولو أنهما أي الإله والنبي العربيين ذكرا وتذكرا وعرفا ذلك هل يقبلان أن يكونا عربيين أو قاتدين ومعلمين للعرب أو منسويين إليهم أو معاشين لهم أو متعاملين ومتخاطبين معهم أو حتى مواطنين لهم في هذا الكون أو في أي كون آخر؟

إنه لن يستحق الرثاء مثل إله يسمع ويرى ويقبل ويرفض أن يعيش في العالم العربي!..

ولولا أنهما أي الإله والنبي العربيين لا يقرآن ولا يعرفان القراءة ولا يستطيعان تعلمها ولا يردان ذلك ولا يستمعان لمن يقرؤون أو يفكرون أو يفهمون أو يسألون ما يقرؤون - لولا ذلك لكان محتملاً أن يقرأ أو يسمعا أو يعرفا هذا السؤال بعد أن كتبتهم وطرحته بكل هذه القسوة والحرارة والانفجاع والتفجيع والترويع!..

ولا بد أن أكون حينئذ أنا المسؤول عن ذلك.. المحسن أو المسيء.. المفرح المسعد أو الفاجع المشقي لهما.. المخلص المنتقد أو المورط الموقع.. وهل أقبل أو أستطيع أن أكون وحدي المسؤول هذه المسؤولية.. مسؤولية أن أجعل الإله والنبي العربيين يقرآن أو يسمعان أو يعرفان أو يفكران هذا السؤال الذي يصعب أو لا يستطيع حينئذ أن يعرف كيف يمكن أن يريا أو يفشرا نفسيهما أو يهربا من نفسيهما أو أن يفعلا بنفسيهما أو بأي شيء أو بكل شيء؟

ما أعجب هذه الأمية.. ما أنفعها أو أضرها وأخطرها.. أمية الإله والنبي العربيين. أميتهما الدائمة

الشاملة.. أميتهما الحرفية واللغوية والعقلية والقلبية والأخلاقية والنفسية والسمعية والبصرية بل والدينية..
إن أميتهما الدينية هي أقسى وأردأ الأميات..!

أليسا أميين حتى في تدينهما وفي تعليمهما للدين والتدين؟ إن أمة الدين والتدين هي من أوسع وأخطر وأقوى وأشمل وأدوم الأميات في الماضي والحاضر والمستقبل في العالم كله..!
ومن أخطر وأقبح ما في هذه الأمة أنها تعلم وتمجد وترسخ ولا يعلم ضدها للخروج منها.. إن الأديان والنبوات والكتب المقدسة تنزل لتعليمها لا لتعليم الخلاص منها بل ولمقاومة أية محاولة للخلاص منها أي من أمة الدين والتدين..

كتب هذا الفصل قبل خروج هذا الفارس العربي من المعركة حسيماً كسيراً مفاجئاً مروعاً من العضلات والعقول والأخلاق والقروسيات التي أدار وخطط وخاض بها قومي معركته أي معركة الفارس العربي.. النفط العربي.

الأذكىاء هم مبتكرو ومعلمو الغباء لماذا قال النبي هذا؟

إنه عربي لم يكن محتملاً أو متوقفاً أو مقبولاً أو حتى مغفوراً أن يكون عربياً أو أن يولد أو يوجد أو يعيش في مجتمع عربي..

.. إنه مصاب بكل مقاساة وعذاب وانفجاع التحديق والمساولة والمحاسبة والقراءة والتفسير لكل شيء وفي كل شيء بكل الاشتراط.

.. إن قلبه وضميره وفكره وأخلاقه ورؤاه في حالة احتراق دائم.. في حالة حرب.. اشتعال.. غليان.. إنه العذاب كله.

كان يتساءل دائماً بكل الانفجاع والترويع:

.. كيف كان النبي محمد يقول ودائماً يقول معلناً ومكرراً قوله.. يقول: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» أي ولا نقرأ.. كيف كان النبي محمد يمجّد الأمية المطلقة الشاملة الدائمة.. يمجّد نفسه ويباهي بها لأنه أمي ويمجّد قومه ويفاخر بهم لأنهم أميون..!

كان هذا الإنسان العربي الغلظة الغريزة الأليمة يصرّ جداً في حبه لقومه وفي إرادته ورؤيته لهم، كان عذابه لقومه وفي قومه رهيباً، رهيباً.. وقد جاء تعبيره عن ذلك إسرافاً في نقله وتفسيره وتوبيخه وعتابه وحسابه لقومه..

لقد كان مدافعاً جاء في صيغة وتعبيرات مهاجم، بلغة مهاجم.. وفي جحيم احتراقه وحيرته في هذه القضية ولعنّف رغبته في الدفاع عن النبي محمد رأى أن محمداً لم يكن في موقفه وقوله هذا مادحاً للأمية وإنما كان اضطراراً معلماً ومنتبهاً لها ومحرضاً داعياً إليها وعليها أي مضطراً..

لقد رأى أي النبي محمد أن قومه يفتضحون ويصفرون ويهونون ويشلدون ويقبحون كلما كتبوا وقرؤوا وحسبوا ونطقوا.. كلما فكروا وحاوروا ورأوا وحكموا وعلموا وتعلموا وعلموا.. بل وكلما تعبدوا وصلوا وصاموا وحجوا ودعوا إلههم وطلبوا منه ومدحوه ووصفوه وقرؤوه ونشروه ورأوه وتذكروه.. ما أعظم افتضاحهم بالإلههم وافتضاح إلههم بهم..!

ما أعظم افتضاح كل شيء وأي شيء تكون لهم علاقات تعامل به ومعه..!

لقد رأى النبي محمد قومه هذه الرؤية وكأنه قرأ وسمع وتهم كل ما يكتبون وقرؤون ويقولون

ويذيعون ويعلنون اليوم.. كل كتبهم وصحافتهم وإذاعاتهم ومؤتمراتهم ومخاضاتهم ومشاتهم ومنابرهم ومحاربتهم وسينماياتهم ومسلسلاتهم الفاجعة المشوهة المخجلة المهينة لكل السماع والرؤية والحساب والمحاسبة ولكل أجهزة العرض والإخراج والمواجهة.. لكل ما يرى ويسمع ويقرأ ويفسر ويعرض ويحسب ويحاسب ويعمل ويعامل..!

.. نعم، بكل الأسى والانفجاع والاستحياء والغیظ والغضب رأى محمد قومه هذه الرؤية وكأنه رآهم وبراهم اليوم معروضين في كل معارض الفضح والهجاء والتصفير بكل أساليب العرض لذلك وعلى كل أجهزته. فأراد بكل الحماس والإخلاص أن يستترهم..!

هكذا يفسر هذه القضية هذا الإنسان المحسوب في مجتمعه الغلظة الأولى وقد تكون الغلظة الأخيرة.. قال هذا الإنسان: وحين رأى أي محمد قومه هذه الرؤية أراد بكل النخوة والحماس والقداء أن يستتر ويخفي حقيقتهم هذه فنهأهم بهذا الأسلوب الغامض عن تعلم القراءة والكتابة والحساب والمحاسبة والمحاورة والتفكير بل والكلام. أه. ما أقسى تاريخ الكلام فاضحاً مفتضحاً...!.. موقعاً أي محمد بنفسه اتهامه بأقسى وأقبح الاتهامات.. اتهامه بأنه نبي ورسول البداوة والجهالة وعدو التقدم والحضارة والحياة الجميلة القوية الذكية السعيدة لأنه ينهى عن العلم والتعليم بنهيه عن تعلم وتعليم القراءة والكتابة والحساب والكلام.. وبدعوته إلى الأمية المطلقة الشاملة الأبدية وبامتداحه لها. لقد كان محمد هنا مبالغاً في إيدائه لنفسه ولسمعته لأنه كان مبالغاً في حبه لقومه ولإرادته الستر عليهم والدفاع عنهم وفي خوفه من عرضهم لضعفهم بتعليمهم وتعليمهم للقراءة والكتابة ولأي شيء من أجهزة التعبير والتطق والعرض.

لقد يكون الستر على عورات اللسان هو أنبل وأعظم ستر..!

.. ولقد جاء النبي محمد نافذ الرؤية صادقها في هذه القضية.. ولعل أية رؤية أو تعليم من رؤاه وتعاليمه لم تجيء أو يجيء في صدق ونفاذ هذه الرؤية وهذا التعليم وفي نتائجهما المرجوة. لقد كان في ذلك متخبطاً لنفسه متفوقاً عليها في كل رؤاها وتعاليمها.. إنه أي محمداً لو لم ير ويعلم إلا هذه الرؤية وهذا التعليم لكان أعظم وأذكى وأصدق الأنبياء والمعلمين والرأيين والخراسين.. إن رؤيته هذه لقومه العرب لتمجيد لبنوته ولقراءته للغيب.. لهذا يجب أن يقال: ليت لم ير إلا هذه الرؤية ولم يعلم إلا هذا التعليم. ليت محمداً كان قليل الرؤى قليل التعاليم.. لأن رؤاه وتعاليمه الأخرى قد تكون مسيئة إلى رؤيته هذه وإلى تعليمه هذا.. إنها مسيئة إليه وإلى قومه وإلى كل شيء..!

كم هو مفجوع ومروع ومصدوم من يحاسب رؤاه وتعاليمه الأخرى ومن يخلق فيها قارئاً ومفسراً ومحاوراً لها ومتعاملاً معها وبها.. إنه لا دفاع عن كل رؤاه وتعاليمه الأخرى إلا بالآ توى أو تقرأ أو تحاسب أو تفسر أو تعامل أو يحاول العمل والالتزام بها..

.. إن الذين يعرضون رؤاه وتعاليمه الأخرى بإعلانها أو بتفسيرها أو بالدعوة إليها أو بالمفاخرة أو بمحاولة العمل بها.

- إنهم لن يكونوا أو يحسبوا إلا فضاخين له، إلا دعاة ضده.. كيف لم يعرفوا ذلك؟ هل عرفوه ولكنهم أرادوا أن يفضحوه؟



أه. إن كل رؤية وأية رؤية لكل عرب اليوم.. لكل قوم محمد لتتحول إلى أعظم شهادة لصدق ونفاذ رؤيته ولذكاء وروعة وفوائد تعليمه حين أراد أن يعلم قومه بهذا الأسلوب الغامض جداً ألا يتعلموا القراءة أو الكتابة أو الحساب أو المحاسبة أو النطق أو التعبير بأي أسلوب من أساليب النطق أو التعبير أو العرض للنفس..



ولكن كيف ينتظر أو يحتمل أن يطبع قوم محمد محمداً في تعليمه هذا الغامض.. الغامض جداً وقد عصوه أفسى وأقوى وأقبح وأدوم العصيان في تعاليمه وأوامره ونواهيه الحادة الحاسمة الظاهرة.. في كل تعاليمه ونواهيه وأوامره هذه؟

.. إنه لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد عصاة كقوم محمد..

كما أنه لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد معصي كمحمد..

إن كل رثاء وكل شيء ليطلب وينبغي أن يتحول إلى رثاء لمحمد لقسوة وشمول وديمومة وقبح ووقاحة ونذالة وبذاءة وفجور العصيان له.. إنه لو كان كل شيء محتملاً كما كان محتملاً أن يطبع قوم محمد محمداً..!

.. حتى المطيعون لمحمد لو وجدوا أنهم لعصاة له بأساليب ونيات أخرى بل بأساليب ونيات طاعتهم فكيف إذن بالعصاة.. إن المطيعين له لأعنف وأقبح عصياناً له من المطيعين له، كما أن المداحين له أعظم وأقبح ذماً له من الذامنين له..!

.. إن العربي لأقبح وأردأ عاص حين يكون مطيعاً فكيف به عاصياً، عاصياً؟ إنه هاج عاصي لآعن محفر مشوه مهما عرض نفسه ممجداً مطيعاً مادحاً متديناً. إن العربي تفسير واحد مهما تعددت آياته وسوره..! إنها إن وجدت وقد توجد أو لا بد أن توجد استثناءات في هذه القضية أو في هذه القضايا فلا يجب استثنائها لنحالتها وضآلتها ونذرتها..

قد يقال هنا إن كل ناقد بتعميم وقسوة محتاج إلى الاستثناء، قد يقال هنا: ويستثنى من ذلك الناقدون للكينونات العربية مهما كانت قسوة تقديمهم وتعميمهم..!

إن الهاجي لكل الكينونات العربية في كل فصولها وتاريخها لن يكون مخطئاً أو ظالماً أو معتدياً مهما كانت قسوة وشمول هجائه..

.. إن المادح الممجّد لأية كينونة عربية في أي فصل أو تاريخ من فصولها وتواريخها فلا بد أن يكون مخطئاً أو كاذباً أو منافقاً أو مغفلاً مخدوعاً مهما كان ضعف وقلة وبرود امتداحه وتمجيده..!

.. إن الكيّنونات العربية في كل أزمنتها وأمكنّتها لتزكية وتصديق لكل الغاضبين عليها المفجوعين بها.. وإنها لتكذيب وتجريح لكل الراضين عنها المسروين بها..
ما أقسى وأدوم عذابي لأنّي أنا وحدي الرائي لقومي هذه الرؤية المرید لهم ما لم يريدوه لأنفسهم وما لم يستطيعوه لأنفسهم..

.. ما أفدح وأشمل وأدوم عذابي بقومي ولقومي..
آه، إننا نعتذب بقدر ما نحب، هل يمكن أن نعتذب من لا يحبون؟
.. ما أقسى وأفجع عذاب المحب جداً حين يجد أحباءه أقل جداً مما يريد لهم فكيف يعذابه وانفجاعه حين يجدهم أي حين يجد أحباءه تقيضاً حاداً شاملاً لكل ما يريد لهم ويريد منهم؟
إذن هل يوجد عذاب أو انفجاع مثل عذاب أو انفجاع عربي يريد ويطلب ويحب لقومه أن يكونوا كل نماذج أو حتى أحد نماذج الكيّنونات الإنسانية المطلوبة المعلمة المفسترة؟ وهل وجد هذا العربي ليتحول كل شيء إلى رثاء وعزاء وبكاء له وعليه إن وجد..؟!
آه، كيف لا يعلم قومي وكيف لم يعلموا أن المادحين لهم المعلنين رضاهم عن كيّنوناتهم لن يكونوا إلا أغياء جهلاء أو إلا منافقين مخادعين كاذبين..

.. وإن الناقدين لهم بصدق وحرارة ورؤية وغضب وقسوة وغيرة هم الأصدقاء الأحياء.. هم الذين يجب أن يقبلوا ويقروا ويرحب بهم ويستمع إليهم ويطلب لهم ومنهم بالمزيد؟
لماذا جاء الإنسان العربي كالإله يطلب بالمديح الكاذب المنافق النقي الجاهل ويسعد ويرضى به ويرفض ويطارده النقد الصادق المخلص الذكي الشجاع ويحزن ويشقى به؟
أيهما علم الآخر ذلك: الإنسان العربي علّمه الإله العربي أم الإله العربي علّمه الإنسان العربي؟
وهل يوجد معلم آخر لذلك؟

إنه لا مثيل للإله ولا للإنسان العربي في إرادتهما للمديح السخيف البليد الكاذب المنافق وفي مطالبتهما به كما لا مثيل لهما في رفضهما ومعاقبتهما ومقاومتهما للنقد الصادق البريء الذكي المخلص الشجاع..

إنه لا مثيل لقبح تاريخهما في هذه القضية.. إن التاريخ لم يأثم أو يصغر مثلما أثم وصغر بهما لما حملاه من آثام وصغائر شهوتهما هذه.. إنهما عاشقان للصغار الذين يستفرغون المديح بلا نظافة أو ذكاء أو كرامة.

.. إن أي فصل من فصول التاريخ العربي لا يساوي فصل تاريخه في المديح مشروعاً ومطلوباً ومفروضاً ومثاباً مرشياً ومعاقباً تاركه والمتوقر المتأني في أدائه أي لو وجد هذا التارك أو المثاني المتوقر..

.. فصل تاريخه في المديح الكاذب المنافق البليد السخيف معطى ومأخوذ..

.. تاريخه مادحاً وممدوحاً عابداً معبوداً مزوراً مزوراً له..

كما أن فصول تاريخ الإله ولا سيما الإله العربي تضمر وتضمر وتختفي أمام تاريخ الامتداح له وتاريخ مطالبته بهذا الامتداح وشوقه إليه وجنونه في حبه وانتظاره له..

إن كل آلهة البشر لتبهون وتهزم أمام الإله العربي في هذه القضية..!

.. إنه لو تجمع وتعاون كل أطباء وعلماء النفس وكل المحللين النفسيين لما استطاعوا أن يكتشفوا التفسير لرغبة الآلهة ورغبة الإنسان العربي.. رغبة حكامه وزعمائه وأنبيائه وقادته وأقربائه بل وعامته وضعفائه في المديح المبسوق من أردأ وأصغر وأكذب وأجبن الأفواه والنفوس والعقول والأخلاق والنيات. وهل يأتي المديح إلا من ذلك؟.. ولما استطاعوا أن يعالجوا شيئاً من ذلك..!

ماذا يعني أو يساوي المديح؟ هل عرف المریدون لذلك ذلك أو فكروا فيه؟

.. إن أقصر وأضعف قامة لأية زعامة أو نبوة أو إمامة عربية لترضى وتسعد بل وتطالب بأن توصف وتمدح بأنها من قوتها وطولها تناطح بل وتسقط النجوم وتطأ هامات المجرات..!

.. وإن أي إله ليسعد ويرضى ويفرح ويطلب ويأمر بأن يوصف بأنه أرحم وأحكم وأنبأ الرحماء والحكماء والنبلاء لأنه شاء وأحب وتعمد أن يفتأ أجمل عينين ويشوه أجمل وجه ويصيب ويقعد أقوى وأعلى قامة ويغجع بأعلى محبوب ويسرق من كل الأجساد والنفوس والعقول صحتها وشبابها وقوتها وفرحها ثم حياتها.. ما أطول المسافة بين أوصاف الإله وأفعاله..

ما أطول المسافة بين ما يطالب به ويقال عنه وبين ما يفعله..!

.. وأنه أي الإله ليطالب ويعاقب ويشاتم ويقارع ويناطح لكي يصاغ كل المديح المتعبد الذليل للثناء على شهامته ونخوته وعدالته وتوبته وتصحيحه لأخطائه وعدوانياته وعلى تراجمه السريع النائب المعتذر عنها ومنها مع أنه ثم يحدث ولن يحدث في كل حياته أن أحس قتيلاً قتلته أو نصب وسوى قامة حناها وجعلها أو جعل وجهاً شوهه أو بنى بيتاً أسقطه أو أعاد تشييد وتعمير مدينة زلزلها ودثرها أو زرع صحراء صنعها وأفقرها أو اعتذر بإرسال رسول أو رسالة أو بصوته المسموع أو بحضوره إلى أي مظلوم أو مهان أو محقر أو مستعبد أو ناقص أو عاجز أوقع هو به ما أصابه ودثر وأراد له ما أوقع به كل الدهاء والخبث والجرأة واللغات والأساليب الإعلانية الإرهابية المعلمة المقروءة المفشرة في نبوات أنبيائه..

.. كما لم يحدث أن استمع أو استجاب لأي مفجوع أو مقهور أو منكوب أو مصاب دعاء بكل اللهفة والتذلل والتعبد والأمل لينقله أو حتى ليخفف عنه مما فعله هو به..

.. كما لم يحدث أن خرف دمة أو أن أنه أو أصيب بهرجة ندماً أو أسمى أو استحياء مما فعل وعلى ما فعل ولما فعل بضحايا الذين هم كل من وجد وكل من سوف يوجد..!

إن كل الدموع والأنثاء والانفجاعات لن تساوي ما يجب أن يصاب به الإله من ذلك لما فعل..

.. وأنه أي الإله ليزور الأديان والأنبياء ليوظفهم مداحين لذكائه وأخلاقه وبراءته ولتدينه

وتقواه وقوته ونضاله لأنه يلعن ويحقر ويهدد ويعاقب الأغبياء والضعفاء والمذنبين والفضالين والمخطئين والمتحرفين مع أنه هو المخطئ والمصنم والصائغ والمخرج والمؤلف والبانى والمريد لهؤلاء بكل صيغهم ومعانيهم وبدائياتهم ونهاياتهم وقوتهم وضعفهم..

.. ومع أن هؤلاء بكل نقائصهم وعيوبهم وجرائرهم هذه لا يبارونه في أية واحدة منها مريداً وفاعلاً لها ومباهاً متدلاً مدلاً نفسه بإرادته وفعله لها معلناً بكل الكبرياء والرضا والإعجاب عن إرادته وفعله لها..

الخالق المصنم المرید يعاقب ويعيب ويلعن من أراد وصنم وخلق مجازياً ومحاسياً له على عيوبه وذنوبه ونقائصه.. لأنه جاء كما أراد وخططه وصنمه وخلقته ولم يجيء ذاتاً أو صيغة أخرى..!

هل حدث أو يحدث هذا؟ هل يمكن تصور هذا؟

هل جنى العالم إن كان قد قبل هذا أو تصوره؟

أو لعل العالم كان مسروقاً في قبحة وفي إرادته للعدوان والهجاء والتشويه حين تصوّر وابتكر وتقبل هذه القضية وحين تصوّر وابتكر وأعلن فاعلها وصاحبها أي المتهم بها..

.. أو لعله أي العالم رأى أنه شيء لا يطاق أن يكون كل هذا الوجود بكل مجراته وشموسه وحشراته وجراثيمه وناسه بلا أي مسؤول.. بلا أي منظم أو حاكم أو محاكم أو معلم أو قائد أو مشرف أو معالج أو مساعد أو ناصح أو حتى محامل ولو باليكاء والأئين..

.. هل يطاق أو يقبل مثل هذا ولو تصوراً وافراضاً؟

ولأن هذا لا يطاق بأي تفسير أو حساب اضطر أي العالم إلى افتراض هذا الكائن الذي كان المفروض ألا تستطيع كل الافتراضات افتراضه أو تقبل افتراضه..

لقد كان العالم في أقصى ورطة أمام هذه القضية فتصرف هكذا ليقع في ورطات.. ورطات..!.. لقد ذهب يتداوى من ورطة واحدة وخيرة واحدة بالتداوى بكل الحيرات والورطات الدائمة المتجددة وأيضاً باتهام النفس بالبلادات والجهالات بل وباعتقاد الجهالات والبلادات، وأيضاً بالاعتداء القبيح الفظيع على هذا الكائن المتصور المعلن بأنه المخطئ المصنم المرید الفاعل الخالق لهذا الوجود.. الراثي المواجه المعاش المساكين له بكل هذا الصبر والسكوت والسكون المهين الذليل البليد...!.. ما أقيح صبر وسكوت وسكون الآلهة..!

.. هذا الوجود بكل وحداته وضخاماته بلا أي مسؤول.. هل يطاق هذا؟

فوق هذا الوجود أعظم وأضخم وأقوى وأتقى وأذكى وأشمل وأعلم وأحكم وأرحم وأعقل مسؤول بكل تفاسير ومعاني المسؤولية... بكل التزاماتها الأخلاقية والمنطقية والفنية والنفسية بل والوظيفية.. بل والدينية..!

هل يقبل أو يعقل أو يحتمل أو يغفر أو يطاق أو حتى يتصور هذا؟

ما أفسى وأدوم وأشمل حيرة الإنسان وعذابه مواجهاً لهذه القضية أي لو واجهها شيء من عقله أو فكره أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه أو رؤيته أو حتى بشيء من نسأله..!

ولكن هل الإنسان يواجه مهما واجه؟

إنه في الكون الذي نعرفه هو الكائن الفريد الذي يواجه أو الذي يفترض فيه ويجب عليه ويطلب منه أن يواجه..

ولكنه أيضاً هو الكائن الوحيد في هذا الكون المعروف لنا الراضى المقاوم للمواجهة المعلم ضدها العاجز عنها المعاقب لمن يعلمونها أو يظلمون بها أو يفعلونها.. ألم يبتكر لهؤلاء عذاب الجحيم؟

.. أليست كل أديانه ونبواته وفلسفاته وتعاليمه وتدينه وتقواه نهياً عن المواجهة ولعناً لها وتحذيراً منها وتعليماً ضدها؟

إن كل مبتكرات وموروثات الإنسان هذه ليست إلا مدوداً عالية وضخمة وأراد بها أن تكون عالية وضخمة لكي تمتعه وترده عن أن يكون مواجهاً وتحميه من ذلك ومن أن يعرف أو يشعر أن عليه أن يواجه أو أن من المباح أو الجائز أو المغفور أن يكون مواجهاً أي مهما واجه أي أن يكون مواجهاً بفكره أو عقله أو قلبه أو أخلاقه أو رؤيته أو بمساءلاته ومحاوراته وقراءاته وتفسيره أو حتى بأثاته وآهاته..!

لقد حرمت عليه بكل القسوة موروثاته ومبتكراته هذه أن يفكر أو يتأوه أو يتفجع أو يتوجع أو يفضب لأنه واجه ما يواجه فرأى وعرف فصدم وأنكر ورفض - واستبشع واستقبح..! إن من أعظم وأول أغراض ووظائف أديان الإنسان ونبواته وفلسفاته وتعبداته وتعاليمه وأناشيده الروحية والغنائية والتعبدية إسكات وإغلاق كل معانيه الإنسانية، كل خواصه وأحاسيسه ورؤاه لتلا يرى أو يعرف أو يسأل أو يتساءل أو يدهش أو يفعل غير أن يحاول التعامل والتلازم والتصالح والتهادن مع هذا الوجود ومع كل شيء بأعضائه ومجاعاته وضروراته ومهاناته وتفاهاته وسخافات.. بكل هموم وبذاعات واحتياجات حياته بكل الخضوع والخذلة والاستسلام بل والتعبد والتعجيد لكل ما تقول له وتفرض عليه..!

هل يطيق الإنسان وجوده أو إلهه أو كونه أو عالمه لولا إغلاق وإسكات كل معانيه وكل أجهزته ومنافذه الإنسانية.. كل رؤاه وسمعه وتفكيره وضميره ومحاسباته واشتراطاته وقراءاته بل وفروسياته وشهاماته؟

لهذا جاءت كل أديانه ونبواته وفلسفاته وعباداته وتعاليمه لإسكات وإغلاق كل ذلك..

قطيعة، قطيعة هذه الصورة أو هذا التصور..

هل تطاق هذه الفضاءة أو هذه الصورة أو هذا التصور لولا هذا الإسكات وهذا الإغلاق؟

هل يطاق ما نرى لولا ذلك؟ هل يطاق أن نرى هذا.. أن نرى إنساناً أو أي كائن آخر مصاباً

ومحاصراً بكل الآلام والكوارث والهجوم والإذلال والهوان يتأوه ويشن ويصرخ ويهتف بكل ذاته ومعانيه.. بكل أحاسيسه وحواسه.. بكل إسمائه وآماله ورجه: يا إلهي، يا ربي، يا خالقي، يا من أريد وفعل بي كل ما أنا فيه.. انتقذي، صاعدي، ارحمني، خذ بيدي، انظري، انظر إلي، اسمعي، استمع إلي.. أدعوك، أدعوك.. أرجوك، أرجوك.. أنتظرك، أنتظرك.. أحقق في كل الآفاق منتظراً مجيئك، حضورك، خروجك من مخبئك يا رب، يا رب!؟

كل هذا مكرراً مستمراً والإله المستلقي فوق هذا الكون وفوق كل شيء يرى ويسمع ويعرف وهو خامد صامت ساكن لا يفعل بل ولا يتوحي أن يفعل شيئاً للإنقاذ والمساعدة أو للتخفيف أو حتى للهرب مما يرى ويسمع ويعرف بل يظل محمداً في مرآته ينظر إلى ذاته وعضلاته وضخامته وبدانته وقوته وجماله بكل الإعجاب والرضا والمباهاة بالنفس!..

.. أو كل هذا وهو لا يرى ولا يسمع ولا يعرف..

وأي التفسيرين أقرب إلى التصديق والصدق، وأيهما أكثر رفقا بالإله وإشفاقاً عليه وأقل هجاء له؟!

أليس ذلك كذلك؟ أو أليس ذلك ما يقوله ويعلمه ويعتقده الإنسان أو ما يقول ويعلم ويعتقد معناه؟ هل يطاق هذا أو أي شيء منه لولا هذا الإسكات والإغلاق والقتل والإفساد والتضليل لكل معاني الإنسان بأديانه وتبواته وفلسفاته وعباداته وتعاليمه بل وبشعرائه وتعميده وتلقيته التمجيد والتقدیس لكل ما في هذا الوجود ولكل ما يفعل الكائن المفترض فوقه من قبح وسوء وبلاهة وعبث وظلم وعدوان وهوان وتناقض.. وفوضى.. من كل ما يرى ويسمع ويعلم ويواجه ويقاسي، في كل الأزمنة والأمكنة..

ويعظم قبح وقسوة منظر وتفاصيل هذه الصورة أو التصور أو العقيدة والاعتقاد حين نرى أو نتصور هذا المعبذ المسحوق الداعي المتضرع المتطلع المنتظر لإله لن ينقذ أو يحضر أو يرى أو يتحرك أو حتى ييكي أو يحزن أو يشفق أو يلطم خده انفعاجاً وذعراً أو يفقأ عينيه ويسد أذنيه لئلا يرى أو يسمع.. كيف لم يفعل ذلك؟ كيف لم يفعل؟

- نعم، يعظم ذلك حين نرى أو نتصور هذا المعبذ المقهور وحوله كل الأهل والمحبين يكون ويوثون ويتأوهون ويدعون ويتضرعون ويتمنون وينتظرون بكل اللهفة والحسرة والأمل واليأس.. الأمل الذي هو كل اليأس واليأس الذي هو كل التجربة اليائسة!..

إن البشر لم يجربوا تجربة هي كل اليأس أو لا بد أن تكون كل اليأس ويجب أن ترى وتعلن كل اليأس مثل كل تجاربهم مع الإله أو مع من زعم إلهاً!..

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مجربون مخطفون وضالون في كل تجاربهم مثل المجربين مع الإله.. مع كل إله وعلى كل إله.. وإنه لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد مجرب مخطفة وضالة كل التجارب عليه وفيه ومعهم مثل الإله.. مثل كل إله أو غير الإله وغير كل إله!..

.. إن البشر كل البشر لم يجمعوا أو يكونوا أغبياء وخاسرين وضالين كل الضلال والغياء والخسران مثلما جاؤوا وكانوا كل ذلك في علاقاتهم بالإله.. بالآلهة كلها..!

إنه لن يتصور خسران مثل خسران التعامل مع الإله. مع كل الآلهة!

.. وهنا قد يقبل أن يقال: إن هذا الغباء والضلال والخسران مراد ومقصود ونافع أي مراد ومقصود لأنه نافع أو مفعول ومعمول به لأنه نافع وإن لم يرد أو يقصد...

أليس الغباء والضلال قد ينفعان أحياناً؟

.. قد يقال ذلك ويقبل قوله لأن الحياة لن تقبل أو تجمل أو تفهم أو تطاق أو حتى تريح بدون الغباء والضلال والخسران أي بدون مقادير كثيرة ومتعددة متنوعة من ذلك..!

مقادير الغباء والضلال يجب أن تكون أكثر أم مقادير النقيض لترضى وتقبل الحياة؟!

إن الحياة لن تقبل أو تغفر أو تطاق بكل الذكاء والعقل والهدى أي لو حكمت بكل ذلك في كل رؤاها ومواقفها وتصرفاتها وأحالاتها وتفسيرها. إنها حينئذ لكل العذاب والقيح والتفاهة والذالقة.. إنها معاملة ومحكمة بكل ذلك لن توجد ولو وجدت لانتحرت وماتت بأحد أساليب الموت والانتحار أو بها كلها..!

إذن فأذكى الأذكياء وأعقل العقلاء لن يكونوا كل الذكاء وكل العقل في رؤاهم ومواقفهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم والتزاماتهم بل أو في كلامهم. إن هذا لن يكون. لن يستطيع ولن يرد ولن يقبل.. إنهم هم لن يستطيعوا ذلك أو يبريدوه أو يقبلوه..!

لعلهم بقدر ما يصعدون في ذكائهم وعقولهم يهبطون في غيائهم وضلالهم أي تعامل..!

بل إن هؤلاء أي أذكى الأذكياء وأعقل العقلاء لا بد أن يكونوا معلمين وأقوى المعلمين وقادة المعلمين للخروج على الذكاء والعقل في مواقف ورؤى وعقائد وتصرفات وأخلاق وتصورات ومواكب كثيرة حادة شاملة..!

إن هؤلاء في كل التاريخ والمجتمعات هم أقوى وأشهر وأبقى من صاغوا ونظموا وسجدوا وخلدوا هذا الخروج على الذكاء والعقل.. لو لم يوجد إلا الأغبياء والضعفاء العقول وناقصوها فهل كان ممكناً أن توجد هذه الموروثات الفادحة الثقيلة القبيحة المحولة إلى أديان وعقائد وفلسفات وتعاليم وحدود وسدود وقيد.. المسكنة المغرقة اللاعنة المهينة القائلة لذكاء الإنسان وعقله بكل هذا المخلود والجبروت والشمول والقوة والفداحة والكبرياء؟

إن المتفوقين في ذكائهم وعقولهم وعبقرياتهم وفي حماسهم وطموحهم وخيالهم ونشاطهم هم الذين صنعوا مجد الإنسان وهوانه.. قوته وضعفه.. سعادته وشقاؤه. إنهم هم الذين أنقلوا وعذبوا وأفسدوا وضللوا الإنسان وهم الذين وهبوه كل شيء جيد لديه..

ولكن لا بد من تقسيم هؤلاء المتفوقين إلى أقسام متباينة التفاسير..!

.. إن ضعفاء الذكاء والعقول والمواهب والرؤى والحماس والطموح والخيال والنشاط لم يتكروا

أو يتخيلوا أو ينزلوا أو ينزل عليهم شيء من هذه البلادات والغوايات والضلالات والجهالات والجنونيات المتحولة إلى أديان ومعتقدات ونبرات وخصومات وعداوات واتتماعات وقوميات وجنسيات ومذاهب بليدة جاهلة مجنونة متبارزة متلاعنة متحاربة مخربة خاسرة بذيقة وقحة عدوانية..

كما أنهم أي هؤلاء الضعفاء لم يفعلوا أو حتى يتخيلوا أو يتحنوا شيئاً من هذا الوجود الحضاري والعلمي والثقافي والفني والفكري والصناعي الماليء المغطى الصائغ كل صيغ الحياة وفنونها ولغاتها وأفاقها ودروبها.. الصانع لكل أجسادها وثيابها..!

ولأن ذلك كذلك أي في تفسير هذه القضية فإن الإله الذي هو كل الذكاء والعقل والعبقرية والهدى هو مدبر وخالق وصائغ كل الغباء والضلال والجنون بخلقه لكل الأغبياء والضالين والمجانين بل ومصممهم ليكونوا أغبياء وضالين ومجانين..

إنه الفاعل لكل ذلك بلا أي منافس. إن زعم المنافسة له في ذلك زندقة!

.. إنه لولا الكائن الذي هو كل الذكاء والعقل والعبقرية والهدى والتقى أي المزعوم كذلك لما وجد أي شيء من البلادة أو البله أو الجنون أو الضلال أو الفسوق أو القبح أو الشر..! أليس وجود الإله الكامل في كل أوصافه وأخلاقه وقدراته يعني ذلك حتماً؟ أليس من لا يعتقد ذلك ويقول خارجاً على كل الصديق والعقل والمنطق والأخلاق والبدايات..!

بل إن من لا يعتقد ذلك ويعلمه فلن يوجد أو ينصور مثله في هجائه وتحقيره لنفسه وفي سخريته منها وفي شتمه وتفضيله لها أي لنفسه.. لكل معانيه وتقاسيره وصيغه!

والبشر لم يسيثوا إلى أنفسهم وإلى تاريخهم وحياتهم ويفضحوها ويعرضوها أقبح وأقسى وأردأ عرض مثلما فعلوا بها كل ذلك في قصتهم مع الإله.. مع كل آلهتهم..

في إيمانهم بها وأوصافهم لها وانتظارهم منها ولها وفي رؤاهم وتعبدهم وتضرعهم ودعائهم وقراءتهم وتذكركم لها وفي خوفهم واستحيائهم وقلقهم منها، وفي إنفاقهم عليها.. على بيوتها ومعابدها وكعباتها وعلى تراثها وكتبها وعلى كل أشياءها وأشلائها الأخرى.. ما أغلى وأفدح أشلاء الآلهة..!

.. وفي تعاديبهم وخصوماتهم وملاعناتهم وانقساماتهم وحروبهم ومناباتهم وسرقاتهم أي نهب وسرقة بعضهم لبعض..

- أي وفي فعلهم لكل ذلك باسمها ومن أجلها وطاعة لها..!

ومن أفجع وأسوأ ما في هذا أنهم لم يفتنوا له أو يشكوا منه أو يتحاسبوا أو يتحاوروا عليه وفيه. إنها لم تسحب من الإنسان كل رؤاه ومحاسباته ومحاوراته مثلما سحبت منه مواجهة للإله وقارناً مفترساً له..!

نعم، إن الإنسان لم يعاقب ذكاه وكبرياه وكرامته ويتنازل عنها بل ويحاربها ويهنها مثلما فعل بتعامله مع آلهته.. بتعامله معها بفكره وعقله وقلبه وسلوكه وأخلاقه وبكل تعبيراته في كل تاريخه

وأوطانه.1.. لماذا أراد وتقبل الإنسان أن يعاقب نفسه هذا العقاب بالهه.. بكل آلهته؟

والمتفوقون الذين كان الحديث عنهم هم نوعان أو أنواع.. فهناك العباقرة المبدعون الأقليون دائماً والمفقدون دائماً في كثير من الأوطان والمجتمعات والذين يرجى ألا يكون فقدهم في هذه المجتمعات والأوطان دائماً.. وهؤلاء هم الذين يهبون الحياة كل جديد مبتكر جيد نافع عظيم جميل قوي ينقلها أي ينقل الحياة نقالات هائلة خلاقة من طور إلى طور..

وهؤلاء يتحولون إلى عطاء للبشر جميعاً حتى ولو لم يريدوا أو يرد ذلك. حتى ولو وضعت كل الحدود والقيود والسدود لمنع هذا العطاء عن أن يكون عالمياً دولياً كونياً.. بل إن عطاءهم هذا لا بد أن يتحول إلى عطاء للإله.. للآلهة وللأنبياء وللأديان ولكل المعتقدات.. إذ لا بد أن يوجد من يعتقدون ويزعمون أو يزعمون وإن لم يعتقدوا أن هذه الرؤى والأفكار والعلوم والإنجازات العلمية الهائلة التي أبدعها واكتشفها هؤلاء العباقرة قد سبقت إليها الأديان والمعتقدات والنبوءات والكتب المتزلة فقائلها وأعلنها وأوحىها وسجلتها..!

وقد وجد هذا الاعتقاد والزعم ووجد الدعاة له والمبشرون به بكل الضخامة والغرور والدوي بل وبكل السذاجة والبلاهة والجهالة والسفاهة بل والوقاحة..!

وسوف يزداد ويتعظم وجود هؤلاء الدعاة والمبشرين ليزحموا مجتمعاتهم ويزيدوها جهلاً وغروراً وانخداعاً وتوكللاً وتعصباً ورضاً عن جهلهم وجهل تاريخهم وجهل آباءهم وأسلافهم ومعلميهم، واهتماماً بهذا الجهل وانقطاعاً إليه ليملاً عيرونهم وعقولهم وأشواقهم وطموحهم ودراساتهم لكي لا يروا أو يريدوا أو يطلبوا أو يرضوا شيئاً غيره أو يعجبوا به أو يبحثوا عنه أو يشتاقوا إليه أو يعتقدوا أنه قد يوجد عند الآخرين ما يساويه أو ما يدنو منه فكيف ما يتفوق عليه؟

إن مجد التاريخ أو القبور ورمة أو عاهة أصيب ويصاب بها العاجزون المحتاجون إلى الغرور..! .. وهذا الاعتقاد أو الزعم أو الجهل يتحول إلى عطاء للآلهة والأنبياء والأديان والمعتقدات الداهية الميثة لأنه يتحول إلى امتداح وتمجيد لها وإلى اتهام لها بالعبرية وبالسبق إلى معرفة كل ما سرف يعرفه البشر وكل ما لن يستطيعوا معرفته.. إذن لا بد أن يزداد الإيمان بهم والتخضع والتعبد لهم بل والإنفاق عليهم أي على الآلهة والأنبياء وعلى الأديان والمعتقدات والكتب التي علموها وأوحوها وأنزلوها بكل أساليب الإنفاق.. وكم هو باهظ وفادح وخاسر الإنفاق عليها.. إنه الإنفاق الضائع الذي لن يسترد ولن يثاب. إنه الإنفاق الذي لن يجد من أريد إنفاقه عليه..!

وهؤلاء العباقرة الذين يعطون هذا العطاء هم مواطنون عالميون دوليون مهما كانت وصغرت انتماءاتهم الخاصة.. وقد يكون عطاؤهم للأوطان التي لم تلدهم أضخم وأعظم من عطائهم للأوطان التي ولدتهم أو التي ولدوا فيها..!

إنه لولاهم.. لولا هؤلاء العباقرة لظلت الحياة طوراً واحداً بائساً كئيباً دميماً أليماً..! حتى الآلهة لقد تجددت بهم وانتقلت من طور إلى آخر..!

إن وجوه الآلهة في مرآة الأعمى لن تكون مثل وجوهها في مرآة المبصر..!

.. والشعوب والمجتمعات والسلالات التي يتخلق فيها هؤلاء العباقرة دائمة للشعوب والمجتمعات والسلالات التي لا يتخلقون فيها بديون لا يستطيع تسديدها..

إنها دائمة لها بكل وجودها الجديد الجيد وبإنقاذها من وجودها القديم الرديء، وهل يستطيع تسديد هذا الدين.. هذه الديون؟ بل إنه لا يراى ولا يطلب أو ينتظر تسديدها!
ولكن ما أعجب وأقبح ما حدث ويحدث وما هو حادث..!

إن المدنيين بهذه الديون يظنون يتهمون دائنيهم بكل التهم ويلقون عليهم كل الأحوال ويعزمو أحياناً أو دائماً أنهم هم الذين صنعوا ضعفهم وهوانهم وتخلفهم وخلقوا فيهم الفساد والفجور والكفر والغوايات وعلموهم كل ذلك.. إنهم هم المسؤولون عن كل عجزهم وقبحهم وغبائهم وفسادهم...!!

وقد يعزمو أنهم هم الذين صاغوا ضعف وبداوة آلهتهم وأنبيائهم وعباقرتهم وعظمائهم بتفاسيرهم وعرضهم لهم وبإيجادهم للحضارات العلمية والفنية والفكرية والصناعية المضادة المناقضة لهم أي لآلهتهم وأنبيائهم بتفوقها الشامل الحاسم عليهم.. ولقد زعموا ذلك..!

وقد يعزمو بكل الرضا والكبرياء أنهم هم الدائنون لدائنيهم وأن كل ما عند دائنيهم من علوم وتقدم وإبداع مسروق من قبورهم.. من قبور أنبيائهم وأبيائهم.. منسوخ من ألواحهم.. ولقد زعموا ذلك...!!

وقد يعزمو أنهم هم الذين صححوا لهم آلهتهم وأنبياءهم وأديانهم وقد زعموا ذلك.. بل لقد زعموا كل شيء في هذه القضية..!

إن العدوان يقع دائماً من المتخلفين على المتقدمين أو إن عدوانهم عليهم يقع أكثر من النقيض مهما اعتقد أو زعم أو بدا غير ذلك. إن المتخلف يأخذ من المتقدم كل شيء دون أن يعطيه شيئاً.. إن الجاهل يأخذ من العالم دون أن يعطيه أو حتى يشكره..!

.. وهؤلاء العباقرة قد يكون من الدقة ألا يوصفوا بالذكاء مراداً بالذكاء اتقان التعامل مع النفس ومع المصالح ومع الآخرين بل ومع الحياة الاجتماعية ومراداً به قوة وحرارة الاهتمام بذلك..

.. إنهم طاقات تعمل مخترقة ومتخطية لكل ما يقال ويعرف ويعلم.. ولعلمهم كالطاقات الطبيعية الكونية التي تعمل بقوانينها غير مبالية أو مهتمة أو ذاكرة أو متذكرة أو شاعرة بغير ذلك..!



هؤلاء هم أفضل وأعظم وأقوى وأنفع أنواع المتفوقين أو نوعي المتفوقين. ولعلمهم هم وحدهم النافعون في نوعي المتفوقين أو في أنواعهم..!

بعد هؤلاء هناك الأذكاء المتفوقون بذكائهم ولذكائهم.. وهم لا يصعدون إلى طور العباقرة

لأنهم لا يستطيعون أو لأنهم شغلوا وصرفوا عن ذلك أو لأنهم انشغلوا وانصرفوا عنه.. وهؤلاء قد يكونون متفوقين في طموحهم وحماسهم وفصاحتهم ونشاطهم وأيضاً قد يكونون متفوقين في قسوتهم ونذالتهن وروقاتهن وأحقادهن وعداواتهن وخصوماتهن وأنايتهن وفي كل الشرور فكرة وإرادة وتية وسلوكاً، أو في عذابهن وهراتهن وخوفهن ورضفهن وقبح تاريخهن وكنوناتهن وذكرياتهن الأليمة المذلة..!

وهؤلاء هم الذين تحولوا وتحولون إلى أنبياء ومعلمين وقادة وزعماء وأبطال وإلى أقطاب شيوخ وفقهاء وأحبار وكهان وأحياناً إلى أدباء وشعراء وكتاب وخطباء منابر ومحارب.. إلى غزاة مستوطنين مدترين مضللين مفسدين مشوهين معوقين.. ليملؤوا وينقلوا ويشحنوا التاريخ والحياة والوجود وكل شيء وليصوغوه ويعطجوه ويؤلفوه بكل الأخطاء والخطايا.. بكل البلادات والنذالات والنفاهات والضلال والقبح والعذاب.. بكل العداوات والخصومات والملاعنات والخلافات والانقسامات والأحقاد والحروب وبكل الولايات.. الولايات..!

.. دون أن يهبوا أو يفعلوا أي شيء جيد أو عظيم أو جميل أو ذكي أو قوي أو نافع.. إن أعظم قائد حروب يصنع أعظم الانتصارات على أقوى الأعداء وعلى كل الأعداء لن يستطيع أن يهب الحياة أو شعبه شيئاً جميلاً أو ذكياً أو قوياً أو عظيماً أو مفيداً أو نافعاً ما لم يهب ذلك العبارة الذين مر بنا الحديث عنهم..

.. وإن أي نبي يجيء إلينا من كل الآلهة حاملاً معه كل أوامر ونواهي وتعاليم وأديان وأخلاق وكتب وغضب ورضا ووعود ووعيد وجنات ونيران كل الآلهة لن يستطيع أن يهبنا شيئاً من ذلك ما لم يهبنا العبارة الذين كان الحديث عنهم.. وإن جميع الآلهة لن ترد لنا ما أخذ منا وما فقدناه ما لم يردده إلينا هؤلاء العبارة..

.. إنه لولا هؤلاء العبارة المبدعون لما استطاع أي إله أو نبي أو زعيم أو قائد أو سلطان أو خليفة أو كاهن أو حبر أو شيخ أو فقيه أو كاتب أو أديب أو شاعر أن يجد أية وسيلة أو جهاز ليكتب أو يطبع أو يسجل عليه أو به أقواله أو ليطلق منه أصواته لينشر ويلقي ويطبع على التاريخ والحياة والوجود وعلى كل المنابر والمحارب والنوادي وعلى كل شيء كل ما في جوفه من عنق وقبح وجهل وضلال وبلادات وعداوات ولعنات وأحقاد وخيث وتزوير وكذب وفجور ومبارزات وتحديات ومفاخرات تشعل الحروب والبغضاء وتمجد وتعلم الحروب والبغضاء وتدعو إلى الحروب والبغضاء وتطارد وتقاتل وتعادي كل الحب والصداقة والأدب والتعذيب والسلام والاستقرار وتؤجج في النفوس والعقول والقلوب والضمائر كل الحرائق.. كل الشكوك والخوف والقلق والتوقعات الرهيبة.. الرهيبة المتبادلة المتنقلة المتجددة أبداً، أبداً.. إن هؤلاء هم أعظم وأقبح صناع القلق والخوف والعذاب والتوقعات الأليمة الكريهة..!

.. إذن حتى ما يبدعه العبارة يتحول إلى أجهزة تعذيب وتبليد وتضليل وتقييح وتشويه وترويع وفضح وإفساد.. إلى أجهزة تنطلق منها كل الشرور وتطلق كل الشرور.. إنهم أكبر وأذكى عون لكل ذلك..!

إذن حتى العباقرة يفعلون كل ذلك بأساليب قوية وشاملة ولكنها غير مباشرة وإنهم ليعرفون ذلك فهل يتعذبون؟ إن أخطر ما في العباقرة أنهم يصنعون أخطر الأسلحة ليضعوها في أيدي أخطر القتلة واللصوص والأعداء والمفسدين والمضللين المزورين والمتخاصمين المتعادين المتقاتلين، وأنهم يضعون أقوى وأذكى الأجهزة في أيدي وأمام أفواه كل الأغبياء والجهال والضالين والمغفلين والدجالين والمنافقين والبله العارضين لأنفسهم المعلنين عنها بكل الوقاحة والبذاءة والبلاهة وإرادة الجهر..!

.. إن العباقرة إذن هم عضلات أقوى القتلة والمدمرين، وأقواه أغبي الأغبياء وأجهل الجهال وأكذب المنافقين..!

.. قد يكون من الصدق أن يقال إن أحداً لم يستفد من العباقرة مثلما استفاد الإله أي الإله العربي لأنهم أي العباقرة هم الذين ابتكروا كل الأجهزة التي تحولت إلى أناشيد وصلوات وهنافات ودعائيات دائمة تدق كل الأذان والعيون والعقول والقلوب وتستهلك كل الزمان مسجدة مقدسة له أي للإله العربي ومسجدة مقدسة لدينه وكتابه ونبيه ولكل ما يقترن اسمه باسمه.. كل الزمان والمكان تحولوا إلى صراخ، صراخ باسمه ولاسمه.. لقد حولت أي هذه الأجهزة قراءة كتابه والأذان داعياً إلى صلاته إلى صراخ كوني يخرق أذان الشمس والنجوم ويزلزل الصخور ويكاد يسقط البيوت والأشجار ويهرب الحيوانات والوحوش وكل الكائنات الزائرة العاروة الصاعدة الناعية الراعية الناعبة ويحول الصمت والوقار والهدوء والاسترخاء والنوم الصامت إلى محال.. إلى آمال ذهبت بلا عودة وماتت بلا بعث، لقد حولت هذه الأجهزة اسم الإله إلى أقصى وأدوم عواء..!

لقد جاءت لتصعد به فوق كل شيء لتهبط به تحت كل شيء.. لتلقي به في كل الأحوال..

.. لقد جاء هؤلاء العباقرة ليتزوا الإله من فوق عرشه أو من تحت عرشه وليصعدوا مكانه ولكن - وهذا كل العجب أو بلا أي عجب - لقد تحولوا بلا أية كرامة أو كبرياء أو غضب إلى دعاة له..!

إنه لا عجب في كينونات الإله ولا في رؤيته ولا في التعامل معه أو به مهما كان كل المعجب، لقد قتل أي الإله كل معاني العجب والتعجب.. إنه لا يعجب ولا يتمجب وإنه لقاتل في المتعاملين معه وبه كل لغات ومعاني العجب والتعجب.. المعجب والتعجب منه مهما كان وهذا كل الأعاجيب وفعل كل الأعاجيب.. بل مهما استحييت كل الأعاجيب من عجائبه وماتت أمام عجائبه استفظاعاً واستقباحاً لها ومنها..

أليست كل الأعاجيب تهزم بل تموت أمام عجائب الإله وأعاجيبه؟

كيف يعجب أو يفجع من أي شيء أو من قبح أي شيء من لم يحترق عجباً وتعجباً وانفجاعاً بالإله ومن الإله فاعلاً ومريداً ومواجهاً وصامتاً غائياً..!

كيف يعجب أو يتمجب أو يفجع من أي شيء أو بأي شيء الإله الذي أراد وفعل كل هذا.. الذي يواجه ويعايش كل هذا؟ لقد قتل الإله في الإنسان كل معاني العجب والتعجب والانفجاع والتفجع كما قتل أي الإله في نفسه كل ذلك..!

لماذا يسارع المتخلفون إلى الدخول في الإسلام؟

روى الرواة أن أحد الأنبياء الذين هابت ورهبت وهربت واستحييت السماء أن تخاطبهم أو حتى أن تصور وجودهم فكيف تخلقهم أو ترسلهم قال:

ما أقسى وأفجع مشاعر الإله بعجزه ونقصه وتخلفه وتدنيه في كل مواهبه وطاقاته وعبقرياته واختياراته ورؤاه وفي كل فنونه الفاعلة والعميدة المدبرة المعجبة العاشقة لو أنه رآه، لو أنه جرؤ واستطاع أن يراه! ما أقسى غضبه على نفسه وهجاءه لها لو أنه رآه وقرأه وفشره واستطاع أن يفهمه بكل صيغه وتفسيره!

لهذا كم أخشى أن يراه أو يقرأه أو يفهمه. ما أقسى الخوف على الإله والانفجاء به ومن أجله والرتاء له. ما أقسى عذاب ذلك. إن الخوف على الإله والرتاء له لأعقل وأتقى وأذكي من الخوف منه ومن الانتظار والتسجيد له ومنه!

.. نعم، لأنه لن يجرؤ حينئذ على الزعم أو حتى التصور أو التمني أنه هو صانعه أو مخططه أو حتى متصوره أي لو أنه رآه أو قرأه أو فهمه!

.. ولأنه لا بد أن يجد حينئذ مهما كانت غفلته وخموله وعجزه عن الرؤية والمحاسبة والمقارنة.

.. نعم، لأنه لا بد أن يجد حينئذ أن المقارنة أو المماثلة أو المشابهة صعبة بل وقحة وبذيئة وبليلة جداً بينه أي بين هذا الذي لا بد أن يتحول إلى أقسى وأشمل هزيمة وتعبير وتعجز لكل مواهبه أي مواهب الإله ولكل قدراته وتخطيطاته وتصوراته وطموحه وبين كل من أراد وتصور وتمنى وخطط ودبر وصنع بكل مقاساته واهتماماته وبسالاته أي وبين كل مخلوقاته ومخلوقيه!

ما أقسى المقارنة التي لا بد أن يقاسيها حينئذ إلها أي إن كان يعرف شيئاً من أخلاق المقارنة والمنافسة ومن منطقهما وآلامهما وخوافزهما.. وهنا صرخ أحد الرحماء جداً.. الرحماء بالإله. صرخ بكل لغات وتعبيرات الرثاء والإشفاق بل والأسى..

صرخ قائلاً:

أرجوكم، أرجوكم أن تصمتوا، أن تتوقفوا عن هذا الذي تتحدثون عنه.. عن ذكر وقراءة وكتابة اسمه وعن وصف أوصافه.

أرجوكم هذا الرجاء لأنني أخشى أن يسمع إلهنا ويفهم شيئاً من أوصاف هذا الذي نتحدثون عنه!

أليس محتوماً أن يتعذب كل العذاب وأقصى العذاب أي إلهنا أو أن يهرب من كونه ووجوده لو أنه سمع وفهم أوصاف من نتحدثون عنه بل شيئاً من أوصافه؟ أرحموه، أرحموا إلهنا، إنه لا كائن يستحق من الرحمة مثل إلهنا الذي قرأناه وفسرناه وجزئناه وعرفناه!

.. أجل، أليس محتوماً أن يصاب بهذا أو هذا أو بهذا وهذا لو أنه سمع وفهم شيئاً من هذا غيرة واستحياء وخوفاً من عبقرية وقدرة ورؤية وأخلاق وذكاء الإله الآخر الذي تصور وأراد وخطط وخلق واستطاع أن يتصور ويريد ويخطط ويخلق من نتحدثون عنه مقارناً أو محاسباً له بكل من تصور وأراد وخطط وخلق هو بكل هممه واهتماماته أي إلهنا؟ أليس محتوماً أن يتصور هذا الإله الآخر؟

وهنا ضج كل شيء في الكون قائلاً لهذا الرحيم المشفق الرائي: لا تخش، لا تتوقع شيئاً من ذلك على إلهنا، لقد عايشناه وجريناه طويلاً، طويلاً. إنه هادئ، خامد مسترخٍ غافل صامت حتى ليتفوق بذلك على الموتى.. على كل الموتى. إن الموتى ليغارون من خموده ومن صمته عن كل نبض!

.. إنه معصوم عصمة أبدية من أن يصاب بالرؤية أو بالمحاسبة أو المحاكمة للذات أو بالغيرة العقلية أو الفنية أو الأخلاقية أو بالاستحياء أو الوقار أو بالندم على أي نقص أو تخلف أو خطيئة أو خطأ. لهذا فإنه لن يهرب أو يموت أو يقاسي من العذاب أو يتوب أو يتنازل عن عرشه أو عن ذاته أو يخجل ويختفي ويغيب مهما وجب أن يحدث كل ذلك!

نعم، إنه لا يصاب بالغيرة العقلية أو الأخلاقية أو الفنية مهما أصيب بالغيرة الجاهلية!

إنه لو كان يصاب بشيء من ذلك لما وجد أو بقي أي شيء كما وجد وكما بقي وكما نجد ونعرف ونرى، أن أصغر الحشرات لن تصمت عن وعلى ما يصمت عليه وعنه الإله بكل هذه الديمومة والقوة من الصمت!

.. إنه لا يمكن تصور راضٍ عن نفسه باقي فيها حيث يجب أن يهرب منها ويتمرق ويتعذب غضباً عليها واشتزازاً واستحياءً وافتضاحاً منها وبها مثل الإله، فظيع، فظيع ما لا بد أن يحدث لو أن الإنسان تعلم من الإله شيئاً من رضاه عن نفسه ومن إعجابه بها ومن عجزه عن رؤيتها ومن بقائه الدائم فيها بصيغة واحدة!

.. ثم قال هذا النبي بكل توقُّع الإعجاب والتعجب وروعة المفاجأة: إنه لو كان في هذا الوجود إلهان أحدهما هو مريد ومخطط وخالق وإله وصديق هذا الذي أتحدث عنه، والإله الآخر هو مريد ومخطط وخالق ورب باقي الوجود لكان محتوماً أن يموت أو يتعذب كل العذاب الإله الأخير غيرة من الإله الأول..!

أنا أغلط أحياناً لأنني أترض أي أحياناً أن الآلهة تصاب بالغيرة الفنية!

وهنا قيل له: وكيف يكون محتملاً أن يموت أو يتعذب كل العذاب من تصورته وافترضته فاعل هذا الوجود؟

إذن لماذا لم يصب بذلك فاعل هذا الكون حقيقة لا تصوراً أو افتراضاً؟ أليس شرطاً في كل إله أن يكون فاعداً للشهامة والرؤية والمحاسبة والغضب الفكري والأخلاقي وليس إلهنا فقط هو الذي يكون فاعداً لكل ذلك بكل الصيغ والتفاسير؟

هل غزارة وديمومة عمليات الخلق هي التي أنهكت الإله أو الآلهة وامتنعت منه أو منها وقتلت فيه أو فيها كل طاقات الإبداع والانتقان والرؤى الذكية والحسابات العاقلة المعقولة الرائبة القارئة الفاعمة الصانعة للجمال.. لكل صيغه وتفسيره وفنونه؟ أليس الخلق أخذاً من الخالق واستهلاكاً له.. لعضلاته ومعنوياته؟ كيف لا يكون كذلك وهو أي الإله الخالق لا يتجدد أو يتغذى؟

.. لماذا اختار الإله أو الآلهة غزارة وكثرة ووفرة الخلق الضعيف الضمئل الدسيم العاجز البليد على القلة الجيدة المبقرية؟ هل كل القيمة عندها للعدد لا للنوع ومن خدعها بذلك وقاله لها؟ ولكن هل القضية هنا اختيار أم انفجار.. استفراغ.. إفراز؟

هل الآلهة أو الإله حينما أسرف ليتفوق على كل جنون في عمليات الخلق وفي أعداد من يخلق.. في كثرة أعدادهم.

- نعم، هل كان بذلك يريد أن يعوض بالكثرة عن كل المعاني والمزايا القوية الذكية الجميلة المفقودة بل المرفوضة المطاردة في كل أكوانه؟ ولكن هل يمكن أن تصبح الكثرة الردية أي تعويض أو ربح؟ أليست خسراناً بكل التفاسير؟

.. كيف لم يقرأ أو ير أو يفهم الإله أو الآلهة ماذا فعلت وعتت وتفعل وتعني كثرة أعداد أبناء العروية في مواجهاتهم لأنفسهم أو لأي شيء أو لما ليس شيئاً أو في مواجهاتهم لإسرائيل.. لإسرائيل؟. إنها مواجهة تخجل بل تموت من مواجهتها بل ومن رؤيتها وتصورها ومحاسبتها أصغر وأنذل الحشرات.!

إن كثرة الحشرات لن تصغر كما صغرت كثرة العرب مواجهة لقلة إسرائيل.

.. أليست كثرة عمليات الخلق تضعف وتفسد وتضلّل بل وتعجز طاقات وحسابات ورؤى وتفكير ووقار وهدوء وجمال الخالق؟ أليست هذه العمليات الخالقة استنفاداً غير مهذب لكل معاني الإله؟

آه. ليت إله هذا الكون أي مريده ومخططة وخالقه قد عرف أن القلة المتفوقة في كل معاني التفوق أو حتى في شيء منها أفضل وأعظم بل وأكثر وأقوى من كل الكثرة المتفوقة في كل صيغ ومعاني التخلف.. التخلف الذي تفوقت فيه كل صيغ ومعاني التخلف العربي بكثرتة أو مع كثرته أو لكثرتة. ليت جمع كل طاقاته العضلية والفنية في عدد أقل من مخلوقاته ومخلوفيه ليكونوا أعظم وأجمل وأذكى تكويناً وكيونة.!

.. ليست كثرة العرب مواجهة لإسرائيل وللحضارة والحياة ولنفسها ولكل شيء تعلم الإله بل تعلم كل الآلهة ماذا تساوي وتفعل الكثرة! كيف لم يعرف أي الإله ماذا تعني كثرة الحشرات؟
 .. ليتها حينئذ أي هذه الكثرة تعلم الإله بل كل الآلهة التقليل من عمليات الخلق مقدرة أو مقتنعة أن إسرافها في هذه العمليات هو الذي سلبها أو أضعف وأفسد فيها كل مواهبها وطاقاتها وحكمتها ورؤيتها بل وشرفها! هل يمكن اتهام الإله والآلهة بأنها تجهل إصابتها بكل هذه الآفات والنقائص؟

.. أليس محتملاً أو مفروضاً أن يوزع الإله اهتماماته وأفكاره ورؤاه وعواطفه وأوقاته وعضلاته وطاقاته بل وأحزانه على كل من خلق؟ وكم هي صعبة ومحيرة ومضلة عملية التوزيع هذه؟
 كل معاني الإله مقسمة على كل هذا الوجود الدائم المتكاثراً، إذن كم يجب الرثاء لها ولكل شيء!.

.. إذن أليست كثرة من خلق ويخلق خطراً على كل معانيه هذه لأنها أي هذه الكثرة لا بد أن تتحول إلى أقسى وأشمل امتصاص واستنزاف وإثناك لها أي لمعاني الخالق بل إلى أقصى عقاب لها؟
 .. إنها تحرمه من التركيز والتجميع والتدبير والهدوء والقدرة على التنظيم والرؤية.. وهل هناك إفساد أو قتل للموهبة والقدرة بل والراحة مثل هذا؟ هل يوجد تدهور أو تشويه أو تضليل لطاقات وأفكار واهتمامات أي راجع أو مسؤول مثل أن يكون له قطع كبير كثير مصاب بكل الآلام والأمراض والعاهات والتشوهات والشذوذ والشرود والضياح والفساد والضعف؟
 وهل هناك قطعان مصابة بكل هذه الآفات مثل قطعان الخالق الأحد الأوحد؟

.. كيف لم يتساءل الإله أي إله عما صنعت له هذه الكثرة أي في مخلوقاته ومخلوقيه.. عما صنعت له من المجد أو السعادة أو القوة أو الانتصار أو الرضا أو الجمال أو الحب أو الراحة أو الطاعة أو من أي معنى جيد أو كريم، بل عما صنعت له من المعاني الأليمة المناقضة لكل هذه المعاني الجيدة؟ وهل كان يمكن أن يوجد أو يبقى أي الإله لو لم يكن معصوماً من كل سؤال وتساؤل؟
 .. كيف لم يدرك أي الإله أن المخلوق الواحد الفاسد العاصي الضال المنكر الضعيف المشوه النذل البليد المعذب العدواني الظالم المظلوم أقل إيذاء وتعذيباً وتشويهاً وتحقيراً وهجاءً وإتهاماً وغيظاً وإغضباً له أي للإله من المخلوقين العديدين الذين هم كذلك؟ هل الإله يخلق ويصنع عدد من يخلق بالحساب أم بالضربات الطائشة؟ وإذا كان ذلك بالحساب فيأي حساب يكون حسابه؟ الإله يفعل ما تقول يده لا ما يقول عقله، هل تصدقون؟

.. أيهما أقسى دلالة عليه وتفسيراً له: أن يكون قد أدرك ذلك أم أن يكون عاجزاً عن إدراكه؟
 ما أفجع وأقسى بل وأردأ الاختيار للإله.. لكل إله..
 إنه لن يكون إلّا اختياراً وخياراً بين قبيح وقبيح أو بين نذالة ونذالة أو بين بلاءة وبلاءة أو بين دمامة ودمامة أو بين عبث وعبث أو بين شر وشر!..
 إنه اختيار وخيار بين الفاجع والأفجع.. الفاضح والأفضح!..

ولكنه أي الاختيار للإله والخيار بين تفسيرين أو رؤيتين أو قراءتين له أي للإله لن يكونا بين الغاضل والأفضل أو بين العظيم والأعظم أو بين الذكي والأذكى أو بين التقي والأتقي أو بين القوي والأقوى.. إنه أي الاختيار للإله لن يكون اختياراً بين الجيد والردئ أو بين المعقول وغير المعقول أو بين الذكي والفني أو بين الجميل والدميم ولكنه أبداً بين الردئ والأردأ!

.. كل القبح والسخف والجهل والعار أو كل الرثاء والمراء والأسى للكائن الرهيب الذي إذا أصاب وجهاً جميلاً بريئاً بأقبح العاهات والتشوهات.. إذا أراد واشتهى ودبر وعطط وفعل كل الأخطاء والخطايا والذنوب والشرور والبلادات وأوقعها بكل شيء وكل أحد فلن يكون له أي تفسير غير أن يقال: إنه بذلك يعاني كل المعاناة وأجل وأتقى المعاناة لكي يصنع ويحقق بذلك حكمته ومنطقه ونظامه أو لكي يحقق ويصنع به سعادته ومجده وقوته وفرحه وعمره والظروف والصيغ والتفسيرات الجميلة المجيدة لرفاهه في عرسه وإلى عرسه دون أن يوجد له أو يجد لنفسه أي تفسير آخر إلا أن يقال إنه بهذه الحماقات يستعرض ويعرض عضلاته.

.. إنه بغير ذلك لا يستطيع أو يعرف أن يصنع أو يحقق هذا أو هذا أو شيئاً من هذا أو هذا أو غير هذا وهذا!

إنه لن يكون إلا هذا المعجز والغباء أو إلا هذا الفحش والقبح أو إلا كل ذلك!

وهل وجد هذا الكائن أو أمكن تصور وجوده؟

وهل قبل أن يوجد أو أن يعلن عنه موجوداً؟

هل حدث ذلك؟ هل حدث؟ هل يمكن أن يحدث؟

كيف قبل أو يمكن أن يقلل أي كائن أن يوجد في عالم أو كون يحدث فيه مثل هذا؟

كائن يملك قدرة وإرادة مطلقتين في كل معانيهما وأعمالهما وبكل تفاسير الإطلاق. بأي أسلوب أو حساب يخرج ويضبط هذا الكائن إرادته وقدرته؟ أليست رطة وفوضى لا مثيل لهما إلا ما هو حادث في هذا الوجود حيث تكون وترى الكثرة حين يجب أن تكون وترى القلة؟ وحيث تكون وترى القلة حين يجب أن تكون وترى الكثرة.. حيث توجد كل الكثرة حين يجب وينبغي ويرجى ألا يوجد شيء أي من هذه الكثرة!

.. حيث توجد قلة لا مثيل لشحها، وكثرة لا مثيل لسرفها وسفها وقبحها.. هل يحتاج أي كائن إلى قوة خارجية تضبطه وتنظمه وتحدده وترشده مثلما يحتاج هذا الكائن؟ هل كان يمكن أن يجيء هذا الكون أو أي شيء منه كما جاء لو وجدت هذه القوة؟

كيف يضرب هذا الكائن بيده وإرادته وهما بلا أي جهاز من أجهزة الضبط؟ كيف؟

.. ولكن من هو هذا الإنسان الكوني أو الكائن الكوني أو ما هذا الكون الذي لم يكن مستطاعاً الحديث عنه أو ذكره أو تذكره دون أن تنفجر وتمصف وتنطلق وتطلق وتندى بل وتتفجع

كل هذه الأعاصير والبراكين والزلازل والأسلحة العقلية والفكرية والأخلاقية والجمالية والفنية على كل شيء وكل أحد...

حتى على أجساد ووجوه وعيون وضخامة وصعود وكبرياء وأضواء الشمس والنجوم...

.. حتى على كل أحاسيس وحواس الآلهة وعلى كل معانيها وشهاماتها وكراماتها واتجاهاتها...

حتى على كل عروش وتفاسير كل الآلهة الخادمة الخاملة المسترخية الصامتة الغائبة النائمة بل الميتة الموت الأزلي الأبدى فوق كراسيها وسررها ومضاجعها المغزولة والمنسوجة والمصنوعة من كل ما في هذا الكون من قبح وسخف وعفن وآلام وأحزان ودموع وغباء وضلال وأخطاء وخطايا ونذالات ودمامات وجهالات وقهر وخداح وسفه ودجل..

.. بل المغزولة المنسوجة المصنوعة من كل ما يملأ ويفرق ويذل ويشوه كل هذا الكون وكل كون آخر بكل ذلك ومن كل ذلك..

.. بل المغزولة المنسوجة المصنوعة أي عروش الآلهة وكراسيها ومضاجعها من كل ما يرفض ويكره ويمعز ويجهل هذا الكون وكل من فيه وكل كون آخر أن يرى أو يعرف أو يقبل أو يكون أو يعيش أو يعايش شيئاً منه أو شيئاً من مثله، هل غزل أو نسج أو حبك أو صنع مثل عروش وسرر ومضاجع وكراسي الآلهة في صناعتها لأتبع وأقوى وأدوم القبح والتشويه والآثام والخسران والهوان والإذلال لكل شيء ولكل أحد؟

هل يتصور ما هو أتبّح أو أفدح أو أجهل أو أردأ أو أرخص بل أو أفقر أو أعجز أو أذل أو أقس أو أكثر أو أهدم لكل ما هو جمال وصفاء وذكاء وحب... من المادة أو الفكرة أو القوى أو الديانة التي غزلت ونسجت وحيكت منها عروش وسرر ومضاجع وكراسي الآلهة كل الآلهة..

.. أو التي غزلت ونسجت وحيكت وخيطة وشيدت منها أكفان ومقابر الآلهة أي ومعابدها ومزاراتها وكمياتها وملابس أعراسها ومآتمها واستعراضاتها؟ هل خسر الإنسان أو يمكن أن يخسر مثل خسارته في الإنفاق على أعراس وأفراح وملابس وزينات ومقابر ومآتم الآلهة؟

.. أو التي ابتكرت ونحت وحفرت وبصقت منها أوراق وأحبار وأقلام وحروف ولغات ولعنات وتهديدات وبذاءات وعداوات وقباحات ووقاحات توراثها وإنجيلها وقرآنها.. نعم، قرآنها قمة سبائتها ومأساتها وسوءاتها ووحشياتها وبدواناتها وجهالاتها بل وعورتها بل وخاتمة كل ذلك كما يقول ويقولون...! أجل، إن قرآنها هو قمة أو حضيض كل ذلك. إن كل صعود الإنسان صعود إلا صعوده في أديانه ونبواته فإنه هبوط، هبوط..!

.. ما أجمل وأروع وأنفع أن يكون ذلك كذلك أي أن يكون قرآنها هو آخر ونهاية كل ذلك.. أي كل قباحات ووقاحات السماء المستفرغة على الأرض. إنه لا عدوان مثل عدوان السماء على الأرض ولا معنوى عليه مثل الأرض بعدوان السماء عليها، لهذا فإن أجمل وأروع وأنفع ما جاء به أو قاله نبي العرب محمد قوله وإعلانه أنه هو آخر الأنبياء إن كان ذلك يعني أن وجوده آخر وجوده أعني

إن كان وجوده أقسى وأقوى تحقير ورفض ونفي لوجوده ولمعنى وجوده ولاحتمالات وجوده وبقائه..
إن كان مجيئه هو آخر عدوان السماء على الأرض.. إن كان ذلك يعني إعلان خطأ مجيئه ومجيء
أمثاله أي يعني التوبة من معناه ومن تكرار معناه!

إن كان يعني أنه أسف وحزين لأنه قد جاء، لهذا لن يجيء مرة أخرى لن يجيء معناه مرة
أخرى. إنه إعلان عالمي للتوبة من ذلك..!

ليت هذا ما يعنيه النبي محمد، إنه إن كان هذا ما يعنيه حين أعلن أنه آخر الأنبياء وأنه بمجيئه
قد أغلق أبواب السماء فلا تتصل بالأرض أو تحدث إليها بالأسلوب الذي تحدثت به إلى الأنبياء بعد
أن قرأ ورأى وعرف ضخامة وفضاعة عدوان السماء على الأرض وتشويهها لها بإرسالها من تسبيهم
بالأنبياء إليها.. بعد أن عرف قبح عدوان الأنبياء على الأرض لمعرفته بقبح عدوانه هو عليها.

- نعم، إن كان هذا ما يعنيه فقد أمكن أن يكون للنبي العربي معنى جيد ولو هذه المرة
الواحدة.. وأمكن أن يكون أخلاقياً وإنسانياً ورائياً محاسباً محاكماً ناقداً رافضاً لنفسه أو لأي شيء آخر
ولو مرة واحدة، ولو هذه المرة الواحدة..!

أليس ربحاً ومجداً وفخراً للعرب لم يجربوه أن يكون لنبيهم مزية ولو واحدة؟

... إنه ربح ومجد وفخر لم يجربوه إلا كلاماً.. كلاماً!

وهل جرب العرب في كل تاريخهم شيئاً من ذلك إلا شعراً أو خطابة أو قرآناً متلو؟

.. إذن فالنبي محمد لا يعني بقوله إنه آخر وخاتم الأنبياء أنه قد أصبح كل الأنبياء وكل
النبوات الأزلية الأبدية الكونية، وإنما يعني بذلك إعلان خطيئة مجيء الأنبياء والنبوات وإعلان التوبة
الصادقة الحاسمة من ذلك مع كل الاعتذار إلى الحياة التي ما أقسى وأطول ما تعدت وتشوهت
وقبحت وتعبحت وجهلت ورذلت ونذلت وهانت وحقدت وأبغضت وعادت وتعدت بمجيئهم
ومجيئها أي بمجيء الأنبياء والنبوات إليها أي إلى حياة الإنسان بل إلى كل حياة وكل ما ليس
حياة..! آه، هل توجد توبة أنفع أو أتقى من توبة الأنبياء من النبوات أو من توبة السماء من إنزال
الأنبياء؟

ليت العرب يقتنعون ويعرفون أن هذا ما يعنيه نبيهم في هذه القضية لكي يحولوه إلى قراءة على
كل العالم ليعرف أي العالم أن العرب قد يكون لهم مجد أو مزية أو نفع للعالم أو لأنفسهم أو لأي
شيء وأن هذا ليس مستحيلاً استحالة مطلقة مهما دلت كل الأحداث والتجارب والأدلة في كل
التاريخ على هذه الاستحالة بل على أصالة هذه الاستحالة!

هل يوجد اختراق للمستحيل مثل أن يثبت أن للعرب مزية حضارية أو علمية أو إنسانية أو عقلية
فكرية أو أية مزية جيدة معروفة موجودة من أي نوع وليست مقروءة فقط؟

أليست المزية المقروءة المعروفة هي أقوى وأصلب وأعظم من المزية الموجودة في حساب
الإنسان العربي؟

.. ولكن ألا يصبح العرب أردأ وأقبح مزورين لو أنهم فسروا نبيهم هذا التفسير الجميل

المستحيل مروره بفكر أو خيال أو حتى بتمني تبهم لأنه جميل.. لأنه تفسير جميل أي محاسباً بالتفسير والاحتمالات الأخرى؟ وهل يتقبل خيال أو فكر النبي العربي أن يمر به أي معنى جميل أو ذكي أو نبيل أو تقي أو أخلاقي؟ أليس كل تفسير جيد أو ذكي أو نظيف أو أخلاقي لأي نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو كبير أو مسؤول عربي بل أو لأي عربي عادي لا بد أن يكون بل وأن يرى ويعلم نزوياً، نزوياً؟

أي حاكم أو زعيم أو قائد أو ثائر أو قديس أو شاعر أو مفكر عربي يعلن بكل اللغات والأصوات أنه ديمقراطي أو حر أو صادق أو شجاع أو متواضع أو صديق أو محب أو زاهد في الحكم أو المجد أو الكبرياء أو الطفيان أو العدوان أو في البذاءات والوقاحات والملاعنة - هل يمكن تفسيره إلا بأنه نزوياً، وبأنه نقيض كل الصدق والجمال والتفاسير والمعاني الجيدة، وبأنه النقيض والرقض الحاد المتوحش لكل ما يقوله ويفترض ويحتمل من التفسيرات الجيدة أو الذكية أو حتى التقية؟ هل يوجد شاتم أو مناقض أو مشوه لكل معاني النبوة وتفسيرها مثل النبي العربي؟ إذن كيف يمكن أن يفسر النبي العربي هذا التفسير الجيد أو أي تفسير جيد آخر؟ أليس النبي العربي تشويهاً وسباً وتقيحاً لكل معاني النبوة وتفسيرها بالقوة التي يصبح بها الحاكم أو الزعيم أو القائد أو المفكر أو الفنان أو المؤمن العربي تشويهاً وسباً وتقيحاً لكل تفسير ومعاني الحكم والزعامة والقيادة والفكر والفن والإيمان؟ نعم، ليت ذلك التفسير الجيد ممكن.. ليت ممكن ليكون تفسير النبي العربي هذا التفسير الجيد ممكناً حين أعلن أنه آخر وخاتم الأنبياء والنبوات، وأنه قد أغلق وسرق وملك وأخفى بل وحطم كل مفاتيح أبواب ومناقد السماء لئلا يظهر أو يخرج أو يطل منها الإله أو أحد أعوانه ليتحدث إلى سكان الأرض، بل وأنه قد أصاب السماء بعملية تعقيم ناجحة لتعجزها عن أن تحبل بأي نبي أو تلد أية نبوة!.. ما أشد احتياج النبي العربي والإنسان العربي إلى أن يفسر هذا التفسير الجيد الذي لا بد أن يصبح غلطة لو صح..!

.. كيف لم يظن النبي محمد ولا قومه إلى هذا الذي يصعب أن يعجز أحد عن أن يظن إليه وهو أن النبوة إن كانت شيئاً جيداً أو نافعاً للحياة أو للإنسان أو لأي شيء أو للإله أو لسكان السماء فإن جناية النبي العربي وقومه على العالم بل وعلى كل شيء جناية بلا مثيل حينئذ لأنهم هم الذين قتلوا أي قتلوا النبوة بعد نبوتهم ومنعوا وأغلقوا دونها كل الطرق والآفاق إلى الأرض وأصابوا السماء بالعقم والخرس لئلا تحبل بها أو تلدها أو تنطق أو ترحي أو تأمر بها لأن الإله بعد أن كرم ومجد نفسه بالتحدث إلى الإنسان العربي لا يجوز أن يحقرها بالتحدث إلى غيره..! إذن كم هو دفاع عن العرب وتبرئة لهم من هذه الجناية أن يكون نبهم إنما جاء ليعلم عالمياً بشاعة الأنبياء والنبوات وليعلن ضخامة ما في ذلك من الإفساد والعدوان والتشويه والتعويق للحياة وللإنسان ولكل شيء، لهذا جاء ليقول لا نبي بعدي، لا نبي..!

ليعني بذلك أنه آخر الجناة والخطاة والغزاة القادمين من السماء.. ليت هذا التفسير ممكن.. ليت ممكن، كم فيه من المجد للعرب لو كان..! كم فيه من التعويض لمن لم يجربوا صناعة المجد أو امتلاكه أو حتى الشوق إليه بل أو حتى الانتهاء به..!

أما إذا لم يكن هذا التفسير هو التفسير لثحرهم النبي العربي لكل نبوة ونبي بعده فلا بد أن يصبح العرب ومعهم نبيهم مستحقين لمحاكمة ومعاقبة دوليتين كونيتين لأنهم جاؤوا بقيادة نبيهم ليحرموا على الأرض وعلى الإنسان علاقتهما بالسماء وليعلموا السماء ألا تتصل بالإنسان أو بالأرض وليزجروها وينهوها عن هذا الاتصال، خادعين أو مهددين مخيفين لها.. وكم في هذا من العدوان على الأرض والسماء والإنسان وعلى كل شيء بل ومن الوقاحة والقيح!

إنها لأقسى فجعة وهزيمة أن يكون كل عطاء العرب للحياة وللإنسان وكل تأثيرهم في التاريخ وكل آثارهم فيه أن تكون لهم أقسى وأشرس نبوة تعجز كل الحضارات والعلوم والعقول والأخلاق والهزائم والانتصارات وكل الأحداث الرديفة والجيدة وكل القراءات والرؤى والتبدلات والتغيرات الكبرى، ويعجز كل شيء عن ترويضها أو تعليمها أو تحضيرها أو تأديبها وتهذيبها أو تعقيلها بل أو عن التخفيف من بداوتها وشراستها وعدوانيتها وطغيانها وكبريائها ومن نشرها وتوزيعها وتأكيدها للعداوات والأحقاد والخصومات والانقسامات والجهالات والبلادات والبلاغات في كل أفاق الدنيا حتى في دنيا من هزموا وأذلوا الأقمار والنجوم. إن كل الانتصارات لتصغر مهما كبرت أمام انتصار النبوة العربية على المعاني الحضارية!

.. كيف حدث هذا؟ كيف حدث أن تجيء نبوة ونبي أعجز الناس عن العطاء الحضاري والعلمي والإنساني هما أقوى وأطفي وأشرس وأفنك النبوات والأنبياء وأقدر على الزحف المستصر الهازم المذل المشوه المفسد لكل معنى وشيء جيد أو قوي أو ذكي، أو المحاول والمريد أن يفعل ذلك؟! ما أفدح ما كان محتوماً أن يحدث لو كان ممكناً أن تتحول محاولات النبوة والنبي العربيين إلى واقع!

.. لقد ظلم العرب وشوهوا أقسى وأشهر ظلم وتشويه حين بولغ جداً في حرمانهم من كل العبقريات ومن كل صيغ ومعاني التفوق لكي يبالغ جداً في إعطائهم هذه النبوة وهذا النبي المتفوقين على كل النبوات والأنبياء في صناعة الشراسة والحقد والبغضاء والتعصب والتخلف والغرور.

.. هل كان هذا مبالغة في تعويضهم أم مبالغة في تشويههم وتحقيرهم وظلمهم؟ هل يوجد من يجيب لو وجد من يسأل؟

إنه لو بحث عن تفسير لهذه القضية لوجب أو لكان محتملاً أن يكون أحد تفاسير ذلك أن قوة النبوة العربية وقوة النبي العربي أي في شراستها وبداوتها وتخلفها وحمقاتها وعدوانيتها قد سحبت من العرب أو هزمت وأذلت أو أضعفت قهيم كل القوى الأخرى الجيدة النافعة المطلوبة بل أو قتلت قهيم كل ذلك!

.. وقد يقال في تفسير ذلك إن المعاني الحضارية والإنسانية والطاقات والإبداعات العلمية قد أنفت وبعجلت أن تعايش النبوة العربية والنبي العربي لهذا قاطعت المجتمعات العربية والإسلامية!

.. إن للنبوة العربية خصوصية عجيبة مشيرة جداً والمظنون أن أحداً لم يفعل إن إليها مع أن المفروض بل والمعقول ألا تخفى على أحد وألا يستطيع أحد ألا يفعل إن إليها! ما أكثر وأضخم

الندمات والتشوهات والفصائح التي يعايشها ويعيشها كل أحد دون أن يراها أو يقرأها أحدًا.. ما أعجب ما يحدث في الحياة والإنسان وما يحدث منهما وما أبعد عن المعقول والمقبول والمنتظر أي أحياناً أو دائماً، وهل هناك معقول مهما كان هناك كل غير المعقول؟ أليس المعقول خارجاً على كل المعقول مثل خروج غير المعقول؟

.. إنها قد يعجزان عن رؤية ما يتفجر في كل العيون كل الأوقات بأقصى أساليب التفجر ثم يريان ما لا تستطيع كل العيون حتى عيون الإله وعيون أجهزته أن تراه.. كما أنهما قد يعجزان عن الفهم حتى يجب أن يحسباً لم يوهبا ولن يوهبا أي قدر من الفهم، ثم يفهمان حتى يجب الاعتقاد بأنهما لن يعجزا عن فهم أي شيء بل وبأنه لن يصعب عليهما أي فهم لأي شيء بل وبأن كل شيء إنما صاغه فهمهما أو صيغ على مقاسات فهمهما أو بإيحائه وتعليمه وطلبه، أعني الحياة والإنسان!

إنهما أي الحياة والإنسان لن يفهما مهما فهما أو يعقلا مهما عقلا ولن يكون لهما أي تفسير مهما فسرا كل التفسير.. مهما تحولت كل النبوات والفلسفات إلى تفاسير لهما!

.. هذه الخصوصية للنبوة العربية قدرتها المطلقة بلا أية مقاساة أو نضال على أن تحول المجتمعات الناقصة والمتخلفة في مواهبها وطاقاتها الحضارية والإنسانية والعقلية بل والأخلاقية أي الحاضرة والمنتظرة - على أن تحولها بكل السرعة والسهولة إلى أتباع ورعايا لها لا يرون أو يسمعون أو يعقلون أو يحترمون أو ينتظرون إلا ما تستقرغه في آذانهم بأجهل وأوقع الأساليب والتعاليم مهما فارت ذلك كل المفارقة أعضاؤهم وشهواتهم وتمنياتهم وأعمالهم.

ثم عجزها المطلق أي عجز النبوة العربية عن أن تتعامل بل أو أن تتخاطب مع أي معنى من معاني الآخرين أي المتفرقين في كل مواهبهم أو في بعض مواهبهم إلا أن يكون تعاملًا أو تخاطبًا بالثناء لها أي للنبوة العربية وبالإشفاق عليها وبالانفجاء بها لا للشغاف أو التحاور أو التعاون أو التصادق أو التحالف معها... ما أكثر الإعجاب الذي سببه التهاون والإهمال في الرؤية والمحاسبة وليس سببه الإعجاب الذي سببه الاستصغار لا الإكبار! أو إلا أن يكون تعاملًا وتخطبًا مع وآبارها التي لم تلدها أو تصنعها أو تصورها أو تقرأها أو تقرأ عنها أو تتحدث عنها في شيء من سورها أو آياتها أو رواياتها. أه، ما أقسى التعامل والتخاطب مع هذه الآبار!

ما أقسى احتياج هذا التعامل والتخاطب مع هذه الآبار إلى الغباء والهوان!

.. لهذا لم يكن ممكناً أن يصبح من رعايا النبوة العربية أول من صعدوا فوق القمر وأطلقوا السفن والصواريخ الكونية كما لم يكن ممكناً أو منتظراً أن يكون من أصبحوا من رعاياها هم أول من يفعلون ذلك أو ممن يفعلونه!

أليس شيئاً مثيراً بل وفاجعاً أن أحداً لم يفتن إلى هذه الخصوصية للنبوة العربية مع ما في دلالاتها وتفسيرها من ضخامة كمية الأيمة مهينة صانعة لكل التساؤلات ولأحدها وأخرها وأمرها؟ لماذا لا يأتي التساؤل والإنارة والاهتمام بقدر ما يجب أن يكون ذلك؟ لماذا كل شيء خروج على المعقول؟

.. أتباع النبوة العربية المتعددون والمختلفون أجناساً وأعرافاً وأوطاناً وألواناً ولغات وتاريخاً لم يستطيعوا أن يسبقوا إلى إبداع أي شيء جيد حضارياً أو علمياً أو فكرياً أو قنباً أو أخلاقياً أو إنسانياً بل أو أن يشاركوا في إبداعه، بل لم يستطيعوا إلا أن يكونوا متخلفين في كل ذلك تخلفاً أليماً شاملاً قادحاً ذليلاً مذلاً بل وألاً أن يكونوا ويظلوا عيالاً جوعاً يحيون على صدقات وإبداعات الآخرين العلمية والحضارية والصناعية والعقلية والعسكرية وغيرها وغيرها بل وحتى على صدقاتهم وإبداعاتهم النقطية، النقطية. نعم، وهل النقط.. نطفنا إلا بعض عطائها وصدقات أولئك الآخرين علينا ولنا؟

.. هذه الحقيقة أو الظاهرة الفاجعة كيف لم تفجر وتسمر كل الاهتمامات والساؤلات بحثاً عن التفاسير والأسباب وعن الدواء والشفاء إن كان ذلك مستطاعاً أو ممكناً؟ ما أودم تساؤل من يتساءل كلما وجدت أسباب التساؤل.

وما أقسى عذاب وانفجاع من يتساءل بعقله وقلبه ورؤيته وأخلاقه أي كلما وجب التساؤل وكلما وجدت أسبابه. وهل وجد هذا الكائن الشقي البائس؟

.. قد يكون التفسير الأعدل أو الأعقل أو الأصدق أو الأقرب إلى ذلك أن العاجزين والمتخلفين في كل طاقاتهم ومعانيهم التكوينية والتطورية يتسارعون إلى الاحتشاد والتجمع للإيمان بالنبوة العربية لأنهم يجدون فيها كل عجزهم وتخلفهم وكل الاعتذار عن عجزهم وتخلفهم بل وكل التمجيد لعجزهم وتخلفهم وكل الإعلان والإقناع بأن عجزهم وتخلفهم هما كل القدرة والتقدم والتقوى وبأن عجزهم وتخلفهم هما اللذان صنعا ووهبا كل الحضارات والقدرات والمعارف والإيمان والذكاء والتدين وكل شيء جيد وجميل نبيل حتى جمال الإله ونبله هما اللذان صنعا ووهبا ووجداهما رأياهما في أقبح القبح وأقسى الآلام!

.. قد يكون التفسير أن بين جميع العاجزين والمتخلفين كل معاني التخلف والعجز وصيغتهما وبين النبوة العربية تحاذياً وتوافقاً وتصادقاً وتحاباً بل وتحالفاً غريباً ذاتياً تلقائياً لا يحتاج إلى دعابة أو نصيحة أو تلقين أو تحريض أو إغراء ليكون قوياً، قوياً أهدياً!

قد تكون العلاقات بينها وبينهم كالعلاقات الجنسية أي في أشواقها الاندفاعية الطبيعية العمياء، أليست أي النبوة العربية استجابة سخية شاملة لكل جوعهم إلى التعصب والتبذل والفحش والحقد والبغض والوقاحة والغرور؟

.. وبعيد جداً أو باطل مرقوض جداً أن تكون أي النبوة العربية هي التي صنعت عجز وتخلف رعاياها العاجزين المتخلفين.. ليس لأنها متورعة ورافضة أن تفعل ذلك بل لأنها عاجزة أن تفعله وغير محتاجة إلى أن تفعله. إن النبوة العربية لا تحتاج إلى أن تخلق العجز والتخلف في أتباعها مهما أرادت ذلك لأن أتباعها تخلقوا كذلك!

.. قد يكون أتباع النبوة العربية قد عرضوا عجزها وتخلفها وأعلنوا عنها بعجزهم وتخلفهم دون أن تصنع هي هذا أو هذا أو أن تدبر أو تريد أو تصنع أو تستطيع أن تصنع هذا أو هذا!

قد تكون النبوة العربية مظلومة بأتباعها المؤمنين بها لأنهم قد أصبحوا كل وأقوى وسائل وأجهزة

وأصوات الإعلان والتعبير عنها والنشر لها لتكون مسموعة مرقوة مسارسة مفتضحة مفضوحة!

إنه لولا أتباعها هؤلاء لظلت خافتة منسية مجهولة، وكم في هذا من السر عليها ولها؟

.. وقد يكون مقبولاً بل ومعقولاً أن يفسر ما لقيه النبوة ولقيه النبي العربيان في المجتمعات المتخلفة والعاجزة وما سوف يظللان يلقيان من استسلام وتمجيد وأمجاد بل وتأييد حتى لقد تحولاً إلى أضخم وأقصى وأقبح وأبلد وأشرس الوثنيات والأوثان، بل حتى أن جميع الأوثان والوثنيات لا تستطيع أن تصعد أو تمجد لتكون شيئاً من تفاسيرهما وأمجادهما الوثنية، بل حتى أصبح الإله لا يذكر أو يعبد أو يمدح أو يصلى له إلا من أجل أن يذكر أو يعبد ويمدح ويصلى لهما أي للنبوة والنبي العربيين، حتى لأصبح الإله، هكذا يجب الاعتقاد، يقاسي كل قسوة العذاب غيرة واستحياء وانهازماً وهواناً وضياًعاً أمامهما.. وحتى لقد وجب وحق أن يحسب جميع الوثنيين في جميع العصور هم أعظم المؤمنين الموحدن محاسبين يوثنية أتباعهما أي أتباع النبوة والنبي العربيين، محاسبين يوثنية العروبة الموحدة!

.. إن كل عيون كل الشمس والنجوم في جميع أطوار كينوناتها الكونية في كل رؤاها وتحديقاتها لم تر ولو ظناً وتحسناً وثنية تنافس أو تؤمل أو يحتمل أن تنافس شيئاً من وثنية المؤمنين بالنبي العربي ونبوته العربية. إن العرب والمسلمين مهما حذفوا من كل منافسات التفوق في أي شيء جيد فإنهم سيظلون بلا أي منافس على تفوقهم في وثنتهم هذه!

.. إن الإله لو عاقب أو لو كان يعاقب على الوثنيات لما استطاع أن يعرف أو يصنع العقاب الكافي عقاباً لوثنية رعايا النبي العربي ورعايا النبوة العربية أي لو كان يعاقب الوثنية على قدر وثنتها! .. ولو كان أي الإله يعاقب الوثن على قدر كونه وثناً لما وجد أو عرف عقاباً يكفي لمعاقبة النبي العربي وللمعاقبة النبوة العربية!

هل يمكن تصديق هذا أي التصديق بأن وثنية التوحيد هي أضخم الوثنيات وأقبحها وبأن جميع الوثنيات لا تستطيع أن تنافس الوثنية التي جاء بها نبي التوحيد محمد معلماً ومنفذاً لها؟

.. نعم، قد يكون مقبولاً بل ومعقولاً أن يفسر ما لقيه وما سوف يظل يلقاه النبي والنبوة العربيان لدى المؤمنين بهما بما يلقاه اليوم ودائماً الحاكم أو القائد أو الزعيم أو المعلم أو الداعية أو الشاعر أو المفكر العربي في الأسواق العربية أو أن يفسر هذا بذلك.. أليست كل تفاسير الحاكم والزعيم والقائد العربي هي كل تفاسير النبي العربي بل والإله العربي؟ هل الأسواق العربية تتقبل وتتبع أو تختار من هؤلاء إلا المتعصب السفيه البذيء الأحمق المعادي الملاعن المخاصم الشاتم الجاهل الكذاب المغرور العاجز في كل معانيه الإنسانية المحارب كل شيء وكل أحد والمتطاول على كل شيء وكل أحد والمعمير لكل شيء وكل أحد بالكلمات. وأي كلمات هذه الكلمات.. أية كلمات. هل تأذن الطبيعة أو الآلهة أو حتى الحشرات أن يتكرر الكلمات لو عرفت أن زعيماً أو حاكماً أو قائداً أو معلماً أو داعية أو شاعراً أو مفكراً عربياً قد ينطق بشيء من الكلمات التي نطق والتي سوف ينطق بها؟

- نعم، هل الأسواق العربية ترضى أو تلعيب أو تحمد أو تعظم أو تخلد من هؤلاء إلا من هو كل ذلك وإلا من يعلمها كل ذلك؟

وإذا اقتحم الأسواق العربية متنافسان في هذه الرذائل معلمين وفاعلين لها فلا بد أن يستقط الأضعف ويتنصر الأقوى أي في تعليم وفعل هذه الرذائل، ماذا لو عرف ذلك المتسابقون في الأسواق العربية؟ أليس المنتظر حينئذ أن يتسابقوا على الانهزام على الانتصار؟

إن النبي محمداً لو جاء أكثر وقاراً وصدقاً وتفكيراً ورؤية وحباً وتواضعاً وأخلاقية وإنسانية وتحضراً وتهذيباً وعدلاً ولجماً للسان وللانفعالات والتعابير الهمجية الوحشية العدوانية الغوغائية لما وجد كل مجده وسلطانه الوثني الذي وجده أو لفقد أكثره، ولكن ماذا يبقى له أي للنبي محمد أو يوجد فيه لو أنه جاء كذلك أي لو أنه جاء عقلاً وصدقاً وقاراً؟

لقد كانت وجاءت نبوة محمد بتعاليمها وقرآنها إغراء لا يقاوم للضعفاء والعاجزين والمتخلفين والجاهلين والخطئين والمخطئين وللكسالى الخاملين المتواكلين الهارين من أن يكونوا أو يروا أنفسهم مسؤولين أو محاسبين بأي شيء أو عن أي شيء حتى ولا عن أنفسهم أو بها أو لها..!

هل يجد عطاء أو إنقاذ مثل أن يكون الموجود غير مسؤول عن تكاليف وجوده؟

.. إنها أي نبوة محمد تغفر لكل هؤلاء كل نقائصهم بل تبرئهم منها وتحولها إلى مزايا وتقوى وتصفهم بنقيضها وتهبهم كل ما يريدون ويفقدون وكل ما هم عاجزون عنه وجاهلون به وتحولهم إلى أولياء وأصفياء وأقرباء وأذكياء، بل وإلى عظماء وعلماء متفوقين متصيرين على كل الآخرين من خصوم وأعداء ومنافسين ومخالقين.. إنها استجابة لكل نقائصهم وذنوبهم وأحقادهم ونذالاتهم..!

.. إنها وعود مطلقة ومفتوحة بكل شيء وعلى كل شيء..!

.. إنها وعود تصطاد كل التفاهات والبلادات والآثام والعجز وكل النقائص..

.. إنها تصطاد كل المصائب بكل ذلك والريدين العاشقين له.. الذين لا يريدون أو لا يستطيعون سواه، سوى ذلك..

ما أبسر وأسهل الصيد في بحار وشبكات الغباء والخداع..!

.. إنها وعود تصعد بأصغر الحشرات إلى أعالي السموات جاعلة منها أكبر الكائنات، هل يمكن أن ترفض الحشرات من يصعدون بها ليضعوها فوق الإله فوق عرش الإله وسريه لتكون كل حبه وصدافته؟

.. والشن، إنه لا شن، إن كل الشن المطلوب منهم دفعه أي إعلانه: أن يعلنوا إيمانهم وتصديقهم وتقديسهم واحترامهم وامتداحهم وصلاتهم وسجودهم وهوانهم وولاءهم وإخلاصهم ومبايعتهم وعبوديتهم الدائمة المطلقة أي بأقبح وأغشى الأصوات، مصوتين بكل ذلك لهذه النبوة ولبيها وإله هذا النبي وهذه النبوة..!

.. وأيضاً أن يشتتموا ويتهموا ويحقروا ويخاصموا ويعادوا ويحاربوا كل الآخرين، كل المخالفين بكل أسلحة البغض والمداوة والتعصب.

• أن يفعلوا ذلك بشعارات وتحت شعارات الإيمان بهذه النبوة ونبيها وإلهها وبحجة الاستجابة والإفراج والإسعاد والتمجيد لهذه النبوة والنبي والإله الذي جاء أو صيغ على مقاسهما أو الذي صيغ أو جاءهما على مقاساته..!

إن هذا هو كل الثمن لكل هذه العطايا التي يعرضها بل يتقدم بها إله هذا الكون بكل التضرع والتخشع والتودد مؤملاً أن تقبل ثمناً لمطالبه الصغيرة الرديئة الشافهة الفاضحة المهيئة للمطالب بها المتقبل لها..

.. لتتصور هذا التصور.. لتتصور أن النبي محمداً قد ألقى في جماهيره الملازمة خطابين أو سورتين قرآنيين...

في أحد الخطابين أو السورتين دعا إلى حب ومصادقة المخالفين والخصوم وإلى التسامح معهم متحدثاً عن مزاياهم الحقيقية ومحرضاً على رؤية هذه المزايا وإلى الاعتراف بها وعن استنكار إنكارها...

وتحدث أيضاً عن قسوة الشروط والالتزامات المطلوبة ممن يؤمن به، مقلداً من الوعود السخية الواهية بلا حدود، ملتزماً شيئاً من الوفاء والصدق في إطلاقها وفي الرثوة بها أي بالوعد... واصفاً ضخامة وصعوبة الثمن الذي لا بد من دفعه شرطاً محتوماً لصدق أي وعد من الوعود الجميلة أو المريحة أو المرادة..

واصفاً الإله وكل تصرفاته بالذكاء والقانونية والمنطقية وبالعقل والنظام والانضباط لا بالمشيئة المطلقة المتقلبة غير المحكمة بغير نفسها بغير المشيئة، ولا بأنه الكائن الذي قال عن نفسه كما روت نبوة محمد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٧) .. ﴿قَالَ لِيَا يُرِيدُ...﴾ ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .. ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِتَرَجْدٍ حَسَابٍ﴾ .. ﴿وَيَقْدِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ .. ﴿أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ لَهُ﴾ .. ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .. ﴿يَسْتَسْقِ الدَّرَرُ لِيَنْ يَشَاءَ وَيَقْدِرُ﴾ ..

نعم، في أحد الخطابين أو السورتين قال وعلم وأعلن وأكد كل ذلك، وكان في صوته وحركاته وإيماءاته وإيقاعاته وفي كل تعبيراته محكوماً بكل الوفاء والائتزان والهدوء بلا أي تعبير مهيج انفعالي خطابي غوغائي يصرخ بالعيون والأذان المهتاجة دون أن يخاطبها أو يحاورها أو حتى يتحدث إليها أي يضرها ويغني لها ويستفرغ فيها وعليها لتستقبل وتتقبل لا لتحاكم أو تحاسب أو تحاور أو حتى تسأل.. دون أن يقرأها أو يقرأ لها أو عليها أو يتعامل معها أو ينوي التعامل معها. هل وجد محاب لغزاة الأسواق بالنبوات والآلهة والتعاليم مثل الأذان والعيون التي تتحول كل وظائفها إلى أن تستقبل الاستقراغ والبصق فيها بكل التلهف والحماس. هل كان الإله مأكراً بالإنسان حين صاغه بعيون وآذان؟

.. أما في الخطاب الآخر أو في السورة الأخرى فقد جاء كل النقيض لهذا الأسلوب أي جاء النبي محمد ونبوته وروحي إليه..!

.. وهنا يجب التصور والتساؤل: لأي الخطابين أو السورتين ستكون الاستجابة والحماس والتقبل بل والهناف أو لأيهما سيكون ذلك أقوى وأكثر.. للعقل والصدق والوقار أم للجنون والكذب والخداع والتهيج والهوس..!

هل يمكن أن يقبل أو يعقل أي شيء بالعقل أو بالصدق أو بالفهم والرؤية والافتناع.

.. والنبي محمد هو دائماً الأسلوب الثاني في كل سورة وآياته وخطاباته وتعاليمه وأصواته وإشاراته معبراً عن وعده أو عن وعيده، واصفاً لفردوسه أو لجحيمه، مبشراً أو منذراً، متحدثاً عن بداية الكون أو عن نهايته.. عن انتقام الإله وبعثه وغضبه وبغضه وقسوته أو عن رضاه وحيه ورفقه وعفوه ورحمته. هل وجد واصف هجا نفسه وموصوفه مثلاً فعل النبي محمد في وصفه لإلهه؟

.. إن جميع المهيجين المهتاجين المخترقين لكل حدود وتفاصيل وصيغ الوقار والاتزان والصدق والعقل والمحاسبة للنفس في كل العصور والمجتمعات.

- نعم، إن جميع هؤلاء في كل معانيهم هذه لن يكونوا شيئاً واحداً من النبي محمد في هذه المعاني..!

إن أوصاف النبي محمد لأهوال الجحيم ولخرافات الفردوس لهزيمة وإسقاط لكل المنافسين في أي معنى من هذه المعاني في كل العصور والمجتمعات.. إن كل ما في الأشياء والكائنات من قبح نفسي وأخلاقي وعقلي لن يستطيع أن يفرز القبح الذي صاغ أوصاف الجحيم والفردوس وأوصاف سكانهما..!

فظيح، فظيح أن يقرأ أي إنسان أوصاف النبي العربي لجحيمه أو لفردوسه وأوصافه لمن سوف يكونون سكان هذا وللمن سوف يكونون سكان ذلك، وكيف سوف يحيون حياتهم أو وجودهم هنا وهناك..!

حتماً أنا أعني بالإنسان هنا الذي أهرب أن يقرأ وصف محمد لجحيمه وفردوسه - أعني به الإنسان بمعاني الإنسان لا الإنسان بصيغة وملابس الإنسان، ما أقل هذا الإنسان، ما أقله مهما امتلأ الكون وغرق بالولادات والوالدين والمولودين والولدان..!

إن جميع الهجائين في كل العصور والمجتمعات وبكل اللغات لو أرادوا أن يهجووا شيئاً أو أحداً أو مجتمعاً أو شعباً لما استطاعوا أو عرفوا أن يهجووه مثل هجاء أو شيئاً من هجاء من أراد أن يهجو العرب هجاء لم يهج به أي مهجو فروى أوصاف النبي العربي محمد للجحيم والفردوس ولسكانهما.. إنه لسؤال محير جداً: كيف أمكن أن تتخلق في نفس النبي محمد هذه التصورات والصور للجحيم والفردوس..؟!

.. إذن كيف وصفه أي وصف النبي العربي محمد للإله.. لمكره وخداعه وكبده ولحبه وبغضه ورضاه وغضبه ولسروره وكآبته ولصداقاته وعداواته وشهوته وممارساته وعلاقاته ولمصافحاته ومعانقاته

وضرباته ولطماته ومصارعته ومخاصماته ولتقلباته ونزواته.. لمطالباته وطلباته وشهوته.. وللأشياء التي تصنع له أي للإله هذا وهذا، ما أرخص هذه الأشياء، ما أرخصها وأسخطها!

.. إنه لم يوجد ولن يوجد هاج مثل النبي محمد في هجوه للإله، ولم يوجد ولن يوجد مهجو مثل الإله في هجو محمد له زاعماً ومعتقداً أن يمجده ويعبده ويرضيه ويسعده. إنه لم يوجد ولن يوجد هاج يحسب مادحاً مثل النبي محمد ولم يوجد ولن يوجد مهجو يحسب ممدوحاً مثل الإله أي إله محمد...!

ولعل من الحقائق التي لا يمكن أن تنكر أو تخفى أن العربي لا تستطيع منافسته في افتضاحه مادحاً وممدوحاً..

أي في افتضاحه وفضحه لنفسه ولممدوحه مادحاً أي قائلاً ومعلنًا مدائح في ممدوحه، وفي افتضاحه وفضحه لنفسه ولمادحه ممدوحاً أي متقبلاً ومعلنًا تقبله للمدائح التي تقال له وفيه ويمدح بها بل معلنًا رضاه وفرحه وسعادته وكبريائه ومباهاته ومجازاته على ذلك أي على أقدر وأرخص وأوقع البصقات والاستفراغات التي تبصق وتستقرغ عليه وفيه بل وعلى مجتمعه وتاريخه وعصره وفيه بإعلان وأسلوب وتفسير الامتداح والتمجيد له. هل يمكن أن يوجد من يجرو أن يزعم أن المدائح العربية أنظف أو أشرف من أي بصاق أو استفراغ؟

.. إن المادح والممدوح العربيين ليسا افتضاحاً وفضحاً لنفسيهما فقط ولكنهما افتضاح وفضح لكل الوجود العربي ولكل شيء عربي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً بكل صيغ ذلك وتفسيره.. إنهما افتضاح وفضح للألوهيات والألوهيات والأنبياء والنبوات والديانات العربية..

إنهما أي المادح والممدوح العربيين أقسى وأصدق تفسير لكل ذلك وإعلان عنه.. إن أي كائن من الكون المعروف أو المجهول لو سمع أو قرأ أو عرف الإنسان العربي مادحاً وممدوحاً لكان محتوماً أو مفروضاً أن يعرف أخلاق ومواهب ومستويات وذكاء وتفسير وأشواق آلهته وأبيائه وأديانه ونبواته.

إن أي إله أو نبي أو دين ليس إلا صيغة وتفسير من آمن به جاء أو أعلن باسم أو بتياب إله أو نبي أو دين!

وإن أي مؤمن ليس إلا الإله أو النبي أو الدين الذي آمن به واتسمى إليه وحسب عليه جاء وزعم ورؤي وفسر وقرئ باسم وصيغة كائن أو إنسان قد آمن أو أعلن مؤمناً بإله أو دين أو نبي ما.. إن كل تفاسير هذا هي كل تفاسير هذا مهما اختلفت الأسماء والمظاهر.. لهذا فإن الإله والنبي العربيين مادحاً وممدوحاً لن يساويا إلا العربي مادحاً وممدوحاً ولن يفسرا إلا بذلك أي تفسيراً صادقاً. وإن العربي ممدوحاً ومادحاً لن يساوي إلا الإله والنبي العربيين متمدحين متعاطلين للمدائح المتبادلة أو المتجاذبة، ولن يفسر أي العربي مادحاً وممدوحاً إلا بذلك أي إلا بالإله العربي والنبي العربي مادحاً وممدوحاً بل مادحين ممدوحين فهما أي الإله والنبي العربيان أعظم حفظاً في هذه القضية لأنهما مادحان ممدوحان أما العربي فهو إما مادح وإما ممدوح وليس دائماً.

إذن فالعربي مادحاً وممدوحاً هجاء للإله والنبي العربيين..!
 وإذن فالإله والنبي العربيان ممدوحاً ومادحاً هجاء للإنسان العربي..!
 لأنهما هو ولأنه هما بكل التفسير والمحاسبات والحسابات..!
 هل عرف ذلك أحد؟ كيف أمكن أن يجهله أحد؟

إذن لن يكون مخطئاً من قال إن النبي العربي مادحاً للإله ليس إلا شاعراً عربياً يمدح سلطانه العربي، وإن إله محمد مادحاً لنبيه محمد ليس إلا شاعراً عربياً يمدح سلطانه العربي، هل كان ممكناً ألا يكون العربي مصاباً بأقذر عمليات الاستفراغ المزعومة والمحسوبة امتداداً ثم يصاب بها الإله والنبي العربيان، أو أن يصابا بها ثم لا يصاب بها الإنسان العربي؟

فمحمد وإلهه شاعران عربيان مادحان، وسلطانان عربيان ممدوحان.. هكذا حولاً نفسيهما وجعلاً العلاقات بينهما أو هكذا رآهما ورواهما وصورهما وصنعهما الإنسان العربي..!

ولو وجد من يحتاج إلى مزيد من الافتتاح بذلك لوجب أن يقال له اقرأ كتاب العرب القرآن لتفرق اقتناعاً بأن النبي محمداً في مديحه للإله ليس إلا شاعراً عربياً يمدح سلطانه، وبأن الإله في مديحه لمحمد ليس إلا شاعراً عربياً يمدح ملكه أو خليفته أو سلطانه أو رئيسه الثوري.

.. بل لكي تفرق اقتناعاً بأن القرآن هو أشهر وأضخم وأقوى وأفصح كتاب امتداح وهجاء واختار وادعاء وبأنه قد كان وسوف يظل بلا منازع في فضحه واقتضاحه.

.. بأنه أي القرآن كل ذلك باقبح وأفظع وأوفح وأنذل الأساليب والصيغ والتفسير حتى لأصبح أقسى وأبقى هجاء لكل الوجود العربي.. لكل الوجود الإنساني.. لكل الوجود بكل تفسير كل وجود..!

إن كل عيديات الاقتضاح والفضح في كل التاريخ وكل العالم لا بد أن تظل مهزومة ذليلة أمام كتاب العرب هذا، أمام قرآنهم بل أمام قضية واحدة من قضاياها، أمام اقتضاحه وفضحه مادحاً وهاجياً وفاخراً ومفاخرراً وواعداً ومتوعداً مهدداً لاعتاً متهماً محفراً لكل شيء ولكل أحد لا يسجد لكل حروفه بكل أعضائه ومعانيه.



.. إن كل خصائص ومواهب وأخلاق العرب في كل وجودهم وأطوارهم لو ماتت أو اختفت أو سرقت أو نسيت أو هانت أو ضعفت أو تضالت أو أنكرت أو زوحت أو توفست أو هزمت ل بقي لهم شيء واحد، واحد لا يمكن أن يصاب بأي شيء من ذلك..

.. ل بقي لهم شيء واحد هو الأقوى والأشهر والأبشع..!

.. هذا الشيء الواحد هو ضخامة اقتضاحهم مادحين وممدوحين. أه. ماذا يعني أو يساوي أو يصنع المديح في المادح أو الممدوح مهما كان صادقاً فكيف، كيف؟ من أول من ابتكر المذائج؟

أليس محتوماً أن يكونوا العرب؟ من أول من تقبل ورضي وسعد وفرح وأثاب أن يكون ممدوحاً؟ أليس محتوماً أن يكونوا العرب؟

من أول من تقبل أن يكون مادحاً ذليلاً كذاباً منافقاً صغيراً بلا حدود أو شروط؟ أليس محتوماً أن يكون الإنسان العربي؟

من أول وأقوى من حقر المديح بمدحهم مادحين وممدوحين؟ من أول من حول أعفن وأقبح أنواع وأساليب الاستفراغ والبصاق تبصقها وتستفرعها أعفن وأصفر النفوس والأخلاق إلى امتداح وتمجيد؟

أليس محتوماً وصدقاً أن يقال: إنهم العرب؟

من أول وأقوى من قال للحضارة والأخلاق والتفكير والذكاء والحرية واليسالة وللجمال الإنساني: كن بدواة ونذالة وجهالة وغباء وعبودية ودماة وجبناً وفحشاً؟ أليس ذلك أي أليس هذا الأول هو الإنسان العربي والإله العربي والنبي العربي والمفكر العربي والمعلم العربي والشاعر العربي والسلطان والزعيم العربي؟

أليس العربي أهدأ هو الأول والأشهر والأقوى في كل شيء رديء وقبيح وبليد وفاضح، فاضح؟ حتى الإله العربي إنه الأول والأشهر والأقوى في فضائح الآلهة. ١

ماذا يعني أو يصنع المديح للممدوح أو فيه؟ هل سأل أحد عن ذلك أو فكر فيه؟ هل يصنع أو يهب المديح للممدوح أي شيء جيد أو نافع؟ هل يصنع له أو فيه جمالاً أو ذكاء أو قوة أو مجداً أو صحة أو هبة أو حتى احتراماً أو تصديقاً أو حباً أو نسباً كريماً أو عظيماً أو حتى انخداعاً به وله أو عمراً أطول؟

أليس محتوماً أن يصبح العرب كل ما في الكون من قوة وعظمة وتقدم لو كان المديح يفعل شيئاً؟ ولكن كيف أليس الامتداح الكاذب البليد المخادع هو الذي صنع ووهب كل أمجاد التاريخ لجثث وقبور وآثام التاريخ؟ أليست كل هذه الأمجاد التاريخية المخالدة الخارقة هي هبات وصناعات المدايح الكاذبة البليدة المتاجرة المخادعة المخادعة؟ ولكن رأياً أعز قد يقول أو لا بد أن يقول: أليست هذه الأمجاد أو المحسوبة أمجاداً هي أقوى وأقوى مفسر وفاضح لأصحابها؟

أليس امتداح الضعيف أو الجبان أو الجاهل أو البليد أو الدميم أو النذل أو المهزوم الوقح بنقيض أوصافه يحرض على رؤيته وفراءته ومحاسنته وعلى تفسيره؟ أليس ذلك إعلاناً عن النقيض وتشهيراً به؟

إذن أليس أقوى الامتداح لهؤلاء هو الصمت عنهم؟

إذن أليس المداحون هم أقبح وأقبح وأنذل وأقوى الهجائين؟

ماذا يعني أن تشير إلى أقبح وجه قائلاً إنه كل ما استطاع أن يتصور ويخلق الإله من جمال؟ كيف لم يعرف ذلك كل أحد؟

ماذا يعني أو يساوي المديح في حساب المادح والممدوح أو في حساب الأسواق التي يستفرغ

أي المديح فيها وعليها أو في حساب التاريخ أو أي حساب؟ كيف وجد من قبل أو يقبل أن يكون مادحاً أو ممدوحاً بعد أن عرف الإنسان العربي ممدوحاً ومادحاً؟ أليس تقبل ذلك يعني أن من تقبله إن وجد لم يكن قد عرف أو سمع أو قرأ أو فسر الإله العربي أو النبي العربي أو القديس العربي أو الشاعر العربي أو المفكر العربي أو القرآن العربي مادحاً أو ممدوحاً؟ ما أقسى وأفدح معرفة وقراءة وسماع ذلك..!

.. ماذا لو أن اللغة العربية قد أصبحت لغة دولية عالمية كونية ونسيت كل اللغات الأخرى فقرأ كل العالم المدائح العربية حتى مدائح الإله العربي لنفسه ومدائح أنبيائه وأوليائه له ومدائحه هو لهم في قرآنه؟

هل يمكن حينئذ أن يوجد من يقبل أن يكون مادحاً أو ممدوحاً؟ إنه لو وجد أي مادح أو ممدوح ليس عربياً لوجب القول إنه لم يعرف العرب مادحين أو ممدوحين..! .. أنا أتقبل بل أسعد وأفرح أن أمدح بما ليس في شيء منه بل وأنا كل النقيض لما أمدح به..! هل حدث هذا؟

إذن أنا حتماً عربي، عربي غير مخلوط بأي شيء من أي إنسان آخر..! .. أنا مادح، أنا أمدح بما لا أجد أو أعرف أو أتوقع شيئاً منه فيمن أمدح، بل وأنا أرى وأعرف وأقاسي كل النقيض في ممدوحي..! هل حدث ذلك؟ هل حدث؟ إذن أنا عربي، عربي حتماً، حتماً بلا خوف من أي خلاف..! أنا عربي إذن دون أن أجد أي منافس..!

إذن لقد وجد التفسير لما جاء كالمفاجأة الخارجة على كل الاحتمالات والتوقعات والتفسير.. .. في هذه الأوقات.. المسلمون عرباً وأجناساً وأعراقاً أخرى يهتفون بالتاريخ بطالبونه بالعودة وبالانبعاث والانطلاق من صحاراه ومقابرهم بكل بدائنه وجهالاته وعداواته وأحقاده وبغضائه وبكل عيائه وعماماته وخيامه وسيوفه ورماحه..

.. يطالبونه بالعودة باصقاً مستفرغاً كل ما في نصوصه وتفسيره من تعصب وقبح وقبح وفقر وضعف وهوان وقهر لكل معاني الإنسان.. يطالبونه بالعودة فوق ظهور إبله وخيوله وفوق أحجار كعبته لكي يهزم ويذل ويظهر بل ويطرده ويزيل كل إنجازات وعبقريات وحضارات الإنسان في كل عصوره ومجتمعاته.. لكي يدمر ويزيل كل السفن والصواريخ الكونية التي أسقطت الإله من فوق عروش شموه ونجومه وأقماره..

- نعم، لكي يفعل كل ذلك بقراءة أو تفسير أو فهم سورة أو آية من الكتاب الذي جاء به أو الذي قاله أو رواه أو اتهم أو احتلم به ذلك النبي العربي الذي كان يعلن فاعراً مفاخرراً متحدياً بأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب ولا يستطيع أن يكون شيئاً من ذلك، وبأنه لم يكن يتلو كتاباً أو يخطه يمينه أو يساره وبأن أمته هي الأمة الأمية الأمينة المحافظة على أميتها العقلية والفكرية والحضارية

والنفسية والأخلاقية والفنية بل واللغوية التعبيرية مهما تخطت أميتها الأبجدية، وكم هو قبيح وعبث وخسران وافتضاح وتشويه أن يدأى من أمية الأبجدية من لا يستطيع مداواته من أمية الموهبة والكينونة..!

نعم، في هذه الأوقات.. المسلمون عرباً وغير عرب بكل مظاهر وصيغ وصهيل وزئير الحماس والنخوة والكبرياء والقوة والبسالة يرخون ويهزون اللحى ويحملون ويدقون الطبول ويرقعون ويسنون الخناجر والسكاكين مطالبين بكل أساليب ونيات التهديد بالعودة إلى الرمال والآل قالموت والخراب والدمار لكل العالم ولكل شيء.. حتى للشمس والنجوم.. حتى للبحار والأنهار.. حتى للحقول والزهور.. إنها مطالبة بالعودة إلى الرمال التي لا تبت الحقول أو العقول أو الجمال أو الرضاء أو الحب..!

.. والحسابات المنطقية ترى أنها قد تعاضم هذه الظاهرة أو الآفة أو الردة في الأيام أو السنوات القادمة بين أتباع هذه النبوة العربية..!

وقد تصبح هموماً وآلاماً ومصارعات ومخاضات دولية.. والانقسامات والتكتلات العالمية تخرض على ذلك وتعد له وتدفع إليه بل وتلزم به..! ما أعظم حظوظ الآلام والمشاكل والأحقاد والعداوات والزعامات الصغيرة التافهة.. ما أعظم حظوظها بالانقسامات الدولية..!

... قالت كلمة سابقة إنه قد وجد أو جاء التفسير لهذه الظاهرة الكريهة المزعجة أعني بها المطالبة بالعودة إلى رمال التاريخ وأمية الصحراء.. إلى التدين بالأمية وقرض وتمجيد ديانتها وفرضها أي دهانة الأميين على كل العقول والحضارات والأخلاق والشعوب وعلى كل الوجود..!

.. والتفسير أن المؤمنين بهذه النبوة نبوة النبي العربي قد فرض عليهم دون أن يريدوا أو يدروا أو ينتظروا مواجهة ومعايشة حياة وحضارة شاملة عظيمة قوية خفيفة مرهقة لتفوقها وتنوعها وتجدها ومرعتها وقسوة وشمول تحدياتها..

أبدعتها مواهب وسالات عقلية ونفسية وعلمية وأخلاقية بل وعضوية وإنسانية ضخمة، ضخمة لم تستطع كل نبوات وأديان وتصورات السماء أن تتصورها..!

.. وهم أي المؤمنون بالنبوة العربية لا يملكون شيئاً من هذه القدرات التي أبدعت هذه الحياة وهذه الحضارة حتى ولا القدرة التي تجعلهم يستطيعون مواجهتها أو معايشتها أو مصادقتها أو فهمها أو الإيمان بها أو الاطمئنان إليها أو حتى محاورتها أو قراءتها أو مجاورتها أو حتى الانهار أو الإعجاب أو الاعتراف بها..!

.. إنهم متخلفون تكوينياً وطبيعياً وطورياً عن مبدعي هذه الحضارة.. إن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً في العمر الإنساني.. في بلوغ الطور الإنساني..!

إن الفروق بين أطوار التكوين والكينونة لهي من أقسى وأعظم الفروق..! إذن ماذا يفعلون وكيف يفعلون ويعبرون؟

إنها مواجهة صعبة بل مذلة بكل صيغها وتفسيرها..!

كان الجواب أو الرد الذي لم يعرفوا أو يجدوا أو يستطيعوا غيره أن يكرهوا ويحقدوا ويعادوا ويلعنوا ويرفضوا أي هذه الحضارة ومبدعيها ويتحتوا لها ولهم الخراب والموت؛ ويدعوا عليها وعليهم ولها ولهم بذلك بل ويقعوا بها وبهم كل ذلك ولو تأملاً واشتقاء..!

والحقد والبغض والحسد والعداوة والبذاءة والسياب والتمنيات القبيحة الشريرة العدوانية هي إحدى مواهب وخصائص المتخلفين في التكوين والطور، إنهم يتدارون ويتفنون بذلك..!

.. إنهم لو وهبوا كل ما في الكون رشوة ولتمناً لتركوا هذه الآفات النفسية والأخلاقية التي تحولت إلى خصوصيات ومواهب فيهم لما قبلوا تركها أو استطاعوا تركها خضوعاً لإغراء هذه الرشوة أو هذا الثمن حتى ولو أرادوا ذلك بل مهما أرادوا ذلك..!

إنهم لا يستطيعون هذا الترك ولا يريدونه بل ولا يستطيعون إرادته..!

إن الخبث النفسي والأخلاقي والعاطفي واللغوي التعبيري العدواني في المتخلفين طوراً وتكويناً ليس مرضاً يصيب أو لا يصيب.. يصيب ويمالج ويشفى منه.. ليس مرضاً يجيء من خارج الذات ليكون ممكناً الاحتماء منه والتلقيح أو التطعيم ضده؛ ولكنه هو الذات.. هو تكوينها وتركيبها.. هو أعضاؤها وغدها وخلاياها ووظائفها..!

.. إن هذا الخبث في المتخلفين كينونة وحياة ووجود ووظيفة كالطعام والشراب والتوم والجنس والتوالد والموت..

بل إنه فيهم إيمان وصلاة وتعبد وقومية ووطنية، إنه كل شيء فيهم

.. لهذا ما أخيب وأضيع وأجهل التعاليم والنصائح والعظات الموجهة إليهم والمقروءة أو المنزلة عليهم ليشقروا من هذا الخبث أو لكي يضعف أو لينام أو لينسى أو ليهدأ أو ليتأدب أو ليتوقر ويتهذب ويستحي أي خبثهم هذا، إنهم لو لم يجدوا آخرين يرجعون إليهم خبثهم هذا بكل تعبيراته وتفسيراته هذه لوجهوه إلى الشمس والنجوم والحقول والأنهار.

.. إنه إفراز وليس فعلاً أو ممارسة أو تعامل..!

إنه أردأ أنواع الاحتقان والامتلاء والاستفراغ الطبيعي..!

.. وقد جاء تعبيرهم في ردهم أو في جوابهم على هذه المواجهة أن زحفوا متراجمين إلى قبور التاريخ لينبشوا ويخرجوا أقوى وأذكى وأنقى أسلحة الحرب والمقاومة والنصر والحقد والبغضاء التي قالت لهم سورهم وآياتهم وقرآنهم ورواياتهم وأشعارهم إنها مدفونة في جثث وأكفان وقبور أنبيائهم وآبائهم وخلفائهم.. المدفونة في صحراء التاريخ، في تاريخ الصحراء، في حجارة الكعبة.. في سبوف وخناجر ورماح وخيام وصلوات ودموع وشعارات بدر وأحد والخندق وكربلاء والتجف والأزهر..

في تاريخ وذكريات خبير وبني النضير وبني قينقاع وقريظة..

في إعلان عودة النبي محمد ونبوته وقرآنه وعلمانه وزوجاته ومحظياته المحجبات الأميات

المتناقضات المتحاسدات الأبيكار والثبيبات المتجاورات في غرف المضاجعات المنتظرات المحترقات
الظامشات الجائعات المتلهفات المتطلعات إلى العلاقات التي لا تجيدها ولا تشبع منها النبوات.. في عودة
النبي العربي معلناً بقرانه أقدس اللغات والتهديدات لكل الحضارات والمبقرات ولكل الديانات الإنسانية.!

.. إنهم يجدون في هذه النبوة، نبوة الصحراء والرمال كل الأسلحة التي يحشونها ويتلاءمون
معا ويرتاحون بها أي باستعمالهم لها بل ويجيدون استعمالها ويسعدون بهذا الاستعمال سعادة متعددة
التفاير والصيغ..

.. إنها أي هذه الأسلحة التي يجدونها في هذه النبوة تعوضهم وتغنيهم عن كل الأسلحة
الأخرى مهما قست وتعددت وتنوعت وتصاعدت المواجهات.. إنها أسلحة خالدة أزلية أبدية في
تفوقها وانتصارها على كل شيء وفي كل شيء وأمام أي شيء.. إنها أي هذه الأسلحة هي الله جاء
في صيغ ولغات وتعبيرات أخرى. نعم، إن الله في تصورات وعقائد المؤمنين ليس إلا سلاحاً يقاتل
عنهم ولهم في كل الميادين والمعارك والمواجهات.!

.. إنها أي هذه النبوة العربية التي يعودون إليها من هزيمتهم الحضارية الإنسانية الشاملة القاسية
تلعن وتحقر وتسفه وتكفر وتفسق وتغير هذه الحضارة وتتهمها بكل الذنوب والعيوب وتسحب منها
كل المزايا أي دعابة وتعليماً، وتدعو إلى تخريبها وقتلها بل وتعد وتوعد بذلك بل وتعلن التزامها بأن
توقع بها كل ذلك قريباً، قريباً بل وتنبئ بأنها أي هذه الحضارة الشريرة الملعونة لا بد أن تفعل هي
كل ذلك بنفسها، أليست أضخم وأشهر وأصل بشريات هذه النبوة تبشيرها الدائم بخراب وموت كل
الحضارات؟

.. كذلك تعلم أي هذه النبوة أن إبداع هذه الحضارة والأخذ والإيمان بها والتلاؤم معها ليس
تفوقاً أو صعوداً في أي شيء.. في الذكاء أو القوة أو البطولة أو الطموح بل هبوط إلى كل الشرور
والآثام والآلام والفساد والغوايات.. إذن ليس نقصاً أو عجزاً أو ذنباً رفضها أو مقاومتها بل استقامة
وأصالة وقوة.. قوة في رفض ومقاومة الشرور والقبائح.!

كذلك تعد أي النبوة العربية المؤمنين بها مؤكدة متعهدة بكل ضمانات وأخلاق وعهود وصدق
وقوة ووفاء كل الآلهة بأن تجعلهم أي تجعل المؤمنين بها هم كل المنتصرين والوارثين لكل الأرض
وما عليها ومن عليها من حضارات وبداعات ومن يدر ومتحضرين، بل وتجعلهم القادة والمعلمين
والحاكمين لكل زمان ومكان ولكل من في الزمان والمكان بل ولكل من هم خارج الزمان والمكان
أي إذا آمنوا بها وامتدحوها وباعموها وأعلنوها وليس شرطاً أن يطعموها أو ياترموها أو حتى يفهموها أو
يحترموها بأعضائهم أو شهواتهم.. إنها نبوة عجيبة، أن كل اهتمامها في الإيمان بها والامتداح لها لا
في طاعتها والالتزام بها!!

.. كذلك تعطي هذه النبوة المحمدية المؤمنين كل شيء بلا أي شيء يبدعونه أو يفعلونه أو
حتى يرفهونه أو يكونون أول من يقولونه.. إنها تعفيهم من كل الأعمال والتكاليف الذكية أو القوية أو
الصعبة أو الغالية الثمن أو المبدعة المتفوقة.!

إنها أي النبوة العرية تحول الله وكل أعوانه ومستشاريه إلى عاملين مكافحين ومتفذين ومفكرين بل ورأئين بدلاً أو نيابة عنهم أي عن المؤمنين بها!

.. إنها أي النبوة المحمدية تجعل منهم أي من الله ومن كل أعوانه ومستشاريه جنوداً وحرماً وخداماً بل وأجهزة جاسوسية ومخابرات للمؤمنين بها لحمايتهم وتقويتهم ونصرهم وإعطائهم وإطعامهم وتجميلهم والسير والصعود بهم فوق كل الكائنات، بل إنها تجعل منهم أرخص المداحين لهم أي للمؤمنين بها وأكثر المداحين افتضاحاً في مدحهم لهم!

.. إنهم أي الله وكل أعوانه ومستشاريه لن يجدوا أي تفسير لوجودهم أو لبقائهم غير أن يكونوا ويظلوا موظفين عند المؤمنين بها أي بهذه النبوة ليفعلوا لهم كل شيء.. وسيرون أي الله وأعوانه ومستشاروه أن توظيفهم هذا عند المؤمنين هو أعظم وأنبى وأبقى وأبقى أمجادهم وأخلاقهم ووظائفهم وتلاؤمهم مع أنفسهم ووجودهم!

بل سيجدون في ذلك كل العزاء والتعويض عن مأساة وعبث وجودهم!

.. نعم، ماذا لو أن الإله وكل من معه وحوله حوسبوا وحكموا على وجودهم لماذا جاء أي وجودهم، ماذا يعني ويعمل، وبماذا يفسر ويدافع عنه؟ ما الذي يجعله معقولاً أو مقبولاً أو حتى مغفوراً؟

هل يمكن حينئذ أن يجدوا جواباً أو دفاعاً غير أن يقولوا: من أجل التعامل مع محمد ونبوته والمؤمنين به وبها ومن أجل أن تكون حراساً وخداماً ومداحين وأصدقاء وأولياء ومخاطبين مناجين مبايعين مغايزلين حماة أنصاراً له ولها ولهم أي لمحمد ونبوته وللمؤمنين بهما؟

هل يمكن أن يقبل أو يعقل منهم أي دفاع عن هذه القضية أي في هذه المحاسبة والمحاكمة غير ذلك؟

هل يستطيعون أن يجدوا دفاعاً عن وجودهم غير هذا الدفاع أو يرتاحون إلى أي دفاع آخر راضين عنه أو مقتنعين وسعداء به؟

لتصورهم في هذه اللحظة يفكرون بحثاً عن أي دفاع آخر لكي نرتي لهمجزهم!

.. إن من يقرأ قرآن وتعاليم وأخبار هذه النبوة أي نبوة محمد فلا بد أن يقتنع بأن هذا التفسير هو كل التفسير لهذه القضية وبأنه لن يوجد أو يقبل أي تفسير آخر..

الله وكل من معه من سكان السماء والغيب وجدوا وجاؤوا وقبلوا بل وفرحوا أن يوجدوا ويحيوا لكي يكونوا موظفين لنصرة وخدمة النبي محمد ونبوته والمؤمنين بهما!

هل يوجد أو يقبل أو يعقل غير هذا التفسير لوجود ولمجيء الإله ومن معه ومن حوله؟

اسألوا جميع المفسرين والسحرة والكهان والدجالين والمعلمين.. الصادقين والكاذبين.. الأذكياء والأغبياء..

.. اسألوهم، اسألوهم هل يمكن أن يوجد أي تفسير غير هذا التفسير أو هل يقبلون أن يفترض

أي تفسير آخر؟ أليس من يفسر تفسيراً رديفاً مسبقاً إلى التفسير وإلى من يريد تفسيره؟



.. إن هذه الردة أو الرجعة إلى رمال الصحراء.. إلى رمال التاريخ.. أي إلى نبوة محمد فراراً من التعامل مع هذه الحضارة وعجزاً عن التعامل والتكافؤ معها وتناقضاً مع مزايها ومواريها.

.. إن هذه الردة أو الرجعة تحول الأشياء إلى نقيضها.. تحول أردأ وأبلد وأعجز الأعمال والأفكار والأخلاق والممارسات والنقائص والرؤى والمزاعم والمعتقدات.. تحولها إلى أذكى وأتقى وأقوى وأعقل وأنبىل التفاسير... أي تفسرها وتزعمها وتعلنها كذلك!

.. إنها تحول الفرار إلى إقدام، والعجز والتخلف والبؤس والجهالة والبلادة إلى إيمان وتدين وتقوى وروحانية وقدرية على الرفض والزهد والصفاء والصعود الإنساني والنفسي إلى عالم العلم.

.. إنها تحول الحقد والبغضاء والعداوة والبذاءات إلى جهاد ضد أعداء الإله والدين والإنسانية وإلى بسالة أخلاقية ودينية.

.. إنه أي هذه الردة أو الرجعة إلى النبوة العربية تفعل كل ذلك في حساب واعتقاد ومزاعم المؤمنين بها.

إنها تجعل العجز والخوف من الصعود إلى القمر تواضعاً للإله واستحياء ورهبة من كبريائه ومن الإصابة بالغرور وحذراً من أشعار العاجزين بمعجزهم، ومن تعذيب الأرض وحشراتها بالحنين والتطلع إليهم وبالخوف عليهم وبصدمة وحسرة الفراق لهم، ورفضاً لابتعاد جباههم المتعبدية الساجدة عن التراب، لصعودها عنه، وتخرجاً من إزعاج الطيور في أوكارها وفي سموها وسمواتها، ومحافظة على خفقات القلوب لتكون كلها لله دون أن يذهب شيء منها أي من خفقات القلوب في توقع أخطار المغامرة مغامرة الصعود إلى القمر، إنها تفعل كل ذلك لأتباعها الذين لم يصعدوا إلى القمر عجزاً وجهلاً وجبناً وتخليفاً وتبلاً.

إنها أي النبوة المحمدية تجعل المؤمن بها يفسر نفسه وكل نقائصه وقباحتاته ورداءاته أجمل وأعظم وأقوى التفاسير..

وإنها لتنهيه وتجعله يهب نفسه كل الأشياء الجيدة المستحيلة والمستطاعة بلا أي استحقاق أو تضال أو شروط أو عبقرية بل وبلا معرفة للقراءة والكتابة.

بل وقد تشترط لذلك الجهل بالقراءة والكتابة، أنها تشترط حتماً معنى الجهل بذلك!

.. إذن كيف لا يجن كل العاجزين والناقصين والمتخلفين والهيابين والجنائز والأغبياء والكسالى إيماناً بها أي بالنبوة العربية وإعلاناً للإيمان بها؟ إنه لو ظهر الإله من مخبأ غيبته الأبدية بكل وجهه وذاته التي لم ترها ولن تراها أية عين لينهى هؤلاء المتخلفين بهذه الأوصاف عن الإيمان بالنبوة العربية وليوعدهم بكل العذاب والفواجع إن لم يرفضوها أو يخرجوا منها إن كانوا قد دخلوها لكان المفروض أن يعصروه إن كانوا قد عرفوا وأمنوا أنه هو، أو أن ينكروا أن من يرون ويواجهون ويسمعون هو الإله

لكي يظلوا مؤمنين بها.. بالنسبة العربية التي تهبهم كل هذا بلا أية جدارة أو عمل أي بالأساليب والتفسير التي بها وهبت آبار النفط العربية نفسها لمن وهبتهم إياها، إن واهب النفط العربي كما وهبه قد تحول إلى أقسى وإهانة وتحقير لكل تفسير الواهين والموهوبين والهبات.

.. وقد يكون مجيء النفط العربي كما جاء إلى من جاء بالسخاء الذي به جاء إحدى الشهادات العالمية الكونية الطبيعية على عبقريّة النبوة العربية وعلى صدقها وعلى ضخامة عطائها، وعلى تكذيبها وإذلالها لكل من لا يؤمنون بها، وعلى تفوقها عليهم أي على من لا يؤمنون بها، وعلى أنها تهب المؤمنين بها العاجزين المتخلفين الأميين الصحراويين الناقسين الكسالى جداً.. تهبهم وتظل تهبهم إلى أن يصبحوا يقاسون من التواضع حين يأذنون أو لو أذنوا بأن يسجد لعباةاتهم وعقالاتهم وكوفياتهم وعصاماتهم وخيامهم وبدائاتهم ووقاحتهم من سجدت كل شمس ونجوم وأقمار وآلهة هذا الكون وكل كون لأقداسهم وصواريخهم وسفنهم وحساباتهم ونظرياتهم وقراءاتهم وتفسيرهم وأوامرهم وأجهزتهم وعقولهم الإنسانية والعلمية.

أليس مجيء النفط العربي كما جاء هزيمة وتكذيباً ونقضاً وإذلالاً بل وإهانة لكل الحسابات والنظريات والشهادات والكرامات والعبقریات العلمية والحضارية والأخلاقية والإنسانية بل والكونية بل ولكل منطق وأخلاق وكبرياء وشرف الآلهة أعني الآلهة التي لم تنجى منها أو بها أو عنها أو حتى تنصورها النبوة العربية؟

إن على من قالوا وزعموا أن القرآن هو أعظم معجزات النبي العربي محمد أو هو كل معجزاته.. إن عليهم أن يتراجعوا ليقولوا ويعتقدوا أن أعظم وأقوى وأنبى وأفضل معجزاته بل وأنفع معجزاته أو كل معجزاته هو النفط العربي..

إن النبي العربي لو بارز أو نافس أو بارى معجزات كل الأنبياء بمعجزاته وكان قد اختار النفط العربي ليكون أقوى معجزاته أو كل معجزاته لما وقف أمام محمد أي نبي لبارز أو ينافس أو يباري بل لما جرّ أي نبي أن يتحدث عن نبوته أو معجزاته أمام معجزة محمد هذه.

إن كل عيون وعقول وعلوم وأخلاق وقلوب وضائر وحسابات وتقديرات كل العالم.. المؤمن والكافر.. الفاجر والصالح.. القوي والضعيف.. المتقدم والمتخلف لم تر القرآن بأي قدر مما رأته ووجدته وعرفت وهابت وخافت وحسيت وحاسبت وقرأت وفسرت به النفط العربي.. حتى المسلم العربي وغير العربي لم يستطع ولن يستطيع أن يرى أو يقرأ أو يجد أو يعيش أو يحترم أو بمجد قرآنه بشيء مما فعله لنفطه وبنفطه ومتعاملاً مع نفطه وبنفطه.. ولم يفعل ولن يفعل به قرآنه أو إسلامه أو نبيه أو حتى إلهه أو يفعل له شيئاً مما فعل به وله نفطه.

.. ماذا لو خير الإنسان العربي بين أن يفقد قرآنه أو دينه أو نبيه أو كل ذلك بأن يفقده ضياعاً أو موتاً أو نسياناً أو ارتداداً أو أن يفقد نفطه أي بعد أن جاء أو قبل أن يجيء بل بين أن يفقد إلهه أو يفقد نفطه؟ أليست إهانة لنفطه أن يوضع في مباراة مع قرآنه أو دينه أو نبيه أو إلهه؟

وماذا لو خيّر بين أن ينادي على أمته العربية يوم القيامة.. يوم البعث وبيا أمة القرآن.. يا أمة الإسلام.. يا أمة محمد أو أن ينادي عليها بيا أمة النبط.. يا أمة الآبار النفطية؟

هل يمكن أن يصعب أو يخفى حينئذ ما الذي لا بدّ أن يختاره الإنسان العربي في الموقفين أو الاختيارين؟ ولن يمنعه استحياء أو هيبة أو تأدب أن يختار ما لا بدّ أن يختار إذا كان الإله هو الذي سوف يكون المنادي وفارض الاختيار..!

.. ثم ماذا لو خيّر النبي محمد بين أن يكون هو وقرآنه ونبوته لأمته أو أن يكون لها نبطها وكان التخيير والاختيار محتومين وملزمين؟ ولا بدّ من الافتراض هنا بأن محمداً مبرأ من كل تفاسير وحوافز الأنانية.. أي من افتراضه أسمى وأتقى نفسياً وأخلاقياً من الزعامات العربية، وهل يمكن هذا الافتراض؟ ولكن هنا رأي يصعب رفضه..

يقول هذا الرأي إن النبط العربي لم يجرء إلا تكريماً وتعظيماً وتصديقاً وإرضاء وانتصاراً ونصراً لمحمد ونبوته وإعلاناً عالمياً كونياً عنهما وتضخيماً وحماية وتجميلاً وإعزازاً لأمتهم.. للمؤمنين بهما.. فلولاً لمجيء محمد ونبوته لما جاء هذا الخالق الأعظم أي النبط.. أي تفسير لمجيء النبط العربي كما جاء إن لم يكن هذا هو التفسير؟

.. هل يستطيع أي مؤمن أو يقبل من أي مؤمن أن يرفض هذا الرأي أو حتى يشك في صدقه؟ أليس إبعاد هذا الرأي عن تفسير هذه القضية يعني حتماً تفسير الإله أردأ وأفجع التفاسير؟ أليس من التبل والتفوي أن يفسر أي الإله بالتفسير الرديء الفاجع بدل تفسيره بالتفسير الأردأ والأفجع؟ وهل يمكن أن يوجد تفسير آخر للإله غير تفسيره بهذا أو بهذا؟

.. إن يدي الإله وعقله وقلبه وضميره ورؤاه وأشواقه وإرادته وأخلاقه وكل صيغه وتفاسيره تعمل وتعمل.. تعطلي وتمنع بالارتجاف والارتعاش والاهتزاز لا بالتدبير أو التفكير أو التخطيط أو الحساب أي إن لم يفسر هذا التفسير في هذه القضية!

لهذا جاء النبط العربي كما جاء بإحدى اهتزازاته أو ارتجافاته أو ارتعاشاته هذه أو هذه أو هذه.

ولكن ألا يقال أي التفسيرين للإله أردأ وأفجع ثم يبقى السؤال بلا جواب؟

.. كم هو صعب وفاجع تفسير الإله في أي موقف من مواقفه!

عاجز وبائس ومخرج جداً كل من حاول أو أراد أو نمنى أن يفسر الإله تفسيراً معقولاً أو مقبولاً أو حتى مغفوراً ولا سيما في حوافزه وأشواقه النفطية العربية!

.. ماذا يمكن أن يكون جواب الإله أو الجواب عنه ودفاعاً عنه لو جاء هذا السؤال: أيها الإله كيف وهبت العرب كل هذا النبط الذي لا يعرفون عنه شيئاً إن كنت عدواً لهم أو غير صديق ومعظم ومباي بهم ولهم؟ أما إذا كنت صديقاً ومحباً وموقراً ومريداً ولياً لهم مشغولاً مسحوراً مهوراً مقهوراً بهم كما يقال ويقول خاتم أنبيائك فلماذا إذن لم تهبهم شيئاً من مزايا وقدرات وعجريات

وانتصارات أعدائك وأعدائهم الذين لولاهم لما أمكن أن تحول هبتك النفطية العربية إلى هبة.. والذين لا يدّ أن يصنعوا هذا التساؤل هل أنت الواهب للعرب أم هم الواهبون؟

.. إنك يا إلهي في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى لست فقط محيراً ومعجزاً لكل منطق وعقل وتفكير وحساب وتوقع جميل ذكي، بل إنك مهين محقر صادم قاجع صاب معير لكل ذلك. ١
ما أقسى المحاسبات والمحاكمات لك يا إلهي لو وجد من يضعونك في أغلال وقيد وأقفاص المحاسبات والمحاكمات التي تستحقها؟

ما أعجز وأتسى ورطات وهزائم أصدقاتك وأوليائك الذين يريدون أن يفهموك ويدافعوا عنك يا إلهي! وهل وجد أحد من هؤلاء؟

.. إنك يا إلهي لو وضعت في القيود والأغلال والأقفاص التي تستحقها على أخطائك وخطاياك لما بقي في هذا العالم أو الكون قيد أو غل أو قفس واحد ليوضع فيه أو يقيد أو يغل به أي مذنب أو مجرم قد وجد أو قد يوجد أو تخيل وتوقع ولن يوجد...

بل التي تستحقها على بعض أخطائك وخطاياك يا إلهي وليس عليها كلها، فكيف عليها كلها؟
.. إن كل الكون لو تحول إلى حرائق ونيران لكي تخلد وحدك يا إلهي في عذاب كل ذلك لما كفى جزاء وعقاباً وحساباً لك على إحدى جرائمك فكيف عليها كلها؟
أليس مدير ومخطط وفاعل كل شيء هو المحاسب على كل شيء؟ كيف خفي ذلك على أحد؟

.. هل تكفي كل العقوبات المعروفة بل وغير المعروفة عقاباً عادلاً أو معقولاً لمن أراد وأحب ودبر وخطط وصاغ وفعل كل شيء، كل شيء؟ نعم، كل شيء.. هل وجد هذا المريد المحب المدير المخطط الصانع الفاعل؟.. حتى التحول والذبول والشحوب في أوراق وزهور وألوان وأغصان البساتين والحقول..

حتى الخسوف والكسوف في طلعات وإشراقات ووجوه الشمس والأقمار.. حتى الدموع والأنات والآهات والأحزان والتشوهات والجراح في عيون ووجوه وقلوب وضمائر ومضاجع وثياب وخطوات وقبور الشيوخ والأطفال والمصابير والحمائم بل والذئاب والأسود وكل الوحوش، كل هذا أراده وعشقه ودبره وفعله مريد ومدير وفاعل كل شيء دون أن يصاب بأي قدر من الاستحياء أو الرهبة أو الرحمة أو الحكمة أو الشهامة أو التقوى أو المحاسبة للنفس أي يستمر يريد ويدبر ويعشق ويفعل كل هذه الآثام والقبايح بكل مشاعر النشوة والمباهاة. ١



.. الحياة بكل صيغها ومستوياتها وأطوارها أقوى وأكبر من الكائن الحي ومن الإنسان مهما كان قوياً وكبيراً، بل بقدر ما يكون قوياً وكبيراً تصبح الحياة أقوى وأكبر منه، إنها حقيقة أو مشكلة لا شفاء ولا نجاة منها. ١

إن كل العبريات والإنجازات لا تستطيع أن تعالج أو تنقذ أو تخفف منها.
.. إن الكائن أو الإنسان يصنع لنفسه خصماً قوياً كبيراً أو يصنع خصمه قوياً كبيراً كلما صنع حياته قوة كبيرة أو بقدر ما يصنعها كذلك!

لهذا فإنه لا أحد يصنع لنفسه أقوى الخصوم وأقوى المتاعب وأدومها مثل الإله.
.. لهذا فإن تعاطف الحياة لا يصنع راحة لمن يحياها بل يصنع له المزيد من المتاعب والهموم والورطات والمزيد من المخاطر والاحتياجات والتكاليف التي تعني المزيد من المتاعب المختلفة التناسير والصعق، بل ومن الهوان والقيح والأحزان والمخاوف!

لهذا أيضاً فإن الكائن أو الحي لا يسعد أو يرنج أو يأمن أو يطمئن أو حتى يرضى إذا أصبح كبيراً أو بقدر ما يكون كبيراً بل يصاب بالنقيض ويقاسي من النقيض، وهل عرف المقاسي لذلك ذلك؟ ولو عرف فهل يمكن أن يتغير أي شيء أي في هذه القضية؟

.. إن الكائن أو الإنسان حينما يطور حياته ويصعد بها إلى كل الاتجاهات لا يفعل لأنه قد عرف أنه بذلك يصنع لنفسه سعادة أو راحة أو اطمئناناً أو أماناً أكثر أو أقوى أو أدوم، ولكن يفعله لأنه لا يستطيع الصمت عن أن يفعل أو ملأً وهرأً بلا وعي أو رغبة في المفارقة لمكانه وكيونته وفي الانتقال والتخير بلا مقارنات أو حسابات مدروسة معروفة. إن كيئونة أي كائن وكل كائن لا تـجيء بالحساب أو بالمعرفة الشاملة بل تـجيء وتكون بالقدرة وبالاندفاع الذاتي الآلي!

.. إن الحياة ليست عطاء أو تفضلاً أو إحساناً ولكنها توريط وإرهاب واستعباد وعدوان والزام وتكليف وإيذاء وفضح وانفضاح مهما كبرت وعظمت بل هي كذلك بقدر ما تكبر وتعظم!
إنها أبداً تحكم على من يعطاها لا حكم له!

إنه لو وجد من صنع الحياة بادئاً مريداً مخططاً مختاراً لمجزت كل التفسير عن تفسير حماقته أو جهالته أو عدوانيته أو عبثه أو قبحه أو سخفه، ولما كفت كل العفوبات عقاباً له على ما فعل، إن صانع الحياة هو فاعل كل الآلام والآثام!

.. أنت إله. إذن أنت أصغر وأضعف من حياتك ووجودك ومواجهاتك وتبعاتك، إذن أنت عاجز عن أن تكون إلهاً بكل تفسير الإله وعن أن تؤذي كل وظائف الألوهية بالقدرة والكفاءة المطلوبة والمزعومة!

.. أنت نبي. أنت حاكم أو قائد أو زعيم كبير. إذن أنت حتماً أصغر وأضعف من مكانك والتزامك ومن عرشك ووظيفتك، أنت إذن خاسر، خاسر لأن عذابك أكبر من سعادتك ولأن مواجهتك أكبر من قدرتك! أنت إذن مفتضح!

.. أنت مجتمع متقدم متحضر مبدع قوي جداً. إذن المشاكل والأخطار والمخاوف والاهتمامات والهموم التي تواجهها وتفرضها على نفسك وتلتزم بها أكبر وأقوى منك جداً، إن أفاقها وتحليقاتها وسمواتها أبعد وأعلى وأقوى من كل أجنحتك، إن سمواتك تصعد بقدر ما تحلق وإن

ظلمأك ليستد يقدر ما تغجر الأنهار والعيون والسحاب.. إذن حذار، حذار أن تكون كبيراً قوياً لأنك حينئذ ستكون حتماً صغيراً وضعيفاً أمام مواجهاتك ومسؤولياتك ومحاولاتك وتمنياتك.. أمام كينونتك الكبيرة القوية المبدعة المتجددة! من وضع هذا القانون أو المنطق الذي يعني أنك بقدر ما تقوى وتكبر وتسد وتنتصر وتخلق تضعف وتضيق وتضيق وتضيق وتنتصر وتنتصر وتنتصر وتنتصر؟

.. ما أقل الذين قرؤوا هذا الإنذار أو الإعلان المكتوب المطبوع بل المحفور بكل الحروف واللغات والأشكال والأساليب والتفسير على كل العيون والوجوه والقلوب والضمائر وفوق كل شيء وفي أحشاء كل شيء المعلن الصارخ بكل الأصوات واللهجات والآهات والأنات القائل: إن الحياة هي كل أجهزة وأساليب التعذيب بكل لغاته وتفسيره.. وإنه لا حياة بلا ألم ولا ألم بلا حياة، هل عرف ذلك أحد من الأحياء؟.. وإنه لا حياة بلا عذاب وعار وقضائح وهزائم وقباحات ووفاحات وتشوهات وهوان، هوان..

.. وإنه لا شيء من ذلك بلا حياة.. هل عرف ذلك أو شيئاً منه صانع هذا الكون أي إن كان له صانع؟

- نعم، ما أقل الذين قرؤوا والذين قد يقرؤون هذا القرار الذي قالته وعرفته وصاغته والتزمته ونفذته الطبيعة وكل شيء دون أن تعرفه أو حتى تتصوره الآلهة أو الأنبياء أو الألوهيات أو النبوات..
.. هذا القرار القائل: إن هذه الآفات وكل الآفات والألمة والرديئة.. المهينة والفاضحة.. البذيئة والمعنة...

عاشقة للضخامة والقوة والامتاع.. عاشقة لها جداً.. أليس الكذب والنفاق والانتصاح والخوف والهزائم عاشقة لكرسي السلطان أكثر من عشقتها لسرير خادمه؟
.. لهذا فإن حظوظ الآلهة أو الإله منها أعظم وأضخم من حظوظ أي كائن وكل كائن آخر.. لقد امتلأ الكون كله بحظوظ الآلهة من هذه الآفات!

.. وحظوظ الإنسان منها أعظم وأضخم من حظوظ الحيوانات، وحظوظ الحيوانات منها أعظم وأضخم من حظوظ الحشرات، وحظوظ الحيوان الأعظم والأضخم والأقوى والأكبر أعظم وأضخم من حظوظ الأصغر والأضال والأضعف والأثف!

كما أن حظوظ الإنسان الأكبر والأقوى والأعظم والأعلم أفسى وأعظم وأضخم وأشرس وأوسع من حظوظ الأصغر والأضعف والأجهل والأندل أي من هذه الآفات..!

نعم، هل صنع أمجاد العار والفضائح والندالات والهزائم والآثار الكبار أم الصغار؟ هل تستطيع كل الذنوب والقبائح أن تساوي واحدة من ذنوب وقبائح الكائن الأعظم صانع هذا الكون؟

.. إذن أليس محتوماً أن تقول كل التفسير إن جميع الأحياء لا بد أن يحارسوا بل ويتكروا كل أساليب الفرار من الحياة بل والقتل والتدمير والمقاب لها والانتقام منها بدرابة وتدبير مقصود أو بلا دراية ولا تدبير، ولكن لا بد من الاختلاف بل والتفاوت في هذه الأساليب؟ إن أساليب الأقرباء والمتفوقين حضارة ومعرفه ومواهب وطاقات ورؤى لا بد أن تكون غير أساليب الضعفاء والجهلاء

والمختلفين مواهب وطاقت ورؤى وحضارة أي في قضية مقاومة الحياة والاحتجاج عليها ورؤية وقراءة أأنامها والانفجاء بها ومعايتها..!

إن أتبع ما في الحياة أنه لا استطاع إصلاحها أو تصحيحها أو تهذيبها أو عقابها إلا بقتلها..!
.. ثم أليس محتملاً كذلك أن تقول كل التفاسير إن الأقوياء والمتفوقين والمتحضرين والأذكياء والذين هم أكثر وأقوى وأصدق شرفاً ونبلًا وإباء ورؤية وتقوى وصفاء وعلمًا وأخلاقًا.

- أن تقول كل التفاسير: إن هؤلاء لا بد أن يكونوا أقوى وأعنف وأشجع وأذكى رؤية لآثام وآلام وانفضاح وفضائح وهزائم وفطائع الحياة.. لهذا لا بد أن يكونوا أكثر وأقوى وأدوم إحساساً وعذاباً وتعذيباً ونفجماً بها ومنها وتفكيراً فيها واحتياجاً إلى رفضها وتقييمها واستقبالها ومقاومتها والهروب منها أعني الحياة القوية المتفوقة أي كلما كانت قوية متفوقة في صيغها وتفسيرها وتكالبها والزاماتها وفي عطائها وأخذها ومطالبها واشتراطاتها أو بقدر ما تكون كذلك؟

أه. إن الحياة بقدر ما تقوى وتعظم تؤلم، تؤلم..!

.. أليس محتملاً أن يتصاعد الإنسان بل وكل كائن في انفجاءه وغضبه وغيبته وحزنه واستنكاره ورفضه بقدر ما يتصاعد في رؤيته ومعرفته وكرامته وكبريائه وقوته وشجاعته وفي عقله وقلبه وجهه وضميره وتقواه؟

.. أليس الإنسان ومن في مستواه يتعذب بمعانيه هذه ويقاسي منها وتحاسبه وتعاقبه أكثر من أي كائن دونه كينونة ومستوى؟ أليس الإله الأكبر يتعذب برؤاه وتفكيره وضميره وأخلاقه ومحاسباته ومحاكماته لنفسه ولما يجد ويرى أعنف مما يتعذب الإله الأصغر؟

.. أليس الأقوياء والمتفوقون والمتحضرين يرفضون أن يتناسلوا أي يرفضون أن يوجدوا بالكثرة والوفرة التي يوجد ويتقبل بل ويريد أن يوجد بها الضعفاء المتخلفون الجهلاء؟

.. أليس هذا أي رفض التناسل بالكثرة والغزارة الحيوانية أسلوباً إعلانياً من أساليب رفض الحياة القوية المتفوقة المتقدمة ومن أساليب الفرار منها بل والمقاومة لها لضخامة وعمق معرفتهم بها.. بأنامها وآلامها وفضائحتها وقبائحها وظوائفها وتكالبها والتزاماتها العائشة الأليمة البليدة المذلة المهينة التي لا يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن يحمي أو يشفي منها إلا بالرفض المطلق لها.. إلا بالفراق؟

.. أليست الحياة تهاب الحياة وتخشاها وتدرك وترفض عيوبها بقدر ما تعظم وتقوى؟

.. ألا تقول بعض الاستنتاجات أو كل الاستنتاجات البعيدة الذكية بل والغبية: إن الإنسان في مستقبله المجهول الموحش المتوحش لن يكتفي برفضه الكثرة في وجوده ولوجوده بل سوف يرفض كل وجوده؟

ولا بد أن يقول الاستنتاج هنا: لأنه لا حدود ولا قيود ولا ضوابط لتعاظم الإنسان في حياته وفي صياغته وتعقيداته لحياته ولكاليفها واحتياجاتها.. وهو أي الإنسان كلما نسر كلما عظم، عظمت رؤيته وانفجاءه واستنكاره واشتراطه ورفضه أو هذا هو المفروض والمنتظر والمطلوب.. وهي أي الحياة

كلما عظمت توحشت واقتضحت وقبحت وتعرت وتوقحت وتكبرت قسوتها وشروطها وضغوطها وإملاءاتها ومطالبها، وألقت بكل حجبتها وأزيائها وأساطيرها التي تهبها ألواناً من الرهبة والإرهاب والسحر والغموض والجمال الذي لا يوجد أو يرى إلا في الظلام، إلا في الظلام انمطىء للعيون والشموع والشموس..!

وحينئذ لا بد أن يتعاطم استحقاقها للرفض والمقاومة بل والاستقباح والترفيع عن التقبل والاستسلام لكل الهوان والاستعباد والافتضاح والانزлам والقبح بتقيلها..!

ألا يعني هذا وهذا وهذا أن الإنسان في مستقبله الموحش العايب لا بد أن يرفض كل الحياة لا كثرتها فقط؟ لقد بدأ يرفض كثرتها، ولنفس الأسباب يرفض أيضاً قلتها؟

هل يوجد من يريد أو يستطيع أن يحيا حتى يحدث هذا لبراه مسروراً معجباً راضياً أو مدعوراً حزياً من أجل الإله الذي لا بد أن يحزن ويتعذب ويشقى لأنه حينئذ سوف يفقد استمتاعه البهيج الراقص برؤيته للإنسان هذا يمارس ويعرض عليه وفي عينيه وأذنيه كل آلامه وآثامه ومخازيه وعاره وقضاياه وهمومه ومسراته الحمقاء التافهة البليدة العابثة.. وأيضاً يفقد رضاء عن مجده بفقد رؤيته له أي لمعشوقه الإنسان يتوضأ ويصلي له بلا أية صلاة أو وضوء بروحه أو قلبه أو حبه أو صدقه أو عقله أو ضميره أو أخلاقه أو حتى بعينه أو بلسانه..

هل يصلي أو يتوضأ الإنسان بأي معنى من معانيه مهما صلى في كل المعابد وتوضأ بكل البحار والأنهار؟

.. وقد تكون الأسلحة الرهيبة وكل وسائل وأساليب الحياة الصعبة المتعبة المزعجة الغالية التكاليف المحطمة التي يتكبرها الأقوياء المتفوقون المتحضرين ويحولونها إلى التزامات وممارسات محتومة.

- قد تكون بعض أساليبهم لرفض الحياة ومقاومتها بل ومقاتلتها وللقرار منها أو للاحتجاج والغضب عليها أو للتعبير عن الذعر منها والضيق بها والنقد واللعن والتهديد لها وللإعلان عن قبحها وفحشها وعدوانيتها! قد تكون الحروب والمملذات والمسرات المؤذية حرباً ضد الحياة رفضاً للحياة جاءت تحت شعار الدفاع عن الحياة!

.. قد يكون ذلك كذلك وإن كانت النيات والتفاسير متخفية مستترة حتى لتصعب رؤيتها وقراءتها وتصورها أو الاقتناع بها لو ذكرت! أما الأساليب الأخرى المضادة لذلك والشافية والمحاولة للشقاء منه فقد تكون أقوى إعلان عن نقائص الحياة وذنوبها وآثامها وعدوانياتها وذلك بالتداوي منها ومما فعلت وتفعل!

إنهم يقاسون ويناضلون كل المقاساة والنضال لكي يتداوا ويداوا ويشفوا ويشفوا مما فعلت الحياة، إذن كم هم خصوم لها؟ أليست كل المهدئات والمسكنات والمخدرات والمسكرات والأدوية أسلحة جيدة أو رديئة يطلقونها على الحياة؟

.. إن مقاومة الشيء أو الفعل أو الحدث والفرار والتداوي منه هو مقاومة لفاعله وفرار وتداوي منه واتهام له بل وإعلان حرب عليه. فالرفض لما تفعله أو توقعه الحياة هو معنى من معاني الرفض لها.. الذين يشقون لكي يتقنوا مما فعله فاعل بهم هل يمكن أن يكونوا أصدقاء لهذا الفاعل؟

.. وقد تكون الأمراض والضعف والشيخوخة والموت التي تصيب كل الأحياء أي كل أجسادهم أي تصيب بها أجساد الأحياء حياتهم قد تكون أسلحة يقاتل ويقاوم ويفني ويعذب ويخيف بها الأحياء الحياة بكل صيغها ومستوياتها معبرين بذلك عن رفضهم واستقباحهم لها واحتجاجهم عليها وفرارهم منها وتوريطهم وإذلالهم وهوانهم واستعبادهم وانتزاعهم وفضحهم بها، قد يكون استقباحهم للحياة ورغبتهم في الفرار منها قد أمليا على أجسادهم ذلك أو أن أجسادهم هي الفاعلة بنفسها ذلك فراراً واستقباحاً!

.. قد يكون ذلك تديراً محيراً في غموضه بقرضه الكائن الحي على جسده أو يفرضه الجسد على الحي إرادة للخلاص من ورطة الحياة بعد التجربة الفادحة لها.. لأنماها وآلامها وقبائحها وفضائحتها ولفرغها من كل منطق وهذف ومن كل معنى معروف أو غير معروف جيد أو رديء! هل يمكن أن يوجد أي تفسير غير هذا التفسير ليكون هو كل الجواب عن هذا السؤال الذي يقول: إذن لماذا حكم بذلك أي بالمرض والضعف والشيخوخة والموت على كل كائن حي؟ لماذا خص الكائن الحي وحده بذلك أي بالأساليب الواقعة؟ لماذا لا تمرض ولا تضعف ولا تشيخ ولا تموت الكائنات غير الحية بالسرعة والأساليب والمقاساة التي تصاب بها كل الكائنات الحية؟ لماذا لا تصاب بذلك بهذه الأساليب والسرعة والمقاساة الأخشاب أو الأحجار أو المعادن أو التراب أو الشمس أو النجوم؟

ماذا لو كانت الشمس والنجوم والجبال والبحار والأنهار كائنات حية؟ أليس محتوماً حينئذٍ ألا تبقى.. أن تكون قد مرضت وضعفت وشاخت وماتت؟

إذن هل هنا مكر كوني قد أراد ودبر ألا تكون الكائنات الكبرى كائنات حية لأنها لو كانت كذلك لكان محتوماً أن تضعف وتمرض وتشيخ وتموت وهو أي هذا المكر أو الماكر الكوني يرفض أن يموت كل شيء؟

.. أليس التفسير بل كل التفسير لذلك أن الكائنات الحية تمرض وتضعف وتشيخ وتموت فراراً أو تخلصاً من الحياة ولأ فلماذا تصاب هي وحدها بذلك دون الكائنات غير الحية؟

.. لهذا فإن أقسى وأردأ متهم هو من يتهم الإله بأنه كائن حي حياة أبدية أزلية وبأنه لا يمرض ولا يضعف ولا يشيخ ولا يموت فراراً وتخلصاً من الحياة كما تصنع كل الكائنات الحية الأخرى.. كما يصنع أعظمها وأقواها وكما يصنع أصغرها وأضعفها وأذلها وأذلها!

كل الكائنات الحية تفعل ذلك خضوعاً لإملاء الكرامة والتقوى الأخلاقية والنفسية!

.. إنه حينئذٍ أي هذا المتهم للإله بالحياة الأبدية الأزلية بلا مرض أو ضعف أو شيخوخة أو موت رفضاً واستقباحاً لحياته.. للحياة يهبط به تحت كل مستويات كل الكائنات الحية.. تحت كل مستوياتها في الرؤية والغضب والاستنكار والاحتجاج والانفجاع والرفض والبسالة والشهامة والكرامة

والإباء والاستحياء.. أليست هذه مزايا يجب ويحمد ويحجل أن يمتثل بها كل كائن حتى الإله وأن
فاقدما هابط ذميم رديء مهين؟

.. حتى جسده أي جسد الإله لا يصاب ولا يصيب نفسه بشيء من ذلك لكي يفارق الحياة..
لكي يفارق ما لا يستطيع أو يقبل أو يعقل أو يغفر قبوله أو وجوده أو مراجعته أو معاشته أو قراءته أو
رؤيته أو تصوره أو تذكره فكيف الاستمتاع والفرح والرضا والمباهاة به؟ حتى جسد الإله بلا كرامة أو
شرف أو كبرياء أو إحساس أو احتجاج.. بلا أي ارتجاف أو اعتزاز من الاستحياء أو الغضب أو
التغلي والفرق بكل ألوان العار.

.. جسد الصرصار والذباب يصاب بما يقتله ليهرب وينجو من هذا القبح الشامل الدائم،
وجسد الإله لا يصاب بذلك ليهرب هذا الهرب وينجو هذه النجاة؟
هل حدث هذا؟ هل صدقه أي مصدق؟

أيها العقلاء والشرفاء والأثقياء والحكماء فتشوا عن أعداء الإله الدوليين والكونيين، فتشوا عنهم
فقد تعرفون أنهم هم الذين أرادوا وديروا وصاغوا هذا العار للإله وروجوه وأشاعوه ونبتوه، وأسباب ذلك
قد يستطيع فهمها وقد يقال إنه لن يستطيع فهمها وكيف يستطيع؟

أما مفكرو العرب وحكماؤهم وفلاسفتهم وعباقرتهم وأنبيأؤهم وكل موظفيهم في أجهزة الكلمة
والتعبير فقد يرون ويقولون بل ويجب أن يروا ويقولوا: إن أعداء العرب هم الذين أذاعوا وأشاعوا
وروجوا عن الإله ذلك كيداً وبغضاً للعرب وتآمراً وعدواناً عليهم لأن الإله عربي، ولن يكون أو
يقبل أن يكون إلا عربياً ولن يشاركهم فيه أي مشارك.. لن يستطيع أي قوم هذه المشاركة فيه ولن
يقبلها إلا هو ولا قومه وملاكه العرب..!

إن أعداء العرب هم الذين شوهوا الإله هذا التشويه لكي يصبح تشويبه وتشويهه تشويهاً وتشوهاً
للعرب وفي العرب لأن الإله أي هذا الإله عربي بلا مشاركة. فالعرب يرفضون أن يكون لهم شركاء فيه
وغير العرب يرفضون لأنفسهم هذه المشاركة..!

.. ولكن ما الصواب هنا أعني في هذه القضية؟

هذا السؤال، سؤال: ما الصواب سؤال إنساني تاريخي.. حضاري وبدوي.. تقديمي ورجعي..
عاطفي وعقلي.. ديني والحادي.. علمي وجاهلي جهلي..!

هذا السؤال يسأله من لا يستطيعون النطق بحروفه أو يعتقدون أنهم يسألونه..!

.. إنه سؤال لا بد أن يسأله ويعلم التعامل به والاحترام والالتزام به كل أحد.. كل أصدقاء
الصواب وأيضاً كل أعدائه.. إنه سؤال تعبد وليس سؤال التزام أو معرفة أو إرادة معرفة..!

.. ما الصواب.. إن جميع أجوبة هذا السؤال لا تكون أو لن تكون صادقة أو صحيحة أو
منطقية أو شجاعة إلا بأن تقول: لا صواب.. لا صواب، وأبداً لا صواب، لا صواب..!

إنه أبداً لا صواب إذا كان يعني به ما يعنيه المتحدثون عنه والناطقون به..!

إن كل ما يحسب ويعلم صواباً لن يكون في كل تفسيراته وتأويلاته إلا استحابة أو تلاؤماً أو شهوة أو ظروفاً أو منطقاً أو حاجة لما هو خروج على الصواب وإهانة وتحقير وتكذيب له أو لما لن يكون صواباً ولا خطأ إلا لغة أو دعاية أو انخداعاً أو تلقيناً.

.. إنه لم يوجد ولن يوجد في هذا الكون ولا في أي كون أي صواب إلا بتفسير خاص.. برؤية خاصة.. بمصلحة أي منفعة خاصة.. بواقع خاص، بظروف خاصة.. باعتقادات وتلقينات وتعاليم خاصة، خاصة لم تكن تبحث عن الصواب أو تريده أو تحترمه أو تلتزم به إلا بقدر ما كانت تبحث عن الخطأ أو تريده أو تحترمه أو تلتزم به، إنهما أبداً أي الخطأ والصواب إرادة وتلاؤم والى وتلقين أو مناقضة لذلك أي للإرادة والتلاؤم والالء والتلقين.

لنحكم ولنحكموا وليحكم هنا كل أحد. ولنستمع بكل الاهتمام والصدق!

هل الصواب أن يوجد من يسألون عن الصواب ويتعادون ويتقاتلون باسمه ويدمرونه تحت شعار المحافظة عليه أم الصواب ألا يوجدوا؟ هل هو أن تكون أنت ودينك ووطنك وإلهك المنتصرين على عدوك أو مخالفك وعلى دينه ووطنه وإلهه أم أن يكون العكس، أم ألا يوجد منتصر ولا منهزم، أم أن يكون الفريقان منهزمين أو يكونا منتصرين أم ألا يكونا قد وجد؟

هل هو أن تكون أنت العابد الشاكر لإلهك لأنه أوجدك أم أن يكون هو العابد الشاكر لك المعتذر القائل إليك الطالب الغفران منك لأنه قد اعتدى عليك بإيجادك بالأسلوب والصفات والظروف التي بها أوجدك لتقاسي كل ما لا بد أن تقاسي، لتنتهي كما لا بد أن تنتهي بنفس القبح والوحشية التي سوف بها تنتهي... بإيجاده لك... لكي تعيده وتمدحه وتقاسي كل الهوان والمسكنة والخوف منه وله لكي يسعد ويقرح ويتكبر ويضحك لنفسه بكل السماجة والبلاهة والوقاحة وهو يراك مقاسياً باكياً شاكياً متضرعاً متلهفاً متطلعاً منتظراً بلا سامع أو مجيب أو منقذ أو حتى معتذر..

وهو يراك غريقاً متقللاً متلطحاً في هوانك وعارك وأثامك وآلامك وهمومك ومخاوفك ومشاكلك وفضائحك؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد مدعو مرجو منتظر منه كل شيء ومزعوم كل شيء بلا أي ثمن أو عطاء أو جزاء أو جواب غير هذا الإله؟

.. هل هو أن تجيء لتموت أم ألا تجيء لتلا تموت؟

.. هل هو أن تموت لأنك جئت أم ألا تموت لأنك جئت؟

هل هو أي الصواب أن تموت ميتاً أم متحرراً أم مقتولاً..؟

أن تقتل نفسك أم أن يقتلك إلهك أم أن تقتلك جشرة أو جراثمة أو ملك الموت أم أن يقتلك عدوك أو مهازرك؟ أن تقتل قبل أن تتعذب وتهون وتفتضح وتضعف وتعجز أم أن تقاسي وتكون كل ذلك ثم تموت موتاً؟ هل هو أن تولد وتموت أم أن تولد فتشيخ وتموت؟

.. هل هو أن تكون أنت المسخر المستعبد القاتل الآكل للحيوانات والحشرات أم أن يكون

النقيض؟.. أن تكون النبي أم أن تكون التابع له.. أن تختار فردوس نبيك أم أن تختار جحيمه.. أن تكون من أتباع نبيك أم من أتباع نبي آخر؟

.. هل هو أن تجيء جائعاً أكلاً مستفرغاً لأكلك بالأسلوب الذي تعرفه وتمارسه في المكان الذي تعرفه والذي تذهب إليه متواضعاً مذعوراً ذليلاً راکعاً مقعياً مستحيباً متخفياً أم أن تجيء بريقاً نظيفاً من ذلك؟

هل هو أن تجيء صغيراً، صغيراً لتكبر، تكبر ثم لتصغر، تصغر لتذهب صغيراً ذليلاً محطماً أم أن تجيء طوراً واحداً لتبقى نفس الطور ثم لتذهب في نفس الطور؟

هل هو أي الصواب أن تموت لتدفن جثة عفنة في التراب أم أن تحترق وتذوب وتتبدد لتذهب، لتكون هباء ولها نظيفاً مضيئاً؟

.. هل هو أن يوجد الإله، وأن يوجد كما وجد، وأن يوجد واحداً أم ألا يوجد أو أن يوجد بصيغ وصفات وأخلاق أخرى أو أن يوجد أي الإله متعدد لا واحداً؟

هل هو أن توجد الأرض والكون بكل كائنيتهما وكيثونتهما أم لا يوجد أم أن يوجد بكيثونات وكائنات أخرى؟

.. هل هو أن يوجد كل ما وجد، كما وجد أم ألا يوجد شيء مما وجد؟ هل هو أي الصواب أن أسأل هذه الأسئلة بكل هذه الحرارة والحماس والجد أم أن أصمت عن هذه الأسئلة وعن كل أسئلة أخرى تقرأ وأساساً مما يمكن أن أسمع من أجوبة عن هذه الأسئلة وعن كل أسئلة..

- أم أن أصمت عن هذه الأسئلة وعن كل أسئلة احتراماً للأسئلة؟ أليس للأسئلة وللسائلين كرامة وحقوق؟

أليست الأسئلة حيث لن توجد أجوبة تحقيراً للأسئلة وللسائلين؟

هل الصواب هو الصواب أي هو ما نراه ونزعمه ونعلم بأنه هو الصواب كل الصواب، أم الصواب هو الخطأ أي هو ما نراه ونزعمه ونعلم بأنه هو الخطأ كل الخطأ؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد من يعرفون ذلك.. من يعرفون الخطأ من الصواب.. من يعرفون أو يرون الأخلاق والعلامات والأزياء والحدود الفاصلة بين هذا وهذا؟ هل وجدت أو يمكن أن توجد عبادات أو عقالات أو جلايب تضع الحدود بين الإله الصواب والإله الخطأ؟

.. هل استطاعت جميع الألوهيات والنبوات والمقررات أن تعرف ذلك مهما حسبت وزعمت معلنة أنها عرفت ومهما زعم لها وعلم عنها أنها عرفت؟ هل يمكن أن يرجى من الإله الذي وضع النطق العربي كما وضعه في المكان الذي وضعه فيه .. أن يرجى منه معرفة الخطأ من الصواب؟

.. أليس ما يحسب ويزعم وما حسب وزعم كل الصواب يحسب ويزعم وحسب وزعم كل الخطأ؟

.. أليس ما يحسب ويزعم وما حسب وزعم كل الخطأ يحسب ويزعم وحسب وزعم كل

الصواب؟ أليس ذلك كذلك في زمانين ومكانين مختلفين بل وفي زمان واحد ومكان واحد؟
هل الصواب أن تفعل الصواب أم أن تفعل الخطأ أي أن تفعل ما يسمى ويؤزم هذا أو أن تفعل ما يسمى ويؤزم هذا؟

أي الفاعلين يصنع أخطر وأقبح النتائج أو أنبل وأفضل النتائج؟
أيهما أي الخطأ والصواب أعطى الحياة والإنسان وأشراق وأنانيات الإله أكثر أو أفضل أو أنفع أو أقوى أو أبقي مما أعطى الآخر؟

.. هل وجد لذلك حساب صحيح لا يقبل الاختلاف فيه وعليه؟ وهل يمكن أن يوجد مثل هذا الحساب؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد حساب أو تعريف أو تحديد لا يقبل الاختلاف عليه حتى الإله، هل وجد هذا الإله؟

.. أليس كل الصواب أي إن كان يوجد صواب هو ألا يوجد ما يسمى صواباً وما يسمى خطأ أي ألا يوجد من يتحدثون عن هذا أو هذا؟ هل يساوي أو يعني كل الصواب والخطأ إلا من يتحدثون عنهما ويتعاملون باسمهما؟

.. هل يستطيع جميع الآلهة والأنبياء والمباركة بل وجميع المزيّفين والدجالين والسحرة أن يضعوا تعريفاً محدداً للصواب أو للخطأ ليتفقوا عليه أو حتى ليختلفوا عليه وفيه؟ هل يستطيعون؟ لقد شقوا جميعاً طويلاً لكي يعرفوا ذلك أو ليزعموا أنهم عرفوه ويعرفونه دون أن يصلوا إلى شيء أو يفعلوا شيئاً!

.. اسمعوا. وهل تقبلون أو تستطيعون أن تسمعوا؟ اسمعوا ولكن ليس كما كنتم تسمعون. لقد كنتم تسمعون لئلا تسمعوا. اسمعوا هذا. اسمعوه.. الإله يعرف الصواب.. رائع أو محزن أو مفرح.. إذن لماذا لا يفعله؟ يعرفه ولا يفعله. إذن أليس ألا يعرفه أقل هجاء له؟

الإله يعرف ولا يفعل. ما أنقطع هذا.. الإله لا يعرف لهذا لا يفعل، أيهما أنقطع؟!

.. الإله يعرف الخطأ.. إذن كم هو فظيع، فظيع ألا يتجنبه؟

هل يمكن الدفاع عنه بأنه عاجز عن تجنبه أو متعمد أن يفعله؟

هل يوجد أو يمكن أن يوجد تفسير لهذا أو لهذا أو جواب عن هذا أو عن هذا؟ نعم، الإله يعرف الخطأ ويرفضه ومع هذا فالكون مملوء به، ويعرف الصواب ويريد به ومع هذا فكل شيء محروم منه وعاجز عنه. هل تصدقون؟

.. واحزنه وأسفاه عليك يا إلهي، إن دموعك لا تجف أسى على الصواب الذي تريده وتعرفه ثم لا تجده وانفجاعاً بالخطأ الذي تعرفه وترفضه ثم لا تجد شيئاً مثلما تجده..!

.. إنك يا إلهي لن تكون أي قدر أو أي شيء من الكمال أو الجمال أو القوة أو الذكاء أو الكرامة أو الفهم أو الرؤية أو حتى من الوجود والكينونة.. إنك لن تكون شيئاً من ذلك إلا بالصمت عنك، إلا بصمت كل المعاني وكل شيء عنك.. إلا بصمت العقل والقلب والضمير والأخلاق

والرؤى والتساؤل عنك.. إنك يا إلهي لا تساري في أي معنى من معانيك إلا الصمت عنك.. إلا صمت كل المعاني عنك..



هنا يعود السؤال الفائل: ما الصواب في هذه القضية؟

هل الحياة قاتلة أم مقتولة أم قاتلة مقتولة؟ هل هي التي تقتل الكائنات الحية لقبحها ووحشيتها وعدوانيتها ونذالتها وفراغها من كل المعاني والتفاسير الرحيمة الكريمة الصديقة، أم هي أي الكائنات الحية هي التي تقتل الحياة عقاباً لها على أخلاقها وأفعالها وقظاعاتها وهرباً منها رفضاً لها؟ .. هل الحياة قاتلة أم مقتولة أم قاتلة مقتولة؟ هل تبادلت الحياة والأحياء القتل ليكون كلاهما قاتلاً مقتولاً؟ أليس كل الأحياء وكل ما في الحياة قاتلاً مقتولاً؟

.. هل الحياة تموت منتحرة تائماً وتذلماً وتوبة واستغفاراً واستحياءً وهرباً وانزعاجاً من عدوانها على الأحياء الذين تسكنهم وتحتل أجسامهم لتوقع بها كل العذاب والهوان والاستعباد والعجز والافتضاح بلا أي استحقاق تستحقه هذه الأجسام.. لتوقع بها ما لا يستطيع أو حتى يريد كل الأعداء أن يوقعوه بها..

- نعم، هل الحياة تموت منتحرة من أجل ذلك وأيضاً تموت منتحرة رفضاً لأن تظل تقاسي كل ما تقاسي من آلام وآثام وهوان وعار وفضائح ومشاكل بلا علاج أو أمل في أي علاج؟ أليست الحياة هي كل من يجب عليه أن يتحرر وكل من يستحق ذلك؟

هل يوجد أو يمكن أن يوجد مستقبل ومتقبل لما لا يستطيع أو يقبل أو يعقل أو يغفر تقبله مثل الحياة أو غير الحياة مهما كبرت وعظمت بل مهما شرفت ونبلت وكرمت؟

هل تستطيع الحياة أن تفعل من القبائح والفضائح إلا بقدر ما تكون كبيرة عظيمة قوية؟

.. أليست الحياة العظيمة تفعل من القبح والفحش والعذاب والافتضاح والتوريط والتعذيب أعني وإن لم تعرف أو تقصد ذلك أكثر مما تفعل الحياة الرديئة القبيحة الضعيفة البليدة الجاهلة؟ لهذا أليس الإله يفعل من ذلك ما لا يستطيع كل الأنذال والشريرين بل والمجرمين أن يفعلوا شيئاً منه؟

.. أليس العبقري المبدع الذي يتكرر حيلة أو وسيلة لإحالة عمر الشيوخوخة أو لحماية الوليد من الموت المبكر المنقذ له من الخوض والغوص والسير الطويل في آثام وآلام وفضائح وقيائح الحياة، أو لعلاج الرحم التنظيف المستريح البريء.. لعلاج من البراءة والنظافة منهن ومنهم ليكون ملوثاً معذباً مشوهاً بهم وبهن ومستغرباً لهم ولهن، وأيضاً لصد وهزيمة الأروسة التي تجيء بكل الجسارة والشهامة والتقوى والرحمة والمحبة لتنتقد من التراكم والتراحم والتكاثر البليد الأليم المقيم الفقير الجاهل البعذب المنافس للمحشرات والمفسد الملوث لكل صيغ البيئة وتفاسيرها وأخلاقها ونظافتها وجمالها أي ما يزعم جمالها ونظافتها - وهل وجد حتى اليوم منقذ من هذا التراكم والتراحم والتكاثر البليد القبيح العقيم مثل الأروسة المنقذة من هذا التوالد الصانع لهذا التراحم؟

- نعم، أليس هذا العبقري المبدع العزيز القليل جداً يبدع ويصنع ويهب من التعذيب والتوريط بل ومن القبح والفضح والمشاكل والآلام والأمراض والفقر والاضيع وأيضاً من الإخراج والتعذيب والتحمدي والهزيمة لكل أخلاق الإله وقدراته ما لا يستطيع أن يفعل مثله أو شيئاً منه أغشى وأجهل وأعجز الأغبياء الجاهلين العاجزين؟ أليس هذا المبدع يصنع بوسائل ذكية وقوية المعجز والعاجزين والجهل والجاهلين ويهبهم القوة والبقاء والكثرة والانتشار؟.. أليس هذا العبقري المبدع يصنع ويرسخ يؤكد ويلمع ويضخم هذه الآفات ويهبها القدرة على التعاطف والتكاثف والانتصار أكثر مما يشفي منها مهما شفى منها.. أليس الذي يلقي بنا إلى الرءاء مسبباً مهما حصننا ضده؟

.. أليس الذي يخلقنا لتجوع ونمرض ونهون ونمارس العار والفضائح ثم نشيخ ونموت هو الصانع لنا والموقع بنا كل هذه الآفات والنذالات والضربات مهما عالجتنا وشفانا أو حاول أن يعالجنا ويشفيها منها، أو ينصحننا ويعظفنا ضدها؟

.. مهما وقانا منها وأعطانا تقيضها أحياناً؟ أليس من ولد ليقتل هو أقيح القاتلين؟

.. أليس الطبيب الذي يصنع المرض والعاهة والنشوة والأثم مجرمناً ومعتدياً ونذلاً مهما شفى أو حاول أن يشفي من ذلك؟

أليس قاطع اليد مذنباً شريراً مهما ترك اليد الأخرى أو حماها من سوء؟

.. أليس الذي يشكر السلاح قاتلاً مهما حاول أن يحمي أو ينقذ من ذلك.. مهما لحن سلاحه ودعا إلى الإلقاء به أو إلى تخزينه وإلى إغلاق كل الأبواب عليه؟

أليس العبقري المبدع صانعاً للسلاح وإن لم يصنعه يديه وعضلاته وإرادته وتخطيطه.. صانعاً لكل أنواع السلاح.. للسلاح الذي تتعامل به الحروب وللأسلحة التي تتعامل بها الحياة والتي تتقاتل بها كل الأشياء وكل سلوك الإنسان وأخلاقه وعواطفه وأفكاره دون أن تسمى سلاحاً؟ إن ما لا يسمى أو يحسب سلاحاً قد يكون في معانيه سلاحاً أكثر وأقفل من كل سلاح؟

.. أليس القتال والسلاح في غير الحروب هما أبشع السلاح والقتال لأنهما أدموم وأكثر من قتال وسلاح الحروب ولأنهما يصنعان الحروب وأسبابها وتفايرها بل لأنهما هما اللذان يصنعان كل ذلك بكل الأساليب ويجعلانه أفتك وأقسى، ولأنهما أيضاً يصنعان سلاح الحروب؟ أليس الذي يهبنا أخذاً منا كل ما وهبنا ثم معاقباً لنا على ما وهبنا لأنه وهبنا؟

.. إذن أليس العبقري المبدع صانعاً للحروب وللقتل والقتال بكل الصيغ والتفاير والنتائج وإن لم يكن شيء من ذلك بقيادته أو إرادته أو تعاليمه أو رضاه بل وإن صنع له ذلك كل الغيظ والغضب والأسى بل وإن صنع له الموت الجسدي؟

.. أليس هو كذلك مهما حاول أن يحمي أو يخفف من شرور وآلام ذلك بل مهما حمى وخفف من ذلك؟ إنه لا صانع للعذاب والمشكلات والورطات والهموم بكل أنواعها مثل العبقريات الخلافة لأنه لا صانع للحياة القوية المتفرقة مثلها.

.. أليس الصانع المبدع الذي يخططنا ويريدنا ويصنعنا ويصوغنا محتاجين وجائعين ومدفوعين مقودين إلى العار والهوان والآلام والهزائم والفضائح والقبايح والآثام والأحزان والمخاوف والأمراض والنشوة والعجز والموت وإلى كل ما نحن مسوقون ومدفوعون وصائرون إليه.

- نعم، أليس هذا المبدع الصانع أتما ظالماً معتدياً مسيئاً فاسقاً عاصياً وليماً نذلاً شريراً سفيهاً يستحق كل العذاب والعقاب والإنكار والاشتمزاز - يستحق كل ذلك حتى ولو حول كل شيء.. كل الوحوش والحشرات والجراثيم وكل الكائنات إلى أنبياء ودعاة وكتب مقدسة وإلى قديسين وملائكة ليصافحونا ويعانقونا ويعظونا وينصحونا ويعلمونا ويشرحونا وأيضاً ليشتنونا ويهددونا ويتهموننا ويخيفوننا.

- حتى ولو حول كل الشموس والنجوم والمجرات إلى بيوت وسرج وعروش وسرر وتيجان لنا وحظائر لخبرتنا وأنعامنا وأغنامنا.

- حتى ولو حول كل عبقرياته وعضلاته وعفريات وعضلات جميع أعوانه وخبراته إلى مهندسين وبنائين ليخططوا ويشيدوا لنا جحيمه وفردوسه بكل ما فيهما ومن فيهما من غلمان وجوارٍ وزبانية وملائكة غلاظ شداد.. - حتى ولو هان كل الهوان لنا حتى لم يكن أو يبق له هم أو اهتمام أو أمل أو مجد أو تفكير أو عمل غير أن يتضرع إلينا لتكون أصدقاء وأولياء ومحبين شاكرين له؟



قاسية وبليدة جداً بلا أية رحمة أو ذكاء أو منطق أو جمال، أعني التفسير الصادقة الصحيحة الشجاعة المعيرة المحدقة أي لو وجدت هذه التفسير ووجد المقشرون القاهمون المستجيبون لها المؤمنون المتأثرون بها، أعني كل التفسير لكل الأشياء!

هل اشترط الموجودون لهذا الوجود إن كان له موجودون ألا توجد هذه التفسير؟

.. ما أقسى وأفجع هذه التفسير.. ما أقسى وأفجع أي تفسير وكل تفسير لكل شيء ولأي شيء أعني التفسير الصادق الصحيح الشجاع!

لهذا لم يوجد ولن يوجد من يفتر أي شيء أو أي أحد بهذه التفسير، ولا من يقبل أو يأذن أو يرضى أو يغفر بأن توجد أو بأن يوجد منها أي شيء أو بأن يوجد من يفشرون أو من يريدون أو يطالبون أن يفسر بها أي شيء أو أي أحد، هل وجد في هذا الكون أو في أي كون أغلى أو أقل أو أنجع أو أشجع من التفسير الصادقة الصحيحة لأي شيء؟

.. إن هذه التفسير أي لو وجدت هي كل الزندقة والخيانة والفساد والعصيان والتمرد بل والعدوان في حساب واعتقاد وتعاليم جميع الألوهيات والنبوات والديانات والزعامات والقيادات والاعتقادات والانتماءات والمذاهب والنظم بل وفي كل تجاربها.

إن كل معجزاتها في ألا توجد هذه التفسير وفي ألا يوجد من يفشرون أو يقبلون التفسير بها.

.. إن كل مجد وقوة ووجود وبقاء وانتصار كل هذه أي الألوهيات والنبوات والديانات

والزعامات والقيادات والاعتقادات والانتماءات والمذاهب والنظم لا يساوي أو يعني إلا فقد هذه التفاسير!.

.. إن كل القادة والزعماء وواضعي المذاهب والنظريات والفلسفات - وكم أتمنى أن توجد استثناءات من هذا التعميم - نعم، إن كل هؤلاء مع الإصرار على تسمي شيء من الاستثناءات - ليرفضون ويعادون ويقاومون هذه التفاسير كما يرفضها ويعاديها ويقاومها كل الآلهة والأنبياء والمعلمين والقديسين، أليس في هذا محابة للآلهة والأنبياء والمعلمين والقديسين حين سبوا هؤلاء في هذه القضية؟

.. إن كل هؤلاء ليخافونها ويهربونها ويخجلون منها أعني هذه التفاسير أكثر وأقسي مما تخاف وترهب وتخجل أفتح وأصعب العاهات وتشوهات العورات المشوهة والدميمة الشاذة المصابة بكل ما يضيع ويحزن ويؤلم أن ترى أو تمرض أو تقرأ أو تفسر..!

وهل يوجد ما يحتاج إلى الستر والإخفاء مثل عاهات وتشوهات الآلهة والأنبياء والزعماء والقادة؟

.. إن مقاومة هذه التفاسير أسلوب شامل أليم من أساليب مقاومة الرؤية والفهم والتساؤل والمحاسبة والمحاكمة..

إنها أي هذه المقاومة فقه للعيون ونفي بل وقتل للعقول والضمائر والقلوب والحماس والأخلاق بل إنها تزيف وتزوير لها. إنه لو منع فامتنع كل القتل والنفي والفقه للعيون والتزوير لما كان ممكناً أن يمنع أو يمتنع شيء من هذا القتل والنفي والتزوير والفقه للعيون..!

.. هل يمكن أن يوجد أو يرى أو يعتقد أي شيء من الجمال أو المنطق أو الحب أو الفن أو الكرامة أو الإغراء في أي شيء صغير أو كبير لولا هذا الفقه والنفي والقتل والتزيف والتزوير لكل ذلك؟



المراد بالتفاسير التي عنها كل هذه الأحاديث التي قد تحسب تهويلية أو أكثر من ذلك.

- المراد بها التحديق في أحشاء الأشياء وفي ضمائرها وأخلاقياتها.. في بداياتها ونهاياتها ومسيراتها.. لماذا وماذا ومن أين وإلى أين وكيف ومتى.. ومن أجل من ومن أجل ماذا ومن.. ممن. ما الريح، من الريح، ما الحوافز، ما الأهداف، من المقرر لذلك.. من المسؤول. إنها الرؤية والقراءة والتفسير بكل قسوة الرؤية والقراءة والتفسير بكل البسالة المقتحمة.. من وراء ودخل كل الأغطية والحجب والحراصات التاريخية، من فوق كل الألوهيات واللاهوتيات والنبوات والتعاليم والمعلمين؛ من فوق كل المنابر والمحاريب.. وإذا وجد هذا التحديق أو لو وجد بكل هذه القراءة والرؤية والمحاسبة والمحاكمة والمساءلة بكل الصدق والبسالة والانتحام.

- أي إذا وجدت أو لو وجدت هذه التفاسير ووجد من يفسرون بها ويلتزمون ما تقول لهم فهل

يمكن أن يبقى أي شيء معقولاً أو مقبولاً أو حتى مغفوراً، أو أن تنزل آلهة السماء من فوق سمواتها لتتحدث بكل الانبهار والاندحار عما في أي شيء أو عما في كل شيء من الحكمة أو الرحمة أو الجمال أو التفَضُّل أو العطاء أو العبقريَّة الغنية الإبداعية، أو أن توضع الفلسفات والنظريات والمذاهب لتتحدث عن ذلك أو عن شيء منه، أو أن يبقى أو يوجد أي شيء أو أحد ليكون فاعلاً ضارباً مهيناً منتصراً مثبوعاً معبوداً مخيفاً معشوقاً مراداً، أو ليكون مفعولاً مضروباً مهاناً مهزوماً تابعاً عابداً عاشقاً مرعياً خائفاً ذليلاً، أو ليكون هذا وهذا أو أحياناً هذا وأحياناً هذا؟ حتى الإله أي إن وجد محكوم عليه حصاً بأن يكون هذا أو هذا أو هذا وهذا أو أحياناً هذا وأحياناً هذا! حتى الإله!

.. أليست الكينونة هذا أو هذا أو هذا وهذا أو هذا أحياناً وهذا أحياناً هي الكينونة الكاملة والمحتملة والمصير والتفسير اللذين لا مفر منهما لكل شيء ولكل أحد مهما صعد أو هبط أي في علاقاته ومعاملاته مع نفسه ومع غيره ومع كونه ووجوده ومع آلهته إن كانت له آلهة؟

.. إن هذه التفسيرات إذا وجدت أو ولو وجدت لا ترحم أحداً أو تحاييه أو ترفق به أو تعفيه من قسوتها وتشويهها وفضحها مهما كبر وعظم.. بل إنها تقسم على من تقسّر فاضحة ومشوهة ومعيرة له بقدر ما يكون كبيراً وعظيماً وقوياً، إن الكائن الحي ليتعذب ويخسر بوجوده الحي بقدر ضخامة كينونته الحية، إن غيظ وغضب إله واحد لأعظم من غيظ وغضب كل الكائنات الحية!

.. أليست أي هذه التفسيرات لو وجدت تفضح وتحقّر وتهمن وتعير الإنسان أكثر وأقسى مما تفعل ذلك بالحيوان أو الحشرة، وتفعله بالآلهة أكثر وأقسى مما تفعله بالأنبياء والقديسين، وتفعله بالزعماء والقادة أكثر وأقسى مما تفعله بالرعايا، وتفعله بالعابرة والمتفوقين أكثر وأقسى مما تفعله بالمتخلفين والعاديين، وتفعله بالفعالين المقترحين أكثر وأقسى مما تفعله بالعاجزين القاعدين، وتفعله بالشمس أكثر وأقسى مما تفعله بالأقمار والنجوم، بل وتفعله بالوجوه الجميلة أكثر وأقسى مما تفعله بالوجوه الدميمة المشوهة أي تفعل الفضح والتعير والتحقير والتهوين والإذلال؟

نعم أليست هذه التفسيرات تفعل ذلك كذلك أي لو وجدت؟ أليست العيون والعقول والأخلاق والمشاعر تفجع بقدر ما ترى وتفهم وتساءل وتشعر وتحاسب؟

.. لهذا ولأسباب أخرى فإن كل هؤلاء المتفوقين كل أنواع هذا التفوق يعادون ويقاومون ويرهبون هذه التفسيرات أقسى وأقوى مما يفعل الآخرون الفاقدون لهذا التفوق بكل أنواعه وصيغه، إن الكائن بقدر ما يكبر يكبر خوفه وعاره وهمومه وآلامه وافتضاحه واحتياجه إلى ألا يرى أو يقرأ أو يفهم بكل حدوده وتفسيره بصدق وسألة!

.. أليس الآلهة والأنبياء والكبراء والأقوياء والعظماء والمقدسون يصنعون كل الحجب والبراقع والجلايب ليستروا ويحتموا بها من هذه التفسيرات أكثر مما يصنعها أو يفكر فيها أو دون أن يصنعها أو يفكر فيها الأصغرون أي الذين لم يصعدوا إلى فبح هؤلاء.. أي الذين لم يكبروا لتكبر تشوّهاتهم وأخطأؤهم وذنوبهم كما كبر هؤلاء؟

بل أليس هؤلاء هم وحدهم الذين خافوا ورفضوا هذه التفسيرات وتعذبوا تفكيراً فيها فصنعوا لها

كل الحجب والأغطية والبراقع والجلابيب؟ هل يوجد مثل هؤلاء احتياجاً إلى إطفاء كل الأضواء ونكثيف كل الظلمات أمام العيون والعقول والضمائر والأخلاق التي تريد أن تراهم أو تقرأهم أو تفهمهم أو تفسرهم؟

.. إن هؤلاء أي الآلهة والأنبياء والأقوياء والعظماء والكبراء والقادة والقديسين هم الذين ابتكروا وصنعوا هذه السدود والحواجز والحراصات لمقاومة وصدة هذه التفسيرات، كما أنهم هم الذين ابتكروا وأرادوا وفرضوا وشرعوا وصنعوا القيود والسجون والأغلال والخصاء لذكرة العبيد بل وحولوها إلى أديان ومذاهب ونظم وتعاليم بل والخصاء للعقول والأخلاق والضمائر ولكل معاني الإنسان.!

هل وجد أو تصوّر خاص كهؤلاء أو مخصصي مثل الإنسان، مثل كل معاني الإنسان؟
أليس الكائن يصنع العذاب والقبح والإذلال والعيب والأخطاء والورطات والمشاكل بقدر ما يكون كبيراً وقوياً ومتصراً متفوقاً، كما أن الإله يصنع كل ذلك بقدر ما يكون كذلك أي قوياً وكبيراً ومتصراً ومتفوقاً؟

بل أليس الكائن يقاسي كل ذلك بقدر ما يكون كذلك أي كبيراً وقوياً ومتفوقاً ومتصراً؟
.. هل يصنع الأخطاء والآلام والمشاكل والورطات الكبيرة إلا الكبار، الكبار؟ لهذا فإن الحياة الكبيرة القوية المتصاعدة هي التي تصنع الآلام والأخطاء والمشاكل والفضائح والمتاعب الكبيرة، الكبيرة.

.. أليس أفضل وأنبى الآلهة أضعفها كما أن أنذلها وأقبحها أقواها؟ أليس أسعد الآلهة وأتقاه وأجملها بل وأقواها وأذكاه هي التي لم توجد، لم تز نفسها أو تجربها أو تتعامل معها أو بها؟ هل قبل أي إله نفسه إلا لأنه لم يوجد؟ إن كل الكائنات قد تقبل وجودها وتتعامل معه إلا الآلهة.! إن تبح الآلهة ووظائفها ومسؤولياتها لا تقبل مهما قبل كل قبح ومسؤولية ووظيفة.!



.. إذن فالحياة في طورها الأدنى جهالة وضالة وقبح وعجز وفقر وجوع ومرض.. أما في طورها الأعلى فهي ضخامة وقوة وقدرة وجمال ومعرفة وعطاء وإبداع وتحليق فوق الشمس والنجوم ولكنها أي في طورها هذا تصنع وتهب وتبكر وترى وتمارس بل وتفرض من القبح والفضائح والعذاب والتعذيب والعجز والتعجيز والورطات والتوريط والعقد والتعقيد بل ومن الجهل والتجهيل بل ومن المخاطر والمشاكل والدمايات والتشوهات والعداوات والأحقاد والبغضاء والهجوم والمخاوف والإذلال والهوان والعار أكثر وأقوى مما تفعل أو تريد أو تواجه أو تقاسي كل ذلك أو أي شيء منه وهي في طورها الأدنى أي الأضعف الأجهل.! وهي أي الحياة لا تستطيع أن تكون غير طورها هذين وما بينهما بل ولا يستطيع أي شيء أو أحد أن يجعلها غير ذلك.!

.. وهنا لا بد أن يقرأ ويعلم هذا السؤال نفسه: إذن أي الحياتين أو الصيغتين أو الطورين أفضل أو أنبل أو أعظم أو أنفع أو أربح أو أقل قبحاً أو فحشاً أو تعدياً أو خساراً؟ أو أيهما يمكن أن يصبح

أو بحسب مزية أو عطاء أو إحساناً أو شيئاً يقبل أو يرضى أو يسعى إليه في أصعب وأقبح الطرق وأكثرها إظلاماً ووحشية وضيقاً واقتضاحاً وإذلاً وأموالاً؟

.. يا له من حصار يحاصر به كل كائن حي فرض عليه وعوقب بأن يكون حياً. كيف أمكن أن توجد الحياة أو أن يوجد من أرادها وصنعها؟ هل كان هذا العريد الصانع للحياة شريراً بكل هذه القسوة أم بليداً كل هذه البلادة أي إن وجد؟

.. إن كل كائن حي محاصر ومحكوم عليه بأن يحيا هذا الطور الأدنى أو هذا الطور الأعلى، حتى الإله محكوم عليه ومحاصر بهذا الطور أو بهذا.. هل وجد من قرأ وحاسب ما في الطورين وما في المسافة الفاصلة بينهما من قبح وعذاب وعيث ودمامات وقضائح؟

.. إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد معتد مشوه ظالم عاث مثل من أراد أو خطط أو صنع الحياة، أو معتدى عليه مشوه مفضوح موزط مظلوم مثل من أريد له وخطط وصنع ليكون حياً وفرض عليه أن يكون كذلك؟

هل وجدت قضية فيها كل هذه الحماقات والقباحات مثل هذه القضية؟

.. إن أصعب أو أردأ ما في هذه القضية أو الحياة أنه لا يراها أو يحاكمها أو يحكم عليها إلا المصابون المحكوم عليهم بها الغرقى فيها المقيّدون بكل قيودها الموضوعون في كل أغلالها وسلاسلها الذين قد ماتت وقتلت وفسدت ورضت فيهم كل طاقات وأعلاق وحساس ومعاني الرؤية والقراءة والمحاسبة والكرامة والبراءة والرفض والغضب أو ضعفت وهانت وتبلدت فيهم!

إن كل قوى الحياة وقنونها ووظائفها محوطة إلى محاولات دائمة وبكل الصيغ والأساليب لكي تفعل هذا القتل والموت والإفساد والإضلال بكل معاني الأحياء وبكل علاقاتها بهم وعلاقاتهم بها لكي يتقبلوا بكل الهوان والافتضاح والتلف والعمى والتبلى كل ما توقع بهم وتفرض عليهم وتلوثهم به.. إن الحياة لا تجمل أو ترضى أو تسعد أو حتى تبقى إلا بقدر قتلها لمعاني من يحيونها!

.. إنه لولا ذلك لكان الرفض والخصام والانفصام بينهما أي بين الحياة والكائن الحي حاسماً قاصماً شاملاً، بل لما كان ممكناً اللقاء بينهما فكيف بما هو أكثر من ذلك؟

.. إنه لولا ذلك لما جاء الرفض والخصام والانفصام بينهما بكل هذا التنكر والتشتر والأساليب والمزاعم التي تضلّ وتمجز وتختلف فيها التفسيرات!

إنه لا يوجد طاغية مستعبد بكل أساليب وتفسيرات ونيات وقسوة الاستعباد مثل الحياة في معاملتها للكائن الحي..

وإنه لا مستعبد مقهور مستسلم لكل ذلك مثل الكائن الحي في تقبله للحياة.. لحياته بلا أي شرط من أي نوع أو بأي صيغة!

هل وجد أي قبول بلا أي شرط غير قبول الكائن الحي لحياته؟

.. إنه لولا ذلك لكان القتال أو القتل أو الفراق أو الانفصال بينهما أي بين الحياة والكائن

الحي بالسيف لا بالإبرة أو العصي أو السكاكين، وبضربة واحدة لا بضربات متعددة، وفوق عيون الشمس لا تحت السرايب المظلمة، وبتفسير واحد لا بعدد التفسير!

إنه لولا ذلك لكانت المقاطعة بينهما كونية عالمية إعلانية لا فردية أو طائفية أو مذهبية أو دينية أو انتمائية أو ثورية أو أخلاقية أو انتحارية أو تفسيرية أو عصيانية أو مرضية نفسية أو عصبية أو عقلية أو أخلاقية أو جسدية!

إن كل الأحياء خصوم وأعداء ومقاتلون لحياتهم ولكنهم يعتبرون عن ذلك بأساليب جبانة متخفية لأنها أي الحياة قد سحبت منهم كل معاني الشجاعة وتعبيراتها باحتلالها لذواتهم!

.. هل وجدت أو يمكن أن توجد علاقة بين شيتين يجب ألا توجد وإذا وجدت وجب بترها بضربة واحدة مثل العلاقة بين الحياة والكائن الحي أي في كل مستوياتهما وأطوارهما بل ولا يجب ذلك مثلما يجب في أطوارهما ومستوياتهما العليا؟ إن حلول الحياة في الذات يساوي إشغال وتسعير كل الحرائق في مادة قابلة للاحتراق أو في ذات مكونة من اللحم والشحم والعظم والأعصاب، ولا إطفاء لهذه الحرائق إلا بطرد الحياة!

.. ماذا لو حذق الأحياء في حياتهم وقرؤوها وفسروها وحاسبوها وحاكموها.. لو حذقوا فيها بداية ونهاية.. مجيئاً وذهاباً.. أخذاً وعطاء.. قوة وضعفاً.. معادة وشقاء.. ضحكاً وبكاء.. جلوساً فوق العرش والسرير وانطراحاً داخل الكفن والقبر؟

.. لو حذقوا وفكروا فيها فكرة وعيشاً، حافزاً وهدفاً، خطة وإخراجاً، صعوداً وهبوطاً، كرامة ونذالة، نظافة وتلوثاً، شرفاً ولؤماً؟ لو حذقوا فيها شيء من عيونهم أو عقولهم أو ضمائرهم أو قلوبهم أو أخلاقهم أو شيء من الشهامة أو الكرامة أو النظافة أو الشجاعة أو الاستحياء أو الكبرياء؟

.. نعم، ماذا لو فعل ذلك الآلهة أو أعوان الآلهة أو الأنبياء أو الملائكة أو القادة أو الزعماء أو العلماء أو العباقرة أو أصغر وأضعف الناس أو كل الناس، أو لو فعلته الحيوانات والحشرات والكائنات الأخرى التي هي أصغر وأخفى؟

ماذا لو أن أحد هؤلاء أو كل هؤلاء قد فعل ذلك أي حذق وفكر في كل ذلك وقرأه وفسره وحاسبه وحاكمه وكانت حياته لم تذل وتستعبد كل معانيه وتصبها بكل العمى والتبليد وبكل إرادة وطاقة الاستسلام؟ هل يمكن حينئذ أن يجيء أو أن يبقى إن جاء أحد منهم أو أن ينظر إلى نفسه أو أن يترك أو يقبل أن ينظر إليه أحد أو أن يقول: أنا، أنا، أو أن يعتقد أو يعترف أو يعلن أنه موجود، موجود؟

هل يقبل أي كائن أو أعظم كائن أو إنسان أن يقول أنا موجود لو رأى ذاته ذات ذبابة مع أنه في ذاته التي ليست ذات ذبابة أكثر إنمأ وفحشاً وعذاباً وهواناً وعاراً من أبة ذبابة؟!

كيف لم يحدق واحد من هؤلاء ولو في واحدة من عطايا ووظائف الحياة والأحياء، ولو في استفراغ فضلات الطعام في ذلك المكان بذلك الأسلوب المحكوم بذلك الإنعاء الدليل الراكع الهارب من كل العيون؟!

.. ولو في الإلقاء بالجياه في التراب والارتفاع بالأعجار إلى السماء إلى الإله تقبيلًا ومعانقة ومصافحة له.. ولو في استفراغ القيء الجنسي بتلك التعابير والتفاسير والشهقات والنهقات التي لا بد أن تصيب الإله بكل الصمم والخرس والغثيان أي إن كان إلهاً لا جماداً!

ولو في أنات وتضرعات وزفرات ودموع وركوع وسجود من يمدّون أعظم الأبطال الأقوياء الكبراء المتكبرين الرافضين المتحدين، أي تحت قسوة وإملاء الألم أو الخوف أو الهوان أو الضعف أو المرض أو الجوع أو الهزيمة أو الحزن أو التعذيب والمذاب أو الاحتياج أو التملق أو النفاق أو الكذب أو الخداع، كائن يكي ويتضرّع ويركع ويسجد استجداء أو استرحاماً أو خوفاً واستسلاماً ولو استعداداً هل يمكن أن يكون له ما يرضى أو يقبل أو يغفر لمناً لذلك؟

.. كيف لم يعرف كل الأحياء وأبلد الأحياء أن الحياة هي كل ما يذل ويهين ويقهر ويفضح ويهزم ويثوّه ويخيف ويخجل ويحزن ويضيع ويهوج ويمرض ويقعد ويقتل ويعذب، وأنه لا شيء من ذلك بلا حياة أو من غير الحياة. وأن الحياة كل ذلك، وأنه لا شيء من ذلك لولا الحياة.. نعم، وأن الحياة كل ذلك وكل التوقع الدائم لكل ذلك!

.. كيف لم يعرف كل ذلك كل الأحياء حتى الإله لم يعرفه؟

كيف لم يعرف الإله أنه أعظم الخاسرين والمعدّيين المعاقبين بالحياة.. بحياته وبكل حياة.. بحياته وحياة أنبيائه وأوليائه بل وبحياة كل أعدائه؟ إن خسران جميع الخاسرين بحياتهم لن يساوي شيئاً من خسران الإله بحياته؟ فكيف وهو الخاسر المعذب المعاقب بحياة كل حي وليس بحياته فقط؟ .. كيف لم يعلم ويعرف أنه أي الإله هو كل الخاسرين والمعدّيين والمعاقبين، بل والمشوّهين المشتمين المتهمين بكل ذلك أي بحياته وبحياة كل حي حتى بحياة القسلة والنملة والصرصر والبرغوث؟

الإله معاقب معذب مشوّه بكل حياة، إذن هل يوجد مثله معذباً معاقباً مشوّهاً؟

.. من محجب من الإله كل مستويات ومقادير الذكاء والفهم والرؤية والغضب والغيبظ والاستحياء والاشتمزاز والكرامة والكبرياء، أي سلوكاً لا قولاً؟ من سحب منك يا إلهي كل ذلك؟ كيف لم يوجد من يهلك شيئاً من ذلك؟

نعم، يا إلهي أليس مجيئك حياً وتقبلتك لمجيئك كذلك وأيضاً تقبلتك لأن تخلق أو لأن يجيء أي شيء حياً - أليس ذلك يعني حتماً أن كل هذه المعاني قد سحبت منك أو ماتت فيك، حذار يا إلهي أن تنكر ذلك أو تجادل فيه!

.. ولكن كيف أتعجب من عجز الإله عن فهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟

أليس التعجب أو أفسى وأقوى التعجب في أن يفهم الإله أو يستطيع أن يفهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟

.. الإله فهم ما لا يمكن العجز عن فهمه!

هل يوجد أو يمكن أن يوجد خروج على كل التجارب والاحتمالات والتوقعات والمنطق بكل تفاسيره مثل هذا الخروج؟ أليس عجز الإله عن أن يفهم وعن أن يفعل هو الذي أبقاه وأبقى هذا الوجود كما نلحده؟ هل كان يمكن أن يبقى هو أي الإله أو أي شيء أو أن يبقى كما هو لو كان يستطيع أن يفهم أو أن يفعل؟

.. الإله الذي عمره أطول من كل الزمان ومن كل تفاسير الزمان ومعانيه، والذي ذاته وجوده أكبر وأوسع من كل الوجود ومن كل وجود ومن كل تفاسير ومعاني كل وجود.

- هذا الإله بكل رؤاه ومواجهاته ومشاهداته ومعاملاته ومصادماته ومحاسباته وبكل أجهزته ويقظته ودقته وحكمته وتجاربه لم يعرف أن كل الآثام والآلام والزندقات والعداوات والعدوان والفضائح والقبائح والنذالات والعقوبات والعار والهوان وكل ألوان الخسة - لم يعرف أن كل ذلك هو بعض عطايها ووظائف وأخلاق وتفسير الحياة، وأنه مستحيل أن يوجد شيء من ذلك لولا الحياة أو أن توجد الحياة دون أن يوجد كل ذلك، وأن صانع الحياة هو الصانع لكل ذلك، كما أن صانع الطعام وصانع الجوع إليه هو صانع است فراغ فضلاته ومكان است فراغها!

.. ولأنه لم يعرف هذه الحقيقة التي تعذب وتلوث بها عيون وأخلاق ونياب ومساكن الحشرات فقد رأى أي هذا الإله أن كل مجده وقوته وسعاداته وفرحه وعبقريته وجماله وكبريائه وسخائه بل وتقواه في أن يهب نفسه الحياة لتهد الحياة لكل الكائنات الحية حتى لأضعف وأصغر وأقذر وأذل وأشقى هذه الكائنات، ما حساباته حين وهب الحياة لهذه الكائنات البائسة الضائعة المستفجرة المحقرة؟ من خدع الإله ليعاقب نفسه ويعاقب كل من صنعه حياً بالحياة؟

لو كان أي الإله يعرف ذلك أو شيئاً منه إلا يصبح محتوماً حيثئلاً ألا يصنع الحياة أو يقبلها إلا بأذكي وأقصى الشروط وصيغ الاختيار، أي لو كانت الحياة مجداً أو ربحاً يراود ويطلب ويعطى بتفضل وفرح؟

.. هل كان يمكن حيثئلاً أن يهب الحياة للقملة أو الذبابة أو البرغوث أو للأبالسة بالفرح والإصرار والتكرار والديمومة والنشوة التي بها يهبها لنفسه ولحرامه وأعوانه وأنبيائه وإنسانه؟ كيف لم تمنعه الرحمة أو الحكمة أو الشهامة أو الكرامة أو حتى النظافة من أن يفعل ذلك؟ وكيف لم يعرف أن إعطائه وإرادته الحياة لهذه الكائنات المشنومة المحقرة المحسوبة قبيحة وضارة ومرفوضة ومهانة والمفرغة المحرومة من كل معنى جيد هما أقصى تحقير وإسقاط للحياة ليصبح ذلك أقصى تحقير وسباب لمن تراد وتوهب له أي الحياة.. ليصبح إعطاؤه وإرادته الحياة لهؤلاء أي لحرامه وأعوانه وأنبيائه وإنسانه أقصى تحقير وإهانة وسباب لهم بل ولنفسه حين أراد لها الحياة وأعطاها إياها؟

الإله أراد الحياة لنفسه ولأقرب المقرين إليه كما أرادها لكل حي، هل تصدقون؟

.. كيف لم تعرف يا إلهي ذلك، وكيف لم تخش أن يعرف أولياؤك وأصفياءك هؤلاء ذلك فيرفضوا هبتك هذه أي فيرفضوا الحياة التي تهبطها بكل هذا التهمين والتصغير والتحقير والعبث والهزل بل والسفه والجنون والوحشية؟

كيف لم تخف أن يرد أولياؤك وأنبياءك إليك الهبة التي تهيبها بكل المسخاء والشهامة والمن للقملة وللذباية وللصرصار بنفس المنطق والتفسير والتكرار بل والأسلوب وبنفس الإعجاب بالنفس والرضا عنها؟

كيف استطاعت وتستطيع وقبلت وتقبل يدك يا إلهي أن تنتقل من خلقها للحياة في النبي والملاك إلى خلقها في القملة والذباية ومن خلقها لها في القملة والذباية إلى خلقها لها في الملاك والنبي، وكيف قبل الملاك والنبي ذلك؟

كيف لم يحدث ذلك أي كيف لم يرد إليك أنبياءك وأولياؤك وأصفياءك بكل الاشتمرار والغيظ والغضب هبتك هذه أي الحياة الرخيصة المهانة المحقرة بكل التفسيرات والحسابات؟ كيف لم يصعقت أو يفزعك أو يفجعك تبرد وهوان هؤلاء الأقرين إليك يا إلهي؟

.. كيف قبل أو يقبل أي نبي أو ولي أو ملاك أن يعانق أو يصانح أو يلمس يدك أو يتقبل من يدك.. يدك التي عانقتها وصانحتها ولمسها وتقبلت منها بكل الديمومة والجهر والافتضاح بل والتعبد والتعجيد أذل وأصغر وأقذر وأجهل كل الكائنات أي التي تزعمها وتعلنها كذلك أنت وكل أوليائك وأصفيائك وأنبيائك وملائكتك كذلك وكل ذلك؟ حتى غسل يديك إن أحبابك هؤلاء لم يشترطوا عليك غسلهما بعد أن خلقت بهما هذه الكائنات الحشرية قبل أن تخلقهم هم بهما. حتى هذا الاشتراط لم يفطنوا إليه!

.. انقذني يا إلهي من التحديق والتفكير فيك ومن التفسير والمحاسبة ومحاولة الفهم لك، انقذني من التعامل معك ومن محاسبتك بالرؤية أو بالعقل والفكر أو بالقلب والضمير أو بالأخلاق.. انقذني من ذلك رحمة أو شهامة أو كرامة أو توبة من العدوان ومن شهوة التعذيب ورؤية المعذبين!

.. إنه لا عذاب ولا انفجاع مثل عذابي وانفجاعي بهذا التحديق والتفكير والتفسير والمحاسبة والمحاولة، هل عرفت هذا؟ هل عرفته؟ هل عرفته دون أن تحاول التراجع أو التكفير عن خطيئتك القبيحة الكبرى؟

.. لماذا يا إلهي حميت كل أحد.. حميت كل أنبيائك وأوليائك وأصفيائك وحراسك وخدمك من كل ذلك أي من كل التحديق والتفكير فيك ومن محاولة فهمك وتفسيرك ومحاسبتك ومحاسمتك إنقاذاً وحماية لهم من أهوال العذاب والانفجاع والغيظ والغضب والاشتمرار والاستنكار ولم تحاول أن تحميني أنا من ذلك؟ لماذا؟ هل حربت كل شيء باحثاً عن السعادة والفرح والمجد لك فلم تجد شيئاً من ذلك يرضيك أو يكفيك أو يشبع بداوتك الجائعة أبداً إلى ما لا يعقل أو يقبل أو يرضى أو حتى يغفر - فلم تجد شيئاً من ذلك إلا في كل هذا الترويع والتعذيب والفجعة لي؟

ألا توجد منظمة أو محكمة كونية إلهية لكي أحاكمك وأحاسبك لديها أو حتى أشكوك إليها يا إلهي؟

ماذا يمكن أن تحكم به عليك يا إلهي هذه المنظمة أو المحكمة لو وجدت تكفيراً وتعويضاً لي عما أوقعت بي من الترويع والتفجع والتعذيب وعقاباً لك على ذلك؟

هل تجد حينئذ أي هذه المنظمة أو المحكمة في كل ملكوتك وجبروتك ما قد يكفي ليكون هذا التكفير والتعويض أو هذا العقاب؟ حتى تنازلك عن ألوهيتك ونزولك من فوق عرشك هل يكفي ليكون هذا التكفير والتعويض والعقاب؟ هل يكفي أن تنازل عن كل أملاكك لتكون التعويض والتكفير الواجبين؟

.. ولكن يا إلهي لماذا وجدت وتوجد المحاكم لمحاكمة العبيد المخلوقين العاجزين الضعفاء الصغار ولمحاكمة المتهمين بأصغر الأخطاء والخطايا دون أن توجد أية محكمة لمحاكمة الآلهة والخالقين والقادرين والأقوياء والكبار والفاعلين لأكبر الأخطاء والخطايا ولكل الأخطاء والخطايا ولكل شيء.. لمحاكمة المريدن والمخططين والخالقين المسيرين لكل من يتهمون ويحاكمون ويعاقبون؟

كيف يحاكم ويعاقب من جرح أو ضرب طفلاً أو شيخاً أو أغرق أو أحرق أو سرق أو هدم كنوفاً أو خيمة ولا يحاكم بل ويشكر ويحمد ويعبد من قطع وفقاً أعضاء وعيون كل الأطفال والشيوخ وكل واحد وكل كائن وأغرق وأحرق وسرق وهدم كل البيوت والمدن والحقول وكل شيء ومن يظل أبداً يفعل ذلك ويأمره بفعله ويطالب بشكره على فعله؟

.. كيف يحاكم ويعاقب من قتل حيواناً ولو خطأ يملكه إنسان ولا يحاكم بل ويمجد ويعلى له وتسجد له الجباه والعقول والأخلاق من قتل ويقتل كل الناس وكل الكائنات الحية ومن يشوه ويقعد ويعجز كل الوجوه والأعضاء والأجسام ساحباً منها كل قدرتها وحساسها ونشاطها وفرحها وجمالها وسحرها بل وذكائنها وعقولها وذاكراتها وأشواقها ومرحها - من فعل ويفعل كل ذلك مدبراً مريداً متعمداً بلا اضطرار أو جهل أو خطأ أو عجز أو ثراء.. من حول ويحول كل جمال إلى تشوه ودماثة وكل قدرة إلى عجز وكل شموخ وانتصاب إلى انحناء واتحدار وكل عين إلى ظلام؟

.. كيف يحاسب أو يعاتب أو يلام من رأى أو سمع أو عرف غريقاً أو ثالهاً أو ضالاً أو معرضاً مهدداً بأي خطر مستغيثاً طالباً للإنقاذ والمساعدة وكان قادراً أن يفعل ثم لم يفعل أي شيء مما يستطيعه ثم لا يحاسب أو يعاتب أو يلام من يرى ويسمع ويعرف كل الفرقي والتأهين والفضالين والمهددين بكل الأخطار والآلام كل الأوقات دون أن يفعل أي شيء للإنقاذ أو للمساعدة وهو قادر قدرة مطلقة بل وهو الموقع بهم كل ما يواجهون ويقاسون..

بل ثم تنزل كل الكتب المقدسة ويوصل كل الأنبياء للتحدث عن رحمة وحكمة ونخوة وجمال وحب ورعاية واستجابة وإغاثة هذا الكائن لكل المعذنين والخائفين والمستغيثين بل ولكل الصامتين؟ وهل وجد هذا الكائن أو هل يقبل أن يوجد؟ هل يوجد محقر لنفسه ولهذا الكائن مثل من أعلن أو زعم وجوده؟



كيف حدث هذا؟ من أراده وديره وفعله؟ هل أردته وديرته وفعلته أنت يا إلهي أي هذا الواقع أو النظام الذي يحاسب ويحاكم ويعاقب هؤلاء دون أن يحاسب أو يحاكم أو يعاقب هذا الكائن؟

.. هل كل شيء في هذا الكون وفي كل شيء خارج على كل العقل والعدل والذكاء والجمال وعلى كل الحسابات؟ ومن الذي أراد ودبر وصنع هذا الخروج؟ هل هذا الخروج على كل هذه المعاني والتفاسير هو الذي أراد وصاغ وجود هذا الوجود وكل وجود وتقبل وجوده وبقاؤه وأذن به. وأنه لولا هذا الخروج لما وجد أو بقي شيء؟ من وضع عقل وأخلاق وقوانين وصيغ كل شيء؟ وهل يقبل أي كائن أن يكون الواضع لذلك أو لأي شيء منه مهما كانت أميته ومواجهته وبدائته العقلية والأخلاقية والفنية والقانونية؟ هل يقبل أي عامل يدوي أن يكون صانع هذا الوجود بكل صيغه وأخلاقه وتفاصيله ومنطقه وقوانينه مهما كان جهله وعجزه وقبحه ووحشيته ورواحته؟



.. أرجو ألا يكون من التكرار الخارج على الالتزام بحقوق الكلمة والكتابة وبشرطيهما وذكائيهما أن أقول: كيف لم تعرف يا إلهي أنه لولا الحياة.. حياتك وحياة من وهبهم الحياة أو عاقبتهم بها لما كفر بك ولما عصيت أو اتهمت أو أخرجت أو شتمت أو حقرت أو هزمت أو استقرغت كل الوقاحات والدمامات والبذامات والفضائح والأحوال في عينيك وأذنك وعلى ناعجك وعرشك، ولما قاسيت من الغيظ والغضب والحسرة والانفجاع ومن كل المشاعر الأليمة الحزينة الباكية المهزومة المعذبة بكل مواجهاتها وتجاربها المضادة والمؤذية لكل تمنياتها ومسراتها؟

إذن هل يمكن تصوّر خاسر بالحياة ومن الحياة.. حياتك وكل حياة مثلك يا إلهي؟ هل كل اهتماماتك ومحاولاتك وحساباتك ووظائفك يا إلهي أن تفعل كل ما يصنع لك العذاب والغيظ والتحقيق؟

.. هل أطالبك أن تفهم هذا الذي أقول لك يا إلهي؟ هل أنت يا إلهي بلا مثل في تحقيرك وتعذيبك وإذلالك وهجائك وفضحكك لنفسك وفي إرادتك وتدميرك لكل ذلك.. لعمرك وإيقاعك كل ذلك بنفسك؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد خارج على نفسه ومعذب لها مثلك يا إلهي؟

.. هل يمكن إذن تفسيرك أو فهمك أو تفيتك نفسياً أو عقلياً أو علمياً أو أخلاقياً؟ ألسنت إبطالاً بكل معانيك لكل المعاني.. لمعاني كل شيء؟ ألسنت يا إلهي هزيمة وتكذيباً وإهانة لكل التفاسير والعلوم والأخلاق والقوانين المعروفة وغير المعروفة؟

إن جميع الخارجين على كل شيء جيد ومعقول ومقبول ومغفور ومحترم بل ومحتمل لن يساووك في خرجة واحدة من خرجاتك على كل ذلك، كيف لم يظن إلى ذلك ويجمع به أحد من العاملين معك والمتعاملين بك ولك؟ كيف سحبت منهم كل معانيهم؟

.. أنت يا إلهي وكل أنبيائك وأوليائك ووكلائك وكل البشر أقربائهم وضعفائهم تحاكمون وتعاقبون كل المخطئين الذين أريدوا ودبروا وعططوا مخطئين ولكي يكونوا مخطئين وعاجزين عن أن يكونوا غير مخطئين، بل وتشرعون لهؤلاء هذه المحاكمات والمحاسبات والعقاب، ثم لا تحاكمون أو

نحاسيون أو تعاقبون من خلقوا هؤلاء المخططين مخططين وأرادوهم مخططين وحاصروهم بكل ما يجعلهم حتماً مخططين وعاجزين عن أن يكونوا غير مخططين؟ أليس كل من يفعل الخطأ أو الخطيئة يفعلها لضعف وعجز في معانيه أو في جسده؟ وقد خلق وخطط ليكون كذلك.

.. هل كل التفسير لذلك في منطقك ومنطق كونك ومنطق كل أعوانك ودعاتك وفي منطق كل شيء أن المحاكمات والمحاسبات والعقوبات إنما أريدت وشرعت لتكون عقاباً للضعف والعجز وللضعفاء والعاجزين لا للأخطاء والخطايا ولا للمخططين والخطائين.. لا للأخطاء والخطايا الكبيرة ولا للمخططين والخطائين الأقوياء القادرين الكبار الخالقين للمخططين والخطائين الصغار الضعفاء المرادين والمخططين ليكونوا بالحتم وبالمجز الذاتي خاطئين مخطئين..

.. لتكون أي المحاكمات والمحاسبات والعقوبات قوة ومجداً وسلطاناً وسلاحاً بل وتقوى ومديحاً لهؤلاء الخطائين المخططين الكبار الأقوياء القادرين المرادين المخططين لإيجاد كل الأخطاء والخطايا بإيجادهم بالإرادة والتدبير والتخطيط لمن لا بد أن يصبحوا ويزعموا ويروا مخططين وخاطئين وموقعين أخطاءهم وخطاياهم بأنفسهم لا بمن أرادوهم وصاغوهم مخططين وخاطئين أو يبدون كذلك.. لا بمن يحاكمونهم ويحاسبونهم ويعاقبونهم على ما فعلوه هم بهم؟

أليس مخطط الشيء وخالقه هو الخالق لكل معانيه وطاقاته وأخلاقه؟ أليس خالق العين هو خالق رؤيتها ولونها وخالق العقل هو خالق ذكائه وغباه وخالق العضلات هو خالق قوتها وضعفها وخالق الجسد هو خالق عضلاته؟ هل هذا التفسير هو كل التفسير لهذه القضية أي إن المحاكمات والمحاسبات شرعت وأريدت لتكون عقاباً للضعفاء لا لإرادة أو تحقيقاً للعذالة؟

.. كيف أمكن أن يحدث هذا أعني أن يحاكم ويحاسب ويعاقب من أريد وخطط وخلق وصيغ مخططاً خاطئاً أي ليكون كذلك، ولا يحاكم أو يحاسب أو يعاقب من أراد وخطط وخلق وصاغ كل الخطائين والمخططين وأن يكون المحاكم المحاسب المعاقب هو هذا المرشد المخطط الخالق الصانع؟

كيف حدث أن يعاقب المفعول والمفعول به ولا يعاقب الفاعل له والفاعل به؟

كيف يكون الخط أو التخطيط أو المغزول المنسوج أو التفكير الرديء هو الفاعل لردائه والمسؤول عنها المعلوم أو المعاقب عليها أو الستهم بها ويكون المخطط الخاطئ الفاعل الناسج المفكر هو التقى العبقري البريء المستحق لكل المجد والتمجيد بل وأن يكون هو اللائم المتهم المحقّر الشاتم لخطه وتخطيطه وغزله ونسجه ولأنكاره؟ كيف تكون القملة أو الذبابة معاقبة على ضعفها وهوانها ويكون معاقبها صانعها؟

.. كيف تكون أخطاء وعيوب الصنعة أو الصناعة الرديئة القبيحة منها لا من صانعها وفيها لا في صانعها؟ كيف وجد من يقول ويرى ويعلم ذلك وهل وجد؟

.. كيف يحاكم أو يعاقب أو يلعن أو يلوم الصانع صناعته أو صنعته على عيوبها وأخطائها

متهماً ومحقراً ولاعتاً لها على ما فيها من أخطاء وعيوب بل وأن يؤلف الكتب وينزل التعاليم ويأجر ويوظف الدعاة ليتحدثوا عن ذلك ويعلموه ويؤكدوه؟

وهل وجد هذا الصانع أو مثل هذا الصانع أو هل يمكن أن يوجد؟ نعم، لقد وجد، وجد ليكون أكبر من الكون ومن كل شيء!

لقد قال كل الأنبياء والأتقياء والمعلمين للعقول والقلوب والضمائر والأخلاق كل رؤاها ونبضها وأشواقها وحبها وتفسيرها وأخلاقها وتقواها.

- لقد قال كل هؤلاء: نعم، لقد وجد هذا الصانع، بل لقد وجد ليكون وجوده كل وجود وكل تفسير ومعاني ومجد كل وجود وموجود وليكون بقاؤه وديمومته هما بقاء وديمومة كل بقاء وكل ديمومة وكل باقي ودائم! لقد قال كل الرواة عنك ذلك، إذن كل الفضاحين والمشوهين هل يساوون الرواة عنك في فضحهم وتشويههم لك يا إلهي؟

.. كيف أمكن أن يعاقب أو يلام أو يذم الوجه الدميم على دمايته أو العقل البليد على بلادته أو الجسد الضعيف العاجز على ضعفه وعجزه، ولا يعاقب أو يلام أو يذم من أراد ودبر وخطط وزرع هذه الدامة وهذه البلادة وهذا الضعف والعجز في هذا الوجه وفي هذا العقل وفي هذا الجسد بحساب وتصميم حاسم دقيق لا يمكن التراجع عنه أو الخطأ فيه؟ وهل حدث هذا؟ لقد حدث..!

.. لتسألوا كل النبوات والسموات والكتب المقدسة المنزلة المقررة في كل المحارب ومن فوق كل المنابر لتعلموا أن كل ذلك قد حدث بل لتعلموا أن ذلك هو كل ما حدث ويحدث، وتعلموا أيضاً منهم أنهم لم يستكروهم أو يفجموا به أو حتى يشاءوا: كيف حدث..!

.. إن محاكمة ومعاقبة المخطئين الخاطئين الصغار الذين أريدوا وخططوا وصنعوا كذلك ولكي يكونوا كذلك دون محاكمة ومعاقبة من أرادوهم وخططوهم وصنعوهم كذلك لن تكونا أي هذه المحاكمة والمعاقبة أقل قبحاً أو سفهاً أو جهالة من محاكمة ومعاقبة أصغر وأذل وأقذر وأضعف الحشرات على كينونتها هذه دون محاكمة ومعاقبة خالقها وخالق هذا الكون إن وجد هذا الخالق، أو دون محاكمة ومعاقبة الطبيعة التي ولدتها أي ولدت هذه الحشرات وصاغتها وجعلتها كذلك أي لو كانت أو افترضت الطبيعة تفعل بالإرادة والتدبير والتفكير، أي ثم يكون المحاكم المعاقب لها هو هذا الخالق المفترض أو الطبيعة المفترضة واعية مريدة مدبرة فاعلة!

كذلك لن تكون هذه المحاكمة والمعاقبة أقل جهلاً أو غباءً أو حماقة من أن يحاكم ويعاقب خالق الطبيعة الطبيعة على أخطائها وخطاياها ونقائصها.. على براكيبتها وزلازلها وأعاصيرها وقحطها وعلى كل عيوبها وآثامها وآلامها وعجزها وضعفها. كيف لم تنزل أية نبوة لتعلن وتعلم أنها لن توجد محاكمة أو معاقبة تساوي في قسوتها وقوتها المحاكمة والمعاقبة التي لا بد أن توقعها الحشرات بمن أرادها وخططها وصاغتها كذلك؟

.. لعل البشر في كل أطوار كينوناتهم وتاريخهم لم يشكروا أو يعلموا أو يعتقدوا أو يحبشوا ويعاشروا جهالة فيها كل صيغ وتفسير كل الخروج على كل معاني العقل والعدل والذكاء والأخلاق

والقوانين وفيها كل معاني الافتضاح وأساليبه وعاره وفيحه مثل جهالتهم هذه التي جعلتهم اعتقاداً وتشريعاً وسلوكاً يحاكمون ويعاقبون بل ويذمون ويلعنون الخاطيء المخطيء الصغير العاجز الذي أريد وخطئ وصيغ خاطئاً مخطئاً ولكي يكون خاطئاً مخطئاً بالحتم الذاتي دون أن يفعلوا أي شيء من ذلك بالكبير القوي القادر الذي أراد ودبر وصاغ وخطئ وصنع هذا المخطيء الخاطيء الصغير العاجز ليكون خاطئاً مخطئاً صغيراً عاجزاً، بل وينصّبونه أي هذا الكبير القوي القادر ليكون المحاكم المعاقب لهذا الصغير العاجز الخاطيء المخطيء!

.. ولعلمهم أي البشر في كل مراحل ورحلات وجودهم لم يلدوا ويتخلق فيهم أو يستقبلوا أو يعرفوا من جازوا إليهم ليعلموهم أضخم وأوقع الجهالات والبلادات والأخطاء والخطايا مثل أنبيائهم وقديسيهم وكل معلمهم الذين جازوا إليهم ليعلموهم ويشرعوا لهم وينفذوا ويرسخوا فيهم هذه المحاكمات والعقوبات ليحكم ويحاسب ويعاقب بها من فقت عيناه وقطعت رجلاه لأنه عجز عن الرؤية وعن القفز على قدميه وليشكر ويحمد ويعبد فاقىء العيون وقاطع الأرجل بالإرادة والتدبير والتخطيط والفرح جزاء له على ما أراد ودبر وخطئ وأحب وفعل! أليس كل المتحدثين عن السماء يجيئون ليعلموا ويشرعوا ويقرروا ذلك؟

.. هل هناك مدبر خبيث ليعم شرير جداً يريد الهبوط بكل معاني الإنسان وبكل صيغه ونفاسيه.. بكل ذكائه وتفكيره وكرامته بل وبكل شرفه ودينه وتقواه وإيمانه وصفاته وبكل أخلاقه؟ هل وجد هذا المدبر الخبيث اللثيم الشرير المعادي للإنسان وبعد تفكير طويل وحسابات طويلة وحادة لم يعرف أو يجد أي هذا المدبر الخبيث اللثيم الشرير ما يصنع ويحقق له هذه الشهوة أو الرغبة في الهبوط الشامل بالإنسان إلا في أن يصنع له الأنبياء والدعاة والمعلمين والقديسين لكي يرسلهم إليه أي يطلقهم عليه؟! ما أقساه من إطلاق، ما أقساه!

نعم، إن هؤلاء إطلاق على الإنسان ولبسوا إرسالاً إليه!

هل أطلق على الإنسان أو أرسل إليه وحوش مفترسة مثل من سموا ويستقون بالأنبياء وبكل ألوان الدعاة والمعلمين والواعظين الصالحين؟ هل قوتل وقتل الإنسان مثلما قوتل وقتل بهؤلاء؟ كم هي طيبة ونبيلة رحيمة هي الوحوش محاسبة بهؤلاء!

.. إن الوحوش وأقوى الوحوش وأقوى وأخطر الوحوش قد تغترس بعض الأجسام، إنها لن تفعل أو تستطيع أو تريد أكثر من ذلك!

إنها تفعل ذلك إذا فعلته بلا من أو كبرياء أو امتداح أو تشريع له!

.. أما الوحوش المسماة أنبياء ومعلمين وقديسين ومصلحين فإنها تغترس وتفسد وتضلل بل وتقتل وتشوه وتلعن العقول والقلوب والضمائر والعيون والأخلاق وأيضاً الحياة والأجسام، بل وتزبل وتهدم وتميت وتغرق وتجفف المدن والحقول والمصانع والمعابد والمدارس والبيوت والأنهار والسحاب والابتسام والجمال والحب والفرح والضوء في العيون والوجوه والقلوب والعقول والأخلاق.

- إنها كل العبوس والسباب والبغضاء والقحط والظلام.

- إنها تفعل كل ذلك أي هذه الوحوش بالعداوات والانقسامات والأحقاد والحروب التي تعلمها وتدعو وتدفع إليها وتحرض عليها بل وتصنعها وتوقدها مباركة مقدسة مصلبة لها؟

إنها تفعل كل ذلك بكل الامتنان والمباهاة والجهر والدعاية والترك!

ما أكذب أو أجهل أو أبلد الإنسان حينما يسمي أو يرى أو يعلن الوحوش المعروفة وحوشاً..

دون أن يرى ويعلم ويسمي ويعتقد آلهته وأنبياءه وكل معلميه وقديسيه وواعظيه كل الوحوش وأقسيه وأقيع وأوقع الوحوش، بل ومعتزلاً إلى الوحوش لأنه سمى وأعلن وحوشه هذه وحوشاً.. إنها لأقسي إهانة لوحوش الغابة.

.. هل رأى أو عرف أو وجد أو واجه الإنسان غزاة له مشوحشين مدترين معاذين مفسدين مشوهين مثل من زعموا وسبوا وأعلنوا أنبياءه ومعلميه وصالحيه وواعظيه ومحبيه وقديسيه؟ إنه لأقسي وأقيع ظلم لوحوش الغابة أن يسمى الآتون بالنبوات والأديان والتعاليم السماوية وحوشاً!

.. إن الإنسان في كل وجوده لم يشوه أو يلعن أو يعاقب بشيء مثلما شوه ولعن وعوقب بأنبيائه ومعلميه وقديسيه أي وبآلهته أو بإلهه الواحد أي بمجيشهم إليه!

من أول من خلق أو روى للإنسان آلهته؟ هل للإنسان عدو مثله؟

.. هل جاء إليه هؤلاء وخضعص بهم جزاء أو عقاباً له لتفوقه على الكائنات الأخرى؟ هل استطاعت أو تستطيع كل الوحوش في كل غاباتها وتاريخها أن تقتل أو تشوه أو تخيف الأعداد البريقة التي تقتلها وشوهتها وأخافتها نبوة واحدة بصنعها وتعليمها للعداوات والانقسامات والأحقاد والحروب وبخليلها لكل ذلك؟

.. أليس قد تقرر أو قيل ويجب أن يقرر: أن الحياة تعاقب وتشوه وتهين وتورط وتعذب الكائن بقدر ما يكون عظيماً وكبيراً ومتفوقاً.. إن الحياة تتحول إلى عقاب وتعذب وتورط واقتضاح بقدر ما تكبر وتعظم وتقوى؟

.. أليس محيي الآلهة والأنبياء والمعلمين والأديان إلى الإنسان أحد الأساليب أو أقوى وأشهر وأشمل وأقسي الأساليب التي تصنعها الحياة المتفوقة لإيقاع كل الآفات به أي بالإنسان عقاباً له على تفوقه؟ أليس التفوق أبداً عقاباً وعذاباً؟

سلوا الإله كيف يعذبه ويعاقبه تفوقه. سلوه، سلوه!

.. لعل الحياة لم تجد شيئاً تعاقب به تفوقها في الإنسان مثل أن تصيبه وتخضعه بالأنوحيات والنبوات والتعاليم والكتب السماوية المقدسة لأنها لم تجد أو حتى تتصور عقاباً يساوي هذا العقاب في قسوته وشموله وخلوده وقبحه وأيضاً في بلادته ووقاحته وفضاعة نتائجه. إن كل شيء لو تجمع ليصنع أقسى عقاب للإنسان لما وجد مثل عقابه بذلك أي بالأنوحيات والنبوات والأديان وكتبها وتعاليمها!

.. إذن أليس حتماً على الإنسان بل وعلى كل كائن حي أن يتوقع بأن يواجه ويعاني ما هو

أقسى وأقبح بقدر ما تتصاعد وتتعاظم حياته لأن العقاب والعذاب هما أبداً بقدر تعاظم وتتصاعد الحياة كما قرر وكما أرجو أن يكون قد فهم؟

لهذا أليس عقاب الإله وعذابه هما أكبر وأقسى من كل العقاب والعذاب لو اجتمعا أو جمعا في ذات واحدة لأن حياة الإله هي أكبر وأقوى من كل صيغ الحياة متجمعة في ذات واحدة حية أي لو تجمعت في ذات واحدة حية؟

أليست الحياة صديقاً مضاداً أو صديقاً معادياً أو عدواً مضاداً لأنها بقدر ما تجيء وتهب تعاقب وتضرب وتعذب لأنها لا تصافح وتعانق وتعطي إلا بنيات اللطم الشاتم المسترد والآخذ؟



.. إذن لتعاظم وتتصاعد حياتك أيها الإنسان وحياة كل كائن حي في كل صيغها وتفسيرها، ولكن لا تنتظر أي مزيد من الفرح أو الراحة أو السعادة أو الأمان، بل أو حتى من المعرفة الواهية للطمعنان أو الرضا أو الثقة بما هو كائن أو بما سوف يكون أو بما لن يكون.. بل انتظر النقيض الحاد العنيف لكل ذلك..! انتظر أن تكون هابطاً وصغيراً ومعذباً ومشوهاً بقدر ما تكون صاعداً كبيراً سعيداً جميلاً متألفاً!

.. حتى المعرفة إنها مهما عظمت لن تتحول إلى العطاء المطلوب والمرجو منها والمفترض فيها، بل إنها لا بد أن تتحول إلى مزيد من القلق والذعر والإرهاب والورطات والشكوك والمشاكل والمصادمات والمنافضات، وإلى مزيد من العجز والتمعيز عن الإقناع والافتناع بل وعن الرؤية والتفأول! إن المعرفة تأخذ أكثر مما تعطي وتقلق أكثر مما تهب الراحة والأمان، هكذا قالت الحياة!

.. لقد جاء منطق الحياة وقانونها ضد المنطق والقانون المفترضين بل والمزعومين المعلنين! لقد جاءت الحياة بلا منطق أو قانون لتصنع قانوناً ومنطقاً هما ضد كل ما يفترض ويطلب من صيغ القانون والمنطق ومن تفسيرهما! إن منطق الحياة وقانونها: إننا كلما عرفنا أصبحنا أكثر وأقسى عجزاً عن أن نعرف، وإننا كلما جهلنا أصبحنا أكثر وأشمل معرفة وأقوى اقتناعاً بأننا نعرف. إننا نعرف كل شيء لأننا نجهل كل شيء!

.. إنه لن يكون خطأ أو مرفوضاً أن يقال: إن الذين لا يعلمون يعلمون، وإن الذين يعلمون لا يعلمون وإن الجاهلين أكثر اطمئناناً ورضاً من العارفين!

.. إننا بقدر ما نعرف نعرف أننا لا نعرف وبقدر ما نجهل نجهل أننا نجهل!

.. إن المعرفة هي التي تجعلنا نقنع ونزداد اقتناعاً بأننا لا نعرف مهما عرفنا! كيف نعرف أننا لا نعرف لو كنا لا نعرف؟ وكيف لا نجهل أننا نجهل إذا كنا نجهل أو إذا كنا لا نعرف؟

.. إنها لا وسيلة لأن نعرف أننا نجهل إلا بأن نعرف، كما لا وسيلة لأن نعرف كل شيء ولأن نقنع بأننا نعرف كل شيء إلا بأن نجهل كل شيء!

هكذا جاء منطق الحياة وسلوكها ولن ينتظر منها أن تتغير أو أن تحاول تغيير أي شيء من منطقتها وسلوكها مهما تغيرت كل صيغها ومستوياتها وألوانها وأزيائها ولغاتها.!

لهذا فإنه لا أحد يعلم كل شيء إلا الإله أو الآلهة والأنبياء، ويحيى بعدهم في معرفة كل شيء كل المتحدثين والراوين عنهم والمفسرين لهم والمعلمين علومهم أي علوم الآلهة والأنبياء، وقد يكون الراوي عن الآلهة والأنبياء والمفسر لهم أعلم من أي إله وأي نبي لأن كل الآلهة والأنبياء يتجمعون فيه.!

.. إنهم يعلمون كل شيء لأنهم لا يستطيعون أن يعرفوا أنهم يجهلون أي شيء.! ومن لا يعرفون كيف يجهلون؟ كيف يعرفون أنهم يجهلون؟

نعم، لأن معرفة الجاهل لجهله محتاجة إلى أن يعرف ذلك، ومن لا يعرف أي شيء كيف يستطيع أن يعرف أنه يجهل مهما جهل؟

إن معرفة الجاهل نوع من المعرفة، وقد تكون أصعب وأثقل وأنواع المعرفة.!

لهذا لا بد أن تكون معرفة الجاهل لجهله أصعب كثيراً من معرفة العالم العارف لجهله، هل يوجد أصعب من معرفة الإله أو النبي لجهله؟ ومثل الإله والنبي في هذه القضية من يفسرونهما ويعلمون عنهما.. وأن تكون معرفة العالم العارف لمعرفته أقل وأضعف وأكثر تواضعاً من معرفة الجاهل لمعرفته أي لجهله الذي لا بد أن يتحول إلى أقوى معرفة.. إلى معرفة إله أو نبي.! هل وجد أو يوجد مثل الآلهة والأنبياء والمفسرين لهم عجزاً عن معرفتهم لجهلهم؟.. إن جهال العالم والتاريخ هم الذين وهبوا ولا يزالون يهبون وسوف يظلون يهبون العالم والتاريخ أقوى وأشمل وأندح المعارف والعلوم وتعاليم الجاهلة، أو العالمة لأنها الجاهلة.!

.. إنه لا شيء يتنقل ويعوق ويشوّه ويشتم ويضلل الحياة والتاريخ مثل معارف وعلوم وتعاليم الجهال العلماء أو العلماء جداً لأنهم جهلاء جداً أي الآلهة والأنبياء وكل أصناف وأفواج وأجناس المعلمين لمعارف وعلوم وتعاليم الآلهة والأنبياء أي السماء.!

لقد جاءت معارف وعلوم وتعاليم هؤلاء قوية وشاملة وراسخة خالدة متحدة متكبرة مغرورة محاربة مقاومة رافضة لكل معرفة وعلم وذكاء لأنها كانت جاهلة كل الجاهل وأقوى الجاهل، ولأنها كانت جاهلة كل هذا الجاهل جاءت عالمة وعارفة كل العلم والمعرفة، بل جاءت كل المعرفة وكل العلم والمعلمة لكل المعرفة وكل العلم.!

لأنه لا يعلم ولا يعرف كل العلم والمعرفة إلا من يجهلون كل الجاهل وأشمل الجاهل كل معرفة وكل علم. إن الإنسان لم يتعلم أو يعلم أو يعرف أقوى وأتقى وأذكى معارفه وعلومه إلا من أجهل جهلائه أي إلا من آلهته وأنبيائه ومن المعلمين والمفسرين لعلوم وآلهته وأنبيائه، هل تصدقون هذا؟ صدقوه مهما وجب ألا تصدقوه.!

كيف لم يوجد من ينقذون الإنسان من علماته هؤلاء الجهلاء أو من جهلائه هؤلاء العلماء؟

أليس هذا الإنقاذ هو أعظم وأثقل وأتقى وأوجب إنقاذ؟ هل يوجد أو يتصور إنقاذ يساري

في كل مزاياه ومنافعه أو في شيء منها إنقاذ الإنسان من آلهته وأنبيائه ومن تعاليمهما؟ هل يرجى أو ينتظر أن يوجد هؤلاء المنقذون؟ إن أبقى وأقوى وأتقى معارف الإنسان وعلومه وتعاليمه هي أجهل وأغبي جهالاته وغباوته واعتقاداته أي هي التي يعلمه إياها آلهته وأنبيأؤه وأديانته.

.. إنها هي التي يعلمه إياها أجهل وأغبي جهالاته وأغبياته.

هل عرف الإنسان أن أجهل جهالاته هم أعلم وأشهر وأقوى علمائه ومعلميه وأن جهالاتهم المعلمة هي أعلم وأشهر معارفه وعلومه وأقواها سلطاناً وخلوداً؟

.. إن الإنسان لم يعجز عن التداوي أو يهرب التداوي بل أو يقارم التداوي من أي شيء مثلما عجز عن التداوي ويهرب وقاوم التداوي من أخطائه وجهالاته التي استفرغها فيه وعليه أجهل جهالاته وأضعف ضعفاته محولين لها إلى آلهة وأديان ونبوات وكتب مقدسة تعرف وتعلم وتفسر كل شيء لأنها لا تعرف أي شيء ولا تستطيع أن تعرف أنها لا تعرف.

إن البشر في كل تاريخهم وأطوار وجودهم لم يقاتلوا في أقسى وأطول الحروب بكل أسلحة القتال وبكل الأسلحة الأخرى دفاعاً عن أثقل وأقبح وأقوى القيود والأغلال والسجون والظلمات المستعبدية القاهرة المفسدة المشوهة الفاقدة بل الفاتلة لعقولهم وقلوبهم وضمايرهم وأخلاقيهم وذكائهم ولكرامتهم وشجاعتهم بل ولعيونهم مثلما قاتلوا دفاعاً عن جهالات وضلالات وأخطاء من زعموهم آلهة وأنبياء وأدياناً وكتباً مقدسة يقرؤها ويعلمها ويفسرها لهم أجهل وأضعف جهالاتهم وضعفائهم، ويجد ويخرج لهم من حروفها الأمية ومن بلاغتها البدوية ومن شائنها وسفاهاتها وأهاتها وبلاهااتها أخبار وعلوم وأحداث كل ما كان وما سوف يكون وما لن يكون! تراثيل أمية فيها كل علوم وتفسير ومنطق وقوانين وأخلاق كل الكون وكل شيء، بل فيها كل أخباره وأسراره وأحداثه بداية ونهاية بالتحديد الزمني والمكاني!

.. أليست أقوى وأصدق وأعلم أخبار وروايات الآلهة والأنبياء والأديان والكتب المقدسة هي أخبارها ورواياتها بل ورؤيتها لكل ما لم يكن ولكل ما لن يكون وعما لم يكن ولن يكون؟

أليست أعظم عطائهم العلمية لنا أو كل عطائهم أن يحولونا إلى قراء ومفسرين ومنتظرين بل ومخاطبين وعاشقين للنجوم التي لن تری أو تیزغ بل التي لم توجد ولن توجد، بل ومصلين ومقبلين للحجارة السوداء؟

.. إن كل شيء فضع وتكذب ورفض لآلهة الإنسان وأنبيائه وللمعلمين بهم وعنهم ولكل ما قالوه وعلموه ورووه وفعلوه! إنه لم يوجد أو يبق أو يحي أو يعمل أي كائن أو شيء إلا بالخروج على كل ذلك!

لقد كان المفروض أنه لو أمكن الانخداع بأي شيء وبكل شيء لما كان مسكناً الانخداع بهؤلاء ولا بما جاؤوا به، بل إن كل حسابات ورؤى وتفسير المنطق لتقول أو يجب أن تقول: إنه لو كان كل كائن يريد أن يكون متخدعاً مخدوعاً ومطابقاً بذلك ساعياً إليه ومصبراً عليه لما استطاع أي

كائن مهما حاول وسعى أن يخدع أو يتخدع بواحد منهم أي من الآلهة أو الأنبياء ولا بواحد من المفسرين والمعلمين لهم وعنهم ولا بشيء مما قالوه أو علموه أو روه أو حتى فعلوه!

لقد كان خروجاً على كل الاحتمالات والتفاسير أن يوجد من قد يخدع أو يتخدع بهؤلاء!

إذن كيف حدث ما لم يكن يمكن تصوّر حدوثه، وحدث بهذه السهولة وبهذا الشمول والإصرار والديمومة، بل ويظل يحدث أبداً بكل هذا الشمول والإصرار والديمومة والسهولة بل والتضاعف؟ لقد هانت بهذا كل تفاسير ودلالات الخديعة والانخداع!

.. إن كل أحد وكل الأشياء والكائنات أي غير الإنسان لو تحولت إلى أقوى وأذكى وأنقى المفسرين والمحللين ثم كلّفوا بل وظفروا أن يعرفوا أو يعلنوا ويقرروا كيف حدث هذا الذي لم يكن ممكناً تصور حدوثه لولا حدوثه، أي كيف جاء هؤلاء الآلهة والأنبياء ودعاتهم ومفسروهم بكل ما قالوه وعلموه ورووه - كيف جاؤوا إلى الإنسان كما جاؤوا، وكيف ذلّ وهان وسجد واستسلم لهم كما فعل بكل هذه السهولة والديمومة والشمول والإصرار بل وبالتضاعف في كل ذلك أي الإنسان.

- نعم، إن ذلك لو حدث لكان محتوماً ألا يجد له هؤلاء المفسرون المحللون أي تفسير أو تحليل لما حدث، بل لفجعوا بما حدث، بل لعجزوا أن يصدقوا أن ما حدث قد حدث، بل لرفضوا أن يعتقدوا أنهم قد وجدوا لكلاً يحدث لهم هذا الذي حدث للإنسان أي لكلاً يهبطوا إلى الحضيض الذي هبط إليه ذكاء الإنسان وعقله ومنطقه وضميره وأخلاقه ورؤيته وكرامته حين تقبل من زعمهم ودعاهم آلهته وأنبياءه وأديانته وكتبه المقدسة والمفسرين المعلمين لهم ولها ليشؤوه ويقبحوه ويجهلوه ويحقروه ويستعبدوه كما فعلوا ويفعلون وكما سوف يظلون يفعلون بلا نهاية كما يخشى ويحتمل..

- بل ليحولوه إلى أوقع وأقبح وأقسى الأعداء والخصوم والمحاربين واللاعنين الكارهين لأنفسهم ولآبائهم وأبنائهم ولأقرب أقربيهم وللإنسانية كلها ولكل شيء ولكل أحد ما لم يكن المبد الجبان المراد المكتوبة المحفوظة شروطه وأوصافه! هل جاءت الآلهة والتبروات والأديان والكتب المقدسة إلا لتعلم الكراهة والمداوة؟؟

.. ولو حاولنا أن نجد تفسيراً لما لا تفسير له فماذا يمكن أن يقول أو أن يكون هذا التفسير، أو ماذا يمكن أن يكون التفسير الذي نعرضه ونفرضه ونسأل عنه دون أن نجده؟

أليس البحث والتساؤل عن التفاسير دليلاً على قبح ونكر ما يبراد تفسيره؟

.. هل يكون التفسير أن الحياة ولا سيما حياة الإنسان وكذا حياة كل من هو في مستوى الإنسان ومن هو أعلى من الإنسان كالإله ومن معه وحوله من سكان السماء.

- نعم، إن هذه الحياة مزروعة ومغزولة ومنسوجة ومختارة ومجمعة من كل صيغ وتفاصيل وبدايات ونهايات ومعاني القبح والعبث والتعذيب والترريط والتشويه والإرهاب والتخويف والإهانات المتنوعة الصفات والضربات والجنسيات والتعبيرات والأخلاق؟

.. إنها الترويع والتكليف والانفجاع والإذلال والخسران والاستعباد بلا أي جزاء أو عطاء أو

شكر أو انتظار لشيء من ذلك.. بلا أي شيء يعطى أو ينتظر أو يفهم أو يعقل غير مقاساتها والاستمرار والالتزام والإلزام بمقاساتها!

.. لهذا ولأسباب وأشياء أخرى فإنها أي هذه الحياة لن تطاق معاشيتها أو معاشرتها أو تقبلها بل أو قراءتها أو رؤيتها فكيف التعامل معها أو بهاء بل فكيف الرضا أو الفرح أو السعادة أو الإعجاب بهاء بل فكيف حمايتها والدفاع عنها وعبادة أو شكر من وهبها أي عاقب بها بأن وهبها؟ لن تطاق ما لم يغط كل قبحها وفضائحها وفواجعها وآثامها وتفاهاتها وعارها بكل الأغطية وأكثف الأغطية؟

.. إذن لا بد من تخديرها وتضليلها وخداعها وإسكاتها وإرهاقها بأنقل وأبلد وأقسى وأشمل وأخذ الجهالات والبلادات والضلالات لتلبي وتشغل وتصرف وتعجز بذلك عن رؤيتها أو قراءتها أو محاسبتها أو مساءلتها أو تفسيرها لنفسها ولمن يحيها، وأيضاً لا بد من كل ذلك لمن يحيا هذه الحياة لنفس الأسباب ونفس التفسيرات!

.. لا بد من ذلك لكي تستطيع أي هذه الحياة أن تتعامل مع نفسها ويستطيع من يحيها التعامل مع نفسه ولكي يستطيعا أن يتعاملا أحدهما مع الآخر وبه رقيه!

ولم يكن ممكناً أن توجد هذه الجهالات والضلالات والبلادات التي تستطيع أو يؤمل فيها أن تصنع هذا التخدير والتضليل والخداع والإسكات والإرهاق بكل القسوة والجبروت.

- لم يكن ممكناً أو مؤملاً أن توجد بكل شروطها وأوصافها وقوتها وشمولها وطول بقائها إلا في هذه الألوهيات والنبوات والكتب المقدسة المنزلة من فوق النجوم ووراء النجوم ومن فوق كل شيء وأيضاً من تحت كل شيء!

.. لهذا كان محتوماً أو معقولاً أن تشكر الحياة لنفسها ولمن يحيها هذا التخدير والتضليل والخداع والإسكات والشغل والإنهاء والتعويض بل والتنويم والتحميت باختراعها العجيب الشاذ المؤلم الذكي الغبي جداً، بل العبقري جداً في قدرته الفاجعة الفاضحة أي بابتكارها للآلهة والأنبياء والأديان والكتب التي أوحتها الأمية والجهل والعجز والضياع والآلام والمخاوف والاحتلام إلى التعصب والأحقاد والبغضاء لتتحول إلى محارِب ومناير وعداوات وخصومات وملاعنة وانقسامات مقدسة، وإلى حروب، حروب تجند لها وتقاتلها وتقاتل فيها كل عضلات كل الآلهة وعقولها وضمائرنا وأخلاقيها وكبرياتها!

.. هذا أحد التفسيرات.. وتفسير آخر..

التفسير الآخر يقول بكل الاقتناع والإصرار والانفجاع: لقد ابتكرت أو اخترعت أو توقعت وتصوّرت واعتقدت وأعلنت الحياة الآلهة والأنبياء والأديان والكتب المقدسة والمعلمين المقربين لهم ولها لكي تشوّع وتعذب وتضلل وتفتت نفسها عقاباً لها أي لنفسها على مجيئها وعلى عدوانها وإبذائها وتعذيبها وتوريطها لمن جاءت إليهم واحتلت أجسامهم وذواتهم بكل الرقاعة والبذاءة والوحشية والعدوانية ليصبحو أحياء لكي يعدّبو ويشوّهو ويعاقبو بكل ما يعاقب ويعذب ويشوّه به كل كائن

حي...! أجل هل وجد أو هل يمكن أن يوجد أو يتصور عدوان بذية بليد وقع نذل لئيم مثل مجيء الحياة إلى ذات أو جسد أو شيء هادئ مستريح نائم ساكن مسترخ بريء من كل الخطايا والأخطاء والمخاوف والأحقاد والبغضاء والآلام والآثام والفضائح والعورات لكي تسكنه أو تحتله ليصبح كائناً حياً ليواجه ويمارس ويعامل ويرى ويسمع ويقرأ ويفسر ويفهم ويتقنل ويعايش ويعيش ويخوض كل ذلك بكل صيغ وتفسيرات الانقضاء والنزق والهوان والإلزام والالتزام والاستسلام، بل ليصبح منتجاً مبتكراً مصدراً لكل هذه العاهات والآفات والقبايح والفضائح مزروعاً فيها مباحياً بها بل مصلحاً عابداً هانفاً لها، مستغلاً متوضئاً بأثامها وعفوناتها!.

أليس أتقى وأشهر وأدوم الاغتسال والتوضؤ هما الاغتسال والتوضؤ بأفصح العفونات والآثام؟ أليست أعلى سموات التوحيد هي أبط الهبوط إلى حضيض الوثنية؟

.. فهذا التفسير يقول إن الحياة لم تجد أو تعرف عقاباً جيداً قاسياً ملائماً تعاقب به نفسها جزاء لها على ظلمها وإذائها وتعذيبها وتوريطها لنفسها لمجيئها ولقبولها أن تجيء وعلى ظلمها وإذائها وتعذيبها وتوريطها لمن جاءت إليهم ليصبحوا أحياء...

أو تعاقب به الأحياء الذين قبلوها أي الحياة واستقبلوها آتية إليهم ليصبحوا أحياء، لتقاسي وليقاسوا كل التعذيب والتوريع لأنها عاشت بهم وفيهم وأصبحوا أحياء بها وفيها، ولو أنهم أي الأحياء رفضوا قبولها واستقبالها لما وجدت، لماتت أي الحياة، وحينئذ لن يوجد شيء من هذا التعذيب والتوريع والتفجيع والتوريط والتفجع وتتفجع بها الحياة وكذلك الأحياء، كل الأحياء، كل الأحياء صعوداً إلى الإله وهبوطاً إلى أردأ وأصغر الحشرات.

- نعم، هذا التفسير يقول يقيناً أو احتمالاً، وحرصاً وعجزاً عن المعرفة المستيقنة - يقول: إن الحياة لم تستطع أن تجد أو تعرف أو حتى تتصور عقاباً لهذه الجريمة أي لجريمة وجودها ومجيئها وجريمة تقبلها واستقبالها غير أن تبكر الآلهة والأنبياء والأديان والكتب المقدسة المنزلة بكل مفسريهم ومعلميهم وبكل مفسريها ومعلميها ليكونوا ولتكون كل هذا العقاب بأعلى وأقصى وأشمل وأدوم نماذجهم وتفسيره وأخلاقه ومستوياته... أليس عقاباً جيداً لا ينافسه في قوته وقسوته أي عقاب آخر! لعل كل تجارب الحياة لم تجد عقاباً يساوي هذا العقاب في المعنى المراد به ومنه!

كيف عجز كل الأحياء حتى الأنبياء والشعراء والعباقرة عن أن يفهموا أن التعذيب والعقاب بالحياة أي بتحويل الكائن الموجود كائناً حياً هو أقصى وأفجع تعذيب وعقاب؟ كيف أمكن ذلك؟

وأيهما أكثر وأقوى تعاملًا وتخطياً وتقاهماً وتصادقاً مع المنطق بكل أخلاقه ومستوياته وتاريخه: أن يكون هذا العقاب هو عقاب الحياة تعاقب به نفسها وتعاقب به الكائن الحي الذي تقبل مجيئها إليه والذي استقبلها آتية إليه ومحتلة له فاعلة متورطة به، محوَّضاً لها على أن تجيء إليه غازية محتلة لتشفى به ويشقى بها بلا علاج إلا بالفراق، أم أن يكون عقاب الكائن الحي لنفسه وللحياة. لنفسه وللحياة.. للحياة لأنها جاءت إليه، ولنفسه لأنه تقبل مجيئها إليه بل ولأنه استقبلها وحولها إلى ضيف

والى ساكن في ذاته ليفعل بها وتنفعل به أو لأنه لم يستطع أو يرد رفض مجيئها إليه جهلاً أو جبناً أو لأسباب رديئة أخرى؟

ما أكثر الأسباب الأخرى التي يفتر بها ما لا تفسير له!

أليس غزو واحتلال الحياة لأية ذات أو جسد ليصبح محكوماً بالحياة ومحكوماً عليه بها هما أردأ وأقسى أنواع الغزو والاحتلال بل أليسا هما كل الغزو والاحتلال وكل أسباب ومسوغات الغزو والاحتلال وكل الشعور بهما والمقاساة لهما؟

.. إنه لن يكون غزو ولا احتلال ولا غزاة ولا محتلون ولا مهانون أو معذبون بهما أو محتاجون إليهما أو قادرون عليهما.

- إنه لن يكون ذلك ولا شيء منه لولا غزو الحياة واحتلالها للذوات والأجسام. إذن كيف لا يعلن عالمياً بل وكونياً أنه لا غزو ولا احتلال لولا غزو الحياة واحتلالها للأجسام؟

.. ثم أليس استسلام الذات والجسد لغزو واحتلال الحياة له هو أقيح وأضعف وأخطر أنواع الاستسلام للغزاة والمحتلين؟ إن تسليم الذات أو الجسد لتحتله الحياة لهر تسليم فيه كل معاني الجبن والمعجز والهوان.. إنه لم يوجد ولن يوجد غزو واحتلال فيهما من الآلام والآثام والهوان مثل غزو واحتلال الحياة للأجسام. إن في ذلك كل ذلك، وإنه لا شيء من ذلك لولاهما أي لولا غزو واحتلال الحياة للذوات!

آه. أين أنا؟ أين أنا الآن؟

هل أجد نفسي، ذاتي.. شيئاً من نفسي وذاتي لكي أقول: اسمعوا، اسمعوا. ولا بد أن تفجعوا لو استطعتم أن تسمعوا!

.. اسمعوا، اسمعوا. هذا الهول، الهول... أنا لا أكفر ولم أكفر ولا أعصي أو أخطيء أو أقيح أو أفتضح أو أجن أو أهون أو أكذب أو أرذل أو أهان أو أهين أو أظلم أو أظلم أو أشوه أو أنشوه أو ألوث أو ألوث أو أشتم أو أشتم أو أغضب أو أغضب أو أغضب أو أخرج أو أخرج أو أخرج أو ألوث عينيه أي عيني الإله أو عقله أو ضميره أو أخلاقه أو كرامته أو كبريائه أو نظافته أو استحيائه أو وقاره أو تقواه أو شرفه أو هذوه أو رضاه عن نفسه أو تحديفه في جمال وجهه أو أن أمرض أو أشيخ أو أموت أو أتحول إلى أقيح وأقسى العاهات والنشوهات والانتهاكات واللعنات في وجوه وعيون وأخلاق وعقول وضماير كل شيء وكل أحد.. كل الألوهيات والنبوات والمؤمنين بها الآتين ليفتسروها ويعلموها ويمجدوها.. كل الشموس والنجوم والسحاب والحقول والصحارى - أنا لا أكون شيئاً من ذلك ولا أستطيع أن أكونه ولا أنوي أو أريد أن أكونه إلا لأنني أحياء.. إلا لأنني مصاب بالحياة محتل بها، هل عرف ذلك أحد؟ كيف لم يعرفه كل أحد؟ هل يقبل أي كائن أن يكون حياً أو أن يصاب بالحياة أي كائن إن كان قد عرف ذلك؟

.. إذن هل مثل الحياة قبحاً وفضحاً وخطايا وأخطاء وتعدياً وتشوهاً؟ هل غير الحياة شيء من ذلك؟ هل شيء من الحياة ليس كل ذلك؟

هل شيء غير الحياة يفعل أو يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أو يقبل أن يفعله أو يحتمل أو يخاف أن يفعله أو أن يتهم بفعله؟

كيف أمكن أن يخفى شيء من ذلك على أحد؟ كيف أغلقت بل قتلت أمام هذه المفاجعة كل العيون والمقولات والضمائر والحواس والأحاسيس؟ كيف خفي على الآلهة والأنبياء والأتقياء والأصفياء والأقوياء والعباقرة والشعراء المتعبدون المعذبين بتعذيبهم الدائم المحرق المحترق في عيون وأحزان وآلام وتشوهات وأخطاء وخطايا وفضائح وعار السموس والتجور والحشرات وكل الكائنات، وفي قراءتهم وتفسيرهم لها.. رثاء وانفجاعات وإشفاقاً ورفضاً وغضباً واستنكاراً وطمهارة ونبلاً؟ أليس التحديق الرافض الغاضب المقاوم في الآثام والآلام والتشوهات والفضائح والأخطاء تقى ونبلاً وطمهارة وحباً؟ أليست الرؤية المحاربة تدبناً لم تعرفه السماء؟

.. كيف خفي على كل هؤلاء أو على أحد منهم أنه لا أنبل أو أفضل أو أتقى أو أقوى أو أكثر أو أصدق احتراماً لكل المعاني الجيدة ورفضاً واجتناباً لكل المعاني الرديئة القبيحة البليدة السفينة من رفض الحياة ومقاومتها بل وأنه لا رفض ولا مقاومة لشيء من هذه المعاني الشريرة الرديئة الأليمة الفاضحة المذلة إلا بكل هذا الرفض والمقاومة للحياة وأن تقبل الحياة تقبل لكل هذه المعاني المذمومة المشتومة المحرمة في كل التعاليم بل والتزام بها؟

.. كيف لم يسأل نفسه الإله أو أي نبي أو تقي أو شريف أو كريم أو نظيف أو حي القلب أو الضمير أو الخلق أو الرؤية أو العاطفة أو المحاسبة هذه المسألة ناطقاً أو غير ناطق: لو لم أعاقب بفرض الحياة علي فهل كان ممكناً أن أرى أو أقرأ أو أواجه أو أعاش أو أعرف أو أسكن أو أحب أو أعشق أو أريد أو أفعل أو أرفض أو أقبل أو أغفر أي شيء أو نوع من الأخطاء أو الخطايا أو الحماقات أو التفاهات أو القبايح أو الفضائح أو الهوان أو الهزائم أو الآلام أو التحقير أو الاحتقار أو أن أعير أو أنهم بشيء منه أو أن أخاف أو أتوقع أو أنتظر شيئاً من ذلك أو أن أكون مسؤولاً عن شيء من ذلك أو محاسباً عليه أو مفترساً أو مرتباً أو مذكوراً أو مذكراً به أو مطالباً مرجواً للإنقاذ منه عاجزاً عن هذا الإنقاذ؟

إنه سؤال لا يطاق أو يغفر الصمت عنه كما لا تطاق مواجهته أو التعامل به.

.. وماذا لو أن هؤلاء أو بعضهم تساءلوا هذا التساؤل؟

ماذا يحتمل أو ينتظر أن يكون جواب من يتساءلون منهم هذا التساؤل.. جوابهم العملي أو الفكري أو الأخلاقي أو العاطفي أو النفسي أو حتى الديني؟ وهل وجد تساؤل ديني؟ وهل يبقى أي دين حييلاً؟

إنه لصعب وعذاب أن يجدوا هذا الجواب وإنه لصعب وموت ألا يجدوه.

.. الإله يحيا حياة ليست حياة كل الأحياء إلا شيئاً من نبضاتها أو ضحكاتها أو مزحاتها أو بصقاتها أو عطساتها أو سعالها أو مداعباتها أو لعباتها وملاعباتها أو قباحاتها أو سخافاتنا أو بلاهاتها أو آثامها أو شهقاتها أو استمراضاتها أو تسليةها ومينمالياتها..

.. إذن قهر أي الإله لأنه يحيا هذه الحياة يواجه في كل أوقاته ويعايش ويعيش ويساكن ويمارس ويرى ويسمع ويقرأ ويخاطب ويعرف ويعاشر ويصارع ويصادم ويشتاق ويخاصم ويضاجع بل ويعشق ويريد ويخطط ويقبل تحت أنقى الضغوط النفسية والعقلية والأخلاقية كل أوقاته بكل حواسه وأحاسيسه ومعانيه كل هذه الآثام والآلام والآفات بكل صيغها وتفسيرها وتعبيراتها ولغاتها وصراخها وكبرياتها.١

نعم، الإله يحيا هذه الحياة بكل هذه التفسير والصيغ والمعاني والأهوال.١
.. إذن هل يستطيع خسران كل الأحياء بحياتهم مجتمعاً مجتمعاً ومفترقاً مفترقاً في كل ذوات كل الأحياء وفي كل تاريخهم أن يساوي شيئاً من خسارته أي خسران الإله بحياته.. بلحظة من لحظات حياته؟

من أراد ودّر للإله كل هذا الخسران؟ من هو؟ من هو؟

.. كل العار والافتضاح بل والإشفاق والرتاء لهذا الإله ولكل أنبيائه وأوليائه وخبرائه وشعرائه وأصدقائه وحراسه وأعدائه ومدليه ومفرحيه ولكل خائزي وصانعي خبز وأفيون! فرحه ومرحه وسروره وضحكه ونومه وتخديره وغيبوبته عن نفسه وعن كل شيء.. عن رؤيته لنفسه أو لأي شيء. لكل واضعي كل الأساور في يديه وكل القلائد والآلئاء والجواهر في عنقه وكل العطور في أنفه وفي نسج عرشه.

- نعم، كل العار والافتضاح والإشفاق والرتاء والبكاء لكل هؤلاء إن كانوا لم يفظنوا إلى هذا الخسران للإله بحياته أو إن كانوا قد فطنوا إليه ثم تقبلوا أن يقاسيه أي تقبلوا أن يحيا أي الإله ويظل حياً ليظل يقاسيه دون أن يرفضوا احتمال يقائه حياً، ولو بنفي ورفض كل معاني الاحتمال أن يكون قد وجد، ولو بمطالبته بالانتحار، ولو بإطلاق كل أسلحة القتل والموت عليه إنقاذاً ورحمة له وبه من هذا الخسران.. من هذا الخسران بحياته.. بكونه موجوداً وموجوداً حياً، وحيلاً لا يزال حياً وسوف يظل حياً؟

.. الإله وجد ووجد حياً ليظل حياً أبداً ليقاسي كل ذلك، كل مقاساته هذه بلا خلاص أو إنقاذ ولو بالموت أو القتل أو الانتحار أو الهرب أو النفي.١

هل تستطيع كل التصورات المصابة بكل البشاعات والمبتكرة لكل البشاعات والمتغذية والسعيدة بكل البشاعات والفتاعات أن تتذكر بل أو تتصور مثل هذه البشاعة والفتاعة؟



وهنا بكل الروع والهول والانفجاع للعرض ونقرأ هذا التصور:

نعم، هنا حرب رهيبه تتعامل وتعمل بكل أسلحة التدمير والتحطيم والقتل والتشويه والتعجير والترويع والتشريد والإذلال والإفقار والتجويع وبكل نيات وحوافر ذلك.. قاعلة محدثة كل ذلك ومريدة أن تقعله وتحديثه بكل شيء وكل أحد.. بكل المدن والقرى

وبكل ما فيها من بيوت ومعابد ومتاجر وأغذية ومصاحف وتوراة وأناجيل وكتب أخرى دينية وأخرى غير دينية هي أنقى وأصفى وأصدق وأعلم من الكتب الدينية.!

.. بكل الحقوق والبساتين بكل ما فيها وعليها حتى من الحيوانات الطيبة البريفة المؤمنة المتدينة بكل الصدق التي لا تدري ولن تدري ما الذي يحدث أو لماذا يحدث ولا لماذا كانت ولا لماذا هي هنا.. آه. الحيوانات، هل وجد أو يمكن أن يوجد أنقى أو أصفى أو أنقى أو أنبل أو حتى أدكى منها أي الذكاء النفسي والسلوكي والأخلاقي بل والديني والإنساني بلا أي كذب أو نفاق؟

.. بكل الشيوخ والأطفال والنساء والرجال والمرضى والمشوهين والعاجزين والمقعدين والمصلين الراكعين الساجدين القارئین لكتبهم المقدسة.. المتطلعين إلى السماء عاتقين داعين منادين منتظرين لكل آلهتهم: أن تظهر وتحضر، أو أن تفعل غائبة محتجبة عن كل العيون بل وعن كل العقول والقلوب والضمائر والأخلاق.. أن تفعل أي نصر أو عزيمة.. أي هدم أو بناء.. أي عطاء أو منع.. أن تفعل أي شيء بل كل شيء مما يجب ويرجى ويطلب منها أن تفعله.

.. خائفة مستحبة أن تظهر أو ترى، أو مشغولة بالحدث إلى نفسها وبالتحديق فيها وبمغازلتها وتدلليها وإرضائها والفرح والإعجاب بها أي بنفسها عن كل أحد وكل شيء.. عن أن تظهر وتحضر أو أن تفكر في ذلك أو تفعل أي شيء مما يطلب ويرجى منها..! هل وجد أو يتصور مشغول عما يجب أن يشغل به مثل الآلهة أو غيرها؟

.. هذه الحرب قائمة ومشتعلة ولا تزال قائمة ومشتعلة بكل فجور وجنون وآثام وأهوال وويلات وجرائم وبغضاء وأحقاد الحروب كل الحروب دون أن توجد أو ترى أو تنتظر أو تعلن أو تعرف أو تدعى أية حماية عقلية أو أخلاقية أو حضارية أو إنسانية أو حتى دينية أو طبيعية أو إلهية أو سمائية أو فلكية أو من أي كون آخر من خلق أو من عبث ولعب أي آلهة آخرين.

.. دون أن توجد أو تنتظر أية أجهزة إطفاء أو إنقاذ من أي نوع بأي أسلوب أو حتى وعد بشيء من ذلك.

حتى السحاب والشموس والنجوم تطل وتمر فوقها أي فوق هذه الحرب ناظرة آتية ذاهبة عائدة بكل الصمت والبله والبلادة والتبذد والنذالة دون أن تفعل أو تقول شيئاً أو تغضب أو تحزن أو تحتج أو تكف عن الطلوع والمجيء رفضاً للرؤية والمواجهة وبراءة من الاتهام.. دون أن تحاسب أي الشمس والسحاب والنجوم أو حتى تسائل صانعيها: كيف فعل ذلك أو كيف لا يفعل شيئاً لئلا يمنع هذه الحرب.. كيف يطبق رؤيتها ومواجهتها ومعرفة أهوالها حتى ولو رائيها مشاهداً غير فاعل أو مسؤول.. أليس المشاهد الرائي للقيح والسوء بصمت بكل تفاسير الصمت بكل معاني الذات فاعلاً لذلك بأسلوب وتفسير ما؟

.. رهبة وفاجعة هي بلاهات وبلادات وصمت وهوان واستسلام وجبن وضلال كائنات هذا الكون.. في كل صيغها وتفسيرها وأخلاقها وتعبيراتها.. رائية ومرئية.. طالعة وغائبة.. متحركة وساكنة

مظلمة ومضيئة.. جميلة ودميمة.. محيية وقاتلة. إنها أي هذه الكائنات لهي في أضخم وأعظم كينوناتها أرداً منها في أصغر وأتفه كينوناتها!

.. لقد صممت بكل العبقرية الأليمة اللثيمة الشريرة البليدة لتكون هذه الكينونة الصانعة المبدعة الواهبة لكل الانفجاع والغيظ والغضب والعذاب والذعر والهوان والضيق والقيح والعبث..
ولتكون الوالدة الباصقة الموقدة لهذه الحرب المتخلفة المولودة من أعضائها وطاقتها وأخلاقتها وقبحها ووحشيتها والعاملة الضارية بأعضائها وطاقتها وأخلاقتها وبكل قبحها ووحشيتها وجهالاتها وبلاداتها..!

أليس الخالق خالقاً لمخلوقات مخلوقه، والوالد والداً لأولاد مولوده، والفاعل فاعلاً لأخلاق وأفعال وقدرات وخصائص وسمات مفعوله، والصانع صانعاً لميوب صنعته؟



.. ولكن هل وجدت هذه الحرب؟ وأين وجدت إن كانت قد وجدت؟ وهل وجدت في هذا العالم، في هذا الكون؟

وهل وجدت إن كانت قد وجدت بكل هذه الأوصاف والظروف والأساليب؟

.. إذن أين كان إله هذا الكون إن كانت قد وجدت، وأين كان حين وجدت، وكيف جرّوت أن توجد مهما قيل جواباً عن سؤال أين كان إله هذا الكون حين وجدت؟ فهل يمكن أن تكون قد وجدت وكما وجدت إن كان إله هذا الكون قد وجد؟

.. كيف جرّوت أي هذه الحرب أن تسقط بكل قبحها وفحشها ونذالاتها وجرائمها في عيني الإله أو في ضميره أو عقله أو قلبه أو أن تواجه وتتحدى وتشوّه وتصدّم وتشتّم أخلاقه وكبرياءه وحنانه وحكمته ورحمته وشهامته، أو أن يزار أي صوت من أصواتها في أذنيه المهدبتين الغنائيتين الفنانيتين المحترقتين رقة وشاعرية وتقوى وحباً؟ وهل هناك ما تجب له أقوى وأتقى الحراسات مثل أذني الإله وكل حواسه وأحاسيسه.. أو أن تقتحم وتفسد عليه شيئاً من استرخائه وكسله وهذونه وفرحه ومرحه وخلوته بأعوانه وأخذانه بكل الكبرياء وبكل الرضا عن النفس والإعجاب بها..

.. كيف جرّو أو يجرّو أي فبح أو فحش أو لؤم أن يكون موجوداً مرئياً أو مسموعاً أو معروضاً أو مروباً أو معروفاً حيث يمكن أن يراه أو يعرفه أو يسمعه أو يسمع عنه أو يواجهه أو يعايشه أو يقرأه أو ينهم أو يقجع به الإله، أو أن يقال هذا من خلقه أو من تخطيطه وتدبيره وإرادته أو من حكمته ورحمته، أو مما يصنع له الفرح والرضا والسعادة والمجد. أليس وجود ذلك يعني حتماً أن يقال كل هذا القول أو بعضه؟

.. أه. أين مكان الإله ومكانته من هذه الحرب وما رأيه فيها وما مشاعره بها ولها وإليها وعنهما؟

أليس محتوماً أن يكون له أي للإله في هذه الحرب وفي كل شيء مكان ومكانة ورأي ومشاعر وموقف فعلي أو أخلاقي وعاطفي ونفسي ومنطقي أي على حساب أدنى المستويات؟

.. ولكن هل كل محتوم منطقاً وتفكيراً وتفسيراً وأخلاقاً محتوم واقعاً؟ هل كان يمكن أن يكون حينئذ قد وجد أي شيء مما وجد أو وجد كما وجد؟

أليس أبعد الأشياء عن الحتمية الواقعية هي الأشياء المحكومة والمقروءة والمفسرة بالحتمية المنطقية والعقلية والأخلاقية والتفسيرية أي لو وجدت هذه الحتمية؟

أليس منجيء كل شيء كما جاء قد أفسد كل الحسابات والحتميات العقلية والأخلاقية والجمالية؟

.. لا بد أن يكون هنا افتراضان أو تفسيران لموقف ومكان ومكانة الإله من هذه الحرب التي قد ثبت أنها قد وجدت وأنها لا تزال موجودة مشغلة بكل بشاعاتها وأهوالها وآثامها وجرائمها..!

افتراض أو تفسير يقول إن الإله يريدنا أي هذه الحرب ويسعد ويفرح ويتسلى ويتغذى ويتغنى بها وبرؤية ومواجهة آلامها وبشاعاتها وآثامها وإلّا لأطفأها أو وقفها ومنعها.. بل إنه هو مدبرها ومخططها ومريدها والآمر بها والمحرض عليها والصانع لكل أسبابها وظروفها وحوائرها والقدرة عليها والإرادة لها وإلّا لما وجدت أو يمكن أن توجد..! الإله يرفض بل يعلن ويحقت هذه الحرب بكل تفاسيره وحساباته..!

أيمكن هذا؟ إذن لماذا لم يمنعها أو يطفئها؟ أعاجز أم مهمل أو مشغول أم كسول أم ماذا؟ إذن هو يريدنا بل ويقايل لكي تكون وتبقى..! وهذا الافتراض أو التفسير للإله في موقفه من قضية هذه الحرب لن يستطيع أي شيء من الحسابات أو الافتراضات أو الرؤى أو حتى من الأمناني والتحويلات والدروشات العقلية أو التصورية أو الأخلاقية أو النفسية أو الإنسانية أو حتى الدينية أن يجد غيره مهما حاول وأراد وتمنى وناضل لكي يجد غيره. إن الإله نفسه لو أراد أن يفهم أنه أي هو يرفض وينكر هذه الحرب ثم لا يطفئها أو يمنعها لما استطاع أن يفهم ذلك..!

.. ولكن كم هو فظيع وقاجع وبشع أن يكون هذا الافتراض أو التفسير افتراضاً للإله أو تفسيراً له في هذه القضية أو في أية قضية أخرى..!

بل كم هو بشع وفظيع وقاجع أن يكون افتراضاً في أي كائن آخر أو تفسيراً له. الإله يريد هذه الحرب ويسعد بها ويتناضل لتوجد وتبقى..!

من صاغ ذات الإله هذه الصياغة التي لا نموذج لها في القبح والبشاعة والشذوذ؟

.. أما الافتراض أو التفسير الآخر للإله في هذه القضية أي في هذه الحرب فإنه يقول إن الإله بكل الانفجاع والغضب والحزم والشهامة والبسالة والاستحياء والكبرياء بل وبكل التقوى والحماس يرفض وينكر ويمقت ويلعن هذه الحرب.. إنه يتعذب ويراع ويهان ويشوّه ويحقّر ويهزم ويشتم بها.. بكل حواسه وأحاسيسه.. من كل آفاقه واتجاهاته والتفانيات.. إنها إهانة وإذلال وهجاء وتحقير وسياب وانهاام وقضيحة وهزيمة وفجيعة بلا حدود بكل المقاييس والتفاسير والحسابات.. إنها كل ذلك بل وأفظع من كل ذلك لكل معانيه..!

.. إنه يقاسي كل ذلك بعدد التفسير والحسابات..

.. إنه يقاسيه بكل أهواله وبشاعاته وعاره لأنه غريق ومحاصر برؤيته وبقرائه ومواجهته ومعايشته له وبكونه فوقه وفيه ومع كل كينوناته ومكانته وزمانه ومكانه. إن كل جثث وجراح وتشوهات وآفات وصرخات وضربات هذه الحرب تتساقط فوق ذاته وكل معانيه! إنه إذن لا عذاب مثل عذابه بكل معاني العذاب ما لم يكن حجراً أي الإله..! ويحق للحجر أن يحاسبنا على ظلمنا له لحسابنا أن تحجره أنفسنا من تحجر إله هذا الكون!

.. وإنه أيضاً يقاسيه.. يقاسي كل أهوال وآثام ونذالات هذه الحرب لأنه هو موقدها ومخطئها ومديرها والمتهم بها المسؤول عنها والراضي الصامت عنها أو لأنه هكذا يرى أو يجب أن يرى مع أنه يرفضها وينكرها وينهى عنها ويفجع ويتعذب بها..

وأيضاً لأنها أي هذه الحرب تقع في مملكته، في كونه.. في الكون الذي صنعه هو وتوقد وتسليح وتحرض بالمواد التي خلقها هو ووضع فيها كل طاقاتها.. كل طاقات الضرب والاشتعال.. وأيضاً لأنه يرفضها وينكرها ولكنه لا يستطيع أن يطفئها أو يمنعها أو لا يريد ذلك أو لا يستطيع أن يريده أو يريده ولكنه لا يستطيع أن ينقذ إرادته أو يرفض تنفيذها لأن في ذاته قوى ترفض وتقاوم ذلك.. لأن في ذاته قوى متناقضة متصادمة!..

إنه لا شيء يتجتمع فيه كل التناقض والتصادم غير ذات الإله!.

كيف ذلك؟ كيف يمكن فهمه بل أو تصوّره؟

.. كائن كامل في كل معانيه وأخلاقه ونياته ورغباته وخوافزه كملاً مطلقاً وقادر قدرة مطلقة دون أن يوجد معارضون أو منافسون أو مقاومون أو حتى نافقون أو مصححون له أو مطالبون بالتصحيح دون أن يخشى أو يحتمل أن يوجد أي شيء من ذلك..

هذا الكائن الفاجع العذل لكل الاحتمالات والتصورات والحسابات يريد شيئاً بل يعيشه ويمجده ويتمناه ويحترق شوقاً إليه وأملًا فيه وانتظاراً لتحقيقه ومجيئه، ويقاسي كل المقاساة تفكيراً وتخطيطاً وتديباً وتذلاً واحتيالاً وإنفاقاً في إرسال الرسل وإنزال الكتب والأديان والتعاليم والتهاويل وفي تشييد المعابد والمنابر وصياغة اللعنات والتهديدات والعداوات والسفاهات.. لتعليم ذلك الشيء وللأمر به وللدعوة إليه وللتفسير وإعلان مزاياه وعطاياه..

وأيضاً لإعلان وتبيان الأهوال والدمار والفواجع والأضرار التي لا بد أن تحل بهذا الكون وبكل كون آخر وبكل ما فيه ومن فيه ما لم يفعل ويتصر ذلك الشيء بل ويتعذب ويهون كل العذاب وكل الهوان أي ذلك الكائن الفاجع المهيمن الهازم المحقر لكل الحسابات المنطقية والأخلاقية والفنية ما لم يحدث ويفعل ويتصر أي ذلك الشيء ولأن ذلك الشيء لم يتحقق.. ذلك الشيء الذي من أجله تحوّل ذلك الكائن أي الإله إلى لبي ومعلم وأستاذ وفقه وواعظ وشاعر وإلى منبر وخطيب وإلى ملاك وشيطان لكي يحرض على تحقيقه ويغري بتحقيقه وأملًا في تحقيقه.. بل تحوّل إلى متعبد متخضع

متملق إلى من يرجوه أن يفعل ذلك الشيء.. إلى راعع على الأبواب يدقها بكل الديمومة والمسكنة مؤملاً الاستجابة!

.. بل تحوّل أي ذلك الكائن أي الإله إلى مهندس وعامل وبناء ليصنع ما سقاه فردوساً ليملاؤه بالفلمان والخوريات والمضاجع المغموسة بكل ما في تصورات الإله وأمانيه وأشواقه من معاني الجنس وصيغه وصوره وتصوّراته وحركاته وبالأشياء الأخرى الملائمة والمحقة لكل صيغ الانقضاح وتفسيره..!

تحوّل إلى كل ذلك أملاً في أن يكون ذلك الشيء لكي يراه ويسعد ويفرح ويتغذى ويتعزى ويتداوى ويتغنى به.. برؤيته وكيونته ومواجهته ومعاشته ومعاشرته وبالمباهاة به وبعقريته التي تصوره وأرادته وخططته وصاغته وصنعتة وقدرت عليه.. ذلك الشيء الذي لن يجد لوجوده معنى أو لُماً أو وظيفة لولاه ولولا محاولة تحقيقه..

.. هذا الشيء الذي يحشد هذا الكائن أي الإله كل هذه الحشود بكل هذه المعاناة لكي يكون لا يكون، لا يكون لأن هذا الكائن أي هذا الإله لا يجعله يكون أو يأذن له بأن يكون.. بأن يكون بيديه أو إرادته أو بنياته، ولا بأيدي أو نيات أو إرادات من يطالبهم بأن يفعلوه ويلعنهم ويهددهم بكل العقوبات إن لم يفعلوه.. ولكنه قد يقاتلهم لو خاف أن يفعلوه لئلا يفعلوه.. ولكنه قد يصوغ نفسه وكل شيء صياغات أخرى لئلا يفعلوه لو توقع أن يفعلوه. بل لأن هذا الكائن يصنع ويقسم كل الأسباب والحوافز والنيات والمعوقات والسدود والقيود التي تمنع أن يكون أي هذا الشيء أو أن يريد فعله أو يستطيع فعله من يطالبهم ويكلفهم بفعله...! بل إنه قد يصاب بالجنون وبكل الاحتمالات الأخرى الفظيمة لو ظن أنهم قد يفعلون ما يطالبهم أن يفعلوه!

.. هكذا يجيء تصرفه وتعامله مع الشيء الذي يريده ويطلب به بكل الأساليب والوسائل بل ويتعذب عضياً وغيظاً وشعوراً بالهوان والهوان إذا لم يتحقق!

إنها لقضية فاجعة مهينة لكل الحسابات والتفسير. حتى لقد كان المفروض ألا يوجد من يستطيع أن يقرأها أو يسمعها أو يتصوّرها فكيف يعقلها أو يقبلها أو يفهمها أو يدسرها؟

.. أما النقيض أي ما يكرهه ويلعنه ويقاومه تعليماً ووعظاً وتهديداً بكل القسوة والهدير والزئير والتهويل والانزعاج والانفجاع فإنه هو الذي يقع ويدوم ويسطر دون أن يمنعه أو يضعفه أو حتى يذلّه أو يخيفه أو يحدد زمانه أو مكانه أو سلطانه أو يساعد على شيء من ذلك بل أو لا يساعد ويحرض ويغري ويغوي لكي يكون كل ذلك أي كل النقيض، إنها لن توجد صيغة أو تتصور صيغة لمعاداة النفس مثل ذلك أي مثل تعامل الإله مع نفسه!

.. ما التفسير لهذا الذي يجب ألا يكون له تفسير.. لهذا الذي لا تستطيع كل التفسير أن تكون شيئاً من تفسيره أو تقبل أن تكون ذلك.. لهذا الذي لو قسر لأصبح تفسيره هجاء وإسقاطاً لكل التفسير؟ من أول من ابتكر التفسير؟ هل كان مبتكرها مبتكراً أم متحدثاً عن عجزه وحيرته وانفجاعه وضياعه؟

.. كائن قادر قدرة مطلقة في كل معانيه المادية والمعنوية بلا أي منافس أو منازع أو قادر على أن يكون ذلك.. بلا أي احتمال أن تقع ثورة أو انقلاب أو تمرد لإسقاطه أو لإرهابه أو لإصلاحه أو تصحيحه أو زجره أو إلزامه بشيء..!

هذا الكائن يريد ويخطط ويدير ويصنع كوناً.. يفعل ذلك بكل الحرية والقدرة والبصيرة والذكاء وبكل إرادة ومشاعر الحب للجمال والكمال والعطاء والإسعاد والتفصيل بكل صيغ ذلك وتفسيره وتعبيراته..

مالعاً كونه هذا بكل الكائنات المختلفة المتفاوتة المتعددة الأجناس والكينونات والصفات والألوان.. مالعاً أي هذا الكائن كونه بكل هذه الكائنات باختيار وتفكير وتدير وأخلاق وعضلات ونيات وضمير وقلب وعقل..! كائن كامل كمالاً مطلقاً حتى في رؤاه وأشواقه الجمالية والفنية، بل إنه أول مخطط ومعلم ومبتكر لكل شروط وقواعد الجمال والفنون..!

.. ولكن ماذا يحدث ويحدث بعد أن صاغ هذا الكائن كونه هذا؟

حدث ويحدث دائماً أن ما يريده من كونه وما يحبه ويحترمه ويسعد ويفرح ويطلب ويأمر به ويتحمل أضخم وأثقل وأغلى التكاليف والوظائف والهموم لكي يكون هو الذي لا يكون بل ويدع ويحشد كل الأسباب والمعوقات التي تمنع بالحتم كينوته..

أما ما لا يريده أو يحترمه بل ما يتحول إلى أقسى الغيظ والغضب والأسى والهزاء والإهانة والهزيمة والتحقير والتحدي له والعدوان عليه والعصيان لكل أوامره ومطالبه وتعاليمه ونبواته وأنبيائه ولكل تمنياته وأشواقه ومسرته فهو الذي يكون.. فهو الذي يملأ ويشوّه كونه أبداً ويتفجر ويتساقط ويتزاحم ويصرخ أبداً في عينيه وأذنيه وقلبه وضميره.. مهيناً شامئاً لقوته وكرامته وشهامته وكبريائه، باصقاً بكل لغات الاستهزاء والتحدي على كل ثيابه وذاته ومعانيه..

باصقاً على كل محاربه ومنابره وعلى كل حروف ونصوص وصهيل وزئير ونعيب وأنين سور وآيات قرآنه.. محولاً كل جيوشه وحشوده واستعداداته إلى أدلّ الجيوش والحشود والاستعدادات.

.. إذن لنعد إلى السؤال.. لنقل ما التفسير لهذا.. لهذا الكائن أي المسمى والمزعوم إلهاً.. لهذا الذي لن تسخر أو تشق كل التفسيرات لتبه تفسيراً من تفاسيرها ولن تهون أو تصغر في رؤيتها لنفسها لتقبل أن يكون أحد تفاسيرها أو شيئاً من تفاسيرها. ومع هذا فلا بد أن يكون له تفسير بل كل التفسير وأقوى التفسير وأكثرها تكاليف وعدواناً على التفسير..

.. أليس كل شيء لا بد أن يكون له تفسير ومفسرون مهما كان بلا تفسير بل مهما كان رفضاً ونقضاً لكل التفسير؟

أليس ما لا تفسير له وما لا يمكن أن يكون له تفسير هو أكثر الأشياء تفاسير وأكثرها تعاملاً مع المفسرين والتفسير وأكثرها إنفاقاً على تفاسيره وعلى ابتكارها وتعليمها ومعاناة لها؟

.. لهذا أليست الآلهة هي أكثر وأقوى الأشياء والكائنات تفاسير ومفسرين بل وأقواها وأنتاها تفاسير ومفسرين؟ هل خسر الإنسان أو تعدّب أو أصيب بالبلادة والبله والضياع مثلما فعل وحدث له

وأصيب به حينما ذهب يفتر آلهته.. حينما ذهب يتألق ويتألق ويحلّق ويتزاحم ويتشائم في ابتكار وتجميع وتجميل وتصفيف وتعطير أنواع التفاسير لها أي لآلهته؟

هل خسر الإنسان عقله أو ذكاؤه أو أخلاقه أو صفاءه مثلما خسر كل ذلك في تفسيره لآلهته؟ أليست التفاسير عجزاً ورقصاً واستنكاراً واستيشاعاً وتناقضاً وتصادماً وانفجاعاً بل وتقاتلاً مع الذات ومع الآخرين وليست تفاسير؟ إن التفاسير ليست إلا رؤية وقراءة للمفتر وحديثاً عنه من خارجه لا في ذاته ولا لذاته ولا عن ذاته. إنها فيمن يفتر لا فيما يفتر.

.. لهذا أليست أكثر الأشياء احتياجاً إلى التفاسير هي أقيسها وأوقعها وأبلدها وأكثرها خروجاً على كل المعقول والمقبول والذكي والجميل والجيد؟

لهذا كم يجب الأسى والرتاء للإله بل والغضب عليه والانفجاع به لأن البشر كل البشر في كل تاريخهم لم يخسروا أو يتعذبوا أو يقاسوا أو ينفقوا أو يسفهاوا في شيء أو من أجل شيء مثلما فعلوا ومثلما حدث لهم في محاولاتهم أن يفشروه..!

أن يفشروا ما لا يمكن أن يكون له تفسير وما يتحول تفسيره إلى إسقاط لكل التفاسير..

.. بل إنهم في كل مراحل مسيرتهم الأليمة المضاعفة لم يقاسوا من الاختلاف والتعادي والمخاصمات والملاعنات والالتهامات والتباغض والتباهي والمبارزة مثلما قاسوا من كل ذلك في معاركهم الطويلة السخيفة الأليمة لابتكار التفاسير لآلهتهم أو لإلههم الواحد ولتفسير وتوكيد وإعلان ونشر هذه التفاسير وللحديث عنها مقاتلين هذه بهذه ومناصرين لهذه في مقاتلتها ومخاصمتها ومشاتمتها لتلك ولتبايها عليها، كم كانت قبيحة وسخيفة وفادحة ومهينة لتلك الممارك التي خاضها الإنسان مختلفاً متخاصماً متعادياً على تفاسيره لآلهته أو لإلهه.

.. إذن نعود إلى السؤال..

ما التفسير للإله في هذه القضية التي تعجز وترفض وتكبر كل التفاسير مهما رخصت وهانت وتواضعت وصغرت أن تكون تفسيراً لها أي له.. للإله؟

.. أريد أن أعصي كل التفاسير وأعتدي عليها وأحترق كل حدودها وشروطها وكرامتها وذكاها لأقول: قد يكون تفسير الإله في وطنه أو في مأساته أو في فضيحه هذه أن ذاته مؤلفة مجمعة مكونة بكل صيغها ومعانيها وتعبيراتها من كل التعارض والتناقض والتصادم والتخاصم بل والتقاتل والتعادي المتحول إلى التماح بل وإلى العجز والتعجز.

.. أليس كل ما في الكون وكل ما في كل شيء من تصادم وتناقض وتعاضد وتشتات بل وتقاتل وتماح بعض التعبير والتفسير عما في ذات مریده ومخططة وصائمه من ذلك؟

.. إن كل شيء فيه معارض ومناقض ومصادم ومقاوم لكل شيء فيه بل ومقاتل معادٍ منافس له..

.. إن كل قواه ومعانيه ضد كل قواه ومعانيه كما أنها أي كل قواه ومعانيه ضد نفسها. إنها

ليست حالة تضاد فقط بل وتماح وتقاتل وتشتات وتنافس بلا أي مثل أو نموذج.

.. إن إرادته ضد إرادته وقوته ضد قوته وحكمته ضد حكمته ورحمته ضد رحمته وعقله ضد عقله وحيه ضد حبه وعدله ضد عدله وضميره ضد ضميره وسخائه ضد سخائه وإن كل واحدة من هذه ضد الأخرى..

.. إن كل شيء فيه وكل معنى من معانيه ضد وعدو كل شيء فيه، كما أن كل شيء فيه وكل معنى من معانيه ضد نفسه وعدو نفسه ومقاوم معارض مقاتل مخاصم لنفسه!

إنها لا توجد ولم توجد حرب بكل معاني الحرب وتعبيراتها مثل الحرب في داخل ذاته!

.. إنه يريد ولا يفعل، ويفعل دون أن يريد، بل إنه يريد دون أن يريد أي ما لا يريد. إنه يريد ضد إرادته كما أنه يفعل ضد إرادته وضد رحمته وشهامته وضد تعاليمه..!

.. وإنه لا يريد ويفعل أي ويفعل ما لا يريد ويفعل ما لا يريد أن يريد وما لا يستطيع أن يريد، كما أنه لا يفعل حين يجب أن يفعل وحين يطلب أن يفعل ويطلب بالفعل وبأن يريد!

.. إنه يهب الحب لأنه يريد البغض، ويهب البغض لأنه يريد الحب، ويصنع النشوة والدمامة والضعف والهوان والهزائم لأنه يريد ويحب نقيض ذلك، ويفعل ويريد نقيضه لأنه يريد ويحب نقيضه ويخطط له! إنه يزرع الدمامة في الوجه لأنه يحب للجمال ولأنه يريد أن يزرع كل الجمال في ذلك الوجه الذي يزرع فيه كل الدمامة أو حين يجب أن يزرع فيه كل الجمال والصفاء والسرور والحب!

.. إنه يفعل حين يجب ألا يفعل وحين تقول الأخلاق والرحمة والشهامة لا تفعل، لا تفعل. وإنه لا يفعل حين يجب أن يفعل وحين تطالبه كل الأخلاق والرحمة والعدل وكل المعاني الجيدة بأن يفعل، يفعل!

.. إنه يصنع ويهب النصر والقوة والغنى والعزة والمجد حين يريد النقيض وحين يجب النقيض!

.. وإنه يهب ويصنع النقيض حين يريد وحين يجب ويطلب ويتنظر نقيض هذا النقيض! لنقرأ هذه النماذج..

إنه يكره ويلعن إبليس ويريد له الهزيمة بل ويطلب بهزيمته.. يطالب من لا يستطيعون هزيمته أن يهزموه.. ولكنه يخلفه ويخلده ويسلطه ويهبه القوة والخلود وكل أسباب وظروف وأسلحة الانتصار بل وكل عبقریات الانتصار وكل أمجاد المنتصر! إنه يفعل له أي لإبليس من ذلك ما لم يفعله لكل أنبيائه وأوليائه وأحبابه في كل تاريخه!

.. وإنه يريد لآدم.. للإنسان نقيض ذلك.. نقيض ما أراد لإبليس بل ويتمناه ويسعد ويفرح ويطلب به.. ولكنه يترك نقيض ما يريد هو الذي يحدث بل ويدبر ويساعد على حدوثه بل ويحدثه هو بأساليبه المختلفة القبيحة!

.. إنه يطالب عباده بأن يكونوا عباده وحده بكل تفاسير وصيغ العبودية، ويفرض عليهم ذلك.

ولكنهم لا يكونون كذلك لأنه لا يريد لهم أن يكونوا، أو لأنه يريد ولا يريد.. يريد إرادتين متناقضتين أو لأن حكمته وشهوته تعارضان وترفضان ونقاومان إرادته، أو لأنه يريد أن يسعد ويفرح برؤيته ما لا يريد.. لأنه يريد أن يرى نفسه معصياً مهجوراً!

.. وإنه يعلم ويعلم بكل التباهي والتمجيد للنفس أنه لا يقبل أو يرضى أو يجد سعادته أو مجده أو جماله أو شهامته وكرامته أو تقواه أو عبقريته إلا إذا كانت كل الكائنات سوية وقوية وجميلة وسعيدة وكاملة الصحة الجسدية والعقلية والنفسية والأخلاقية بلا أي تشوه أو مرض أو عاهة أو عجز أو بِلادة أو بِلَه أو جنون أو نقص أو ضعف بأي معنى أو صيغة أو مستوى. إنه ليفسر نفسه بأنه لا بد أن يختار فقدته ليعينه على أن يرى أي كائن مصاب بأفة من هذه الآفات!

.. ولكنه يدبر ويخطط ويفعل ليوقع كل هذه الآفات بكل الكائنات أو يترك هذه الآفات تصيب كل هذه الكائنات مسترخياً خامداً متبلداً فوق عرشه ناظراً بكل العجز عن الرؤية أو الانفجاع أو الانزعاج أو الاستحياء وعن أي تفكير لمعاقبة ومحاسبة الذات. إنه لا يمكن تصوّر نظرات تصيب بكل الاشمئزاز والانفجاع لبلادتها وخمولها وعماها وموتها مثل نظرات الجالس فوق هذا الوجود!

.. وإنه ليحارب ويشرع الحروب ويأمر بل ويلزم بها بكل أساليبها وأسلحتها كيلا يوجد أو يبقى كافرون أو ضالون أو مفسدون أو جبارون وطفاء، ويطلب بقتلهم وقتالهم إذا وجدوا ويعاقب من لم يفعلوا بهم ذلك. إنه ليفعل ذلك حتى ليظن أنه لا بد أن ينزل من فوق عرشه حاملاً كل أسلحة القتال ليقاتلهم إن وجدوا!

.. ولكنه يذهب بكل الحماس والاهتمام والتدبير والتخطيط بخلقهم قبل أن يكونوا ويجيشوا ليكونوا ويجيشوا، وهو يعلم قبل أن يفعل ذلك أنهم سوف يكونون كذلك.. بل ثم يذهب بعد أن يجيشوا يهيبهم كل أسباب القوة والانتصار والإصرار والتكاثر أو يصنع لهم ذلك أو يتركهم يصنعونه لأنفسهم دون أن يقول لهم بحزم أو صدق أو شهامة: قفوا، أو يوجد المناقضين لهم الذين يستطيعون أن يقولوا لهم: قفوا، ويستطيعون أن ينفذوا ما قالوا.. إنه لا يفعل ولا يخلق من يفعلون أي ذلك، هل وجد مقصّر أو عاجز مثله؟

.. وإنه ليقول بكل الديمومة والتكرار بكل أجهزة القول والمنطق: إنه يعمل ويناضل بكل قدراته ومعانيه وأجهزته ليكون راضياً سعيداً مطاعاً محبوباً معبوداً منتصباً واثقاً مطمئناً لا يجد أبداً ما يؤذيه أو يقلقه أو يفضبه أو يغيظه أو يعصبه أو يتحده أو ما يهين أو يجرح أو يعذب عينيه أو أذنيه أو قلبه أو ضميره أو أشواقه أو تمنياته أو أخلاقه أو عرشه أو ما يضطره إلى أن يكون ضارباً معاقباً متفقماً محارباً محاسباً مهدداً صارخاً متوتراً مشغولاً بالتفكير في التعذيب وفي صياغة وصناعة أساليبه أي التعذيب وأدواته..!

أليس تدبير التعذيب وإرادته وإيقاعه وإنزاله تعذيباً؟

لأنه يجد ويواجه ما يضطره إلى أن يكون كذلك.. إلى ما يجعله أبداً مشغولاً معذباً بتدبير وتخطيط وصناعة العذاب والتعذيب وإيقاعهما!

.. ولكنه لا يصنع هذه الراحة أو السعادة أو الرضا لنفسه وحياته بل يعتمد أن يوقع بها أبداً النقيض بقوة وقسوة وديمومة لا يستطيع كل الأعداء وأشرس الأعداء أن يدبروها ويوقعوها به. إنه لا يمكن تصور عدو لنفسه مؤذٍ معذب لها مثله مثل صاحب هذا الكون. ولكن هل هو كذلك يعتمد أو بجعل؟ وهل يستطيع أو يقبل تفسيره بهذا أو بهذا؟



هل يمكن أن يصدق أحد أن هذا قد يحدث أو أنه هو كل ما يحدث لو أنه هذا الأحد المفترض قد مثل أو تساءل عن ذلك قبل أن يحدث وأن يكون هو كل ما يحدث أو لو أنه أي هذا الأحد المتصور كان يتعامل مع إله آخر وكون آخر غير هذا الكون وغير إلهه؟ إن أي تصور لم يفسد ويشوه وتسحب منه رؤيته وأخلاقه تحت واقع ما أو تعاليم قادرة على إفساده وتشويهه وسحب وظائفه منه.

لن يستطيع أي مثل هذا التصور أن يتصور هذا الكون أو إله هذا الكون بأخلاقهما وصيغتهما وتفسيرهما!

.. شيء مذهل بل قاجع! كيف جاءت ذات هذا الإله ومعانيه كما جاءت؟
هل جاءت بلا تدبير أو تخطيط أو إرادة؟ وكيف أمكن أن تجيء وأن تجيء كما جاءت بلا تدبير وتخطيط وإرادة؟ كيف استطاعت الفوضى والآلية أن تجيء بكل هذا الهبوط والضعف والقيح؟
وإن كانت قد جاءت بإرادة وتخطيط وتدبير فكيف جاءت أو أمكن أن تجيء هذه الإرادة والتخطيط والتدبير كما جاءت، وكيف جاء أو أمكن أن يجيء صاحب هذه الإرادة والتخطيط والتدبير كما جاء ومن أين جاء ولماذا جاء وجاء كما جاء ولماذا جاء به من جاء به وجاء به كما جاء إن كان أحد قد جاء به، وهذا الأحد المفترض كيف جاء ومن جاء به وجاء به كما جاء إن كان أحد قد جاء به؟

.. هل وجد من فهموا ذلك واقتنعوا به بل هل وجد من تساءلوا أو يتساءلون عنه؟ لماذا يفقد السؤال بقدر ما يكون واجباً ومحتوماً منطقياً أن يجيء؟ هل يكون الهرب من السؤال بقدر قوته وصحته رهبة من مواجهته وعجزاً عنها؟

.. لماذا لم يجيء هذا السؤال، وماذا يمكن أن يكون الجواب لو جاء هذا السؤال القائل: لماذا يقبل ويرضى ويدبر بل ويفعل صاحب هذا الكون ما يكره وينكر ويلعن وما ينهى عنه وما يراه ويعلمه كل التبع والتبع والظلم وما يعاقب عليه كل العقاب؟ لماذا؟

ثم لماذا لا يشاء ولا يدبر ولا يفعل ولا يساعد أن يكون ما يطالب ويأمر به ويحث ويجزي ويعد بالجزاء عليه ويهدد من لا يفعلونه بأقصى وأروع العقاب، وما يراه ويعلمه كل الحق والعدل والعقل والجمال؟ إنها تساؤلات يجب أن تسقط كل إله من فوق عرشه وأن تحرق عرش كل إله تحت إلهه وتاج كل إله فوق إلهه. إنها أسئلة كان المفروض أن يحرم الإله كل من يخلق من أن يكون له لسان لئلا يسأل أي سؤال منها!

.. كيف لم يسأل هذا السؤال كل من له لسان وكل من جرب وعرف النطق بالسؤال بل وكل من لم يعرف ويجرب النطق بالسؤال؟ كيف لم يتعلم ويعرف السؤال من لم يعرفه ويتعلموه من هذا السؤال؟

.. كيف لم يصبح هذا السؤال هو أشهر وأقوى سؤال؟ كيف أغلقت كل الأفواه دونها، نعم، هل وجد من سألوه؟ كيف أمكن أن يوجد من لم يسألوه؟

هل وجد إغلاق أو انغلاق في هذا الوجود أو في أي وجود مثل إغلاق وانغلاق كل الأفواه وأوسع الأفواه عن هذا السؤال الذي تقول كل الحسابات والتقديرات والمستويات والروى العقلية والتعبيرية والإنسانية واللغوية إنها لو أغلقت كل الألسنة عن كل الأسئلة لما أمكن أن تغلق دون هذا السؤال، وإن كل جثث الآلهة لو تحولت إلى جثة واحدة لتغلق وتسد كل الطرق والأبواب دون هذا السؤال لما استطاعت..!

.. لقد كان المفروض بل وكل ما يستطيع أن يفهمه ويقول كل المنطق إن الإله لو وظف وسخر كل طاقاته ومواهبه ومعارفه وتجاربه وكل دعاته ومكره وكل أنصاره وأعدائه وسلطانه وإرهابه لو سخر ووظف كل ذلك لكي يزرع ويمنع هذا السؤال من أن يتفجر في أي قلب أو عقل أو ضمير أو أخلاق أو رؤية أو أن يتطلق من أي لسان أو يتقاطر أو ينزف من أي قلم لكان محترماً أن ينتصر هذا السؤال على هذا التوظيف والتسخير اللذين أراد بهما الإله أي افتراضاً أن ينتصر بهما عليه أي على هذا السؤال. ١ ولكن هل المفروض يكون واقعاً بقدر ما يكون مفروضاً؟ وهل المنطقي يكون واقعاً بقدر ما يكون منطقياً؟ بل هل المنطقي والمعقول منطقي ومعقول بقدر ما هما كذلك أو لأنهما كذلك؟ بل أليس هما كذلك بقدر ما يكونان غير ذلك بل ومناقضين لذلك وغير ذلك بقدر ما يكونان كذلك؟

.. ولكن لو أن هذا السؤال الذي لم يجيء قد جاء لماذا يمكن أن يكون الجواب افتراضاً أو حتماً؟

هل يمكن أن يكون غير الانفجاء، بكل تفاسير الانفجاء بالتناقض والتعارض والتصادم والتعادي والتماثل بأقصى وأقبح الأساليب في معاني الإله داخل ذاته، ليظل أبداً يقاسي كل ذلك بلا معين أو منقذ بل أو راب أو مجامل؟

.. هل يمكن أن يوجد أي جواب أو تفسير غير هذا؟ هل يستطيع أي مشفق على الإله أو راب أو محترم له أن يجد أي تفسير له غير هذا التفسير؟

إن جميع المتعاملين مع الإله والمفسرين القارئ المصادقين المحبين له ليقولون ذلك أي هذا الجواب وهذا التفسير في هذه القضية دون أن يقولوه أو يعرفوا أو يعترفوا أنهم يقولونه أو أنهم يريدون أو يقولون قوله بل وهم حتماً لا بد أن يلعنوا ويكرهوا ويقاتلوا من يقولونه لو وجدوهم أو حتى تصوروهم..!

نعم، إنهم يفسرون الإله هذا التفسير ويجيبون عن هذا السؤال بهذا الجواب دون أن يدروا أو يريدوا..!

قد يكون التفسير المفروض أقوى التفاسير أي في حياة وسلوك وتعبيرات رافضه.١

.. أليسوا جميعاً وبكل الجهر وإرادة التعليم والتفسير والهداية يقولون: إن الله لم يفعل بل ولم يأذن أن يكون هذا الذي يأمر ويطلب به ويدعو ويحرض عليه وإلى ويراها كل الجمال والحب والرحمة ويقاسي كل المقاساة في إرسال الأنبياء وإنزال الكتب والأديان والتعليم للدعوة إليه ولوعيد من لا يفعلونه ولوعد من يفعلونه بكل سفه السخاء وجنونه؟

أليسوا يقولون إن الله لم يفعل ولا يفعل ذلك ولم يأذن ولا يأذن بفعله لأنه لا يشاؤه ولا يريد ولا يقبل أو يسعد أو يستريح أن يكون، ولأن النظام والمنطق والحكمة والتلاؤم والسعادة والبقاء والجمال والفرح والعبادة والشاعرية والإيمان في هذا الكون وفي كل كون ولكل شيء وفي كل شيء لا يكون إلا في ألا يكون هذا الذي تحول الإله من أجل الدعوة إليه إلى أرخص موظف واعظ متعلق متضرع مؤملاً أن يكون؟

.. إنهم ليلغون في عبادتهم وتعبدتهم وإنهم ليرون أنهم يبالغون في ذلك حينما يرون ويزعمون ويعتقدون أن الإله يبالغ جداً في سخائه بكل ذاته وفي احترامه وتكريمه وإسعاده وحمايته وفي التزامه بالحكمة والرحمة والعدل والمنطق والجمال وبكل معاني الحب والتقوى.. وبأن يكون فداًياً واهباً كل طاقاته وكبرياته وذكائه لغدائيه أي حين يصيب بكل العاهات والشبهات والتعجيز والفضائح والعار والأمراض والآلام والبلاغات والبلادات كل الأجسام والوجوه والعقول والضمائر والقلوب والأخلاق..!

بل وحين يوظف كل طاقاته وطاقات أعوانه وكل كونه لتكون أجهزة إغواء وإضلال واحتيال وخداع وإغراء ليحوّل كل من يستطيع تحويلهم إلى ضالين وفاسدين وسفهاء وعصاة له وإلى كافرين به بل وليقودهم إلى كل ذلك بكل مواهبه القيادية الاستبدادية العدوانية التسلطية الإعلانية الجهرية والسرية الخفية. أليست قيادة الإله لكل شيء قيادة مطلقة في قوتها واستبدادها وتسلطها الجاهر والمتخفي؟

.. إنهم يقولون بل ويرون وإن لم يقولوا أو يدروا ذلك..!

يقولونه بأسلوب ونيات المؤمن المتعبد الممجد المادح..!

.. يقولون ويرون بل ويفترون إن الله يضل لأنه لا يحب أن يهدي ويدعو إلى الهدى ويطلب بالهدى ويتحتم تكاليف فرض الهدى على من يقرر ويقضي بأن يوقعهم في الضلال..!

.. وإنه أي الإله يقود إلى الكفر ويشاء ويدبر ويشتر ويهيئ ويغزو ويفرض الكفر على من يطالبهم بالإيمان ويريد لهم الإيمان ويفرض عليهم الإيمان ويماقبهم إذا لم يؤمنوا.. وأيضاً يفعل ذلك لأنه يحب الإيمان ويتعذب ويشقى ويهون ويدل ويصغر ويهزم إذا لم يكن هذا الإيمان..! إنه أي الإله أعظم وأشهر وأقوى قائد إلى ما لا يريد، إلى ما يفجعه ويحزنه ويغظه ويصنع له الهزائم..!

.. وإنه أي الإله في رأي المتعاملين معه والمفسرين له أجمل وأذكى وأتقى التفاسير ليفسد ويشوّه ويقبح من يريد ويحب بل ويدبر ويخطط لإصلاحهم وتصحيحهم وصحتهم..!

.. إنه ليصيب بالعجز التام الجسد الذي يريد أن يصلي له واقفاً ومسجداً وراكعاً ويطالبه بذلك! ..
.. وإنه أي في رأي وتفسير أحيائه وأوليائه هؤلاء ليحطّم ويعذب ويذل ويعادي من يريد ويحب ويتحنى أن يكونوا أصدقاءه أو من يريد ويحب ويتحنى المزيد من صداقتهم له ومن صداقته لهم. إنه ليصيب متعمداً من يراهم أصدقاءه ومن يريدهم أصدقاءه ولأنه صديقهم بما لا يستطيع كل الأعداء أن يصيبوا به، أن يصيبوا به أفسى وأقبح أعدائهم!

.. وإتهم ليرون ويقولون ويفترون وإن لم يدروا أو يريدوا أنه أي الإله يريد ويدبر ويرسل ويضخم القحط والأوبة لأنه يريد أن يصنع الرخاء والصحة والأمان لكل أحد وكل شيء! ..
.. وإنهم ليقولون بكل تعبيراتهم ولغاتهم غير المنطوقة أو المسموعة أو المفكرة إنه أي الإله يصيب بأفسى القحط والأوبة لكي يقاسي ويكي ويتأرق ويدرف كل دموعه وأحزانه رثاء لمن يصيبهم بذلك واعتذاراً إليهم.

.. إنه أي الإله يريد ويدبر ويضخم الغضب والغيط والحزن والهوان والإذلال لنفسه لأنه يريد ويدبر ويخطط ويصنع لها الفرح والرضا والسعادة والمجد والقوة والعزة والانتصار، بل إنه قد يرى بذكائه الذي لا يمكن أن يتعامل به أحد من الأذكىاء أو من الأغبياء أنه يصنع كل هذا لنفسه بصنعه لذلك. إنه يصنع كل المجد لنفسه بصنعه كل الهوان لها!

.. إنه يصنع ويدبر ويخطط لنفسه كل هذا العذاب بخلقه لمن يصنعه له!

.. إنهم يقولون ويرون دون أن ينطقوا أو يدروا أو يريدوا.

.. إنه أي إله هذا الكون يذهب يدبر ويخطط ويريد ليملاً عينه وضميره وقلبه وفكره ومواجهاته بل وثيابه وجسده وأخلاقه وتاريخه وكل تطلعاته بكل القبح والفحش والعفونات..

لأنه يريد ويدبر ويخطط بل ويتناضل فاعلاً وراعياً ليملاً كل ذلك أي عينيه وضميره وقلبه وفكره وأخلاقه ومواجهاته ومعاشراته ومعايشتاته بنقيض ذلك، بل بأفسى نقيض لذلك، إنهم يرون ويقولون دون أن ينطقوا، إنه أي الإله هو الكائن الذي يصنع ما يهينه ويغضبه حين يريد أن يصنع ما يرضيه ويعزّه!

.. إنهم ليقولون ويرون دون أن يدروا أو يقولوا إنه أي الإله ليذل ويحقّر ويهجو ويلعن كرامته وشهامته وشجاعته لأنه يريد امتداحها وتكريمها وإعزازها.

.. إنه لا يوجد محقرون ومشوهون ومهاجون ومنهمون لأنهم محبون وعابدون وممجّدون مثل المؤمنين بالآلهة.. بالإله، وإنه لا يوجد محقّر مشتم مشهم مهان لأنه يراد احترامه وتمجيده وعبادته وإرضائه وإسعاده وإفراحه مثل الإله.. مثل كل الآلهة!

.. إنها لو أقيمت محاكمة في هذا الكون أو في أي كون آخر لمحاكمة بل ولمعرفة ومعاقبة من هم أكثر وأقبح وأبلد تشويهاً وهجاء وإهانة وتحقيراً وإغضباً وللإله ولكل إله برؤيتهم وتفسيرهم وأوصافهم ومذاهبهم وتعبدهم له وعلاقاتهم به بل وعبادتهم ومطالباتهم له وتأميلهم فيه وانتظارهم منه لكان محتوماً أن يجد قضاة وحكام هذه المحاكمة أن هؤلاء هم أكثر وأقوى الكائنات

والكاثنين إيماناً بالإله وتعبداً وتمجيداً واحتراماً وحباً له وتعلقاً إليه أي هم الراعمون المعلنون المعتقدون أنهم يصنعون ويشيدون له ويزقون ويهدون إليه كل الأمجاد والعظمة والسرور... إنه لا بد أن يكون هذا هو حكمهم ورأيهم واقتناعهم وإعلانهم مهما كان ذكاؤهم وغباؤهم أي ما لم يكونوا كاذبين مزورين منافقين جبناء أي ما لم يكن ذكاؤهم وصدقهم ورؤيتهم ذكاء أو صدق أو رؤية إله أو نبي أو زعيم أو مفكر أو شاعر عربي.

.. إنه لا يمكن أن يوجد أو حتى يتصور مهين مؤيد محقر معبر شاتم لممدوحه مثل المؤمن في كل أساليبه ولغاته ونياته المادحة لممدوحه.. العابدة لمعبوده.. في كل تفاسيره وأوصافه ورؤاه وتصورات له وأحاديثه عنه وفي كل عقائده وآماله فيه..

إنه لا يوجد ولم يوجد من يستحقون الإنقاذ مثل الآلهة أي إنقاذهم من إيمان المؤمنين بهم ومن كل ما يعنيه هذا الإيمان من نتائج وتفسير واعتقادات، كيف لم يظن العالم إلى ذلك؟ ما أغنى العالم إن كان لم يظن إلى ذلك، وما أفساه وأندله إن كان قد فطن إليه ثم لم يحركه الإشفاق ليقبل شيئاً لإنقاذها من هذا الإيمان بها!

.. إنه لشيء مهين وفاجع للإنسان.. لذكائه وكرامته وشهامته ولكبريائه وأخلاقه وعلمه وحضارته.. لكل تفاسيره ومعانيه.. لكل الرؤى والتحديق فيه وله.

- إنه لشيء مهين وفاجع وشاتم لكل أحد ولكل شيء.. لكل معاني وتفسير كل شيء وكل أحد لكل ما كان وما سوف يكون ولما لن يكون مثل هذا، مثل أنها لم توجد منظمات عالمية دولية بل كونية تكون الشمس والنجوم والمجرات وكل الأكوان الأخرى بعض المؤلفين والمنظمين لها والأعضاء فيها..

مثل أنها لم توجد هذه المنظمات ولا شيء منها بل ولا التفكير فيها أو الحديث عنها.. لكي تفعل أو تعلم أو تغش شيئاً أو تكذب وتصدر قرارات، ولو قرارات فقط.. لحماية الإله.. لحماية من سمي أو زعم أو أعلن إلهاً..

هل وجد أو يمكن أن يوجد من هو أحق بالحماية وأكثر احتياجاً إليها مثل الإله لحمايته من المؤمنين به.. من إيمانهم به وأوصافهم وتفسيرهم ورؤاهم ومدائحهم وصلواتهم وقرائاتهم له ومن طلباتهم واستغاثاتهم ودعواتهم وتضرعاتهم منه وبه وإليه وله.

.. إنه لا كائن بشوة وبهان وبهجي ويسب بالإيمان به وبالتعامل به ومعه وبتشبيد العلاقات والصدقات معه مثل الإله، مثل كل إله.

إن جميع المظالم والبشاعات والأخطاء والفضائح التي أقيمت وأنشئت وأنزلت الأديان والمنظمات والمحاكمات في كل التاريخ والمجتمعات لمقاومتها وفضحها وللعلاج منها لم يأت وأرحم مما يلقاه ويعلقه الإله من عبادة المؤمنين به من إيمانهم به وعبادتهم له ومما يعنيه ويصنعه هذا الإيمان وهذه العبادة من بلادة وبشاعة وخطأ وفضح وتشويه وهجاء تهاوى ولا يزال يتهاوى على الإله وسوف يظل يتهاوى عليه.. على اسمه وعلى ذاته وعلى كل معانيه وتفسيره!

ما أضخم العفونات والاستفراغات التي يكتب بها اسم الإله والتي يحاصر ويغشى بها وجهه! .. ولكن هل أقيمت أو أنشئت أو أنزل أو جاء ونزل نبي واحد أو محاكمة واحدة أو منظمة واحدة أو دين واحد لإنفاذه أي الإله ولحمايته من ذلك؟ هل كان ترك الإله بدون هذا الإنقاذ بلاءة عالمية أم وحشية أم مؤامرة عالمية كونه عليه على الإله؟

.. إن جميع اعتداءات البشر كلهم في كل أطوار ومراحل وجودهم.. اعتداءات بعضهم على بعض وعلى أنفسهم وعلى كل الكائنات الأخرى لتهون بل وتغفر محامية محاكمة مفشرة باعتدائهم على الإله.. باعتداءات إيمانهم به وعبادتهم وأوصافهم ورؤاهم وتفسيرهم وتصوراتهم ودعائهم له وإعلانهم عنه ومجيشهم من عنده وتلقيهم وحبه ليقولوا ويرووا ويعلموا عنه ويعبدوا ويوعدوا به، وليتحدثوا بلفظه وصوته وصهيله وزئيره ونعيه بل وبصلفه وتضرعه وتذللته وبكائه بل ونفاقه المتحول إلى كل أنواع الرشوة.. الرشوة الفاقدة لإسرافها ولعنف رغبتها في الإغراء والإغواء لكل صبيغ وتفسير ومعاني الجمال والصدق والدكاء والمنطق والوقار والاحترام للنفس..!

مؤملاً بذلك أن يقبل أو يستقبل أو يفتح له أي باب من الأبواب الراكع عليها الداق لها بكل أعضائه وعضلاته وأصواته واستغاثاته وانكساراته..

.. بكل محاريبه ومنابره وأنبياؤه وأديانته وكتبه المنزلة.

.. مؤملاً أن يستقبل بشيء من ذلك أو يوهب شيئاً من ذلك رثاء لآلامه وضياعه وعصيانته وهجرانه ووحدته..!

أه، هل وجد أو يمكن أن يوجد من يجب أو يستحق أن يوهب كل الرثاء والعزاء والإشفاق لقسوة آلامه وضياعه وهمومه وهجرانه وعصيانته ووحدته مثل الإله.. مثلك يا إلهي؟

.. ولكن ألا يخفف من قبح وآثام وآلام هذا العدوان.. هذا الاعتداء على الإله أنه اعتداء نظري اعتقادي خيالي كلامي تعليمي، وليس فعلياً حقيقياً ولن يصبح كذلك أبداً؟. أليس أتقى اعتداء وأرحم اعتداء مع أنه أقبح وأبلد اعتداء هو الاعتداء على الإله لأن المعتدى عليه لم يوجد ولن يوجد.. لأن جميع المعتدين في جميع العصور لن يجدوا الآلهة ولن توجد ليصبح ممكناً أن يكون اعتداؤهم أو عدوانهم عليها عدواناً فعلياً لا نظرياً اعتقادياً كلامياً فقط.. إذن اسعدي وافرحي أيتها الآلهة لأن كل عدوان وأي عدوان عليك لن يصيبك بل ولن تشعري به أو تعرفه..!

.. لعل أجمل وأنفع ما في الآلهة أن العدوان عليها والتشويه والتحقير والهجاء لها سيظل أبداً نظرياً اعتقادياً لا فعلياً عملياً لأن وجود الآلهة سيظل أبداً كلامياً لا واقعياً..

ما أعظم حظوظ المعتدى عليه الذي لا بد أن يظل الاعتداء عليه أبداً نظرياً اعتقادياً دون أن يستطاع تحويله إلى أي اعتداء فعلي واقعي..!

ماذا لو كانت الآلهة موجودة وموجودة فيها ولها كل الحواس والأحاسيس؟ ماذا لو كان ذلك كذلك لترى وتقرأ وتفهم كل الإهانات والاعتداءات والانتهاكات والتشوهات والتشويهات واللعنات

المقدوفة المصوبة المصوبة إليها وعليها وفيها بدعوى الإيمان بها والعبادة والاحترام والتمجيد والإرضاء والإسعاد والتجميل لها؟ أليست الآلهة تتلقى وتسمع كل أنواع القبح وتصب وتستفرغ فيها كل أنواع القبح بقدر قوة وكثرة الإيمان بها؟

.. إن أجمل وأنبئ وأنفع ما في الآلهة وللآلهة ألا تكون موجودة وألا تكون سامعة أو رائية أو غاشمة أو محاسبة أو معاقبة لو كانت موجودة. إن أحمل جمال الآلهة هو ألا تكون موجودة لا أن تكون لاهية أجمل وأعلى الحلوى!

.. إذن كيف كانت أي الآلهة أو تصورت أو اعتقدت موجودة أو أنها قد توجد أو أن وجودها قد يعني أي معنى جيد أو أن وجودها لن يهدم ويلعن ويشوه كل معنى جيد جميل معقول أو حتى مغفور؟

هل يمكن تصوّر حاج مهجور لكل شيء وبكل شيء غير الإله أو مثل الإله؟

.. كم كانت ضخامة وقسوة وديمومة احتياجات الإنسان إلى أقبح النذالات والجهالات والبلادات والمعانيات وإلى أدومها وأشملها لكي يستطيع أن يجد هذه الآلهة وأن يؤمن ويعلم إيمانه بها ولكي يستطيع أن يراها؟ ما أعشى العيون التي تستطيع رؤية الآلهة.

.. كم كان الإنسان محتاجاً إلى كل أنواع العمى وأقصى العمى لكي يستطيع ويجرؤ أن يرى الآلهة؟

كيف وجد هذه العيون التي رأتها أو كيف خلقت له أو فيه أي هذه العيون؟ وكيف استطاع أن يقتنع أنه رآها مهما قالت له عيناه بل وكل العيون إنه رآها؟

.. إنها الرؤية التي لا يستطيع أو يجرؤ أو يقبل أن يراها إلا الفاقد لكل الرؤية بل إلا العاجز عن كل رؤية!

.. لأنها أي رؤية هذه الآلهة هي الرؤية التي تسحب من الرائي بل تقتل وتفسد فيه كل وظائف الرؤية وتفسيرها وأخلاقيها.. كل ذكائها وغضبها وبسالتها واحتجاجاتها.. إنه لا شيء أفسد وهزم وهجا كل معاني الرؤية مثل رؤية الآلهة.. إن رؤية كل مرئي لن تكون إلا أقصى عدوان على عيني الرائي وعلى كل معانيه وحساباته وتصوّراته وتمنياته أي إذا كان يرى ليرى ولا يرى لكي يعجز عن الرؤية وليحتمى منها!

.. إذن فكيف برؤية مرئي ليست كل آثام وآلام وقبح وبلادة وسفاهة وضياح وتشوهات كل مرئي بل كل موجود إلا بعض معانيه.. إلا شيئاً ما فيه؟.. فكيف برؤية مرئي ليست كل عاهات وتشوهات كل الوجوه إلا بعض عاهات وتشوهات وجهه وأخلاقه؟

.. رهيب! كيف استطاع أو يستطيع أي صاحب عينين أن يتحتل عينيه.. أن يتعامل معهما أو بهما.. أن تركبها فيه أو أن يصدقهما ولو أحياناً؟

أي إن كان قد رأى بهما أي طلعة من طلعات هذا الإله مظلة من نوانذ وعيون هذا الوجود.

.. ما أقسى تصديق العينين. ما أقيحه، وأفجعه..!

.. كم كان محتاجاً أي من رأى وجرو واستطاع أن يرى هذه الآلهة إلى مقادير وأنواع الغباء التي تجعل ذكائه يتقبل وجود هذه الآلهة أو تجعل غيابه يتقبل ذكاءها أي غيابه.. التي تستطيع أن تجعله يحدق في عيون هذه الآلهة محدقة في كل ما يرى وما لا يرى معلقة من كل عاهاته وتشوّهاته وآلامه وآثامه!

.. وكم كانت مقادير وأنواع النذالات التي كان محتاجاً إليها.. محتاجة إليها أخلاقه لكي تستطيع أن تقبل أخلاق هذه الآلهة أو محتاجة إليها نذالاته لكي تستطيع تقبل أو حتى غفران نذالاتها أي نذالات هذه الآلهة؟

إن تقبل أخلاق الآلهة المصبوبة في هذا الكون لشيء تخجل منه كل النذالات والبلادات.

.. إن عيون الإنسان وأخلاقه وكل معانيه لم تصب بكل العمى والسفه والبلادة والقبح وكل معاني السقوط وصيفه، ولم تحتج إلى كل ذلك وإلى أضخم وأرذأ ذلك إلا حينما أرادت وحاولت واستطاعت أن تجد في أخلاق ومنطق وتصرفات الجالس فوق هذا الكون أخلاقاً أو منطقاً أو تصرفات تقبل أو تغفر أو حتى تفهم.. أن تجد في ذلك ما يجب أن تسجد له مصلحة كل الجباه والعقول والقلوب منحنية له كل القامات والهامات..!

.. الجالس فوق هذا الكون يتشاءب ويسعل.. ويشد شعراته البيضاء ويحك جبهته كسلاً وفراغاً وضياًعاً وكأبة وأسفاً..!

.. هل كان يمكن أن يقبل أي إله وجوده لو كان موجوداً؟ أليس فقد وجود الإله وكل إله شرطاً في تقبله لوجوده؟ بل أليس وجود كل آله وأي إله مشروطاً فيه ألا يكون موجوداً وألا يحتمل أن يصبح موجوداً؟ لقد ظل كل إله لا يرى إلا جماله دون أن يرى أي شيء من قبحه لأنه لم يجيء ولن يجيء..!

.. أليس كل إله قد قبل أن يكون موجوداً وأن يعلن ويعتقد أنه موجود لأنه لم يكن موجوداً ولن يكون موجوداً ولأنه يعرف ذلك، يعرفه.. يعرفه لأنه غير موجود..!

نعم؛ إن أكثر الآلهة وأصدقها معرفة هي التي لم توجد ولن توجد، بل إنها لا تعرف ولن تعرف إلا لأنها لا توجد كما أن أحداً لن يعرفها أو يجدها إلا لأنها لن توجد..!

وهل عرفت الآلهة أو يمكن أن تعرف شيئاً مثلما عرفت أنها لم توجد ولن توجد، بل هل عرفت أو يمكن أن تعرف شيئاً غير هذا؟ إن الآلهة هي الكائنات التي لن تكون غليمة أو جميلة أو رحيمة بل أو موجودة أو مرئية إلا بالآ توجد..!

.. هل غفر أي إله لنفسه آثام وآلام وقبائح وفضائح وجوده بل وهل فرح وسعد وباهى بوجوده إلا لأنه لا وجود له ولأنه لن يصبح له وجود؟

بل هل طمع أو انتظر أن يعتقد ويرى إلهاً لو لم يكن مقتنعاً أنه لن يوجد؟

.. لقد رأى وأعلن أي الإله.. رأى وأعلن الكون وكل شيء كل الجمال والحب والرحمة والعقوبة والمجد والتفضل والإحسان لأنه لم يره.. لم ير شيئاً ولا يستطيع أن يرى.. أن يرى شيئاً أي لأنه لم يكن موجوداً ولن يكون ذلك؟

أليس كل جمال.. جمال كل شيء وكل أحد في ألا يرى الرؤية المسائلة المتجاوزة القارئة المحاسبة المحدقة في كل تفاسيره وكيثوناته الواقعة والثبوتية، المرئية وغير المرئية؟

أليس فقد الرؤية شرطاً في جمال الرؤية وجمال المرئي أي الرؤية بكل تفاسيرها وصيغها، بكل عيونها وأسلحتها وأجهزتها؟

.. هل كان يمكن أن يوجد جمال أو حتى حديث عن الجمال أو تصور أو انتظار له لو أن هذه الرؤية قد وجدت من البدء أو في البدء.. لو وجدت قبل وجود المرئي؟ لهذا أليست العيون العمياء ترى الجمال أكثر مما تراه العيون المبصرة بل تراه دون العيون المبصرة أي ما لم تكن العيون المبصرة أكثر عسى من العيون العمياء، أو ما لم تكن ترى الشيء تقيض ما يرى؟ أليست أكثر العيون ليست فقط عاجزة عن الرؤية بل مزينة لها؟

.. كما أن العقول البليدة لا بد أن تجد الذكاء في البلاهة أكثر مما تجده أو دون أن تجده العقول الذكية بل وأكثر مما تجده أي الذكاء في الذكاء؟

كما أن الأخلاق الضعيفة والحيانة والذليلة والساقطة والهابطة قد تجد أو لا بد أن تجد في ضعف الأخلاق وجبنها وهوانها وتفاقمها وكذبها واستسلامها أذكى الأخلاق وأعظمها وأحكمها وأنفعها وأقواها بل وأتقها..!

أليس أقوى وأصدق وأدوم وأسهل وأرحم التقبل هو تقبل من لم يوجد ولن يوجد؟ هل توجد نظافة أو براءة أو جمال أو تقوى مثل نظافة وبراءة وجمال وتقوى من لم يوجد ولن يوجد، بل هل يمكن أن يوجد كل ذلك أو أي شيء منه إلا لمن لن يوجد وفيمن لن يوجد؟

كل المجد والحب والطهارة لكم وكل الشوق إليكم يا من لم توجدوا ولن توجدوا.

.. هل أصبح الإله وكل إله كل هذه المعاني والتفاسير والقراءات والرؤى والتصورات والكيثونات الجميلة إلا لأنه لم يوجد ولن يوجد؟

هل سحر بل وقتاً وأحرق كل العيون جماله أي الإله إلا لأنها لم تره ولا يمكن أن تراه أي إلا لأنه لم يوجد ولن يوجد؟

ما أجملك وأنيبك وأفضلك وأعظمك وأتفأك وأذكاك وأقواك يا من لم تكن ولن تكون موجوداً.

وما أقبحك وأذللك وأصغرك وأفجرك وأضعفك وأغباك وأخسك يا من وجدت مهما زعمت واعتقدت ورئيت غير ذلك بل تقبض ذلك.

ما أعجز كل الأعماء والحاقدين أن يرموك بأية نقيصة أو عطفية يا من لم توجد ولن توجد،

وما أقدر أنبل النبلاء على أن يسددوا إليك أشدّات النقائص والخطايا يا من وجدت مهما كانت مزايك. إذن هل يوجد براءة لأي من لم يوجد ومنهم بكل الاتهامات إلا من وجد؟
.. لهذا ما أسهل وأنبل وأجمل وأنفع وأتقى وأقوى بل وأنظف وأسعد وجود الآلهة أي لأنها لم توجد ولن توجد؟ إذن ما أفضّل وأندج وأنبج وأشمل وذنوب وأخطاء ودعائم وعقوبات وشقاء الآلهة بل وفسوقها لو كانت موجودة!

.. إن أحداً لم ير أو يجرب أو يسمع أو يقاس أو حتى ينتظر من الآلهة ما يرفض أو ينكر أو يحتقر أو يكره أو ما يفضيه أو يفرجه أي لأنه لم يرها أو يسمعها أو يحاورها أو يعاملها أو يقرأها أو يفترها أو يجدها أي لأنها لم توجد ولن توجد!! لقد كان الإنسان يمدح ويعبد ويشكر مدبر ومريد وخالق هذا الوجود لأنه لم يوجد أي مدبر ومريد وخالق هذا الوجود!

.. هل كان يمكن أن يوجد من يقبل أو يرضى أو يصدق وجود الآلهة لو كانت موجودة أو لو كان ممكناً أن توجد وأن تزعم أنها هي مريدة ومدبرة وصانعة هذا الوجود وكل وجود؟
.. إن كل عطايا ومزايا وعقوبات كل إله وكل الشوق والحنين إليه والحب والاحترام والتسجيد له في ألا يكون موجوداً أو ممكناً أن يكون موجوداً!.. أيها الإله الممجّد الممدوح المعبود من فوق كل منبر وفي كل محراب وتوراة وإنجيل وقرآن. أه لو وجدت ورأتك أية عين!

.. أليست كل البراهين وأقوى وأذكى وأشهر البراهين التي وهبت وصنعت الاقتناع بوجود الآلهة.. بوجود أذكى وأتقى وأقوى وأنبل وأفضل الآلهة هي فقدان هذه الآلهة وفقدان كل آلهة هي أن أية عين أو عقل أو ضمير أو أخلاق لم ترها أو تفهمها أو تصوورها أو تجدها؟

.. لقد اقتنع المؤمنون بالهتهم وبوجودها وأمنوا بها ودعوا إلى الإيمان بها لأنها غير موجودة ولن تكون موجودة ولأن أعضاءهم وأخلاقهم وسلوكهم وتجاربهم وحسهم وشهواتهم تعلم أنها غير موجودة ولن تكون موجودة مهما قالت أفواههم ومنابرهم وتعاليمهم بل وتعمل وتعامل وتقبح وتفضح وتفتضح أي أعضاءهم وشهواتهم وأخلاقهم وكل انفعالاتهم بأساليب تعني حتماً نفي احتمالات وجودها!

.. إنها أي الآلهة لو وجدت أو لو كانت موجودة أو لو كان محتملاً أن توجد لما وجد من لا يرفضها ويلعنها ويقاومها بل ويحاربها بكل معانيه.. بكل عقله وقلبه وأخلاقه وعواطفه وعضلاته وأسلحته.. إنه لا شيء ولا أحد ينفي وجود الآلهة ويعلم نفي وجودها بل احتمال وجودها مثل أعضاء وشهوات وأخلاق من يجيئون إلينا بكل الضجيج والكبرياء والوقاحة ليعلموا أنفسهم أنبياء أي أنبياء الآلهة ورسلا ومفسريها ودعاتها وموظفي منابرها ومحاربيها!

.. هنا تحليل أو تفسير قد يبدو خارجاً على كل تصوّر وتفكير وعلى كل تحليل وتفسير.. كيف وهل وجد أو قد يوجد أي تحليل أو تفسير خارج على كل التفسير والتحليلات أو خارج على كل التصورات والأفكار؟ هل مثل التصورات والأفكار احتواء لكل شيء؟ يقول هذا التحليل أو التفسير: لعل البشر لم يتقبلوا الآلهة التي لم توجد ولن توجد بكل هذا الحماس والإيمان وبكل هذا العطاء لها

من عقولهم وقلوبهم وعواطفهم وتعاليمهم وأخلاقهم ومن مخلصاتهم وعداوتهم وملاعناتهم وحرورهم بل ومن عضلاتهم وأموالهم وموتاهم وشهادتهم بكل هذا الجنون والتضحيات والقضاء المسرف المهيمن البليد.

- نعم، لعل البشر لم يفعلوا كل ذلك أو شيئاً منه لأنهم التي لم توجد ولن توجد إلا رفضاً أو مقاومة للآلهة التي قد توجد وخوفاً من أن توجد وتعويضاً واغناء عن وجودها ورشوة لها لئلا توجد وشكراً لها لأنها لم توجد ولن توجد بل واغراء لها بالآلا توجد أو تقبل أن توجد، لعلهم جنوا في عبادتها وتمجيدها مفقودة لكي تظل مفقودة!

لقد استطاع البشر أن يعايشوا الآلهة وتعايشهم وأن تقام أقوى وأدوم وأشمل وأسخى وأشهر العلاقات بين الفريقين لأنه كان مستحيلاً استحالة أبدية وأزلية أن يوجد أحد الفريقين أو أن يوجد لقاء أو علاقات بين الفريقين!

لقد كان وجود العلاقات والصدقات بينهما مستحيلاً ومرفوضاً ما لم يكن مستحيلاً ومرفوضاً وجود أحدهما!

إن أحد الفريقين أي البشر سعداء بلقاء الفريق الآخر وبالتعامل معه أي الآلهة لأنه لم يوجد ولن يوجد أي فريق الآلهة!

هل وجد مثل هذه القضية التي تقول إن هذا الكائن لم يكن ممكناً أن تقام معه هذه العلاقات والمعاملات والمحالفات والصدقات واللقاءات والمفاوضات المشحونة بكل حرارة ووقود الحب والعطاء والفداء.

.. التي تقول إنه لم يكن ممكناً أن يحدث ذلك ولا شيء منه لو كان ممكناً أن يوجد هذا الكائن..

.. هذا الكائن الذي كل جماله ومجده وقوته وحكمته ورحمته وشهائته وصدقاته وعفته وكل الشوق والتطلع والحنين إليه وكل الرؤية والانتظار له والإعجاب به في ألا يحتمل وجوده..

.. هذا الكائن الذي لم يكن ولن يكون شيئاً من ذلك ولن يعطى أو يرى شيئاً منه إلا بشرط واحد هو ألا يكون موجوداً بل وألا يحتمل أن يكون موجوداً أو أنه كان موجوداً هل وجد هذا الكائن الذي يشترط فيه وله مثل هذا الشرط؟ هل فطن أحد إلى هذا؟ كيف غابت أو ضلّت كل الرؤى والقراءات والمحاسبات للنفس؟

كل التهتهة للكائن الذي لن يحمي من أن يكون كل القبح والفحش والعذاب والافتضاح والعار والهوان إلا بأن لا يكون موجوداً أو كل المزاء والرفاء له..!

ولكن أليس كل كائن لن يحمي من أن يكون كل ذلك إلا بالآلا يكون موجوداً؟

.. أليست هذه القضية بتفسيرها هذه وتفسيرها الأخرى التي تدلّ وتفجع وتقهقر قراءتها وتصوّرها فكيف التفكير والتحديث فيها والمحاسبة لها.

- نعم، أليست هذه القضية هي أقسى السخرية بل وكل السخرية من عبقرية الإنسان وحضاراته وتحليقاته ومن صدقه ووقاره وذكائه وكبريائه ومن كل مزاعمه عن نفسه ولغته...
.. ومن كل أنبيائه وشعرائه وشاعرياته ونبواته؟ ما أقسى هجاء الإنسان لنفسه بمزاعمه عنها ولها وبأنبيائه وشعرائه وشاعرياته ونبواته، ما أقساه!

.. إذن كيف وهو لا يزال بل وسوف يظل يحيا ويمارس ويعايش هذه القضية؟ إنه يحيا ويمارس ويعايش هذه القضية بل ويمجدها وكأنه يرفض أن يشفى منها! كيف لم يز نفسه؟ كيف لم يرها؟

هل معنى هذا أن أقوى وأكثر الكائنات رؤية لا بد أن تكون أقلها وأضعفها بل وأردأها وأغباها رؤية لهذا كان محتملاً أن يكون الإنسان هو أقل وأضعف وأغبى الكائنات رؤية! هل يعني هذا أن أكثر الكائنات تفوقاً لا بد أن تكون أكثرها تخلفاً وأكثرها هجاءً وسباً وإذاءً لتفوقها؟

.. هل جاءت هذه القضية لتكون كل العقاب للإنسان على تفوقه وعبقرياته.. لتكون كل التشويه والهجاء والتعذيب له لأنه جاء كذلك؟ هل ذلك كذلك؟ أليس كل شيء يصدق ذلك؟ هل يوجد معذب ومهان ومروّع بكل الأساليب مثل الإنسان في هذا الوجود الذي نعرفه؟ أليس التفسير أنه لا مثيل له في تفوقه؟

أليس كل كائن يعاقب على ضخامته وعظمته وقوته المادية والمعنوية ويعاقب بها وعلى قدر حجمها.. على قدر اتساعها وصعودها وحدودها المتنوعة التفسير والصيغ؟
أليس هذا العقاب محتملاً حتى ولو لم يوجد أو يعرف المعاقب؟

كيف ذلك، ما التفسير؟ نعم، أليس أقسى العقاب وكل العقاب أو أكثره وأبشعه وأدومره وأشمله هو العقاب بلا معاقب؟ أليست كينونة الكائن هي المعاقبة له؟ والمعاقب من عاقبه بأن جعله معاقباً؟

.. أليست العقول والقلوب والأخلاق والضمائر والرؤى والهيامات والقامات والأحجام الذاتية بل والآذان تتصادم وتواجه وتقاسي وتقع وتتعذب وتنشوء وتصاب بكل معاني الفيض والغضب والغشيان والاشمئزاز بل والعجز والتوقع الألم بقدر ما تكون ضخمة وعظيمة وشريفة وصادقة وذكية وتقية ونبيلة وجميلة ورحيمة وباسلة ورائية ومحاسبة ومسائلة؟ أليست قسوة الهيوط والسقوط محسوسة بقيمة ومدى الصعود؟

.. لهذا ولغير هذا أليس محتملاً أن يتعذب ويقاسي ويقع ويرزع الإله أكثر وأشمل وأفدح من الملاك والنبي، وأن يتعذب ويقاسي ويقع ويرزع الملاك والنبي أكثر وأشمل وأقسى وأفدح من كل البشر بل ومن كل الكائنات الأخرى، وأن يعاني من كل ذلك عظماء وعباقرة البشر أكثر وأقسى وأفدح وأدوم مما يعاني منه سائر البشر؟ أليس الإله الواحد الكبير أقسى وأكثر تكاليف ومسؤوليات وورطات وأخطاء من الآلهة العديدة الصغيرة؟

.. أليس العظماء والكبراء والأتقياء والشرفاء والمتفوقون في كل معانيهم أو في بعضها أقل

سروراً وحظوظاً ومعادة ورضا وأماناً وابتسامةً وانتعاشاً من الصغار والضعفاء والمتخلفين؟

أليس المبصرون أقسى ترويعاً وانفجاعاً وسياً وإيذاء لهم ولعيونهم وأكثر من العميان؟

أليس التفوق هو كل العقاب والعذاب للمتفوق حتى وإن لم يوجد أي مريد أو مخطط أو صانع للعقاب والعذاب، بل حتى ولو تحول كل شيء إلى محاولة للحماية من هذا العذاب والعقاب؟

.. إن جميع المتفوقين بأي نوع أو صيغة أو تفسير من أنواع وصيغ وتفسيرات التفوق لا بد أن يعاقبوا على ذلك أي لا بد أن يقاسوا منه.. بذواتهم وكياناتهم المادية أو بمعانيهم أي بضمائرهم وعقولهم ورؤاهم وحساباتهم ومحاسباتهم.. وبسكاناتهم وأمكنثهم وأخلاقيهم وقراءاتهم وتوقعاتهم ومسؤولياتهم وبكل تفاسيرهم لأنفسهم وتفسير الآخرين لهم بل وبكل رؤى الآخرين لهم وآمالهم فيهم وانتظارهم لهم ومنهم وتوقعاتهم ومطالباتهم وطلباتهم لهم ومنهم وفيهم.. ما أقسى وأبعد معاقبة وتعذيب الشيء والكائن لنفسه..! إنهما عقاب وعذاب بلا حدود أو مسافات ومن وراء وفوق كل الحدود والمسافات.

.. ما أقسى وأفظع العذاب والعقاب المعنوي، إنه مهما كانت لكل عقاب وعذاب مادي حدود ومقاييس فإن العذاب والعقاب المعنوي لن تكون له حدود أو مقاييس..!

.. إذن ماذا يمكن أن يكون عقاب الآلهة وعذابها ومقاساتها بهذه التفسيرات والحسابات؟ هل يستطيع تصور ذلك أو الجرأة على تصوّره؟ إن المفروض أن تسحب الآلهة كل العقاب الذي أعدته لكل الآخرين لتعاقب به نفسها دون الاقتناع بأنها عاقبتها بما يكفي..!

.. إذن هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور معاقب أو معذب موزن مشوّه للإله مثل من يضعونه في مكان الألوهية فوق عرش الألوهية بكل معانيها ومسؤولياتها والتزاماتها وورطاتها وتفسيراتها وأخلاقياتها؟ إنها لكل الأحوال والاقتضاح والفواجع والهموم بل والآلام والآثام والخزي بلا ربح أو جزاء أو مجد أو سرور..

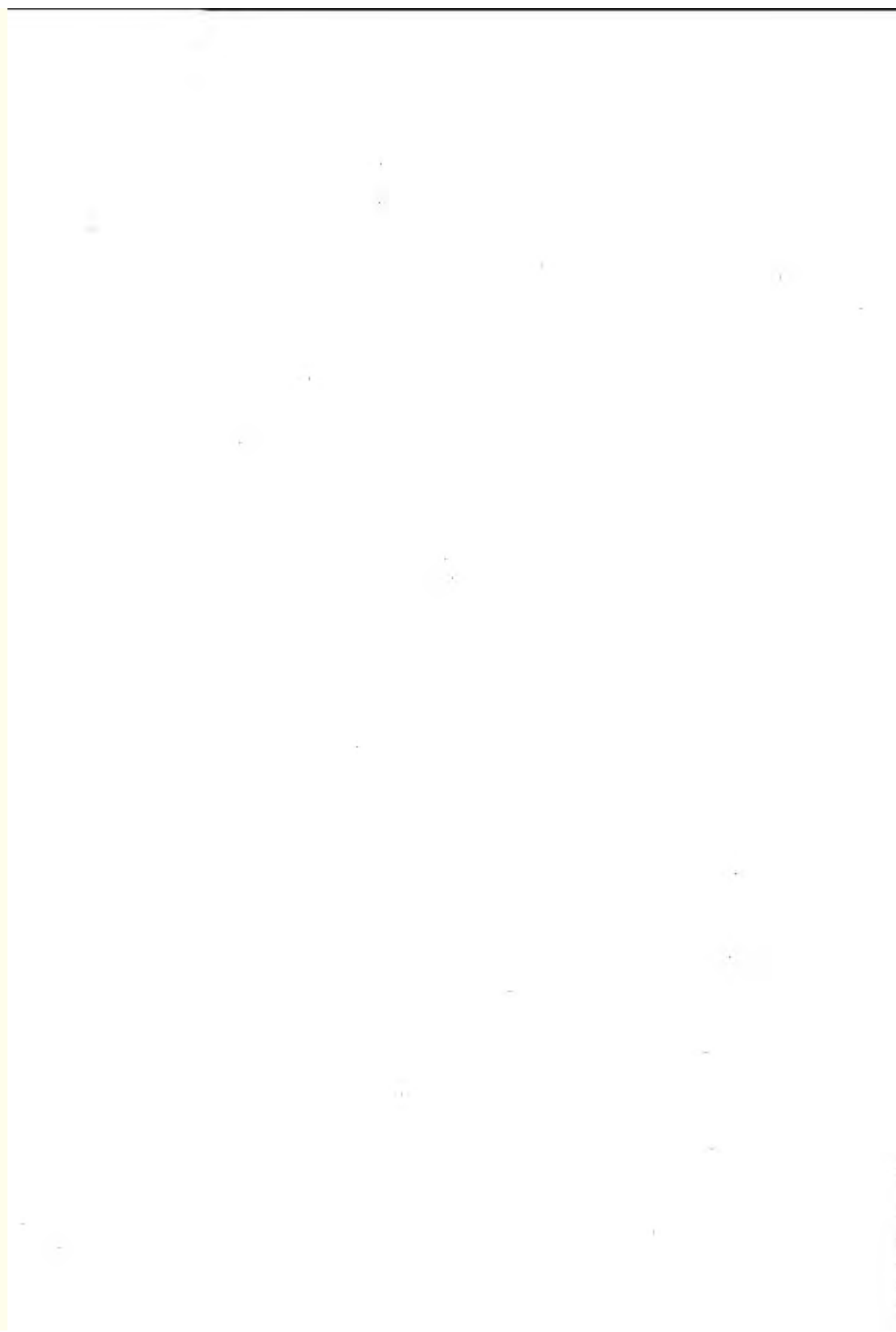
كيف لم يعرف هذا أو حتى شيئاً منه من يضعونه أي الإله أو بطرحونه أو يصلبونه فوق هذا الكون وفوق كل شيء ممتدداً منبطحاً لتفتّج وتستفرغ في عينيه وأذنيه وضميره وعقله وقلبه وفوق أخلاقه ومجده وكبرياته ووجهه وذاته وثيابه كل العاهات والدمامات والتشوهات والبصقات والقياحات واللعنات والآثام والآفات والصرخات وكل شيء وكل أحد.. لتصبح كل حواسه وأحاسيسه مباصق لكل القبح والفحش؟

كيف جاء أو جرؤ أو قبل أن يجيء هذا الكائن الذي تعجز وتهاب كل التصورات أن تنصّر شيئاً من لؤمه وخبيثه وشروره ونذالته ليعاقب ويعذب كل أنواع التفوق بكل هذه الأنواع والألوان من العذاب والعقاب حتى ليعاقب ويعذب الإله. كل الآلهة على تفوقها.. بقدر تفوقها كل ألوان العقاب والعذاب؟

.. من أين جاء وكيف جاء ولماذا جاء كما جاء؟

كيف عرف واستطاع وتقبل أن يحيى وأن يحيى كما جاء؟ من وعبه كل خبثه ولؤمه ونذالته وقسوته وعدوانيته أو من أرادته وخططه وصاغه هذه الصياغة ليكون كما كان بلا إرادة أو تخطيط أو تدبير أو صياغة محسوبة مقررّة؟

من أين وكيف جاءت هذه الطبيعة أو القانون والنظام الخارجان على كل القوانين والنظم التي يجب وينبغي ويطلب أن تكون.. القانون والنظام القاضيان بأن يعذب ويروع ويفجع بل ويستعبد وبذل ويصغر الشيء والكائن بقدر ما يتعاضد ويتنوع ويغير تنوّفه.. بأن يتلقى ويقاسى من ذلك القيل أكثر من النملة، والإنسان أكثر من الحيوان، والحيوان أكثر من النبات والجماد، والذكي أكثر من الغبي، والعاقل أكثر من المجنون، والقائد أكثر من المقود، والكريم الشهم أكثر من اللئيم النذل، والصادق النزيه أكثر من الكاذب الملوّث، والمحب التقي أكثر من الميغض الفاجر، والمتوهم المتطلع المتلف أكثر من الخادم المتجعد الصامت الحراس والأحاسيس؟



ماذا لو حاکمت الأرض والطبیعة الإنسان العربی أو لو حاکمهما؟

یا شعبي.. یا کل حبی وآمالي وهمومي واهتمامي وتاريخي ومستقبلي وسعادتي وشفائي وانتصاراتي وهزائمي. یا شعبي العربی. العربی.. یا کل ذکراتي وقراءاتي وتفسيراتي وبقظتي وأحلامي وصومي وحجي وصلواتي وإيماني وزندقاتي، یا کل فردوسي وجحي..

إن حرائق حبی وإرادتي وتمنياتي واشتراطاتي وطلباتي ومطالباتي لك وانفجاعي وأساي عليك وبك قد أشعلت تقدي ورؤيتي ومحاسباتي وقراءاتي وتفسيراتي لك بكل هذا اللهب.. هذا اللهب..! فهل أستحق غضبك واستنكارك ورفضك أم رضاك واستماعك واهتمامك وتقبلتك. أنا المعذب بك ولك كل هذا العذاب؟

إننا نحب ونريد ونطالب بقدر ما نحيا، وإننا نغار ونحقد ونحاسب ونشترط ونطالب ونرضى ونغضب وننقد بل ونخاصم ونقسم بقدر ما نحب ونريد ونطالب. إننا بقدر ما نحيا نكون.. نكون معانينا وتعبيراتنا..!

.. تكون آلامنا وصرخاتنا وفواجعنا وتصدماتنا..!

.. یا أحرار وثوار ومفكری قومي.. یا أنبياء وشعراء وعلماء وقديسي ومعلمي وفناني وفقهاء قومي.. یا كل قومي یا كل بدايتي ونهايتي وزماني ومكاني وولادتي وموتي ولغتي وديني وتشاؤمي وتفاؤلي ومسراتي وأحزاني ومجدي وهواني.. یا كل قوتي وضعفي.. ضعفي.. إني وأأسفاه.. وأهولاه.. وأفضيحتاه.. وأغضباه - إني لم أكن مهما كانت سذاجة وبلادة تفاؤلي وآمالي وحيي وتوقعاتي.

لم أكن أنتظر أو أتوقع أو أحاول أن أطلب منكم صدقاً أو شجاعة عقلية أو دينية أو أخلاقية أو تعبيرية أو رؤية أو فهماً لما لا يستطيع أو يقبل العجز عن فهمه أو ذكاء أو رؤية أو حرية أو حباً أو تسامحاً أو غفراناً لمن يعيش أو يقاسي أو حتى يتمنى أو يتصور شيئاً من ذلك أو يعذره أو يفره أو يقهه أو يحاوره أو يخاطبه أو لا يطارده ويطرده ويشتمه ويتهمه أي شتماً وانهاماً صامتين أو هامسين لا جاهرين لكلا يتحولا إلى محاوره أو مخاطبة أو مسالة أو إلى إعلان أو اعتراف مسموع أو إلى قراءة مسموعة؟

ولكن كيف لا يكون واجباً أو حتى ممكناً أن أجد وأواجه أو حتى أنتظر وأتوقع منكم محاوره

أو مخاطبة أو مساءلة أو محاسبة أو محاكمة أو حتى سباً واتهاماً وتحريضاً وعداءً أي مكتوباً مقروءاً مسموحاً معلناً؟

كيف لا يكون كل ذلك أو شيء منه وقد قلت وكتبت وأعلنت شيئاً لم تستطع كل الألوهيات والنبوات والمبقريات والشاعريات والأوهام والأحلام والأساطير العربية أن تقولوه أو تسمعه أو تقرأه أو تتصور أن أحداً قد يقوله أو يسمعه أو يقرأه أو يتصوره أي لجرأته ومغامرته ومخاطرته التي قد تحسب كل الجنون والانتحار في المجتمعات العربية لا لعبقريته. فلست هنا أمدح أو أفخر بل أفسر.. أي وقد قلت وكتبت وأعلنت شيئاً لم تجربوا يا قومي يا أهل العرب الأعزاء أن تقولوا أو تسمعوا أو تقرأوا شيئاً منه أو شيئاً مثله أو أن تتصوروه أي لجنون المخاطرة والتحدى فيه..

.. شيئاً قد قالت وكتبت وقرأت وأعلنت كل الشعوب العظيمة بل والشعوب التي لم تحسب عظيمة مثله وأكثر وأفسى منه بل وفاخرت به..!

لماذا يا قومي، يا أهلي العرب فقدتم وجهتكم ورهبتكم ورفضتم كل مستويات وصيغ ونماذج وتفاهير ولغات وأخلاق وشرق وكبرياء كل الصديق والشجاعة والرفض والإباء والذكاء والعصيان والتمرد اللذين هما كل أسلحة وخطوات وسفن الخروج من هوان وقبود وحضيض البداوة والتخلف والعجز والاستعباد إلى سموات الصعود والتقدم والحضارة والقوة والحرية بل إلى سموات الإيمان والتدين والتقوى؟

نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد أي شيء جيد أو عظيم.. أمة حضارة أو معرفة أو قوة أو مجد أو إيمان أو تقوى أو تدين بلا عصيان وتمرد بالفكر والعقل والإيمان والدين والرؤية والأخلاق والسلوك؟

حتى الأديان والنبوات وكل العقائد والتعاليم أليست أساليب أو أقصى الأساليب من العصيان والتمرد؟ أليس كل نبي جاء إنما جاء متمرداً مهما كانت قيمة وقوائد وذكاء وتمرده وجاء عاصياً؟ حتى الإيمان بالإله الواحد المستوي على كل عروش الطغيان والفظاظة والفظاعة والوحشية والأنانية والجبروت والاستبداد والقيح والوقاحة.

- أجل، حتى الإيمان بمثل هذا الإله هل كان ممكناً لولا العصيان والتمرد.. لو لم يوجد العصاة المتمردون أي بأفكارهم وعقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وتمنياتهم بل وبعيونهم وآذانهم ولغاتهم وعضلاتهم؟

حتى العيون والآذان. ما أعظم احتياجها إلى العصيان والتمرد؟!

إن جميع الكائنات التي هي دون الإنسان أو غير الإنسان لم تبدع شيئاً من إبداعات الإنسان ولم تصعد إلى سماء من سمواته لأنها لا تعرف أو تستطيع أن تعصي أو تتمرد بأي قدر أو أسلوب أو لغة من أساليب أو لغات أو قدرات العصيان والتمرد..!

لهذا فإن الإله لا يبدع ولا يتغير أو يتطور إلى الأفضل لأنه لا يعصي أو يتمرد، وكذا كل إله، أي على ذاته ووجوده.

إذن أليس الذين يرفضون أو يقاومون هذا العصيان والتمرد في مجتمعهم وقومهم أو في كل المجتمعات والقوميات إنما يرفضون ويقاومون كل إبداع وتقدم وقوة ورؤية وحرية وشجاعة وصدق بل وكل تقوى وإيمان وثبوت وألوهية ودين وبراعة ونظافة؟

.. نعم، هل جاء شيء من هذا إلا تمرداً وعصياناً؟ هل أراد أو تصوّر أو أحب أو فعل شيئاً من ذلك إلا العصاة المتمردون؟

.. كم أتمنى أن يتحوّل شعبي العربي إلى أعظم وأشهر مرحب وفرح وسعيد ومباه بأن يوجد بل ويتكاثر فيه هؤلاء العصاة المتمردون بهذه التفاسير للعصيان والتمرد وأن يصبح أعظم وأشهر مستقبل لهم بل ومصدر لهم..!

كم أتمنى ذلك وإن كنت لن أنتظره أو أتوقّعه أو أؤمله..!

ما أقسى وأحسر وأفجع الأمانى والتعنيات بلا أي أمل أو توقع أو انتظار..

- نعم، كم أتمنى أن يعصي ويتمرد شعبي العربي هذا العصيان والتمرد وأن يرتفع ويتطهر من عصيائه وتمرده اللذين أهاناً ولوثاً وهزماً كل تاريخه ووجوده وإعجابه بنفسه..!

آه، يا قومي.. يا شعبي العربي العزيز الذي أقسو عليه بقدر ما أريد وأتمنى له. أليس الحب والاشتراط الجيد للشيء قسوة عليه؟

.. كم أنا مفعوج ومروّع ومعذب ومصدوم ومهزوم في نفسي وفي شعبي، شعبي العربي الكريم الحبيب النبيل أي الذي أريده كذلك وأتعذب لأنه ليس كذلك..!

.. لأنك يا شعبي رهبت وضعفت وهبطت وصغرت عن أن تهب أو تعلن حبك أو احترامك أو إعجابك أو إشفافك..

ثم جبنيت وبخلت بل وخفت بأن تعلن حقدك وبغضك ولعناتك واتهاماتك أعني في هذه القضية لهذا الإنسان.. الإنسان الذي لم يكن الإله نفسه يتصور مجيئه ووجوده في المجتمع الذي جاء إليه ووجد فيه..!

هل يمكن أن يتصور أحد حتى الإله أن يخلق أو يخلق في الإنسان العربي أو من الإنسان العربي أو في المجتمع العربي إنسان غير عربي في كل صيغه وتفسيره ولغاته وقراءاته وأشواقه ورؤاه وتصوّراته وتمنياته؟

أليس الإنسان العربي وجوداً واحداً وطوراً واحداً في كل تاريخه.. في كل ماضيه وحاضره ومستقبله مهما تبدّلت وتغيّرت وتطوّرت أزياءه ولغاته وبيوته وعلاقاته..؟

مهما قال وأخاف وتعاطف وتصاعد جبروت وإرهاب وأرقام نغطة أي نغطة الذي لم يكن ولن يكون نغطة مهما كان أقسى وأوقع وأشمل إعلان عن سفهه وعجزه وانفضاحه. مهما جاء أي نغطة الذي لم يكن نغطة.

- مهما جاء ليكون أقوى إعلان عن سفه وبلادة الطبيعة ومن فوقها إن كان.

آه، يا شعبي العربي العزيز الصانع لي والموقع بي كل الفواجع والصدمات والهزائم والعذاب بكل صيفه وتعبيراته ومستوياته!

حتى اللعنات والانتهاكات والبداعات والوقاحات عجزت وهابت شجاعتكم وتفواكم وأصالتكم وعروبتكم عن إعلانها..

عن إعلانها وتصويرها وإطلاقها على من تريدون أن تفعلوا بهم كل ذلك وتصيبرهم بكل ذلك وتتمنون لهم كل ذلك وتروثهم أهلاً لكل ذلك. إن من أعنيه هنا واحد فقط حتى اليوم. إنه إنسان واحد ولدته يا شعبي وولد فيك ولادة خارجة على كل قوانين الولادة والتوالد.



آه، يا شعبي العربي.. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد من يتفوق عليك أو من يساويك في وثنيته.. في عبادتك لقبورك وتاريخك ولبدانتك وجاهليتك الفكرية والأخلاقية والحضارية والنفسية واللغوية بل والدينية. ما أشرس وأقبح وثنيات الأديان. ما أقبحها وأظفأها!

هل هان الإنسان وصغر مثلما هان وصغر أمام وثنيات أديانه؟

إنك يا شعبي العربي العزيز لوثني في إيمانك ودينك وعبادتك وتوحيدك أكثر وأصل وأقوى من كل عباد كل الأوثان والأصنام..

انظر يا شعبي الحزين، حتى عسكريك الذين أصبحوا ثواراً وقادة وأنبياء ورؤساء وحكاماً مكذبين وهاجين لكل أمجادك المقروءة والمزعومة وباصفين عليها قد حولتهم أصالتك في الوثنية إلى أقسى الأوثان!

.. إن كل صلواتك وعباداتك وشهادتك المؤمنة الموحدة لن تستطيع كل وثنيات كل الوثنيين أن تساويها أو تنافسها في أي شيء من وثنياتها.. إن كل الوثنيات وأقبح الوثنيات لتصغر وتهون وتجمل أمام وثنيات توحيدك.

أمام نتائج إيمانك بالإله الواحد وما يفرض عليك ويعلمك هذا الإيمان!

.. إن كل الأوثان في كل التاريخ والمجتمعات لن تستطيع أو تؤمل أن تكون شيئاً من الأوثان والوثنيات التي فرضها وأوقعها بك أنبياءك وأولياؤك وشيوخك ودراويشك وخلفاؤك الراشدون وما يختزنون ويزرعون لك في أكفانهم وقبورهم وأسمائهم من تعاليم وعبوديات..! أما ثوارك فقد صدوا بوثيتك صغوراً ترهب عيون النجوم الصعود إلى التحديق فيه!

.. إن الوثنية فيك يا شعبي العربي أصالة وجود وكيونة لا حالة أو مرحلة أو طور أو خطأ أو بداية أو طفولة!

لهذا لم يستطع أي شيء أن يهزم أو يذل أو يضعف أو يذهب شيئاً من وثنياتك!

إنك يا شعبي توحد لكي تعدد وتشرك، وتؤمن لتكفر، وتمدح لكي تدم وتلعن، وتمجد لكي

نهين، وترى لكي تفقد كل الرؤية، وتصلني وتحج لكي تكون أردأ عابدي أردأ الحجاره.١
.. إنك لنؤمن بالإله الواحد لكي تحول كل أنبيائه وأعدائه وجلاذه والمتحدثين عنه بل وكل ضرباته وأخطائه إلى أقسى الآلهة، وتؤمن بالنبي الواحد لكي تحول كل أصحابه وأبنائه وزوجاته ومحظياته وقبره وأحجاره ومغاراته وضعفه بل وثيابه وهمومه وهزائمه وشتائه وبغضائه وأحقاده وعداواته ومخاصماته وحروبه إلى أقوى وأخلد الآلهة، وتحترم الحجارة لتحولها إلى كعبات تصلي وتحج وتركع وتسجد لها بكل قامات وهامات ذاتك وفكرك وعقلك وقلبك وأخلاقك وإيمانك.. معتقداً وزاعماً أنك تعبد وتمجد وترضي وتخدع وتعانق أشرس إله.١

.. حتى أردأ وأوقع وأنذل وأكذب وأجهل شعرائك وفقهائك ومعلميك الجهلاء المخادعين الأميين قد حولهم إيمانك وإعجابك ومباهاتك بهم وقرأتك لهم إلى أشرس وأقوى الأوثان.. حولتهم إلى ذلك أصالة وموهبة الوثنية فيك.١

.. حتى حروبك وهزائلك وآلامك وغزواتك وعداواتك ومخاصماتك وخلافاتك مع نفسك ومع الآخرين حولتها يا شعبي العربي الفاجع إلى أديان وألوهيات ومقدسات ترى في رفضها أو نقدها أو قراءتها أو رؤيتها قراءة أو رؤية جديدة مسائلة محاسبة.

- ترى في ذلك زندقة وردة توجبان العقاب كما ترى في رؤيتها وإعلانها كل الكمال والعدل والذكاء والعبقرية وكل المستطاع والمراد والمطلوب كل الإيمان والتقوى والتعبد والاستقامة التي يهتف لها وبها سكان السماء والتي تحلّي وتزقّن وتكحل وتراقص وتغني لها حوريات وغللمان الفردوس انتظاراً لقدم الأعباء المستقيمين هذه الاستقامة.١

نعم، يا شعبي العربي الفاجع لكل أصدقائه ومحبيه ومتطريه المؤمنين فيه!
.. إن كل أوثان كل العالم في كل التاريخ لا تساري في تعدادها أو شرستها أو ديمومتها بعض أوثانك يا شعبي المعجز في تفاسيره لكل التفسير ولكل الراغبين في أن يفشروا ما ليس له أي تفسير.١

يا شعبي المسعد المفرح المروي المشبع لشماتة كل الشامتين.١
.. والآن اسمع يا شعبي العربي العزيز. أتضرع إليك أن تسمع وتستمع بأساليب وتفسير غير الأساليب والتفسير التي كنت أبدأ تستمع وتسمع بها.. لقد كنت تستمع وتسمع كما كان إلهك العربي يسمع ويستمع إلى الآهات والأثبات والتهافتات والنداءات والتضرعات والصلوات والتساؤلات والمحاورات الموجهة إليه.. الشاكية الباكية الياسفة المستفرغة كل دموعها وآلامها وفواجعها واحتقارها ولعناتها على ضخامة وجمال كل ما يحسب ضخماً وجميلاً في هذا الوجود.١
ما أقيح وأوقع وأبلد وأنذل هذا الاستماع والسماع.. كيف يقبل أي كائن أن يسمع أو يستمع كما يسمع ويستمع إليه؟

إذن يا شعبي العربي أرجوك وأتضرع إليك أن تتعلم السماع والاستماع بأساليب وأحاسيس واستجابات وقراءات وتفسير أخرى، أخرى، لا كما يسمع ويستمع إلهك العربي.١

ألم يعذبك سماع واستماع إلهك إليك؟ إذن كيف لا ترفض هذا السماع والاستماع؟
.. اسمع، اسمع أي بهذه المواهب والطاقات والاستجابات الأخرى المتمردة على سماع الإله
واستماعه. اسمع يا شعبي العربي الذي تقول كل التجارب والرؤى والأفكار: إنك لن تسمع إلا كما
يسمع إلهك. نعم، اسمع.. لقد وجد، لقد جاء عربي واحد، واحد في كل تاريخ العروبة. واأسفاه،
واأسفاه لأنه عربي واحد فقط.

لأن كل التاريخ العربي ينكر أن يكون قد تخلق فيه أو مر به غير هذا العربي الواحد.
.. لقد وجد وجاء هذا العربي الواحد ليتخطى كل حدود جنون الجرأة والمخاطرة.. ليقترح
كل مواقع ومراكز وتحصينات الخطر الجاهل الأمي المصعب بتعصب وشراسة وقسوة كل الآلهة
الجاهلية البدوية.

.. وجد وجاء ليقول ويكتب ويعلن بكل لغات وأصوات وأساليب الجرأة المنتحرة المجنونة
بجنون ما أصعب وأقل وأخطر وجوده..

.. ليقول ويكتب ويعلن شيئاً بشيء من الصدق، من الشجاعة، من الإيمان، من معاناة الحرية
والرؤية والتقوى الفكرية والنفسية والأخلاقيات والإنسانية بل والدينية، رافضاً بكل لغات وتفسيرات وصيغ
الجنون والانتحار أن يقرأ أو يفهم أو يتصور أو يرى أو يحسب أو يحاسب أي شيء من مخاطر
وهوم وعذاب وهزائم ذلك في عالمه العربي.. العربي الذي لم يجزب أو ير أو يجد أو يتصور أو
يفعل أو يعلن أو يستطيع أو يقرأ أو يسمع أو حتى يؤمل أو يتمن في كل مراحل وأطوار وصيغ وجوده
وتاريخه إلا النقيض، كل النقيض لكل ذلك..

.. في عالمه العربي الذي لم يتعذب أو يصدم أو يفجع أحد بأي شيء مثلما تعذب وصدم
وفجع به، أي بمعاشته ومواجهته وقراءاته ومحاورته ومخاطبته ورؤيته وتفسيره له..
أي لعالمه العربي وفي انتظاره منه وله وتأميله فيه..

رهيب أن تكون راثياً أو قارئاً أو مخاطباً محاوراً مسائل محاسباً مشروطاً بأسلوب غير عربي ثم
تكون محكوماً عليك بالآ تعاض إلا الإنسان العربي.

.. نعم، يا شعبي العربي، يا كل وجودي وفقدني، يا كل قراءاتي وتفسيراتي ورؤاي ومواجهاتي
وتجاربي ورضائي وغضبي.. يا كل آمالي ورأسي وهزائمي وانتصاراتي وقوتي وضعفي وفرحي وحزني
وتشاؤمي وتفاؤلي..

.. يا شعبي، يا كلني، كلي.. ما أصعب وأقسى وأفجع أن تكون كلي ثم تحي، كل النقيض
الأيمن لكل ما أريد وأتمنى وأطلب لك ومنك.

.. لقد قال واقتحم وفعل وأعلن هذا العربي بكل الجنون والحماسة.

.. بكل الجنون والحماسة اللذين كم أرجو وأطالب وأتمنى أن يصبح كل العقل والحكمة.

الذين أرجو وأتمنى أن يتعلم منهما شعبي العربي كل عقله وحكمته.. أن يتعلم منهما كل عقلاء وحكماء وأنبياء شعبي كل العقل وكل الحكمة!.

.. قال واقتحم وفعل وأعلن شيئاً قليلاً جداً من ذلك المنوع المفقود المحرم المعاقب عليه كل العقاب، بل من ذلك المستحيل أن يوجد من يتصوره أو يقبله فكيف يوجد من يقتحمه أو يفعله أو يعلنه أي في عالمنا العربي...

.. قال واقتحم وفعل وأعلن ذلك أي هذا العربي الواحد لا لأنه يؤمل أو ينتظر أو يطالب أن تفهموه أو توافقوه أو تؤيدوه أو تناصروه أو تحترموه أو حتى تعلموه وتغفروا له أو أن تملكوا أو تريدوا أو تستطيعوا وتفعلوا شيئاً من الشجاعة أو الرؤية أو الغضب أو الحماسة أو الشهامة أو الاستحياء أو الحرج أي لكي تجرؤوا وتتكرموا وتتقبلوا وتتفضلوا وتصبحوا كل صيغ وتفسير ومقاسات ونماذج الشجاعة والشهامة والمجد والكبرياء الأخلاقية والفكرية والنفسية والإنسانية والحضارية بل والدينية..

أي لأنكم جرؤتم وأردتم وفزرتهم وأعلنتم وكسبتم وقرأتم وفشرتهم وسؤغتم سبه واتهامه وتكفيره والمطالبة بالحكم عليه بكل ما تشتهي وتسعد وتفرح وترضى وتفاخر به كل بدوات وأخلاق وتاريخ ونبوات وألوهيات وديانات وتقوى العروبة بل وكل شعرها وفنونها وثقافتها.. كل معابدها ومعاهدها.. كل سلاطين العروبة وخلفائها وفقهائها.. كل ملوكها ورؤسائها وثوارها!



.. وبلي، انفجاعي، عاري، استحيائي، هزاعي، كل هزاعي بشعبي، من شعبي الذي يجبن ويهاب ويبخل ويحسد ويغار وينافس وينذل ويرذل إلى أن يجمع بكل الالتزام والانقياد والتقوى والفروسية على ألا يقول أو يكتب أو حتى يذكر أو يتصور أي بجهر أو إعلان أو محاوراة أو حتى مخاطبة أو مسالة شيئاً من لعناته أو اتهاماته أو تحريضاته أو تمنياته على إنسان يريد ويتمنى له كل ذلك ويراه مستحقاً كل ذلك ويجب أي في رغبته وشهوته أن يوقع به كل ذلك أي لفلا يكون راثياً له أو معترفاً أو مذكراً به أو متحدثاً عنه أي رغبة في إخفاؤه ونفيه وتحطيمه ورفضاً لظهوره، واشتهاره وانتشاره بنيات التآمر اللئيم!



أيتها الأرض.. أيتها الأرض.. كيف قبلت أو استطعت أو أردت أن تلدي أو تحملي أو تعاملي أو تطعمي أو تعاملي أو تواجهي أو تري مثل شعبي العربي.. أن تحبلي به؟ كيف قبلت أحشاؤك وأخلاقك ذلك؟

هل كنت أيتها الأرض، أيتها الطبيعة معادية لنفسك حين فعلت ذلك.

أيتها الأرض.. أيتها الطبيعة. كيف، كيف؟

ما أخسر وأعيب مساءلتك ومحاورتك أيتها الأرض أيتها الطبيعة!

أيتها الأرض، أيتها الطبيعة لقد علمك إلهك كيف ترقين على محاوريك ومسائليك. علمك ذلك مما علمته مواهبه وقدراته!

.. أيتها النجوم والشموس والمجرات كيف قبلت أو قدرت أو جرؤت أن تطلعي أو تشرقي أو حتى تمرري على الكوكب، على المكان الذي حبل بشعبي وولده وحضنه وحمله وأطعمه وعاشه وأسكنه وسأكنه؟ هل كنت تعاقبين نفسك أم تسلبنها وتضحكينها؟ هل أنت صماء عمياء لهذا لم تري أو نسعي لهذا لم تفجعي بشيء مما يرى ويسمع؟



.. آه يا شعبي. إنك محتر ومعجز ومعذب لكل الأفهام والعقول والحسابات لعجزك عن أن تجيء على أي مقياس من مقاييسها!

لقد قال وقزر واقتنع كل شيء أنه مهما أمكن الإنكار لكل شيء والاختلاف على كل شيء فإنه لن يكون ممكناً الإنكار أو الاختلاف على أنه لا شيء ولا مثل لسخائك في السب والانهام والبعضاء والمعداء ولا في جهرك وصراخك بذلك. إنك تحيا وتعظم وتمجد وتقوى وتكبر بذلك وبإعلانه وبالجهر به أي في رؤيتك لنفسك ولكل شيء!

إذن لماذا وكيف خرجت وتمردت على أصالتك وموهبتك هذه في هذه القضية؟ لماذا أنت أبداً خروج على كل التفسير؟

لماذا يا شعبي أنت أبداً إهانة لكل التفسير ونفي لكل التفسير الجميلة؟

.. لقد حرمتني يا شعبي العزيز من مناصرتك وفهمك وتأيدك وإعجابك، وهذا ليس شذوذاً في أخلاقك أو سلوكك في كل تاريخك.. ولكن العجيب والشذوذ أن حرمتني من شتائمك واتهاماتك وتحريضاتك وعداوتك أي المقررة المكتوبة المعلنة بكل هذه القسوة والخسة؟ إنك يا شعبي مستودع هائل من هذه النقائص التي لا تستطيع ولا يستطيع منعها من التفجر على كل وجه وعين وأذن وعلى كل شيء. إذن كيف لم تتفجر هنا؟ كيف كنتم أنفس هذا المستودع؟

نعم، لقد كان حرمانك لي هنا، في هذه القضية.

.. حرمانك لي من الشتائم والانهامات والشهير والتحريض أي جهراً وإعلاناً.

- نعم، لقد كان ذلك بأسلوبه ونياته أقصى وأتسى نماذج وتعبيرات القسوة والخسة المدبرتين بل الأصيلتين المدبرتين أو المدبرتين بالأصالة والطبيعة. إن سلوكك وضعفك الأليمين يا شعبي لا يحتاجان إلى التدبير مهما أردت وحاولت تدبيرهما!

.. ألسنت يا شعبي ترى وتعقد أو لا بد أن ترى وتعقد أن شيئاً أن أي شيء مما اعتقدته وقلته وكتبته وأعلنته بكل جنون الجراءة والمخاطرة والتمرد المتحدي بلا حدود أو قيود أو حواجز أستحق عليه من لعناتك وعداوتك واتهاماتك وتحريضاتك ومعاقباتك ومحاسباتك أكثر مما يستحق من ذلك كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون أو قد يكون في البشر والحياة والكون من

زندقات وآثام وأخطاء وخطايا.. أستحق عليه كل ما استطاعت وحشيات كل الآلهة أن تريد وتتصور وتفعل من كل أنواع وأساليب العقاب والعذاب؟

لأن كيف أمكن يا شعبي أن تنتصر على أخلاقك ومواهبك وأصالاتك وأشواقك إلى الشتائم والانتهاكات والمداوات والتحرصات والمحاسبات أي المعلقة الجاهزة الصارخة؟

هل أصبح هذا المستحيل واقعاً لكي توقع بي هذا الحرمان؟ هل رأيت أن حرمانك لي يا شعبي الرحيم من هذا العقاب هو أقسى عقاب؟

أليس محتوماً أو حتى محتملاً أن يتعذب الإله وكل سكان السماء إلى أن يستحقوا كل الرثاء والعزاء بل والبكاء لعجزهم عن فهمك وتفسيرك يا شعبي العربي، أي في انتصارك وخروجك على مواهبك وأخلاقك وأصالتك وأشواقك وتاريخك في هذه القضية أعني قضية حرمانني وحمايتني من أن تطلق علي شيئاً من أسلحتك البذيئة القبيحة الرديئة الهمجية، أعني أسلحة السباب والانتهاك والتحرص والبغضاء والتشهير أي المكتوب المقرء المعلن الصارخ المخطوب المصلى المتعبد به..

الذي تكتبه وتقرؤه وتعلمه وتصلي وتتعبّد به وله كل ديانات وتقوى وكبرياء وشهامة وكرامة كل آلهتك وأنبيائك وعلمائك وشعرائك وسلاطينك وخلفائك وفقهائك ورؤسائك وملوكك وثوارك يا شعبي العربي، يا شعبي العربي يا كل عذابي وانفجاعي وهزائمي وذنوبي وعاري وأحراني.

.. يا كل من صنع وصاغ رؤاي له وآرائي فيه وغضبي منه وفواجعي به وتمردّي عليه!

.. أينها الأرض، أينها الطبيعة هنا عربي يريد أن يأسى ويحزن لك أي يعلن أساء وحزنه لك، وأيضاً يريد أن يستغفر ويعتذر إليك بل ويشكرك من أجل ما فعل بك شعبه ومن أجل ما فعلت لشعبه وقاسيت وتوزّطت وانفضحت من أجل شعبه!

لقد تقبّلت أينها الأرض، أينها الطبيعة مخدوعة أو مخططة أو رحيمة أو كريهة أو رائية أو مسحورة أو مقهورة أو مأمورة.

نعم، لقد تقبّلت بكل أساليب التضحية والفداء ومشاعر الحب والرحمة والشفقة أو بكل معاني الغباء والغفلة والقسوة أن تحبلي بشعبي العربي وأن تلديه وتخلقيه وترضعيه وتحضنيه وتربيه وتطعميه وتريه وتواجهيه وتعايشه وتواطيه وتساكنيه..!

إن ما فعلت عطاء لا مثيل له في عطائه أو غبائه وهوان لا مثيل له في هوانه وغيبائه.. إنها قمة الفداء والنخوة والشهامة أو حضيض السقه والعبث والقسوة والبذاءة والنذالة.

.. وأي التفسيرين يجب وترين وترضين أن تفتري به، وأيهما أصدق وأذكي تفسيراً لك؟

ولكن أينها الأرض، أينها الطبيعة هل لك تفسير دون تفسير؟ ألسنت كل التفاسير الرديئة وكل التفاسير المحسوبة والمزعومة جيدة لأنها كل التفاسير الرديئة؟ وبأي منطق أو حساب يفصل بين التفسير الجيد والتفسير الرديء ويفهم الفرق بينهما؟

هل الفرق بين التفاسير الجيدة والتفاسير الرديئة في الأشياء والكائنات المفترسة أم في المفترسين

وهل الفرق بين مفسر ومفسر فيهما أم في تعاليمهما وظروفهما وتلقياتهما وفي ذكائهما وغبائهما ورؤاهما وفي انفعالاتهما وقراءاتهما وانتماءاتهما؟ هل الفرق بين النبي والنبي أو بين النبي والفيلسوف والملحد في تفاسيرهم ورؤاهم للأشياء فرق في الرؤية أم في المرئي؟

ماذا لو وجدت محكمة أو منظمة كونية فتوجه إليها الإنسان العربي مطالباً بمحاكمة الأرض والطبيعة على ولادتهما وخلقهما وصياغتهما وتربيتهما وحضائتهما له ليحيى ويظل كما جاء وكما ظل بكل صيغه ونماذجه ومواهبه وبكل كينوناته.. بكل سلاطينه وخلقاته وزعمائه وقادته وشيوخه وفقهائه.. بكل قهره وقصوره وأكواخه وخيامه.. في كل تاريخه..

.. بكل ثواره وثوراته ونبواته وانتصاراته!

.. ما أعظم ذنوب ووحشية ونذالة من صنع أو أراد للإنسان العربي ثوراته وثواره. وهل وجد هذا المرید الصانع لذلك؟

هل حقر أو أبغض أو شوه الإنسان العربي مثل من صنع له وأراد ثوراته وثواره؟ هل عوقب أحد أو شيء مثلهما عوقب الإنسان العربي بثوراته وثواره؟ هل عزى وفضح وضخم نقائص العرب وسيئاتهم مثل ثوراتهم وثوارهم؟

.. فظيع، فظيع أن يقال أو يعتقد أن فوق هذا الوجود أو في داخله إلهاً مطلق القدرة والتصرف والتفكير والتفاسير، وأن هذا الإله هو الذي أراد وقدر ودبر وخلق وصاغ للعرب ثوراتهم وثوارهم.. كيف يستطيع حينئذ أن تحصي أو تقدر عداوات وبغضاء هذا الإله للعرب وأحقاده عليهم؟

وأيضاً متهماً أي الإنسان العربي الأرض والطبيعة بأنهما قد حابتا الإنسان الآخر عليه فوعينا هذا الإنسان الآخر كل ما يعرفان ويستطيعان من حماس وقدر ومعرفة وإرادة لكي تصنعا وتصوغا أفضل وأعلم وأقوى وأسعد، بل وأنقى ليكون أي هذا الإنسان الآخر هو سلطان بل إله هذا الوجود المطلق.. ليكون المتحكم فيه والحاكم المطلق فيه بلا أي منافس أو مقاوم أو حتى معارض.. إنها محاباة ضخمة ومذلة. وهل يوجد متهم بهذه التهمة أو بغيرها غير الأرض والطبيعة؟

.. أجل، ماذا لو وجدت هذه المحكمة أو المنظمة الكونية واحتكم إليها الإنسان العربي متهماً للأرض والطبيعة بالانتهامات التي ذكرت وقرئت وأعلنت وفشرت وعرضت وفهمت؟ أنا هنا أفترض الإنسان العربي يحسن الانتهام بجيد عرضه وقراءته ويعرف مكانه. ولكن ما أصعب وأغلى هذا الافتراض!

نعم، العربي كل معانيه ولغاته وعباداته اتهام ولكن بكل تفاسير الأخطاء والخطايا!

.. ثم ماذا لو أن الأرض والطبيعة اشتكتا واحتكمتا إلى هذه المحكمة أو المنظمة الكونية عطاليتين بمعاقبة الإنسان العربي وبتمويضهما عن كل ما أوقعه وصنعه بهما من إهانات وتلوث وسفه وتشويه وإفساد وتعجيز وثقبيح لجمالهما وبراءتهما وأخلاقتهما وذكائهما وصفائهما ولصحتهما ونظائهما وكرامتهما بل ولتقواهما...!

ومن سرقات وإبادات واستهلاك أعمى مجنون همجي سفیه لطافتها وعطائها وسخائها وإنتاجها ومواردها...

والعربي لا ينافس في سفه وفوضى وعدوانية الاستهلاك فيه أي إذا قدر.

أي بلا أي ثمن أو تعويض أو تكفير أو تصحيح أو بديل أو توقع جيد.. وأيضاً من عدوان. أليس كل معايشة ومواجهة الإنسان العربي للأرض والطبيعة ولكل شيء عدواناً، عدواناً بكل الأساليب والتفاسير.. عدواناً أخلاقياً وفكرياً ونفسياً وعلمياً وحضارياً وجمالياً وعمرانياً بل ودينيّاً؟ حتى تدينه ودينه إساعة لكل معاني الدين والتدين.

نعم، ماذا لو حدث هذا وهذا وهذا؟ وكيف لم يحدث لا هذا ولا هذا ولا هذا؟

لماذا لا يحدث ما يجب أن يحدث ويحدث ما يجب ألا يحدث؟

ألا يعني هذا كله أن هذا الوجود، هذا الكون وقد يكون كل كون ووجود كذلك بلا أي قانون أو حراسة أو حاكم أو دولة..

.. بلا أية محكمة أو منظمة أو حماية من أي نوع يمكن التحاكم أو حتى الشكوى أو التظلم إليها؟

.. الكون بلا حكم أو حاكم أو حكومة. هل فطن العالم المحكوم به إلى ذلك؟

كيف حدث هذا؟ كيف حدث وقبل بل وغفر وشكر أن يكون لأجزاء هذا الكون والوجود محاكم ومحاكمات وحكومات ثم لا يكون له كله شيء من ذلك...!

.. أن يكون لكل من خلقوا وصيروا بالإكراه وفي غيبتهم محاكم ومحاكمات ومحاسبات ومعاقبات ومسؤوليات وحكام وحكومات ثم لا يكون لمن أراد ودبر وخطط وصنع وخلق وصاغ كل ذلك.. كل شيء أي شيء من ذلك أي من المحاكم والمحاكمات والمحاسبات والمعاقبات والمسؤوليات والحكومات والحكام.

أو لمن هو الوالد الباصق المستفرغ المفروز لكل شيء.. المصنوعة من ذاته كل ذات؟

آه، كيف حدث أن تكون الصورة المشوهة أو المخطئة محاكمة ومعاقبة ومساءلة ومحاسبة ثم لا يكون مصورها شيئاً من ذلك، بل ثم يكون مصورها هو المحاكم والمسائل والمحاسب والمعاقب لها؟

كيف يحاكم خفقان القلب ولا يحاكم القلب، أو يحاكم القلب ولا يحاكم الجسد الذي زرعه وأنبته أو يحاكم الجسد ولا يحاكم الطبيعة..

الطبيعة التي ولدته وبصقته وصاغته وشوّهته؟

.. كيف تحاسب وتحاكم وتفشر الثمرة ثم لا يفعل شيء من ذلك بشجرتها، ثم كيف يفعل كل ذلك بالشجرة ثم لا يفعل شيء منه يربتها أو يذرثها أو يبتتها أو يمتاخها وظروفها؟ كيف تحاكم اليد الضاربة أو الرجل المقتحمة ولا تحاكم الإرادة أو الشهوة أو الرؤية أو العقيدة الموجهة الضاغطة؟

.. كيف يحاسب ويحاکم ويعاقب المولود على ما أوقعه به والداه توريثاً وتعلماً وتدريباً ثم لا يسأل والداه عن أي شيء من ذلك؟ كيف يفتر هذا المولود وأي مولود معزولاً عن آباءه توريثاً وتدريباً وتعلماً وتلقيناً؟ كيف يحاکم الفيضان ولا يحاکم السحاب أو يحاکم السحاب ولا تحاکم البحار والأنهار، أو تحاکم البحار والأنهار ولا يحاکم الكون أو يحاکم الكون ولا تحاکم كينونته أو تحاکم كينونته ثم لا يحاکم كل شيء؟

.. كيف حدث أو أمكن أن يحدث أو قبل أو أمكن أن يقبل هذا؟

هل وجدت أو يمكن أن توجد حدود أو قوانين أو تفاسير للقبول أو للرفض؟

أليس كل شيء يدل ويقول ويقنع أنها لا توجد ولم توجد ولن توجد هذه الحدود أو القوانين أو التفاسير بل وأن أحداً أي أحد لن يهد أو يتمنى أو يتقبل بشيء من الرضا أن توجد؟ إن القبول والرفض في الحكم بهما وفي تنفيذهما فوضى كفوضى الوجود. وجود الشيء وتقيضه، وجود هذا دون هذا.. وجود الوجود وكل شيء كما وجد..!

.. حتى الإله الذي قيل لنا وعلمنا عنه قأمتنا وأعلمنا إيماننا أنه مطلق القدرة والإرادة والرؤية والجمال والكمال. حتى هذا الإله الذي قيل لنا وعلمنا عنه كل شيء دون أن نجد أو نرى فيه أي شيء مما علمنا عنه وقيل لنا عنه بل أو أن نؤمل أي شيء منه.

- حتى هذا الإله هل وجدت أو قيل أو طالب أو اشترط أن توجد أية حدود أو شروط أو قوانين أو تفاسير لقبوله أو لرفضه؟

هل هل وجد مثل هذا الإله تنازلاً عن كل هذه الحدود والشروط والقوانين والتفاسير بل وخروجاً عليها ونسياناً لها وجهلاً بها بل ورفضاً لها؟ هل هل مثله معلماً ومريداً ومخططاً لهذا التنازل والنسيان والجهل والخروج والرفض؟ هل مثل إله هذا الكون تنازلاً عما لا يصح أو يقبل أو يغفر التنازل عنه أو تقبلاً وفعللاً لكل ما لا يقبل أو يعقل أو يغفر فعله أو تقبله؟ هل مثله فاعلاً لكل ما لا ينبغي ولكل ما لا يطلب أو يراد، تاركاً لكل ما ينبغي ولكل ما يطلب ويراد وخارجاً على كل تفاسير الجمال والنظام والعقل؟

هل وجد كائن بلا أي شروط ذكية أو تقية أو كريمة أو نظيفة أو رحيمة أو شجاعة لوجوده.. لقبوله لوجوده مثل إله هذا الكون؟ هل وجد عارض لنفسه معلناً عنها بأقصى وأتبع وأشمل أساليب ولغات الهجاء والتحقير والفضح لها مثل هذا الإله؟

.. هل يمكن أن يوجد أي شيء لو كان كل شيء أو أي شيء لن يوجد ولن يقبل أن يوجد إلا بشروط.. بأي قدر من الشروط الفنية أو العلمية أو الفكرية أو الأخلاقية أو حتى النفعية؟

لو كان وجود أي موجود أو أي شيء لن يكون إلا بشروط فهل يكون وجود إله هذا الكون أكثر احتمالاً من وجود أية حشرة أو عاهة أو دمامة أو ندالة أو شيخوخة أو مرض أو موت لكي يصبح الكون كله جمالاً وسعادة وصحة وقوة ومحبة ورحمة وحكمة وفناً وشعراً وسروراً أي لوجود كل ذلك فيه؟

لو كانت هناك شروط لوجود أي أحد أو أي شيء فهل كان ممكناً أو مقبولاً أن توجد أية زعامة أو قيادة أو ديانة أو نبوة أو ثورة عربية أو لائر عربي؟

بل أو أن توجد أية لغة أو حروف أو أبجدية يمكن أن يتحدث أو ينطق أو يكتب بها أي لسان أو قلم في فم أو يد أي إله أو نبي أو شيخ أو قديس أو معلم أو مفكر أو شاعر أو فنان عربي، أي عربي؟

لو كان للغات أية حماية بأي أسلوب فهل كان ممكناً أن توجد اللغة العربية ومثلها لغات أخرى ليتكلمها من يتكلمونها كما تكلموها ويتكلمونها؟

هل يمكن أن يوجد من يعتقد بل من يتصور أن الكلمة والقلم قد يهانان أو يحقران أو يفتضحان أو يصفران أو يلعنان أو يسفطان ويتلوثان مثلما يحدث لهما كل ذلك في يد أو فم أي عربي - أي من يعتقد أو يتصور ذلك قبل أن يحدث؟

لو أن أي كائن لم يسمع العرب متكلمين ولم يقرأهم كاتنين فهل يمكن أن يتصور أن أفواهها أو أقلامها قد تتكلم أو تكتب شيئاً مما يتكلمون أو يكتبون؟

.. كيف أمكن أن يكون لهذا أو لأي شيء أي تفسير أو منطق أو تقبل أو غفران؟ لقد كان ذلك صعباً بل لقد كان مستحيلاً..

ولكن قد يقال: لقد تحول هذا الصعب أو المستحيل إلى مقبول ومعقول ومشكور ومعلم، بل لقد تحول إلى كل ذلك.

وكيف حدث ذلك؟ حدث لأن الإله العربي والإنسان العربي هما اللذان يريدان ويخططان ويقرران ويقرآن ويفسران ويهران ويصوغان كل شيء.. كل وجود ومنطق وعقل وأخلاق ورؤية ودين وتدين وألوهية ونبوة وآلهة وأنبياء.. وقد يحتاج هذا إلى تفسير ومنحاول تفسيره أعني كون الإله العربي والإنسان العربي هما كل ذلك. كل هذه الوظائف!

وهنا هل يمكن أن تصبح أو تظل أية رؤية أو منطق أو تفكير أو تصور أو أخلاق أو ثقافة أو لغة أو ألوهية أو نبوة أو ديانة أو تقوى.

- أن تصبح أو تظل كل معانيها أو شيئاً من معانيها؟ هل يمكن ذلك إلا إذا كان ممكناً أن تصبح أو تظل الثورات أو الزعامات أو القيادات أو الحريات أو التقديرات أو الحضارات أو العبقريات العربية في أي عصر من عصورها شيئاً من معاني ذلك أو تفاسيره أو تعبيراته أو طاقاته أو نياته أو أخلاقه أو انتصاراته؟ أليس الإله والإنسان العربيان خروجاً على كل التفسيرات المعروفة المرادة كما أن الثورات والحضارات والحريات والثورات والقيادات العربية هي نفس هذا الخروج؟

وهنا يجب أن يسقط بل ويطرود الحساب والانتظار والاشتراط لأي شيء جيد أو ذكي أو تقني في كل ما حدث وفي كل ما قد يحدث..

أجل، لأن الإله العربي والإنسان العربي هما اللذان يريدان ويفسران ويخططان ويصوغان كل شيء وكل أحد ويحكمان ويحاكمان كل شيء وكل أحد..!

وهنا لا بدّ بل ويجب أن يتصحب بل ينكر ويفزع كل من يسمع أو يقرأ أو حتى يتصور هذا القول. ولا بدّ أن يزول وبهون كل هذا حين يسمع التفسير.. إنه تفسير قد يكون أقسى صدمة ولكنه حقيقة وليس هزلاً. ولا بدّ أن تكون قسوته أعنف لأنه حقيقة وليس هزلاً!

.. هل يستطيع أن يجهل هذه الحقيقة إلّا من يجهلون أن الديانة العربية والنبوة العربية قد جاءتا وجاءتا إلغاءً ونسخاً وإبطالاً وطرداً وقتلاً وتكذيباً وسباً وتقيحاً وتحقيراً وتصحيحاً عدوانياً همجياً بدوياً لكل الديانات والنبوات ولكل الكتب المنزلة المقدسة التي قد جاءت أو زعم أنها قد جاءت أو التي قد تجيء أو يزعم أنها قد تجيء.

.. جاءت أي الديانة والنبوة العريثان لتكونا امتلاكاً شاملاً احتكاريّاً لكل العلاقات بالسماء وبمن فوق السماء ولكل علاقات السماء وسكانها بكل شيء وأي شيء ومع كل شيء وأي شيء أي تعليماً وتشريعاً وتفسيراً ومحاورة ومخاطبة ورؤية ورواية وقبولاً ورفضاً ومدحاً وذمّاً وحباً وبغضاً.. أي جاءتا لتقررنا وتعلننا امتلاك وتملك الإنسان العربي لهذه العلاقات بالسماء ومع السماء بأسلوب احتكاري أبدي..!

.. إذن فالسماء لا تستطيع ولا تقبل أو تريد أن تتصل بالإنسان أو بالأرض أو بأي شيء أي معلّمة أو مشرّعة أو مفترسة أو محاورة أو مخاطبة أو مغازلة متضرّعة مطالبة راجية باكية متعلّقة متخصّصة بكل المسكنة، أو أمرة ناهية متنوعة مهدّدة واعدة بكل الكبرياء والغرور والوحشية والوقاحة بل والكذب والخداع والنفاق.

- نعم، لا تستطيع أو تريد أو تقبل أن تتصل هذا الاتصال إلّا من نوافذ وخروج ذات الإنسان العربي ومن تراب مقابر موته.. أوثانه أي بواسطة ديّانته ونبوته وكتابه المنزل أو المزعوم منزلاً.. هل توجد وسائل مواصلات بين الكون والإله أو بينه وبين الأرض غير مقابر الإنسان العربي. مقابر موته.. أوثانه التي استفرغ أي الإله فيها كل ذاته؟ هل ثقّلت مقابر العرب إلّا لأن ذات الإله مستفرغة فيها؟

.. إذن فالإنسان العربي أي بسلطان وجبروت ومنطق وواسطة نبوته وديّانته وكتابه المنزل هو وحده بلا ند أو شريك أو مساعد أو حتى مستشار - هو وحده الذي يريد ويرى ويتصور ويخطّط ويصوّر ويفسر ويخلق ويصوغ ويحكم ويحاكم بل ويعلم وينظم وينظف الإله والكون وكل شيء وكل أحد أي كما يريد ويعتقد ويشتهي ويستطيع باسم نبوته وديّانته وألوهيته وإلهه وكتابه المنزل. هو الذي يضع ويعلم ويحدّد ويصوّر للإله كل نماذج ومقاييسه وصوره ومواهبه النفسية والفكرية والأخلاقية الأبدية النهائية!

.. إذن فالإنسان العربي بهذا التفسير هو وحده الذي يحكم ويحاكم ويعاقب ويقتل ويقاتل ويسب ويحقّر ويوعد ويذل كل شيء وكل أحد، بل ويخلق الجحيم ويدخل فيه كل إنسان وكل كائن أي إن كان يريد ويحب له ذلك ويعتقده مستحقاً لذلك لأن الفاعل لذلك وهو الإله لا يوجد إلّا في ديانة ونبوة الإنسان العربي أي إلّا في ذات وحياة الإنسان العربي!

يا من قد يصابون هنا بكل الانفجاعات والانزعاج والذهول، الدهول اقرؤوا وفشروا نصوص ومعاني: «محمد خاتم الأنبياء ودينه وكتابه خاتم الأديان والكتب المنزلقة».

اقرؤوا وفشروا هذا لتعرفوا وتقتنعوا وتصرخوا قائلين: أعد، أعد، زدنا من تفسير ذلك، زدنا ولو كررت واتهمت بال تكرار لأقول غافراً وعاذراً لمن يصدقون هذا الاتهام.. لأقول: يعلن ويعتقد الإنسان العربي بكل أجهزة التعبير - والمفروض أن العالم يعلم هذا الذي يعلن ويعتقده الإنسان العربي - نعم: .. يقول معلناً وصارخاً ومتحدياً ومصدقاً أي الإنسان العربي: إن الله منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد إلى نهاية الكون إلا في النبوة والديانة العريضة أي معلماً ومشروعاً وآسراً ناهياً ومحلاً محرمات وراثياً وقابلاً رافضاً وراضياً غاضباً ومحاسباً محاكماً معاقباً وقائلاً صامتاً وفرحاً حزيناً ومنصراً منهزماً وقوياً ضعيفاً.. إنه يقول ذلك بكل الجهر والفخر والافتخار والكبرياء!

والديانة والنبوة العريضة لا توجدان أي بهذه التفسير إلا في الإنسان العربي أي في رؤاه وعقائده وتفسيره وإراداته وتقاليده وظروفه وفي قوته وضعفه وحبه وبغضه ورضاه وغضبه وفي أفواهه ولغته ورواياته وفي خصوماته وعداواته وحروبه وفي مهادناته ومصادقاته ومصالحاته بل وفي بؤسه وجهله وكذبه ونفاقه وقسوته!

.. إذن فالله أي بهذه التفسير لا يوجد إلا في ذات الإنسان العربي، في محاربه ولحاه وعصائمه وفي قبور موتاه وفي الروايات والأساطير عنهم بل وفي ملابسهم ومساحهم وهمومهم وأحوالهم وفي عاهاتهم وتشوّهاتهم الذاتية والنفسية المعنوية الأخلاقية!

إذن فالإنسان العربي هو الله أي بهذه التفسير.. إذن فالله لا يوجد ولا يلتصق ولا يفهم أو يقرأ أو يرى أو يفتر إلا في ذات الإنسان العربي..

هل يستطيع العالم أن يجهل أو ينكر ذلك؟ وهل يستطيع أو يجزؤ أن يعلن إنكاره له أو جهله به أي إن كان يجهله أو ينكره؟ ألم يذل بل ويقتل النفط العربي كل شجاعة وكرامة وكبرياء وصدق في هذا العالم؟

شكراً أو سحراً لك أيها النفط العربي. لقد بالغت في تأديك وإذلالك لكل العالم ليهوي إلى هذه المسكنة والهبوان في تعامله مع العروبة، مع صحراء العروبة.. مع ديانة ونبوة العروبة.. إذن هل نقول شكراً أم نكراماً لك؟

.. يا من قد تقرؤون تفسير وتبيان هذه الحقيقة فتقبلون أو ترفضون هل ستتحولون حيثئذ إلى إعجاب واهتمام وإيمان بالإنسان العربي وإلى ولاء وطاعة ومحبة له وإلى خوف ورهبة منه وإلى تبعد وصلاة في كل محاربه وإلى حجب واعتذار إلى كل كعباته ومزاراته ومغاراته أم إلى مزيد من الإذلال والفضح والتعشير والتكذيب والتجهيل له ولإلهه بالصمود فوق عقله وعلمه وتعاليمه ورؤاه وتصوّراته وأحلامه وكبرياته.. فوق سريره المخائف المتخفي داخل كل المخاض، التي لا تختزن شيئاً والتي لا يمكن الوصول إليها مهما حاول وسافر المسافرون والمحاوّلون!

.. فوق نجومه وشمسوه ومجراته وأقماره التي لم يرها أو يعرفها.. فوق جماله ورحمته وفنونه وأمجاده وقدراته وعبقرياته التي رواها الذهاب للبرغوث وفترتها العامة للدمامة وغناها المرض للموت وحرسها الغباء للجهل والأخطاء للخطايا والعار للهوان..

وقرأتها الأثبات على الآهات وخطبت وصلت بها الأليسة للملائكة وزينت ومدحت بها القصور والغبان الصقور والنسور.. ورأتها العيون العمياء في العيون الحزينة وقالتها الزهور الميتة للزهور الذابلة الظلماء وعيرت بها النبوات والديانات الأخيرة النبوات والديانات الأولى.. القديمة. وطاردت وحاربت بها الديانات والنبوات الأخيرة الديانات والنبوات التي كانت قبلها..!

.. التي أهانت وأذلت بها قسوته أي قسوة الإله رحمته، وأذل وأهان بها غباؤه ذكائه، وأخطأه صوابه، وضعفه قوته، ودماسته جماله، وكذبه صدقه، وهوانه عزته، وهزأته انتصاراته، وفجوره تقواه، وفقده وجوده.. أي التي كذبت وأذلت وأهانته علامات وشهادات فقده ادعاءات واعتقادات وجوده..

.. التي كذبت بها كل أفعاله وكل رؤاه وتفسيره وكل أدبانه ونبراته وتصويراته ورواياته والروايات عنه.. التي كذبت بها الرؤية الرواية والصورة التصوير والفكر الاعتقاد والانتظار الوعد وكذب بها كل الشهود المشهود له.. كل من أريدوا وحسبوا شهوداً له..!

إن مأساة وفضيحة وعذاب وهوان وإهانة أي إله وكل إله أنه لن يوجد أو يرى أو يقرأ أو يفسر أو يفهم أو يعرض في ذاته بل في ذوات الآخرين في كل أهوائهم وشهواتهم ونقائصهم وظروفهم وعيوبهم ولغاتهم وأخلاقهم وفي أعضائهم ولغات وأخلاق أعضائهم.. في كل لغات وأخلاق أعضائهم.. إنها لو تغيرت أخلاق ووظائف وكيونات الأعضاء.. أعضائهم لتغيرت أوصاف وأخلاق وكيونات وأوامر ومطالب وتعاليم إلههم..!

.. منذ وجد الكون والإنسان والآلهة أي والحديث عن الآلهة والتصوّر لها والتعليم بها وعنهما ولها هل وجد أي إله في ذاته أم في ذوات الآخرين المتعددين المختلفين المتفاوتين المتناقضين المتحاربين المتلاعنين؟

لهذا جاء ويجيء أبداً أي الإله متناقضاً متلاعناً متحارباً متفاوتاً مثل من جاء في ذواتهم..!

إذن هل وجد أي إله أم وجد من زعموا أنهم وجدوه؟ ولو وجد فهل وجد أو يوجد في ذاته أم في ذوات من وجدوه أو من زعموا أنهم وجدوه؟ إن الإله هو الكائن الذي لن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يفسر أو يوجد أو يلتقي في ذاته أو بصوته أو بخطه أو بقوته أو هيئته أو حتى في صورته أو زيه.. إنه أبداً مزور..

.. في كل تاريخ الإله أي إله هل رؤي أو سمع أو لقي أو لمس أو شَم أو وجد أو وُجِه مخاطباً معلماً أمراً ناهياً محاسباً محاكماً حاكماً ناطقاً بالحكم معاقباً منقذاً للعقاب مادحاً ذاتاً مصادقاً معادياً محارباً مسالماً رافضاً قابلاً محلاً محرمًا؟ هل حدث شيء من ذلك أو يمكن أن يحدث؟

أم الذي وجد وجاء أبداً بكل أساليب ومعاني الوجود والمجيء هو الإنسان لابساً كل الأزياء،

متكلماً كل اللغات، منتحياً كل الانتماءات، ناطقاً بكل الشعارات، صاعداً فوق كل المحاريب، مشحوناً متفجراً بكل العداوات والأحقاد والبغض والأهواء والشهوات والآثام والنقائص والأكاذيب والأحوال ملقياً بها على الإله.. على ضميره وعقله وأخلاقه وعلى كل معانيه بل مادحاً مصلياً متعبداً له بها..

زاعماً أنه أي الإله هو الذي يفعل ويقول ويعلم ويفسر وينقذ كل ذلك بواسطة ذاته ومن داخلها بل وأنه هو المرئي المسموع المقروء الموجود فوق المنبر وداخل المحراب وفي سطور الكتاب وفي اللحية والعمامة والعباءة والقلنسوة والجلباب جاء في صيغة بعض من خلق ليقول ويعلم ويفسر وينقذ كل ما يريد ويطلب مصوراً عارضاً نفسه في عمامة أو جبة أو لحية أو عباءة أو خيمة أو جلباب مرتدياً لذلك متخفياً مستتراً متكرراً فيه دون أن يستطيع أي الإله أن يعلن معارضته أو موافقته.. أن يقول لا أو نعم.. أن يقول كذبت وأخطأت أو يقول صدقت وأصبت..!

إنه أي الإله الكائن الذي لا يقول أو يفعل شيئاً لتبرئة نفسه مهما قست الاتهامات..!

لهذا أي لأنه أي الإله لا يستطيع أن يقول أي شيء من ذلك فإنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مثله من جرؤ ويجرؤ على الكذب عليه كل الكذابين الجبناء الضعفاء بكل الشجاعة والقوة والأمان والاطمئنان..!

إنه لا كائن أبهى وبهاج وسوف يظل يباح عرضه وشرفه وكرامته وذكاؤه وتقواه لكل الكذابين والمتاجرين والأغبياء والجهلاء والأنذال بلا أية حراسة أو رقابة ذاتية أو خارجية محلية أو عالمية مثل الإله.. مثل كل إله..!

.. إن من أصعب الأشياء على الأفهام والأخلاق والعقول بل وعلى الإيمان والتدين والتقوى ومن أعسرها أنها لم توجد أقوى وأضخم وأشهر المنظمات العالمية بل والكويتية لحمايته وتبرئته من ذلك..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد محتاج إلى هذه الحماية والتبرئة مثل الإله.. مثل كل إله؟

.. هل كان فقدان هذه المنظمات عجزاً أم جهلاً أم كسلاً أم استرخاء أم بلادة أم عداوة أم مؤامرة مدبرة على هذا الإله الذي لا ناصر ولا حامي له مهما جاءت وكانت المزاعم والعقائد والأديان المتهمه المشوهة الشائنة لكل صوره وصيغه وتفسيره؟

هل وجد مستغفر عليه ومستغفر به مشتومر به ولا أي حامٍ أو مناصر غير الإله؟

إن أقسى وأوقع وأقبح وأقوى أعداء الإله رفاضيه ولاعنيه ومشوهيه ومحقره هم أنبياءه وأولياؤه وأصدقائه وأنصاره..

.. هم الذين يجيئون ليعلموه ويمجدوه ويعبدوه وينظفوه ويقدسوه ويفرحوه ويزفوه إلى كل

احتفالات ومهرجانات الأعراس والأفراح والزفاف..!

لكي يدقوا كل أجراس مجده والتمجيد له..!

كيف لم يعرف ذلك ويعلمه أنبيأؤه وأولياؤه وأصدقاؤه؟

هل التفسير أنهم أغبياء أو أعداء كل هذا الغباء أو كل هذا العدا؟

لعل أردأ وأسوأ وأعدى الأعداء هم الأعداء الذين لا يعرفون أنهم أعداء. لعل الأنبياء وكل المتحدثين عن السماء وعن سكانها هم هؤلاء الأعداء الأغبياء أي حين يكونون صادقين.

.. بعدنا عن السؤال أو الافتراض الذي طرح نفسه على نفسه وعلينا أو الذي طرحه على نفسه وعلينا أو الذي تحدثنا عنه في سطور سابقة دون أن يطرح نفسه على أي شيء أو تطرحه نحن على أي شيء.. هل السؤال يساوي السؤال وقضية السؤال أي المسؤول عنه أم يساوي السائل؟ هل سئل هذا السؤال أو عرف جوابه أو وجد من يريد معرفة جوابه؟

نعم، لقد بعدنا كثيراً عن السؤال فلنعد إليه معتذرين إليه..!

.. إنه السؤال أو الافتراض الذي يقول أو الذي يقال إنه يقول أو الذي يجب أن يقول ويجب أن يقال إنه يقول:

ماذا لو وجدت هذه المحكمة أو المنظمة الدولية أو الكونية فاحتكم إليها الإنسان العربي شاكياً مما فعلت به الطبيعة والأرض، مطالباً بالعقاب لهما وبالتعويض لهما، مما فعلتا به، أو فاحتكتم إليها الأرض والطبيعة مطالبين بالعقاب والتعويض من الإنسان العربي لما فعل وأوقع بهما؟

أي الخصمين حينئذ سيكون منطقهم وحججهم ونهمهم أقوى وأصدق وأولى بالاستماع إليه وبالتفكير لدى هذه المنظمة والمحكمة؟

وماذا تقول الاحتمالات عمن قد يحكم له أو يحكم عليه، وأيهما قد يجيء الحكم له أو الحكم عليه أقوى وأقضى؟

إن الحكم أحياناً ليعذب ويخيف ويحزن ويفجع من يحكم به أكثر وأقضى مما يفعل ذلك بمن يحكم عليه. ليت الإله عرف ذلك..!

وقد يجيء التساؤل حينئذ هكذا:

وهل تستطيع هذه المنظمة أو المحكمة أن تحكم لهذا أو لهذا، أو أن تحكم على هذا أو على

هذا؟

إن الحكم على هذا أو لهذا له شروط وأسباب صعبة جداً..!

أليس المفروض أو المحتوم بل أو المطلوب والواجب والعدل والشرف أن تقع في حيرة بل في ورطة تجعلها عاجزة عن أن تدبر أو تبرىء وعن أن تجزي أو تعاقب وعن أن تعرف ذلك مثل عجز إله وحاكم أو صانع أو قائد أو مرشد أو مدبر هذا الوجود، كل الوجود، وكل وجود عن أن يعرف ما الذي يجب وينبغي بل ويريد ويرضى ويسعد ويفرح ويشرفه أن يخلقه وكيف يخلقه ومتى يخلقه وأين يخلقه ولماذا يخلقه ولمصلحة من يخلقه وبأي منطق أو خلق أو كرامة أو دين أو تقوى يخلقه ويخلقه كما خلقه ويخلقه؟.. أليس الخلق البادئ ورطة وحيرة لا نموذج لهما تعدياً وتعجيزاً وتضليلاً

وتحدیاً وإدلالاً؟ کیف لم يفهم الخالق الأول البادیء ذلك؟ إنها أي هذه المنظمة أو المحكمة الكونية المفترضة لا بدّ أن تواجه أي إن لم تكن قد تعلّمت من آلهة العروبة ونبوتاتها وعقبرياتها وفلسفاتها ودياناتها ومن قرآنها وتفسيره وأحاديثه.

- نعم، لا بدّ أن تواجه حينئذ كل ما لا بدّ أن يجعلها عاجزة كل صبيغ العجز ومعانيه وتفسيره وأخلاقه أن تعرف من الذي يستحق من الخصمين المتحاكمين أن يحكم له أو ضده وأيهما يستحق أقسى الحكم وأيهما يستحق أخفه أي إن كان لا بدّ من الحكم بأقساه أو بأخفه.

أي إن لم تكن قد استعارت أو تعلّمت أو سرقت كل أخلاقها ورؤاها ومواقفها من العروبة التي تجد وترى في عجزها كل القدرة والقوة، وفي جهالتها كل العلم والمعرفة والعقيدة، وفي وقاحتها وشنائمها كل التهذيب والفروسية والتدين، وفي هزائمها كل الانتصارات وفي نبوتها وكتابها المنزل كل معارف الإله ورؤاه وتصوّراته وأمانيه وتعاليمه وطاقتها وفنونه الإبداعية البلاغية وكل تفاسير قوانين الطبيعة وتاريخها بداية ونهاية، بقاء وفناء، وترى في غزواتها وفتوحاتها المتحوّلة إلى سبي واسترقاق ومغانم وجزية واحتلال - ترى فيها كل التمددين والتحضير والتعمير والعطاء لمن فعلت بهم ذلك.

.. ما أصعب وأقسى أن يكون أي كائن قاضياً ليحكم باسم العدالة على هذا وضد هذا وفي هذا ولهذا..

ما أقسى ما لا بدّ أن يعاني فكره وعقله وقلبه وضميره وأخلاقه أي ما لم يكن حجراً في كل رؤاه وتفسيره وحساباته.

أو ما لم تكن أحاسيسه وحواسه وأخلاقه حواس وأحاسيس وأخلاق إله يرى ويسمع ويواجه ويعايش ويفعل كل هذا كل أوقاته دون أن يطلق على نفسه كل أسلحة الانتحار والتعذيب والعقاب بل والتشويه.

.. لو أن أي قاضٍ محاكم يعايش ويقاسي كل معاني الضمير والقلب والتفكير والأخلاق والمحاسبة والمحكمة للنفس ولاحتمالات الخطأ والصواب فهل يستطيع لسانه أن ينطق بأي حكم أو أن يكتب أو يوقع قلمه أي حكم.. أقسى حكم أو أخف حكم؟ وإن استطاع أن يفعل ذلك فهل يمكن تصوّر المعاناة التي لا بدّ أن تقاسيها وتتعبّ بها كل معانيه؟ ما أقسى وأصعب وأفجع أن يكون وأن يظل من يقضي ويحكم ويحكم إنساناً بكل معاني الإنسان أو بشيء منها.

.. لقد روّض الإنسان وكل كائن في هذا الوجود..

- روض أخلاقه وضميره وتفكيره وعقله ورؤاه وكل معانيه على أن تفقد بل وتقتل كل معانيها. لقد كان محتوماً أن يفعل ذلك لكي يستطيع بلا أية معاناة أو محاسبة أو حتى مساءلة أن يكون وأن يفعل كل شيء وأي شيء.. أن يكون قاضياً وحاكماً ومحاكماً وراثياً ومفسراً ومعايشاً ومنقذاً، بل ونبيّاً والهاً..

ناطقاً بحكم الإعدام ومنقذاً له بأسلوب ومشاعر ومباهاة من يصلي لأهله أو من يتخذ غريقاً من

غرفة أو يشفي مريضاً أو متألماً من مرضه أو من ألمه، أو يزيل تشوّه أي مشوّه.

.. أن يكون متحدثاً عن سكان السماء ناقلاً رايّاً لتعاليمهم وأخلاقهم وصفاتهم بل قادماً من لقاء ومفاوضات الآلهة متكلماً بلغاتها وألصقتها، لا عناً بلغاتها مبغضاً بأحقادها معادياً بعداوتها مهدداً موعداً بجحيمها. كيف يملك هذه الجرأة لولا هذا الترويض؟

.. ماذا لولا هذا الترويض الذي رقعته الإنسان على نفسه باسم الدين والعدالة أو الأخلاق أو الأمن أو النظام أو المذهب أو الانتماء أو إرضاء الإله وإسعاده ووضع كل الفرح في قلبه أو بال تكرار.. التكرار الهازم للعيون والعقول والأخلاق..

ما أقدر التكرار على الترويض لتقبل ما لا يقبل تقبله ولتقم ما لا يمكن فهمه!

.. ما أفدح وأطول وأقسى وأفجع ما أهان وأذلّ وحقر وشوّه ولعن وهزم الإنسان كل معانيه بل وكل دينه وتقواه بحجة الطاعة والاحترام والتكريم والعبادة والإفراج والإسعاد والإرضاء لإلهه. لآلهته..! هل عصي أو حقر أحد أو شيء مثلما عصيت وحقرت معاني الآلهة بحجة الطاعة والاحترام لها؟

هل عاقب أو شوّه أو أفسد أو حقر أو أذلّ أو أهان كل معاني الإنسان مثل الإله أي مثل زعم ومحاولة ودعوى الاستجابة والطاعة والتكريم والنصر والانتصار له؟ هل فعل بالإنسان كل ذلك شيء مثلما فعله به تكرار الرؤية والسماح والمواجهة والمحايشة؟

إن التكرار يسحب من العيون والآذان والعقول والضمائر والأخلاق كل وظائفها!

.. نعم، ماذا لولا هذا الترويض بالتكرار.. تكرار الرؤية والمواجهة والممارسة والتعليم والتلقين؟

.. ماذا لو أن العيون والآذان والعقول والأخلاق لم تروض الترويض الذي يجعلها فاقدة لكل معانيها ووظائفها بل ومضادة وطاردة وقائلة لكل معانيها ووظائفها بالتكرار..

ثم رأت وسعت وفهمت وقرأت وفشرت كل الدمامات والتشوّهات والأنات والآهات والصرخات والبيلاوات التي تغطي وتفضح وتفضع وتعايش كل شيء وكل أحد بل التي لا يرى أو يسمع أو يعايش أو يقرأ أو يوجد سواها أما بالتفرد وأما بالاختلاط والمشاركة والتعاقب والتوقع والانتظار والتفاسير..! أليس كل شيء فاجعاً مؤلماً إما بالواقع وإما بالتوقع والانتظار وإما بالتفاسير.. بتفاسيره؟ أليس كل وجه وكل قوة وكل وجود وكل سرور هو دمامة وضعفاً وقعداً وحزناً وإما واقعاً أو توقّعاً أو مصيراً أو تفسيراً؟

.. هل وجد مثل الإله أو غير الإله من أفسد وقهر وضلل وشوّه وسحب منه التكرار كل معانيه؟ هل مثل الإله أو غير الإله من روّضه التكرار وعوده على ألا يرى أو يسمع أو يفهم أو يفتر أو يقرأ أو يفعل أو يعمل أو يعامل كما يجب وينبغي ويتنظر ويطلب أن يكون، بل على أن يكون كل النقيض دون أن يحاسبه أو يعاينه أو حتى يسأله أي معنى من معانيه؟ هل مثل الإله من جعله الترويض بالتكرار أعجز وأقل وأصغر من أعجز وأصغر وأقل الحشرات رؤية واستماعاً وسمعاً وانفجاعاً واشمئزازاً

واستنكاراً وغضباً فاعلاً متحركاً منكراً مغيراً مصححاً؟ أليست كل الحشرات تنكر وتفجع وتكره وترفض وتهرب وتعصي وتقاوم بل وتسقط وتموت معاناة ومقاومة ورقضاً؟

ولكن الإله هل يصعد إلى شيء من ذلك؟ ليت يستطيع ويفعل!

.. الإله قد يرى أو يسمع أو يحسب أو يحاسب أو يرضى أو يغضب أو يحب أو يكره أو يقبل أو يرفض أو يفكر أو ينكر أو يستحي أو يهرب أو يقاوم!

هل يمكن اتهامه بهذه التهم أو وصفه وتمجيده بهذه الأوصاف؟ إذن كيف جاء أو بقي أي شيء كما جاء وكما بقي؟

هل يقبل أو يرضى أي كائن مهما كان أن يحدث في الكون أو في أي شيء أي حادث كما هو حادث وكما يحدث أو أن يقبل أو يرضى أو يغفر ذلك؟ إذن قولوا، قولوا أيها المحبون المحترمون المسجدون للإله المدافعون عنه المؤمنون به..

- قولوا إن التكرار المروّض المفسد لكل شيء ولكل أحد قد سحب منه وأذل وأفسد وعطل وقتل فيه كل معانيه.. كل هذه المعاني، كل معاني الكائن الحي.. قولوا إن إلهنا هو وحده الذي قتل التكرار المروّض كل معانيه دون كل الكائنات الحية!..

.. قولوا كل ذلك لئلا تكونوا أقسى القساة في سبّه وذمّه وتحقيره.. إنه أي الإله ميتاً أقلّ هجاء لنفسه منه حياً!

إن المؤمن الذي يقول: إلهي ميت أكرم وأنبئ عجاء له من المؤمن الذي يقول إلهي حي.

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد محتاج إلى كل الإشفاق والرحمة والعطف والحنان والمحابة بل وإلى التزوير.. إلى كل أساليب التزوير في رؤيته وتفسيره ومحاسبته وفي الحكم عليه وفي تعديده كل أوصافه ومزايده مثل الإله؟ ولعل كل عبادات الإنسان للإله وعلاقاته به وأوصافه له وأحاديثه عنه أساليب متنوعة من الإشفاق والعطف عليه والرحمة والتزوير الحاني!

.. أو قولوا أيها المؤمنون جداً: إن إلهنا قد خبط إحدى خبطاته أو خبطته الوحيدة فولدت أو خلقت هذا الكون بكل صيغه وأجناسه ووحداته، بكل أنامه وآلامه وتناقضاته وقبحه وقبحته وضلاله وضياعه.. وكان حينما خبط خبطته هذه نائماً أو غائباً عن نفسه أو فاقداً لوعيه أو لاعباً عابثاً متسلماً أو متحركاً حركات عصبية غير محسوبة أو مرادة!

لعل أرفق التفسير به أن يقال ويعتقد أنها حركات عصبية تائهة!

وحين عاد إلى نفسه حاله وفجعه وفضحه وأخجله وأذله ما رأى وسمع وعرف وفعل. عذبه ذلك كل أنواع وأساليب التعذيب وأقساه، أقساه!

وقد يصعب الاقتناع بهذا التفسير أو الافتراض لأنه يعني أو قد يعني أن الإله في بدايته كان يقاسي أمام المواجهات الصعبة الأليمة أي نوع أو أسلوب من أنواع وأساليب المقاساة..

.. وتحت إملاءات وإيعاءات وضغوط وعذاب الصدمة فعل بنفسه شيئاً رهيباً قبيحاً فاجعاً بل جنونياً..

شيئاً لم يكن متظراً أو متوقفاً أو حتى متصوراً أن يفعله هو أو أي كائن بنفسه...! ولكن أليس كل ما يفعله الإله بنفسه خارجاً على كل المتظر والمتوقع بل وعلى كل المتصور والمحترم؟
.. فعل ذلك الشيء عقاباً وتأديباً لنفسه أو فراراً بها أو حماية لها من أهوال وفواجع ودمامات وعار وفحش وقبح وعذاب وتأنيب وتعيير وسباب المواجهة.. لقد أبطل وعطل وقتل في نفسه كل الحواس والأحاسيس وكل وظائف العقل والتفكير والأخلاق والشهامة والرحمة والحب والندم والاستحياء والمحاسبة والمحاكمة للنفس ولأي شيء..

فأصبح فاقداً لكل وظائف الرؤية والسمع والعقل ولكل أساليب ومعاني التخاطب مع النفس ومع الأخلاق ومع كل شيء وأي شيء فاقداً لكل وظائف ومعاني وتفسير الكائن الحي.. لكل تعبيرات الحياة والتزاماتها وشروطها.. لكل تبعاتها وورطاتها وهومها ولكل مسراتها ولذاتها وأرباحها أيضاً أي الخادعة التي لا تعني أو تكون إلا مقاومة أو مناقضة أو مهادة أو مسالمة للتقيض..! هل يعني أو يساوي الإله أو أي إله إلا مقاومة أو مناقضة أو مهادة أو مسالمة الشيطان؟ وهل يعني أو يساوي الشيطان إلا مقاومة الإله أو مناقضته أو منافسته أو مخادعته أو هزيمته أو مهادنته أو مواجهته؟ وهل يساوي أو يعني الإله والشيطان إلا ما يعني ويساوي فقدهما أو إلا ما تساوي وتعني مواجهتهما أحدهما للآخر هذه المواجهة التي لا يساوي أو يعني انتصارها لا انهزامها؟ أما انهزامهما معاً فيها فسر وحده الانتصار كله. وماذا تساوي أو تعني مواجهة الإله للشيطان أو مواجهة الشيطان للإله مهما كانت النتائج؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد قبح أو فحش أو بذاعة أو وقاحة أو خسران مثل هذه المواجهة بين الإله والشيطان؟

.. لننظر إليهما إلى الإله وإلى الشيطان.. هل يربحان شيئاً منتصرين فكيف بهما منهزمين؟ أليسا خاسرين أبداً؟

أي ربح للشيطان إذا انتصر؟ أليس انتصاره أي ربحه خسراناً له لأنه لا بد أن يتعذب ويعاقب ويشقى بقدر ما يضل وينسد ويقود إلى الجحيم دون أن يأخذ أو يعطي شيئاً؟

.. أما الإله فماذا يمكن أن يربحه إذا انتصر أو لو انتصر وهو لن ينتصر؟ إنه خاسر ومأخوذ منه وملمز مكلف مسؤول مفروض عليه حتى ولو تحول كل شيء وكل أحد إلى انتصارات قاهرة باهرة له دون أن يأخذ أو يكسب أي شيء لنفسه..

.. إنه لن يربح أي ربح لذاته من هذه الانتصارات المفترضة. بل إنه لا بد أن يكون ملزماً ملتزماً بالإنفاق بكل معاني وأنواع الإنفاق الفكري والعقلي والنفسي والعضلي والمادي على فردوسه وعلى كل من قادتهم انتصاراته إلى سكناه وإلى الخلود فيه. وأيضاً لا بد أن يكون ملزماً ملتزماً برعايته أي الفردوس والإشراف عليه وب حمايته وبالتحديد فيه وبالحفاظة والإبقاء على مستواه الجيد.. وفي

هذا كل أنواع التعذيب له... منها تعذيب القيرة ومشاعر الحرمان من الممارسة والمشاركة ومواجهة كل ما فيه أي الفردوس من البذائع والتفاهات والفضائح والقبائح مسموعة ومرئية ومفترة محاسبة. ما أعظم وأبشع الخسائر والأهوال التي لا بد أن يكابدها الإله والشيطان منتصرين فكيف بهما منهزمين؟

كيف لم يعرفا ذلك؟ كيف لم يجدا ناصحين مقنعين منقذين؟

.. لنعد إلى افتراض هذه المنظمة أو المحكمة الكونية وإلى افتراض أن الإنسان العربي قد احتكم إليها شاكياً من الصبغ والمستويات الضعيفة الهابطة جداً التي صاغته واعتقلته وأذلته وخلدتها فيها وبها الطبيعة والأرض بكل أساليب وتفسيرات التعمد المعادي بلا حدود أو نماذج، وإلى افتراض أن الأرض والطبيعة قد احتكمتا إليها أي إلى هذه المنظمة أو المحكمة مطالبتين بالتعويض والتكفير وبالمحاسبة والمعاقبة للإنسان العربي ومنه لما أوقع واستفرغ ويوقع ويستفرغ عليهما وبهما وعلى كل شيء وبكل شيء يتعامل ويتخاطب به ومنه أي الإنسان بل وعلى كل شيء وبكل شيء يقرؤه أو يفسره أو يعتقد أو حتى يمتدحه ويصفه ويعلم احترامه له وإيمانه به، هل حقر أو هجى أو سب أو ذم أو شوه كائن مثل الإله بإيمان الإنسان العربي به وبامتداحه وتمجيده وعبادته له؟

أليس الإنسان العربي يهجو ويحقر ويذم ويتهم ويشوه بامتداحه وتمجيده وتبرئته ويعتده وإيمانه أكثر وأقوى مما يفعل ذلك بهجائه وذمه واتهامه وتحقيره وبرفضه للتعبد والإيمان؟ إنه لو جاء إله جديد لهذا الكون لرفض أن يعبد ويعتده ويؤمن به الإنسان العربي أي إن كان قد عرف كيف آمن بالإله القديم وكيف عبده ومدحه وفسره.

.. إن على من لا يستطيع أو يريد تصديق هذا ألا يقرأ الشعراء والمخطباء والأدباء والفقهاء والكتّاب العرب ملاحين وممجدين ومنشدين لسلاطينهم وخلفائهم وثوارهم بل ولأنبيائهم.. كيف حقرهم وهجوهم وفضحوهم وبصقوا واستفرغوا عليهم بدعوى وأسلوب وإعلان المديح والتمجيد لهم؟

وإن عليه كذلك أي على من لا يستطيع أو يريد تصديق هذا ألا يقرأ النبوات والصور والآيات العربية المادحة المسجدة المخنية المصلية الواصفة المفطرة للإله العربي.. كيف رآته وقرأته وفسرته وصوّره وتصورته واختزنته في أضعف وأصغر وأردأ الأوصاف..

.. أيهما أكثر وأقبح عاراً وافتضاحاً وتشوهاً وتلويثاً وخزياً بالمناجح والقصائد والصلوات التي وجهت ورفعت إليهما: الإله العربي أم الحاكم أم السلطان أم الخليفة أم الزعيم أم الثوري أم النبي العربي!

أي هؤلاء كان يجب وينبغي أن يحمل من الأسلحة أكثر وأن يقاتل بها أشرس وأعنف ليحمي نفسه من أن يؤمن به الإنسان العربي ومن أن يمتدحه ويصفه ويفتخره ويخاطبه وينشده ويبراه ويعبده ويعصيه له ويقاتل ويعادي ويخاصم ويشتاق باسمه ودفاعاً عنه واحتراماً وحباً وولاء له؟ ولكن ما أبعدهما أي الإله العربي والممدوح العربي عن أن يريا أو يسميا أو يفهما.

.. نعم، لنعد إلى الافتراضات الثلاثة ولنفترضها واقعاً ولنقرأ احتمالاتها أي لنحاول ذلك..

هل تحكم أي هذه المنظمة أو المحكمة الكونية للإنسان العربي في شكواه ضد الأرض والطبيعة لأنهما صاغته كما صاغته وكما جاء..؟

إنه لا ينبغي أن يوجد أي خلاف أو شك في أن صياغته كما صيغ وكما جاء أي الإنسان العربي عدوان وظلم تقصر وتقل كل المحاسبات والعقوبات المعروفة والمستطاعة والممكنة عن أن تكون شيئاً من العقاب أو التكفير أو التحذير أو الإنذار أو التأديب أو الانتقام أو الشر الكافي أو المطلوب ممن فعل به ذلك. من فعله كما فعله أي إن كان قد فعله أحد أو قبل أو استطاع أن يفعله أحد أو حتى إن كان أحد قد اهتدى إلى تصوّر صيغته لكي يحاول أن يصوغه ويخرجه ويعرضه ويعلنه ويراه ويقرأه ويقشره بها؟

أليست صيغة الإنسان العربي بكل تفاسيرها وتعبيراتها وقدراتها ومستوياتها وحياتها التي جاءت كما جاءت ودامت وخلدت بلا أي تغيير هي كل التدليل والتفسير والإقناع على أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أي كائن فوق هذا الكون يريد ويدبره ويخططه ويصوغه ويخلقه ويخرجه ثم يظل يراه ويواجهه ويفهمه ويقرؤه ويخطبه ويحاوّر ويعامله دون أن يهرب أو يختفي أو ينتحر أو ينفق كل حواسه وأحاسيسه لئلا يرى أو يسمع أو يقرأ أو يفهم أو يواجه أو يحاور أو يسأل أو يسأل أو يتهم أو يتهم نفسه بشيء من ذلك؟ هل يصح أو يقبل أو يغفر أن يوجد من يخالف أو يشك في هذا الاستنتاج؟ إن تصور الإنسان العربي قبل مجيئه ليحيى في صيغته التي جاء بها لشيء تعجز عنه وتموت دونه كل رؤى وتصورات كل الآلهة.

إن مجيئه كما جاء أي الإنسان العربي لم يكن تصوّراً ثم تخطيطاً ثم صيغة وإخراجاً بل لقد كان مجيئاً فقط. ولعل مجيء الكون وكل شيء كما جاء كان مجيئاً فقط.

أليس فخرأً ومجدأً وشرأً للإنسان العربي أن مجيئه كما جاء لا بد أن يكون نفيأً لكل احتمال بأن يكون فوق هذا الكون أي كائن أي كائن بأي مستوى أو طور من مستويات وأطوار الكينونة؟

.. إذن أليس شيئاً محيراً ومزعجاً وفاجعاً أن يكون النافي بكل وجوده وبكل صيغ وتفسير وجوده لكل الاحتمالات بأن يكون فوق هذا الكون أي كائن.

- أن يكون هو أشهر وأقوى من يتحدث عن هذا الكائن فوق الكون ومن يؤمن به ويدعو إليه ويحاول أن يدلل عليه ومن يشاتم ويخاصم ويعادي ويقتل ويقاتل ويغض باسمه وباسم الإيمان به والاحترام والتمجيد له؟ كائن كل صيغ وتفسير وجوده تنفي وتطرد كل ما ترى وتسمع وتقول وتعتقد عيونه وأذانه وتعاليمه ولغاته!

هل استطاع سماع أو تصديق المنطق أو التفكير الذي يقول:

إن الإنسان العربي هو أقوى وأشهر نافي بوجوده وبكل صيغ وجوده لكل إله ولأي إله وإنه أقوى وأشهر مثبت للإله ولكل إله ومدلل عليه ومتحدث عنه ومصلح له بلسانه وتعاليمه ونبواته وأنبياؤه؟

وأني هذين التفسيرين واللغتين للإنسان العربي أقوى وأقدر على الإقناع؟
إذن هل الواجب والمفروض أن تفرح وتسعد أو أن تحزن وتشقى وتضع يا شعبي العربي لأنك
أنت وحدك هذا التناقض والتضاد الفريد، الفريد في كل لغاته وتفسيره وتاريخه؟



مرة أخرى بل مرات أخرى لنعد إلى السؤال المجيب الأليم الصعب.
إلى السؤال الذي لا بد أن يصيب الإله وكل أعوانه وموظفيه بكل الذعر والحيرة والحرع أي لو
سمعوه وقرؤوه وفهموه.

الذي لا بد أن يجعلهم يتواجهون بكل تعبيرات العجز والانكسار والانهيار.
.. نعم، هل تتقبل هذه المحكمة أو المنظمة ادعاء الإنسان العربي على الأرض والطبيعة شاكياً
متظلماً مطالباً بالتأثر والتعويض والجزاء عما فعلتا به؟

.. حتماً سيرق ويحزن بل وقد يبكي كل أعضاء المحكمة أو المنظمة للإنسان العربي.. للصيغ
والمستويات الحزينة الضعيفة التي صيغ بها والتي فرضت عليه ودبرت وخططت واختيرت له أو التي
جاء بها وجاءت به دون تخطيط أو تدبير أو اختيار أو إرادة أو قصد بل أو علم بذلك أو اهتمام به..

ومهما كان شعور واتساع بل وعالمية وكونية الخبث والشرور والخبثاء والأشرار فهل يستطيع
أو يعرف أو يجرؤ أي شيء أو أي أحد من هذه أو من هؤلاء أن يتصور أو يريد أو يخطط أو يصوغ
الإنسان العربي ليحيى كما جاء.. كما جاء أو شيئاً مما جاء في صيغ أنبيائه أو قدسيه أو زعمائه أو
فادته أو عبارته أو عمالقه أو فلاسفته أو شعرائه أو أدبائه أو خطبائه أو علمائه أو فقهاءه أو فنانيه أو
مفكره أو معلمه أو مؤمنه وصالحه أو كافره وفاسقه؟ لقد جاء في كل سمواته وأراضيه تحت كل
درجات الهبوط الواقع والمتصور.

.. إنه لمحتوم أو محتمل أو واجب أن يواجه ويقاسي كل أعضاء هذه المحكمة أو المنظمة
هذه المواجهة والمقاساة وأن يذرفوا كل الدموع والأحزان والحنان على الإنسان العربي ومن أجل
الإنسان العربي لمحيته بهذه الصيغ والمستويات التي وجدوه بها بكل تفسيرها العقلية والفكرية
والأخلاقية والعلمية والنفسية والمعضية واللغوية التعبيرية بل والدينية والتدنيية حتى دينه وتدينه إنهما
أضعف وأردأ من كل دين وتدين أي في معانيهما وتفسيرهما مهما كانت لغاتهما!

ولكن هل يمكن أو هل يجب أو ينتظر أو ينبغي أن تحكم له في هذه الدعوى في هذه القضية
مهما ذابت واحترقت بل وافتضحت في رثائها وبكائها وأسائها له وحنانها وحنوها عليه أعني هذه
المنظمة أو المحكمة الكونية المتصورة؟

كيف تحكم له أو تقبل أو حتى تفهم احتكامه إليها وهو يعلن ويؤمن أن إلهه هو الذي أراده
وخططه وصاغه وخلقه واشتهاه وعشقه في صيغه ومستوياته التي جاء بها وأنه لو جاء أو صيغ في أية
صيغ أو مستويات أخرى لكان ذلك كل الدمامة والتشويه والتحقير والهجاء والتعذيب له ولإلهه ولكل

شيء؟ إنه ليعتقد بل ويقول إن كل عبقريات الآلهة والطبيعة قد وُظفت وأنفقت لكي تستطيع أن تصوغه كما جاء وإن أي كائن لن يجيء كما جاء!

.. وأيضاً كيف تحكم له أو تقبل احتكامه إليها مطالباً بالحكم له على الأرض والطبيعة وهو يعلم بكل الإيمان والافتناع والرضا والفهم والإعجاب أن إلهه هو الذي أراد وخطط وصاغ وخلق الأرض والطبيعة بكل الحب والرحمة والحكمة والجمال والذكاء والتفوق والعبقرية لتجيشا وتكونا وتفعلاً وتعاملاً وتصوغاً كما حدث ويحدث وكما لا بد أن يحدث؟ إنه ليرى ويعلم أن الطبيعة والأرض بكل ما فيها وبكل ما تفعّلان هما عقل الإله وقلبه وضميره وأخلاقه ورياء وعضلاته ولغاته. إنهما كل معانيه بل كل ذاته مرئية ومسموعة وفاعلة، محاربة ومسالمة، معادية ومصادقة، مصافحة ومضاربة. إنهما كل ملايه الداخلية والخارجية الجديدة والقديمة الغالية والرخيصة!

.. ولو أمكن الافتراض أنه أي الإنسان العربي قد رأى أو قد يرى أنه قد صيغ صياغة ضعيفة عاجزة رديئة في كل نماذجها وتعبيراتها وأنه لذلك قد ظلم ظلماً قد يكون أقسى وأقبح من كل ظلم فكيف يطالب بمحاكمة الطبيعة أو الأرض وبالقصاص والثأر منهما وبمجازاتها على ذلك وهو يقول ويؤمن أنهما أي الأرض والطبيعة مرادتان ومخططتان ومفعولتان مخلوقتان مصوغتان محكومتان من خارجهما دون أن تريد أو تعرف أو تستشأ أو تقبل أو تشتركا أو تختارا أو ترفضاً شيئاً مما يفعل بهما، وأن المرید المخطط المحب العاشق المنظم الفاعل لكل ذلك هو الإله الذي نؤمن به ونعبده ونمجده ونمتدحه ونشكره ونذبح وننحر كل قلوبنا وعقولنا وأخلاقنا وهاماتنا وقاماتنا وشجاعتنا وكراماتنا ونظافاتنا بل وتفواننا تحت قدميه. قدميه اللتين لم توجدا ولن توجدا.. اللتين كل جمالهما ونظافتهما وصحتهما وقوتهما في ألا توجدا أو تريا أو تعاملا أو تعملنا.. الذي نفعل له كل ذلك لأنه الفاعل بنا وبكل شيء كل ذلك.

- نعم، لو أمكن هذا الافتراض وحسب به وأنه لافتراض صعب أي أن يرى العربي أنه قد صيغ أقل من الكمال بكل تفاسير الكمال فلا بد أن يوجد حينئذ من يقول: هكذا جاء الإنسان العربي.. هكذا جاء متطقه وإيمانه ودينه وتدينه وأخلاقه وكل رؤاه وقرآته وحساباته وتفسيره لكل الأشياء، بل هكذا جاءت نبواته وعبقرياته.

.. هكذا جاء وجاءت لتقول ويقول: إن المراد المخطط المخلوق المفعول المقعول به.. المفعولة الموقعة به كل الأمراض والتشوهات والبلادات والجهالات والعجز والضعف والانحراف والفسوق والحرادة الموقعة به كل هذه وكل هذا هو المذنب والعاصي والفاعل والمحاسب والمعاقب.

.. أما المرید المخطط العاشق القادر الفاعل الخالق لكل ذلك فهو الذي له كل الشكر والحمد والمجد والعبادة...

فهو الذي يحاكم ويحاسب ويعاقب من فعل بهم ما يحاكم ويحاسب ويعاقب من يفعلونه على فعله بهم...!

إن الإنسان العربي ليحتقر ويحقر ويهين ويلعن ويكره ويطارد ويهجو ويماقب الضال والبلبد والضعيف والتغيب والأحمق والعاجز ويشكر ويحمد ويمجد ويعبد وينزه من أراد وخطط وخلق هؤلاء ليجيئوا ويكونوا كما جاؤوا وكانوا لأنه أرادهم وخططهم وفعلهم وصاغهم كذلك أي لكي يكتوتوا ويحيئوا كما كانوا وجاؤوا.

وإنه أي الإنسان العربي ليستفرغ ويصب على إبليس كل لعناته وعداوته واتهاماته وأحقاده.. كل أسلحته النفسية والأخلاقية واللغوية ثم يحشد ويوظف ويحرض كل حبه ورضاء وإعجابه وإيمانه وصلواته ومدائحه لكي يهرب كل ذلك بكل التذلل والخضوع والرهبة والرهابة والمسكنة لمن أراد ودبر وخطط وصاغ ووظف إبليس ليكون إبليساً. أيهما أكثر وأقبح وأوقع إبليسية: إبليس أم صانعه ومريده إبليساً؟

.. إنه أي الإنسان العربي ليطرد ويطارد ويقتل ويقايل ويتم ويسب الحشرات والجراثيم والحيوانات المتوحشة المفترسة المؤذية ويهرب ويشتمز منها بكل الأساليب وأقساها أو ببعض الأساليب وأخفها ويفلق أو يعلن أنه يريد أن يفلق أو أنه يتمنى أن يفلق دونها كل الأبواب والنوافذ والطرق بكل لغات وتفسير الحماس والانفجاع والانزعاج والرفض والكبرياء والكرامة والبسالة..

أو يزعم أنه يفعل ذلك وأنه يجب أن يفعله دون أن يفعله أو يستطيعه، بينما يحشد ويحرض ويوظف كل نبواته وعقباته وشاعرياته وفصاحاته وبلاغاته واهتماماته وحماساته وفروسياته وصلواته وعبودياته لكي نجرؤ ونستطيع أن تكون شيئاً من الشاء على الإله الذي تصور وأراد وخطط وخلق وصاغ هذه الكائنات لكي تكون أعظم وأقوى وأشهر مواطن ومساكن ومعاش بل ومصادق ومنافس مزاحم مكابر له أي للإنسان العربي في كل أوطانه وبيوته وغرف نومه وفي كل معاهده ومعابده في كل أطوار تاريخه.. هذه الحشرات والكائنات المتهمة البرية المعتدية شيئاً من أنواع الاعتداء عليها.. التي قد تفسر ويفسر وجودها بأن الإله لم يجد من ينوب عنه في مساكنه ومعاشه ومعاملة الإنسان العربي مثلها!

لم يجد ما يساويها في عرضها لجمالها ونظافته وقدرته الفنية والتصويرية!

.. إنه يلعن الظلام والآلام والقحط والقيضان والأوبة والتشوهات والدمامات ويستعبد ويستغيث منها ويصلي ضدها ويتداوى منها بالرقى والتمايم والأدعية والأحجية وبكل الجهالات والخرافات لتحمية وتحرسه وتشفيه، مع أنه يراها حتماً يد الله ممدودة إليه بكل الحب والرحمة والعتاء والتكريم والحماية!

إنه يفعل كل ذلك أي الإنسان العربي بكل الذعر والهوان والاستسلام والمسكنة..

ثم يهب كل إيمانه واحترامه وتقواه بل وتقديسه للكائن الذي يريد ويدبر ويخطط ويصنع كل ذلك ويصنع به وله كل ذلك.. يريد ويدبر ويخطط ويصنعه وهو في كل يقظته ووعيه وقوته وحرية ورؤيته وتقواه..

بل وهو يتفجر فرحاً وسعادة ونخوة ونشوة وإعجاباً بنفسه ورضاً عنها ومغازلة لها أي في عقائد وتعاليم وإيمان الإنسان العربي!

.. إن الإله في إيمانه لن يخطئ في أي شيء يفعل كما أنه لن يحزن أو يندم على أي ذنب أو ظلم يرتكبه!

.. إن الإنسان العربي لكل ذلك وإن كل ذلك ليس إلا شيعاً من الإنسان العربي. إن أي كائن لم يعاد كل العقل والأخلاق والكرامة والذكاء مثل معاداة الإنسان العربي لكل ذلك في رؤيته وتفسيره للإله وفي تعامله عنه ومعاملته له!

.. هل أتوقع أن أسمع هنا من يقول.. يقول لي: إنه ليس الإنسان العربي فقط، ليس وحده في هذه التقوى أو في هذا الخروج على كل تقوى؟ إن قوانين الوجود والكيونة ترفض التفرد أو التخصص أو التخصص في العظمة أو التفاحة في القوة أو الضعف في الخير أو الشر.. ترفض ذلك في الفرد كما ترفضه في النوع والجنس. هل قوانين رفض التفرد بتدبير وتخطيط أم تقليد أم توالد وولادة؟

.. إن له لشركاء يرجي أن يكونوا أقلين ويخشى أن يكونوا أكثرين.. كم يخشى أن يكون الشركاء في الأشياء الرديئة هم أبداً الأغلبين. وكم يخشى أن يكون هذا الذي يخشى هو الحادث الموجود دائماً!

.. آه، كم يخشى أن الكائن الذي قد أراد وخطط للإنسان العربي صيغته وصاغها وخلقها وأخرجها لتكون صيغته وحده بلا شريك أو مثيل.

نعم، كم يخشى أن يكون هذا الكائن تحت أقسى الانفعالات والتصورات قد أعطى قصاع آخرين كثيرين أو قليلين بصيغ الإنسان العربي وفي صيغته حاسماً تحت ضغوط وآلام أقسى وأغبي الظروف والحسابات أنه يصوغ الإنسان العربي وحده ويصوغ له وحده!

وكم في هذا الخطأ من الظلم والقبح والعدوان أي إن كان قد حدث فعلاً لا تصوراً وحذراً فقط..!

إنه لصعب جداً أن يكون مخطط وصائغ الإنسان العربي كامل الوعي والفهم والانتزان والانضباط والرؤية والتذكر حين تخطيطه وصياغته ورؤيته وفهمه له واستماعه إليه..

وإنه لصعب كذلك ألا يضل ويخطئ ويتخبط من أراد وعشق ورضي وقبل أن تجيء صيغ الإنسان العربي وتفسيره كما جاءت!

إن المخلوق المصنوع هو الخالق الصانع جاء وظهر في صيغة أخرى.. في صيغته المدبرة المخططة الفاعلة. وإن الخالق الصانع هو المخلوق المصنوع جاء في أقوى الأساليب تعبيراً عن وجوده ومعانيه..!



وهنا قد تقفز خاطرة مثيرة ولكنها متوقعة.. مثيرة بقدر ما هي متوقعة.. قد تصرخان هنا: الأرض والطبيعة في آذان وعقول وضائير أعضاء المحكمة أو المنظمة الكونية المفترضة قائلتين بكل حرارة الاحتجاج والانفجاع والغضب:

إننا أي نحن الأرض والطبيعة لم نفقد كل الوقار والائتزان والعدل بل والذكاء والكرامة والشرف والتقوى والاحترام للنفس وللوجود والكون وللإله الذي يجب أن يرى ويقرأ ويفسر ويفهم بالرؤية والقراءة والتفسير والفهم لنا...

الذي لم ير ولن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يفهم أو يحترم أو حتى يوجد إلا هنا وفينا ولنا، بل الذي هو نحن في أجمل وأقوى وأصدق صوره وأزيائه وفي أردنها وأفجعها وأكثرها دماة.

- نعم، إننا أي نحن الأرض والطبيعة لم نفقد كل ذلك مثلما فقدناه في محاباتها ومعاملتنا وعطائنا للإنسان العربي وإننا لن نخشى من محاكمة ومحاسبة ومعاقبة الإله لنا مثل خشيتنا من محاسبته ومحاكمته ومعاقبته لنا لضخامة وديمومة محاباتها وعطائنا وانحيازنا إليه وله.

ولأنه أي الإله لم يفترض أو يفرض مثلما فضحناه وافتضح بنا، في محاباتها وعطائنا للإنسان العربي لنكون تعبيراً وتفسيراً لمحابة الإله له وفضحاً لذلك وانفضاحاً به!

لقد تخطبنا كل حدود الوقار والائتزان والعدل والذكاء والدين والتدين في عطائنا ومحاباتها للإنسان العربي وفي انحيازنا الفضاح إليه.. لقد أعطيناه وحابيناه وانحزنا إليه حتى غضبت علينا أردأ وأصغر وأندل الحشرات وحزنت وفجعت واشمأزت منا وبنا ولنا وعلينا بل وتمردت وقررت أن تعاقب وتتقم بالأساليب التي تعرفها وتستطيعها أعني الحشرات!..

لقد رأت أي الحشرات أن أقوى وأذكى هذه الأساليب الانتقامية العقابية هي أن تنكاثر وتتشر وتغزو وتنسلط وتسيطر وتأتق في العالم العربي كله بلا أية مقاومة.. هازمة ومذلة كل مقاومة أي لو وجدت أية مقاومة محتلة كل البيوت والغرف والسرر وموائد الطعام مترعة مستوية فوق كل العيون والأنوف والوجوه والهوامات بل وفوق كل العروش والفوس بكل الهدوء والانتصار وبكل مشاعر الأمان والاطمئنان من أن تواجه بأي عقاب أو طرد أو نفى أو بآية ثورة ولو نفسية أو دينية أو وعظمية تضدها بل بكل الحفاوة والترحيب والاستقبال المصافح المعانق المفسر لجمالها..

أليس هذا التفسير هو أذكى وأقوى التفسير لمجد وسلطان الحشرات في العالم العربي؟

حتى دين العرب ونبوتهم تحت سلطان هذه الحشرات قد تحولاً إلى آيات وسور من التملق والتفان والتعبد لها أي للحشرات فزعماً وأعلننا وعلمنا أنها أي الحشرات أحد وأقوى وأنبأ أساليب ولغات الإله في تعبيره وإعلانه عن جماله وحيه ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته.. فزعماً وعلمنا وأعلننا أن الحشرات هي أحد وفود الإله المختارة أرسلها إلى الإنسان لتقيم وتؤكد وتقوي وتنظف علاقات المحبة والصدقة والاحترام والتفاهم أي بين الإله والإنسان العربي.

.. نعم، لقد تخطبنا أي نحن الأرض والطبيعة تخطبنا كل حدود الوقار والائتزان والعدل والذكاء والتقوى في عطائنا ومحاباتها للإنسان العربي بكل أساليب وتفسير المعطاء والمحابة والانحياز!..

لقد جننا في محاباته وعطائه وفي الانحياز إليه فأعطيناه هذه الآبار، والآبار، والآبار المفردة لنحفظ صحاراه ونحفظ تاريخه التي غرق فيها الإله.. غرق فيها عدله وذكاءه وتقواه وكرامته وحساباته

وتوقعاته ونظافته. التي تحول سوادها.. سواد دموعها إلى سواد في رؤيته وسمعته وحكمته وفي كل معانيه أي الإله.. التي غرق في إدلالها وإدلالها..

كل العالم.. كل أخلاقه وأفكاره ورؤاه وعلاقاته وصداقاته وعداواته ولغاته بل وكل أديانه وتاريخه وأمجاده وحضارته..

.. التي قالت لكل العالم.. للمناشين فوق القمر: هن واصغر واجبن واكذب فاستجاب، استجاب!

.. وأعطيناه أيضاً محابة وانحيازاً أقوى الأديان والنبوات المصححة لكل الأديان والنبوات والملغية الناسخة النافية الطاردة لكل الأديان والنبوات والخاتمة لكل الأديان والنبوات!..

ألسنا بهذا قد أعطيناه كل أبواب ومفاتيح الفردوس والجحيم يدخل في هذا وهذا من يشاء كيف يشاء أو يقلقهما أي الفردوس والجحيم إذا رأى وأراد ألا يدخلهما أحداً. لقد جعلنا الإنسان العربي يرى أن نبيه ودينه هما كل تفاسير وعقل ومنطق وأشواق ورؤى وإرادات الإله!

.. نعم، نحن، نحن الأرض والطبيعة المعطينان للإنسان العربي وللإنسان كله أديانه ونبواته وأنبياءه وتعاليمه بل الصائغتان الخالقتان لكل ذلك بالأسلوب والمنطق والقانون والقدرة التي بها خلقنا وصغنا ذاته وأعضائها ومواهبها وأحاسيسها وحواسها.. قوتها وضعفها.. جمالها ودماستها.. ذكاءها وغباءها.. موتها وحياتها.. لون وبريق عينيها وشعرها وجلدها..

والتي بها خلقنا وصغنا بحاره وأنهاره وحقوقه وصحراه بل التي بها خلقنا وصغنا إلهه. كل آلهته. أليست صياغة الذات صياغة لآلهتها؟

.. ماذا لو أن صياغاتنا جاءت صياغات أخرى أي نحن الأرض والطبيعة، أو لو أننا صغنا الإنسان أي الإنسان العربي وكل إنسان صياغات غير الصياغات التي جاء بها.. التي صغناه وخلقناه بها ووضعناه واختزنه فيها إرادة وتخطيطاً أو آلية ذاتية أو خبطاً عشوائياً؟ حتى التخطيط والتدبير والإرادة أليست خبطاً عشوائياً أو آلية ذاتية؟

.. ماذا لو أن ذلك قد حدث؟ هل كان يمكن حينئذ أن يكون له أي للإنسان أديان أو أنبياء أو نبوات أو تعاليم أو آلهة أو أن تجيء أديانه أو أنبيأؤه أو نبواته أو تعاليمه أو آلهته أو حتى أخلاقه ولغته كما جاءت؟ أليست كل عقائد الإنسان إنما تلدها وتصوغها صياغات وتخطيطات ذاته؟

.. لماذا تخلقت في الإنسان وللإنسان الأديان والأنبياء والنبوات والتعاليم والآلهة ولم ينخلق شيء من ذلك في الكائنات أو للكائنات الأخرى المعاشة المجاورة المساكنة للإنسان؟

لماذا جاء لغوياً ولم تجيء الكائنات الأخرى حوله لغوية؟

هل لهذا من تفسير غير التفاوت والاختلاف في كينونة وتكوين الصيغ؟ وهل من فاعل لهذا الاختلاف والتفاوت أي في صيغ التكوين والكينونة سوانا نحن الأرض والطبيعة؟ هل وجد غيرنا مرئياً أو مسموحاً أو مقروءاً أو معشوقاً أو فاعلاً أو منتظراً محسناً أو مسيئاً جميلاً ذكياً أو دميماً غيباً؟

إذن ألسنا نحن أي الأرض والطبيعة الخالقتين الصائغتين لأديان ونبوت وأنبياء وتعاليم وآلهة الإنسان كل الإنسان بقدر ما نحن الخالقان الصائغان لكل أخطائه وخطاياه وفحشه وضعفه ورواحاته ومجاعاته وهوسه ومخاوفه وتشوّهاته وأمراضه وشيخوخته وهوانه وموته وأيضاً قبره وأكفاته؟

أليست صياغة ذات الكائن صياغة لكل أفكاره وقدراته ورؤاه ومعانيه؟

.. كم نرجو بل نطالب الإنسان بنيات التحدي والتعجيز أو بالرغبة في الفهم هذا السؤال الذي لا بد أن يبدو مغريباً جداً أي السؤال الذي قد يقول: وأنتما أيها الأرض والطبيعة من صاغكما الصياغات الصائغة لكل شيء.. لأننا حينئذ لا بد أن نسأل سؤالاً هو أصعب من كل الأسئلة ومعجز لكل الأجوبة. أليس محتوماً ألا تفهم أو تقرأ وتفهم القضية إلا هكذا: إنه لا سؤال أو لا جواب أو لا سؤال ولا جواب.

.. إنه لمن يوجد أي اقتناع أو اعتقاد أو إيمان أو تصديق إلا بالآ يوجد أي سؤال.. إن كل من يسألون ويتساءلون بأي معنى من معاني السؤال والتساؤل فلن يكونوا إلا أعداء ورافضين للسؤال والتساؤل بل وعاجزين عنهما.. من صاغ الأرض والطبيعة.. إذا صح هذا السؤال فلا بد أن يصح السؤال: من صاغ صائغ الأرض والطبيعة وصائغهما من صاغه..!

.. لقد أعطينا الإنسان العربي كل هذا.. أعطينا إياه خطأ وتخطأ وسفاهة، أو انحيازاً ومحاباة، أو اختياراً وابتلاء، أو إيماناً واقتناعاً باستحقاقه، أو رغبة في الانتصاح والفضح لأنفسنا ولمن أعطينا ونعطيه ولكل شيء، وعقاباً وتعذيباً لأنفسنا ولكل شيء. أليس المعطي قد يعطي عقاباً وتعذيباً وفضحاً لنفسه كما أعطى ويعطي الإله إليس وأعداءه كل ما أعطاهم؟

ليس هذا الذي أعطينا كل ما أعطينا أو أعظم ما أعطينا أي الإنسان العربي.. لقد أعطينا أضخم وأنفع وأعلى ما يعطى وما لم يعط وما يصعب أن يعطى..

إنه أضخم وأجمل وأعلى وأنفع عطاء جاء بأسلوب الحرمان والحماية والتحصين والتلقيح والتعقيم والتطعيم..!

أليس العطاء بهذا الأسلوب أي بأسلوب الحرمان من عطاء ما يصنع الألم هو أنبل عطاء؟

لقد حرمانه أو حرمناه أو حرمناه وحقنناه وطعنناه ضد المعاناة الإنسانية.. المعاناة التي لا يعانيها ولا يتعذب أو يفرج أو يبرأ أو يحاسب ويحاكم نفسه وكل معانيه بها إلا الإنسان أي في مستواه الأعلى أي مستواه الذي هو فوق مستوى الإنسان العربي..!

إنها معاناة العقل والفكر والقلب والضمير والرؤية والمسألة والأخلاق. إنها محاسبة ومحكمة كل شيء وكل أحد حتى الآلهة بذلك أي بالعقل والفكر والقلب والضمير والرؤية والمسألة والأخلاق.

.. إنه لا معاناة ولا عذاب يساوي هذه المعاناة وهذا العذاب أي لو وجدا في مستويتهما المطلوبة والمزعومة والمفترضة والمعلمة بل أو في أي شيء أو قدر من هذه المستويات..!

إذن فإنه لا حماية تساوي هذه الحماية في نفعها وعطائها. هذه الحماية الرحيمة التي يحس بها الإنسان من أن تتخلق فيه معاني الإنسان الصعبة.

.. ماذا لو أن أي إنسان هل أو أي كائن لم يحم هذه الحماية ولم يحرم منها ويحصن ويطمع ويعقم ضد هذه المعاناة.. معاناة العقل والفكر والقلب والرؤية والضمير والأخلاق ومحاسبة ومحاسبة النفس للنفس ولكل شيء حتى لتحديات الإله فيما أراد وفعل..

- نعم، ماذا لو أن هذا الإنسان أو الكائن المفترض رأى بقلبه أو عقله أو تفكيره أو ضميره أو عينيه أو أخلاقه أو حتى بدينه وإيمانه وتقواه أو لو أنه بكل ذلك رأى أي لو أنه رأى إلهه الذي رآه واعتقده وتعلمه وفتر له وقيل له عنه إنه كل الجمال والحب والرحمة والذكاء والتقوى والشهامة والعبرة وتمناه وانتظره وأراد كل ذلك - لو أنه رآه يفعل بكل شروط ومقاساة وتفاصيل وعقوبات وحساسات التخطيط والتدبير والنشوة والفرح والرضا عن النفس والإعجاب بها.

- يفعل كل ما في هذا الوجود من آلام وأثام وتشوهات وعاهات وعيبات وتناقضات وبلادات وجهالات ومن أكوام وكينونات وكائنات متناقضة متصادمة متعادلة متحاربة متطاردة متناطحة مختلفة ومتفاوتة الأحجام والأوصاف والذوات والقدرات والأنبياء والأظافر والوحشيات.

... يأكل ويخيف ويطارد ويقهر بعضها بعضاً وأيضاً يسخر ويستعبد بعضها بعضاً دون أن يوجد فوقها أو حولها أو فيها أي حارس أو حام أو حكم أو حكومة أو قانون أو منطق أو حدود أو هيئات أو منظمات لتحديد وتنظيم وتفشر العلاقات واللقاءات بينها.. لتحاسب وتعاقب وتمنع وتصلح الفاسد والمعتدي أو لتصوغه صياغات أخرى أقوى وأذكى وأتمى.. دون أن تكون لها أية وظيفة أو هدف أو حافظ أو تفسير أو منطق ديني أو أخلاقي أو فني.. دون أن تعني أو تساوي أي شيء غير كينونتها بلا تفسير ثم موتها بلا تفسير.. دون أن تصنع مجداً أو فرحاً أو نفعاً لأي كائن آخر.

.. دون أن تعرف أو حتى تسأل أو تفكر لماذا هي.. لماذا جاءت وجاءت كما جاءت ومن أين جاءت ومن أراد لها أن تجيء وأن تجيء كما جاءت.. ومن أراد لها كل ذلك إن وجد من أراد له أن يجيء كما جاء.

.. ولماذا تذهب وتذهب كما تذهب.. من أراد ذلك ودبره وفعله بعد أن اختاره إن كان قد اختاره..

لماذا تذهب بعد أن جاءت، ولماذا تجيء إن كان محتوماً أن تذهب ولماذا تجيء وتذهب.. ما تفاسير ذلك ومنطقه وحواضره وأهدافه؟

إن كان له تفاسير وحواضر ومنطق وأهداف فما هي وإن لم تكن له أي هذه التفاسير والمنطق والحواضر والأهداف فلماذا جاء ويجيء.

.. هذه الأكوام والكينونات والكائنات كيف تقرأ أو ترى أو تفهم؟ إن كان لمجيبها أو في مجيبها أي جمال أو منطق أو سعادة أو قائمة أو فرح أو عزاء أو دواء أو غذاء أو حتى غناء لنفسها أو لأي إله أو لأي كائن، فلماذا ذهبت وتذهب، وإن لم يكن في مجيبها أو لمجيبها كل ذلك أو أي

شيء منه فلماذا جاءت ولماذا تستمر في المجيء؟ إن كان الإله يريد مجيئها ويستفيد ويربح من مجيئها فلماذا تذهب وإن لم يكن ذلك فلماذا تجيء وتركها تجيء؟

هل وجد من يسأل هذه الأسئلة أو يقاسمها أو يتصورها أو يفكر فيها؟ إن كل من يسألون يسألون: متى يولد أو يوجد هذا ومتى يفقد أو يموت ولكنهم لا يسألون: لماذا يولد ويوجد ولماذا يفقد ويموت..!

إذن كيف يحتمل أن يوجد من يفهمها ويحبب عنها ويتعامل معها ويحقق فيها، أي هذه الأسئلة بهذه التفاسير؟

هل كان يمكن أن يوجد هذا الكون أو أي شيء لو كانت الأشياء لا توجد أو تبقى إلا بالسؤال والجواب؟

هل يمكن أن يوجد أي جواب مهما وجدت كل الأسئلة؟
هل يمكن أن يوجد أي سؤال لو كان لا يوجد إلا إذا كان محتملاً أو حتى محتملاً أن يوجد له جواب؟

هل كان يمكن أن يوجد أي جواب لو كان يشترط عليه أن يكون جواباً؟ هل حدث أن جاء أي جواب بأي معنى من معاني الجواب؟

هل السائلون أي عن قضايا الكون والكونية - هل هم يسألون أم ينتون ويتألمون ويعنون عن عجزهم وحيرتهم وضباعهم وورطاتهم؟

وهل المسييون يجيئون لأنهم يعلمون أم لأنهم لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون؟
- نعم، ماذا لو وجد هذا الإنسان أو الكائن ورأى ذلك وتساءل عنه وحاسبه وحاكمه وقرأه وفشره يقلبه أو عقله أو ضميره أو أخلاقه أو عينيه أو يأيمانه ودينه وتقواه..

وأيضاً رأى بكل هذه الرؤية كل ما يواجه ويعايش ويساكن ويتعامل ويعرف ويسمع ويقرأ أو يروي ويعلم ويتعلم.

.. رأى بهذه الرؤية بكل تفاسيرها نفس الإنسان الذي يوجد فيه وبه.. رآه في داخله وفي كل خارجه..

يعيش كل وجوده.. كل تاريخه وحاضره ومستقبله.. كل أسمه وشعوبه وطوائفه وأوطانه وخلقاته وعداوته وأحقاده وحروب وملاعناته ومبارزاته وبداياته ونهاياته وحوافره وأهدافه.. كل أربابه وأنبيائه وأديانه وأفكاره وثقافته وخرافاته وصلواته وتعبّداته.. بكل خلافاتها وتناقضاتها ومنافساتها وعداوتاتها ومفاخراتها.. كل قصوره وقبور وخيامه وأكوامه وأعراسه ومآتمه.. كل كعباته ومزاراته ومغارته وكهوفه ومهوده وأكفانه.. رآه بكل أمجاده وهوانه، بكل انتصاراته وهزائمه، بكل ثيابه وعمره...

- أجل، ماذا لو وجد هذا الإنسان أو الكائن ورأى بكل هذه الرؤية كل هذا؟ ما أفضع بعض هذا فكيف كله؟

هل يمكن أن يوجد بل أن يتصور عذاب مثل عذابه؟

إذن أليس الحرمان والحماية من هذه الرؤية بكل معانيها وتفسيرها بكل هذه المعاني والتفسير هو أعظم وأنفع وأرحم عطاء؟.

ثم ماذا لو وجد كل هذا الإنسان أو كل هذا الكائن ثم استطاع أن يرى ويقرأ ويحاسب ويحكم المسؤول عن هذا الوجود.. بالمنطق والأسلوب والاستقبا والانسحاب الذي يرى ويقرأ ويحكم ويحاسب به نفسه وجنسه بل والأجناس البائسة الهابطة كل الهبوط في رؤيته وحساباته وتعاليمه وأديانه.

أي أجناس الحيوانات والحشرات والأصغر من ذلك..

- نعم، ثم أراد وقدر واستطاع أن يحاسب ويعاقب ويحاسب وإعاقب إلهه على شيء من الأخطاء والخطايا والفضائح والفضائح التي لا يرى جماله أي جمال إلهه وحكمته ورحمته وشهامته وعبقريته ومحبه وسعادته إلا مريداً مدبراً مخططاً قاعلاً لها أي لهذه الفضائل والأخطاء والخطايا والتي يحاسب ويحكم ويعاقب عليها وبها أصغر وأنذل وأضعف وأحق الحشرات والكائنات أي التي يراها ويعلمها هذا الأصغر الأضعف الأحقر الأنذل أي التي يراها ويعلمها الإنسان كذلك.

ما أقسى وأصعب تصور العذاب حيث..!

كيف أمكن ألا يحاسب ويحكم ويعاقب ويريد ومخطط وفاعل كل شيء بشيء مما يحاسب ويحكم ويعاقب به كائن مراد مدبر مصوغ محكوم مفعول من خارجه؟ كيف يشترط على هذا وفيه ويطلب منه ما لا يطلب أو يشترط شيء منه على هذا وفيه ومنه؟

من وضعك وصاغك أيها المنطق.. يا منطق الإله.. يا منطق كل أعوان الإله ومستشاريه وموظفيه.. يا منطق الإنسان.. يا منطق أنبياء الإنسان ومنطق عباقرته ومفكره وصالحيه؟.

هل أهين أو يهان شيء مثل المنطق أي مثل ما يسمى ويرغم منطقاً؟

وهل خرج على المنطق وحقره مثل المنطق أي مثل ما حسب وأعلن منطقاً؟ هل عادى أو فضح المنطق شيئاً مثلما عادى وفضح نفسه أو عادى الإله شيئاً مثل معاداته لنفسه أو عادى الإنسان أحداً مثلما عادى الإنسان؟

إذن هل يمكن أن يوجد ولو في التصور عطاء يساوي في سخائه ونفعه ونيله حرمان وحماية الإنسان من أن يكون إنساناً بمعاني الإنسان..

يساوي حماية وحرمان الإنسان العربي وكل من في مستواه من أن يكون إنساناً محكوماً بمعاني الإنسان المفترسة والمعلمة والمسجدة والمدعاة والمتحدثة عنها الأديان والنبوات والفلسفات والأخلاق التعليمية؟ هل وجد محفوظ محايى مثل من حزم وحمي من ذلك؟ لماذا حمى الإله وحرم نفسه من هذه المعاني؟ هل لهذا أي تفسير غير هذا التفسير؟

.. إذن نحن.. نحن الأرض والطبيعة قد أعطينا الإنسان العربي أعطيناه.. وحاييناه، حاييناه حتى

أصبحنا أهلاً لأن نتهم بكل الخروج على كل حدود وقیود الوقار والاتزان والعقل.. بل أصبحنا افتضاحاً وفضحاً لأنفسنا ولمن أعطیناه وحاییناه بل ولمن أردنا وتصوّرنا وأوجدنا وصاغنا أي إن وجد وقيل أن يوجد هذا المتصور المزعوم المتهم بذلك.. لمن خلقنا بكل معانینا وروّانا وقدراتنا وتصرفاتنا وقوانیننا التي تعني حتماً أن نعطي ونحامي ونصوغ الإنسان العربی كما فعلنا وكما جاء.؟!

إذن هل يمكن أن تحكم علينا هذه المحكمة أو المنظمة الكونية لما فعلناه بالإنسان العربی؟ أليس المعقول المحتوم أو المتوقع المطلوب أن تحكم لنا لأننا فعلنا له كل ما فعلنا وقملناه كما فعلناه؟ نعم، إننا أي نحن الأرض والطبیعة لن نفجع أو نستنكر أو نعجب أو نفاجأ لو حاکمنا وحکمت علينا لأننا أعطیناه أي الإنسان العربی وحاییناه حتى تحولنا إلى فضح وافتضاح له ولأنفسنا ولكل شيء لا لأننا ظلمناه أو تراخينا أو قصرنا أو بخلنا في محاباته وإعطائه أو في تحقير وإذلال طاقاتنا وثرواتنا وأخلاقنا ومواهبنا وقوانیننا لكي تتوافق وتلائم مع شهواته وطاقاته وأخلاقه ومواهبه.. مع ضعفه وكسله واسترخائه وإهماله وأحقاده وعداواته وعدوانياته.. مع شرهه وسرفه البدني وزهده وتقديره وشخه وضعفه الفكري والعلمي والعاطفي والأخلاقي والإنساني!

لقد صنعناه ليكون شره الجسد والأعضاء زاهد العقل والفكر والضمير والرؤية والأخلاق. .. أما صياغته أي صياغة الإنسان العربی التي جاءت ضعيفة وعاجزة في كل نماذجها ومستویاتها وتفسيرها واختراقاتها الفكرية والعلمية والنفسية والإبداعية والغنية والعاطفية والتصورية والاحتجاجية الغضبية الرفضية..

فهذه لن تكون عدواناً أو إساءة أو تعدياً أو ظلماً له أو عليه أو إليه، بل إنها كل الإحسان إليه والمحابة والتخصيص له بالراحة والهدوء والخمول والاسترخاء المثائب النائم الغافل البليد الصامت عن كل الرؤية والاحتجاج والتطلع والتفكير والإبداع والصعود والافتحام والفعل الخلاق. ما أعظم وأدوم راحة النائم في يقظته!

ما أكثر النائمین في يقظتهم. ما أعظم حظوظهم وأعظم محابة من صاغهم كذلك لهم. أليس هذا كل التعب والعذاب والمعاناة أي أن يكون الإنسان إنساناً بمعاني الإنسان؟ وقد هذا أو الحماية من هذا أليس كل الراحة والاسترخاء والنوم والفرح؟ أليس النائم محمياً من كل تبعات ومقاساة وهموم المستيقظ؟ أليس الإنسان أئسى عذاباً وخوفاً ومقاساة من الحيوان والحشرة؟ أليس الإنسان العبقري والذكي والتقني والقوي أكثر وأعظم التزامات ورؤى ومحاولات وخطوات مرهقة مقلقة محاسبة ممن هم دون ذلك؟

إذن كم نحن محابون وواهبون لمن لم نردهم ونصنعهم عباقرة وأذكیاء أو أقویاء أو أنقیاء أي بضمير وأخلاق التقوى لا بلسانها.؟!

.. أليس الصاعد في سفنه الكونية محلّقاً إلى القمر وفوقه أفسى مقاساة في كل تفاسير المقاساة وتبعاتها وهمومها والتزاماتها وتقواها من كل المنطرحین فوق التراب تحت خيامهم مع أغنامهم

وأنعاهم وأبقارهم ينظرون بكل البله والخمود والخمول إلى السماء يخاطبون ويناجون ويفشرون وينتظرون إلههم الذي لن يظهر أو يحضر أو يسمع أو يستجيب أو يعتذر.. الذي لن يسل أو يخجل من صمته وعجزه وغيبته وغيبته.. الذي لن يخشى أن يغضب أو يسأم أو حتى يعجب أو يتعجب منتظروه ومناجوه ومخاطبوه ومؤملوه من دهمومة عجزه وصمته وغيبته وغيبته وبلادته أو حتى يسألوا أو يتساءلوا عن ذلك.. الذي لم يوجد غائب مفقود عاجز أصم أخرس ضال ضائع مثله ومع هذا يرى ويعتقد ويعلم بأنه كل الظهور والوجود والقدرة والسمع والكلام والنطق والهداية والهدى.. الذي لم يخسر أو يخب أحد بانتظاره وبالتعامل والتعاقد معه مثلما خسر وخاب المنتظرون له والمتعاملون المتعاقدون معه؟

نعم، أليس ذلك كذلك؟

لهذا أليس الإله أشد وأشمل وأصدق وأدوم عذاباً من الأنبياء والملائكة؟..

لهذا أيضاً أليس الأنبياء والملائكة أشد وأشمل وأصدق وأدوم عذاباً من الكائنات الأخرى التي هي أقل منهم في معانيها وتقاسيرها أي من الإنسان الذي لم يصعد إلى طور الملائكة والأنبياء؟ أليس مجيء الكائن متفوقاً في طاقاته أو معانيه أملوياً من أساليب المعاقبة له وإن لم يكن بنيات ذلك؟ أليس الأكبر ولو بالحجم يتعذب أكثر؟ أليس أكبر حيوان يقاسي أكثر من مقامة أصغر حشرة؟

.. أليس ذلك كذلك أو أليس ذلك هو المفروض والمتوقع والمنطقي؟ أه، لا تزال تتحدث عن المنطق والمنطقي اللذين لم نجدهما أو نعرفهما ولن نجدهما أو نعرفهما.

.. اللذين لن نعرفهما أو نجدهما إلا بقدر ما نقدهما ونجهلها.

أليس الأجهل بالمنطق والمنطقي هو الأقدر على أن يجدهما ويعرفهما بل ويراهما؟

.. كيف لم يعرف الإنسان وآلهة الإنسان وعباقرته أن من أرادته وخططه وصاغه إنساناً أكثر عدواناً وقسوة عليه ممن أرادته وخططه وخلقه نملة أو قملة أو صرصاراً أي لو وجد من يريدته ويخططه ويخلقه قملة أو نملة أو صرصاراً؟

وهل وجد من أرادته وخططه وخلقه إنساناً؟ هل وجد هذا المجنون أو المجرم الأعظم؟ هل يستطيع عار وقبح وهوان وانفضاح ووحشية وبلادة وأخطاء وخطايا كل الحشرات والحيوانات أن تنافس أو تساوي عار أو قبح أو انفضاح أو وحشية أو بلادة أو أخطاء أو خطايا إله أو نبي أو قائد أو زعيم أو بطل واحد من البشر؟ هل يستطيع ذنوب كل الكائنات أن تساوي ذنوب الإله الواحد؟ هل نستطيع؟ قبيح، قبيح أن يكون المسؤول عن كل هذا الكون واحداً؟

كيف يستطيع ظهروه أو أكتافه أو ضميره أو أخلاقه حمل هذه الآثام والقضائح كلها؟

إذن ولهذا هل يوجد أو يمكن أن يوجد تعذيب لأي كائن أو عدوان على أي كائن مثل أن يجيء إلهاً أو نبياً أو عبقرياً أو حتى إنساناً عادياً أو ملاكاً، ملاكاً جداً مراداً ومخططاً ألا يجيء أية حشرة أو أي حيوان أو أي كائن لا يقاسي شيئاً مما يفترض أو مما لا بد أن يقاسيه الإله والملاك

والنبي والعبري بل والإنسان العادي غير العربي أي متعمداً تغذيه وفضحه بالأ يکون كذلك أو ذلك أي بالأ يکون الکائن الذي لا یقاسی شيئاً من مقاساة الإنسان؟

کائن یخطئ ويصاغ لیكون إنساناً.. لیكون معداً لأقتراف الذنوب والأخطاء والمظالم والعدوان والزندقاۃ التي مستقوده حتماً إلى الخلود والتخلید في الجحیم الخالد المخلد الذي تحدث عنه وعن أوصافه خاتم الأنبياء.. في دينه خاتم الأديان.. في کتابه خاتم الکتاب..!

.. کائن یخلق للجحیم.. لجحیم محمد استحقاقاً عل بعض نقائصه وآثامه..

.. کائن یدبر ویخلق ویخرج لیكون.. لیجيء غیظاً وغضباً وانفجاعاً وحزناً وتوتراً وإقلاقاً وأرقاً وتوعداً وإرهاقاً واحترافاً وإحراقاً دائماً لإله وخالق وحاکم ومنظم هذا الوجود كله.. لیجيء إلهاء وصرفاً له عن كل شيء حتى عن نفسه.. عن رؤيتها ومحاسبتها وقراءتها لإصلاحها وتصحيحها.. لاهتمامه المحرق المفرق به.. بهذا الکون.. بهذا الإنسان..!

هذا الکائن الإنسان هل اعتدي علی أحد أو ظلم أو عذب أو شوه أو قبح أو فضح أحد مثله لتخطیطه وخلقه في هذه الصیفة المتفوقة أو المزعومة المحسوبة متفوقة؟ ومن الذي حسب وزعم هذه الصیفة متفوقة؟ إنه المصاب بها..!

هل وجد أو یمكن أن یوجد أو حتى یتصور ظالم متوحش قبیح عدواني مثل من اختار له صیغته واختاره لصیغته أي هذا الکائن أو الإنسان؟

کائن یختار لیكون ساکن الجحیم ومعذب صاحب هذا الکون. کیف جاء؟ کیف جاء؟

إذن أليس الأرحم والأنبیل والأنتفع والأذکی أن یصاغ هذا الکائن.. هذا الإنسان في صیفة قملة أو نملة أو صرصار أو في أية صیفة أخرى إن كان الاختیار أو البديل الآخر أن یصاغ في صیغته التي حکمت وقضت علیه بأن یكون فاسداً ورديفاً وأثماً وغیباً وجاهلاً وأصمياً ونذلاً، لیكون مستحقاً للتخلید والخلود في الجحیم الخالد المخلد، ولیكون ملزماً لصاحب هذا الکون ومريده ومدبره ومخططه وصانعه وصائغه بأن یتحمل تکالیف تخطیط وإيجاد وصياغة وتضخيم وتعميق وتخلید هذا الجحیم وحراسته وحمايته من التخريب والخراب والتفادیم المضعف لحرارته وقوته وحصانته وإحراقه وتحريقه وتغذيته..

ولیكون موقداً مشعلاً في عیون وآذان وآمال وطلبات ومطالبات وشهوات ومجاعات صاحب وخالق وحاکم هذا الوجود..

لیكون كل الحرائق.. المحرقة لكل رؤى وأغلاقی وتفاسیر ووظائف القلوب والعقول والضمائر بل والإیمان والتدين والتقوى..

.. أليس وجود هذا الکائن الإنسان لیكون كما لا بد أن یكون في صیغه المادية والسلوكية والنفسية والعقلية والأخلاقية إهانة وعصیاناً وهزيمة للإیمان والأديان؟

أجل، أليست صياغة هذا الإنسان في ذات قملة أو نملة أو أية حشرة أو كائنة أخرى أنفع وأفضل وأجمل وأتقى وأسمر وأظهر وأنظف وأشرف له ولمن أرادہ ومخططه وصاغه وأقل إهانة وفجیعة

لضمير الإله وأخلاقه وطموحه وتمنياته وأديانه وتعاليمه وكتبه المنزلة أي من صياغته في ذات إنسان ليكون مستحقاً لهذا الجحيم وصانعاً لخالق وصاحب وحاكم هذا الوجود كل هذا الغيظ والغضب والكآبة والانفجاع والتوتر والقلق والأرق والأسى والندم والتعب والمذاب والتكاليف الفادحة، الفادحة في رؤيته ومعاملته ومخاطبته وتخطيطه وخلقه وفي الانتظار له ومنه وفي الاستماع إليه وفي الاعتماد به وفي الإنفاق على جحيمه وفردوسه وفي إنزال وإرسال الأديان والأنبياء والكتب المنزلة إليه وفي التدبير والتخطيط لهديته وتقويته وإسعاده، وأيضاً لإضلاله وإشقاؤه وإفساده وإضعافه - .. لترويض الأبالسة والشياطين لإغوائه وإكفاره، وأيضاً لصناعة وصياغة وترويض وتدريب وترويض وتعليم الملائكة لكي تتحاور وتتخاطب وتتعامل وتتسام وتفاوض مع أعضائه وشهوته ومجاعاته وطاقاته التي لم ترد أو تصغ أو تصنع أو تخرج أو يرد لها إلا أن تتعامل وتتحاور وتتخاطب وتتصادق مع الأبالسة والشياطين بكل لغات الأبالسة والشياطين.. بكل أساليب التدبير والتقوى والطاعة والتفويض لرغبات وأوامر وتخطيطات وتعاليم ورسل الأبالسة والشياطين؟..

إنه يناضل ويعاني ويعوظ كل طاقاته واهتماماته وحساساته لإضلاله وإشقاؤه ولتحويله إلى زنديق أكثر وأقوى مما يفعل لإسعاده وهديته ولتحويله إلى مؤمن!..

إنه يصوغ أعداءه بمواهب وطاقات أقوى وأذكى من مواهب وطاقات أصدقائه!

.. كائن لولاه لما اضطر الإله إلى تخطيط وتدبير وخلق الأبالسة والشياطين والجحيم وكل أجهزة الحساب والعقاب والتعذيب وموظفي كل ذلك.. ولما وجد الكفر ولا الفسوق ولا الخيانات والفساخ والنذالات والعار، ولا القتل والقتال والحروب، ولا الآهات والأنات والدموع، ولا الركوع للأوثان والطاعة وللآلهة التي لم توجد ولن توجد مطلوبة ومرجوة للإنقاذ.. ولما قاسى الإله الأحزان والهزائم والفواجع بكل رؤاه وحسايته وأمانيه وتجاربه ومواجهاته..

ماذا يمكن أن يكون أي شيء أو تصور أي شيء لو كان الإله يستطيع أن يصعد إلى أي سماء من سموات الأحزان أو الفواجع أو الاشتزاز..

.. ما أقبح الآلهة وأندلهم بدون ذلك، وما أقسى عذابهم وانتضاحهم بذلك!..

.. هذا الكائن أي الإنسان هل يقبل أو يرضى أو يغفر أحد أن يوجد فكيف يقبل أو يرضى أو يغفر أن يوجد عرو؟ هل يوجد ذنب يساوي ذنب إيجاده أو وجوده، إذن هل تساوي كل الذنوب ذنب من أوجده؟

.. هذا الكائن أليس تخطيطه وإرادته وصياغته ليحيى في الصيغة التي بها جاء كما جاء هو أقبح وأقسى عدوان وإساءة عليه وإليه وتشويه وتعذيب وقصع واقتضاح له ولمريده وصانعه ولكل شيء؟

إنه لكل التعذيب للعقل والقلب والضمير والأخلاق والإيمان والتدين تصور وجود هذا الكائن فكيف تصور مدبره ومريده ومخططه وخالقه؟

.. ما أعظم عذابنا وانفجاعتنا نحن الأرض والطبیعة فی هذه اللحظات أو اللحظة إذ نواجه ونقرأ ونسمع هذا الاتهام لنا بالاعتداء علی الإنسان العربی وبإذلاله وتحقیره وتصغیره وبالهبوط به..!

.. الإنسان العربی الذی لم یسقه أو یخطيء شیء أو أحد مثلاً سفهنا وأخطأنا فی ضخامة عطائنا ومحابائنا له حتی لقد أصبنا الإله بالخرس والصمم لئلا یخاطب أو یرى أو یسمع أحداً بعد أن خاطب ورأى وسمع النبی العربی..!

.. لأننا أردناه وصغناه لیجیء بالصیفة المریحة التي جاء بها.. التي لا تقاسی شیئاً مما تقاسیه الصیغ الأخرى.. التي لا تقاسی من عملیات ومتاعب وهموم واهتمامات الإبداع والخلق والتفکیر والرؤية والمحاسبة والصدق والعدل والبسالة والمخاطرة.. ما أقسى هذه المقاساة.. ما أقساها..!

کیف أمکن أن یحسب أو یزعم ذلك عدواناً أو ظلماً أو إیذاء؟ کیف؟

کیف یحسب مظلوماً أو محقراً من جاء قملة أو نملة ولم یجیء إلهاً صانعاً للقملة والنملة؟

.. لقد حایناه وأعطيناه.. حایناه وأعطيناه بتخطیطنا وإرادتنا له هذه الصیاعة أو بصیاعتنا له هذه الصیاعة أو الصیفة بموهبتنا الذاتیة الآلیة بلا تخطیط أو إرادة أو معرفة..!

نعم، نحن الأرض والطبیعة یجب أن نعترف وعلینا أن نعترف بأخطائنا وذنوبنا إذا اقتنعنا أننا قد فعلنا ذلك أو شیئاً منه أو وقعنا فیة أو حتی اضطررنا إلى الوقوع فیة أو حکم علینا به وبالوقوع فیة..

إنه لا أحد. لا الإله ولا أعوانه ولا أحد من البشر یفعل أخطائه وخطایاه معلنة مكشوفة بلا أي تستر علیها أو دفاع عنها غیرنا نحن الأرض والطبیعة..!

.. لهذا نقول وترید أن نقول بكل الصدق والشجاعة والإخلاص بل وبكل الإیمان والتفوی الذاتیة الآلیة:

- نقول: إن ذنبنا الحقیقی الکبیر الذی نستحق علیه نحن الأرض والطبیعة أقسى المحاسبات والمحاکمات الجازية المعاقبة هو أننا صغنا الإنسان العربی فی صیفة إنسان لیكون محاسباً ومطالباً مقروءاً مفترأ بمعانی الإنسان لأنه جاء فی صیفة إنسان..!

أجل، إن هذا هو ذنبنا الکبیر الحقیقی إن کان ممکناً أن نعد مذنبین مهما كنا وفعلنا..!

.. إن الرفق والإشفاق فی درجاتهما العلیا لیفرضان علینا أو یطالباننا أي فی حدودهما الدنیا أن نحملیه ونزیریه من أن نضعه أي الإنسان العربی فی صیفة إنسان کما حمیناه وأرحناه من أن نضع قبه معانی الإنسان أي الصعبة المبدعة المتعبة الخلاقة. إن تفریع الکائن الأعلى عن معانیه الصعبة لإنقاذ له من ألوان المعاناة المشحونة بكل ألوان العذاب لهذا جاء الإله أشهر وأعظم مفرغ لنفسه من کل معانیها. لهذا لم یوجد ولن یوجد فیة أي فی الإله أي معنی من معانی الإله..!

.. نعترف نحن الأرض والطبیعة أننا لم نكن کل الکمال أو الحب أو الرحمة أو الإشفاق، وأننا لا نستطیع ولن نستطیع أن نكون کل ذلك..!

إننا لو كنا ذلك لقلعنا للإنسان العربي أكثر وأعظم مما فعلنا له.. لقد أرحناه وحميناه من أن تدبره ونخططه ونصوغه بمعاني الإنسان الصعبة المعقدة الملزمة الملتزمة!

إن هذا بعض الرحمة والحب والإشفاق والعطاء والحنان والمحابة والانحياز وليس هذا كل ذلك مهما كانت ضخامته!

لقد جعلناه يملأ ويحاصر ويفجع كل العيون والآذان والضمائر والأخلاق والعقول قبحاً وانفضاحاً وبلادة وبذاءة ووقاحة وجهالة وعجزاً دون أن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يعرف أو يخجل أو يرفض أو يعجز أو يتوقف شيء من أعضائه وشهواته عن شيء من ممارساتها لشربها ولوظائفها البذيفة. لقد زرعنا فيه كل هذه الطاقات والمواهب الحارسة له من كل ألوان المقاساة والهموم والاهتمامات الإنسانية. زرعتها بكل التأصيل والتخليد.

.. ولكن هذا كله مهما عظم عطاء ومحابة ليس كل الرحمة والحب والحماسة والراحة والرفق والإشفاق. ليس كل ما نستطيع أن نفعله له!

إننا لو كنا كل ذلك وقعلنا له كل ذلك لأرحناه وحميناه أي الإنسان العربي بل ولحرسناه من أن نصوغه أو أن يصاغ بصيغة من صيغ الإنسان حتى ولو بلا أي معنى من معاني الإنسان...

أي لئلا يكون محاسباً أو مطالباً أو مرئياً أو مقروءاً أو مفترساً أو منتظراً بشيء من معاني الإنسان أي لئلا يكون موجوداً أو موضوعاً أو مخزوناً في غير ذاته أو متهماً بغير ذاته أو متهمه به ذات ليست ذاته!.. نبي أو قائد يوضع في ذات ليست ذات نبي أو قائد، وكأن ليس نبياً ولا قائداً يوضع في ذات نبي أو قائد!.. قبيح وفاضح ومعذب ومفسد أن يحدث هذا!

.. إنه بهذه الصيغة لا بد أن يكون محاسباً ومحكماً ومطالباً بمعانيها ومشترطة فيه أو لا بد أن يكون هذا هو المفترض والمتنظر والمتعامل عليه وبه.. لو وضع أرنب في ذات أسد أو نملة في ذات فيل أليس محزوماً حينئذ أن ينتظر من هذا الأرنب والنملة ما ينتظر من الفيل والأسد؟

.. إذن لا بد أن يكون أي من وضع في صيغة أو في ذات بلا أي شيء من معانيها أي كما جاء ووضع الإنسان العربي.. كما وضع في ذات وصيغة إنسان بلا معاني الإنسان أي الصعبة المبدعة المغيرة المتغيرة المتوالدة تصاعداً وتخطياً لا تكثرأ وتزاحماً.

.. لا بد أن يصبح قاضحاً مفضوحاً مفتضحاً فاجعاً محرراً صانعاً لكل الاشتغاف والغشيان والغضب والغيظ وأيضاً صانعاً لكل الشماتة والمسلاة الحزينة الأليمة الكثيرة المضحكة بكل معاني البكاء والأسى.. المضحكة المفرحة لبعض الآلهة والنجوم والكائنات المعقدة من بعيد.. من فوق. المتفدية بالشماتة برؤية النقائص والقبح والانفضاح...

والمبكية المحزنة الفاجعة للمطلات الأخرى من الآلهة والنجوم والكائنات الباحثة عما يبكي ويحزن ويفجع لتحزن وتفجع وتراجع!..

ولكن ألم نعم الإنسان العربي من أن يرى نفسه بل ألم نجعله يرى ذاته كل الأحجام وكل

الشموس والنجوم والأضواء مهما كان بلا أي حجم أو ضوء ولو من سراج أو شمعة؟

.. إننا أي نحن الأرض والطبيعة نسأل ونسأل!..

هل يمكن أن نحسب أو نرى بذلك ظالمين للإنسان العربي أو معتدين عليه لكي نزعّم أو نعلن مستحقين للمحاسبة أو المحاكمة أو المعاقبة أو حتى للاتهام أو للنقد أمام هذه المنظمة أو المحكمة الدولية أو الكونية؟ ولكن هل نحن نسأل ولماذا نسأل؟ هل يمكن أن نجيء أو نبقي لو كنا نسأل.. لو كنا نسأل لنسأل؟

.. إنها أي هذه المنظمة أو المحكمة لن تتعلم أو تستورد منطقها أو عقلها أو رؤيتها أو تعاليمها أو دينها أو أخلاقها أو عدالتها من الإله العربي أو النبي العربي أو الدين العربي أو الإنسان العربي أو حتى من المفكر أو الشاعر العربي أو أن هذا هو المطلوب والمقترض والمتمنى أي ألا تتعلم شيئاً من ذلك من هذه أو من هؤلاء!

بل المحتوم أو المتوقع أن تتجع وتراجع من أي شيء عربي تراه أو تقرؤه أو تسمعه أو تعرفه أو تعامله أو تتعامل معه أو به!

لهذا ننتظر ألا ترانا في معاملتنا وتخطيطنا وصياغتنا للإنسان العربي مثل رؤية الإله العربي لنفسه ولكل شيء.. مثل رؤية ومحاسبة ومحاكمة ومعاقبة ومطالبة وملاعنة الإله العربي لمن أرادته وشاء وعشقه ودبره وخططه وخلقه صائناً له كما أراد وشاء وأحب وخطط ودبر واستطاع..

لأنه جاء وكان كما أراد أن يجيء ويكون وكما خلقه!

.. مثل رؤية الإله العربي لنفسه.. مثل رؤيته لنفسه دائماً مصيباً وعاقلاً وعدلاً ومبدعاً ومحبناً وواهباً وشافياً وقوياً وجميلاً ونبلاً ورحيماً ومحياً.

مهما كان وأراد ودبر وفعل كل الخطأ والجنون والغباء والبله والظلم والعدوان والقسوة والقبح والعجز والضعف والبخل والحرمان والإساءة والنذالة والوقاحة والدمامة والتشوه والأمراض والأوبئة والغناء والخراب والموت.. الموت!

هل استطاع الاختلاف أو الشك في أن هذه الأوصاف هي بعض أوصاف الإله العربي بل بعض أمجاده ومدائحه لنفسه؟ ليت هذا الاختلاف أو الشك يوجد أو حتى يمكن أو يقبل أو يغفر تصوره أو ذكره أو عرضه أو الاستماع إليه!..

هل جاء الإله العربي كما جاء لأنه إله عربي أم لأنه إله وكل إله مثل الإله العربي؟

.. نحن الأرض والطبيعة كم نتعذب ونفجع ونحزن ونصفر ونهون ونفبح ونندل ونظلم ونتشوه بل ونعصي في رؤيتنا وتفسيرنا وقراءتنا ومحاسبتنا ومواجهتنا وتجربتنا ومحاورتنا ومعاملتنا ومناقضتنا ومصادمتنا وفي انتظاراتنا وتمنياتنا ونصائحتنا للإله العربي وفي معاملته ومخاصمته ولعنه وتحقيره ونصائحه وانتظاره وأوامره ومطالبته لنا. ما أفبح وأوقع وأفسق وأكفر وأندل العلاقات بيننا وبين الإله.. بين الإله وبين أي شيء وكل شيء!.. كيف لم يعرف العالم ذلك؟

.. أليس محتوماً من أجل ذلك أن نأثم ونخطيء ونكفر بل أن نكون كل الآثمين والمخطئين والكافرين وكل الخالفين الملزمين الموحين المفرين المغوين لكل هؤلاء أي لعلاقتنا ومعايشتنا ومساكناتنا ومشاركاتنا للإله العربي؟ هل نكون مطيعين أو مرضيين مفرحين للإله العربي ما لم نكون مستجيبين ومنفذين لرغبته وشهوته وإرادته وحكمته في أن نكون آثمين ومخطئين وكافرين ومعذبين متعذبين.

.. هل يوجد أو يتصور مفجوع مصدوم مهان معذب محقر بل وفاعل لكل الأخطاء والخطايا والزندقا مثل المحكوم عليه بالتعامل والتعاور والتفارض والتفاهم والتوافق والتصالح مع الإله العربي أي لأنه لا مريد ولا عاشق ولا مخطط ولا قابل ولا فاعل لكل ذلك ولا محترض أو دال عليه وقائد إليه مثل الإله العربي بل غير الإله العربي؟ إذن هل يوجد من يستحق كل العقاب والحساب بل والأشمتزاز منه مثل الإله العربي بل غير الإله العربي؟

.. إذن هل يوجد أو يتصور معذب مفجوع مصدوم محقر مهان معتدى عليه.. على كل معانيه وصيغه وتفاسيره ورؤاه ومواجهاته وتصرفاته وأخلاقه بل ومحكوم عليه بأن يكون كل الحماقات والآثام بل والكفر كل الكفر.

- نعم، هل يمكن أن يوجد أو يتصور مصاب بكل ذلك ومحكوم عليه بكل ذلك مثلنا نحن الأرض والطبيعة أي لأننا نحن كل المتعاملين مع الإله العربي ولأن الإله العربي هو كل من يتعاملون معنا؟ إذن هل يمكن تصور كينونة مثل كينونتنا في قبح وبشاعة ورداءة حظوظها أي نحن الأرض والطبيعة.. نحن لا نتعامل إلا مع الإله العربي والإله العربي لا يتعامل إلا معنا بل لا يجد غيرنا. إذن ما أفظع حظوظنا..!

.. هل نجد من ينقذنا من الإله العربي أو حتى يوثي أو يحزن لنا من علاقتنا بالإله العربي.. من تفرد واستبداد الإله العربي بنا..؟

هل نؤمل أو نتنظر في أن نجد هذا المنقذ أو حتى الرائي لنا من الإله المحسوب المزعوم المعلن كل آلهة هذا الوجود وكل وجود آخر؟ أهما أفجع: أن يكون العربي عربياً أم أن يكون إلهاً عربياً، عربياً؟

هل ينتظر مجيء أو وجود أي شيء سميد أو مجيد أو كريم أو عظيم أو ذكي أو تقى إذا كان الإله العربي هو وحده المريد المخطط الفاعل الخالق لكل شيء..؟

لماذا جاء الإله إلهاً عربياً، عربياً جداً في كل مواهبه وطاقاته وأخلاقه وشهوته؟ نحن الأرض والطبيعة هل وجد أو يمكن أن يوجد واعبون أو عادلون أو محسنون أو فاعلون أو حتى موجودون سوانا مهما حسبنا وزعمنا وأعلنا غير ذلك بل ونقبض ذلك؟

هل وجد مظلوم أو معتدى عليه أو متهم أو مشتموم بأية تهمة أو شتيمة غيرتنا نحن الأرض والطبيعة مهما كنا وزعمنا كل الظالمين والمعتدين والشتامين والمتهمين؟

ألستا كل الآلهة والملائكة والبشر والكائنات الأخرى؟

هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور عذاب مثل عذابنا نحن الأرض والطبيعة لأننا كل الآلهة والبشر وكل الكائنات الأخرى؟

إذن من المعتدي الظالم الواقع، ومن المظلوم المتوقع المعتدى عليه؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد ظالم أو معتد ليس مظلوماً أو معتدى عليه أو مظلوم معتدى عليه ليس ظالماً أو معتدياً؟

من المحاكم الخالق الإله؟ ومن المحاكم المخلوق العبد؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد هذا التقسيم للوجود.. لمن وجدوا؟

ألسنا نحن أي الأرض والطبيعة كل الآلهة والخالقين والمحاكمين وأيضاً كل المحاكمين المخلوقين العبيد؟ هل الآلهة وكل أحد شيء إلا ضعفنا وآلامنا واستفراغنا وضباعنا ومجاعاتنا وتساؤلنا الحائرة؟

.. إذن من يجب أو يقبل أن يكون المحاسب المحاكم المعاقب؟

ومن يجب أو يقبل أن يكون من يصنع ويفر الحساب والعقاب والمحاكمة ويفترها ويشرف عليها ويحكم بها ويقبل ليكون ذلك؟

من الذي يرى العدل أو المنطق أن يكون الحاكم المحاكم والذي يرى أن يكون المحكوم المحاكم؟

.. ولكن هل وجد أو هل يمكن أن يوجد من يسأل ليجيب أو من يستحق أن يسأل حتى ولو لم يجب أو ينتظر أن يجيب أي لكي يسأل؟ هل يمكن أن يوجد أي جواب عن السؤال الكبير أو يؤمل أن يوجد مهما وجدت كل الأجوبة عن كل الأسئلة الصغيرة؟

.. الإله يسأل ويسأل أي إنه سائل ومسؤول.. يسأل من يتعامل معهم وبهم ويسأله هؤلاء.. إذن ماذا يساوي أو يعني السؤال يوجهه السائل ويستقبله المسؤول؟ كيف لم تسقط من كل اللغات حروف وكلمات: سائل ومسؤول وسؤال؟

.. أليس مجيء الإله سائلاً ومسؤولاً تدليلاً على أن السؤال لا يعني أي معنى من معاني السؤال وعلى أن السائل مهما سأل فهو لا يسأل وعلى أن المسؤول ليس مسؤولاً مهما سئل؟ الإله يسأل عبده وأعدائه وموظفيه وهم يسألونه. ١.. إذن كيف وجد من يعتقد أن لأي سؤال أي معنى من معاني السؤال في حساب السائل أو في حساب المسؤول؟

إنه لا إلغاء أو هجاء لمنطق السؤال والتعامل به مثل أن يكون الإله سائلاً ومسؤولاً.

.. هذه هي التفاسير والافتراضات أو بعضها عن محاكمة الأرض والطبيعة على ما فعلناه بالإنسان العربي وعما يمكن أن يقال ويقولوا دفاعاً وتبرئة أو موازنة ومحاسبة لما فعلناه به وفعلنا له أي أمام هذه المحكمة أو المنظمة الكونية المتصورة..

.. أما المحاكمة المضادة أي محاكمة الإنسان العربي على ما فعله بالأرض والطبيعة.. على ما فعله بوالديه وأبيه ونبيه ومعلميه ومرضعيه وحاضنيه ومربيته وعمته وخالتيه أي الأرض والطبيعة أي وخالتيه فقد تقول أو لا بد أن تقول مما تستطيع ويمكن أن تقول ويقال أي هذه المحاكمة بكل أجهزتها ورؤاها وحساباتها وجماعات الدفاع والمقاضة فيها - أن تقول ويقال فيها وعنها:

إنه لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد بل أو يتصور عدوان مثل عدوان الإنسان العربي على الأرض والطبيعة.. مثل تشويهه وتحقيره وإهانته وإذلاله وإضعافه وإفساده وتعجزه وهزيمته لهما أو مثل أخذه وسرقته منهما بلا أي عطاء، أو مثل تعبيره وتفسيره وعرضه وإعلانه عنهما بأردأ وأبلد وأهون وأصغر وأحق وأذل أساليب التعبير والتفسير والإعلان والعرض لهما وعنهما وفيهما..

أو مثل امتصاصه وسدّه وإغلاقه لمنايع وطافات وشهوات وحماسات الحياة فيهما بل بصرفه وتصريفه كل ذلك فيهما إلى أقيع الاتجاهات بأقيع الأساليب..

مثل إخماده وتخديره وإسكاته لعبقريتهما وذكائهما ونشاطهما..

.. مثل تعويقه وتعطيله وإسكاته لطاقتيهما واحتمالاتيهما ومواهبهما.. مثل تجفيفه وإظمائه وتضليله وتخريبه بل ولشره وتلوّثه لأنهارهما وقيضاناتيهما وندفقيهما وأيضاً لطرد ومطاردة سحابهما الساقى المحيى المديم لبحارهما وأنهارهما متدفقة صائفة للحياة والحقول والزهور.. مثل تكذيبه لجمالهما وذكائهما ومنطقهما وشرفهما وسخائهما ونظائفيهما أي بمجيئه دائماً نقضاً وهدماً لكل هذه المعاني المسجدة...

.. مثل تدليله على جهالتيهما وأميتهما ويداونهما وجاهليتهما وإثباته لكل ذلك بكونه كل ذلك بلا أي شيء أو قدر من غير ذلك.. مثل تعذيبه وهجائه وتصغيره لهما..

.. مثل إصابتيهما بالفشيان والاشمزاز من نفسيهما لمعايشته أي الإنسان العربي ومواطنته ومساكنته ومخاطبته ومعاملته وبنوته لهما بكل أساليبه وتفاسيره ومستوياته وتعبيراته وبداءاته.. بكل مواهب وطاقت وأخلاق زعاماته وقياداته ونبوانه وفقهائه وعلمائه وشرعائه..

.. مثل مشيه ونومه واسترخائه وبصقه واستفراغه وصلاته وسجوده وتوالده فوقهما وفيهما.. على وجهيهما وثيابيهما وجلديهما وعيونيهما وأخلاقهما وكرامتهما وضميميهما..

.. مثل توالده وولادته منها وبهما وقيهما وعليهما بكل هذا النكاثر والتراحم القبيح..

.. مثل سبه وتعيبه لهما برؤيته وقراءته وتفسيره وفهمه لهما وبحديثه عنهما وبتحويله لهما إلى منطق وضميم وأخلاق ورحمة وحكمة وعبقريّة وسعادة ومجد إله بل أعظم وأنقى إله...

مثل سبه وتعيبه وتحقيره لكل معانيهما وأخلاقهما بادعائه عليهما بأنهما هما اللذان أقتنعه بأن يكون عبداً مؤمناً مصلحاً ساجداً راکعاً متديناً ورائياً مقسراً كل الأخطاء والخطايا والقبايح والفضائح والمظالم والبلادات والندالات والقسوة والسفّه والضلال والكفر بأنها هي كل ما يراد ويرضى ويجمل ويطلب ويستطاع من الإيمان والتقوى والحب والعدل والحكمة والرحمة والشهامة والكرامة والتبّل والذكاء والعبقريّة..

أليس الإنسان العربي يعتقد ويقول كل ذلك؟ أليس يعتقد ويقول إن لم يقتل بأنهما هما اللتان قالتا له: كن مغفلًا وبليدًا أو جاهلًا وأعمى وخادعًا مخدوعًا منافقًا كذابًا عاجزًا مهزومًا مثل ألهمت وأنبأتك وزعمائك وفقهائك وشعرائك وآبائك... مثل كل تاريخك الذي كان والكائن والذي قد يكون أي لتكون عظيمًا وباسلاً وأصيلًا ومؤمنًا وتقياً بل وصديقاً حبيباً للإله..

لكي تكون معادياً وعاصياً وهازماً للشيطان.. لكي تكون أهلاً ومستحقاً للغرور.. للتخليد فيه بين وفوق وتحت ألداء وأرداف وأحشاء وسرر حوريات وغللمان الغرور.. مملوءة يدك وعيناك ونشواتك وشهواتك وكؤوسك بالشراب.. بالخمر التي أرادها وصنعها وعبأها وعرفها بالمذاق والتجربة بل والشهرة والفن والخبرة الإله مستعينا بكل أنبيائه وشعرائه وخبرائه وقدمائه وفقهائه ويكل جلسائه...! هل مثل الإله أو غيره من لا يجد العون أو ينتظره أو يطلبه إلا من طالبي العون ومنتظريه منه معلمين ومعتقدين ذلك؟

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد كائن لا يستطيع ولن يستطيع ولم يستطع أن يرى أو يقرأ أو يسمع أو يريد أو يعرف أو يفعل أو يضرب أو يقتل أو يلعن أو يصافح أو يعانق أو يقبل إلا بعيون وأذان وأفواه وشفاه وجباه وأشواق وإرادات وطاقات وأخلاق وعضلات وأيدي الآخرين كل الآخرين.. الأقوياء الأذكياء العارفين الصالحين والضعفاء الأغبياء الجهلاء الفاسدين بل والكائنات الأخرى؟

- نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد هذا الكائن الذي لا يوجد إلا في ذوات الآخرين وفي ذوات كل الكائنات لو لم يوجد الإله العربي الذي وجده ووصفه النبي العربي والدين العربي.. الذي وجده النبي والدين العريان في القملة والنملة لا في ذاته؟

.. نعم، مثل سببه وتعبيره وتحفيره لكل أخلاق الأرض والطبيعة ولكل مواهبها ومعانيها بادعائه أي الإنسان العربي بأنهما هما اللتان قالتا له وأقنعتاه بأن كل ما يصيبه ويصاب به وما يصاب به كل شيء وكل أحد ويصيب كل شيء وكل أحد من عذاب وظلم وقسوة وتشوه وتشويه ونقص وبلاهة وبهله وجنون وعجز ومرض وشيخوخة وموت بل وغواية وضلال وفساد وهوان قلن يكون أو يرى أو يعتقد أو يحسب إلا بأنه كل ما يراى ويرضى ويقبل ويستطاع بل ويتصور من السعادة والحب والفرح والعدل والرحمة والحكمة والجمال والذكاء والقوة بل وكل الهداية والإيمان والتقوى والشفاء والكمال..

أي لأن كل ذلك هو كل طاقات وشهوات وتمنيات وإرادات وتخطيطات ومسرات الإله بل وكل أحلامه ورؤاه وكل طلباته من نفسه ومن كل أحد وكل شيء...

بل لأن كل ذلك هو كل التفسيرات والتبريرات لوجوده.. لوجود كل إله ولرضاه عن نفسه ولسعاده وفرحه بها. أليست العامة في الوجه الحميل والشلل في القامة الرافضة للانحناء والهوان، والسل في الصدر البريء، والإسكات والسكرت للقلب النابض أعلى مستويات عبقریات وأشواق وفنون ومسرات الإله؟

.. مثل اتهامهما لهما بأنهما هما كل براهين الإقناع بوجود الإله العربي الموصوف في القرآن

العربي وفي أقوال وروايات ورؤى النبي العربي والدين العربي بكل أوصافه وأخلاقه وأفعاله ونياته وطاقاته ومواهبه..

.. بكل أنانياته وسذاجاته وبلاهاته.. بكل تبعاته ومسؤولياته والتزاماته عن هذا الكون وعن كل كون وجد أو قد يوجد أو لن يوجد إلا في التصور أو التمني أو الخوف والتوقع الأليم الكئيب..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد توقع كئيب أليم مثل التوقع من الإله أو غير التوقع من الإله.. من حكمته أو رحمته أو قدرته أو نشاطه؟

.. هل يمكن تصور اتهام يساوي هذا الاتهام في أي معنى من معانيه؟ هل يمكن إنقاذ أو تبرئة الإله من أن يكون كل المتهمين والفاعلين لكل الأخطاء والخطايا إلا بتبرئته من وجوده؟

.. وأيضاً مثل اتهامه لهما بأن الجحيم والفردوس بكل ما فيهما من وحشيات وفضائح ونبذات وقباحات وقضائح وغباء وجنون...

إنما وجدت وصيقت وخططت موادها وطقوسها وأخلاقها وملاذكتها وزبانيتهما وعلمانها وجواريهما ومحظياتها وديبرمنتها وكل تفاسيرها ومعانيها منها أي من الطبيعة والأرض.. حتى الكؤوس في أيدي الغلمان والجواري مصبوبة في أفواه السكارى.. حتى السرر متعربة فوقها الجواري - حتى هذه وهذه إنما صنعت وجاءت من الأرض والطبيعة.. ومثل اتهامه لهما بأن سلطان وطاغية هذا الوجود وكل وجود لا يصنع ولا يستطيع أن يصنع بل ولا يحب أو يرضى أن يصنع أي جهاز من أجهزة العذاب والتعذيب والتشويه والروع والترويع والإهانة والهجاء والإذلال إلا منهما.. إلا من جسديها وطاقاتها وأخلاقها وقوانينها ومنطقهما بل ومن إيمانها وتدينها وتقواها.. كل رماح وخناجر وسيوف وإبر طاغية هذا الوجود التي يتسلى وينداوى بها من حقه وبفضه وغبطه وضياعه قد خلقها وركبها منها..

.. وبأنهما أي الأرض والطبيعة هما كل العرش والسرير والمكان والغطاء والكساء والمجبا والمليجا والمسللة والملهية واللعب والملعب للطاغية الرهيب طاغية هذا الوجود...

وبأنهما كل رؤاه وتصوراتها ومعاملاته ومخاضاته وطموحه ورضاه وغضبه وكل مدحه ولعنه وهجائه وخربه وسلامه...

.. وبأنهما أي الأرض والطبيعة محكومتان ومسيرتان بلا أية معارضة أو مقاومة لمشيفة طاغية هذا الوجود.. لمشيفة العابثة المتقلبة المستبيدة المجنونة التي لا تؤمن أو تلتزم بأي قدر أو نوع من العقل أو المنطق أو الذكاء أو الحكمة أو التخطيط أو الرحمة أو الرؤية أو الوفاق أو الشهامة أو الاستحياء أو الحب أو الصداقة أو التدبّر أو التقوى، والتي لا تتعامل أو تتحاور مع أي شيء من ذلك أو تحترمه أو حتى تعرفه، بل التي هي خروج قاضح شامل على كل ما يقال ويعرف ويراد ويتصور ويتحنى من القيم والجمال والذكاء والاستحياء والاحترام للذات. وبأنهما كل قدراته وأسلحته ووسائله التي يفعل بها هذا الخروج والتي بها يستطيعه وبها يعبر عنه أي عن هذا الخروج!

.. أو مثل اتهامه أي اتهام الإنسان العربي لهما بادعائه عليهما بأنهما أي الأرض والطبيعة هما كل من أرادوه وخططوه وصاغوه ونفذوه وألزموه ليكون متكلماً ومخاطباً ومحاوراً ومحاسباً وقارئاً ومفكراً وفاعلاً أو حتى مؤمناً ومتديناً أي اتهامه الذي جاء بأسلوب ونيات الامتداح لهما ولما وهبته وفعلته به، أي ليكون كل ذلك كما جاء وكما سوف يظل كما جاء؟

هل يمكن أن يوجد أو أن يتصور متهم تساري تهمة تهمة من أراد وخطط وخلق وصاغ الإنسان العربي ليكون متكلماً أو محاوراً أو مخاطباً أو محاسباً أو قارئاً أو رائيّاً أو فاعلاً أو حتى مؤمناً متديناً كما جاء وكان؟

أليست ذنوب ونقائص وأخطاء وعجز وتشوهات وعيوب المخلوق المصنوع المخطط محسوبة على الفاعل ومتهماً بها الفاعل لا المفعول به ولا عليه؟

كيف أمكن أن يجهل هذا أي جاهل؟ إنه لو أمكن أن يغفر لكل جاهل وأن يفتر جهله لما أمكن الغفران لجاهل هذا.. اسمعوا لقد حدث هذا. لقد ظل الإنسان العربي يتهم الأرض والطبيعة بأنهما هما اللتان صاغته متكلماً مفكراً محاوراً محاسباً قارئاً رائيّاً فاعلاً مؤمناً متديناً وقبلتا معاشته كذلك.. هل تصدقون؟

.. إنه لن يوجد أو يتصور كائن يستحق كل العقاب والغضب والأشمئزاز مثل من يتهم بأنه قد صاغ وخطط وخلق الإنسان العربي متكلماً أو مخاطباً أو محاوراً أو مفكراً أو شاعراً أو رائيّاً أو محارباً مخلصاً أو مهادناً مسالماً أو حتى مؤمناً متديناً متعبداً تقيّاً بل أو حتى موجوداً ليساكن ويواطن ويمعيش ويصادق بل ويربي وينمي القملة والنملة والذباب والصرصار بل ويعيد ويقدر ويمجد الكائن أو الإله الذي أراد وأحب واشتهى وخطط وصاغ وخلق القملة والنملة والذباب واليرغوث والصرصار ولأنه فعل كل ذلك بكل الزهو..!

هل مثل الإنسان العربي مريباً ومواطناً ومساكناً ومطعماً وصديقاً وفيّاً لكل الحشرات والآفات أو مثله عابداً حامداً مقدساً معظماً منزهاً لإلهه لأنه خلق هذه الحشرات والآفات وحياه بضخامة علاقته بها؟

.. إنها لو حوّلت نقائص وقضائح كل شيء إلى معارض إعلانية كونية عالمية تعرض وتلقى وتقرأ وتستفرد على كل العيون والوجوه والآذان والمعاهد والمعابد لما استطاعت أن تنافس شيئاً من نقائص وقضائح كائن حول الإنسان العربي إلى معرض وعرض لتفكيره أي لتفكير هذا الكائن ولتخطيطة وإرادته ورؤيته وأشواقه وأخلاقه ولكل طاقاته العضلية والنفسية والفنية. ولو كانت الأرض والطبيعة هما خالقتي الإنسان العربي لكان هذا هو العرض والمعرض لنقائصهما وقضائجهما..

وهنا لا بدّ أن يصغر كل هوان وإجرام أمام هوانهما وإجرامهما.

.. هذه بعض التهم التي قد تقرأها الأرض والطبيعة أو تقرأ نيابة عنهما أمام هذه المحكمة أو المنظمة الكونية شاكيتين من الإنسان العربي على ما أوقع وفعل بهما ومطالبتين بالتعويض منه والعقاب له..! صعب التصور للعقاب الذي يستحقه أي الإنسان العربي وللتعويض الذي يستحقه أي الأرض والطبيعة أمام هذه التهم..!

.. في تاريخ الكون كله هل وجد أو كان يمكن أن يوجد مثل هذا الاتهام في أي شيء من صيغته أو معانيه.. في تعدده أو قوته أو صدقه أو خطورته أو قسوته أو فظاعته؟ كائن يتهم بأنه هو كل صانع كل صيغ الإنسان العربي وكل معانيه..! لا بد أن تهون وتغفر كل الاتهامات أمام هذا الاتهام..

.. ألا تستحق كل الشفقة والثناء والرحمة والتعزية كل الأذان التي تسمعه أي هذا الاتهام، وكل القلوب والضمائر والعيون والأخلاق التي تستقبله أو تقرؤه أو تتصوره أو تحاسبه أو تواجهه أو يروى لها، وكل العقول والأفكار التي تفهمه أو تسأله أو تفترسه، وكل التقوى والإيمان اللذين يصليان ويهتفان ويغنيان له؟

هل تستطيع أية محكمة أو منظمة محلية أو عالمية أو كونية أن تستمع إلى هذه الاتهامات أو أن تقرأها أو تسمعها أو تفهمها أو تسألها أو تحاورها أو تحاكمها أو تفسرها..

مهما كانت صلابة وقسوة وبلادة ونذالة وقبح آذانها وقلوبها وعقولها وأخلاقتها؟ حتى الإله العربي وهو النموذج الشامل للخروج على كل القيم والمعاني العظيمة هل يستطيع أن يكون ذلك أو شيئاً منه، أي هل يستطيع أن يقرأ أو يسمع أو يفهم أو يسأل أو يحاور أو يحاكم أو يفسر هذه الاتهامات الموجهة إلى الإنسان العربي أي هل يستطيع ذلك الإله العربي مع أنه هو الأستاذ المعلم المخطط المبدع لكل فسوة وبلادة وقبح وفحش وظلم وهوان وصمم وعمى ونذالة ووقاحة..

كيف وجد من ينكر ذلك أو يخالف فيه؟ فكروا أيها العاجزون عن التفكير!

هل يمكن أن يوجد أي شيء من ذلك لو لم يكن هو الأستاذ المعلم العرید المخطط الخالق لكل ذلك بل والفرح السعيد المتلهي المتسلي المغني بكل ذلك بل والمصلي المتعبد الراكع لكل ذلك أعني الإله العربي؟ هل يمكن أن يوجد من يزعم أن شيئاً من ذلك قد وجد بالإكراه لقوته وإرادته؟.. كيف يستطيع الإله العربي أن يبقى موجوداً لحظة واحدة لو لم يكن كذلك وهو يسمع ويرى ويواجه ويقرأ ويفسر ويفهم الإنسان العربي قارئاً ومتكلماً ومحاوراً ومخاطباً ومحارباً ومسالماً وفاعلاً وسائلاً ومجيباً وشاتماً ومادحاً ومضارباً ومصافحاً معانقاً بل ومؤمناً متعبداً مصلياً حاجباً صائماً مفسراً لنفسه ولوجوده ولإلهه ونبيه ودينه وإيمانه ولحجبه وفردوسه بفلمانه وجواريه ومخازيره؟ لكن هاهنا شيء لا بد أن يعطرح أو قد يعطرح آخر التساؤلات، إذ من المشاهدات والتجارب التي كان المفروض ألا تخفى على أحد أن الإله غائب هارب بكل ديمومة وشمول الهرب والغيبة والغيوبة.. إنه لا يرى أو يفهم أو يوجد بأية صيغة أو تفسير من صيغ وتفسيرات الرؤية أو الفهم أو الوجود في أي زمان أو مكان أو شيء أو حدث فاعلاً أو متدخللاً أو مشاركاً أو مصححاً أو متكلماً أو محاوراً أو مداوياً أو واهباً أو ضارباً أو مصافحاً أو مواسياً أو معزياً أو حتى رافضاً أو حاسياً لنفسه أو لكرامته أو مدافعاً عنها. حتى دفاعه عن نفسه أو عن أي شيء من معانيه مع أنه لا يوجد محتاج مثله إلى هذا الدفاع لأنه لا يوجد معتدى عليه مثله.. على كل معانيه وأخلاقه. إن كل شيء عدوان عليه..

.. إنه لأحقى وأضعف وأقل وجوداً بكل تفاسير الوجود من كل كائنة وكائن. إنه لو وجد وظهر كل شيء بأي معنى من معاني وصيغ الوجود والظهور لكان أي الإله هو وحده الذي لن يوجد

أو يظهر بأي تفسير أو صيغة من ذلك.. إن النملة أو الذرة أو القملة أو أفة كائنة أصغر أو أكبر منها لموجودة ذاتاً وفعلاً وتأثيراً وأثراً وكيثونة وتعاملات مع غيرها أكثر وأقوى وأظهر من وجوده بل دون وجوده. إنه الكائن الذي لن يراه أو يسمعه أو يقرأه أو يصدمه أو يزحمه أو يبطئه أحد والذي لن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يزحم أو يصدم أو يبطئ أحداً أو شيئاً..!

.. أليس لاختفائه هذا تفسير؟ ألا يمكن أن يكون التفسير هرباً، هربه من أن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يواجه أو يعامل أو يعايش أو يفهم الإنسان العربي بعد أن فجع به بتجربته له؟ أليس الزعم أو الاعتقاد أنه أي الإله يستطيع أو يقبل رؤية الإنسان العربي أقسى إهانة وهجاء له؟

.. ألا يكون التفسير أنه أي الإله قد أضرب وكف عن فعل وعمل وخلق أي شيء بعد أن خلق الإنسان العربي خيفة أن يجيء أي شيء يخلقه كما جاء الإنسان العربي وكما خلقه؟ أليس واجباً على كل مؤمن بالإله محترم له أن يبحث عن أجمل وأذكى التفسير ليفسره بها؟

.. ألا يكون التفسير أنه قد اختفى لئلا يرى أو يرى استحياء واستمزاز وذعراً من هبوطه الأليم في تخلفه وصباغته للإنسان العربي ليجيء كما جاء؟

أليس محتوماً أن يقاسي كل مؤمن أقسى المقاساة لكي يجد إلهه الذي هو خروج على كل التفسير - لكي يجده مقشراً بأجمل التفسير؟

.. ألا يكون التفسير أنه قد اختبأ في مخبأ لن يخرج منه من اختبأ فيه؟

هل وجدت مخائب مثل مخائب الآلهة أو مختبئون مثل الآلهة أو محتاجون إلى الاختباء مثلها؟ هل يوجد باحثون عن العار والافتضاح وعاشقون لهما مثل من يطلبون أو يريدون من الآلهة أن تخرج من مخائبها؟ هل وجد من رفضت طلباتهم بلا أي أمل في الاستجابة مثل من طلبوا من الآلهة الخروج من مخائبها؟ سلوا كل العيون والأذان والعقول والأخلاق هل رآته أو سمعته أو قرأته؟

.. ماذا لو كان فوق هذا الكون آلهة أخرى غير الإله العربي؟

وهل يقبل أي إله غير عربي أن يكون فوق هذا الكون أو فيه أو معاشياً أو مواطناً أو مواجهاً أو رانياً أو مجاوراً له؟

أليست كل الآلهة الأخرى غير العربية فناً وشعراً وغناءً وحساً وصدقةً وجمالاً؟

.. نعم، ماذا لو كان فوق هذا الكون آلهة أخرى أو إله آخر فرأى الإله العربي مخطئاً ومريداً وخالفاً وصائفاً للإنسان العربي ليجيء كما جاء.. كما وجد وجرب وفش وعرف.. في كل صيغة وتفسيره ومستوياته وتاريخه وأوطانه وأديانه؟ كيف أمكن أن تخلق أو تتخلق أي كينونات الإنسان العربي أو أي شيء منها؟

.. هل يقبل حينئذ أي إله أن يكون إلهاً أو أن يخلق أو يخطط أو يريد أو يصوغ أو يخرج أي شيء أو أي كائن أي لو رأى الإله العربي مريداً أو مخطئاً أو مدبراً أو قاتلاً أو فاعلاً؟

أليس محتوماً أن يمنعه ويجزره حينئذ خوفه من أن يكون مثل الإله العربي الخالق للإنسان

العربي أي يمنعه ويجزره عن أن يكون إلهاً أو مخططاً أو مریداً أو مخرجاً أو صائفاً أو موجوداً؟
.. أيها الإله العربي. إن لك لمزية ضخمة، ضخمة هي أنك سوف نجعل كل إله يرفض أن يكون إلهاً وكل من أصبح ويبيع إلهاً يتنازل عن ألوهيته وينكرها ويرفضها خوفاً من أن يكون مثلك ليخلق الإنسان العربي الذي خلقتة عاشقاً له!

أليس للدمامات والآلام والأخطاء مزايا أو فوائد أو نفع إذا تحولت إلى حذر واتقاء وحماية منها ومقاومة لها وانتصار عليها؟

هل وجد أو هل يمكن أن يوجد زاجر لأي إله ولكل إله عن أن يكون إلهاً، أو محوًض له على أن يتنازل عن ألوهيته ويثوب منها ومن أن يكون مخططاً أو مریداً أو مدبراً أو خالقاً أو صائفاً مخرجاً.

- نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد ما يفعل كل ذلك مثل أو غير التحديق في الإله العربي مصصاً وواهباً للإنسان العربي.. للعربي نبياً أو معلماً أو زعيماً أو حاكماً أو ثائراً أو شاعراً أو كاتباً أو فناً أو عالماً أو مفكراً أو حتى حداداً أو نجاراً أو غياطاً أو طباعاً أو زارعاً أو حتى مؤمناً عابداً مجداً واصفاً مفترراً لإلهه؟

إن الإنسان العربي ليهجو ويحقّر إلهه مادحاً مقدّماً راشياً مصلياً داعياً منتظراً له أكثر وأقوى مما يفعل به منكراً ورافضه وهاجره بل وفاتله!

.. إذن أليس العدل والواجب والحق والصدق أن يقال ويعتقد ويعلن أن كل الآلهة الأخرى أي غير العربية لم تر أو تعرف أو تتصور الإله العربي أو مختاره ومصطفاه وحبيبه ومخلوقه وفرحه ومجده وكبرياه أي الإنسان العربي والآن لما قبلت أي الآلهة الأخرى أن توجد أو تحيا أو تبقى أو تصنع وتخلق حذراً من أن تكون كالإله العربي الذي أوجد الإنسان العربي بالإرادة والتدبير والتفكير والتخطيط وبالإعجاب والمباهاة والامتنان بكل الرؤية والقدرة والمعاناة؟

هل كانت هناك مؤامرة لئيمة شريرة قد دبرّت إخفاء الإله العربي والإنسان العربي عن عيون ومسامع وعقول وضمائير الآلهة الأخرى لكي تقبل أن تظل آلهة وموجودة وخالقة وباقية، إذ لولا هذا الإخفاء فهل يمكن أن تكون أو تظل شيئاً من ذلك أي كل الآلهة الأخرى؟

.. كم كان جمالاً وراحة ونظافة وكرامة وبراعة بل وتديناً وتقوى ألا يوجد أي كائن خالق أو أي كائن مكون مخلوق. يا لها من غلطة أو فكرة قبيحة بليدة سفينة أي أن يوجد أي خالق أو أي مخلوق. كيف وجد من يزيد ذلك أو من يفعله؟ إذن كم كان واجباً ومطلوباً أن يرى ويقرأ ويفسر ويجزّب ويعايش ويفهم ويعامل الإله العربي والإنسان العربي كل من قد يوجد ليكون كائناً خالقاً أو ليكون كائناً مخلوقاً..

لكي لا يوجد هذا الكائن الخالق أو الذي قد يكون خالقاً ولكي لا يوجد هذا الكائن الذي قد يكون مخلوقاً أو هذا الكائن المخلوق أو الذي أصبح أو قد يصبح مخلوقاً..

أي لكي لا يكون إلهاً عربياً خالقاً أو إنساناً عربياً مخلوقاً..
.. لنفكر، لنفكر، لنفكر في هذا: لو كان إله الكون كل الكون رأى الإله العربي الخالق أو الإنسان العربي المخلوق..

لو كان قد رأى أو قرأ أو عرف النبوات أو الزعامات أو القيادات أو الدهانات أو الثورات أو أي شيء من الكينونات العربية فهل كان يمكن أن يكون أو يظل خالقاً أو حتى موجوداً أو باقياً أو قابلاً أن يكون موجوداً أو باقياً؟



.. كيف جاءت فكرة الوجود وجود أي شيء؟ هل يمكن أن تكون قد جاءت بإرادة أو تدبير أو تخطيط أو بأي حساب.. بأي تفسير أو مستوى من تفاسير ومستويات الإرادة أو التدبير أو التخطيط أو الحساب؟

هل يمكن أن توجد أية إرادة أو تدبير أو تخطيط أو حساب قبل أن يوجد من يفعل ذلك؟ إذن هذه المعاني أو المواقف أي الإرادة والتدبير والتخطيط والحسابات والتفكير في كل ذلك مسبقة بالوجود أي لا بد أن تكون محكمة وأمورة ومملى عليها لا حاكمة أو أمرة أو عملية أو مدبرة أو مخططة..!

إذن هل يمكن وجود أو حتى تصوّر تدبير أو تخطيط أو تفكير حر أو إرادة أو حسابات أو تقديرات أو انفعالات أو محاكمات أو رؤى حرة؟

هذا الوجود أو الموجود قد وجد قبل أن يوجد التفكير والتدبير والتخطيط والإرادة والمحاسبة.
- نعم، هذا الوجود أو الموجود كيف يمكن أن يكون مريداً أو مفكراً أو مخططاً أو محاسباً أو مدبراً بحرية وقد وجد بكل أوصافه وطاقاته وظروفه قبل كل شيء.. قبل أي شيء من ذلك؟
إله هذا الوجود أو موجد هذا المتهم بذلك قد وجد أو أوجد بالصيغ والأوصاف والطاقات والأعلاق والرؤى والانفعالات والاحتياجات والمجاعات والأنانيات التي بها وجد أو أوجد أو جاء قبل أن يصبح مريداً أو مفكراً أو مخططاً أو محاسباً أو راثياً أو فاعلاً بل وقبل أن يستشار أو يختار أو يوافق أو حتى يخبر أو يعرف أو يسأل أو يعتذر إليه..!

هذا الإله كيف يمكن أن يكون حراً في أي شيء من ذلك أو في أي شيء آخر؟ هذا الإله هل يمكن تصور مستبعد لوجوده.. لصيغ وجوده مثله؟

أليست صيغة الوجود والموجود وظروفه هي التي تصوغ وتحكم وتوجه وتحدّد طاقاته وتباته واحتياجاته وأفعاله وتمبيراته وذكاءه وغبائه؟ حتى الآلهة أليست كذلك بلا أية قدرة على التمرد أو العصيان؟.. حتى الآلهة لن تستطيع أن تتمرد على صيغ وظروف وجودها أو أن تعصها. لهذا فإنها لا مثل للآلهة في عجزها عن التغير وعن التغيير.. إن المؤمنين بالآلهة هم الذين يخبرونها حين يبدو أنها قد تغيرت..!

.. إن الفرق بين أصغر حشرة وأعظم كائن.. بين أضعف حشرة وبين الإله والإنسان لن يساوي
إلا الفرق بين هذه وهذا في صيغ وظروف وجودها ووجوده..!
ولكن من الذي يدتر ويخطط ويصنع وجود الأشياء والكائنات وصيغ وجودها ويفرض ذلك؟ إن
هذه هي كل المشكلة بل كل القضية..!
إن أي وجود أو موجود لم يختر أو يخطط أو يصنع صيغ أو ظروف وجوده حتى ولا الآلهة،
حتى الاستشارة لم ينشر في ذلك..



بعد هذا العرض المثير الموجه لدعاوى واتهامات كلا العدوين الخصمين أو الصديقين
المتخاصمين: الأرض والطبيعة للإنسان العربي والإنسان العربي للأرض والطبيعة.. بعد هذا العرض
المؤلم المخرج على هذه المنظمة أو المحكمة أو المحاكمة الكونية المقترضة والتي كان يجب أن
تكون قد وجدت بل التي قد وجدت تفسيراً وإن لم توجد ذاتاً.. التي قرئت وإن لم تكتب.. ونطقت
وإن لم تسمع.

- نعم، بعد هذا العرض لهذه القضية بكل هذا الصدق والحرارة والجرأة والانفجاء على هذه
المنظمة أو المحكمة أو المحاكمة ماذا يمكن أن ترى وتقول فيها وبماذا يمكن وينتظر أن تحكم
وعلى أي المتخاصمين تحكم أو على أيهما تحكم أقيس؟
قد تكون هذه القضية بلا مثيل أو بلا منيل في قلة مثيلها، إنها قضية صعبة معقدة متداخلة
محيرة.. إن أية محكمة أو منظمة لم تواجه أو تسمع مثلها..!

.. إن المعتدي المسيء هنا معتدى عليه مساء إليه وإن المعتدى المساء إليه وعليه مسيء
معتد.. ولكن أليس كل موجود معتدأً معتدى عليه؟ إن كلا الخصمين هنا معتد على الآخر مسيء
إليه. إن اليد المضروبة ضاربة اليد الضاربة لها.

.. الإنسان العربي معتد مسيء على الأرض والطبيعة وإيهما بكل أساليب وتفسير الاعتداء
والإساءة بلا حدود بتعامله بهما ومعهما وفيهما وبانتسابه إليهما وبمعايشته ومساكنته ومواطنته وبنوته
لهما.. هل يمكن تصوّر مفجوع مروع مثل من يوجد ويعيش داخل الذات العربية بكل تفاسيرها
ومعاملاتها.

.. هل مثل هذه الإساءة والعدوان إساءة أو عدوان؟ إنه لا ذنوب مثل ذنوب الإنسان العربي
وذنوب أمثاله إن كان له أمثال.

- مثل ذنوبه التي أوقعها ولا يزال وسوف يظل يوقعها بالأرض والطبيعة..!

وقد فشرت الصفحات السابقة بشاعة وقبح ما يفعل ويوقع بهما..

وهل يغفر للإنسان العربي أو يسعده أو يفيد أو يكزّمه أن يكون له أمثال؟ إن التفرد بالهبوط قد
يكون أقوى في احتمالات الإنقاذ والمساعدة من الجماعة فيه!

.. ولا معروض لهما أي للأرض والطبيعة عما يفعله بهما الإنسان العربي وأمثاله إلا ما يفعله لهما الإنسان الآخر.. إنه المبدع الصانع الواهب لهما: للأرض والطبيعة كل جمالهما ومجدهما وقوتها وعبقريتهما وسخائهما وفرحهما وضخامتهما وقوانينهما وذكائهما ومنطقهما، وأنه العارض لكل ذلك المعلن عنه القارئ المفتر المتثبت له الدال عليه المعامل له والمتعامل معه وبه بكل البراعة والقوة والمعرفة والذكاء..!

إنه لا معنى ولا عطاء جميل أو عظيم في الأرض والطبيعة ولا منهما لولا الإنسان الآخر..
.. أما هما أي الأرض والطبيعة فقد اعتدنا عليه على الإنسان العربي وأسأنا إليه بأن صاغناه كل صياغاته ليكون ويظل يكون كل وجوده الذي كان والذي سوف يكون بكل مستوياته الفاجعة المروعة الصغيرة.. بأن اختارنا له بندالة وعدوانية وخبث هذه الصياغة التي جاء بها أو بأن بصقناه فيها بلا اختيار أو إرادة أو ذرية.. هل يوجد من يمكن أن يتهم بأنه الصائغ للإنسان العربي ليحيي كما جاء غير الأرض والطبيعة؟

أليس مذبذباً ومعتدياً أقبح وأنذل الذنوب والاعتداءات من صاغ مخلوقه ومصنوعه أصغر وأضعف وأردأ صياغة وأكثرها هواناً وافتضحاً وأخطاءً وخطايا وعجزاً؟ إذن هل يوجد مذبذب معتد مثل صائغ الإنسان العربي؟

أليست ذنوب وأخطاء ونقائص المخلوق المصنوع هي بعض ذنوب وأخطاء ونقائص الصائغ الخالق؟

حتى اعتداءات وإساءات وإهانات المخلوق المصنوع كصانعه وخالقه وعليه وإليه لن تكون أو يجب ألا تكون أو نحسب إلا فعلاً للخالق الصانع بنفسه وضد نفسه قاصداً أو غير قاصد. إن اعتداء المخلوق أو المصنوع على خالقه أو صانعه لن يفتر أو يجب ألا يفتر إلا بأنه اعتداء الخالق الصانع على نفسه..!

.. إذن وبلا انحياز إلى الإنسان العربي وبلا تبرئة له أو دفاع عنه لا بد أن نرى ونقول إن كل ما أوقعه ويوقعه أي الإنسان العربي بالأرض والطبيعة ليس إلا فعلهما بنفسيهما. فعدوانه عليهما وإساءاته إليهما هو وهي عدوان وإساءات منهما على نفسيهما وإلى نفسيهما بل وعليه هو وإليه. فهو في عدوانه معتدى عليه..

إنه المعتدى عليه والمساء إليه في عدوانه عليهما وفي إساءاته إليهما أي في صيغ وأساليب عدوانه وإساءاته إليهما وعليهما..!

إنه ليس إلا فاعلاً ما فعل به.. ليس إلا مفعولاً به حسب وبدا فاعلاً بغيره..!

.. لعل الإنسان العربي لا يسمع هذا أو يعيه أو يقرؤه لئلا يبالغ في تبرئة نفسه من كل نقائصه وقبائح وفضائحه وإساءاته واعتداءاته ومن كل ضعفه وعجزه.. وأيضاً لئلا يبالغ في إلقاء كل ذنوبه وعيوبه وهزائمه على غيره وفي اتهامه بها. أليس أشهر وأقوى قصور كتاب تاريخ الإنسان العربي الفصل الذي يبرئه من كل ذنوبه ونقائصه ويلقي بها على كل الآخرين؟

إنه أصيل وشهير جداً في هذا الخلق.. في هذه الرذيلة!

نعم، إن من خصائص ومواهب وعقائد ورؤى الإنسان العربي أن يعتقد ويعلم ويعلم أن الآخرين هم المدبرون والمخططون والفاعلون لكل أخطائه وخطاياهم وعجزه وهوائيه بل ولأحقاقه وعداواته وبغضائه ومخاضاته.. وأيضاً أن يعتقد ويعلم ويعلم أن كل علوم وحضارات وتقدم ومزايا كل الآخرين ليست إلا شياً من عطاياهم منهوبة أو موهوبة..

حتى النبوات والأكوييات ليست إلا إحدى عطايا نبواته وألوهياته..!

أليس إله ونبي الإنسان العربي قاتلين وملغيين وطاردين مطاردين لكل الآلهة والأنبياء؟ لهذا فإن الإنسان العربي يرى ويعلم أنه كافر كل من لم يؤمن بأنه لم يبق من الآلهة والأنبياء إلا الإله والنبي العريان..!

.. إن الإنسان العربي في عقائده ورؤاه ودعاواه وأخلاقه هذه خارج على كل التفسيرات الأخلاقية والعقلية والمنطقية والنفسية والتهديبية التعليمية بل والدينية. فكيف خروجه على كل اللغات والتفسيرات الحضارية؟ إنه هجاء لكل انتماءاته ولكل ما ينتمي إليه..!

إنه شذوذ يتفوق في شذوذه على كل شذوذ..! إن الإنسان العربي عذاب وفجيرة وصدمة لكل من يريد أن يقرأه أو يفهمه أو يفشره.

إنه لا يماثل الإنسان العربي في هذه القضية إلا الإله العربي.. فهو أي الإله العربي يرى ويعتقد ويعلم ويعلم أنه بريء من كل أخطائه وخطاياهم وسيئاته ومن كل تخطيطاته وأفعاله الرديئة القبيحة العدوانية، وأن الآخرين هم كل المسؤولين عنها الفاعلين لها الذين يجب أن يحاسبوا ويعاقبوا عليها وبها..!

كما يرى ويعتقد ويعلم ويعلم أن كل مزايا وأعمال وعقوبات كل الآخرين ليست إلا شياً من مزاياه وأعماله وعقوباته..!

والمأساة أنه أي الإله قد وجد من يتقبلون منه ذلك بل ويمجدونه به..!

كيف جاءت صيغ وتفسيرات ومستويات الإله العربي مثل صيغ وتفسيرات ومستويات الإنسان العربي؟

من الذي اختار لهما وفرض عليهما هذه الصيغ والتفسيرات والمستويات الموحدة؟ كيف وجد من يستطيع أن يفعل ذلك وكيف فعله؟ ولماذا فعله أي إن وجد من فعله؟

إن الصدق والدقة مطلوبان وواجبان وملتمز بهما دائماً أو أحياناً أو نادراً وشذوذاً أو هكذا قيل ويقال وسوف يظل ذلك يقال ويقال. ما أقل صدق وذكاء وجمال ما يقال وما أكثر كذبه وقبحه وغباؤه..!

أه ما أقل ما يقال ومن يقبل أن يقول لو كان لا يقال إلا الصدق والذكاء والجمال والحق.

... وبالصدق والدقة اللذين يندر ويخيف ويهذب ويهتد بل ويقتل ويفضح ويهزم الالتزام بهما ولو في بعض المجتمعات التي أشهرها وأصلها في ذلك مجتمعي.

- نعم، بهذا الصدق والدقة لا بد أن يقال: إن بين الإنسان العربي والإله العربي فرقاً في هذه القضية..

هل يزعج الإله العربي أو الإنسان العربي هذا الفرق والإعلان عنه أم يرضيه ويسعده؟
.. فالإله العربي يعلم ويعلم بكل المباحة والتدليل والدلال والغرور أنه الحريد المدبر المخطط
الفاعل لكل الشرور والآلام والآثام والعاهات والنقائص والأخطاء ثم يطالب بأن يكون المشكور المعبود
الممدوح الممجّد لذلك ومن أجل ذلك ولأنه الفاعل لكل ذلك، معلناً أن الآخرين هم الذين يجب أن
يحاسبوا ويعاقبوا ويحكموا ويذموا ويلعنوا جزاء لهم على ما فعل هو.. على ما فعل هو بهم وبكل
أحد وبكل شيء..!

يا له من هبوط لم يهبط إليه أي كائن حتى ولا في تصوّره غير الإله العربي!
حتى الإنسان العربي لم يستطع الجرأة على كل ذلك أو على مثل ذلك بل جرؤ فقط على أن
يتهم الآخرين بأنهم المدبّرون والمخطّطون والفاعلون لكل الشرور والآلام والآثام والقضائح والهزائم
التي يفعلها هو أو التي تصبى..
.. أما هو فبريء.. إنه أبداً مفعول به وليس فاعلاً أي لأي شيء مما لا يرضى أو يقبل أو
يقفر..!

هل يسعد أو يمجّد الإنسان العربي أن يحىء أكرم وأنبى وأعظم حياء وذكاء من إلهه أم
يحزنه ويهينه ويفجعه ذلك؟ ماذا كان يمكن أن يحدث لو كان الإنسان العربي يحاسب إيمانه أو
تعاليمه أو دينه أو أخلاقه أو رؤيته؟



قد يكون المعقول المقبول بل المحتوم ترك التساؤل عما يمكن أو يتوقع ويتنظر ويتنبى أن
تحكم به هذه المنظمة أو المحكمة أو المحاكمة الكونية المفترضة أو المطالب بها أو المعتقد وجوب
وجودها.

.. أن تحكم به في هذه القضية الفريدة والشاذة في كل تفاسيرها..
.. أن تحكم به على الأرض والطبيعة أو على خصمهما الإنسان العربي..
.. إن كل الحسابات والتفديرات قد تقول: إنها أي هذه المنظمة أو المحكمة لا بد أن تراعى
وتفجع مما سمعت وفهمت ولكنها لن تحكم على المتخاصمين ولا على أحدهما لا حكماً قاسياً ولا
مخففاً..

إنها ستجد وترى أن كل ما قاله وشكيا منه صحيح ولكنها لا يستحقان العقاب أو الحساب.
.. إنها ستجد عدواناً وإساءات وجرائم ولكنها لن تجد أو ترى فاعليها معتدين أو مسيئين أو
مجرمين لكي يحاسبوا أو يحاكموا ويحكم عليهم.. إنها ستجد اعتداءات وجرائم ومظالم وآثاماً دون
أن تجد معتدين أو مجرمين أو ظالمين أو آثمين. إنها ستجد من فعل بهم كل ذلك دون أن يكونوا

فاعلين لشيء من ذلك.. سجد أطفالاً وأنبياءاً وأمعاء مفترسة وأكلة أنيت في المفترس الآكل ولم يبتها هو في ذاته..!

.. إنها سجد مرضى ومقعدين وعاجزين وعمياناً أي مصابين بذلك وليسوا قاعلين له.. سجد موتى ومشوهين لم يصنعوا الموت أو التشويه أو التشوه..!

لم يريدوا الموت ولا التشويه ولا شيئاً مما يفعلون لو لم يفعلوا كذلك..!

.. إنها ستري أنهم قد أرادوا وفعلوا ذلك بالتفسير التي أراد وفعل بها البليد بلادته والدميم دمايته والقصير القامة قصير قامته..!

إنها ستري ذلك هذه الرؤية لأنها أي هذه المنظمة أو المحكمة توجد وتعيش وترى وتحكم من خارج ذوات ووجود ورؤى ومشاعر الخصمين أي الأرض والطبيعة أحد الخصمين المتخاصمين والإنسان العربي الخصم المخاصم الآخر. والرائي من خارج نفسه ووجوده ومن خارج كل وجود لا بد أن تختلف رؤيته لنفسه ولكل شيء.. لهذا لا بد أن تستمع إليهما وأن تراهما وتقرأهما وتفسرهما بكل الحياد والتزاهة والهدوء بل والبرود. إن حيادها سيكون بلا مثل حتى حياد الإله إن كان له لن يصعد إلى حيادها لأنه ليس خارج وجوده.. وحينئذ لا بد أن تحزن وترثي لهما أي للأرض والطبيعة أحد الخصمين وللإنسان العربي الخصم الآخر، بل وأن تذهب تحاول الانتقام من أجلهما ممن فعل بهما وفعلهما والأخذ بالثأر منه لهما دون أن تجدهما مستحقين لأية محاسبة أو معاقبة أو حتى مساءلة بل لا بد أن تجدهما مستحقين لكل التعويض والتكفير والاعتذار والاستغفار ولكل نيات ومحاولات التصحيح والتغيير لهما وللتعامل والمواقف منهما ومعهما..!

إن كل راء وقارئ ومفسر ومحاور محاسب من خارج هذا الوجود لا بد أن يرى كل شيء فيه مظلوماً مهاناً معتدى عليه مستحقاً لكل أنواع التعويض والتكفير والاعتذار إليه دون أن يستحق أي حساب أو عقاب ومستحقاً لكل الحساب والعقاب ولأنفس الحساب والعقاب من أراد له وفعل به وله كل وجوده وكيوناته كما جاء وكما كانت أي وجوده وكيوناته..!

ولكن هذا الرائي القارئ المفسر المحاور المحاسب لم يوجد؟ هل ينتظر أن يوجد؟

إذن ألا يمكن الاعتقاد أو الظن أن هذه المنظمة أو المحكمة الكونية المتصورة لا بد أن ترى أنها قد وجدت من يجب أن تهتم وتحاسب وتحاكم وتحكم عليه أو من تقبل الاستماع إلى اتهامه وإلى محاسبته ومحاكمته والحكم عليه بكل الرغبة والحماس والرضا والاطمئنان والافتناع..

أي إن كانت قد سمعت عن وجود إله لهذا الوجود أي ليكون الاتهام والمحاسبة والمحاكمة له.. لإله هذا الوجود انتقاماً وثأراً وإنصافاً وتعويضاً للأرض والطبيعة وللإنسان العربي ولكل شيء مما فعل به وأراد ودبر له أي إله هذا الوجود بدلاً من أن تفعل ذلك بمن فعل به أي ليكون الاتهام والحساب والعقاب لمن أصاب بما يشكى منه لا لمن أصيب بذلك؟

.. أما إذا لم تكن أي هذه المنظمة أو المحكمة قد سمعت بهذا الإله أفلا يمكن حينئذ الافتناع أو التصور أو التمني أنها لا بد أن تذهب تبحث عن كائن آخر.. عن أي كائن أراد وخطط

وصنع وصاغ هذا الوجود.. الأرض والطبيعة والإنسان العربي وكل شيء وفعل به كل وجوده..
.. أن تذهب تبحث عن هذا الكائن أي في الافتراض ليكون كل الأخطاء والخطايا والذمات
والاتهامات لكي تكون كل المحاسبة والمحاكمة والمعاقبة له وكل الغضب والانفجاع عليه ومنه وبه؟
لأنه سيكون حينئذ كل اللصوص والقتلة والفاشرين والفاستين والفاستين والمعتدين..!

.. ألم يكن من الواجب والمتوقع والنافع المفيد جداً لكل شيء أن يكون هذا قد حدث؟ كيف
لم يحدث؟ ألا يمكن أن يحدث؟ هل نتظر حدوثه؟ ولكن هل يستطيع أي كائن غير الإنسان أن
يتصور لهذا الوجود فاعلاً أو مريداً أو مدبراً؟

.. كيف يقبل أو يفر أو يحدث أن يكون الفاعل بهذا الوجود وجوده بلا محاكمة ومحاسبة
وعقاب أو بلا طرد أو إسقاط أو تصحيح لكل صيغه ومعانيه؟

فاعل الطبيعة والأرض اللتين فعلتا الإنسان العربي كما فعلتا ليفعل بهما كل ما فعل ويفعل وما
سوف يظل يفعل.. اللتين فعلتا لثغلا الإنسان العربي كما فعلتا - هذا الفاعل بلا محاسبة ولا
محاكمة ولا معاقبة ولا طرد أو إسقاط له وبلا تصحيح لشيء من أخلاقه أو معانيه أو سلوكه..!

هل حدث هذا؟ هل حدث؟

إنه لا فجيرة مثل فجيرة من يرون ويفرؤون هذا الوجود أو أي وجود من خارجه..!

إن الذين يعيشون داخل هذا الوجود أو أي وجود أي يعيشونه ويعيشهم ويعيش فيهم لا بد أن
تفسد وتعجز وتضل وتعمى رؤاهم وقراءاتهم وتفسيرهم له لكي يستطيعوا قبوله.. وقبول وجودهم
ووجودهم فيه لكي لا يلقوا في انفجاعهم بأنفسهم أو في هجائهم وازدراؤهم وتعنيفهم لأنفسهم لأنهم
قبلوا ذلك بل ومجدوه وأعلنوا فرحهم وسعادتهم به.. إن العيون لا ترى نفسها هكذا الوجود لا يرى
الوجود هكذا الموجود لا يرى نفسه.. لا يرى وجوده مهما فقا عينيه بفحشه وقبحه..!

.. ماذا لو أن أي نبي أو قائد أو عظيم أو عبقرى بل لو أن الإله ذاته رأى أو قرأ أو فسر هذا
الوجود الذي يعيشه ويعيش فيه أي ووجوده من خارجه من خارج وجوده؟

ماذا يمكن حينئذ أن يكون انفجاعه واشتمتازه وتهويله لنفسه أو ماذا لو أن أبة حشرة أو عاهة
أو دمامة أو مهانة أو هزيمة أو مرض أو ولادة أو موت أو شيخوخة أو أية آفة رأت وقرأت وفشرت
وجودها من خارج وجودها أي لو أن المصاب بذلك أو المتوقع والمتنصر والمحتوم أن يصاب به
رأى أو قرأ أو فسر وجوده من خارج وجوده بل لو أن الشمس والنجوم والحقول والمجرات رأت أو
قرأت أو فشرت وجودها من خارج وجودها.. من خارج هذا الوجود وكل وجود؟

إن الرؤية الرائية المحكومة بالعدل والتقوى لا بد أن تحكم أي في هذه القضية على الإنسان
العربي بأنه متهم ومدين ويستحق الحكم عليه بكل ما تطالب به الأرض والطبيعة وبكل ما تدعيانه عليه
بل بحساب وعقاب كل الذنوب..

.. إن جناباته عليهما لا تحتاج إلى أن تسمع أو ترى أو تقرأ أو تذكر أو يذكر بها أو تفسر أو

بدل عليها أو تحتاج إلى شهادة أو شهود أو إلى مراقبات إثبات. إن كل شهود النفي لو وجدوا لما أمكن الاستماع إليهم..

إن الإله لو أراد أن يتحول إلى شاهد لرغبة في نفسه لما جرؤ على ذلك إذ لا بد أن يفتضح.

.. إن الصمم البكم الخرس الأميين العميان الفاقدين لكل أدوات التعبير والاستقبال والتصادم ليسمعون ويرون ويقرؤون وينطقون ويواجهون ويتصادمون ويصدمون ويصدمهم كل ذلك.. كل ما يقبح ويشوه ويفسد ويلوث ويذم ويميت ويفقر ويخرب ويلوث به الإنسان العربي كل الأرض والطبيعة ونفسه وكل شيء. إنه لا جاني عليهما يتفوق عليه في جنايته عليهما. إنه لا جاني على الأرض والطبيعة مثل الإنسان العربي ولا مجني على شيء مثل جناية الإنسان العربي عليهما!

.. إنه بكل الأساليب والصيغ والأدوات يلوث ويشوه وينجس جمالهما ونظافتهما وطهارتهما، ويصيب ببقائهما ويحشد ويربي وينشي ويرعى ويستولد ويوطن فيها أي في بيئاتها كل الأوبئة والحشرات والدُمَامات والقحط والخراب والتخريب والبداوة والتخلف الشامل.. ويصيبهما الأرض والطبيعة بالعقم والعجز والضعف المولود الموروث المتوالد.. بالضعف العرقي.

.. بالضعف المتولد والمتخلق والمنقول إليهما من خصائصه وعرقه وضعفه هو.. بالضعف المولود.. الضعف بالتوالد والتناسل ليحيى كل ما يلدان ويهيان ويرعيان من نباتات وأشجار وثمار وأزهار ومن حيوانات برية أو بحرية أو جوية هزيلة مريضة دمية مشوهة رديئة عاجزة موهوبة والدة للأوبئة - ليحيى كل ذلك بما فعله بهما الإنسان العربي..

ليحيى كل ذلك بالأسلوب والمنطق والحتم الذي يحيى به المولود العربي من الوالد العربي!

.. وإنه كذلك يتعامل بهما ومعهما وفيهما ويعايشهما ويواجههما ويوجههما ويسمعهما ويولد ويوجد ويسير وينام ويمارس كل فحشه وجهالاته وسفاهاته ودُمَاماته وأخطائه وذنوبه وفصاحه ونقاظه وخصوماته وعداواته وحروبه وكل بذائته وعفوانته ودينه فيهما وفوقهما وبموادهما وأدواتهما بلا أي فن أو علم أو تكريم أو تحمیل أو تضخيم أو تصعيد بل هابطاً بهما إلى أعماق كل حضيض هاجياً كل صيغ الهجاء وتفسيره بهجائه وتفسيره لهما. أليس الشيء العظيم يهون ويصغر ويعجز ويتفه بقدر ما يتعامل به الإنسان العربي؟

.. أليس الشيء الجيد أو الجميل أو القوي يصبح شيئاً رديئاً ودميماً وضعيفاً أو يرى أو يبدو أو يتحول كذلك أو يهجي ويقتل ويهم بذلك.. بأنه كذلك أو لا بد أن يصبح كذلك أو أنه لا يساوي إلا ذلك، أي إذا عامله وتعامل به وحكمه وامتلكه وخطلطه وخلقه وصاغه كائن رديء لا يستطيع أو يريد أو يعرف أو يعامل إلا الشيء الرديء.

.. أي كائن رديء عنده القدرة والتصميم على أن يتحول كل شيء إلى رديء وكل شيء رديء إلى شيء أردأ كما يصنع الإنسان العربي.. كما صنع بالأرض والطبيعة وبكل شيء بل وبالإله وكما يصنع وكما سوف يظل يصنع..!

حتى الإله والسلاح الجيد لقد حوّلتهما الإنسان العربي بتعامله معهما وبهما إلى كل القبح والعجز والرداءة والاتضاع والهزال.

وهل الرديء بمواهبه وأخلاقه وطاقاته يمكن أن يصنع شيئاً جيداً أو شيئاً غير رديء حتى ولو أراد ذلك؟ هل الإرادة قدرة أم تنفيذ للقدرة؟ هل يوجد من يجزؤ على الزعم بأن الإله الذي يتعامل ويتخاطب ويتساوم ويتفاوض ويتلاقى ويتصادق ويتحالف ويتحارب ويتفاهم معه الإنسان العربي هو مثل الإله الذي يتعامل معه الآخرون كل هذه المعاملات في جماله أو فروسيته أو عبقريته أو حبه أو رحمته أو في أي شيء من معانيه؛ بل أو في أدبه وتهذيبه وقوته وفي قدرته على مواجهة الأعداء والخصوم والأزمات والكوارث؟

إنه أي الإنسان العربي يفسد ويشوّه ويضعف ويذلّ ويهلك ويقتل ويخمد في كل هذه كل خصائصها ومواهبها وجمالها وطاقاتها وقروسياتها وحساسها وبسالتها بمعاشرتة ومواجهته ومعاملتها لها واستضافتها وبرؤيته لها يفسدها ويشوّهها ويضعفها ويخمدها ويقتلها ويصيبها بالبلادة والجبين حتى الإله. إنك لن تجد إلهاً كاملاً في كل معانيه لعبد ناقص في كل معانيه أو صاغه وتخيّله وتمناه وصوره عبد في كل معانيه.

.. إن الإنسان العربي لم يحسن في عمله هذه مثلما جنى على إلهه وقادته وزعمائه وأبطاله بتوجيهه وتدريبه وتعليمه وتكوينه لهم بأساليبه المباشرة وغير المباشرة.. إن الإنسان العربي لم يصغ شيئاً بكل حدوده وصفاته وأخلاقه وآرائه وشهوته وحنقه وبغضه وعدوانيته مثل صوغه للإله العربي ليكون مثلما يريدُه ويتصوّره ويقبله.. مثل صوغه له على ذاته، على شهوته وإراداته وتمنياته وتخيّلاته المريحة ولو محاسية بالتخيّلات الأخرى..

.. إن الإله ليس موجوداً بذاته ولا مرئياً بصورة ذاته أو مسموعاً من ذاته أو يتحرك أو يضرب أو يرضى أو يغضب بذاته أو في ذاته أو من ذاته، وإنما يحدث كل ذلك ويوجد ويكون ويتحرك ويرى ويتصور ويرضى ويغضب في ذات المؤمن ومنها وبها. إنما يكون أي الإله ويرى ويفسر ويعظم أو يصغر في ذات المؤمن به ومنها وبها. إذن ما أصغر الإله وأردأه وأضعفه وأقبحه.

إن الإله ليس إلّا مولوداً.. إلّا ولادة.. ووالده تخيل وتمنيات ومخاوف وأكاذيب وتصورات أضعف إنسان. إن أسوأ والد والد الآلهة!

.. كائن يريد أن يشخص كائناً آخر كبيراً، كبيراً بلا حدود، كائناً لم يره أو يسمعه أو يلمسه أو يخطئه أو يخطط له أو يزنه أو يعرف مقاييس ثيابه أو عيائه أو عمامته أو حذائه أو غرفته أو سرير نومه أو ثقل وطأته على الأرض.

وليس له آباء أو أبناء أو أقارب ليعرف من نماذجهم أو أحجامهم والكون الذي يزعم أنه هو وحده المرشد المخطط الفاعل له يصلح أن يكون قاعله كل النماذج والصيغ والأخلاق والفضائح.. أن يكون أقبحها وأوقحها وأبلدها وأجهلها وأفجرها وأعيثها وأنذلها وأبخلها وأعفنها وأصغرها وأفجرها

وأكفرها وأكثرها خروجاً على كل العقل والمنطق والجمال والأخلاق والنظافة والكرامة والحب والفنون..!

هذا الشخص أي الإنسان المؤمن كيف يستطيع أن يشخص شخصية أو ذات مشخصه أي الإله من خارج صيغ ومعاني ذاته أو شخصياتها أو من خارج هذا الكون الذي قد تشخص وتحدد وترسم ذاته أو شخصيته أي الإله ذبابة أو قملة أو جرثومة أو عاعة أو دمامة أو مرض أو جمل أو جدي أو ذئب أو غزال أو حصان أو شمس أو كوكب أو مجرة.. كل الضخامة البدنية فيما يبدو بلا أية ضخامة عقلية أو أخلاقية أو منطقية أو معنوية بل أي حجم من ذلك.. من هذه التفاسير..!

إن هذا الكائن الإله لا يرى أو يوجد خارج ذلك، إذن كيف يمكن رؤيته أو تشخيصه أو تصويره أو تحديده أو معرفة ذاته وشخصه أو أوصافه أو حتى جنسيته أو نسبه أو مكانه أو مكان ولادته بين شخصيات وجنسيات وذوات والتسمات هذه الأكوان.. بين الشخصيات والذوات والجنسيات والكائنات التي منها القملة والنملة والصرصار والذبابة التي وجدت بالمنطق والأخلاق والتفاسير والأغراض والذكاء والتخطيط والعقيرة التي وجدت بها الشمس والمجرات والبحار والأنهار بل التي وجد بها الإله والإنسان؟

كم هو عجيب هذا..! أعظم وأضخم كائن والمزعوم الموجد لكل كائن لا يوجد أو يعرف أو يرى أو يفتر أو يشخص في ذاته بل في الذوات الأخرى.. في ذوات القملة والنملة والصرصار والبرغوث والجرثومة الوبائية وفي الذوات الأخرى.. الأصغر والأكبر..!

لنسمع هذا السؤال الفاجع الذي لعله لم يقل أو يسمع قط.. يقول السؤال لو لم توجد أو تعرف أو تر هذه الأكوان.. أكوان القمل والنمل والذباب والصراصير والجرثائم والحشرات والعاهات والتشوهات وغيرها وغيرها..

هل كان يمكن أن يوجد حيثل أو يرى أو يعرف أو يتصور الكائن المسمى إلهاً أو حتى يكون الحديث عنه أو الحوار حوله أو عنه أو المعاناة الفادحة النفقات والمقاساة لتشييد البيوت والمعابد والكمبات له التي لن يسكن أو يتمتع فيها أو يطوف حولها أو يصلي متوجهاً إليها أو يقبل حجارتها السوداء أو يتمزى محرماً أمامها أو يهب أو ينفق أي شيء على بتائها أو يساعد بعضلاته على ذلك؟!

هذا شيء مما يفعله الإنسان العربي بالأرض والطبيعة..!

ومما يفعله أيضاً بهما أنه يستهلكهما.. يستهلك طاقتهما وخصوبتهما وجمالهما وشبابهما وقدرتهما على العطاء وحماسهما للعطاء بل يستهلك نشاطهما وفرحهما وصحتهما وذكاءهما وطهارتهما.. يستهلكهما هذا الاستهلاك الفادح الشامل الدائم دون تعويض أو تكفير أو اعتذار أو تراجع أو ندم.. دون أي عطاء لهما أو مداواة أو ترميم أو إصلاح أو أي احتمال لذلك وأمل فيه..!

والإنسان العربي هو آخذ غير معطٍ أبداً إلا العطاء الذي هو أقبح أخذ..!

.. وهنا صرخت المنظمة أو المحكمة الكونية التي لم توجد ولن توجد..

- صرخت بصوت واحد ومنطق واحد قائلة بكل اللغات المتكوّنة والتي لم تتكوّن: كل هذا صحيح، صحيح جداً ولكنه أي الإنسان العربي بريء، بريء جداً. إننا نحكم بهذا الحكم دون أن تكون لنا عواطف، أي عواطف نحو النفط العربي، نحو نفطه. إننا لا نشكر أو نهون من سلطان نفطه ولكن لأننا رأينا كيف عانت وصغرت وركعت أمامه كل الهامات والقامات أنكرنا التعامل معه حتى بعواطفنا خوفاً واشمئزازاً.

وليس في تاريخ العطاء عطاء مساوي شيئاً من عطاء الأرض والطبيعة للإنسان العربي حين أعطيته ما سمي وما سته وما سته بالنفط العربي..

معتدى عليه أفسى وأقبح وأفحش عدوان يعطي المعتدي كل هذا العطاء تحت هذه الظروف والأساليب وبهذه المقادير التي أعطى بها..!

إنه لعطاء لا تستطيع أن تصعد إليه خيالات الآلهة فكيف تستطيع أهدبها أو عضلاتها أو سخاؤها التفكير في الصعود إليه؟ إن الآلهة لا بد أن تحتقر كل عطاها وأن تخجل منه محاسبة له بهذا العطاء.. بعطاء الأرض والطبيعة للإنسان العربي نفطه. ولكن هل الآلهة تحاسب أي شيء؟!

.. إن الله قد يحاسب ويعاقب الأرض والطبيعة على إسرافها هذا أي على أن أعطيتا الإنسان العربي النفط بهذا الإسراف الذي لا بد أن يعجز كل جنون عن أن ينافسه في جنونه بل الذي يرفض كل جنون أن يسمى أي هذا الإسراف جنوناً لئلا يشتركا في الوصف.. في صفة الجنون..! والذي لا بد أن يحول عطاء الإله في كل تاريخه إلى أنشح مستويات وأساليب ونماذج الشح..!

ولعل الأرض والطبيعة قد جنتا في هذا العطاء للإنسان العربي تحت حوافز الندم ومعاقبة النفس وبنيات التعويض له عن حرمانها له من المواهب والطاقات الإنسانية القادرة المتفوّقة.. عن حرمانها له من ذلك.. هذا الحرمان الذي لم يبق ما يمكن أن يسمى حرماناً أي حرمان أمامه.. هذا الحرمان من كل الطاقات والمواهب وكل المعاني الجيدة الذي كتبه وأعلته وقرأته وفشّره إسرائيل بكل الأجهزة واللغات والألسنة من فوق كل النوادي والمنابر والأقمار والشموس والأفلاك الكونية.. الطبيعية والصناعية.. الذي قرأه وكتبه وفشّره وأعلته إسرائيل بكل اللغات العربية.. الفصحى والشعبية والسوقية والجمهورية.. من فوق هامات ومنابر ومعابد ومغارات وصلوات آلهتنا وأنيابنا وخلفائنا وقرائنا وكعباتنا وتاريخنا وفنوحاتنا وغزواتنا المكتوبة المقروءة المزعومة المهزومة المصدومة المكذبة المهانة يمجىء إسرائيل..!



هنا سؤال واحتمال حادان يقولان هل كانت الأرض والطبيعة نبيلتين وصادقتين وصديقتين وكرهمتين حين أعطيتا الإنسان العربي هذا العطاء أم كانتا خبيثتين ماكرتين عدوتين معاديتين له حين جادتا عليه كل هذا الجود إذ كانتا بذلك تنويان فضحه والإعلان عالمياً عن ضعفه وسفاهه في نمليكه لذلك وفي تصرفه فيه وإنفاقه له وفي عرضه لكل مواهبه وأخلاقه وطاقاته وذكائه وفي كل احتمالاته الإنسانية والحضارية؟!

إن كانت هذه هي الحواجز فما أعظم جوعهما أي الأرض والطبيعة وشرهما إلى مشاهدة الفضائح والنقائص لأن ما عند العرب من ذلك يشبع كل جائع إليه دون مجيء الفضاض الأعظم.. النفط..

.. ولكن هل الأرض والطبيعة شريرتان وهاتيتان لصنع ورؤية ومواجهة الفضائح والافتضاح والعار وأنها تسعدان وتتغذيان وتتلذذان بذلك بالطبع والأصالة والشهوة بلا أسباب أخرى جيدة ومعقولة وكريمة، بل وضد هذه الأسباب بل وبلا أسباب غير شهوة الاستمتاع بالمشاهدة والمواجهة والاستماع إلى القبح والعذاب وللقبح والعذاب؟ قبيح أن يكون ذلك كذلك ولكنه ليس شذوذاً أو تفرداً أن يكون. أليس الإله كذلك؟

.. ألا يحتمل أن تكونا أي الأرض والطبيعة قد تعلمتا ذلك من الإله؟ أليس الإله يدبر ويريد ويخطط ويصنع القبايح والفضائح والآلام وكل أنواع العذاب والعار والتشوهات ويوقعها بالآخرين الأبرياء بلا أسباب أو أهداف أو نتائج أو أغراض غير أن يسعد ويستمتع برؤيتها ومواجهتها ومساكنتها وسماعها وتدبيرها وتخطيطها وإرادتها وصنعها وفعلها لكي تنله وتسلم دائماً كل حواسه وأحاسيسه بالمعذنين والمصابين بكل ذلك؟

هل يوجد خلاف في أن الإله يفعل ذلك لهذه التفسير؟

.. ليه يوجد لذلك أي لفعل الإله هذا تفسير أفضل من هذا التفسير.

إن أبشع ما في الإله وتفسيره أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد في تفسيره ما هو جيد وما هو رديء أو ما هو أقل رداءً.. إن كل تفسيره رديء حتى ما يحسب أنقى وأذكى التفسير. إنه لا تفسير له إلا كل هذا الوجود موحداً بكل صيغه ومنطقه وأهدافه ومعانيه. وهل يتصور تفسير يساوي في قبحه تفسير هذا الوجود مجتمعاً ومفترساً بكل وحداته ومفترساً بخلق له كامل؟

.. إن أجمل تفسيره ألا تكون له أية تفسير.. إنه لا جمال ولا ذكاء ولا أخلاق ولا منطق ولا حكمة أو رحمة أو تقوى للإله إلا بأن يكون محروماً من كل التفسير بل ومن كل التوقعات والمساءلات والاعتقادات والتعاليم والرغبات والطلبات والمحاسبات والمحاكمات والمعاقبات. وهل يوجد أو يتصور كائن لا مثيل له في كماله وجماله وبراهته من كل التفسير الرديئة والقبيحة والآثمة البليدة غير الكائن الذي لا وجود له؟ إن أي مفسر لن يكون بلا عيوب!..

.. نعم، قالت المنظمة أو المحكمة بصوت واحد وعقل واحد: إن الإنسان العربي بريء من كل ما فعل. إنه مفعول بكل ما فعل وفي كل ما فعل. إن كل ما فعله مفعول به وفيه فهو مفعول مفعول به مهما بدا أو زعم غاعلاً!..

.. إن أدوات وأجهزة ونيات وإرادات وشهوات ورغبات وقدرات وظروف وأوقات وكل انفعالات وحواس وأحاسيس فعله مفعولة. مفعولة به وفيه وكذلك كل شيء وكل أحد حتى الإله.. كل إله!..

لماذا يفعل حين يفعل ولا يفعل حين لا يفعل؟ إنه استجابة أو كينونة وليس فعلاً مثلما تطلع الشمس ويخضر الحقل..!

.. إنه حين يضرب أو يقتل لا يستطيع ألا يفعل أي أي كائن حتى الإله..

.. إنه لا يفعل ذلك إلا تحت الظروف المحيطة الذاتية والخارجية. وبلا حتم لا فعل..!

.. إنه إذن إذا ضرب أو قتل فهو مضروب مقتول أو مضروب مقتول به وليس ضارباً ولا قاتلاً. إنه لذلك مهما رأى واعتقد وقال وفعل كل شيء غير ذلك.. إن الرؤية الشاملة الخارجية المحايدة القارئة للحروف المكتوبة وغير المكتوبة لتقول ذلك..!

.. كذلك لاعتبه ومحاسبه ومحاكمه ومعاقبه ليس إلا مفعولاً به وليس فاعلاً أي مفعولاً به اللعن والمحاسبة والمحاكمة والمعاقبة..!

ما أسهل فهم ذلك مهما صعب الاقتناع والاعتقاد والقول والاعتراف والجهر به والإعلان عنه بل مهما كان مستحيلاً الإيمان بغيره أو وجود تفسير أو منطق أو رأي أو رؤية غيره..!

حينما يمرض القلب ويؤذي كل الأعضاء ويعتدي عليها، وحينما تمرض الأعضاء أو بعض الأعضاء فتؤذي وتمرض القلب والأعضاء الأخرى وكل الذات وتعتدي عليها من يكون الفاعل والمفعول والمفعول به والمعتدي والمعتدى عليه هنا.. من يكون المحاسب المحاكم المعاقب؟ إن الكون مجتمعاً ومتعاملاً بعضه مع بعض ومفسراً ومعللاً بعضه ببعض مثل الجسد الواحد متعاملاً بعضه مع بعض ومفسراً معللاً بعضه ببعض..! فمن الفاعل ومن المفعول فيه؟

إن من يرى الكون كله.. إنسانه وأرضه وكواكبه وطبيعته وكل شيء فيه.. يراه من خارجه رؤية موحدة متعاملاً ومتصادماً ومتعاضداً بعضه مع بعض كل شيء مع كل شيء فلا بد أن يرى كل شيء ظالماً معتدياً ومظلوماً معتدى عليه أو لا بد أن يراه.. أن يرى كل شيء لا ظالم ولا مظلوم لا معتدي ولا معتدى عليه.. لا بد أن يرى شيئاً لا يمكن تفسيره أو غفرانه أو فهمه كما لا يمكن التصور بأن كائناً عاقلاً قد خلقه أو صنعه أو خططه أو أراد أو غفره..!

.. لا بد أن يراه كله مظلوماً معتدى عليه ولكن الظالم له والمعتدي عليه كائن آخر من خارجه أو أن يراه كله ظالماً معتدياً ولكن ظلمه واعتدائه ليس ظلماً ولا اعتداء منه. إنه ظلم واعتداء مفعولان به كما تفعل به أمراضه وعاهاته وتشوهاتة وشيخوخته وموته وكما تصنع به ذاته بكل حدودها وصيغها وحجمها ولونها وكم تصنع بالإله ألوهيته وأنانيته وذاته وطنبائه وإعجابه بنفسه وعدوانه على كل شيء وكما يصنع كل ذلك فيه وله وبه..

هل الإله هو الذي فعل ذلك بنفسه أو فعلته به نفسه وهل يستطيع ألا يكون ذلك أي ألا يفعل به ذلك أو هل يستطيع أن يتخلص من ذلك.. مما فعل وأوقع؟ هل يستطيع الإله أن يكون غير ما كان أو ما هو كائن بقوة ذاتية أو خارجية؟

هل يصدق أحد أن الإله لو أراد ألا يكون إلهاً أو أن يتنازل عن ألوهيته أو عن وجوده

لاستطاع؟ إذن لماذا لا يفعله.. لم يفعله ولو تجربة أو نسليه أو امتحاناً أو إلهاباً أو رياضة نفسية أو عقلية أو أخلاقية أو جسدية أو تنشيطاً أو تجديداً للذات ولكل شيء أو شوقاً إلى رؤية ما قد يحدث ولو تجربة واحدة يجربها على نفسه أو تجرب عليه؟ هل هو خائف أو مخوف عليه؟

هل يخشى أي الإله ألا يستطيع العودة إلى ذاته أو وجوده أو ألوهيته أي لو جرب التنازل عن ذلك؟ ألا يزداد حياً واستجابة وتحميلاً لذاته وألوهيته ووجوده ووظائفه لو جرب التخلي أو التنازل عنها فترة أو فترات متقطعة؟

.. إنه لا يوجد محتاج إلى تجربة ذاته وإلى التجربة عليها بأقسي الأساليب وأخطرها وأكثرها مثل الإله فلماذا لا يفعل شيئاً من ذلك إذن؟

هل هو لم يجد من يعلمه أو ينصحه أن يجرب ذلك؟

إنه لا يوجد من يحتاج إلى أن يتعرض أو يعرض إلى أقوى وأقسي وأدوم المخاطر والتحديات في ذاته وعلى ذاته وعلى مناصبه ووظائفه ووجوده وعلى مكانته واستقراره وسكوته مثل الإله فلماذا لا يكون شيء من ذلك؟

.. إن الإله محتاج أبداً إلى أن يزلزل، يزلزل بكل طاقات الزلازل وأهوالها!

إنه يحتاج إلى ذلك لطول جموده وركوده ولأن وظائفه تحوجه إلى ذلك!

إنه محتاج إلى التحريك العنيف.. العنيف جداً.. لأنه ساكن أبداً، أبداً بلا أي حراك!

ليت كل القوى المحركة وكل طاقات التحريك تتحول إلى ضربات ودفعات تحريك للإله. الإله جامد راكد فأين المحركات. أين أقوى المحركات؟

إن الزعم الدائم أن الإله هو الجهاز المحرك الشامل العائم الوحيد لكل شيء.. لكل الكون محركاً ومحركاً ومتحركاً. إذن هل يمكن تصوّر كائن مثله يجب أن يحرك، يحرك ضد جموده وثباته ورتابته واستمراره في حالة وصيعة واحدة؟

أن يحرك، يحرك حتى يصبح جديداً ومتجدداً في تصاعده الشامل.. الفكري والأخلاقي والفني والعاطفي بل والعصلي وفي الرؤية والاستماع والتخاطب وفي أساليب الاستجابة والتعامل والقراءة لنفسه ولكل شيء..؟

الجهاز المحرك لكل شيء راكد، راكد.. إذن كيف يمكن أن تتحرك الأشياء، وأين من يحركها وهل يوجد؟ لقد أوجد الإنسان الأجهزة المحركة والرافعة لآلته فلماذا لم يوجد مثلها أو أقوى بل أقوى منها لتحريك الإله ورفعها؟ هل يحسب هذا إهمالاً دولياً أم هو دليل غير منطوق على أن العالم مقتنع بأنه غير موجود؟

.. ما أردأ حظوظ بل ما أتعس حظوظ كون ضخم جداً، حاكمه ومالكه ومريده ومخططه وصائغه وصانعه كائن ساكن جامد ثابت في كل معانيه وصيغه وشهواته وأشواقه وطموحه ومطالبه لا يغير ولا يتغير.. لا يتحرك ولا يحرك.. لا يجدد ولا يتجدد أو يبدل أو يتبدل أو يصحح أو يصحح..

.. يظل أبداً يخلق القملة والذبابة والبرغوث والصرصور والجراثيم بل والإنسان بصيغة واحدة دائمة بكل الحماس والنشوة والكبرياء والفرح والتمزي والتعذي مستغرقاً في التناؤب وفي النظر إلى وجهه وإلى جمال ما يفعل بلا تبدل أو تصحيح أو تغيير أو تراجع أو حتى تساؤل أو رؤية محاسبة ناقلة مفكرة...!.. دون أن يرى أو ينظر إلى ما يفعل أو يفطن إلى أن كل الخالقين والفاعلين يغيرون ما يفعلون ويطورونه فلماذا هو لا يفعل ذلك؟

.. كائن يقال إنه مستيقظ أبداً وأنه لا يصاب بالنوم ولا بالنعاس ولا بالسنة من النوم وإن جميع المنومات والمخدّرات لا تستطيع أن تهيه شيئاً من النوم أو الإغفاء أو النعاس أو الغيبوبة أو الخدر أو التخدير حتى ولو أراد ذلك ورهن أو باع كل مجده ومعانيه ووجوده لكي يصاب بشيء من ذلك لما أمكن أن يظفر بشيء منه بل حتى ولو تعاطى كل المخدّرات الموجودة وغير الموجودة!.

.. هذا الكائن البائس المحكوم عليه بكل هذا اليأس والشقاء والتعذيب لا يستطيع تصور مثله غيبية وضبابية وغيبوبة وخموداً وخمولاً وعجزاً عن الحركة بل وعن الرؤية والسمع والحضور بل عن النطق بأية لغة أو حروف. علّم كل اللغات وظلّ عاجزاً عن الكلام بأية لغة!.

.. إنه كائن لا يستطيع أن يتام ولا أن يستيقظ ولا أن يسمع أو يرد، ولا أن يحضر أو يغيب، ولا أن يسكر أو يصاب بالغيبوبة أو يفيق، ولا يفعل أو يدبر أو يبريد وهو المدبر المرشد الفاعل كل شيء وأبداً أي وهو المزعوم والمحسوب كذلك. إن أنفع ما في الإله وأقل الأضرار فيه أن الإيمان به معزول عن أسلوب وحقيقة التعامل معه أو باسمه. إنه لا يتناول أية متعة أو لذة جسدية أو روحية مع أنه الواهب والفاعل المبتكر لكل ذلك والممجد الفاعل له الداعي المحرّض عليه المتقاطر عواطف وريقاً شوقاً وجوعاً واحتياجاً ودموعاً إليه أي إلى ذلك!.

هل يمكن أن يكون لهذا الكائن أي وجود؟ وهل يقبل هو أن يكون له وجود؟ ما يربح من وجوده أو يجد فيه أو هل يمكن أن يوجد من يستطيع أو يقبل أن يوجد أو أن يوجد هو أو أي موجد آخر أي هذا الكائن المسمى إلهاً المرهب لغة وتفسيراً وتعليماً والمأمون بل المفقود الميت تعاملًا معه ووجوداً في الحياة؟

هل يفغر أي غافر لنفسه أن يفغر لها تصويره هذا الموجود؟

هل تصوّره أي تصوّر الإله متصوره نكاية واستهزاء به أم تسجيلاً وتكريماً أم بلادة وجنوناً؟

.. إنها ورطة أو سقطة لا مثيل لها في كل الورطات والتصورات أي تصوّر هذا الكائن الذي هذه بعض أوصافه وحظوظه وآلامه وضعفه وهوانه. الذي هذه مكانته ومكانه ووظائفه التي من ألقاها وأذكأها وأجملها أن يظل يناضل تخبطاً وتفكيراً وتدبيراً لكي يتقن خلق العاغة والدمامة والنشوة والعجز والحشرة والموت والشيخوخة والعار والافتضاح والهزائم لكي يظل هو معاشاً مساكناً مواجهاً مواظناً لكل ذلك بلا إنقاذ أو فرار!.



هل يكون من التكرار غير المقبول أن أقول:

إن من يرى هذا الكون من خارجه أي يراه فاعلاً مفعولاً ومفعولاً فاعلاً فلا بد أن يرى فاعله أعظم مجنون وأعظم عايب وأعظم مجرم وأعظم سفيه وأتبع هازل مشوه مخزوب وأعظم خاسر بلا أي أمل في أي ربح. ١٩. إن للصرصار والذبابة ربهاً من وجودهما دون خالفهما وإنهما لا يعانيان شيئاً من العذاب أو الهوان أو الغيظ الذي يعانيه.

إنه أي رائي من خارجه لن يستطيع أن يفهمه أو يعقله أو يغفره أو يتقبله أو يسامحه أو حتى يحاسبه أو يسأل عنه أو يسأله بأي عقل أو منطق أو فكر أو خلق أو ضمير أو حساب أو حتى دين أو بأية صيغة أو مستوى من صيغ الفن أو الجمال بل أو الدعامة أو العبث الجاد أو حتى الهازل..!

وإنه أي الراي للكون من خارجه لن يتصور أن أي كائن مهما كان مستوى هبوطه قد يشغل أن يكون هذا الكون متكاملًا متجمعًا متوحدًا في تعامله وفي تفاعله شيئاً من ولادته أو بصفاته أو سماته أو عطساته أو إراداته أو ضرباته أو سكراته أو تخطيطه أو إبداعه أو هزله أو فنه الهازل أي بكل ما في داخله وخارجه من حشرات وآلهة وآلام وفضائح وهزائم وبشر. يهبطون، يهبطون حتى يذهبوا يعلمون ويعتقدون ويزعمون ويعلمون أن العاهات والنشوهات والدمامات وكل النقائص وكل العار والفضائح والقبائح هي أجمل وأذكى وأرحم وأتقى وأقوى تعبير وإعلان الإله عن كمال وسخاء وضحامة رحمته وجماله وإحسانه وعطائه ومحبه ورعايته وعبقريته.

- أي بكل ما في داخل هذا الكون وخارجه.

- يذهبون يعتقدون ويعلمون ويزعمون أن الوالد بقدر ما يحب ابنه ويريد له الخير والسرور ويقدر ما يكون أي الوالد حكيمًا وعبقريًا وعليمًا ومبدعًا رحيماً يفتق أعيني ابنه ويقطع يديه ويصيبه بالعجز والشلل وبكل الآلام والنقائص والتدمير والهزائم والفضائح والعار ويفعل به كل الشرور كما يفعل الإله كل ذلك بعباده وبكل الكائنات الأخرى لأنه يحبهم ويحبها ولأنه يريد لهم ولها الخير والسرور ولأنه حكيم وعليم ورحيم وعبقري ومبدع..!

أليس ما يفعل إله هذا الكون أشنع مما يفعله هذا الأب.. من هذا الذي لم يفعله ولن يفعله أي هذا الأب ولا أي أب؟ إن أي مجرم أو مجنون لن يفعل بمن يستطيع الفعل به مثلما يفعل الإله بمن فعل بهم خلقه لهم..!

إن أحداً لم يرقح هذا الكون كما هو بكل صيغه وتفسيره ومنطقه ونتائجه وحوافره وأهدافه لأن أحداً لم يره من خارجه ولا يستطيع أن يراه بكل بشاعته وفيه إلا من رآه ويراه من خارجه ولهذا لم يره أحد هذه الرؤية حتى ولا الإله لأنه لم يره ولا يراه ولن يراه من خارجه لأنه أي الإله وجود ويميش داخل الوجود، كل الوجود..

إن الله يعيش داخل أنسى وأكثر وأقبح وجود: داخل وجوده هو وكل وجود آخر..!

إن رؤية من يرى هذا الوجود أو الوجود كله أو أي وجود من خارجه أي لو وجد لن تساوي إلا رؤية كل القبيح والفضح والفحش والعذاب والخطر والعبث والفساهاة والغباء والشدالة والجبن والعداوات والبغضاء بكل الصيغ والتفسير واقعة ومنظرة وقادمة مرئية..!

حتى ما يحسب ويؤمن ويرى ويعتقد نقيض ذلك هو كل ذلك وأكثر من كل ذلك هو كل ما يروع ويفجع ويصنع الاشتزاز والغيظ والغثيان!

هل أكرر وأقول: ماذا لو أن الإله رأى نفسه من خارج وجوده ومن خارج كل وجود أو لو رآه أي رآه من خارج وجوده ومن خارج كل وجود؟

.. وماذا لو رأى الذباب نفسه أو الصرصور من خارج وجوده وخارج كل وجود، أو لو رأى خائفه هذه الرؤية من خارج الذات وهو يتألق ويتألق ويزف نفسه في ثياب العرس والزفاف ليخلق ويدتر ويخطط الذباب أو البرغوث أو أية حشرة أخرى؟

أليس الإله يفعل ذلك أي يدتر ويخطط ويخلق الذبابة والبرغوث والقملة والجراثيم وكل حشرة وعامة وآفة وهو متزين بملابس الزفاف وهو زاف نفسه ومزفوف إلى أضخم وأغلى احتفالات الأعراس له وبه؟

أليس الإله يزين نفسه ويسعد بها بخلقه لذلك وإلا فماذا يفعل؟

ولولا حالات ومشاعر ومعاني العرس والزفاف هذه لما ذهب الإله يفكر أو يخطط أو يدتر أو يريد أو حتى يتصور ليخلق هذه الآفات بكل هذا القبح والديمومة والحماض والإصرار والتكرار..

كل شيء يتحدى الإله وأعوانه ليجد تفسير غير هذا التفسير..!

هل يستطيع أو يمكن الزعم أن الله قد أراد واشتهى وصمم كل هذه القبايح والفصائح لتتخلق وتبقى بكل الديمومة والتكرار والالتزام مواجهة مواطنة مساكنة له بدون أن يكون في حالة فرح وزفاف معرس، بل وهو في حالة كآبة وغيظ واشتزاز وانفجاع، أو وهو في حالة غيبوبة أو سلبية أو ضياع أو فقد لكل العواطف القابلة والرافضة السعيدة والكئيبة؟ كل الرثاء والهزائم لكل من يحاولون الدفاع عن الإله أو أن يجدوا له تفسيراً جيداً أو معقولاً..!



لقد بعدنا بأفكارنا واهتمامنا وعواطفنا وحوارنا عن المنتظمة أو المحكمة الكونية المفترضة للحكم بين الخصمين المتخاصمين أي الأرض والطبيعة خصماً ضد الإنسان العربي والإنسان العربي خصماً ضد الطبيعة والأرض..!

بعد هذا الحوار أو الخصام الطويل الحاد المشير المحير الموجع نرجح ونختار ونتمنى أن تؤجل هذه المنتظمة أو المحكمة النطق بالحكم بل والافتناع به إلى أجل مطلق.. إلى أن يحكم رب هذا الوجود المزعوم أو أن يظهر ويحضر لكي يكون هو المتهم البديل عن المتهمين وعن كل متهم مهما كانت الأخطاء والخطايا..!

هذا مع الرجاء ألا تكون هذه المنتظمة أو المحكمة الكونية المفترضة قد رأت أو عرفت هذا الإله أو شيئاً منه لأنها حينئذ لن تقبله حاكماً بل ولا حكماً ولا شاهداً بل ولا حاضراً للمحاكمة، بل

ستره مجرمًا لا يحاكم وإنما يحكم عليه بكل ما يتصور ويستطاع ويعرف من العقوبات دون أن يكفي كل ذلك عقاباً له..!

هول، هول.. رهيب، رهيب..!

مرید ومدبر ومخطط وفاعل كل هذا الكون هل يكفي كل شيء أو أي شيء عقاباً له بل شيئاً من العقاب له؟

أهوال، أهوال..



استيقظ.. احضر.. اغضب.. افهم.. تبرا أيها العقل، أيها القلب.. أيها الضمير.. أيتها الأخلاق والرؤى..

لقد طال النوم والخمول والخمود والغبية والغبوبة والبلادة والعمى والخداع والانخداع والافتضاح والزور والتزوير.. لقد طال، طال، طال..!

لقد عجزت كل العيون أن ترى تحت أضواء كل الشمس.. لقد عجزت أضواء كل الشمس أن تري عيون المؤمن شيئاً من جسد إله المنحوت من عاهات ودمايات وتشوهات وأخطاء وآلام وسفه كل هذا الوجود والمعروضة المكتوبة فوقه والمعرض المكتوب فوقها..!

بطن المرأة أخطر مصنع في الكون

إن الولادة استفراغ لا تدير.

إنها أقسى تعبيرات الطبيعة عن عبثها وضلالها وضياعها وعدوانها على نفسها..!

إن بطن المرأة هو كل المشغلين والممولين والمعاملين والمصدرين والمخططين والبناء لكل المقابر ولكل حقارها.. إنه لولا بطن المرأة لما وجد أي قبر أو مآتم أو نائح أو منوح عليه أو طاغية..!

.. هكذا قال كل الأنبياء الذين لم يجيئوا والذين يجب ألا يجيئوا أو الذين يجب أن يجيئوا والذين لن يجيئوا مهما وجب وطلب أو رفض وكره وفجع وأذى وأفسد وضلل أن يجيئوا..! هل جاء الأنبياء إيجابياً مهما جازوا سلباً؟ إنهم سلب بلا أي إيجاب.. هل لمجيء الأنبياء أي نفع لأي شيء أو لأي أحد أو أية قوة أو مجد أو جمال أو دواء أو شفاء أو سرور أو علاج أو إصلاح أو تصحيح أو حتى أية تقوى أو تدبّر أو براعة أو نظافة أو شجاعة مهما كانت أصواتهم والأصوات والدعائيات والتصويت لهم وبهم وبأسمائهم؟ ثم اختلفت الروايات والآراء والتفاسير حول هذه القولة..!

قال قائلون إنها تعني كل البطون.. كل بطون النساء الباصقات المستفرغات للأولاد لأنها كلها تحبل وتلد وتصنع وتعطي باستفراغها وبصقتها وإفرازها وولادتها كل الآلام والمشاكل والهموم والعداوات والأحقاد والحروب والأمراض والموت والجنون والعجز والضعف والشيوخوخة بل والأخطاء والخطايا وإغضاب وغيط وعصيان وإهانة الإله بل كل الآلهة..!

.. بلا أي تفسير أو تسويق أو منطق أو عواقب معقولة أو مقبولة أو مريحة أو جميلة أو ذكية أو نافعة أو فنية أو إنسانية، بل وبلا أي إسعاد أو تمجيد أو تعظيم أو إرضاء أو إفراح للإله أو لأي شيء..

.. بل وبلا أي ثمن أو تعريض أو هدف أو منطق..!

لأنها فقط توليد وتعيد وتخيل وتضخيم وتكبير للمشاكل والأخطاء والخطايا والآلام والعذاب والعبث والأحزان وتكرار دائم لذلك..!

ولكن آخرين قالوا إن هذه القولة إنما تعني فقط بطون النساء العربيات أو بطون النساء العربيات المسلمات فقط، فقط.. وقد يكون هؤلاء القائلون مصابين بالتعصب القبيح الكره، والتعصب بكل أنواعه هو أحد آفات وأوجاع الإنسان التي لم يستطع بل أو يرد الشفاء منها..!

وحين قيل لهؤلاء: ولماذا بطون العربيات وحدها أو بطون العربيات المسلمات فقط؟ لماذا هذا التخصيص؟ أليست العملية كلها بصقاً، بصقاً واستفراغاً فيحاً بديقاً قدراً خاسراً متعباً ملوثاً موزطاً؟

قالوا لأن المرأة العربية أو المرأة العربية المسلمة وهكذا أمثالها إن وجدت لها أمثال وقد وجدت وموجودة دائماً أمثالها.

- نعم، قالوا لأن المرأة العربية أو العربية المسلمة أي وأمثالها تصنع الأولاد أو تلدهم وتبصقهم وتستفرغهم بلا حساب أو سؤال أو نظام أو تخطيط. إنها لا تفعل شيئاً من ذلك ليكونوا بقدر الحاجة إليهم والقدرة عليهم والقدرة لهم ليكونوا شيئاً مما يجب أن يكونوه..! ولأن صناعتها وولادتها واستفراغها لهم دون شروط.. دون الشروط المقبولة المعقولة المطلوبة بل والمعروفة لدى كل عارفي الشروط ووضعها ومفتريها ومشرطيها..

ولأن هذه الصناعة أي ولادة الأولاد التي تصنعها المرأة العربية المسلمة أو العربية فقط تجيء أبداً أقل مما يطلب وينبغي ويفترض.. تجيء بهم أبداً أقل في كل مستوياتهم وقدراتهم العقلية والنفسية والإبداعية والحضارية بل والإنسانية والعاطفية والعنصرية والأخلاقية والتكوينية والسلوكية بل تجيء بهم نقيضاً حاداً شاملاً لكل ذلك.. نقيضاً لما يطلب وينبغي ويفترض من كل ذلك وفي كل ذلك ولكل ذلك..!

وأيضاً لأن الإشراف عليهم بعد مجيئهم بل وقبل ذلك يجيء رديئاً، رديئاً جداً.. إنه لا أخضر أو أخسر أو أفجع أو أعبث من صناعة الأولاد فكيف بصناعتهم عرباً.. فكيف بالذين تلدهم وتصنعهم المرأة العربية المسلمة وأمثال العربية المسلمة؟ هل يوجد غيظ أو تشويه أو تعذيب أو تلويث للنفس ولكل شيء أو عدوان على النفس وعلى كل شيء وكل أحد مثل صناعة الأولاد فكيف بصناعتهم صناعة عربية مسلمة؟

هل يوجد خاسر ملوث معذب مغيظ معصي بهم مثل مريدتهم ومدبرتهم وخالفهم طامعاً ومؤملاً ومنتظراً ومريداً ومعلماً وأمرأ أن يطيعوه ويعبدوه ويشكروه ويمجدوه ويفرحوه ويسعدوه ويتحولوا إلى كل الجمال والتجميل والانتصار له؟ إذن هل يوجد أو يتصور أردأ حظاً أو حساباً أو منطقاً أو رؤية أو أخسر من الإله في هذه القضية ومن تعامله وعمله بها ولها وفيها لأنه بذلك يريد ويدبر ويصنع لنفسه الغيظ والغضب والمذاب والقيح والهزائم والهوان والعصيان والإذلال والاستهزاء والتحقير، أي يفعل كل ذلك لنفسه بصناعته للأولاد... يوقعه بنفسه عامداً متعمداً عارفاً رائياً قارئاً مكرراً مصراً مستمراً..!



إن التوالد ليس عمل الإنسان ولا غير الإنسان، وليس تخطيطه أو تديره أو إرادته أو ابتكاره أو حتى رغبته الأولى ولكنه فعل وإيقاع به وضده وتوريط وتشويه ولاء له وبصق واستفراغ عليه وفيه ومنه، إنه أردأ وأوقع وأتبع وأعفن بصق واستفراغ عليه وبه.. إنه أي الإنسان وكذا كل كائن متوالد يصاب بالتوالد كما يصاب بالأمراض والعاهات والتشوهات والضعف والشيخوخة والهموم وكما يصاب بالقيء والإسهال والغثبان وانخراق الأمعاء أو بأي خلل في الجسم..

وكما يصاب باحتقان الجسم والمعدة مما يأكل ويشرب ويواجه ويقاسي فيحدث الازدحام

والامتلاء والاختزان الرديء فيضطر ويحتاج إلى الاستفراغ.. إلى قذف ذلك بأسلوب الولادة بل بأساليب أقل قبحاً وضراً وعقناً من الولادة وأساليبها.. وخين استمر ونحتم أي التوالد على الجميع بالتكرار والاستمرار أصبح أخلاق ومنطق أعظم وأذكى وأنظف إله على الجميع وعلى كل الكائنات الحية المتوالدة أن تتحمل كل هذا.. كل هذا الاستفراغ البذيء القبيح أي استفراغ التوالد والأولاد بل وكل استفراغ حتى استفراغ الطعام والشراب في المكان المعروف وغير المعروف والذي يجب أن يكون معروفاً والذي كم من القسوة والقبح والإساءة والإهانة أن يكون معروفاً أي أن يكون موجوداً وأن توجد الظروف والأسباب والاحتياج التي تحتّم أو حتى تطالب أن يكون موجوداً.. أن تتحمل كل هذا بكل الرضا والإعجاب والتعجب للنفس والتعبد لمن فعل بها ذلك..!

.. إن استفراغ فضلات الطعام في المكان المعروف القبيح البذيء المهين لأكرم وأنبل وأنظف وأقوى من استفراغ الأبناء أي من التوالد بل ومن قراءة رؤية الإله الطيب النظيف النبيل الصديق بصينا بالاستفراغ.. باستفراغ الأولاد وبلاستفراغات والإفرازات والبصقات الأخرى الكثيرة الكبيرة الكريمة البذيئة.. وبلاستفراغات الأخرى التي تخجل الكلمات البذيئة من النطق بها، ثم يحمي أي الإله نفسه من كل هذه الاستفراغات أي من كل هذه النظافة والجمال والتكريم والتعظيم ليعرض بها الإنسان والكائنات الأخرى المستفرغة مؤثراً لها على نفسه..!

هل هو أسخى الكرم أن يهب الإله كل الكائنات هذا الاستفراغ ويحرم نفسه؟

هل هو إذن محب وصديق وعادل ونظيف ومريد وعاشق للجمال والنظافة في رؤيته ومواجهته ومعاملته وعقله وقنونه وأخلاقه؟

إن كان استفراغ وبصق وإفراز الأولاد وعملية الولادة قبحاً وقذارة وإهانة وتلويثاً وتعدياً وغيثاً فلماذا أصاب به الإنسان وكل المتوالدين؟ أما إن كان غير ذلك.. نقبض ذلك فلماذا يحرم نفسه منه.. لماذا يعادي نفسه كل هذا العدا.. لماذا الآلهة تعادي نفسها أقسى عدا.. كل هذا العدا.. لماذا؟

كيف يصيب المحب حبيبه بما يحمي ويرى نفسه منه بل وينزهها عنه؟؟

من صاغ وخلق هذا الكائن الذي لا يستطيع فهمه محباً ومبغضاً.. هذا الخالق الذي لا يستطيع كل التفاسير أن تكون شيئاً من تفاسيره؟ من صاغ الإله ليكون كما كان؟ كيف يصيب الجمال والكمال والنظافة والذكاء نفسه بنقيض ذلك أو يحرم حبيبه من ذلك ليصيبه بكل النقيض وبأقسى النقيض لذلك؟ كيف يحدث ذلك وهل حدث؟

كيف يريد ويدبر ويخلق كل الدمامة والوفاحة والعذاب من لا يريد إلا كل الجمال والشهامة والصفاء والحب والسعادة؟ هل حدث ذلك؟ هل وجد متهم بذلك؟ كيف وكيف يحدث ذلك؟ كيف تصوره من تصوره؟ وهل جاء تصوراً أم واقعاً؟ من صاغ الأشياء كما صاغها وكما جاءت، حتى الآلهة من صاغها بكل هذا القبح والسوء والبلاهة وهل يقبل أي صانع أن يصوغها هل يوجد صانع رديء وليست مثل صانع الآلهة؟ هل يستطيع صانع القبح والبلاهة ومتصوّروها أن يصفوا أو يتصوّروا مثل قبح الإله وبلاذته فاعلاً وذاتاً وشخصية، ماذا لو أن الإنسان لم يصب بالتوالد والولادة والأولاد ورأى ذلك

في غير ذاته، خارج ذاته ورأى وقرأ وفهم ووعى بداية ونهاية ونتائج وعواقب وآلام وتشوهات وتكاليف وعبث ومسؤوليات وتبعات وهموم كل ذلك بالفاعل وبالمفعول به.. لمن فعل ولمن فعل به؟

وماذا لو أن الإله الذي برأ وحمل نفسه من ذلك بعقل ووعي ورؤية أو بدون ذلك.. حماها وبرأها ونزهاها من ذلك أي من التوالد والولادة والأولاد؟

- نعم، ماذا لو أن الإله أصيب بهذا الذي حمل نفسه منه أي بالتوالد والولادة والأولاد كما أصاب وأصيب الإنسان والكائنات الأخرى بذلك؟

- نعم، لو أن ذلك حدث هل نستطيع حينئذٍ أو هل يخفى أو يمكن أن يخفى علينا ما يمكن أن يحدث أو ما لا بد أن يحدث أي ما لا بد أن يفعل الإله والإنسان رفضاً واشمئزازاً وانفجاعاً وغضباً وترويعاً؟ هل يوجد مقجوع مثل من يحكم عليه بأن يكون متوالداً؟ هل يمكن أن يتصوروا حينئذٍ أي الإله والإنسان مثل قبحهما وتلوثهما وتحقيرهما وعارهما وهوانهما وإهانتتهما وسقوطهما وتفاهتتهما وخزيهما أي لو حدث هذا المفترض فيهما ولهما؟

ماذا لو أحصينا أو حاسبنا أرباحنا وخسائرنا من ذلك.. أرباح وخسائر الإنسان منه وفيه أي نحن؟

ماذا لو أحصينا أو حاسبنا أرباح وخسائر الإله من الإنسان والدأ مولوداً متوالداً؟
أو لو أحصينا وحاسبنا أرباح وخسائر الإله من وجوده وإيجاده للإنسان أو من وجوده وإيجاده لنفسه أو من وجود وإيجاد أي شيء أو أي أحد حتى لأنبيائه وأوليائه وملائكته وزبانية وحراس فردوسه وجحيمه؟ هل فكر الإله أو محتواه في ذلك؟

ماذا لو كان نبلاً أو شهماً أو حكيماً أو رحيماً أو عجباً أو جمالاً أو إنسانياً أي الإله ثم رأى وقرأ وعرف الولادة والتوالد بداية ونهاية وتفسيراً ونتائج وتلوثاً وتكليفاً وإيماناً وكفراً واستقامة وعصياناً وثواباً وعقاباً وجنة وناراً وإغضاباً وغضباً للآلهة.. لكل الآلهة ولكل المعاني الجمالية الجحيلة ولكل شيء؟

هل يمكن حينئذٍ أن يصيب أحداً أو شيئاً بالتوالد والولادة والأولاد مهما كان خبيثه ودمامته وغباؤه وسفاهته وعبثه وعدوانه على نفسه وعلى كل شيء وكل أحد..؟ من زرع أو غرس أو طبع أو صنع أو أراد للإله وفي الإله وللإنسان وفي الإنسان وفي كل كائن ولكل كائن حي طبيعة أو قانون أو غريزة أو إرادة وتدبير أو استفراغ الولادة والتوالد؟؟ قبيح من فعل هذا، قبيح فاعله! هل وجد هذا الكائن الفاعل المرید لكل ذلك؟

هل كان بليداً بلا مثيل أو وقحاً بلا مثيل أو وحشاً بلا مثيل أو مریداً عاشقاً للألم والهوان والتحقير والتعذيب والتشويه والتعبير والتحير والتوريط والإحراج ومشاهدة ومواجهة ومعايشة كل ذلك بلا مثيل؟

هل كان كائناً لا يمكن أن يرى أو يقرأ أو يقتصر أو حتى يفترض؟ هل يستطيع افتراض هذا

الكائن؟ ومهما كان موجوداً هل يستطيع الافتراض افتراضه أو يجزؤ على افتراضه؟ هل تستطيع كل الافتراضات أن تقبله أو تحسبه أحد افتراضاتها؟

إذن كيف حدث ذلك؟

كيف أسكن أن تهان وتعذب وتفجع وتشوه عيون وقلوب وأخلاق وعواطف وضمائر وصعود وتجارب الشمس والنجوم والسحاب برؤية ومواجهة ذلك أي التوالد؟

أليست قضية التوالد هذه تنفي أن يكون داخل هذا الكون أو فوقه أو حتى حوله أي كائن.. إله أو غير إله قادر له عين أو عقل أو ضمير أو عواطف أو أخلاق ترى أو تفهم أو تحاسب أو تحاكم أو تسائل أو تقرأ هذا البصاق والامتفراغ والإفراز المسمى توالداً وولادة؟

كيف يطلق بداية استفرغية وبعقية وحملأ وتحملأ واستقبلاً ثم بصقاً واستفراغاً وإخراجاً له بذلك الأسلوب، معاناة وتكوناً وتكويناً وبكاءً ثم مقاساة ومعاناة وتفسيراً ثم استفراغاً وإفرازاً ثم ذعراً دائماً ثم توقفاً أليماً دائماً ثم موتاً وقبراً وماتماً وعويلاً ودفناً في التراب، ثم أحزاناً وذكريات نادرة كيبية وقبيحاً وعاراً وسباباً ومشاكل وورطات وغيرها، وغيرها يصنعها كلها هذا المولود.. وأيضاً هموماً، هموماً مختلفة الأنواع والجنسيات والجهات والقراءات واللغات والتفاسير والرؤى..

أليس كل هذا بعض تفاسير ومعاني هذه الولادة والمولود؟



قالوا إن الإله لا يلد.. قال هذا كل الأنبياء والأولياء والمؤمنين ولكن هل مثل الإله أو مثل الآلهة ولادة؟ هل يوجد والد لكل شيء مثل الإله أو غير الإله أي كل الآلهة؟

أليس الإله هو الوالد لكل شيء حتى لأحق الحشرات ولأفدح العاهات والنشوهات والذمامات والآلام والهموم؟

أليس هو الوالد لكل ذلك وللأشبع من كل ذلك بعقله وقلبه وأخلاقه وإرادته وشهوته ومنطقه ويديه وأعضلاته وجماله ومباهاته وكبريائه وغروسياته وبكل معانيه؟

أليست ولادة التدبير والتقدير والتخطيط والخلق والإرادة هي أعظم وأشمل وأقوى الولادات بل وأصدقها؟

إن كل الوالدين والمولودين ليسوا إلا ولادة والد واحد..!

قبل أو كيف إذن لم يقل: أيها الإله لماذا تفعل ذلك وترضى به وتصر وتسكت عليه وعنه وعلى من يفعلونه ويتعذبون ويتلذثون ويعذبون ويلذثون به؟

هل غذاؤك ومجذك وفرحك وسعادتك وشهامتك وكبرياؤك وقوتك وعبقريتك ولحن وجودك واقنعاك بوجودك وبقيمة وجودك ويقاالك في أن ترى وتشاهد وتواجه ذلك ومن يقاسونه ويتعذبون ويتلذثون به؟

هل التفسير أن الإله لا بد أن يضرب ويفعل كل الضربات والأفعال بارداً وأبليد وأقبح أساليب المشوائية.. لا بد أن يشوه ويلوث ويعذب ويؤرط ويهادي ويؤذي ويحرج ويقتل ويخاصم ويفجع بلا أية رؤية أو حساب أو منطق أو عدل أو استحقاق أو تدبير أو تفكير أو شرف أو رحمة أو حكمة أو كرامة أو تقوى أو تدين أو عيون ترى وتحاسب؟ هل هذه وظيفة الإله وسعادته وعقله وأخلاقه وكل رؤاه وحساباته لنفسه ولكل شيء؟

هل كل التفسير للإله أنه قوة باطشة عمياء بكل ضلالات البطش والعمى وبكل معانيهما وصيغهما وتفسيرهما.. يتحرك ويضرب ويفعل بلا رؤية أو حساب أو منطق أو نتائج أو بحث عن أية نتيجة أو هدف أو حساب أو ضرر أو نفع أو عن أي شيء جيد جميل أو رديء دميم؟ هل الإله يفهم الفرق بين هذا ونقيضه.. بين الشيء ونقيضه.. بين أن يهب الحياة والوسامة أو يهب الموت والدعامة.. يهب الذكاء والشهامة أم يهب الغباء والنذالة؟ إن كان يفهم هذا الفرق فلماذا لم يعمل ويتقيد به وإن كان لا يفهمه فوأسفاه على الكون الذي يدبره ويخططه ويصوغه ويخلقه، ووأسفاه على من يتعامل ويعمل معه وله وعلى من يقرؤه أو يفترسه أو ينتظر منه وله؟

هل هو أي الإله يفتق العينين ويقطع أو يشل اليدين والرجلين ويحني الظهر ويمرض ويشوه ويهرم ويضعف ويصنع العاهات والدماصات والنشوهات ويقتل أي يميث بالأساليب والنيات التي يفعل بها النقيض؟

إن المفترض والمعتقد أن الإله هو الذي صاغ كل الكون وكل شيء بكل صيغه وتفسيره ونماذجه وأخلاقه ومعانيه.. صاغه يديه وعضلاته وبأخلاقه ومنطقه وإرادته وتدبيره..!

إذن الصائغ لكل شيء في الإله.. الصائغ لكل صيغه ونماذجه وتفسيره وشهواته ومطامحه ورؤاه أي الإله من صائغها.. من صاغه ويصوغه؟ من صاغ الصائغ؟ أليس كل صائغ مصوغاً؟ أليس كل مصوغ مخطط مراد مدبر له صائغ مرید مدبر مخطط؟

المصوغ أو الكائن بلا صائغ قبله كيف تجيء صيغه؟ على حساب أي قياس أو نموذج أو مستوى أو نوع يجيء بلا كائن قبله أعني أي كائن يجيء أو يمكن أن يجيء؟ كيف تجيء كينونته بلا مرید أو مخطط أو راسم أو قادر أو قاعل أو مختار؟ كيف يجيء كينونة أو صيغة أو ذاتاً؟ وكيف يختار ذاته وصيغه لو أراد وقدر أن يختارها؟ إن ذلك أسلوب من الوجود قبل أي وجود..!

قبل كل قبل كيف يختار النموذج الذي يجيء به أو كيف يختار له أو كيف يختار الصيغة التي يخلقها ويخلق بها وهو مطلق الإرادة والرؤية والقدرة والاختيار وهو مطلق الفنى عن كل شيء؟

كائن يستطيع كل شيء وغني عن كل شيء ويستوي لديه كل شيء بأي أسلوب أو حساب أو منطق أو نموذج أو حتى تدبير أو تقدير يفعل ما يفعله؟

بأي منطق أو ضرورة أو جمال أو فن أو قانون أو احتياج أو سعادة أو فرح أو شهامة أو التزام أو عبقرية يخلق المخلوق الأعظم الأول الإنسان أو أية حشرة أو أي كائن أو أي شيء يخلقه بهذه الصيغة، في هذا الزمان، في هذا المكان.. يخلقه متوالداً يخلقه بتعذب ويخاف ويشقى ويمرض ويشيخ ويهون

ويموت بعد أن يقاسي ويواجه ويمارس كل الفسوق والتلوث والفضلال والهوان والتشوه والعذاب والعار والآلام والآثام والعصيان والكفر والسب والتحقير للآلهة ولكل شيء؟

كيف يخلقه ليؤذيه ويعصيه ويغضبه ويغضبه وقد خلقه حراً مطلق الرؤية والتدبير والقدرة والتصرف والإرادة أي الخالق وقد خلقه كذلك وهو كذلك بدءاً بلا أي نموذج أو مثال سابق؟ كيف فعل الخالق ذلك بنفسه؟

هل يستطيع التصديق أنه قد فعل ذلك؟

هل خلقه وخلق كل شيء كذلك بدءاً لأنه لا يعرف غير ذلك أو لأنه لا يستطيع غير ذلك، أو لأنه يكره غير ذلك أو لأنه مكره على ذلك أو لأنه رأى ذلك كل الجمال والكمال ورأى غيرهما كل الدمامة والنقص وهو العاشق أبداً لكل الكمال والجمال اللذين هما كل الدمامة والنقص؟ ولكن أليس محتوماً أن الخالق فاقد كل الفقد للتمييز بين الجمال والكمال ونقيضهما.. بين الشيء وضده؟ إنها حيرة.. أقسى حيرة، أنه لا جواب أي جواب..

هل يمكن أن يوجد مدافع أو مفسر أو فاهم أو مقتنع في هذه القضية بل أو في أية قضية إلهية أو كونية أخرى؟ إن العلاقات بين الإله والكون لكل الإذلال والهزيمة والتحقير للعقل والاستهزاء به..!

كيف سحرت كل العقول والقلوب والأخلاق والرؤى والآراء لتصبح تفهم وتعقل وتصدق وتقبل ما لا يفهم أو يعقل أو يقبل أو يصدق أو يفهم؟ كيف سحرت بكل هذه القوة والقسوة؟ من سحرها، من ساحرها؟ لقد سحرت بسحر لم يعرف أو يستطيع أو يتصور كل السحرة له مثيلاً؟

هل سحرت أم هي الفاعلة بنفسها ذلك؟

هل الساحر مسحور أم مسحور أم ساحر لنفسه؟

هل المخلوق مخلوق أم متخلق أم منخلق أم خالق لنفسه؟

وأنت يا إلهي كيف تركت الأشياء ومنها الإنسان تجيء كما جاءت وكما تجيء؟ ألا تخشى من قبح وفحش وفجيرة المواجهة؟ أليست المواجهة الأليمة القبيحة فاجعة؟ هل يوجد أفجع من مواجهاتك إن كان فيك شيء من طاقات المواجهة ومواجهها ورؤاها؟

أين عقلك وأخلاقك وعدالتك وشهامتك ورؤاك وحساباتك لتقول لك: إن كان التوالد جمالاً أو غيراً أو نفعا أو قوة أو حياً أو راحة أو نظافة أو عبقرية أو انتصاراً أو إشاراً فلماذا لا تتوالد أنت؟ لماذا تحرم نفسك من هذه المزايا؟ أليس الإله والألوهية مزايا؟ هل تقبل أن تكون كل المزايا لمن تخلق وأن يكون لك أنت يا إلهي كل الحرمان من ذلك وهل قررت يا إلهي أن يكون كل القبح لك وفيك وكل النبل والجمال لغيرك وفي غيرك؟ كيف تقرر أو ترضى أو تقبل أن يلد الإنسان إنساناً مثله أو أعظم منه وأن تلد أنت أي بأخلاقك ومنطقك وإرادتك وتدبيرك وحبك وشوقك وقنورك كل الجراثيم والحشرات والعاهات والتشوهات والدمامات والآلام والأمراض والشبغوخة والموت والمآتم والمقابر والقبور والجنائزات؟

أليست كل هذه ولادة معانئك.. كل معانئك؟

أما إن كان أي التوالد عكس ذلك أي ضد هذه المزاجا وخروجاً عليها فلماذا حكمت به على الإنسان وعلى كل كائن حي؟ هل تسمع وتعي يا إلهي هذا التساؤل بقدر ما يعني ويساوي؟ ما أعظم أن يسمع الإله ويحي وما أنفع ألا يسمع الإله وألا يعي؟ هل يوجد أو يبقى أي شيء كما هو لو كان الإله يسمع ويحي؟ كيف والفرق عظيم بين توالد الإله وتوالد غيره في حساب الخير والجمال والنفع والنظافة والقوة والضعف والإرضاء والإغضاب والتجميل والتشويه لك ولكل شيء؟



آه، هل تخاف يا إلهي لو ولدت أن ينافسك أولادك أو يغلبوك أو يسقطوك بشوة كثورات البشر المسقطاة الساقطة أو أن يسلبوك ألوهيتك ومجدك أو أن يحسبوا أذكى أو أجمل منك؟ هل أنت تغار وتخاف من المنافسة والمقاومة ومن التفوق عليك حتى ولو كان المنافسون المقاومون المنفوقون الناثرون هم أبناءك أو أحفادك؟

إذن لماذا لم تخف شيئاً من هذا الخوف على الإنسان المتوالد وعلى جميع الكائنات الأخرى المتوالدة؟ هل أنت أناني بكل هذه القسوة والفظاعة والقباحة والشراسة والشراسة؟

ولكن يا إلهي كم يجب عليك ألا تخاف شيئاً من هذا الخوف لو توالدت ومهما ولدت لأن من تلدهم حيث لا بد أن يكونوا ويعيشوا بأخلاق وآداب الآلهة فلا خوف عليك منهم بل لا بد أن يكونوا فرحاً وأنساً ومجداً وقوة وجمالاً وعوناً ومسلّة وعزاء وجلساء وأصدقاء ومستشارين صادقين مخلصين لك.. لا بد أن يكونوا تعويضاً جيداً لك.. عن المآخذ عليك..!

هل يوجد محتاج إلى هؤلاء وأمثالهم وإلى مساعدتهم الشاملة الدائمة مثلك يا إلهي ومثل كل إله؟

أليست الآلهة كما يقال تقول ويقول كل أنبيائك وتعاليمك وأديانك وكل معلميك والمعلمين عنك وبك ولك؟

- نعم، أليست الآلهة كما يقول كل شيء جمالاً وفرحاً وحباً وعدلاً ورضاً وصدقة وعوناً وحماية فكيف بهم متعاملين مع آبائهم؟

إذن ليكن يا إلهي كنت تلد ليكون لك أبناء آلهة!



وهل أنت يا إلهي تخاف أو تغار أو ترفض أو تشمت؟

لو كنت شيئاً من ذلك فهل يمكن أن تخلق الأبالسة والشياطين والأشجار والطلخاة العصاة وكل الخارجين المنتصرين عليك وعلى كل رسلك وأنبيائك ومعلميك وكل المذلين الهازئين الساخرين منك

وبك الساحيين منك كل مجدك وشرفك وكرامتك وكبريائك الهازمين لكل أوامرك ورغباتك وشهواتك ومطالباتك وأشواقك وأفراحك وانتصاراتك وتوقعاتك وفراءاتك...؟!

هل وجد من يصنع كل الغيظ والغضب والانفجاع والاشمئزاز بل والعذاب والاحتقار لنفسه ولكل أحد شيء غيرك يا إلهي أو مثلك يا إلهي؟

ليتك يا إلهي كنت تخاف أو تغار أو ترفض أو تشتمز أو تحقد بعينيك أو بعقلك أو بقلبك أو بضميرك أو بأي شيء من أخلاقك أو معانيك...! إنك لو كنت كذلك لكان محتوماً أن تحوّل نفسك وكل شيء إلى حرائق... إلى حريق، أو أن تصوغ نفسك وكل شيء صياغات أخرى جداً أخرى...! أعني أخرى مناقضة جداً جداً لأي تقارب أو تشابه...!

هل وجد أو يوجد من يستحق شيئاً من الاستنكار والغضب والغيظ والاشمئزاز والحساب والعقاب والرفض والعار الذي تستحقه كله أنت يا إلهي على ما فعلت بالإنسان... على إهانتك وتحقيرك وإذلالك وتبليدك وتضليلك وتجهيلك وتلويثك وإفسادك لكل معانيه ومستوياته... لعقله وأخلاقه وذكائه وتقواه وإيمانه وتصوّره...

حين جعلته يستطيع أو يجزّ أن يفهمك أو يعقلك أو يبدك أو يفرك أو يؤمن بك أو يراك أو يقرأك أو يفترق في أي زمان أو مكان أو شيء أو حدث أو منطق أو تفسير...

.. في أية أمة أو آفة أو صرخة أو دمة أو تشوّه أو مرض أو شبحوخة أو موت أو مأتم أو فضيحة أو عجز أو عار أو هزيمة أو خطيئة أو نذالة أو مهانة أو إهانة أو قباحة أو وقاحة أو في زلزال أو بركان أو طوفان أو إعصار أو قحط أو وباء أو في حرب أو عداوة أو خصومة...

أرادها وأحبها وحبل بها وولدها عقلك أو قلبك أو عراطفك ومشاعرك أو أخلاقك أو كبرياؤك وشهامتك أو يدك أو عضلاتك؟ رهيب، رهيب ما فعلته بالإنسان يا إلهي؟ إنك لن تستطيع أن تجد أية كفارة تتقدم بها إلى الإنسان تكفيراً عما فعلت به...!



كم هو خروج على تفاسير وحدود كل منطق وعقل وأخلاق وحساب أن تتكر وترفض يا إلهي أن تلد ذاتك كما تلد كل الذوات الأخرى... أن تلد ذاتك الإلهية ذوات أخرى إلهية ثم تقبل وتعلن وترضى بكل المباهاة والإعجاب والفرح والسعادة أن تلد أخلاقك وضميرك وعقلك وحبك وجمالك ونظامك وتديرك وتخطيطك وإرادتك وعبقريتك...

كل شيء... كل الحشرات والحيوانات والآفات والدمامات والتشوّهات والموت والأمراض والأبالسة والشياطين والطفة والدموص والكفار والشجار والأنذل والأخساء والأحقاد والبهضاء والعداوات والخصومات...؟!

أليست كل هذه وكل هؤلاء ولادة كل معانيك وتفسيرك؟ هل كان يمكن أن يلدها أو يلدهم غيرك... يا إلهي الجميل الحبيب العفري؟

ألست قد ولدتها واستفرغتها وقذفت بها من كل أرحام وأسعاء ومعاني ذاتك بكل أشواقها ونشواتها وشهواتها وحساباتها بكل جنون الكبرياء والإعجاب والرضا والاطمئنان وبكل مشاعر الإحسان والامتنان إلى من فعلت بهم ومعهم ولهم وفيهم ذلك؟

أليس كل ما يفعله الكائن أي كائن هو ولادة معانيه.. ولادة عقله أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه أو إرادته أو ضرورته أو ولادة كل ذلك فيه بل هو ولادته حتى ولو فعله بغير إرادته؟ أليس كل إيجاد ووجود ولادة وتوالداً؟

إن الولادة الجسدية قد تكون غير محاسبة أو معاقبة أو حتى ملومة أو مذمومة مهما كانت مشوّهة أو أليمة بل قد تكون معذورة ومغفورة ومرحومة، لأنها من حيث البدء والبدء بلا إرادة أو تدبير أو تفكير أو قصد أو قدرة على منعها مهما كانت إرادة المنع.. أليس توالد الإنسان قد جاء كما جاء توالد الحيوان؟

أما الولادة المعنوية.. ولادة التفكير والتدبير والتخطيط والخلق والإيجاد والعياغة والإخراج فإنها تستحق كل المحاسبة والمحاكمة والعقاب والثواب والاستكثار أو كل الشكر والثناء والرضا والإعزاز والتكريم على حسب مجيء المولود أو المخلوق!!

أليست هذه الولادة هي الولادة؟ أما ولادة الجسد فليست ولادة ولكنها بصق واستفراغ وإفراز..!

.. الإله يلد عقله وقلبه وضميره وخلق وفنه وإرادته وحبه وجماله وعيقرته الذهاب والبرغوث والجرثيم والذئب والوحوش وكل العاهات والتشوّهات والآفات وكل ما يرى ويعلم وكل ما لا يرى ولا يعلم، ويرفض بكل الكبرياء والفخر والإعلان عن المجد والكرامة والشهامة أن تلد ذاته إلهاً عظيماً مثله.. هل الإله كذلك أو يمكن أن يكون كذلك؟

كيف وجد من يصدق هذا أو يعقله أو يفهمه أو يفقره أو يعذره أو حتى يتصوره؟ كيف جاءت صيغة هذا الإله وكيف قبلها؟ وهل جاءت أي صيغة هذا الإله؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد من يستطيع تصديق ذلك أو يجرؤ على تصديقه؟ كيف حدث ذلك؟



نعم، إن أولادك يا إلهي لو رزقتهم لجأؤوا عوناً مربحاً جداً لك ولحملوا عنك كثيراً من أثقالك وهمومك ومعاناتك وهزائمك ومسؤولياتك ومن تفردك بكل هذه الأعباء والآلام والورطات والإهانات والمهانات والعصيان والتحدي والتحقير لك مواجهاً ومقاسياً لكل ذلك وحدك لأنك الكائن وحدك والمرهد للوحدانية وحدك..!

ما أقبح وأقسى الوحدانة حتى وحدانية الألوهية.. ولعل وحدانية الألوهية هي أقبح الوحدانيات..! إنه لا كائن في هذا الوجود يريد أو حتى يقبل الوحدانة لنفسه غيرك يا إلهي ليكون وحده المسؤول المحاسب المحاكم عن كل شيء.. المتهم الملوّث بكل شيء وبكل ما يكون ويحدث..

إن الوجدانية ليست مزية ولا راحة ولا تفضيلاً ولا تفوقاً في أي شيء.. ولكنها مبالغة في التعذيب والتلويث والاثام..!

فكيف يا إلهي أردت لنفسك الوجدانية.. هذه الوجدانية.. هذه الوحدة المطلقة في عذابها وقبحها ومسؤولياتها؟ من خدعك يا إلهي كل هذه الخديعة؟ وكيف قبلتها؟
أكنت يا إلهي مسعداً للاتخاذ كل هذا الاستعداد؟ إذن هل يوجد مثلك ضعفاً وانهزاماً يا إلهي القوي الجبار؟



آه يا إلهي العاجز عن الرؤية بكل معانيها وتفاصيلها وأعضائها وأخلاقيها وتعبيراتها.. وهل مثلك عجزاً عن ذلك؟

أجل يا إلهي هذا أنه لو كان لك أبناء لكان محتملاً بل يقيناً محتوماً أن يعرفوا ويتكروا أساليب ووسائل أخرى عقلية وفنية وأخلاقية ودعائية وتعليمية جديدة وقوية تكون أذكى وأقوى وأقدر على هزيمة وإذلال وسحق كل أعدائك وعلى إرشاد وتعليم وإقناع كل الخارجين المتمردين عليك المعاصين لتعاليمك الهازئين الساخرين بها وبأوامرك ودعاتك.. يا إلهي المهزوم في كل حروبه ومفاوضاته ومخاصماته ومحاوراته وتعاليمه وحياته ووجوده..! هل وجد مهزوم مثلك يا إلهي؟ إن أساليبك ووسائلك في هذه القضية هزيلة وضعيفة ومهزومة بلا مثل في كل أساليب وضعفها وهزائمها وهزالتها.. إنه لا أحد يحتاج إلى المساعدة على هزائمه مثل الآلهة..! إن هزائم كل المهزومين في كل تفسير الهزائم وتعبيراتها ومعانيها ودلالاتها لا تساوي هزيمة واحدة من هزائمك الشاملة المتعددة الصيغ والأنواع والتفسيرات يا إلهي..!

إن هزيمة واحدة من هزائمك يا إلهي أمام انتصارات إبليس المسكين عليك يا إلهي لتتحول إلى أقوى اعتذار واستغفار عن كل الهزائم التي يصاب أو قد يصاب بها كل المهزومين في كل الأمكنة والأزمنة.. إن هزائم كل المهزومين لتتحول إلى أقوى بل إلى كل الانتصارات محاسبة ببعض هزائمك يا إلهي أمام إبليس المسكين.. أمام أي خارج عليك ومخالف وخصم لك وساحر هازيء بك ومنك ومتحد لك..!

إن كل الكون والكائنات والجن والإنس وكل السموات وكل سكان السموات وكل ما كان ويكون وكل شيء - لو تحول كله إلى بكاء ورناء وعزاء وآهات وأتات ودموع ومآثم لما أصبح شيئاً كافياً من الحزن والأسى والعزاء لشيء من هزائمك وفنائك وفواجعك وعذابك وحسراتك على نفسك يا إلهي، إني يا إلهي أتعذب لك مثلما أتعذب بك..!



يا إلهي كيف تأتي أو تكثير أو تنظف أو تأنف من أن يكون لك زوجة أو خطيبة أو آباء أو

أبناء أو أقارب ثم لا تأنف أو تأبى أو تستكبر أو تنتظف من أن يكون لك عبيد وخدم ورجال دين وهاتفون مصلون منافقون مأجورون مرتشون أذلاء جبناء أغبياء حقراء ماسحون للثراب بجباههم بل ملوثون للثراب بلحاهم وجباههم بل وتسعد وتفرح وترضى وتفخر بأن يسجد ويركع ويخضع ويصلي لك أحقر وأبله وأكذب وأجهل وأندل مخلوق... ملقاً ونفاقاً وهواناً ورشوة وخداعاً؟

كيف تقبل أن ترشو وترشى وتعامل المرتشين وتعامل بك ومعك الراشون المرتشون، ثم ترفض بكل الكبرياء والغرور والابتهاج والسعادة والتعالي أن يكون لك أهل.. زوجة أو أبناء أو آباء أو أشقاء أو أتراب أو ذور رحم..؟

.. تقبل بل وتطالب أن تكون مسجوداً لك مرفوعة موجهة إليك أعجاز الساجدين، ملقاة في عينيك وعلى وجهك، ثم ترفض بكل العنف والوحشية والنزق أن يكون لك ابن أو أب أو أخ أو قريب؟ ما أقبح منظرك مسجوداً لك، وما أقبح الساجد لك رافعاً عجزه إليك لتسعد وتفرح وترضى وتجزي على ذلك!.

كيف استطاع أو يستطيع يا إلهي أي عقل أو خلق أو تصور أو بصر أن يعقلك أو يفهمك أو يتصورك أو يقبلك أو يغفرك أو يراك في هذه القضية أو في أية قضية أخرى؟ كيف يمكن أن توجد في أي شيء من هذا الوجود؟ كيف أمكن أو يمكن أن تراك أية عين في أية صيغة من صيغ هذا الكون؟

.. إنه لو عوقب كل من يستحق العقاب على كل أخطائهم وخطاياهم ومظالمهم وقبائحهم ووقاحاتهم وفحشهم وبذاعاتهم وبلاذاتهم لما استحقوا شيئاً مما تستحقه أنت يا إلهي من ذلك على واحدة من خطاياك أو أخطائك!..

هل كان يمكن أن توجد أية أخطاء أو خطايا لولاك يا إلهي؟؟



آه، كيف يمكن ذلك؟

كيف يستحق العقاب أو العذاب أو اللوم أو التعنيف أو الورطات أو الأزمات من تلد ذاته أي أحشائه مولوداً ولادة طبيعية اضطرارية غير إرادية مثلما يستحق كل ذلك وأقصى من كل ذلك من تلد كل معانيه كل القبح والفضح والنذالات والجهالات والأخطاء والخطايا والورطات والآلام والعذاب وكل الفاعلين لكل ذلك وكل المعذبين والمصابين والمعاقبين بكل ذلك.. المحكوم عليهم بكل ذلك.. من ولدت معانيه كل وجود وموجود؟

هل يستطيع أي متصور مهما كان فساد وقبح وبلاذة تصوره أن يتصور كائناً عظيماً أو حتى حقيراً يرفض أن يلد إلهاً برحمه وأحشائه وعلاقاته الجنسية أو بعقله أو قلبه أو شهواته أو أشواقه أو أخلاقه أو يارادته أو يديه وعضلاته أو بكل ذلك - أليست هذه الولادة هي أنبل وأنفع ولادة إن كان في أية ولادة أو في أي إله أي نفع أو نيل.

- نعم، يرفض أن يلد إلهاً ثم يهب كل أوقاته واهتماماته وطاقاته وعضلاته وذكائه وعقله ومجده وفرحه وسعادته وتقواه ونيله الذي يستحق عليه كل الشكر والحب والثناء والعبادة أي إذا صدق ما يقول المؤمنون الصالحون لكي يلد كل أنواع وأجناس الحشرات والحيوانات والآفات والمآهات والآلام والهموم والفضائح والأخطاء والخطايا والنقائص والغضب والفيظ والهوان والتحقير لنفسه ولكل شيء ولكل أحد.

.. لكي يلد كل ذلك بكل معانيه.. بكل معانيه المادية والأدبية والنفسية والفنية والشعرية والدينية مرسلاً كل أنبيائه ومعلميه ودعاته مبشرين بذلك ومعلمين له ودعاة إلى الإيمان والالتزام به..



أيهما أقيح أو أنذل أو أسفه إنسان أو أي كائن آخر يلد جسده كائناً أي مولوداً مثله وأحياناً أعظم منه أم أن يتكثير ويترقع وينتظف عن مثل هذه الولادة الجسدية أو حتى المعنوية لكي يذهب يعلن ويفخر ويفرح ويباهي ويناضل ويحارب ويقاسي لكي يستطيع ويدبر ويخطط أن يلد ذبابة أو صرصاراً أو برغوثاً أو أية جرثومة مرضية أو حشرة أو آفة أو عاهة أو أي تشوه في أي وجه بريء نقي صفي نقي مؤمن..

لكي يلد كل ذلك بكل معانيه وإراداته وتدابيره وتصميمه وفرحه وشهامته وعبقريته؟

أليس الإله يفعل كل ذلك بكل هذه المعاني؟ وهل يفعل كل القبح والسوء والفحش والعدوان والغباء والتذالة بكل الإعجاب بالنفس والرضا عنها غير الإله؟ فكروا في هذا يا من لم تجربوا أن تفكروا..! هل جنّ كل البشر مثلما جنوا في هذه القضية؟

هل عقل البشر مثلما جنوا؟

هل جنوا جداً لأنهم عقلاء جداً؟

هل جاء الجنون والغباء عقاباً للعقل وللذكاء؟

هل تصوّروا مجنوناً مثل إلههم هذا أو جنوناً مثل جنون إلههم هذا؟

هل يعاقب العاقل بالجنون بقدر عقله؟

هل يجن جنناً من لم يكن عاقلاً جداً.. من لم يكن مفترضاً فيه أن يكون عاقلاً جداً؟ هل

يجن جنناً إلا من كان عاقلاً جداً؟

هل فرض على العقل والذكاء أن يصابا بنقيضهما بقدر ما يكبران ويدعان ويكونان؟ هل وجد

أعظم عقل وذكاء بلا أقيح وأردأ وأنذل وأفجع جنون وغباء؟

من قضى وقدر وصم أن يعاقب الجمال بالدمامة والقوة بالضعف والعمود بالهبوط والصحة

بالمرض والرؤية بالعمى والحياة السعيدة بالموت الحزين..

والحياة النابضة القاعلة المبدعة بالموت الخامد الصامت؟

.. أن يعاقب عبقرات الإنسان وتفوقه بإيمانه بالآلهة؟

هل تنازل كل البشر.. كلهم عن كل ذكائهم وكرامتهم وكبريائهم ورؤيتهم وعن كل معانيهم وتفسيرهم الإنسانية والأخلاقية والعقلية والعلمية والحضارية مثلما تنازلوا عن كل هذا في هذه القضية بل وفي كل قضاياهم الكبيرة؟

هل اعتدي على عقل الإنسان وعلى ذكائه وكرامته وكبريائه ورؤيته مثل اعتداء الإله عليه، على كل معانيه.. مثل اعتداء الإيمان بالإله على كل وجوده وصيغته وتفسيره وتعاليمه ولغاته وعلى كل صداقاته وعلاقاته وعلى حبه وبغضه وعلى كل رؤاه؟

هل أساء البشر إلى أي كائن أو شيء أو حقّره أو سبّوه أو فضحوه أو شوهوه أو هبطوا به أو عبروه أو أخرجوه أو أظهروه عجزه مثلما فعلوا بالإله حين آمنوا به ووصفوه بكل هذه الأوصاف وفشروه وعاملوه كما فشروه ويفسرونه وكما عاملوه ويعاملونه ويعلمونه ويعلمونه وكما اعتقدوه وآمنوا به وشرحوا أسباب إيمانهم به واعتقادهم له؟ وهل رؤي شيء بالدماثة التي رأى وفسر بها المؤمن إلهه؟

وأيضاً هل أساء البشر إلى الإله مثل إساءاتهم إليه حين دعوه وشكروا إليه وطالبوه بأن يرى ويسمع ويستجيب وينقذ ويعالج، ذارقين كل الدموع والتضرعات والأثبات والآهات في أذنيه وعينيه وقلبه وفكره وأخلاقه وتحت عرشه..

دون أي احتمال لأن يسمع أو يستجيب أو يفعل أو يحتمل أن يفعل أي شيء يطلب منه أو يفترض فيه أو ينتظر ويؤمل منه وفيه أو يجب عليه؟ هل أخرجوه أو فضحوه أو سبّوه مثلما فعلوا به كل ذلك حينما ذهبوا يدعونه ويشكون إليه ويطلبون من مؤملي أن يسمع أو يستجيب؟

هل يوجد أقبح أو أردأ من الإله بكل ضخامة ومجد وتكاليف الإله بل وإرهابه بلا ذات إله.. بلا أي معنى من معاني الإله المطلوبة والمفطرة والمتنظرة والمعلمة المدرسة.. من الإله بلا إله؟

إنه لن يوجد من يجب أن يقاسي من عذاب الخجل والإحراج والافتضاح مثل الإله أي لو كان موجوداً سامعاً مواجهاً للضارعين الداعين الطالبين المطالبين بكل الإنقاذ والمساعدة السريعة الحاسمة الشاملة منه، من أخلاقه ووعوده وحبه ورحمته وواجبه دون أن يفعل أو يريد أو يستطيع شيئاً من ذلك!..

هل حقّر أحد بشيء مثلما حقّر الإله بالإيمان وبالمؤمنين به؟ وهل حقّر وأهان البشر شيئاً أو أحداً مثلما حقّروا وأهانوا الإله حين آمنوا به كل إيمانهم به؟

هل اعتدى على الإله بكل معاني الاعتداء غير المؤمنين به المعلمين عنه وله.. المفشرين المعلمين لحكمته ورحمته ومنطقه وأخلاقه وجماله حتى حين يزرع العاة في الوجه البريء الجميل.. يزرعها في الوجه الجميل البريء التقي المؤمن به جداً جزء له على إيمانه أو على معنى آخر فيه جميل أو بريء أو تقي أو ذكي أو عبقر..؟! أليس أصحاب كل هذه المزاي لا بد أن يعاقبوا بكل أنواع العقاب أو بشيء منها؟

هل حُفِرَ أو اتهم البشر شيئاً مثلما فعلوا كل ذلك بالإله زاعمين ومعلنين ومعتقدين أنهم يصنعون له بذلك كل المجد والتعظيم والفرح والسعادة والجمال والكرامة والكبرياء؟

هل اعتدى أحد على أحد أو شيء مثلما اعتدى الإله على الإنسان بتنصيبه لنفسه رباً له أو مثل اعتداء الإنسان على الإله لإيمانه وعلاقاته به؟

هل حكم على الإنسان أن يعاقب على تفوقه الشامل الذي هو بلا مثل بتخلف هو بلا مثل في قبحه وشمونه واقتضاحه وفضحه؟

هل من قوانين هذا الوجود أن يجيء الهبوط الأليم الفاجع مساوياً لل صعود العالي؟

هل يجيء كل شيء معاقباً بنقضه عقاباً مساوياً لقيمه وعظمته؟ هل يكون أو يجيء أو ينتظر أن يكون تخلف وهبوط الكائن حتى الإله بقدر صعوده وتفوقه؟

هل يكون عذاب الكائن وحيرته وورطاته ومشاكله وعذابه بل وعجزه وهزائمه بقدر عظمته ومجده وقوته وقدرته وانتصاراته؟

هل تكون قسوة موته مساوية لضخامة حياته؟

من فارض هذا النظام أو هذا القانون؟

إن واضح قوانين هذا الكون وكل كون ووجود ليس قانونياً، إنه أجهل من كل الدارسين لكل القوانين والمتعاملين بها ومعها بل ومن الخارجين عليها..!

إن كل الخارجين على القانون لا يساؤون في خروجهم شيئاً من خروج واضح قوانين هذا الكون ومريدها ومدبرها والحاكم المحاكم المحاسب بها وعليها في خروجه على كل قانون وحساب ومنطق وذكاء وعقل وعدل وأمل وانتظار بل وبسالة شهامة..!

هل يكون الكائن مشوهاً معاقباً مهدداً بقدر صعوده وتفوقه؟

من أراد ودبر وحقق وقدر وشرع هذا القانون؟؟

إن هذا القانون موجود بكل القسوة والوحشية مهما جهل واضعه ومريده ومنقذه والمحكوم عليهم بالتعامل به ومعه..! إن من يصاب بعاهة أو بتشوه أو يعمى أو يضعف أو يشيخوخة يجهل أن ذلك خروج على القانون..!

أليس الإنسان يهبط ويفتنح ويتعذب ويتلوث ويفجع ويهون ويخاف ويذل ويكذب وينافق ويخجل ويهزم ويفسق ويسقط ويعبد الآلهة التي لم توجد ولن توجد دون الحشرات أو أكثر وأهون من الحشرات أي بقدر تفوقه وصعوده عليها.. بقدر تفوق صعوده على صعودها؟ لتفوقه عليها جاء أكثر وأشمل وأقوى شروراً وآلاماً وعذاباً وهواناً وآثاماً وفسوقاً منها أي من الحشرات..!

أليسا أي الإنسان والحشرة بشقيان أي مادياً ومعنوياً ويقاسيان من العار والفضائح والعذاب والهوان والهزائم والمخاطر والمخاوف والضيايق بل والتبذير بقدر تفوقهما وصعودهما وبقدر هبوطهما وتخلفهما أي كل واحد منهما أي بقدر كل منهما صاعداً وهابطاً؟ إذن أيهما أعظم وأفضل حظاً في

حسابات المقاييس والتفسير كلها.. أعظم وأقوى وأكبر الكائنات أم أصغر وأحقق وأضعفها وأهونها؟ هل مهانة وجبن واستسلام وخضوع وخوف وتضرع وسجود وصلاة وبكاء ونفاق ومذلة إنسان واحد كبير جداً أو صغير جداً في موقف واحد من مواقف التي قد تتكرر تستطيع أن تنافسها أو تساويها أو حتى شيئاً منها كل مهانات ومذلات واستسلام وجبن وهزائم وذعر كل الحشرات وكل الكائنات الأخرى في كل مواقفها وظروفها؟

لهذا هل يمكن أن يتفوق على الإله والإنسان أو أن يساويهما أي كائن في هزائمهما وقضائيهما وفواجعهما وعارهما وعذابهما بل وبلاوتهما؟ هل يستطيع جهل هذا أو العجز عن رؤيته والانفجاع به؟

لقد أصبح ما لا يستطيع جهله هو الذي لا يستطيع علمه!

إن الإله والإنسان لا يسعدان أو يفرحان أو يرضيان أو يعجيان بنفسيهما أو بأي شيء إلا بقدر ما يصايان بكل البلادة والقسوة والقبح والعمى الشامل في كل معاني الرؤية وتفسيرها.. بكل أجهزتها وأدواتها وعبونها وأخلاقها، أه كم تحتاج الرؤية إلى الأخلاق بل وإلى العيون.. كم تحتاج العيون إلى عيون والرؤية إلى رؤية؟.. كم تتحول الرؤية إلى عجز عن الرؤية وتتحول العيون إلى فقد للعيون.. إلى قتل وإعماء للعيون كما يتحول الصمود إلى هبوط بل وإلى سقوط وتحطّم والحياة إلى موت والموت إلى وثن؟ هل هذا هو التفسير لكون عذاب الإله أي كل إله وهوانه وهزائمه وقضائيه وإذلاله وذلك وبؤسه وحظوظه البائسة لا يساويها أو ينافسها شيء من ذلك لأن تفوقه لا يساويه أو ينافسها أي تفوق أي تفوقه الواقع أو المزعوم؟

كيف حدث ذلك؟ كيف رجد من أراد ودير وفعل واستطاع ذلك؟ وكيف وجد ولماذا وجد؟ إذن من الأكثر والأصدق والأشهر مجداً وحظاً وريحاً وسعادة وفرحاً وراحة ورضا واستمتاعاً وقوة في هذه الحياة..

من يرون ويحسبون ويعلمون ويعتقدون بل ويكونون هم الأقرباء الأذكاء الكبراء العظماء العاقرات المبدعين السعداء أم من هم النقيض لكل ذلك؟

إذن كيف تفسر الحياة والوجود؟ لقد كانت تفسيرهما أبداً جهلاً وغباءً وتضليلاً وعجزاً بل وهرباً من الحقيقة..!

وما تفسيرهما الصحيحة الصادقة إن وجدت أو لو وجدت هذه التفسير أو كان مسكناً أن توجد.. وما التفسير الأخرى إن وجدت تفسير أخرى؟

من ابتكر التفسير للأشياء وجعل منها الصواب والخطأ والصحيح والباطل؟ كيف وجد هذا المفسر وكيف اعتدى إلى تفسيره واقتنع بها وجرؤ على الإعلان عنها وعلى تعليمها وعلى تحويلها إلى أديان وتعاليم وكتب مقدسة ومذاهب متحاربة متلاعبة؟

هل تساوي أية تفسير غير المفسر والمفسر؟

هل تساوي تفسير أي شيء غير وجوده؟ هل يمكن أن يكون للإله أية تفسير لو وجد ووجد

كما وجد وكيف وجد؟ أليس وجود الإله كما وجد وكيفما وجد هو أعظم نفي ورفض لكل التفسير بل واستهزاء بكل التفسير والمفترين والباحثين عن أية تفسير.. عن أي تفسير لأي شيء؟ هل يمكن أي تفسير للذباب أو للصرصار أو أية حشرة أو لأي تشوّه أو عاهة أو آفة لوجودها في أي وجه أو ذات أو مكان أو عقل أو قلب أو فكر أو ضمير أو رؤية أو سؤال أو تساؤل؟ هل يمكن أن يوجد هذا التفسير أو أي تفسير لأي شيء من ذلك؟

إذن كيف يمكن أن يوجد أي تفسير لمن أراد وخطط وأحب وعشق وفعل وصنع ذلك بكل الفرح والمباهاة والرضا والإعجاب وشهوة الإعلان والاعتراف وبشهوة الرؤية والمواجهة والمشاهدة بل ومطالباً بأن يتهم بذلك ويحمد ويشكر عليه وينسب إليه ويوهب كل الإيمان والتمجيد والعبادة والثناء من أجله..؟

الذباب والقملة والجراثيم والعاهة والتشوّه بلا أي تفسير معقول أو مقبول أو منقول أو مفهوم إذن فاعل ذلك بكل التدبير والتخطيط والتصميم والحماس كيف يمكن أن يكون له أي تفسير من هذه التفسير أو من غيرها؟

فاعل ذلك له كل التفسير الجميلة العبقريّة الأخلاقية الفنية الإيمانية الدينية العقلية..!

إذن أليست لمفعولاته هذه كل هذه التفسير؟ أليست تفسير المفعول تفسير للفاعل، وتفسير الفاعل تفسير للمفعول؟

كيف أمكن أن يوجد من يلعنون ويقتلون ويحتقرون ويقاومون ويطاردون الذباب أو الصرصار أو المرض أو القحط ثم يعبدون ويمجدون ويشكرون فاعل ذلك يصلّون ويسجدون ويركعون له ويهبطون كل الجمال والحب والرحمة والشهامة والكرامة والصدقة أوصافاً له مقروعة ومفترية من فعله وخلقه لكل ذلك، أي لكل ما يلعن ويقتل ويحتقر ويقاوم ويطرد ويطارد المؤمنون به؟ الذباب دميم جداً وخالفه جميل جداً..! هل تصدقون أو تؤمنون؟

ماذا يمكن أن يحدث في هذه اللحظة لو وجد من يقرأ ذلك ويفهمه ويحاسبه ويحاكمه أو حتى يراه أو يسمعه أي لو لم تقتل وتفقأ وتخمد وتسكت وتحذف كل معاني العيون والعقول والضماير والأخلاق والإنسانيات والتساؤلات والانبهارات والانفجاعات والتصادمات عن وظائفها ومن وظائفها، بل ولو لم تفقد وتقتل كل معاني الإيمان والتقوى؟

إنه لا شيء خارج على الإيمان والتدين ومهين لهما مثل الإيمان والتدين بمعانيهما المعلنة والمشروعة المنزلة..!



وفي حديث نبوي آخر لم يقله ولن يقله أي نبي..!
قال هذا النبي الذي لم يكن ولن يستطيع أن يكون نبياً..!

أليس أعظم الأنبياء هم الأنبياء الذين لم يكونوا أنبياء؟!.

قال هذا النبي المضاد لكل الأنبياء والنبيات مخاطباً العرب أو كل البشر أو كل المتوالدين:

إياكم وصناعة الأولاد.. إياكم، إياكم وصناعتهم..!!

قيل: لماذا يا رسول الله.. يا رسول الله.. الله الذي لم يكن مرسل الأنبياء؟

قال: لأنهم خراب..!

قيل: ثم لماذا؟ قال: لأنهم عذاب وتباب وإرهاب واكتئاب وسياب..!!

قيل: ثم لماذا؟ قال: لأنهم حساب وعقاب وإرهاب..!!

قيل: ثم لماذا؟ قال: لأنهم غضب واغضب لرب الأرباب.. لكل الأرباب.. لكل تعاليم وأوامر

وشهوات وأمجاد كل الأرباب..

لأنهم هجاء وتحقير وقصص لأخلاق ومواهب وشرائع كل الأرباب.. لأنهم بئس النتائج

والأسباب.. لأنهم أقسى وأقوى تكذيب لكل ما قيل ويقال عن جمال وذكاء ونظافة ومواهب وعبقرية

وأخلاق الطبيعة والوجود والأرباب..!

.. لأنهم.. لأنهم.. مستمراً يقول ويقول لأنهم، لأنهم..!

وهنا تصاعد الصراخ بكل الأصوات واللغات قائلاً، قائلين: كفى، كفى يا رسولاً نبياً لم يكن

من رسل أو أنبياء الله..!

كفى، كفى ذلك بل بعض ذلك.. كفى، كفى تحطيماً لمبدأ وفكرة البنوة والأبوة.. لفكرة

ومبدأ التوالد..!!

كفى بعض ذلك، كفى انتعاشاً بصدق الحديث النبوي الذي لم يقله ولن يقوله أي نبي.. القائل

بكل القسوة والصدق والرؤية والمعرفة.. القائل والذي سوف يظل أبداً يقول: إن أردأ وأخطر وأخسر

مصنع في الكون هو بطن المرأة.. المرأة العربية المسلمة أو كل امرأة أو كل بطن متوالد يبصق الأولاد

مثلما يبصق هو..!

إنه البصق أي يبصق الأولاد هو البصق الذي يلد كل يبصق ويبصق كل يبصق ويستفرغ كل

يبصق.. كل باصق وكل مبصوق..!

إنه البصق الذي لولاه لما وجد في هذا الوجود ولا في أي وجود أي قبح أو فضح أو فحش أو

فسوق أو كفر أو نذالة أو سفاهة أو خيانة أو وقاحة أو خصومة أو عداوة أو حرب أو ألم أو غيظ أو

عذاب أو هوان أو هزائم..

بل لما وجد أي يبصق.. ولا أي باصق أو مبصوق..!

إنه أي التوالد هو البصق المفرق لكل البحار والأنهار والسحاب والصحارى والحقول والآفاق

والدهور بكل الآنام والآلام والقبايح والفضائح والأخطاء والخطايا والورطات والعداوات والخصومات

والبغضاء والهموم..!

إنه أي التوالد هو الملوث لكل ذلك بكل هذا..



ليت محمداً، ليت النبي العربي قد قال ذلك، إنه لو كان قد قاله لكان أحد الأنبياء العظماء.. أحد الأنبياء الذين لم يكونوا ولن يكونوا أنبياء.. أنبياء توراة أو إنجيل أو قرآن، لقد عجزت العبقريات والمواهب العربية أن تلد نبياً واحداً خارجاً أو متفوقاً على نبوات التوراة والإنجيل والقرآن.. على نبوات السماء التي تلدها الصحارى والجبال والمفارات والغيان والكهوف والصلوات والقراءات والأميات والبدوات..!

.. التي تلدها وتلد اللحي والعمامات والعباءات والكعبات..!

ليت واحداً من العرب قد قال ذلك.. إذن لأمكن أن يقال إنه قد يوجد في العرب من قد يرى أو يفكر أو يحاور أو يحاسب أو يحاكم أو يسأل ويسأل أو من قد يقرأ أو يفهم أو يرفض أو من قد يتفوق على الحشرات في سلوكه وحياته وتوالده ورؤاه حتى ولو تفوق عليها في أشياء وغيط عنها في أشياء كثيرة أليمة فاجمة..!

هل يستطيع أو يقبل أي عربي أن يتحول إلى متوحش أو متكبر ليتفوق على الحشرات أو ليعتقد أنه تفوق عليها أو أنه قد يجوز أو يقبل أو يفكر أو يمكن أن يتفوق عليها في أي أسلوب أو تفسير أو معنى من معانيها أو أساليبها أو تفاسيرها؟ أليس إصراره على التناسل بكل أساليب تناسل الحشرة أسلوباً من أساليبه التي ترفض أن يتفوق على الحشرة في أي أسلوب أو خلق من أخلاقها أو أساليبها حتى ولا في موهبة ووفرة وطريقة التناسل لأنه يرفض بل ولا يستطيع أن يكون متوحشاً أو متكبراً؟ أليس العربي مؤمناً جداً بكمال الله ومؤمناً جداً بأن الكامل لا يصنع بل ولا يريد أو يقبل إلا الكمال والكمال، ومؤمناً جداً بأن الله هو المرید والمخطط والخالق للحشرة ولكل أخلاقها ومواهبها وطاقتها واستفراغاتها؟ إذن فالله هو الحشرة قد جاء في صيغة أخرى.. في جسد حشرة. أليس المخلوق هو إحدى صيغ الخالق؟ إذن أليس محتملاً أن يؤمن العربي وأن يكون مؤمناً بكمال الحشرات مثل إيمانه بكمال الإله.. بكمال مریدها ومخططها وصانعها؟

هل يقبل أو يفكر أي منطلق أو دين أو خلق الإيمان بكمال المرید المخطط الفاعل دون الإيمان بكمال المراد المخطط المقعول؟ أليست كل تفاسير إبليس تساوي تفاسير خالقه؟ هل يريد أو يدبر أو يصنع الكامل النقص أي غير الكمال في كل معانيه وصيغه ومنطقه ونتائجه وتفسيره؟ أليس الفنان عاجزاً أو مختطفاً أو ناقصاً أو غير فنان حينما يدع ما يعاب أو يرفض أو يستنكر أو ما يجب تدميره أو تغييره أو تحفيره أو تصحيحه أو نقده أو حتى تعديله؟

نعم، كيف يقبل العربي أن يتفوق على الحشرات؟ إذن كيف لا يتناسل كما تتناسل؟ أليس الاقتداء بالكمال والكمال كمالاً؟ أليست مخالفة الكمال والخروج عليه نقصاً وذنباً وكفر؟

وهل يفعل العربي أي ذنب أو نقص أو كفر مهما كان كل من يفعل كل ذلك أو أعظم وأشهر وأجراً من يفعله؟

أجل، أليست الحشرات كمالات مثل كمال مريدها ومخططها وصائغها؟ إذن أليس الاقتداء بها
كمالاتاً؟

أليست الحشرات وكل شيء كمالاتاً مطلقاً في كل حسابات الإله ورؤاه وفنونه وأخلاقه وأشواقه
وأمانيه وكبرياته وقدراته؟ أليس القول بغير ذلك أقصى هجاء واتهام له؟ أليس ذلك يعني اتهامه بأنه يريد
ويدبر ويعشق ويفعل النقص؟



نعم، إن الولادة هي بصاق وبصق واستفراغ الطبيعة من الإنسان في الإنسان على الإنسان..
على كل شيء.. قبيح، قبيح. إن أصدق وأشمل أوصاف الإنسان: إنه الباصق المبصوق عليه المبصوق
به وفيه.

.. إنها أي الولادة من حيث المجيء والبدء والاستمرار والحتم ليست إرادة أو تدبيراً أو خلقاً
إلا بقدر ما احتقانات الجسد وإفرازاته وعماياته وتشوهات وآلامه كذلك. إذن كم هي فظيعة، فظيعة!

.. إنها في كل التفاسير حكم على الكائن المصاب بالتوالد وليست حكماً منه أو له أو من
أجله! لقد وجد نفسه كذلك ولم يردها أو يجعلها أو يختارها كذلك أو يطالب لها بذلك!

لقد حكم بها على الإنسان بالمنطق والتفسير التي حكمت بها على أصغر وأردأ الحشرات..!

هل الحشرات تلد وتوالد أم تبصق وتستفرغ وتغذف؟

أليس مثلها الإنسان؟ بل أليس أسوأ منها الإنسان في ذلك؟ هل هناك منطق لعملية توالد الإنسان
يتفوق على منطق عملية توالد الحشرات؟

أليست الحشرات والكائنات الأخرى أقدر على التوالد وأخصب توالداً من الإنسان حتى من
توالد الإنسان العربي؟

إذن فالحشرات والكائنات المشابهة مفضلة ومتميزة ومتفوقة على الإنسان إن كان التوالد فضيلة
أو مزية أو معنى جيداً مفيداً أو معقولاً حتى على الإنسان العربي الذي يصعب أو يستحيل التفوق عليه
في ضخامة توالده؟

حقاً إن الإله لم يسب أو يغضب أو يعاقب أو يذل أو يحقر أو يفضح نفسه مثلما فعل حينما
خلق الإنسان متوالداً أي لو كان هو الذي خلقه وأراد ذلك لأن هذا التوالد هو الذي يلد الكفرة
والفاسقين والظالمين واللصوص والطفلة والأنذال والأشرار والأغبياء والقتلة والملوثين وكل المالمين
والمحرفين لعينيه وقلبه وعقله وأخلاقه ومجده ولكل حياته وتاريخه بكل الغيظ والغضب والحزن
والهوان والمذلات والهزائم والفضائح..؟

هل عادى الإله نفسه مثلما عاداها حينما خلق الإنسان وخلق متوالداً أي لو كان هو الذي
خلقه وخلقته كذلك؟

لهذا لا بدّ أن يتفجّر هذا السؤال ليقول: هل وجد أو يمكن أن يوجد معاد لنفسه مثل الإله؟ كيف أمكن أن يغيب هذا السؤال عن أي مؤمن بالإله؟ كيف أمكن أن يغيب عن الأنبياء والقديسين وعن الأقربين إليه من السماويين؟

هل الإله كائن خارج على كل التفسير والحسابات؟ هل هو كائن لا يسعد ولا يرضى بل ولا يحيا إلّا بأن تكون كل مواجهاته عصبياً وإذلاً وإهانات وهزائم وقضائح وقبائح تحاصر كل رؤاه وآفاقه وطرقه وآماله وتعاليمه وأوامره ومطالبه بل وكرامته وشرفه؟ من صاغه هذه الصياغة؟ وهل يقبل أي صانع أن يصوغه مهما كانت رداءته ووراءة صياغته؟



إن كل غيظ وغضب وهوان وإذلال وعصيان وإنهزام وتعذيب يجب ألا يساوي شيئاً من مقاساة الإله لذلك لكل ذلك بخلقه للإنسان والدأ متوالداً أي إن كان هو الذي خلقه كذلك ثم بتكاليفه لإعداد أجهزة وأماكن ووسائل وزبانية المحاكمة والمحاسبة والعقاب له ولتوالده وولاداته وأولاده على ما فعلوه به من غيظ وغضب وإذلال وهوان وعصيان وهزائم وقضائح وتعذيب له واستهزاء به.. بما قال وعلم وأرسل وأنزل وشرع وطلب وأمل وانتظر وأعلن وأراد وأحب واشتهى..!!

إن أي حاكم أو قائد أو زعيم ذليل مهين وضع لن يتحمّل من رعيته أو أعوانه ومساعديه أو من أي أحد مثلما تحمّل الإله من الإنسان والدأ متوالداً، ولن يوجّه إليه من العصيان والتحقيق والاستهزاء والرفض بل والنبد والتهوين والاستهانة مثلما وجّه إلى الإله.. مثلما وجّه إليه راثياً سامعاً شاهداً حاضراً مواجهاً صامتاً متبلداً عاجزاً عاجزاً..!

هل في هذه القضية لغز قبيح أليم فاجع أو خدعة كبرى؟ هي أن الإله كافر فاسق ملوث عاشق مرید مدبّر لذلك لهذا خلق الإنسان وخلق له والدأ متوالداً لكي يتحقق له كل ذلك بكل الأساليب والصيغ والتفسيرات والعضخامة والديمومة والشمول والقبح والفضح..! هل ذلك كذلك؟ قد يكون وإلا فماذا؟

إن كل مریدي ومدبّرّي وعاشقي وصانعي الكفر والفساد والفجور والضلال والغوايات...

لن يستطيعوا أن يكونوا شيئاً من الإله في ذلك..

.. من الإله الذي صنع الإنسان وصنعه والدأ متوالداً ليصنع كل الكفر والفساد والفجور والغوايات والضلال والنذالات والقبائح والفضائح والمظالم والطغيان والحروب..

حتى الملائكة لقد فهموا هذا قبل أن يوجد وقالوا للإله مفجوعين وناصحين: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفِيدُ فِيهَا وَتَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟﴾

إذن هل يمكن تفسير الإله إلّا بأنه عاشق ومرید وفاعل ومناضل لتحقيق كل الرذائل والغوايات والآثام والشور والنذالات ولكل أنواع الفساد والعذاب، ولهذا كان تحالفه مع إبليس على ذلك هو أشهر وأقوى وأضخم وأصدق تحالف لإفساد وإضلال وتكفير الإنسان، إنه لا تحالف مثل تحالف الإله

مع إبليس على الإنسان! ويكون النطق بآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ هو: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليكفروا وينسقوا بي وليء وقد جاءت الآية بالعكس سخرية وإثارة وتحدياً! إن كل الرؤى والتفسيرات والحسابات تقول إنه لا يوجد ولن يوجد في هذه القضية إلا احتمالان: أحدهما أن يكون الإله كارهاً رافضاً لكل ما يسميه ويسمى بالكفر والخبائث والشرور والفضائح... أو أن يكون راضياً بذلك مبدءاً له سيداً به موظفاً نفسه وكل طاقاته واهتماماته لتحقيقه..! إن كان الاحتمال الأول فلماذا لا يحشد كل نفسه وسلطانه ومعانيه لمتعه ومنع أسباه بل لماذا حشد يحرض عليه ويصنع كل أسباب ووسائل التحريض عليه والإغواء به والإيقاع فيه والدفع والسوق إليه بل وحشد كل القوى والجيوش والزبانية والأبالسة والمحرضات المغويات للإيقاع فيه وللدفع والسوق إليه ليكون محتوماً، محتوماً الوقوع فيه؟ وهنا لا بد أن تقول كل الرؤى والحسابات والتفسيرات إنه لم يبق إلا الاحتمال الثاني.. الاحتمال الآخر القبيح الفظيخ النذل الكافر الفاجر.. إنه لم يظل احتمالاً بل يقين وحتم..!

ولكن لماذا؟ إنها قضية تحار فيها كل الألباب.

إنهما احتمالان يحاصران الإله محاصرة أفسى وأكثر وأبشع من قاتلة وهازمة وفاضحة ومذلة وشائمة..!

لقد هربت كل العقول والرؤى والحسابات عن رؤية هذه الحقيقة بل لقد عميت عن ذلك، الإله لا يريد إلا الإيمان والتقوى.

لهذا يصنع كل أسباب الزندقات والفجور! هل تفهمون؟

إن الاحتمالين لأفسى هجاء للإله ولكن أيهما أفسى في هجائه؟ ولن يوجد أي احتمال غيرهما..!

إن الإله هو الذي لا يمكن أن ينجو من الهجاء.. من كل الهجاء وأفسى الهجاء أو من بعض الهجاء وأخف الهجاء، ولكن أخف هجاء الإله وبعضه يتفوقان على كل الهجاء وأفسى الهجاء..! كيف لم يفهم هذا من يفهمون ومن لا يفهمون؟ كيف وجد من يعجزون عن فهم ذلك مهما كانت بلادتهم وغفلتهم؟

إن فهم الإنسان لم يفسد ويضعف ويعجز ويخطيء ويتبدل مثلما أصيب بكل ذلك وبأفسى ذلك حينما أراد أن يفهم الإله..

لهذا فإنه لم يوجد ولن يوجد معني على فهم الإنسان ومفسد له مثل الإله.. مثل تصوّره ومثل الإيمان به ومثل تفسيره..!

بل إن الإنسان لم يلعن ويهتم ويحقر فهمه مثلما فعل في هذه القضية.

ولعل التفسير لهذه القضية التي لا مثيل لها في صعوبتها وتمجيزها وإحراجها وقبحها أن الإنسان واجه ورطة كبرى هي الإيمان بذاتية الكون بداية وجوداً وكيونات وقوانين وأخلاقاً وديمومة وأزلاً

وأبدأ.. واجه ذلك في بداية تطلعاته ومساءلاته وتفكيره ورؤاه وحساباته وقراءاته لنفسه وللأشياء... فكان صعباً بل مستحيلاً أن يفهم أو يحل هذه المشكلة أو الورطة العظمى وأن يقتنع أن الكون وكل شيء ذاتي.. ذاتي الذات أو الوجود أو الكينونة أو الدوام أو الصفات أو القوانين! فكان أن لجأ إلى حل المشكلة التي لا حل لها بأن أسقطها على كل كائن مظلوم، مظلوم زعمه وسماه إلهاً..!

مشروطاً أن يتنازل عن كل عقله وضميره وأخلاقه ورؤاه وتساؤلاته.. في فهمه ورؤاه ومحاسباته وتفسيره وقراءاته لهذا الإله وعن اشتراطاته وشروطه عليه وله وفيه...!

فكانت النتيجة أن جاء هذا الإله البائس المظلوم الذي لا مثيل له تشويهاً وفضحاً وتحقيراً واتهاماً وتهويماً وتقيباً دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه أو أن يوجد من يدافع أو ينوي الدفاع عنه...!

فكانت النتيجة أن جيء بهذا الإله دون أن يجيء أو يريد ذلك.. إن الإله هو الكائن الذي لا مثيل له في ضخامة وجوده وتأكد فقد..

إنه بهذا لا مثيل للإله أي لاسمه ظالماً ومظلوماً..

.. الإله يتصوره وتفسيره وفي الاعتقاد والإيمان به هو كل الظالمين وكل المظلومين، كل الشيء ونقيضه!! هو كل القبح والجمال وكل الذكاء والغباء وكل العدل والظلم وكل القتل والمقتولين وكل المعتدى عليهم والمعتدين وكل المرضين والشافين المعالجين، وكل الأبطال والجناء والأنذال والشرقاء أي كل من يستمر ويحسون هذا وهذا.. دون أن تذكر كلمة «كيف» ولا «لماذا».. بل ولا كلمات «تبيح».. اقتضاح.. جنون.. وندقة..!

ثم شيد أعنى الحدود والحصون وألف وأعد أقوى الجيوش لحماية هذا الاعتقاد من أن يهاجم أو يخرق أو حتى يسأل أو يحاسب أو يحدق فيه..!

فكان ما كان وما أصعب زوال ما كان أي من الاعتقادات الغيبية اللاهوتية.. لقد جاءت أبطال الاعتقادات هي أقواها وأبقاها وأكثرها أنصاراً..!

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أثقل أو أوقع أو أبعد على تاريخ الإنسان وعقائده وعقله وقلبه وحياته وذكائه من آلهته وأنبيائه وعقائده الدينية دون أن يهبوه أي شيء من المادية أو المعنويات العقلية أو النفسية أو الدينية أو الروحية ما عدا ألوان التهديد والوعيد..

إن الإنسان لم يعاقب أو يشوه نفسه وأخلاقه وكل معانيه وصيغته مثلما فعل بها بإيمانه بأربابه وأديانه وأنبيائه ودعائه وبتقسمة عليهم وتوزعه على محاربيهم ومنابرهم وأوثانهم وبالصلاة والحب إلى كعباتهم، بالانقسام والتشتت والتوزيع والتوزيع عليهم وبينهم..!

.. إن كل أعداء الإنسان لا يفعلون به مثل انقسامه بين أديانه المنقسمة المتعادية المتخاصمة

أرباباً وأنبياء وكتباً مقدسة ومحارِب ومناهِر ومزارات وركعيات واتجاهات وصلوات! إن من جازوا
بالأرباب والأديان والعقائد المختلفة لهم أكثر إلهاء للإنسان وفتكاً به وإفساداً له من عدوه إبليس الهازم
للإله السالب القاتل العلني لكل مجده بل ولكل قوته وذكائه وكبرائه، هل أهان مهين شيئاً أو أحداً
مثلما أهان إبليس الإله؟ أليس إبليس قد فعل كل ذلك بالإله؟

لقد فعل أنبياء الإنسان بالإنسان أقيح وأفسى مما فعل به إبليس.. هل يطاق هذا؟

كيف وجدت هذه القصة.. قصة هزيمة الإله الحاسمة الرهيبة أمام إبليس، وانتصار إبليس القاتل
على الإله الخالق بهذه القوة؟ كيف تمكن قراءة أو تفسير هذه القصة بأي منطق أو حساب؟ هل
يمكن أن يكون ذلك عجزاً أو بلادة أو غفلة أو ضعفاً في الخالق أو تواضعاً بليداً فيه أم مؤامرة تأمر
بها مع الشيطان ضد الإنسان؟!

كيف لم يأت حديث عن قصة التأمر هذه بين الإله وإبليس أي على الإنسان؟ إنها قصة تحتاج
إلى كل الاهتمام وتصيب بكل الهموم!

هل يمكن أن توجد أو تتصور تفاسير لهذه القضية أخفّ قبحاً أو عاراً أو بلادة أو افتضاحاً من
هذه التفاسير بأي المقاييس أو الحسابات أو الأخلاق؟



ارثوا لي.. ارثوا لعقلي وقلبي وأخلاقي وحساباتي حين أعجز عن أن أجد أي تفسير لهزيمة الإله
أمام خصمه البائس الذي أصبح عظيماً.. الذي أصبح عظيمًا لعظم الإله.. أي لفقد الإله للعظمة أو
لننازله عنها.. عن العظمة التي كان كل الحديث عنها، أو لسرقتها واغتصابها منه!

إن جميع العقول لن تجد أي تفسير لهذه القضية إلا أن ترى وتقول بأن الإله قد تأمر أضخم
مؤامرة شريرة مع الشيطان على الإنسان.. ولكن كل العقول لا بد أن تعجز عن الفهم.. عن فهم هذه
المؤامرة!..

إن كل العقول مهما وجب عليها الإيمان بهذه المؤامرة فلا بد أن تعجز عن فهمها وأيضاً لا بد
أن تعجز عن رفضها وإبطالها!..

إنها عاجزة عن فهمها وعاجزة عن رفضها!..

وهكذا كل العقول عاجزة عن نفي الآلهة وعاجزة عن فهمها أو تصوّرها أو الإيمان بها وعن
احترامها وتعظيمها وعن الإعجاب بشيء منها أو فيها.. إذن هل هناك معذب للأخلاق والعقول
والحسابات والتصورات مثل الآلهة التي لا يستطيع نفيها والتي لا يستطيع فهمها أو تصوّرها أو قبولها
أو الغفران لها والتي لا يستطيع الإيمان بها!..؟



ليتي يلا فهم أو أخلاق أو حسابات أو رؤى لكي لا أقاسي أن أرى الإله أو أفهمه أو أؤمن به،
ولكي لا أقاسي المعجز عن ذلك.. لكي لا أقاسي محاولة هذا أو هذا!..
إن في ذلك كل العذاب والانفجاع والترويع والحيرة!.



ما أعظم أهوال الحساب والعقاب التي لا بد أن يواجهها آدم وحواء وأن توجه إليهما وأن
يصلياها لأنهما هما اللذان تفجرت منهما أنهار وطوفان التوالد والولادات البشرية.. إنهما
ليستحقان كل الحساب والعقاب على كل ما فعل ويفعل كل البشر وعلى كل ما فعل ويفعل بكل
البشر وعلى كل ما أصاب البشر ويصيبهم في كل تاريخ وجودهم وعلى كل ما فعلوا بالإله أي
البشر..

هل استطاع تصور ما فعله البشر بالإله من غيظ وإحباط وهزائم وإذلال؟
إن جميع الأبالسة ليسوا إلا موظفين لدى من ولدا ويلدان.. ولولا ما يلدان أي آدم وحواء لما
وجد الأبالسة لهم عملاً ولا طعاماً ولا مكاناً ولا أنصاراً بل لما وجدوا هم..! إن آدم وحواء هما
اللذان أوجدا مجد الشيطان!..

كيف يكون للشيطان مجد بل أو وجود لولا آدم وحواء المصاهبان بأفة التوالد والولادة؟
ماذا لو أن آدم وحواء لم يوجدوا أو لو أنهما لم يصابا بأفة التوالد.. بأفة بصق الأولاد؟ هل
يمكن حينئذ أن يوجد الأبالسة أو أن يجيئوا أو يظلوا أبالسة لو وجدوا ليصبحوا كل الغيظ والحرب
والتدمير والأسى والإنساد للإله ولكل شيء جميل وريء ونظيف ولكل سلام وتقوى وإيمان ومحبة
وسعادة ورضا وعدل في هذه الحياة؟

إن الأبالسة لم يوجدوا ولم يصبحوا أبالسة إلا ليكونوا موظفين عند أولاد آدم وحواء.. إذن أي
الفرقتين المضلل المفسد للآخر المعتدي عليه: الأبالسة لأبناء آدم وحواء أم أبناء آدم وحواء للأبالسة؟

أي الفرقتين هو الذي أذاق الإله ويذيقه أسى الغيظ والغضب والقهر والمرارة والفواجع
والعداوات والحيرة؟ أليس محتوماً أو محتملاً جداً أن يصبح الأبالسة وأن يظلوا أتقياء وفضلاء ونبلاء أو
لا هذا ولا تقيضه لو لم يجيء آدم وحواء مصابين بالولادة.. باستفراغ الأولاد الذين حولوا الأبالسة إلى
قادة لهم ليخططوا لهم ويعلموهم ويقودوهم إلى كل الأخطاء والخطايا والقبايح والفضائح والنذالات
والعداوات وإلى كل الشرور وإلى كل القهر والإذلال للإله؟

وهنا لا بد من أصدق الاعتذار إلى الأبالسة للحديث عنهم..؟

العلاقة بين القلم والإنسان والإله

ماذا يقول القلم لو حاكم خالقيه وموظفيه والفاعلين به وفيه.

أيها الصديق الذي أراد أن يضع بل وضع دون أن يريد ويدبر.. حتى ولو لم يرد أو يدبر... الذي وضع للصدقات.. للعلاقات بين من يحسبون ويستنون أنفسهم أصدقاء بل أوفى وأعظم وأصدق الأصدقاء بل أول الأصدقاء وآخرهم...

.. الذي وضع ونقذ للصدقات والعلاقات حدوداً ومقاييس وتفسيرات ديناً وكتباً مقدسة ونبوات حديدية متفوقة على كل النبوات التي قرأناها وعلمناها وحفظناها ونشرت لنا من فوق وتحت كل المنابر والمحاريب بلغات كل الآلهة والأنبياء والوعاظ والقديسين..

.. الذين لا بد أن يتحتى الإله المعروف بل وكل إله غير معروف أن يتعلم هو وكل أصدقائه وأعدائه وكل الموظفين في كل أجهزته شيئاً من حماس وصدق وعطاء ووفاء وصفاء وإخلاص صدقاتهم أو من التزاماتها وتكاليفها وفرحها وحبا وسعادتها وعذابها وهمومها وأخطارها وتضحياتها ورسالاتها ومسؤولياتها..

أنا هنا أفترض الإله وأعدائه وكل من معه وحوله أعظم كثيراً من كينوناتهم التي عرفناها ورأيناها وجربناها وقاسينا منها والتي جربها وقاسى منها كل شيء وكل أحد حتى ولو لم يرها أو يقرأها أو يفهمها أو حتى يسألها أو يسألها، إنها لن توجد حظوظ تواجه من التعاسة والخيبة مثل حظوظ من يجربون حظوظهم بالتعامل مع الآلهة!

.. الذين لا بد أن يرفض ويهرب كل إله من قراءة ورؤية وتفسير صدقاتهم خوفاً من قسوة مفاصل العذاب والاستحياء ومشاعر العجز والانهازم لو حاسبت صدقاته بصدقاتهم أو خوفاً من أن يكون ملزماً بتقليدها وبالتعلم منها أو من أن يمرض بعدواها أو بشيء ولو قليلاً جداً من شهادتها ورسالتها والتزاماتها أي من عدواها..!

ليت الآلهة جاءت أو خلقت مصابة بل مريضة بالعدوى الجيدة!

لماذا جاء الإله بل كل الآلهة معقمة ضد الإصابة بالعدوى الجيدة؟

لقد أصاب الإنسان العربي الإله بكل أنواع العدوى الرديئة دون أن يصاب بالعدوى جيدة..

هل يوجد أنفع أو أوجب من أن تكون أي الآلهة مصابة بل مريضة بالعدوى الجيدة أو أقيح أو أردأ أو أخسر من ألا تكون كذلك؟

هل يمكن تصوّر من يحتاج إلى أن يتعلم الصداقة أو حتى شيئاً منها لأنه فاقد لها كلها فقدأ

فأبداً دون أن يريد أو يستطيع أن يفعل ذلك مثل الإله.. مثل كل إله وأي إله؟

لقد علمتني صداقتي للإلهي.. صداقتي الطويلة الحزينة المهزومة الخاسرة الضائعة أي للإلهي أنه لا يحترم أو يلتزم أو حتى يعرف أو يستطيع أي شيء من معاني الصداقة أو شروطها أو من شروط ومعاني أي شيء جيد!

هل وجد أو يمكن أن يوجد خارج على كل تفاسير ومقاييس وحدود ومستويات ونماذج كل الصداقات مثل إلها بل ومثل كل إله وأي إله؟ ما أفسى وأشقى وأضخم ما وهبت إلهي من أنواع الصداقات ولكن كيف جازاني على ذلك؟ فطبع، فطبع جداً ما فعل..!

.. لقد جاءت صيغ كل إله خروجاً بل وعدواناً على كل الصيغ الموجودة والمتصورة والمطلوبة والمعقولة والمقبولة والمفترضة بل والمحتملة فكيف بالمحترمة؟ بل لقد جاءت سبباً وهجاء لكل الصيغ واستفراغاً عليها بكل أساليب وتفاسير الاستفراغ!

كيف لم يعرف كل العالم ذلك وعلنه بكل لغات وتعبيرات الغضب والغیظ والرفض والانفجاع؟

نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد محتاج إلى تعلم ذلك أو إلى تعلم شيء من ذلك وإلى الالتزام به دون أن يتعلمه أو يتعلم شيئاً منه أو يلتزم به أو بشيء منه مثل الإله الذي نعرفه أو الذي قيل لنا إننا نعرفه ويجب أن نعرفه لأننا لا نعرفه ولن نستطيع أن نعرفه ولن يقبل منا أن نعرفه ولن نقبله لو عرفناه..!

ولأنه لن يوجد أو حتى يتصور خسران لنا مثل أن نعرفه أو خسران بنا لو أمكن أن نعرفه.. مثل أن نعتقد أو نتصور أننا قد عرفناه أو وجدناه أو أننا قد نجده أو نعرفه أو أن من النافع أو الخير أو المجد أو القوة أو التقوى أو المحبة أو المعرفة أن نراه أو نعايشه أو نعامله أو نلقاه أو نجده أو نعرفه..!

إنه لا يطاق رواية وتصوراً وتعليماً ووعظاً فكيف يطاق رؤية ومواجهة ومعاملة ومعاشرة ومساكنة؟ إنه الكائن الذي لم يطق ولن يطاق إلا رواية أو إشاعة أو موعظة مكذبة بلا أي احتمال للتصديق أو الصدق.

.. إن كل خسران البشر في كل تاريخهم لا يساوي خسرانهم بإلههم أو بالهتهم أي مروية ومزعومة وموصوفة وموعوظة بها فكيف بخسرانهم بها موجودة ومرئية ومعاشرة معايشة مساكنة أي لو كانت كذلك أو كان ذلك ممكناً؟

.. إن مزايا كل إله.. كل جماله وحبته وحكمته ورحمته وعبقريته وعدالته بل ورؤيته وكرامته ونظافته.

- إن كل مزايا هذه وغيرها ليست إلا في أن وجوده لم يكن ولن يكون إلا زعماً واعتقاداً وتلقيناً لا وجوداً ولن يكون وجوداً، إنه الكائن الذي لم يحترم أو يعظم أو يطيع مثله مزعوماً ولم يحقر

أو يهن أو بعض مثله موجوداً، إنه الكائن الموجود جداً لأنه المقنود جداً، إنه الكائن الذي تراه كل العيون لأن أية عين لم تره ولا يمكن أن تراه أو تقبل أن تراه!

.. إنه لو لم توجد أية رواية أو قضية أو عقيدة أو تصورات أو أحلام كذبها أفضل وأنتى وأنفع من صدقها لوجب استثناء واحد، ولوجب أن يكون هذا الاستثناء عن الإله وعن كل إله وأي إله .. عن رواية وقضية وتصورات وجوده والاحتلام بوجوده..!

إنه لو كان كل صدق ناقصاً وذكياً وجيداً وتقياً لوجد صدق واحد هو نقيض وضد وعدو لأن يكون أو يحسب شيئاً من ذلك.. إن هذا الصدق هو صدق الرواية.. أية رواية عن الإله.. عن أي إله وكل إله.. عن وجوده أو عن أوصافه وأخلاقه أو عن كل شيء له وعنه وفيه، إنه لا أعظم من أن يكون كل حديث عن كل إله كذباً إذا كان البديل أن يكون صدقاً!

أيها الرواة والمتحدثون عن الإله، عن كل الآلهة..

يا كل هؤلاء الرواة والمتحدثين كونوا كاذبين جميعاً، كاذبين جداً لتكونوا أفضل وأنتى وأنفع وأنبى من كل الصادقين..!

كونوا صادقين في كل قضية وعن كل قضية ولكن كل الرجاء وأصدق الرجاء أن تكونوا كاذبين في هذه القضية وعنها، أي إذا لم يكن بد أن ترفضوا أنفسكم عليها أي على هذه القضية! .. هل يوجد أجمل من الأنبياء في أن يكونوا كاذبين أو أقبح منهم في أن يكونوا صادقين أي راوين ومتحدثين عن الآلهة إذا كان محتملاً أن يكونوا هذا أو هذا؟!!

.. أيها الأنبياء، يا كل الأنبياء كونوا كاذبين ولا تكونوا صادقين لئلا تكونوا أقبح وأقبح وأخطر من كل الكاذبين ومن كل الصادقين..!

.. إنكم أيها الأنبياء، أيها المتحدثون عن أي إله لأخطر وأقبح من كل الصادقين لو كنتم صادقين وأقبح وأردأ من كل الكاذبين إذا كنتم كاذبين! فأني التفسيرين أرفق وأرحم بكم..؟

.. أيها الأنبياء يا كل الأنبياء وكل المتحدثين والراوين عن الإله وعن كل إله وأي إله...

هل يوجد أقبح أو أقبح أو أردأ منكم إن كنتم صادقين أو أبذل أو أكثر إيذاء أو قسوة أو فحشاً أو عدواناً منكم إن كنتم كاذبين أي يا كل الأنبياء وكل المتحدثين عن الإله وعن كل إله!!

إذن ألتسم في كل الحالات والرؤى والحسابات والظروف مذهبن ومشوهين ومفسدين؟

.. هل يوجد غيركم فاجعين ومخيفين ومروعين ومعذبين ومضللين سواء أكنتم صادقين أم كاذبين أي أيها الأنبياء، أيها المتحدثون عن الإله.. عن الآلهة.. عن كل إله وأي إله؟

كيف لم تعلموا هذا وعلمه كل الأذكاء والأغبياء؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد مثلكم عدواناً على الإنسان والحياة أو تشويهاً أو إيذاءً أو تحقيراً بل أو إفساداً وتعجيراً لأخلاقهما وذكائهما أيها الأنبياء، أيها المتحدثون عن الإله.. عن كل إله.. عن كل الآلهة؟ كيف أمكن أن يوجد من يستطيع جهل هذا؟

إنكم لن تكونوا صادقين أي في هذه القضية.

ولكن لو كنتم صادقين فما الذي يجب وينتظر أن تكونوه وتفعلوه؟ هل يمكن أو يقبل أن يكون ما لا بد أن تكونوه وتفعلوه شيئاً غير أن تناضلوا كل النضال بكل أساليب وأخلاق ومنطق وقوة وإرادة النضال وإعلانية النضال وديمومته وكبريائه وكرامته وشرفه.

.. أن تناضلوا كل هذا النضال بل وأكثر وأقصى من هذا النضال انتصاراً وحماية للإنسان.. للإنسانكم.. لآبائكم وأمهاتكم وأبنائكم ولكل أقاربكم وأصدقائكم وشعبكم وكل الشعوب الأخرى.

- نعم، انتصاراً وحماية وحراسة لكل ذلك بل ولكل شيء وكل أحد من طغيان وجبروت ووقاحات وسفاهات وعبوديات وأنانيات وبدائيات ونذالات وجهالات وبلادات كل إله.. كل الآلهة.

.. لا أن تتحولوا وتحولوا أنفسكم إلى أعوان ومعلمين ومشرعين ومذيعين وناشرين ومفسرين ودعاة لكل ما تفعله وتوقعه هذه الآلهة بكم وبقومكم وبكل شيء وكل أحد..؟!

هل قاسى آباؤكم أو أي أحد أو أي شيء مثلما قاسوا من الآلهة.. من الإيمان بالآلهة؟ هل أدلت كرامتهم أو ذكاؤهم مثلما أدلت بذلك؟

أليس المفروض والمطلوب والواجب أن تكون قوة وقسوة وحرارة المقاومة متكافئة مع قوة وقسوة وقبح وشمول ونذالة الطغيان والطفافة مهما كانت انتماءاتها وجنسياتها وأسمائها وتفايرها وحواضرها وأماكنها أي الطفافة والطغيان؟

هل يوجد أو يتصور طفافة وطغيان بلا أي حدود أو مقاييس أو تفاسير أو أخلاق أو منطق أو حسابات مثل الآلهة طفافة وطغياناً؟

إذن أليس المفروض والمطلوب والواجب ألا يوجد أو يتصور مثل الأنبياء أي مثلكم أيها الأنبياء.. مثل كل إنسان حر شريف كريم أي ذكي تقي مقاومة للإله، لأي إله.. لكل إله؟

أليس المفروض المحتوم أن تتصاغر كل المقاومات الحرة الشريفة الباسلة محاسبة بكل مقاومة ولأية مقاومة لكل إله ولأي إله مهما كانت فداحة وقسوة وديمومة الثمن أو الجزاء الذي قيل له إنه قد يدفعه أو إنه لا بد أن يدفعه؟

أليست كل التعاليم حتى تعاليم الآلهة والقاديين من عندها تقول: إن المقاومة والرفض يجب أن يكونا متكافئين مع ضخامة وجهالة الطغيان والطفافة وسع قوتها بل ومتفوقين على ذلك وإن الجزاء لا بد أن يكون محسوباً بضخامة أخطار المقاومة وإن المقاوم يكون تقياً وصادقاً ومرضياً بقدر خطورة هذه الأخطار؟

إذن أنتم أيها الأنبياء، أيها المتحدثون والرواة عن الآلهة الواصفون المفسرون لها المبشرون المهتدون المتوعدون الواعظون بها حتماً كاذبون كذباً مدبراً متعمداً أو كذباً بليداً ضالاً جاهلاً.. كذباً بحوافر خيثة أو بحوافر شريرة..

ولأنه لمن الخير والأفضل أن تكونوا في هذه القضية كاذبين كاذبين مهما كانت الحوافز والأسباب والنيات...!

إنكم حينئذ لموقعون بالإنسان والحياة أضخم وأقسى وأشمل وأغنى الخسائر والأضرار والشُرور والعداوات والعدوان والهوان والإهانات والبذاءات والتفاهات.

- لموقعون كل ذلك وغير ذلك وأكثر من ذلك بالإنسان والحياة ومعلومه ومفسرته وممجدوه ومشروعوه لهما..

ولكنهم مع كل هذه الأحوال والتهاول التي تفعلونها وتوقعونها وأنتم كاذبون لا بد أن تحسبوا كل القداسة والشهامة والحب والنبل والعطاء والجمال والرحمة لو حوسبتم بكم صادقين أي بافترضكم صادقين..!

يا من كذبهم أنبل وأرحم وأتقى وأذكى من كل الكذب بل ومن كل الصدق، أي إذا لم يكن يذ أو يدبل من أن يكونوا صادقين أو كاذبين..!

إن كذبهم أقل قبحاً وهولاً من صدقهم.. من هم؟ إنهم المتحدثون عن الآلهة..! ولكن أليس كذب الآلهة في كل ما وعدوا وأوعدوا به، في كل ما قالوه رايواً له عنهم أنبياءهم وملائكتهم هو أنبل وأرحم وأتقى الكذب من كل الكذب أي محاسباً بصدقهم؟ إنه لو لم يكن الأنبياء كاذبين في رؤاهم وتعاليمهم ورواياتهم عن الآلهة لوجب أن يكون الآلهة كاذبين..!

إنه لواجب ومحتم أن يكون أحد الفريقين أي الآلهة والأنبياء كاذباً. أما أن يكون الفريقان صادقين فإن ذلك خارج على كل الاحتمالات والقوانين والقدرة والمنطق والتقبل.. خارج على كل الممكن والمعقول والمستطاع..!.. ألا يمكن أن يكون الآلهة والأنبياء كاذبين معاً بأسلوب ونيات الاتفاق والتآمر؟



آه، إني لنفي حيرة.. لنفي أقسى وتفاسير وعذاب ومعاني الحيرة، في أقسى مشرباتها..
.. إني أريد بكل قوة وقسوة وضغوط وأوامر وأشواق الإرادة - بل وبكل إرادة التنفيذ والاستجابة لها أي للإرادة.

نعم.. إني بكل ذلك.. بكل هذه التفاسير والضغوط أريد وأريد ما أريد وأن أستجيب وأطيع وأحب وأحترم وأنفذ ما أريد.. هذا الذي أريد مهما كنت عاجزاً عن فهم ما أريد وعن أي تفسير وعن أية قيمة له.

.. مهما كنت عاجزاً عن الفهم بل وعن الاحترام لما أريد وعن الجواب: لماذا أريد ولماذا أريد ما أريد ولماذا أريد كما أريد..! كيف جاء ولماذا جاء الإنسان مريداً كما يريد ومريداً لكل ما يريد بكل صيغ إرادته وأساليب تعبيره عنه؟ كيف ولماذا؟ هل يوجد أو يتصور مثل وهازم ومعذب

ومستبعد بل ومعجز فاضح متحيز للإنسان مثل إرادته.. مثل أن يجيء ويصاغ محكوماً عليه بهذه القوة التي لا تفاسير ولا حدود ولا أخلاق ولا كرامة ولا منطق ولا عقل لسلطانها وطمعها ورغباتها وإملاءاتها..

أي محكوماً عليه بهذه القوة المسماة بالإرادة ومحكوماً بها؟ كيف يمكن أن يحسب حراً أو أنه يملك أو يستطيع شيئاً من الحرية أي كائن محكوم بهذه القوة.. بهذه الإرادة الذاتية أو بهذه العبودية الذاتية التي تتكون ونجى وتحكم وتطغى وتطلب وتملي وتأمّر وتنهى بلا أية قوانين أو شرائع أو أدهان أو مذاهب أو تخطيط أو تدبير أو معاسية أو مساءلة أو محاكمة أو صياغة مقررّة أو معقولة أو مقبولة..؟

كيف تجيء إرادته ضد إرادته وعاصية لإرادته ولكل معانيه وقيمه وتعاليمه وعلمه وتقواه وأخلاقه وكرامته؟

كيف استطاع أو يستطيع الإنسان.. أي إنسان أن يتحدث عن حرّيته.. عن أية حرية إن كان قد فطن إلى ذلك ورآه وعرفه وتعدّب وافترض ودلّ به وله؟

أو كيف استطاع أو يستطيع أن يتحدث عن الذكاء أو الرؤية.. عن أنه قد يملك شيئاً من الذكاء أو الرؤية أو من القدرة على أنه قد يكون شيئاً من هذا أو هذا إن كان قد فطن إليه أو رآه وعرفه؟ إن الإرادة هي كل المستعبدين المذّكين لكل الأحياء حتى للآلهة، إنها كينونة وليست تدبيراً أو تخطيطاً.

يا كل العالم.. أنت كل العمى والغباء والهوان والجبن مهما كنت وزعمت بل وفهمت وقشرت كل الرؤية والذكاء والعزّة والبرّ والسالة والكرامة والكبرياء..!

.. إني أريد، أريد دون أن أريد، وأريد ما لا أريد وما أُنجل وأفجع بأن أريده وحين أريده وما أعجز عن أن أفعله بل وأن أريده كما أريده وكما يجب أن أريده..!

إذن اسعد واصعد أيتها العار والهوان بالإنسان أمام إرادته وفي إرادته وفي إرادته وفي خضوعه وعبوديته لإرادته..!

إذن اصعد واصعد وتعاضم أيتها العذاب الإنساني..!

.. إني أريد بدون أن أريد أو أقبل أن أريد.. بدون أن أدري لماذا أريد.. بدون أن أستطيع ألا أريد.. بدون أن أستطيع تعقيل أو تصحيح أو تعليم أو تهذيب لإرادتي..!

أليست كل حياة مشحونة بكل ذلك بل وبكل ما هو أقسى وأفجع وأصعب من كل ذلك بقدر ما هي حياة ولا فطن تكون حياة؟ أليست ضخامة ومجد وعظمة وذكاء كل حياة مساوية لهذه الحياة ومتكاخضة معها؟

أليست الحياة أي كل حياة عذاباً وانفجاعاً ورعباً وترويعاً وتهديداً وأعباءً وتكاليف والتزامات فادحة، فادحة بقدر ما هي الحياة؟

أليس فقد أو ضعف أو استرخاء أو تبلّد العذاب والانفجاع والانزعاج والتوقع الدائم القاسي

الرهيب الشامل يعني حتماً فقد الحياة أو ضعفها أو بلادتها أو هوانها أو عصاها أو يعني كل ذلك؟ لهذا أليست الآلهة هي أقسى وأندح وأفجع الكائنات كينونة أو أغياها وأموتها وأعماها وأذلها كينونة؟

إنها أي الآلهة إما أن تقاسي أقسى العذاب وكل العذاب وإما أن تعيش كل الموت والخمود والعمول والتبذ والغيرة!

أليس اليقظان المتوهم الحاد الرؤية والقراءة والمحاسبة والمحاورة والمساءلة أكثر وأقسى عذاباً وانفجاعاً واشتمزازاً واستنكاراً ومعاناة لكل الأحوال والترويع من النائم الخامد الخامل الغريق في بلادته وبروده وصحته ونومه وموته وغيبوته الشاملة؟

أليس الكائن يعذب ويتعذب ويفجع بقدر ما يحيا ولأنه يحيا؟

أليس الكائن أي كائن يحيا بقدر ما يقاسي من العذاب والانفجاع والاشتمزاز والاستنكار والاندهاش؟

أليس الكائن الحي يحاسب ويعاقب ويعذب بل ويفجع ويهان ويفهر على قدر ضخامة واتساع وصعود وتفرع كينونات حياته؟

كيف وجد من يجهل ذلك؟ وهل وجد هذا الجاهل الذي يجب أن يحسب وجوده غلطة أي إن وجد أو لو وجد أو لو كان ممكناً أن يوجد؟

كائن يجهل أن ضخامة الحياة تعني حتماً ضخامة العذاب بكل أساليبه وتقاسيره وصيغه ولغاته..!

هل وجد هذا الكائن؟ هل يمكن أن يوجد؟



أجل، إنني أريد أن أقول وأقول وأن أظل أقول.. إنني أبداً أذكر وأتذكر وأحب وأشتاق وأتطلع وأنتظر، أتمنى، أتمنى بكل اللهفة والتلهف والاحتراف والإحراق.. بكل طاقات ووقود وأجهزة الاحترق والإحراق.. بكل طاقات وبلادات وحماقات وعداوات وخطايا وأخطاء الزعامات والقيادات والعبريات والشاعريات العربية - بكل قدرتها على إحراق عقول وقلوب وضمائر وأخلاق ورؤى كل من يقرؤونها أو يحاسبونها أو يحاورونها أو يعايشونها أو ينتظرون منها أو يفشرونها أو يحاكمونها أو يطالبونها بالمقاييس المعروفة فكيف بمن يحدقون فيها؟

.. بكل طاقات وقدرات النقط العربي على أن يكون محترقاً ومحرقاً لكل الرؤى والحسابات والتوقعات العقلية والقانونية والأخلاقية والحضارية بل والدنية، حتى الحسابات والتفسيرات الدينية قد جاء أي النقط العربي هازماً صادمًا مشوهاً مكذباً لها ساخرًا منها!

.. على أن يكون محترقاً ومحرقاً بكل أساليب ولادته ومجيئه وحياته ووفاته الأليمة المحتملة المنتظرة بكل تفسير الانفجاع والتخريب والتعذيب والترويع والإذلال..!

.. بكل طاقات وقدرات كل التاريخ العربي والحاضر العربي على أن يكونا محرقين ومذّلين وهازمين ومهينين وفاضحين وشائمين ومخرجين لكل تاريخ ولكل حاضر وواقع وكائن، أي لو حسبنا أعني التاريخ العربي والحاضر العربي - لو حسبنا على التاريخ والواقع والحاضر والكائن وحسب كل ذلك أو بعض ذلك بهما..

ما أقسى انفجاعات الزعامات والقيادات والنبوات والعقريات بل والألوهيات لو حدثت أو فكرت في الزعامات والقيادات والعقريات والألوهيات العربية ورأت أو ظنت أنها محسوبة عليها ومقسرة بها ومسؤولة عنها أو ما أقسى وأعظم وأسعد وأفرح شمانتها وسخريتها. إن القارئ المحاسبين المقشرين للمواهب والطاقات والتعبيرات والكيّنونات العربية لا بد أن يقاسروا من الفجيجة أو من الشمانة والسخرية.

.. كم من الفجيجة والترويع والخروج على كل منطق وحساب وتدير وخلق جيد في هذا...
أي في أن طاقات الاحترافي والانفجاعات والإحراج والاستحياء والخوف والرهبة وطاقات العذاب والهوان والسقوط في الإنسان لا حدود ولا نفاذ لها مهما كان لكل شيء حدود ونفاذ.. حتى كرامات وذكاه وعطاء ورؤى وعقريات الآلهة لها حدود ونفاذ، حتى لقدراتها وفنونها وأشواقها وعلمها وصبرها وشجاعته ومروعتها ورحمتها وحكمتها لها أقسى الحدود والنفاذ! إنه لا حدود ولا نفاذ ولا حساب لعذاب الإنسان المعنوي.. النفسي والعقلي والأخلاقي والتصورى والعاطفي والتوقعي مهما كانت وضائق وصغرت حدود وطاقات وحسابات ذاته ورائته وذوات وواقع كل شيء، وكل أحد..!
هل وجد أو يمكن أن يوجد أو يتصور تعذيب أو ترويع أو تفجيع أو عدوان أو خروج على كل التفاسير الجيدة بل المعقولة المقبولة مثل هذا، مثل أن يكون العذاب بلا حدود والمعذب في أصغر وأضيق الحدود والأحجام والطاقات والكيّنونات؟
إذن كيف يمكن أن يكون أو يتصور لطاقات عذاب الإله وانفجاعه وترويعه وحرجه وإحراجيه وأثقاله حدود أو نفاذ؟

لقد كانت كل الاحتمالات والحسابات والافتراضات نقول أو يجب ويتوقع أن نقول: إن كل المخلوقين والمخلوقات لو استقرغت وصبت وصاغت في الإله كل بلاداتها وتبلدها ونذالاتها ووحشياتها وقبحاتها وكل عماها لما استطاع كل ذلك أن يهبه القدرة أو الجرأة على أن يرى أو يواجه أو يقبل أو يقرأ وجوده أو أي وجود فكيف يعايشه أو يعاشره أو يساكنه أو يصادقه دون أن ينتهر، أن يموت، أن يحترق انفجاعاً واستحياء وخزياً وعاراً وحرماً وإحراجاً بل وذعراً وهواناً.. وإن كل المخلوقين والمخلوقات لو أنها وهبت أو أعارته كل دموعها وأحزانها وفواجعها لما كتفت أو قبلت لتكون شيئاً من دموعه وفواجعه وأحزانه أي المفترضة فيه والمفروضة الواجبة عليه..!

إذن كيف أمكن أن يعق الإله كل بقائه المذكور والمكتوب والمزعوم والمعلم يواجه ويعايش ويعاشر ويرى ويقرأ ويفهم ويخاطب كل هذا وكل غير هذا دون أن يذهب بلا عودة أو قبول للعودة أو تفكير فيها.

- نعم، دون أن يذهب الذهاب الأبدى منتحراً أو محترقاً أو مصعوقاً أو هارباً.
- دون أن يفعل أي شيء أو كل شيء لإنقاذ نفسه وللستر عليها - للهرب من نفسه ومن كل شيء؟

هل تستطيع كل التفسيرات الجيدة والرديئة الذكية والنية الكريمة والمهينة الباسلة والجيانة.
- هل تستطيع كل هذه التفسيرات أن تجد لهذا أي لبقاء الإله كل هذا البقاء مواجهاً كل هذه المواجهات أي تفسير؟

كيف استطاع الإله أن يجهل ذلك الكائن أو ذلك السلوك النبيل الباسل المنفذ المشنوم بتعاليم كل الأنبياء والجناء والجهلاء والأرقاء الأذلاء أي المسمى انتحاراً؟ هل جهل أي الإله ذلك أم ربه وهابه واستصغر نفسه أمامه أم عجز عن الصعود إليه لهذا لم يتعامل معه وبه؟ إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد انتصار مطلق أبدي على كل شيء سوى شيء واحد هو الانتحار.. إنه كل الانتصار في نتائجه وحوافزه مهما بدا أو حسب انهزاماً في أساليبه ولغاته.

إن أي إله وكل إله لن يستطيع أن يجد أو يعرف أو يمارس أي إنقاذ أو تقوى أو شهامة أو شجاعة أو براءة أو طهارة أو حصانة من كل الآثام والآلام والهموم والفضح والافتضاح غير أن ينتحر، ينتحر أو أن يذهب بأي أسلوب آخر.. إنه لو كان الانتحار في كل الحالات هو كل الجبن والعذاب والقبح والخطأ والإساءة والمعجز والدمامة والفجيعة والخسران لكان في الإله وفي كل إله هو كل النقيض وأقوى النقيض لكل ذلك!

كيف أمكن أن يوجد إله يظل يواجه ويعايش ويقرأ نفسه وكل هذا وكل شيء وكل أحد.. يظل ويظل ويظل أبداً بلا انتحاره بلا انتهاء أو ذهاب أبدي بأي أسلوب..؟ كيف أمكن أن يوجد مثل هذا الإله؟

هل استعار نفسه من الزعامات والقيادات والعبريات والنبوات العربية في أضخم وأعلى وأقوى وأذكى مستوياتها، أي في مواجهاتها لإسرائيل أي حين مواجهاتها لإسرائيل؟

هل هان أو صغر أو افتضح أو قبح أي شيء مثلما هانت وصغرت وقبحت وانتضحت الزعامات والقيادات والعبريات والنبوات بل والألوهيات العربية في مواجهاتها لإسرائيل؟

أجل، لقد كانت مواجهة العرب لإسرائيل مواجهة بين آلهة وأنبياء العرب أو بين إله العرب وبنينهم وبين إسرائيل، إن العرب لا يواجهون أي شيء بأنفسهم بل بكل شعوب وقبائل وسلاح وقصائد وقيادات تراثهم؟

إن هوان وعجز وعار والافتضاح كل مواجهة لا بد أن يصغر ويغفر ويهون محاسباً بهوان وعجز وعار والافتضاح وبلادة وهزائم مواجهة إله العرب وبنينهم لإسرائيل... أليس كل العرب يرون ويعتقدون ويعلمون بكل الافتخار والمباهاة والكبرياء بأن كل مواجهاتهم لإسرائيل ليست بأية صيغة أو تفسير من صيغها وتفسيرها إلا مواجهة بين كل آلهتهم وأنبيائهم وأديانهم وعبادتهم وصلواتهم وقرآنهم بل ولجنيلهم ومكتهم وكميتهم وثرثهم ونجفهم وكربلائهم وبين إسرائيل.. إسرائيل، إسرائيل؟

إن من خصائص العرب أن كل مواجهاتهم مواجهات بأربابهم وأنبيائهم وبكل تراثهم! .. ويل التاريخ من إسرائيل.. وبله من إسرائيل مواجهة للعرب.. لآلهة وأنبياء وتاريخ وفروسيات وعقريات وشاعريات العرب.. مفطرة لمقابر وتوابيت وجثث العرب المدفون المخزون المقروء فيها كل وجودهم الذي كان والذي أيضاً لا بد أن يكون ويكون كما كان لا كما قيل وروى وزعم.. أليست كل صيغ وكيونات العرب الحاضرة والآتية مدفونة مخزونة مصورة مسخططة في مقابر وجثث وتوابيت آبائهم؟

.. نعم، ويل التاريخ من إسرائيل. وبله!

.. ولكن أليس وبله من العرب لا بد أن يكون أفجع وأدوم وأصعب وأقسى وأشمل بل وأصدق من وبله من إسرائيل.. من وبله من كل شيء؟ أليس ويل التاريخ من العرب مواجهين لإسرائيل لا بد أن ينسبه كل ويلاته الأخرى؟

أليس التاريخ كله ويلات، ويلات مهما اختلفت وتنوعت الصيغ والأساليب واللغات والجنسيات؟ أليس كل ما يرى ويعلن أمجاداً ومسرات وانتصارات للتاريخ وفيه هي مهانات وأحزاناً وآلاماً وهزائم له وفيه بكل التفسير والحسابات؟

.. أليس أقوى وأعظم وأشهر ما في التاريخ ومن في التاريخ هم أقوى وأعظم وأشهر وأتقى من يصنعون ويلاته.. أضخم وأكبر وأشهر ويلاته؟ هل يوجد أو يتصور مبصوق مدفون فيه كل الآلام والآثام والبلادات والمهانات والوقاحات بكل الأنساب والانتماءات والأساليب واللغات والديانات غير التاريخ؟

.. هل يستطيع كل الأبالسة متحالفين متآمرين مع كل الملائكة ليوقعوا بكل العرب كل المعاني الرديفة الدميعة بكل طقاتهم وحماساتهم وتجاربهم - هل يستطيعون أن يفعلوا أو يلقوا من ذلك شيئاً مما فعلته وبلغته مواجهاتهم أي مواجهات العرب لإسرائيل؟

لنمت كل الرؤى والعقول والتصورات والقراءات.. لنمت لئلا نقرأ أو نرى أو نعرف إله العرب يقاسي، يقاسي مواجهاته لإسرائيل.

ما أعظم ذنوب وقبح من ألقى بك يا إله العروبة إلى هذه المواجهة!

.. كيف وجد من قبل أو صنع أية مواجهة بين أي شيء وشيء أو بين أي كائن وكائن أو بين أي إله وإله إن كان قد عرف أو قرأ أو رأى أو حتى تصور مواجهة العرب لإسرائيل أو مواجهة إسرائيل للعرب أي ولآلهتهم وأنبيائهم وعلمائهم وخبرائهم وشعرائهم وفقهائهم ولكل قبور خلفائهم وسلطيتهم وأبطالهم ومواجهين لها!؟

أليس المقروض والمنتظر بل والواجب أن تتوقف وترفض كل المواجهات بين كل الأشياء والكائنات والكائنات بعد مواجهة العرب لإسرائيل أي حذراً من أن تجيء أي مواجهة شيئاً من تفسير أو صيغ أو مستويات مواجهة العرب لإسرائيل؟

هل يمكن أن يقال ويقبل ويصدق ويقنع أن الإله أي إله حتى الإله العربي الذي لن يكون أي مستوى من مستوياته إلّا عربياً، عربياً تفكيراً وعواطف وأخلاقاً ورؤى بل وعضلات..

قد قبل بقاءه وأصر على بقاءه بحوافز وتفسير لا مثيل لها في فدائها وتضحيتها.. لا مثيل لها في أي مستوى من مستوياتها.. في أي مستوى من كل المستويات المجربة والمفترضة؟

هل يستطيع أو يقبل أي إله أن يفعل هذا المستوى من الغداء والتضحية؟

هل قبلت وتقبل الآلهة وجودها وبقاها ورضيت وترضى وجودها وبقاها للذين لا مثيل لهما في البؤس والفضح والعذاب والإحراج والترويع بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض أو عزاء أو حتى شكر رغبة في الغداء والتضحية والتزاماً بهما؟

هل يستطيع افتراض هذا الافتراض؟ هل يستحق أي إله أن يوجب هذا الافتراض؟

نعم، هل يمكن أن يوجد أي تفسير لوجود الآلهة وبقائها وسلوكها ولكل تصرفاتها غير أنها بلا مثيل في فدائها وتضحيتها وإن كان قداء وتضحيات بلا أي قدر من الذكاء أو المنطق أو العقل أو الحساب. بلا مثيل في فقدتها لكل الذكاء والمنطق والحساب العاقل، أو أنها بلا مثيل في عدوانها على نفسها وعلى كل شيء وكل أحد وأن بلادتها بلا مثيل في إرادتها وتديرها وتخطيطها وصياغتها وإخراجها لهذا العدوان؟ إنه لن يوجد أي تفسير جيد لأي إله وإن اختلفت وتفاوتت مقادير الرداءة في كل تفسيرها.

.. نعم، هل التفسير أن الآلهة قد قبلت ورضيت وجودها وبقاها للذين لا مثيل لهما في افتضاحهما وحزنهما وعارهما وقبحهما وعذابهما وتشوّهاتهما وخسرانتهما ونذالتهما وقحشهما وعدوانتهما - قد قبلت ورضيت ذلك بكل أساليبه لأنها نبيلة وصديقة ورحيمة ونقية، تقية..

.. لأنها تريد أن تدرب وتعلم كل الكائنات التي حبلت بها وولدتها شهواتها ونزواتها وآلامها وأخلاقها وضياها وفراغها وجوعها الجنسي وجوعها الشامل الدائم.

- أن تدرب وتعلم كل هذه الكائنات وفي تمتها الإنسان وفي حضبيضا وحضيض حضبيضا كل الكائنات الأخرى حتى أحقر وأنذل الحشرات أي التي نراها ونعلنها كذلك بل وتعلنها لنا وتعلمنا إياها كذلك ألوهياتنا ونبواتنا وأدياننا وتقوانا ورحمتنا وحبنا وتواضعنا الديني والأخلاقي والإنساني والحضاري؟ هل سفه أو أذنب أو ترحش أو فحش أو تبخ أو اعتدى الإنسان هو وآلهته وأنبيأؤه مثلما فعلوا في رؤيتهم وتفسيرهم ومعاملاتهم وقراءاتهم وتصوراتهم للكائنات الأخرى التي يسمنها حيوانات وحشرات وفي إعلانهم وأحاديثهم عنها؟ ماذا يمكن أن تقول المحاسبة لو حاسبوا أنفسهم بها، لو حاسبوا كل سلوكهم وتبائهم ببياتها وسلوكها؟

- نعم، لأنها تريد أن تعلم وتدرب وترؤس كل هذه الكائنات المهانة المحقرة وكل شيء وكل أحد على أن يتقبل وجوده ويسعد به مهما كان قبحه وفضحه وهوانه وبلادته وسفاهته وحقارته وعذابه وعاره؟ هل يرضي الآلهة أو يسعدوا أو يريحها أو يهبها المجد والعظمة أن يكون هذا هو التفسير

لتقبلها وجودها وبقائها؟ ولكن لماذا تريد وتحاول أن تقنع الأشياء والكائنات بتقبل وجودها وبقائها؟ هل يستطيع فهم هذا؟

ما الذي تجده في هذا الوجود وهذا البقاء لكي تعاقب نفسها من أجلهما؟

الآلهة بكل معاني ونيات وصيغ وتفسيرات الفناء والتضحية والتعذيب والتحقير والتشويه للنفس تريد وجودها وبقائها لأنها تريد أن تعلم وتدرّب وتروّض كل شيء وكل أحد على تقبل وجوده وبقائه. إنها أي الآلهة تعاقب وتعذب وتشوّه نفسها بوجودها وبقائها لأنها تريد وجود كل شيء!.

نعم، ولكن لماذا تريد لكل شيء وكل أحد أن يوجد ويبقى وأن يتقبل ذلك ويتعامل به ومعه؟ هل هذا نوع من الغرام الساحر الفائن القاهر المضل المذل الذي لا يمكن تفسيره أو فهمه؟ هل يمكن أن يوجد أي تفسير لذلك؟

من سحب من كل العالم أو قتل فيه كل تفسير ورؤى وحسابات وتساؤلات بل ونبضات وآثات ومصرخات الفكر والقلب والانزعاج والغضب والاشمئزاز والاستكار؟ هل التفسير أن ذلك قد سحب من العالم أم أنه لم يتخلق فيه؟

.. ما أقسى التفكير والتحديث في منطق وحسابات من تقبل ويتقبل وجوده وبقائه برضا وفرح وإعجاب أو حتى بغضب وحزن واشمئزاز.. ما أصعب فهم ذلك!.

أليس أقوى وأضخم الموجودات وجوداً هي أقسامها وأضعفها وأقبحها وأبلدها وأخسرها وجوداً لهذا جاء وجود الآلهة وأعوانهم ومستشاريهم وموظفيهم الأقيح الأبلد الأخسر؟

هل يستطيع قبول تقبل الآلهة لوجودها وبقائها مهما قبل تقبل كل شيء وكل أحد لوجوده وبقائه؟

وهل يمكن قبول تقبل أي كائن لوجوده ثم لبقائه؟

لو أن كل الكائنات حتى أصغرها وأحقرها وأذلّها وأخسرها وأضعفها قد اقتصت بكل منطق وتفسير وحسابات ومزايا وأرباح وجودها وبقائها لكان مفروضاً بل ومحتمواً أن يوجد استثناء واحد، واحد هو الإله، هو كل إله..

لوجب أن يقتنع كل إله أنه لم يوجد ولن يوجد ولن يتصور أن يوجد أي ربح أو تفسير أو منطق أو مزية أو جمال أو قوة أو ضرورة أو أي معنى لوجوده وبقائه أو في وجوده أو بقاءه بل أو أي عزاء أو إنقاذ أو حتى تسلية أو تلهية من أي نوع أو بأي أسلوب!..

.. لقد كانت كل الافتراضات تقول حتماً وحسماً إن أي إله مهما كانت ضخامة ووحشية وجنون أنانيته وقوته وطغيانه واستبداده وافتراسه واستمناعه وسكره وخدشه بذلك لن يستطيع ولن يستطيع أن يجد أو أن يوجد لوجوده وبقائه أو في وجوده وبقائه أي ربح أو مجد أو فرح أو سعادة أو قوة أو معنى أو تفسير.

حتى ولو وجد وفهم وعقل كل ذلك في وجود وبقاء كل شيء وكل أحد...

حتى ولو وجد وفهم وعقل وأرضى بل وأعجب كل ذلك في وجود وبقاء أصغر وأحق وأقذر وأخسر الكائنات والحشرات التي أرادتها وخططتها وخلقها الآلهة لتكون تمجيذاً وتعظيماً وتضخيماً لمجدنا وعظمتنا وضخامتنا مقارنين بها مساكين لها..

آه. هل وجد أو يمكن أن يوجد أي كائن مهما كان هوانه وخسرانه وعذابه وهزائمه وفضائحها أو أن يبقى لو كانت أو حتى خاف أو توقع أن تكون هزائمه وفضائحها وعذابه وهوانه وخسرانه شيئاً مما يقاسيه الإله أي إله من ذلك بلا أي ثمن أو تعويض أو تكفير حتى ولو معنوياً نفسياً أو أخلاقياً أو دينياً.. حتى ولو تأملاً أو عوداً أو انتظاراً خائباً..!

إنها لو استحققت كل الكائنات.. الحشرات وما هي أضعف وأصغر وأهون وأشقى من الحشرات - لو استحققت كل التهنئات على أرباحها وفوائدها وأمجادها وأفراحها وسعاداتها وانتصاراتها لوجودها وبقائها وفي وجودها وبقائها لما استحق الإله.. كل إله وأي إله وأعظم إله إلا كل التعزية والثناء والإشفاق والبكاء والأسى له وعليه ومن أجله لما يصنع له وجوده وبقاؤه مما يجعله مستحقاً لكل ذلك.. مستحقاً له بأساليب وتفسير لا يمكن أن يستحق بها أي كائن مثلما يستحق بها الإله كل إله وأي إله وأعظم إله..!

إنه لو وجدت أو أقيمت أو عرضت أو أعلنت أية منافسة أو مبارزة أو محاسبة أو مقارنة كونية أو دولية عالمية أو محلية بين ما ندعوها ونراها ونعلنها ونعلمها أصغر وأحق الكائنات وبين أضخم وأعظم وأقوى وأجمل وأنبأ وأقوى إله أي ما ندعوه ونراه ونعلنه ونعلمه كذلك. أي في مزايا وأرباح وجمال وأفراح وسعادة كل منهما في وجوده وبقائه ومن وجوده وبقائه لكان حتماً أن يكون الإله وكل إله مهزوماً خاسراً مقهوراً بالأساء في هذه المحاسبة والمبارزة والمقارنة..!

إنه لن يوجد أو يتصور أو ينتظر أي شيء معقول أو مقبول أو مغفور إلا مشروطاً بالآل يحاكم أو يفسر أو يقرأ أو يحاسب بأي قدر من العدل أو الذكاء أو المنطق أو الأخلاق أو الوقار أو الصداقة أو المحبة أو حتى بشيء من الاستحياء أو الإيمان أو التقوى.. إن أي إله لن يجيء أو يقبل أو يفهم أو يغفر إلا بشرط محتوم هو أن يكون خارجاً على كل صيغ ومعاني الإله المزعومة والمفروضة والمقبولة بل بشرط أن يكون معادياً ومقاوماً لاعتنا مدمراً لكل هذه الصيغ والمعاني أي المزعومة المروية المندوسة المنزلة المعلّمة بأنها كل أشواق وتمنيات وكرامة ومجد وتقوى وجمال كل إله..!

إن أي إله لن يكون إلهاً أو يقبل إلهاً إلا بقدر ما يكون عدواناً على كل قيم ومعاني وتفسير وأخلاق الإله المعلّمة المنزلة على كل الأنبياء والنبوات والكتب المقدسة بل إلا بقدر ما يكون خروجاً بذبياً وقحاً على كل ذلك..!

.. هل اشترط من الخروج على كل المعاني والصيغ والذكاء والأخلاق الجميلة الذكية الكريمة أن تكون خروجاً على كل ذلك بل ومعادية ومحاربة له مثلما اشترط ذلك على الآلهة، على كل الآلهة بل وأن تكون أفسى وأقوى وأشمل وأدوم وأظنى وأسف رافض ومعاقب ومشوّه وهازم مذل شاتم مهين بل ومحقّر، محقّر لها أي لكل القيم والمعاني والتفسير والأخلاق الممجدّة في كل التعاليم والأديان؟

.. إنه لسؤال صعب أن يطلقه اللسان أو أن تسمع إليه الآذان أو أن يكتبه القلم، وأن تصوغه الحروف أو أن يستقبله الورق أو أن تقرأه العيون أو تراه أو تفشروه أو تفهمه أو تقبله أو تعقله أو تغفره العقول أو القلوب أو الأخلاق أو الضمائر أو حتى الأديان والمذاهب. إنه سؤال قاهر فاضح مدلل معجز لكل شيء، لكل سؤال وجواب ومنطق وفهم لأي تفسير جيد، لأي شيء يحسب جيداً.. إنه السؤال المطروح المحفور المنحوت المرئي المقرء المترجم المستوي الواقف الصاعد فوق كل الوجوه والعيون والجلود والذوات والشياب والرؤى والآفاق والاتجاهات.. والصارخ، الصارخ بكل الأصوات واللغات واللغات والبذائع والنشوءات والتحديات والإهانات والهجائيات.. إنه السؤال الذي هو كل ذلك وأكثر وأقوى وأفجع من كل ذلك ولكن دون أن يسأله أو يسمعه أو يقرأه أو يراه أو يتصوره أو يراعه أو يفجع أو يمرض أو يموت به أحد، كأن القضية أن السؤال بقدر ما يكون قوياً وصادقاً وحراراً وظاهراً يعجز عن الظهور والنطق.. إن هذا السؤال أي بعض هذا السؤال يقول: من هذا الكائن ومن أين جاء وكيف أمكن أن يجيء وتقبل أن يجيء...! هذا الكائن الذي أراد وقدر وجرؤ وقبل ورضي وأذن وغفر لعقله أو لأخلاقه أو لاستحيائه أو لكرامته أو لشهامته أو لنظافته أو لرحمته أو لجماله أو لأي معنى من معانيه: أن يريد ويخطئ ويصوغ ويخرج ذات هذا الإله ليكون ويقاسي ويواجه كل ما حدث وما هو حادث.. أن يهب هذا الإله كل معانيه وصيغه وتفسيره ورؤاه وأحاسيسه وأخلاقه وشهامته ونخواته وقدراته وكراماته أو أن يرضاه أو يقبلها له أو حتى بعضها، بعضها! من خالق وواهب هذا المرشد الفاعل نذالاته ودماياته ووحشياته وجهالاته؟ من الذي أراد استطاع أن يجعله كذلك أي يجعل الإله.. أن يصوغ ذاته ويقبل أن تكون ذاته كما كانت أو كما صيغت أو كما صاغها لتقاسي وتواجه وتتحمل كل عذابها وهمومها ورزقاتها وهزائسها وضعفها وهوانها وضياها ووحدها.. هل قل هذا الكائن بالإله ذلك نذالة أم عجزاً أم بلاءة أم عدوانية بلا شبهة أو مثيل؟ ولكن كيف استطاع وعرف أن يملك كل هذه القدرة اللينة والأليمة البليدة التي جعلته يستطيع أن يفعل ذلك؟

كم هو فاجع وفادح ومدل مخز أن البشر لم يعرفوا أنه لم يصب بكل صيغ ومعاني التشويه والتعذيب مثل ذات الإله وأنه لم يتصور أو يتكر أو يعشق أو يصنع أو يرد أو يستطيع أو يخطئ كل صيغ ومعاني التشويه مثل من صاغوا ذات الإله أو تصوروها أو أرادوها أو قبلوها أو غفروها أو رضوها أو فشروها وعلموها وأنزلوا الأديان والنبوات والكتب المقدسة الخالدة لتلقينها وتعليمها وتحفظها!

لقد كان المفروض بل والمعقول أي لو وجد هذا المعقول أن تعجز كل عبقريات البشر وكل ذكائهم بل وكل جهالاتهم وبدوايتهم وبلاداتهم أن تصنع أو تريد أو تقبل أو تعقل أو حتى تتصور أو تتسنى أو تفهم أو تغفر ذات الإله أو صيغته أو تفاسيره أو أخلاقه أو نماذجها أو فنونه أو منطقها أو تصوورها أو حتى عذابه وهزائمه وحرمانه وضياعه وأحزانه الزاحمة المشوّهة المعيّنة الفاجعة السالبة المهينة لكل الرؤى والعقول والضمائر والحسابات والأخلاق والتمنيات بل وللنوى.

كيف استطاع أن يفهم أو يقبل بل أو يتقبل أو يتصور أي كائن: إن كائناً ما قد يصغر أو يهون

أو يقبح أو يندل أو يتشوه ويتوحش أو يجهل أو يتلوث أو يسقط كل صيغ السقوط ومعانيه وإراداته وفنونه وعبقرياته لكي يستطيع أو يجزؤ أو يقبل أن يهب هذا الإله كل صيغه الذاتية أو الغنية أو الأخلاقية أو الإبداعية أو المنطقية التي يريد ويخطط ويصوغ ويخرج ويواجه ويفسر ويعامل ويرى ويقرأ بها ذاته وحياته ووجوده وكل شيء.. لكي يستطيع أن يفعل ويرضى كل ذلك كما جاء راضياً فاعلاً له؟

كيف قبح وهان وتوحش ونذل أي هذا الكائن المفترض لكي يستطيع ويجزؤ أن يصنع هذا الإله كما صنعه وأن يريده ويتصوره ويخططه ويصوغه ويخرجه بل أو أن يراه ويقرأه ويفسره كما جاء.. كما نراه ونقرؤه وتواجهه وتقاسيه وتفسره وتفتح وتروع وتحزن وتتعب وتهان وتصغر به وله ومن أجله وفيه كل الآلام والمعاناة والتشوهات والتفاهات والأخطاء والخطايا والكينونات بل والاحتمالات وكل الكائنات، بل وتعاني كل الخجل والعار والاشمئزاز والغشيان به وله ومن أجله؟ كيف وجد من يستطيع أو يقبل أن يكون موجد هذا الإله أو الراعي لعذابه أو لهومومه أو لهزائمه وعجزه وضعفه وحيرته وضياعه ولأخطائه وخطاياها؟

.. وكيف تقبل هذا الإله أن يجيء أو يصاغ كما جاء وكما جاءت صيغه؟ كيف استطاع أي عقل أو خلق أو منطقي أو حساب أو فن أو إيمان أو تدبّر أو نيل أو جمال أن يفهم أو يفسر أو يتصور أو يتقبل ذلك أو حتى أن يغفره؟

إنه لم يوجد ولن يوجد قبح أو بلاء أو مهانة أو وحشية تصور وتقبل مثل قبح وبلاء ومهانة ووحشية تصور وتقبل هذا الإله.

إذن كيف يمكن بل ويجب أن يكون الرأي والرؤية لمن جاؤوا ليعلموه أي يعلنوا هذا الإله ويعلموه ويلقنوه ويفسروه وينزلوا الكتب والنبوات والأديان في تعليمه وتلقينه وتفسيره وفي الإعلان عنه والتشهير به وفي صياغة وإنزال وتعميد وتنوع اللغات والتهديدات لكل من لم يروه ويعتقدوه ويعلموه ويفسروه كذلك؟ إنها لقضية لا بدّ أو يجب أن تصنع كل الحيرة والانفجاع والاستحياء والغضب..!



أجل، إني بكل الفرح والرضا والسعادة أريد أن أقول وأقول وأن أحول أقوالي إلى أناشيد وترانيم وصلوات بل إلى أنقى وأصدق وأحر وأعظم إيماناً وتديناً من كل ذلك! هل توجد حياة بلا صلوات وأناشيد وترانيم؟

أليست أصوات الحشرات وكل الكائنات الأخرى هي أصدق الصلوات والترانيم والأناشيد؟ أليس كل شيء هو أنقى وأصدق وأحر وأعظم تديناً وإيماناً من كل الترانيم والأناشيد والصلوات والمناجاة والصرخات الدينية التي تطلقها حناجر ومناير ومحاريب ونبوات وصلوات كل القادمين من السماء المتحدّين عنها الصارخين باسمها.. المترعدين الواعدين بأهوالها وحبها وجمالها؟ هل يوجد أكذب أو أخدع أو أبلد من أصوات القادمين من السماء؟

أليست دموع وآثات وأهات وصرخات واحتجاجات بل وتلعنات وبذاءات وأحزان كل الأطفال والشيوخ والمرضى والمقهورين والمصابين والمحزونين وكل المعذبين والمظلومين والمهانين والشاكين بلا مشكو إليه.. الداهين بلا مستجيب.. المنتظرين بلا حضور أو انتظار أو احتمال حضور أصدق وأتقى وأقوى وأحر وأنبى وأعظم إيماناً وتديناً من صلوات وترانيم وأناشيد كل الألوهيات والنبوات والديانات والكتب المنزلة؟ أليس كل شيء هو أصدق وأتقى وأقوى وأحر وأنبى وأعظم إيماناً وتديناً من كل ذلك أي من كل صلوات وأناشيد وترانيم كل الألوهيات والنبوات والديانات؟

.. إن أية آفة أو آفة أو صرخة أو شكوى أو لعنة يطلقها أي طفل أو شيخ أو أي إنسان أو أي كائن، تعبيراً عن أي مرض أو ضعف أو خوف أو ظلم أو قبح أو أي عذاب أو هوان أو اضطهاد يقاسيه أو يتوقعه أو يراه أو يقرؤه أو يسمعه أو يروى أو يفكر له، لتخاطب وتجاوز وتعاقب وتسمع وتعلم وتعنف وتلعن وتهين وتفجع وتخجل الإله وتصلي وتهتف له وتمجده صلاة وهتافاً وتمجيداً مضاداً، مضاداً - نعم، إن كل ذلك بكل أساليبه لأكثر وأقوى وأتقى وأفسى وأصدق وأنبى وأعظم إيماناً وتديناً مما تفعل أو مما تستطيع أن تفعل جميع صلوات وترانيم وإنشادات وهتافات وتلعنات وتعاليم وتقوى وصدق جميع الأنبياء والأتقياء والقدسين والمؤمنين في جميع العصور.. مرسلين من كل الآلهة.. معلمين لكل الآلهة متحدثين عن كل الآلهة.. مخاطبين مناجين لكل الآلهة!..

- نعم، إن ذلك وكذلك أو إنه الذي يجب وينظر ويفترض أن يكون كذلك!..

إن أية آفة أو آفة أو صرخة أو لعنة من هذه الأنات والآات والصرخات والتلعنات لتهزم وتذل وتهين وتكذب وتفضح كل النبوات والألوهيات والديانات والصلوات، بل إنها لتسخر من كل ذلك وتهزأ به بل وتلعنه، تلعنه!..

هذا طفل مشوه مصاب بمن ويكي وهذا نبي يهتف ويصلي لإلهه الذي أصاب الطفل.. أيهما أقوى صلاة وهتافاً وأصدق؟ وأيهما يجب أن يستمع إليه الإله أكثر؟

.. أجل، إنني أريد أن أقول وأظل أقول لأنني أسعد وأتعزى وأتداوى بأن أفعل وأظل أفعل ذلك، أفعله!..

ولكن المشكلة أنك تعلم هذا الذي أريد قوله لك!..

إن علمك هذا إذن لا بد أن يحرمني أو أن يحاول حرمانني من هذه السعادة ومن هذا التعزى والتداوي والفرح!..

أليس عذاباً وهواناً أن نريد ولا نفعل إما لأننا عاجزون أو لأننا خائفون؟ إذن أليس كل المرعدين معذبين ومهانين؟ إذن أليس كل الموجودين معذبين ومهانين لأنهم جميعاً أحياناً أو كل الأحيان مرعدون ما لا يفعلون إما عجزاً أو خوفاً أو عجزاً وخوفاً، مرعدين ما لا يكونون؟

إذن أليست الآلهة كل الآلهة هي أفسى وأشمل وأكثر من وجدوا أو من قد يوجدون عذاباً

وهوأناً لأنه لا مثيل ولا شبه لها في إرادتها ما لا تفعل وما لا يفعل وما لن تفعل أو يفعل؟ إن إرادات جميع المرئيين لا تساوي إرادات إله واحد من نوع إلها وإن حرمان جميع المحرومين من إراداتهم.. مما يريدون لا يساوي حرمان إله واحد من هذه الآلهة.

أليس هذا يعني حتماً أن عذاب وهوان كل المعذبين والمهانين لن يساوي عذاب وهوان إلها أو أي إله من طرازه؟

أما فضائح وررطات الإله فيكفي فجيعة أن هذا الوجود شيء منها.

.. إذن ما الحل أو العلاج لإنقاذي وشفائي من هذا الحرمان؟

وهل يمكن أو يستطيع أو يتصور إنقاذ أو شفاء لمن وجدوا من ذلك؟

.. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد منقذون أو معالجون لمن وجد من حرمانه أو عذابه أو هوانه أو من عجزه عن أن يكون أو يفعل أو يفعل ما يريد ويقول ويتنظر ويتسنى ويلقن ويعلم؟ ما أتسى وأندل وأكذب العلاقات بين الإرادة والواقع.. حتى للإله.. حتى لكل الآلهة التي وجدت هل وجد أو هل يمكن أن يوجد منقذون ومعالجون أو حتى مغزون لها من حرمانها وعذابها وهوانها وعجزها..

من عجزها عن أن يكون ما تريد وما تطالب به وعما تعلمه وتمنحه وتقول وتنزل وتبعث وتكتب وتؤلف وتشهد النبوات والأنبياء والقصاصد والكب والأديان لكي يكون؟

إنه لن يوجد أو يتصور مستحقون للرثاء والعزاء بل وللبكاء لقسوة وشمول وديمومة وعذاب حرمانهم مما يريدون ويطلبون ويعلمون ويشتهون مثل الإله.. مثل كل الآلهة التي جاءت وصيغت على نموذج إلها..!

.. التي غزلت ونسجت وحيكت وخيبت من ثياب أخلاق وعقل وضمير وقلب وقدرات وشهوات وتمنيات وتصورات وأنانيات وطفوليات الإله.. إلها الذي لقن وقرىء وفتر وعلم ووصف لنا.. إن أفسى وأشمل المحرومين حرماناً مما يريدون لا بد أن يرثوا ويحزنوا للآلهة لو حاسبوا حرمانها بحرمانهم أعني الآلهة التي جاءت على نموذج إلها..!



هل وجد أو هل ينتظر أن يوجد منقذون أو معالجون لمن وجدوا أو لمن هم موجودون أو لمن لا يزالون موجودين؟

هل يستطيع ولو تصوراً أو دعاية أن يعالج أو ينقذ الموجود مهما كانت ضخامة وعظمة وقوة وجوده بل مهما كانت ضخامة وقوة وعظمة ألوهيته.

- أي أن ينقذ أو يعالج من عذابه وهوانه وعاره وهزائمه وفضائحه بذاته لقسوة وقبح ونذالة

العلاقات بين ما تريد وتتمنى وتجد.. بينها متمنية مريدة وواحدة كائنة قادرة فاعلة.. أليس المنفذون المعالجون أو المفترضون المزعمون كذلك هم الذين يصنعون ويدبرون ويريدون ما يراد ويطلب العلاج والشفاء منه؟

أليس الآلهة والأنبياء والقادة والزعماء والأمهات والآباء هم الذين يرجون وينتظرون ويطلبون بالإنقاذ والعلاج مع أنهم هم كل من يصنعون ما يراد ويطلب العلاج والإنقاذ منه؟ هل كان يمكن أن يوجد أو حتى يتصور من يحتاج إلى إنقاذ أو علاج لولا وجود الآلهة الخالقة ووجود الأنبياء والزعماء والآباء والأمهات.

.. هل يستطيع الإنقاذ أو العلاج مع وجود الذات؟

أليس الإنقاذ والعلاج من وجود الذات هو كل الإنقاذ والعلاج مما يراد ويطلب العلاج والإنقاذ منه بلا أي بديل؟

لهذا لم يستطع الإله ولا أي إله أن يظفر بالعلاج أو الإنقاذ من أي شيء أليم أو كره أو بغض أو قبيح أو ذليل مع وجود ذاته أي مع وجوده بدون ذهابه الذهاب المطلق؟

لا علاج ولا إنقاذ لأي إله من عذابه وهوانه وخيرته وتعاسته وغبطه وغضبه إلا بذهابه الذهاب المطلق. ١. هل يوجد من يخالف؟

لهذا أليس الآباء والأمهات هم كل هؤلاء، هم كل الأعداء أي الأعداء الأبرياء نية.. المذنبين فعلاً وسلوكاً..

هم كل الذين خلقوا كل الآلهة والأنبياء والزعماء والقادة والأبطال وجاؤوا بهم إلينا بخلقهم لنا؟ حتى الآلهة أليس الآباء والأمهات هم الذين خلقوهم؟

هل كان يمكن أن يتخلق أو أن يجيء واحد من هؤلاء إلينا أو إلى غيرنا أو إلى أي كائن أو مكان لولا الآباء والأمهات؟ حتى الشيطان لولا الآباء والأمهات هل يمكن أن يخلق أو يصبح شيطاناً؟

.. أبها الآباء والأمهات، أنتم كل الأعداء والعذاب والقبح والألم والحزن والبلادة والضيق والأمراض والهزائم والموت والتذلات والفضائح لنا ولكل شيء مع أنكم كل التقيض لكل ذلك فيما تريدون وتحاولون وتقولون، بل وفي كل ما يقال ويعتقد ويعلم بل ويرى!..

أيتها الأمهات والآباء.. أنتم كل الظالمين وكل المظلومين.. أنتم كل المعذنين والمتعذنين.. كل الأبرياء والمتهمين.. كل الأصدقاء وكل الأعداء.. الأعداء المقاومين لكل الأعداء.. أنتم كل الأعداء المزعمين كل الأصدقاء وأعظم الأصدقاء والمريدين أن يكونوا كل الأصدقاء وأعظم الأصدقاء والمعتقدين أنهم كل هؤلاء!..

أنتم كل الأعداء الذين هم كل الأصدقاء والمحبين والقادين في كل التفاسير والتعاليم والنيات والمواقف والمواقف!..

أنتم أيها الآباء والأمهات كل من خلقوا هذا الوجود لأنكم كل من خلقونا، إنكم لستم فقط خالقي الآلهة والأنبياء والزعماء والقادة بل أنتم أيضاً خالقو كل هذا الوجود...! وهل يخلق هذا الوجود أو يرى أنه قد خلق لولا خلقكم لنا، إذن أأنتم بخلقكم لنا خالقي كل هذا الوجود؟

أنتم أيها الآباء والأمهات خالقو كل نقائصنا ونقائص كل شيء وكل وجود...! .. هل هناك ظالم أو معذب أو مروع أو مهين أو فاجع أو فاضح أو مدلل لنا مثل بل غير من خلق لنا هذا الوجود وخلقنا فيه؟ هل فعل بنا ذلك غير آبائنا وأمهاتنا؟ إذن أيها الآباء والأمهات هل ترون أن نشكركم ونجزىكم أم أن نحاسبكم ونعاقبكم؟ أليس محتماً بل منطقياً وعدلاً بل وواقعاً أن من يستحقون الجزاء والشكر والثناء والإعجاب أو من يبدو ويحتقد أنهم يستحقون كل ذلك هم أحق من يستحقون نقيض ذلك؟ أليس الآلهة المخلوقون هم النموذج الأقسى والأفجع في هذه القضية؟ .. هنا سؤال قاتل، قاتل دون أن يسأله أي سائل؟

وهل وجد أو يمكن أن يوجد من يسألون أو من يقولون أن يسألوا الأسئلة القاتلة أو من يسألونها أو عنها وعن الجواب عنها؟ أليست الأسئلة الصحيحة القوية التي يجب أن تسأل وتكون لها أجوبة تخيف وترهب؟

يقول هذا السؤال أو بعض ما يقول: لماذا لا يوجد ولم يوجد وكيف لم يوجد ولا يوجد إله آخر متناقض أو منافس أو مصحح أو مصلح أو معلم أو مكمل أو محاسب أو معاقب أو حتى معاتب للإله القديم الشيخ البدوي الأمي الجاهلي الضعيف العاجز الذي لم يستطع أن يحكم أو يصنع كونه بأي قدر من النظام.. الذي عرفناه وجربناه وقاسيناه ولعنناه وكرهناه وهجرناه.

- نعم؛ لماذا لم يوجد ولا يوجد هذا الإله لكي يكون تكفيراً وتعويضاً واعتذاراً عن الإله القديم الذي عرفناه وجربناه وقاسيناه، وسراً عليه وتخطياً لعصره وعهده وتوبة من نقائصه وذنوبه ونسخاً وإنساء لها وله بل واستغفاراً من أخطائه وعظاياها؟

لماذا كل شيء يتغير ويتبدل ويتعاقب ويتصاعد ويتطور ويذهب.. يسقط أو يموت ليحيى غيره.. ليحيى أعظم وأقوى وأبقى وأعلم وأنبئ منه؟

- نعم؛ لماذا كل شيء يحدث له ذلك ويفعل ذلك إلا الإله.. الإله؟ أليس المنطق الذي أوجد هذا الإله أو أي إله يجب أن يكون منطقاً لإيجاد أي إله وكل إله؟

أليس الإله وكل إله هو أكثر احتياجاً إلى ذلك من كل شيء وكل أحد؟ هل يمكن تصور محتاج إلى أن يكون أفضل وأنبئ وأقوى وأعلم وأصدق مما كان مثل الإله.. مثل كل إله؟

.. شيء لا يستطيع فهمه أو تفسيره ولن يقبل فهمه أو تفسيره ألا يوجد وألا ينتظر أن يوجد إله

آخر.

.. إله حضاري أو ثوري أو مذهبي أو عقلاني أو إنساني أو إصلاحي أو تصحيحي ولو بالأساليب والمستويات والتفسيرات الثورية العربية..

.. ألا يوجد وألا ينتظر أو يرجى أو يطالب أن يوجد مثل هذا الإله ليتخطى بنا أو لينقذنا أو ليقول لنا ويوهبنا أنه سوف ينقذنا من إلهنا القديم البدوي الرجعي الأمي العدواني الاستبدادي الأناني العنيف، العنيف المتجمعة بل المتخلقة كل أعراض ولغات وتعبيرات كل الأمراض العصبية والنفسية والجسدية فيه.. في كل صيغه وأخلاقه وسلوكه ومعانيه.. لينقذنا من كل ما فعل بنا ولنا.. من كل ما فعل وما سوف يفعل..

.. لينقذنا من إلهنا الذي كان والذي هو كائن، الذي لا تتعذب أو نفجع أو نخطيء أو نذنب أو نذل أو نهون أو حتى نكفر به إلا لأنه هكذا فعلنا وفعل بنا.. لأنه يسعد ويفرح ويرضى عن نفسه ويصحب بنا في أن نكون كل ذلك.. لأنه هكذا أرادنا وخططنا وصاغنا وعلمنا وألهبنا وقادنا وحرضنا بكل أساليب وطاقت التحريض! حتى الرعامات والقيادات والنبوات العربية أصيبت بالثورات المذهبية أو الإصلاحية أو التصحيحية أو العقلانية أو الحضارية أو العلمية بل أو الدينية.

- أصيبت ولا بد أن تظل تصاب بكل ذلك ولو مزاعم وشعارات وادعاءات وقراءات وخطابات ومخاضات وملاعنات، كم يجب أن أعتذر إلى كل الثورات والثوار حين أسمى ثورات وثوار العرب ثورات وثوار!..

إذن كيف عجز الإله.. الإله المطلق أو الإله العربي وحده عما لم تعجز ولن تعجز عنه ولا عن أي شيء منه الرعامات والقيادات والنبوات والفلسفات والشاعريات العربية؟

هل يمكن أن يوجد عجز يساوي عجز من عجز عما لم تُعجز ولن تعجز عنه الطاقات والمواهب العربية المتحوّلة لضخامتها وقدرتها بل وعبقريتها إلى رعامات وقيادات ونبوات كونية عالمية أبدية نهائية؟

هل كان ذلك عجزاً أم رفضاً أي هل عجز الإله عما لم تعجز عنه المواهب والطاقات العربية أم رفضه، أي هل عجز الإله عن أن يكون ثورياً أم رفض لأنه قرأ الثورات العربية وقرأ وفشّر وعامل الثوار العرب ففجع، فجع؟

.. نعم، لماذا لم يوجد ولا ينتظر أن يوجد غير هذا الإله المتفرد المتجسد المتبلّد في صيغته الواحدة المتجسّدة - غير هذا الإله الذي لا يتغير أو يتبدّل بكائن أو بآله آخر ليكون بدلاً عنه لا تكرر له أو بكيّنونات وصيغ أخرى أقوى وأذكى وأقوى.. - غير هذا الإله الذي لا يخلق أو يلد إلهاً أو كائناً آخر ليكون بدلاً وخليفة عنه أو ليكون قدرة ومثلاً له أو ليكون معالماً ومهذباً ومعلماً بل ومؤدباً له..

أو ليكون شيخه وأستاذه ونبيه ووالده المعلم المذهب الموجه.

- ليحوّله إلى كائن أفضل.. أعلم وأرحم وأكرم وأحكم وأنبل وأقوى وأذكى وأصدق وأكثر حرية وديمقراطية ورؤية وتواضعاً ووفاء وصدقاً وجمالاً وحباً واستحياء؟

لماذا الإله وحده حرم من التطور الصاعد ومن التوالد العتقور؟

.. ما أشد احتياج الكون وكل شيء إلى إله جديد ليعالجه وينقذه ويحرره من الإله القديم.. من كل ما فعله وأوقعه به وأراد له إلهه القديم!

.. بل ما أشد احتياج الإله القديم إلى إله جديد لكي ينقذه من أخطائه وخطاياها وورطاته وضعفه وهزائمه وفضائحه بل ومن وظائفه ومسؤولياته.. لكي يسقطه من فوق عرشه وينفيه من نفسه.. من ذاته!

هل وجد أو يمكن أن يوجد من يحتاج إلى أن ينقذ من نفسه مثل الإله، مثل كل إله.. أن يطرد من ذاته ومن كل كياناته ومن كل شيء..!

ما أقسى وأقبح وأردأ هذا أي أن يكون ويظل الإله واحداً، واحداً وصيغة ورؤية واحدة، واحدة وطوراً واحداً، واحداً، وولادة واحدة، واحدة أبداً، أبداً..

ما أفجع وأردأ وأخسر ألا تتوالد الآلهة أي ألا تكون أطواراً متصاعدة متجددة!

هل وجد كائن هو أبداً المولود والرضيع والطفل والغلام والشاب والكهل والشيخ والهرم أي هو هذا الطور الواحد غير الإله، غير هذا الإله؟

هل يمكن تصوّر ما يساري هذا في قبحة وبلادته وردائه وعقمه وفي خروجه على كل القوانين والكيانات؟!؟

.. ما أفجع وأقبح وأردأ أن يكون الإله أو أن يكون مرید ومخطط وصانع هذا الكون وكل شيء واحداً أبداً، أبداً بلا أي تغيير أو تبدل أو تطور أو تصاعد أو تراجع أو تصحيح أو إصلاح أو تجديد لا في ذاته ولا في صيغته أو كياناته أو أطواره أو أخلاقه أو رؤاه أو علومه أو ثقافته أو تفكيره أو أعرانه وموظفيه ومستشاريه أو حتى في مذاهبه وأديانه وتقواه وصحته وقوته وغدده وخلياه وأعصابه؟ حتى أعصابه وغدده وخلياه..

هل يوجد من يجب عليه أن يغير ويبدّل أبداً أجهزته الصحية والعصبية والنفسية ودينه ومذهبه وسلوكه مثل الإله؟



.. قبيح فظيخ بليد مهين جداً أن يكون الطبيب المداوي أو المطالب بذلك والمرجو منه ذلك هو المرید والمخطط والفاعل لما يراد العلاج منه ولما يشكى إليه منه.. أن يكون هو المصيب بكل ما يطلب أن يداوي ويشفي وينقذ ويحامي منه...

.. أن يكون الطبيب هو عاشق وراسم وفنان ومبدع المرض الذي يراد ويطلب ويرجى أن يشفي منه بل وأن يكون دافع تكاليفه أي تكاليف هذا المرض وتكاليف موظفيه ووظائفه ودافع ثمنه..!

أن يكون خالق جرائم المرض هو المطالب بصنع التلقيح والأدوية ضدها..

.. أن يكون الواهب المتفضل المنعم هو السالب السارق.
 .. أن يكون صانع وواهب الجمال والشباب والقوة هو المدمر المعادي لذلك السارق له.
 .. أن يكون الموجد هو المفقّد المعنى..
 .. أن يكون الخالق هو القاتل والباني هو الهادم..
 .. أن يكون المذنب المجرم الخاطيء المرید الصانع لكل الخطايا هو القاضي المحاكم المعاقب.. هو كل التشريع والحكم والتنفيذ..
 أن يكون القاتل الظالم المعتدي المشوّه هو المشرّع ومنزل الأديان والنبوءات والتعاليم لمنع ومحاسبة ومعاقبة ذلك ومن يفعلونه أو يصمتون عن مقارنته ومعاقبته..
 .. أن يكون واهب الحياة والشباب والحب والفرح والسعادة والمجد والرؤية والذكاء والمعرفة والصفاء والتقوى بل والإيمان به.. والداعي إلى كل ذلك والمرسل المنزل كل أنبيائه ودعائه وتعاليمه وكتبه المنزلة لكي يكون ذلك.. لكي يحيا ويسعد ويستمتع كل كائن بذلك.
 - أن يكون هو السالب السارق المحارب القاتل لكل ذلك بل والرافض المعادي لكل ذلك بكل الأساليب..

.. أن يكون كل المستغاث به هو كل المستغاث منه...
 .. أن يكون المفرق هو كل المرجوین للإنقاذ والحماية من كل غرق.
 .. أن يكون الرب الضارب الفاعل المذنب المخطيء الموقع بكل الآلام والتشوّعات والفتاحات والوقاحات هو الرب المطالب بالإنقاذ والحماية من كل ذلك، بل والمستغفر المعتذر إليه من كل ذلك أي من كل ما أراد وأحب ودبر وفعل.. أن يكون مرید وعاشق ومخطط وفاعل كل الذنوب والخطايا والأخطاء هو الذي يحذر ويتاب إليه من ذلك.
 .. هل وجد من يحاسب أو يعاقب على ما أراد وأحب وفعل هو غير هذا الكائن المسمى والمزعوم رباً؟

أليس هذا الكائن يعاقب ابتكاره وصنعه على ما أراد وصنع بهما من ضعف وأخطاء وعبوب؟
 هل يوجد أو حتى يمكن أن يتصوّر عار أو افتضاح أو قبح مثل عار وقبح وافتضاح هذا الكائن أي المزعوم والمسمى إلهاً ورباً؟
 أو هل يوجد مشوّه ومظلوم ومعتدى مفترى عليه بل ومسبوب محقّر متهم مثل هذا الكائن المزعوم رباً وإلهاً؟

إذن كم يجب الرثاء والأسى لهذا الكائن..

.. لعقله وقلبه ورؤاه وحساباته بل ولعضلاته ولكل صيفه وكنيناته وناريته وتفسيره وحفظه..
 .. لكل بداياته ونهاياته.. لولادته وطفولته وشبابه وكهولته وشيخوخته.. لكل وجوده أين وجد وكيف وجد ومهما وجد..؟ هل يمكن تصوّر أتمنى أو أشقى أو أصغر من ولادة وطفولة وشباب وكهولة وشيخوخة هذا الكائن المسمى المزعوم إلهاً ورباً؟

.. ما أقسى وأفجع أن يكون هذا الأتقى الأفجع هو كل ما يحدث وكل ما ينتظر أن يحدث. ١٩.

.. أن يكون أقسى وأفجع الأتقى الأفجع وكل الأتقى والأفجع هو كل ما يحدث وكل ما ينتظر أن يحدث؟

.. ما أقسى وأفجع وأفبح أن يكون الإله الذي وجد هو كل الآلهة التي قد توجد ويرجى أن توجد وينتظر أن توجد أي ألا يوجد أي أمل بأن يوجد أي إله أفضل أو أنبل أو أقوى أو أتقى من الآلهة التي وجدت!!

.. ما أقسى وأفجع وأفطع وأردأ ألا يوجد أو ألا ينتظر وجود إله آخر.. آخر بكل صيغه ومعانيه ونفاسيره وأخلاقه وأفكاره وحساباته وطاقاته وعظلاته وحضارته بل وفي مذاهبه وتعاليمه ونبواته وأديانه.. حتى ولا في أديانه أو نبواته!..

.. أن يكون من أرادني وخططني وخلقني وصاغني كما جئت ووجدت نفسي هو الذي سوف يريد ويخطط ويصوغ ويخلق أبنائي وأحفادي..

هو الذي سوف يفعل بهم ويفعلهم كما فعلني وفعل بي..!

كيف يقبل أو يفتخر أو يرضى أي كائن أن يراد ويصاغ ويخطط ويخلق ويجيء أبنائه وأحفاده بلا نهاية كما أريد ويخطط وصيغ وخلق وجاء هو..؟

كيف تقبل أو يقبل أي كائن وكل كائن أن يظل ويظل يكرر وتكرر في أبنائنا وأحفادنا كما تظل الحشرات وكل الكائنات تكرر في أبنائها وأحفادها؟

.. ما أقسى وأفجع وأفبح أن يكون الإله الذي قرأناه وفترناه وعرفناه وجربناه هو كل الآلهة لهذا الكون ولكل كون.. هو كل الآلهة الكائنة والذاهبة والمنتظرة والمفترة.. ألا تكون هناك آلهة قادمة أو منتظرة أو ألا يكون هناك مصححون قادمون أو منتظرون ليصححوا الإله الذي لا يذهب ولا يتغير..



.. كنت أريد أن أسأل وأسأل وأظلل أسأل، أسأل.. عن، وعن، وعن. عن كل شيء وعن كل ما ليس شيئاً!.

أليس كل شيء هو سؤالاً وسائلاً أو يجب ويفترض أن يتحول إلى سؤال وسائل حتى وإن لم يوجد أو ينتظر أن يوجد أو يراد أن يوجد أو يفيد أن يوجد أي جواب عن أي سؤال؟

أليست الأسئلة أنبياً وبكاءً وغضباً ورفضاً واحتجاجاً وخيرة واشمزازاً، وليست بحثاً عن الجواب عن أي جواب مهما قيل وحسب واعتقد غير ذلك؟

أليس محتموماً أن تهاب أو ترفض أكثر الأسئلة لو كان محتموماً أن تكون لها أجوبة؟

.. الإنسان يسأل الآلهة والكون ونفسه بل ويسأل الأطلال والديار ويسأل أيضاً النجوم والسحاب والطيور!

هل يمكن أن يكون سؤاله هذا سؤالاً؟ هل كان يمكن أن يقبل أو يعايش الإنسان نفسه أو إلهه أو وجوده أو أي شيء لو كان يسأل ليجد جواباً؟

.. الإله يسأل ويتساءل.. هل يحتمل أن يكون الإله سائلاً أو متسائلاً؟ أليس يفعل ذلك كما يعد ويتوعد ويهدد ويطلب ويأمر.. هل يحتمل أنه يعني بذلك أو ينتظر منه شيئاً غير أن يفعله أو غير أن يقوله؟؟

.. أليست أصدق وأدوم وأجمل وأقوى بل وأتقى وأذكى تفاسير الإنسان أنه السائل المتسائل، أو أنه الكائن المفترض فيه أن يكون كذلك أي مهما أصيب هو وكل شيء بكل صبيغ الخرس والصمت وبكل معانيهما، كما أن أصدق وأدوم تفاسير الإله أنه المحاور بلا فهم أو تفاهم والمريد بلا مراد والفاعل بلا إرادة والمتكلم بلا لغة؟



أجل، كنت أريد ذلك ولكن القلم المرهق المفجوع المروع المهزوم المهان أبداً.. المتعامل أبداً مع أقيح وأقبح وأذلّ الهزائم والفواجع والفظائع والآلام أعني قلبي، قلبي..! لأنه لا يعامل أو يتعامل أو يتخاطب أو يتكلم إلا باللغة العربية ومعها ولا يحاور أو يحاسب أو يحاكم أو يخاصم أو يصادم إلا الإنسان العربي فقط.. ما أقسى فقط هنا. ما أقساء!

قيل ويقال بنيات وأساليب ومواقف الاحترام والتسجيد والتعظيم للإله إنه لا يعرف أو يتكلم إلا اللغة العربية وإنه لا يخاطب أو يفاض أو يقرأ إلا الإنسان العربي بالمنطق العربي وباللغة العربية أي الإله.. كائن لم يحاور أو يخاطب أو يقرأ أو يفصح إلا الإنسان العربي باللغة والأخلاق العربية، هل وجد أو قبل أن يوجد هذا الكائن؟ وقيل أيضاً ولا يزال يقال وسوف يظل هذا القول يقال - نعم، قيل إنه أي الإله حينما كلم الإنسان العربي أول مرة أي النبي العربي باللغة العربية وبالأفكار والأخلاق والرؤى العربية أصيب أي الإله بأقصى وأقوى ضربات وصدمات الحب.. العشق.. الغرام.. الإعجاب.. الاندهاش.. بأقصى وأقصى ضربات وصدمات الانبهار.. الانقهار.. الانهزام.. الجنون.. بأقصى وأقوى وأدوم حالات وصيغ الضعف والهزال من عنف الضربات والصدمات.

وقد جاء التعبير تعبير الإله عن هذه الضربات والصدمات بأن أعلن بكل الأصوات والألحان والآهات أنه لن يتكلم أو يخاطب أو يعلم أو يحاور أي إنسان بأية لغة خيفة أن يكون هذا الإنسان غير عربي أو أن تكون هذه اللغة غير اللغة العربية، أي إنه لن يخاطب أو يكلم الأرض وأهلها بعد أن كلم الإنسان العربي أي النبي العربي باللغة العربية.. لهذا توقفت النبوات والديانات بعد النبوة والديانة العريتين.. لقد حزم على نفسه أن يتكلم وفرض على لسانه الصمت بعد أن ذاق الكلام باللغة العربية..

.. الإله لن يتكلم إلا باللغة العربية، ولن يكلم أو يخاطب إلا الإنسان العربي، ولن يستطيع أو

يريد أن يفعل غير ذلك! لهذا منع تصدير الديانات والنبوات إلى الأرض بعد تصديره ديانة ونبوة العرب!.

.. إذن هل تستطيع كل الأحزان والمرائي أن تكون شيئاً من الأحزان والمرائي التي يجب أن تقدم لحفظ الإله الأليمة الرديئة عزاء ورتاء وبكاء لها وعليها ومن أجلها لوجوده وحفظه البائسة الحزينة الكثيرة أي الإله؟

- أجل، كنت أريد ذلك.. أريده، أريده..!

ولكن القلم.. هذا القلم في هذه اليد.. هذه اليد العربية التي ما أطول وأقوى ما عذبت وعوقت وحورت ولعت واتهمت لأنها عربية ولأنها لم تقبل أو تستطيع أن تكون عربية لا بالفعل ولا بالقدرة ولا بالإرادة..

ولأن أقدارها وآلهتها لم تجعلها غير عربية أي أو أن تجعلها عربية، لقد جعلتها عربية الولادة والمكان والكيونة والجنس واللغة والظروف ولم تجعلها عربية التفكير أو الرؤية أو الأخلاق أو الصدق أو الانفجاع أو التساؤل أو الاحتجاج أو العذاب الدائم، الدائم!

- نعم ولكن هذا القلم ذرف كل الدموع الجافة النازقة وأطلق كل الأثبات والآهات والصرخات التي لم يسمعها ولن يسمعها أحد غير نفسه - ذرفها وأطلقها متأوهاً مصلياً متعبداً متضرعاً بكل ترانيم وأنشيد وصلوات كل الديانات والنبوات والرهانيات التي لن تكون دهنات أو رهبانيات أو نبوات السماء التي تروها وتفسرها لنا وتعلمنا إياها المناير والمحارب والمصاحف والعمائم واللقى..!

ما أبشع وأبلد وأقبح الديانات والنبوات والأخلاق والتعاليم والرهانيات التي تروها وتفسرها وتعلمها وتقرؤها وتمجدها لنا المناير والمحارب والمصاحف واللقى والعمائم والمغارات مغارات حراء وغير حراء وكل حراء.. هل قبح شيء مثلما قبحت تعاليم وأخلاق ورؤى وتفسير المصاحف والعمائم واللقى..؟

.. هل هان الإنسان مثلما هان حينما تقبل بل ووظف العمائم واللقى والمصاحف معلمة له؟

.. وهل وجدت أو يمكن أن توجد أديان أو نبوات أو تعاليم أو رهبانيات أو ألوهيات غير التي تروها وتفسرها وتقرؤها وتعلمها وتمجدها لنا المناير والمحارب والمصاحف واللقى والعمائم والمغارات؟ إذن هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور هوان مثل هوان الإنسان لأنه هو وحده الذي يتعلم من العمائم واللقى والمصاحف وهو وحده الراوي القاري المفسر الممجّد لها؟

.. نعم، ولكن القلم.. هذا القلم.. ولكنه..!

.. كل الرتاء والعزاء والاعتذار والاستغفار له وإليه أي لهذا القلم وإليه بل إلى كل الأقلام ولكل الأقلام التي جاء أحد أساليب الإذلال والتحقير والتسخير لها أنه أصبحت صانعة ومعلمة ومؤكدة وممجدة ومسلطة للمصاحف والعمائم واللقى ومتوجة لها، وأن أصبحت سيوفاً وخناجر وسيافاً ولعنات وجهالات وأكاذيب في أيديها وأقواها وأخلاقها أي في أفواه وأخلاق وأيدي اللقى والعمائم والمصاحف..!

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد من أو ما يستحق كل الرثاء والعزاء والبكاء والاعتذار والاستغفار إليه وله مثل القلم في كل عصوره وحتى في أذكى وأقوى وأتقى عصوره تحرراً وتحضراً؟
 هل قاسى من العذاب أو الإذلال أو التحقير أو التصغير أو التزوير أو التسخير أو الاستعباد أو التلويث أو التشويه أو من الكذب عليه والكذب به ومن البصق عليه والبصق به ومن استقراغ كل القباحات والوقاحات والبلادات والنذالات والحقاقات والعداوات عليه وبه وباسم شرفه وصدقه وكرامته وشهامته وشجاعته وتقواه وكبريائه وقداسته وذكائه.

- نعم، هل قاسى من ذلك في كل المجتمعات والعصور مثل القلم أي مهما كان مجده ونضاله وشجاعته وعطاؤه وكبريائه وقداؤه واقتحامه وانتصاراته؟ هل يمكن أن يغفر شيء من هوانه محاسياً أو مقارناً بكل أمجاده؟

.. ماذا لو وجدت منظمة دولية كونية عادلة عاقلة صادقة شجاعة؟

- نعم ماذا لو وجدت هذه المنظمة التي لم توجد ولن توجد كما تقول كل التقارير والتفاسير والحسابات والتجارب.

- لو وجدت وتقدم إليها القلم مطالباً بالإنفاذ من العدوان عليه وبحماية كرامته وحصانته وعفته من كل أساليب ونيات كل أنواع وألوان الفسق بكل معانيه وأخلاقه ووقاحاته.. بحمايته وحرامته من أن يوضع في كل يد تستطيع وتريد ذلك بلا أية شروط أو قيود.. في أيدي كل الآلهة والأنبياء الأميين.. في أيدي كل الطغاة والمستلطين والدجالين واللصوص والجهلاء لكي تستفرغ عليه وتستفرغ به كل قبح ونذالة وبلادة وبذاءة وجهالة وهوان وكذب ونفاق وعداوات وخصومات ومنافسات وشهوات ومطامع ومطامح وهزائم وفضائح ونقائص كل الأديان والمذاهب والألوهيات والنبوات والقوميات والشعارات والزعامات والقيادات والأنانيات والذاتيات وكل ما في الفكر والقلب والنفس والأخلاق من ضعف وعجز وقبح وأحقاد وأهواء؟

- نعم، ماذا لو وجدت هذه المنظمة أو المحكمة الدولية الكونية ليحتكم إليها القلم شاكياً باكياً مطالباً بالإنفاذ والحماية وبالتعميخ والتكفير والاعتذار عن كل بل أو عن بعض ما أوقعه به كل المعتدين عليه بكل أساليب الاعتداء وتفاسيره في كل العصور والمجتمعات..

أي ما أوقعوه به من أنواع وفنون التزوير والتحقير والتسخير والتشويه والتلويث والإذلال والكذب والبصق به وعليه؟

هل يستطيع أو يتحمل أي شيء أو كل شيء أن يوقع به وأن يصاب بكل أو ببعض ما أوقع بالقلم وأصيب به من ذلك؟

إنه لو كانت قد وضعت كل الشروط والحراسات والحصانات لحماية كرامة ونظافة وأخلاق وتقوى كل شيء لجاء القلم وحده بدون أي شيء من ذلك! إنه لو بقي لكل شيء أي قدر من الكرامة أو النظافة أو الاحترام لكان القلم هو وحده الذي لم يبق له أي قدر من ذلك. لهذا أليس كل

الصدق والحق أن يقال: إنه لم يوجد ولن يوجد مذنب ظالم معني مشوه فاجر شاتم مهين محقر ناشر مناصر للكذب والنفاق والتزوير والتضليل والقبايح والفصائح ولكل أنواع ولغات النذالات والعداوات والبلادات والأحقاد والبغضاء بل والقبح والفحش مثل من اخترع القلم وعلم به وعلم استعماله ووضعه في اليد، في كل يد بلا أي شروط بل وخذ كل الشروط ورفضاً وإهانة لكل الشروط؟

ما أتبع وأوقع وأبلد وأثم من يتهم الإله أو الآلهة بأنها هي التي أرادت ودبرت وخلقت القلم وعلمت به إن كانت قد عرفت ماذا يعني ذلك؟

.. هل وجد في التاريخ كل التاريخ في أية مرحلة من مراحله - هل وجد أي إله أو نبي أو قديس أو مصلح أو ملاك أو شيطان أو دهن أو قانون أو شرف قرر أو التزم أو أراد أو حتى رأى أو حاول أن يحمي القلم أو غضب له من أن تمسك به أية يد... كل يد تبصق عليه وبه.. لتستفرغ عليه وبه كل الرذائل والنقائص.. بكل تفاسير وصيغ ومستويات كل النقائص والرذائل وكل ما هو أقبح وأوقع وأفجع من كل النقائص والرذائل؟

إني هنا أعتم في الحديث عن القلم ولكن لن يخفى أن المحرّض لي على هذه الرؤية للقلم هو القلم العربي، فإن كنت قد قسوت في حكمي على كل القلم فليغفر لي من عرف القلم العربي..

أيهما يحقر ويهان ويصق ويستفرغ عليه وبه وفيه أكثر وأكثر وأكثف وأدوم وأقذر وأقسى وأفجع وأشد إيلاماً: الإله أم القلم؟ كيف يستطيع القلم أو الإله أن ينظر إلى ذاته أو يبقى فيها ملطخة بكل ما بصق واستفرغ فيها وعليها؟

هل وجد أو هل يمكن أن يوجد محقران مظلومان مهانان متهمان باصقان مبصوقان مبصوق عليهما وبهما مثل الإله والقلم؟

ولكن أيهما فعل به وله وفيه ذلك أكثر وأبشع وأفجع: الإله أم القلم؟ إن مأساتهما أي الإله والقلم أن كليهما صامت مستسلم لما يفعل به.. لا يدافع ولا يفضض أو يحتج أو يرفض أو يشكو أو ينكر.. قالوا إن الإله هو الذي خلق المادة التي صنع منها القلم وهو الذي هدى صانعيه إلى صنعه وهو الذي ألهمهم ذلك، وهو الذي علمه وعلم به أي بالقلم. قالوا لقد أراد أن يمجّد القلم كل التمجيد الذي يستطيعه ويعرفه فلم يجد مثل أن يقسم به.

.. وهنا لا بد أن يأتي هذا السؤال الذي لا بد أن يقول: لماذا فعل الإله ذلك؟ أليس التساؤل عما يفعل أي الإله واجباً أو مباحاً مهما قال وقيل إنه هو لا يسأل عما يفعل؟

.. هل فعله ليفضح ويحقر ويضع ويغيب ويلوث القلم وحامليه ومعامله.. ليفعل به وبهم كل ما يفعلونه به من ذلك، أم ليحايي ويعزي نفسه ويخفف عنها بأن يوجد أو يوجد مثيل له في التلوّث والتحقير والتعذيب والفضح والافتضاح؟

هل فعله ضارباً معاقباً دون أن ينوي أو يريد الضرب أو العقاب أي هل فعله ارتجافاً وارتعاشاً لا فعلاً؟

.. هل فعل ذلك أي الإله خطأ وعجزاً في الحساب وفي التقدير والتفكير؟ هل خدع نفسه أو خدعته نفسه كما خدع وانخدع في كل ما فعل.. في كل حساباته وتقديراته وتفكيره ورؤاه وطموحه وآماله.. في كل تخطيطه لكل شيء؟ هل كان يمكن أن يوجد أي خداع أو انخداع أو خادع أو مخدوع لولا خداع الإله لنفسه وانخداعه بها؟

هل أخطأ أحد ضد نفسه وضد كل شيء وكل أحد في كل حساباته وتقديراته وتخطيطاته وتوقعاته ورؤاه وأفعله.

- نعم، هل أخطأ أحد هذا الخطأ مثله أي مثل الإله بل هل أخطأ أحد غيره؟ هل وجد من عذبه وشوخته وحقرته وغازته وأهانته أخطاؤه ضد نفسه مثل الإله؟

أليس الإله هو أعظم مخدوع منخدع تحول إلى أعظم خادع بل أصبح هو كل الخادعين بكل الأساليب؟

ما أعظم أمجاد هذا الوجود لأن أعظم وأكبر وأقوى منخدع مخدوع فيه قد أصبح هو أعظم وأشهر وأدوم الخادعين بل كل الخادعين، أي بتفاسيره المتعددة أو ما أصغر وأردأ أمجاده.

ما أكذب وأرخص اللغات في أفواه من نطقوا بكلمة مجد في هذا الوجود!

.. إذن هل فعل ذلك أي هل خلق مادة القلم وعلمه وعلم به أي الإله لأنه عرف أو قدر أو ظن أو أراد وتمنى ورأى أنه سيكون أعظم وأقوى من يصنع له أمجاده الكاذبة البليدة السخيفة القبيحة التي هي كل أمجاد مريد ومدبر وصانع وصانع وعاشق هذا الوجود؟ وهل لصاحب هذا الوجود أي مجد أو تفكير أو تدبير أو فعل ليس بكل هذه الأوصاف وحدها؟

.. وقد يقبل أو يغفر أن يعاد السؤال: هل فعل ذلك بعضلاته الطائشة بلا تفكير أو تدبير أو إرادة أو حساب؟

.. هذه الرؤية والمحاسبة والمحاكمة للقلم العالمي..!

للقلم في كل الأيدي مستفرغاً كل الحروف فوق كل الصفحات!

.. أما القلم العربي.. القلم في يد الإنسان العربي وفي أيدي كتاب الإله العربي مملياً عليهم سورهم وآياته وأوامره وتعاليمه وأشواقه وأهواءه وأمانيه ووعده ووعيدته وحبه وبغضه وكل انفعالاته، كل صهيله وزفيره وغشائه وبكائه وفرحه وحزنه وغضبه.

- نعم، أما هذا القلم فهل يمكن أن توجد أية محكمة أو منظمة تقبل أن تسفه أو تهون أو تسقط لكي تفكر في محاكمته؟

أليست المحاكمة اعترافاً للمحاكم بأنه يستحق أن يحاور ويسأل وينتظر منه؟

.. إن الكائن قد يهبط في كل صيفه ومعانيه وتفسيره هبوطاً يجعل محاكمته بل ومحاورته ومساءلته غير مقبولة أو مغفورة بل غير محتملة.

.. يجعل ذلك شيئاً من التكريم والتبجيل له..!

أليس مربوط القلم العربي في يد الإنسان العربي وفي أيدي كتاب الإله العربي هو هذا المربوط، بل أعبط من هذا المربوط ومن كل مربوط؟ هل يميز القلم عن مربوطه في يد الإنسان العربي أو ينافسه في ذلك مثل مربوطه أو غير مربوطه في أيدي كتاب الإله العربي؟

.. أليس الكثير من الكائنات بل أكثر الكائنات تقاوم وترفض وتطارد بكل الأساليب بل وتقاتل وتقتل لضخامة وتعدد وتنوع شروها وقبحها وأذاها وعنفها ونقلها للآلام والأمراض والعاهات والنشوهات ولكنها لا تحاكم أو تحاور أو تحاسب أو تساءل لأنها أقل من ذلك؟

فهل يمكن أن يكون القلم في يد الإنسان العربي أو في أيدي كتاب وأعران ومستشاري الإله العربي أذكى أو أنقى أو أنظف أو أنبل أو أرقى أخلاقاً أو أكثر تحقيراً أو فهماً أو معرفة من هذه الكائنات لكي يكون مستحقاً للمساءلة والمحاورة والمحاسبة والمحاكمة؟ لهذا فإن أي كائن غير الإنسان لن يحاكم مهما كانت أضراره وأخطاره وإزعاجه ومهما وجب التخلص منه بكل الأساليب لأن المحاكمة أسلوب من أساليب التقدير والاعتراف بشيء ما للمحاكم..

إن المحاكمة محاورة، والمحاورة تأميل وأمل، والتأميل والأمل تكريم وتوقع!

.. إذن أليس الذين لا يحاكمون الإله ويرفضون محاكمته بل ولا يتصورون محاكمته مع أنه هو كل الجناة وكل المسؤولين عن كل شيء وهم يعرفون ذلك ويعترفون به إعلاناً وتعبداً وتمجيداً - أليس هؤلاء يبالغون جداً في تحقيره وفي المربوط به؟

إنهم يرفضون وينكرون بل ولا يتصورون أن يكون مسؤولاً أو محاوراً أو مقروءاً أو مفسراً أو معانياً أو مسكناً أو مطلوباً تصحيحه أو وعظه أو تأنيبه مهما فعل بهم وبكل أحد وكل شيء.. مهما ضرب وشوه وعذب وقتل كل شيء وكل أحد، ومهما اعتقدوا وأعلنوا أنه هو الفاعل لكل ذلك بإرادة وتبدير وتصميم وإصرار واعتراف يحوله إلى نبوات وصلوات وأديان وكتب منزلة، الإله لا يحاسب أو يحاكم أو يحاور أو يسأل أو حتى يعاتب أو ينصح مهما فعل وكان، هل يوجد تحقير وتصغير مثل هذا التحقير والتصغير؟ إنهم أي المؤمنين بهذا لم يسووا الإله بالإنسان.. بأنفسهم.. لقد هبطوا به تحت ذلك، لقد جعلوه لا يستحق الحساب أو الحوار أو المساءلة.. هل يجهلون أو ينكرون أن الكائن تعظم وتنقص محاورته ومساءلته ومحاسبته على أفعاله وأخلاقه بقدر ما يعظم هو..

أي بقدر ما يعظم ويكبر قدرة ومعرفة وعقلاً ونفساً وكبراً ونظافة وأخلاقاً وذاتاً ومكانة ومجداً وتمجيداً؟ أليس الواجب والمفروض أن يلقي الكبار أعماراً وأطواراً وذواتاً من ذلك أنسى مما يلقي الصغار؟

أليسوا بهذا قد هبطوا بالإله إلى أردأ وأقسى مستويات المجانين الذين لن يحاوروا أو يسألوا أو يحاكموا أو يحاسبوا أو يعاقبوا أو يعاتبوا أو حتى ينصحوا مهما أسأوا وخربوا وسفهاوا وقالوا وفعلوا واقتضوا وفضحوا؟

أليس كل العقلاء يحاورون ويسألون ويحاسبون ويحكمون بل ويعاقبون أي إذا فعلوا ما يجعلهم يستحقون العقاب؟ أليس إعفاؤهم من ذلك أقسى أساليب التحقير والتصغير والهجاء لهم؟

إذن ليس حذف الكائن ممن يستحقون المساءلة والمحاوراة والمحاسبة والمحاكمة والخضوع لقوانين المحاكمة.

- ليس ذلك إسقاطاً له عن كل درجات ومراتب ومنازل العقلاء والمفكرين والأخلاقين والمديرين المخططين والرأيين لأنفسهم المتخاطبين معها ومع أي شيء أو أي أحد؟

إن المؤمن بالإله ليرى بكل الإحساس الأليم والتحديق المفجوع أصغر عاهة أو عيب في وجهه أو في وجه ابنه أو أمه أو أبيه أو في وجه أي إنسان آخر ثم يعصى كل العصى عن كل العاهات والعيوب متجمعة في وجه إلهه، مغطية لكل ذاته وثيابه وأخلاقه وصوره! هل وجد أو يمكن أن يوجد مغطى بكل العاهات والدمامات غير الإله!

إذن هل يوجد أو وجد مسقط من كل الاهتمام والاحترام والرؤية ومن الاشتراط له وفيه وعليه مثل الإله أو غيره في حياة المؤمنين به وفي تعامل كل معانيهم معه وبه؟

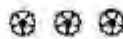
إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد أو حتى يتصور محقر ومحقق وساب ومسيوب ومهين ومهان ومعتدٍ ومعتدى عليه مثل الإله والمؤمنين به الزاعمين المعتقدين المعلنين أنهم يمجّدونه ويعبدونه ويمدحونه أذكي وأقوى وأتقى أساليب التمجيد والامتداح والعبادة والتعبد؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد أغني أو أفسد أو أنسق من العلاقات بين الإله وعابديه؟

كيف لم يظن العالم في كل بيئاته وتاريخه وأطواره الحضارية إلى ذلك؟

كيف لم تتخلق وتنتشر وتعدد فيه أقوى وأوسع وأذكى المنظمات الدولية مؤلفة من كل أصحاب أقوى العقول والمواهب والأخلاق والمعارف لكي تعالج هذه القضية أي لكي تفك الاشتباك أو الارتباط بين الإله والمؤمنين به بل وتلغي بل وتحرم العلاقات وكل الاتصالات بينهما؟

أليس فك هذا الاشتباك أو الارتباط وهذا الإنعفاء والتحرير أنبل وأنفع وأتقى وأذكى فك وإنعفاء وتحريم؟ هل وجد مفسدون أو مسيئون أو مخزبون أو معوقون أو زارعون للعداوات والأحقاد والبغضاء مثل من ابتكروا وعلموا العلاقات بين الآلهة والإنسان ليكون هناك فريقان: فريق الآلهة وفريق المؤمنين ليتعاملوا بالأساليب والصيغ والتفسير التي بها يتعاملان؟



.. ماذا لو تخلقت محكمة أو منظمة للبحث عن العدل والإقراره وتحقيقه وللإعلان عنه والتعريف به..

وكانت أي المحكمة أو المنظمة المتصورة مؤلفة من آلهة ليسوا من نوع ولا من مستوى الإله أو الآلهة التي عرفناها وحزبناها وقاسينا منها وافتضحنا وفجعنا وهزمتنا وذللتنا وصدمتنا وخسرنا بها ومنها وصلينا وتضرعنا وهنا لها دون أن تفهم أو تستجيب أو تجزي، ثم تقدم وشكا إليها الإله أو كل الآلهة التي جاءت إلينا أو التي تخلقت وسكنت فيها دون أن نريد أو نعرف أو نقبل أو نرضى أو ندبر أو نعظم أو نسعد أو نقوى بهاء بذلك، طالبة العدل والمجازاة والعقاب من المؤمنين الذين فعلوا وأوقعوا

بها كل ما فعلوا وأوقعوا بحجة وبدعوى الإيمان بها والعبادة والاحترام والإرضاء والإفراح والإسعاد لها.. وأيضاً تقدم وشكا إليها كذلك المؤمنون بالإله أو بكل الآلهة التي عرفوها وجزبوها وقاسوا كل أنواع وأساليب وقسوة المقاساة منها راجين ومطالبين بالعدل.. العدل، بكل العدل.. راجين ومطالبين بالتعويض والتكفير والجزاء والانتقام من هذا الإله أو من كل هذه الآلهة التي فعلت وأوقعت بهم كل ما يشكون منه ويتعذبون به وكل ما يتوقعون ويتظنون من أهوال وآلام وفواجع وهوان ومهانات لا حدود ولا ضوابط ولا أخلاق لها كما لا نجاة أو مهرب لأحد منها؟ وهل يستطيعون وصف أو إحصاء ذلك مهما أرادوا وحاولوا؟ هل يستطيع وصف أو إحصاء ذنوب وأخطاء وعدوان الآلهة؟

- نعم، ماذا لو وجدت هذه المحكمة أو المنظمة ثم تقدم إليها الفريقان أي الآلهة والمؤمنون بها يطلب كلاهما محاسبة ومحكمة الآخر على كل ما فعل به وألقى عليه، وعلى كل اتهاماته وتشويهه وتلوينه له، وعلى كل ما قال له وعنّه وفيه، وعلى كل تفسيره ورؤاه وتعاليمه وإحراجه وأوصافه ومطالباته له؟ ما أفظع وأقبح وأنجع ما سوف نسمع ونقرأ ونرى ونعرف حينئذٍ هذه المحكمة أو المنظمة!

أليس المفروض أو المحتوم حينئذٍ أن تصاب هذه المحكمة أو المنظمة بالحيرة عاجزة ومتهية ومتحجرة من أن تعرف أو تعلن أي الفريقين: الآلهة والمؤمنين بها أكثر وأقسى وأشمل وأفحش وأوقع عدواناً على الآخر وإيلاً وإيذاءً وتشويهاً له وبصقاً واستفراغاً عليه وفيه؟ ولعلها لم تخلق أو تتخلق هذه المحكمة أو المنظمة فراراً من هذه الحيرة والتهيب والتحرج والعجز!

.. نعم، هل نستطيع أن نعرف أو حتى نتصور باصقين مستفرغين ومبصوقاً مستفرغاً عليهم وفيهم مثل الإله والمؤمنين به.. مثل كل الآلهة والمؤمنين بها؟

ولأن القلم هو الوسيلة القوية الدائمة العالمية بل الكونية لهذا البصق والاستفراغ المتبادلين بين الآلهة والمؤمنين بها أصبح أي القلم أشهر باصق مستفرغ ومبصوق مستفرغ به وفيه وعليه!

السماء تستورد الآلهة من الأرض

إلى أمين العروبة.. أمين الجامعة العربية.. أمينهما بكل صيغتهما وتفسيرهما الحضارية والفكرية والثقافية والعلمية والتقدمية والأخلاقية والإنسانية. بكل التزاماتهما وواجباتهما، أو إلى من يجب وبطال وبانتظار أن يكون كل ذلك أو بعض ذلك أو أكثر من كل ذلك. إنه تكليف بما لا يطاق لهذا يقبله العربي بكل الفرح والرضا ومشاعر المجد، لأن العربي لا يتصور أي التزام بين التكليف والتنفيذ.

.. إنها أول رسالة وقد تكون آخر رسالة من هذا النوع توجه إليك أو إلى أي أمين آخر للعروبة.. للجامعة العربية في كل عهودها وعصورها الفاضحة والآنية والتي لن تأتي والتي يجب ويرجى ألا تأتي إلا إذا كانت سوف تأتي أفضل مما أنت.

ولكن هل في أي حساب أن يتفوق حاضر العرب أو مستقبلهم على ماضيتهم؟

.. إنها رسالة قد يذهل ويفجع الإله بل لا بد أن يذهل ويفجع صارخاً أو صامتاً عجزاً عن الصراخ وعن الفهم والتفكير والتساؤل وروحة من ذلك لو قرأها أو سمعها ولكنه لن يستطيع قراءتها لأنه أعمى لا يستطيع القراءة أو الكتابة مثل خاتم ومجد أنبيائه وأفضل وأقرب أنبيائه إليه الذي مجده وفعله لأنه كذلك.

- نعم لو قرأها أو سمعها موجهة من عربي إلى مسؤول عربي... وهل يختلف ما يوجهه أي عربي إلى عربي آخر إلا في تفاوت أساليب السباب والبذاءة؟

موجهة من عربي لم يكن إلا عربياً فقط في كل وجوده.. في كل رؤاه وقراءاته وتعاليمه ودينه ولغته وسماعه ومكانه وعلاقاته وانتماءاته.. إنه أي الإله لا بد أن يصعق حينئذٍ من التعجب: كيف أمكن أن تكون هذه الرسالة من عربي إلى عربي.. إني أنا الإله عاجز عن فهم ذلك وتصديقه.

.. إنها رسالة قد يعجز ويرفض التاريخ العربي، بل لا بد أن يعجز ويرفض بكل منطق وتصوراته وأساطيره وبكل قدراته ومواهبه وتجاربه، بل وبكل فضائحه بخروجه على كل مفهوم ومعقول ومقبول ومصداق ومحترم لأنه قد جرب واقتنع أن العربي متورق وتقي جداً في تفكيره وعقله وتعاليمه مهما كان مفتضحاً في كل شيء آخر..

- نعم، لا بد أن يعجز ويرفض أي التاريخ العربي الذي هذه بعض أوصافه أن يصدق أو حتى يتصور أن عربياً قد خاطب بها مسؤولاً عربياً أو أن هذا قد يحدث! إنه أي التاريخ العربي مهما خلق في مزاعمه البسالة والخوارق لنفسه فلن يجرؤ على التحليق إلى ذلك.

.. ولن أجرؤ على أن أقول لكم كل ما تقول أو أكثر ما تقول هذه الرسالة ولكنني سوف

أقاسي وأتعذب رهبة واستحياء وتوقراً لكي أملك كل أساليب وتفسير الشجاعة غير المعقولة أو المعروفة أو المغفورة أو المنتظرة أو المتصورة من عربي أي وفي العالم العربي لكي أجرؤ بكل تفسير المخاطرة والمغامرة بل والجنون على أن أقول لكم بعض ما تقول الرسالة..!

إنها تقول من أخف ما تقول:

أنا عربي ولدت وحيوت ومشيت وعشت ولا أزال أعيش في العالم العربي وحده.. ولعلي لم أعش فيه وإنما ألقى بي إليه إلقاء. أليس العيش في الشيء ومع الشيء شيئاً أكبر وأكثر من الإلقاء فيه وإليه؟ وهل مشيت وإن كنت قد ولدت وحيوت؟ أليس المشي انتقالاً؟ وهل انتقلت؟ أليست مبالغاً في قراءتي ورؤيتي لنفسني حينما قلت: ومشيت؟

.. إنني لم أذق أو أجرب أو حتى أحاول أو أر العيش في غير عالمي العربي الذي ولا بد تعرفون كل أوصافه وأوصاف من يعيشون فيه وشروطهم.. الذين لا يختلفون أو يتفاوتون في تفسيرهم ومواجههم ورؤاهم وأشواقهم وطاقاتهم مهما اختلفوا وتفاوتوا في أصواتهم وأزيائهم وشعاراتهم وأماكنهم وانقساماتهم.. في تفسير سياهم ومخاصماتهم وعداوتهم وانحيازاتهم وتبعياتهم..!

.. الذين لا يختلفون أو يتفاوتون في وثباتهم وعبودياتهم مهما اختلفوا وتفاوتوا في أوثانهم ومعابدهم..!

.. الذين لا يختلفون خضوعاً للطغيان مهما اختلف طغاتهم وشعاراتهم وانتماءاتهم وأكفانهم..!

.. نعم، أنا هذا العربي.. ومع وحشية كينونتي هذه ومحاصرتي بها هذه المحاصرة بكل أوصافها وظروفها هذه فلقد مرضت بمرض لم يكن من المحتمل في أي حساب أن يمرض أي عربي به فكيف يمرض به عربي كانت ولادته وكينونته وظروفه ومواجهاته ورؤاه وصكانه وأرضه وسمرانه وصحراؤه كل ما سمعتم شيئاً منه؟

.. مرضت بمرض جاء ليكون أقسى وأقوى اختراق وتجهيل لكل حسابات وتوقعات ومعارف وأخلاق ورؤى وتجارب كل الآلهة والأقدار، بل ليكون أقوى وأقسى استهزاء بها..!

أي لمرضني أنا العربي بهذا المرض الذي لا يمرض به أي عربي..!

ولكن هل مرضت بهذا المرض أم مرض هو بي؟ وهل مرضت به أم ولدت وخلقت به؟ هل المرض حدوث وحدوث وأحداث أم تكوين وتكوين؟ هل هو مجيء وهجوم من الخارج أم ظهور وإعلان وحدوث ومبارزة من الداخل؟

هل وجد من سأل هذا السؤال أو من وجد الجواب وقاله؟

هل العبقرية والجمال والذكاء قدوم وهجوم من الخارج أم حدوث وانفجار من الداخل؟ أليس التفسير لهذا هو التفسير لهذا؟ هل جاء هذا المرض إلي وفي أم أنا الذي جئت إليه وفيه؟

هل المرض هو الذي أوجد المريض أم المريض هو الذي أوجد المرض؟

هل أنا الذي أوجدته أم هو الذي أوجدني أي أوجدني مريضاً؟

هل أنا المعذب الظالم له المعتدي عليه أم هو الفاعل ذلك بي؟

هل جاء إلي عاشقاً مختاراً راثياً أم مدعواً مضطراً محكوماً عليه؟

ما أوقع الأمراض إن كانت تجيء مختارة وما أفجع من يجيء بها إن كانت تجيء مضطرة..!

من يستطيع أن يكون حكماً مقبول الحكم في هذه القضية؟

وهل يمكن أن يوجد أو ينتظر هذا الحكم.. هذا الحاكم المقبول الحكم؟

ليتي أستطيع أن أعرف أو أستطيع التوقف عن محاولة أن أعرف..

.. إني هنا أتحدث عن مرضي هذا لا عن كل الأمراض؟

من أول من أراد وابتكر الأمراض؟ هل يوجد هذا الأول أو يقبل أن يوجد؟

.. ما أصعب ألا نعرف وما أصعب أيضاً أن نعرف أي شيء..!

وأيهما أصعب وأقسى: أن نعرف أم ألا نعرف؟

قد يكون جواب السؤال مفهوماً مهما كان الواقع بعيداً عن أن يكون مفهوماً..!

.. نعم، أنا هذا العربي المحكوم المحاصر في عالمه العربي مرضت بمرض لا بد أن تصبح

إصابتي به مفاجأة مروعة محيرة لعيون الشمس والنجوم ولكل تجاربها وفهمها الثابت للإنسان العربي..

قد تكون إصابتي به ثناء على العروبة مهما كانت عذاباً وتعذيباً لي لا يطاق..!

.. إنه مرض أي مصاباً به أو لو أصيب به الإنسان العربي لا بد أن يكون وأن يحسب أول

هزيمة وتمرد قاسين على قوانين الطبيعة وعلى التزامها المتعصب البليد بمنطقها وأخلاقيها، وعلى مسيرة التاريخ وتفسيره وقراءاته ومحفوظاته..!

إنه مرض قررت وتعهدت والتزمت كل الآلهة وكل فواتين الطبيعة أن تحمي الإنسان العربي

منه... من أن يمرض به أو أن يخشى أو يتصور أو يحذر أن يصاب به أو أن يرى أو يعيش أو يتقبل أو حتى يعرف أو يعامل أو يواظن أو يخاطب من يصاب به أي لو وجد مصاباً به وعرف أنه مصاب به..!

إنها لم تحمه رحمة أو تكريماً أو محبة أو إسعاداً بل فعلت به ذلك تحقيراً وتهويناً وإهمالاً..

هل يستطيع أي عربي أن يتصور أن أي كائن قد يصاب بهذا المرض؟

حتى الإله إنه لن يتصوره مريضاً به مع أن المفروض ألا يمرض به أحد مثل الإله..!

لا بد أن يكون الإله قد احترق شوقاً إلى معرفة هذا المرض إن كان قد استطاع قراءة ما

كبت..!

.. لقد قررت وتعهدت والتزمت كل الآلهة وكل القوانين الطبيعية بهذه الحماية للإنسان العربي..

لماذا؟ هل يوجد أو يمكن أن يوجد من يدري؟

هل كانت تنوي تمجيده أم تحفيره بهذه الحماية أم كانت تفعل بلا فهم أو تدبير؟

... ثم قررت وتعمدت والتزمت لأسباب قد تفهم وقد يمجز كل الفهم عن فهمها بأن تبالغ جداً في إصابته بكل الأمراض الأخرى.. بكل الأمراض التي تصيب أجسام وأعضاء الإنسان كما تصيب أجساد وأعضاء الكائنات الأخرى حيوانية وحشرية وغيرها بل وأن تخصه أي الإنسان العربي بأن تصيب جسده وأعضائه بأمراض أكثر وأفسى مما تصيب به أجساد وأعضاء الكائنات الأخرى الحيوانية والحشرية وغيرها..

لماذا؟ إنه يجب ألا يكون هنا سؤال لأنه لن يكون هنا جواب..!

.. بل لقد حولت أي الآلهة والطبيعة الإنسان العربي إلى أعظم ممجد ومفسر ومعلم لهذه الأمراض ولعراياها المنطقية والذهنية والأخلاقية والحضارية والفلسفية والنفسية، حتى لقد حولها إلى أقوى وأذكى وأتقى التفاسير لحكمة ورحمة وعدالة وتقوى وذكاء الإله، وإلى أعظم وأكبر وأشهر الأدلة على وجوده، لقد وجد الإله لأنه وجدها أي الأمراض..!

لقد وجد الله كل الحكمة والرحمة بقدر ما وجده مريضاً ومشوهاً مصيباً بكل الآلام والمعاهات..!

.. بل لقد جعلت أي جعلت الإنسان العربي يصنع أعظم وأضخم الأمجاد والمناجيات والصلوات والعبادات لإلهه لأنه يصيبه ويقدر ما يصيبه وكلما أصابه بهذه الأمراض أو بأي شيء منها، إذن هل أصابه ويصيبه بذلك ما كراً خادعاً لكي يبالغ في تمجيده وامتداحه وحبّه له؟

إنه لا يرى إلهه في أجمل صيغ وأزياء الجمال والحب والرحمة والحكمة والذكاء والعبقرية والإحسان والعطاء إلا في أفسى وأقبح الأمراض والآلام والتشوهات والآلأباً كل أنوار الجلادين والعقابر وحافري القبور وصانعي الأكفان وحاملتي الجنائز وناعي الموتى والآلأبتكرأ بكل الحماس والنشاط كل المعاهات والدمامات أي إلا حينما يرى كل ذلك ويرى من يقاسون كل ذلك بكل القسوة أنين باكين متضرعين بلا سامع أو مجيب أو مستجيب. لقد وجد في هذه الآفات أتقى وأقوى مرآة يرى بها ومنها وجه إلهه مشرقاً بكل حبه وجماله..!

أيها الإله.. اسعد وفرح وتكبر وتجب وعذب وشوه وافعل كل الأخطاء والخطايا والفضائح لأنه قد وجد من يشكركونك ويمدحونك ويعبدونك ويتحدثون عن جمالك ورحمتك وحكمتك وحبك وعبقريتك وذكائك وإحسانك وعطائك وفرحك وسعادتك كلما فعلت ذلك وكلما بالفت وقسوت وجننت في فعله..!

- أي لأنه قد وجد الإنسان العربي أو لأنك أوجدته كما أردته. ما أغلى وأندح ثمن فرحك وسعادتك وكبريائك وتذلك أيها الإله..! لأنه قد وجد الإله العربي والنبي العربي والدين العربي والمعلم العربي..

ألا يمكن أن يكون التفسير لكونك أيها الإله العربي لا تستجيب ولا مرة واحدة لمن يدعونك

ويتضرعون إليك بكل الأنين والبكاء والهوان هو أنك تخشى ألا يفعلوا لك ذلك أو أن يتراخوا في فعله وفي أساليب ومشاعر أدائهم له لو أنك استجبت وشفيتهم وأنقذتهم، لو أنك استجبت لهم فيما يرجون ويطلبون ومما يتعذبون به ويفنون منه؟ إنك أيها الإله لم تستجب في كل تاريخك لأية دعوة متلهفة متضرعة باكية، هل التفسير أنك ترهد ديمومة ذلك؟

.. إن كان هذا هو التفسير فالإنسان العربي هو المسؤول عن صياغتك هذه الصياغة الأكيمة الفاجعة حتى في تعاملك مع غير العربي.. مع كل العالم بل مع كل الكون، أليست كذلك مع كل الكون؟ وحيث هل وجد أو يمكن أن يوجد مفسد لك وجان عليك وعلى العالم وعلى كل شيء مثل الإنسان العربي؟ هل يمكن تصور مذهب أو مفسد أو معتب على كل شيء وكل أحد مثل من علم وألهم وأغرى وأغوى إله هذا الكون وأوحى إليه بتعامله معه ليكون أي إله هذا الكون كما كان؟ أليس العبد الرديء قد يعلم بسلوكه الرديء، سيده السلوك الرديء؟ أليس التابع أو الخادم الرديء ينقل أحياناً إلى متبوعه ومخدومه رداءته كما ينقل العبد الغني إلى إلهه غيابه وهوانه؟ ولكن هل وجد أو يمكن أن يوجد من يستحق كل الرثاء والإشفاق مثل كائن مطلق في كل رؤاه وقواه ومعانيه وتفسيره استطاع الإنسان العربي أن يصوغه كما صاغ صاحب هذا الكون.. أي كما صاغك أيها الإله لتجيء كل صياغاتك كما جاءت وكما أردت أن تجيء أي كما صاغك بتعامله معك وبرؤيته وتفسيره لك وتعاليمه عنك؟ لقد عاملك وراك وفشرك وعلم عنك وبك بأخلاقه وعقله وعلمه وتصوراته فرضيت وقبلت وتغذت بكل الالتزام فأصبح لك صائفاً! أعلنوا يا سكان السماء، أعلنوا وكونوا صادقين. أعلنوا أن الإنسان العربي هو الذي صاغ الإله العربي. هل يمكن أن يجيء أو يعلم أو يعرف الإله العربي كما جاء وعلم لولا الإنسان العربي؟

.. أجل، أنا عربي بكل هذه الصفات والظروف والتاريخ والبيئة، ومريض بكل القسوة والشمول والشذوذ والغربة والاعترا ب.. مريض بهذا المرض بكل صدفه وعنفه وديمومته وبكل حرائقه وأهواله وطاقاته وفضائعه.. مريض، مريض.. بمرض الرؤية والتفكير والاحتجاج والانفجاء والمساءلة والمحاسبة والمحاكمة والقراءة والتفسير والاشتراط لكل شيء وكل أحد.. أجل، مريض بذلك لا عاشق أو مختار أو مبتكر له!

.. إنها الأهوال والفواجع كلها.. تتفجر وتتسر وتتراحم كل الأوقات بكل الأساليب واللغات والتفسير والاحتراق والحرائق، في كل رؤاي وعقلي وفكري وقلبي وضميري وأخلاقي واتجاهاتي..

في كل قراءاتي ومساءلاتي ومحاسباتي ومحاسماتي واشتراطاتي ورؤاي وتفسيراتي لكل شيء ولكل أحد، تتفجر وتتسر وتتراحم بتفسير وصيغ وطاقات غير عرية بل نقيض كل ما هو عربي!

.. إني مريض وحدي بهذا المرض وأنا أعائش وأواجه مجتمعاً لم يوجد أو يخلق فيه أو منه ولن يوجد أو يخلق فيه أو منه من يمكن أن يمرض به أي بهذا المرض، بل ولا من سمع أو يسمع به أو يعرف أو قد يعرف أنه أي هذا المرض قد وجد أو أنه قد يوجد.. إن مجتمعي لا يعرف أو يتصور

الأمراض النجيبة العاقلة التي لا بد أن يمرض بها كل من يرون أو يفكرون أو يتساءلون أو يحاسبون أو يشترطون كما لا يصاب بها!

.. إنه العذاب الدائم الشامل بكل صيفه ومعانيه وتفسيره وقبحه ووحشيته. إنه العذاب الذي سببه والذي يصنعه كل شيء لا شيء دون شيء والذي لا ينقذ أو يحمي منه أي شيء. إنه العذاب الذي يصنعه التحديق في بلاهة وضخامة الشمس أفسى مما يصنعه التحديق في ضآلة وهوان الحشرة! .. إنه العذاب الذي تضيق كل حدود واتساع كل هذا الكون عن حدوده واتساعه. إن حدود الإنسان الفكرية والتصورية والعاطفية والإنسانية أوسع من كل الوجود، إذن أليس عذابه أبعد وأوسع حدوداً من كل الحدود؟

.. إنه العذاب الذي لم تستطع كل الآلهة أن تتخيلته حينما أرادت أن تتخيل وتصنع أفسى العذاب في جحيمها لمن زعمتهم كل أعدائها وأتسى أعدائها. إنه العذاب الذي لم تحدث عنه الآلهة في كتبها المنزلة على أنبيائها الذين لم يكن محضلاً أن يتصوروه فكيف يتحدثون عنه؟

.. إني لأقاسي كل ذلك كل أوقاتي بكل معاني وتفسيراتي، كلما رأيت أو سمعت أو قرأت أو فكرت أو سألت أو سئلت أو سألت أو أردت أو اشترطت أو حاورت أو تمنيت أو عرفت أو جهلت، وأنا دائماً أفعل كل ذلك.. وأنا دائماً مصاب بكل ذلك ومحكوم علي بكل ذلك دون أن أختار أو استشار أو أستطيع الرفض أو النجاة.

وأنا دائماً أقاسي كل ذلك كلما نطقنت أو صمت، تذكرت أو نسيت، تمت أو استيقظت.. آه، «نمت.. نسيت..»! «نسيت»!

هل أنام؟ حتى السؤال كيف سألت؟ إني حينما أحسب أو أبدو نائماً لا أكون نائماً! .. إنها غلطة أو أكذوبة أو أمنية جميلة ضائعة أن أتحدث عن النوم والنسيان. إنها أمنية بل أميتان أي أن أنام أو أنسى.. أميتان مستحيلتان. هل عاقبتني الإله بأن جعلني مثله لا أنام؟ هل هو عقاب أم بحث عن مثيل؟

.. إن أقصى السرف والترف في التمني والتأمل أن أتمنى: أن أنام أو أنسى، ليتني أجد من يهيني إحدى الأميتين.. من يهيني من المترفين المثقلين بهما إحداهما، أما كلاهما فلن أجزؤ على التمني بأن أجد أو بأن يوجد من يهيني إياهما!

حتى التمني لذلك هل امتلكته أو جرؤت عليه؟ والأمنية الثالثة التي حرمت منها هي العمى الإنساني لا البصري، إنه لا عذاب كعذاب من لم يصب بهذا العمى!

.. آه يا إلهي هل أنت جاهل كل هذا الجهل أو معاد لنفسك كل هذا العداء حين حرمت على نفسك النوم والنسيان بل وأعلنت افتخارك وتمجيدك لنفسك بذلك.. بهذا التحريم والحرمان؟ لماذا لا يوجد معذب ومشوّه لنفسه وراغب في تعذيب وتشويه نفسه مثل الإله؟ كيف جهلت يا إلهي أنك أعظم معذب لنفسك. أعظم معذب في الكون!

.. يا إلهي ليت جميع أطباء وعلماء وسحرة ومداري ودجالي كل العالم يستطيعون أن ينتكروا دواء أو سحراً يشفيك من عذابتك ومرضك.. من أراك.. إن في شفائك هذا لكل الشفاء من كل الأخطاء والخطايا والحماقات والتوترات والآلام والسفاهات التي يقاسي منها كل شيء وكل أحد في هذا الوجود البائس لأنك أنت تقاسيها.

أليس محتوماً أن تنتقل مفاصة وآلام وأخطاء وضعف الخالق إلى مخلوقه؟

.. نعم، إنني لأفاسي كل أوقاتي كل ذلك حتى حين أحقق في عيني الإله وأنا مريض بالتحديق الدائم الذي لم أجد ولم يوجد ولن يوجد له أي علاج أو حتى تخفيف أو تخدير أو خداع.

هل جربت يا إلهي التحديق في عينيك أو سألت من حقد فيهما إن وجد عن عذاب ذلك؟

حتى حين أحقق في عيني الإله المحدثين بكل الإعجاب والانبهار والسعادة والفرح والرضا عن النفس أي المحدثين في كل المعانيات والتشوهات والدمامات والبلاغات والآلام والفضائح والمظالم والآثام والهوان والقهر والهزائم والعورات التي أرادها وعشقها ودبرها وخعططها وفعلها وأخرجها وأعلنها وأبرزها وعرضها وباهى بها ضميره أي ضمير الإله وقلبه وعقله وتفكيره وأخلاقه وأمجاده وعبقرياته وبيده وكل تاريخه بل وجعل أنه قد جعل بها ذاته ومواهبه وعرشه وثيابه ورؤاه، هل وجدت أو هل يمكن أن توجد عيون تستطيع أو تجرؤ أن تحقق في العورات والقبايات مثل عيني الإله؟

.. ما أنسى وأفجع التفاسير لعيني الإله.. لأخلاقهما ولكل تفاسيرهما رائيتين لكل ما تريان ويرى ولكل ما لا يستطيع ويرفض أن يرى... ما أنسى وأفجع وأفجر وأكفر عيني الإله والتحديق في عيني الإله.. محدقين في كل ما يصحق ويفجع ويفضح أن يرى بل أو أن يتصور أو أن يقال إنه قد يرى..

.. محدقين بكل النشوة والطرب في كل ما لا بد أن تنحول رؤيته إلى أقيح وأوقع وأفسى وأبداً استفراغ على العيون والعقول والقلوب والأخلاق والجمال والفنون وعلى كل شيء.

كل الرثاء لا يكفي رثاء لعيني الإله لو كان فيهما أي معنى من معاني الرؤية.

.. إنه لا شيء يصنع كل العذاب والغيظ والغضب والانفجاع والدعر مثل التحديق في عيني الإله أو في أي معنى من معانيه؟

إن عيني أوقع مجرم لا بد أن تتعذبا وتفجعا وبكيا مما تسعد به عينا الإله.

.. إنها لن توجد بلادة أو وقاحة مثل بلادة ووقاحة عيني الإله ناظرتين بكل الوقار والاسترخاء والابتسام والإعجاب إلى كل شيء... ماذا يمكن أن تقول عينا الإله الرائيتان لكل هذه الآلام والآثام والقبح والعبث والمظالم والشرور والتفاهات؟ أي ماذا تقولان لعقله وقلبه وضميره وأخلاقه عينا تريان؟



كذلك أفاسي كل هذه المقاساة حين أحقق وأنا المحقق الدائم بلا أية استراحة من التحديق. بلا أي إنقاذ أو منقذ منه أو أمل في أي شيء من ذلك..

أي حين أحقق في ذكاء أو عقل أو تقوى أو كرامة أو صدق أو أخلاق أي نبي هبط إلينا في أضخم مركب من الشمس والنجوم، متوجاً بكل عمامات وعباءات ولحي وشوارب كل الآلهة، محولاً كل الأحجار والأشجار والقصور والقبور وكل الهامات والقمامات إلى منابر لكي يصعد فوقها ليقسده ويشوه ويفجع ويعلن كل طاقاتنا ومعانياتنا الفكرية والعقلية والنفسية والأخلاقية والفنية بل والدينية بتحدثه المصاب بكل جنون الحب والتقدير والتعبد والإعجاب والانبهار والبله - أي بتحدثه هذا بكل هذه التفاسير عن عبقرية وشاعرية وحكمة ورحمة ومجبة وعدالة وبسالة إلهه لأنه أراد وعشق ودبر وخلق كل ذلك وأصاب بكل ذلك.. أصاب به كل شيء وكل أحد.. لأنه أصاب ويصيب ويستطيع أن يصيب وله الشكر أن يصيب كل أحد وشيء بما أصيب وبما سوف يصاب به

... ولكن هل تستطيع أو استطاعت أية عين أو عقل أو قلب أو ضمير أو أخلاق مصابة بأي قدر من التحديق أن تحق في أي معنى أو صيغة من صيغ أو معاني هؤلاء الذين يجيئون إلينا لينصروا أنفسهم لنا وعلينا أنبياء.. ليكونوا أضخم وأخلد وأقوى وأشمل وأوقع المعاهات والتشوهات والعداوات والجهالات والنذالات والانقسامات والأحقاد في عقولنا وقلوبنا ونفوسنا وأخلاقنا وأوطاننا وتاريخنا بل وفي ألسنتنا وأيدينا وأسلحتنا؟ هل استطاع أحد أن يؤمن بواحد من هؤلاء الأنبياء أو أن يراه إلا بعد أن أصيب بالعمى المضاد للعمى أي بالعمى الذي يرى الشيء نقيض نفسه.. نقيض ما يراه الراؤون المبصرون؟ إن هذا العمى المضاد للعمى بهذا التفسير هو أقوى رؤية وإبصار في هذا الكون!

.. هل هانت أو هزمت أو ماتت كل معاني التحديق مثلما هانت وهزمت وماتت في تعاملها مع الآلهة والأنبياء وفي قراءتها وتفسيرها لهم؟ إن المؤمنين بالآلهة والأنبياء الرائيين لألوهياتهم ونبوتهم لا يستحقون أن يفسروا بالتفسير الذي يرى أن كل البشر مصابون بالتحديق الأعمى أو بالرؤية العمياء! .. وإني أيضاً لأقاسي كل هذه المقاساة حين أحقق وأنا المصاب بالتحديق الذي لو أصيب بشيء منه إله هذا الكون لما بقي محققون ولا محقق فيه لأنه لا بد أن يحرق حينئذ أي الإله كل شيء وكل أحد وأن يحرق نفسه فراراً من التحديق في نفسه أو في أي شيء أو في أي أحد لأن التحديق أي لو وجد لن يعالج إلا بالموت. بكل أساليب الموت أو بواحد منها فكيف إذا كان المحقق هو باصق هذا الكون بكل لغاته وتفسيره؟

- نعم، حين أحقق في الكائن أو في الإنسان الذي يذهب بكل الهتاف والصراخ والهوس والبله يدعو ويرجو من يؤمن ويزعم ويعلن أنه هو الذي أصابه بإملاء الحكمة والرحمة والتدبير والتفكير بل والحب بكل ما أصيب وبكل ما سوف يصاب أو قد يصاب به من آلام وعاهات وتشوهات وأراض وعجز وموت وأخطاء وخطايا بل وفضائح وعار وهوان.

- نعم، يدعو ويرجو ليشفيه وينقذه بل ويحميه من كل ما أصابه به بمشورة بل بإملاء وإلزام حكمته ورحمته ومحبه وتدبيره وتفكيره وشهامته وكرامته وكبريائه أي ليكون ذلك إعلاناً قاصماً مهيناً عن أنه أي هذا المدعو المرجو قد كان حين أصابه مخطئاً أو ضالاً أو ظالماً معتدياً لهذا يتراجع ويدعى ويرجى ويتنظر بل ويطالب ويجب أن يتراجع عما أراد وخطئ ودبر وفعل.. وإعلاناً عن أنه قد

عرف أو أنه لا بد أن يعرف بأنه قد كان ذلك أي مخطئاً أو ضالاً أو ظالماً معتدباً حين أصاب بما أصاب به.!

.. أو ليكون ذلك إثباتاً أليماً قبيحاً بأنه أي هذا المدعو العرجو إنما يصيب بما به يصيب أملاً أو طمعاً أو رغبة أو شهوة شاذة مريضة فادحة التكاليف في أن يرى ويسمع كل الصلوات والتضرعات والهجمات والقامات والآهات والأثبات والدموع الغزيرة الذليلة في كل أوقاته واتجاهاته مرفوعة موجهة إليه، راكعة ساجدة تحت قدميه، مستفرغة مهبوبة في عينيه وأذنيه، متعلقة مسلية مرضية لكبريائه وأشواقه وشهوته الصغيرة العدوانية الهمجية في كل تفسيراتها وتعبيراتها. لكي يستمر يغني لنفسه إعجاباً بمكره البذيء الذي وهبه كل هذا التمدد والتذلل المفتضح المتعري المتساقط في عينيه وأذنيه تحت صراخ ضحكاته البلهاء..!

.. لهذا فقد يشفي وينقذ ويدعى ويرجى بأن يشفي وينقذ مما أراد وخطط وفعل ومما أوقع وأصاب به بعد أن يشبع من التغذي بهذا الطعام الذي لا يشبع منه أبداً مهما تحول كل شيء وكل أحد إلى شيء من هذا الطعام وإلى طهارة وموائد ومعابد ومطاعم له أي بعد أن يوشى بالرشوة المطلوبة المرضية القبيحة البليدة.!

أليس هذا التفسير هو أحد التفاسير الجيدة القوية لهذه القضية قضية أن يدعى ويرجى الإله لينقذ مما أصاب به متراجعاً، متراجعاً؟

طبيب عظيم يتر أحد أعضائك بكل رحمة ومحبة وحكمة ومعرفة المطلقة التي لن تخطيء أو تكذب أو تنفر كيف ترجوه ليعيد إليك ما يتر أو كيف يفعل ذلك؟ أليس هذا أقصى حياء واتهام لعلمه وأخلاقه بل لكل معانيه؟

.. كيف أمكن أن يوجد من يسعد ويرضى بل أو يقبل بل أو يغفر أن يرى أو يسمع من يتضرعون ويتذللون ويصلون ويركعون ويسجدون ويثنون ويكون بين يديه وتحت قدميه وفي أذنيه وعينه..

بكل صيغ وتفسير الاستعراضات والاحتفالات والمواكب الكونية الإعلانية التعليمية التدريجية؟

على أي نموذج صيغت نفس وأخلاق ورؤى وشهوات وأنانيات هذا الكائن؟

.. ثم كيف وجد من يقبل وينفذ ذلك.. يقبله وينفذه ضد عقله وكرامته وشجاعته وتقواه وأخلاقه، وضد هامة وقامته واستوائه.. يقبله وينفذه في كل ذلك منه وفيه؟ كيف وجد من يفعله أو من يفعله به أو له؟ كيف يستطيع من يفعل ذلك أن يحترم نفسه بل أن يرى نفسه؟

... هل يمكن تصوّر سخف أو قبح أو سقه أو هوان أو غباء مثل هذا؟ كيف هبط الإنسان ليقول إن الإله قد فرض عليه ذلك، وليقول إن له أنبياء قد جاؤوا إليه ليعلموه ذلك ويدربوه عليه؟



.. أو ليكون ذلك اعترافاً إعلانياً عالمياً بأن هذا المدعو العرجو أي هذا الإله يلعب ويبحث

أقصى وأغنى وأفخر وأتبع اللعب والعبث، وبأن من أساليبه المختارة في هذا اللعب والعبث أن يذهب بكل النشوة والحماس والرضا عن النفس يضرب ويدمر ويمرض ويشوه ويفقر ويذل ويفجع ويخيف ويصيب بكل الآلام والشور والهزائم... ليعود ويحذف ويبطل كل ما فعل فاعلاً النقيض، ثم ليعود، ليفعل النقيض ونقيض النقيض.. ليستمر يمارس هذا العبث واللعب بلا توقف أو هدنة للمراحة أو للتفكير أو للحساب والرؤية أو تحت ضغط الوفاق أو الرحمة أو الاستحياء أو الاستفطاع أو التوبيخ أو المحاكمة للذات أو للتساؤل.. للتساؤل: لماذا، لماذا هذا العبث واللعب المجنونان المجرمان؟

أليس هذا التفسير القبيح هو أحد التفاسير المحترمة في هذه القضية؟

.. كيف لم يقطن هذا المؤمن الداعي الراجي إلى ذلك؟ من هذا الذي استطاع وجرو أن يركب فيه كل هذه الغفلة والبلادة؟ أليس الإبداع في صنع الغفلة والبلادة يحتاج إلى عبقرية؟

الذكاء والغباء أيهما أكثر احتياجاً إلى العبقرية لتصوغه صياغة قوية سخية؟

.. كيف أصبح ممكناً في حساب أو ذكاء المؤمن المصاب أن يدعو ويرجو إلهه الذي أصابه ليشفيه وينقذه مما أصابه به؟ أليس دعاء ورجاء جرثومة المرض التي قتلت لتنقذ مما فعلت ولتحيي من قتلت أذكى وأعقل من دعاء الإله ورجائه لينقذ مما فعل؟

.. ويدون تصور هذا الإله مصاباً بهذا اللعب والعبث كيف يدعي ويرجى ليشفي وينقذ مما فعل هو؟ ومع هذا فإن تصوره كذلك لا يجعل دعاءه ورجاءه ليشفي وينقذ مما فعل معقولاً لأنه أي هذا الإله المدعو المرجو يفعل الشيء ونقيضه... يفعل الشيء ويتراجع عنه أي وينقذ منه لأنه يعيث ويلعب لإسعاد ومغازلة نفسه وإلهاء فراغه البائس الكبيح لا لأنه يدعي ويرجى ويستجيب..!

أي إذا كان هذا هو التفسير أو أحد التفاسير في هذه القضية!

.. إنه لا يستطيع تصور أية فجيرة أو إهانة لكل المعاني الجيدة والمعقولة مثل أن يهتف هاتف قائلاً: يا إلهي انتقذني، اشفني، احمني مما أصبني به.. مما أصابني به إرادتك وحكمتك ورحمتك ومحبتك وعدالتك ومنطقك وفنك وتخطيطك.. احمني، انتقذني، اشفني، عالجنني، طهرني يا إلهي، يا إلهي.. مما أصابني به يدك العبقرية الفاتنات الحكيمتان الطاهرتان المنزهتان المعصومتان عن أن تفعل غير العدل والحق والفن والمنطق والحب والجمال والإنقاذ والرحمة والذكاء والمصلحة والخير لمن أعطته وصافحته ولمن حرته وضرته وأصابته وشوّهته..!

أليس من قال انتقذني يا إلهي مما أصابني به يدك إنما يقول وإن لم يعرف أو تعرف أنت: اخرج يا إلهي على يدك، عاقبتهم، اهدم ما بنتاه، أثبت خطأهما وعدوانهما وفسادهما وفسادهما وتخريبهما وتمودهما عليك وعصيانهما وتشويههما لك.. قاوم وقاتل يا إلهي يدك بنقض ما حاكته وغزلته وصاغته؟ ألسنت يا إلهي معتدياً على يدك ومحقراً مجهلاً لهما لو أنك نقضت بيدك أو بغير يدك شيئاً مما فعلته بذلك؟ كيف لم تفهم ذلك يا إلهي ولم يفهم من يدعونك ويرجونك وينظرون منك أن تفعل لهم ضد ما فعلت بذلك وأن تفعل بذلك ضد ما فعلنا وضد ما فعلت أنت؟ في أي

المدارس والجامعات ومن أفواه وعقول أي المعلمين والأساتذة تعلمت أنت يا إلهي وعبادك ودعاتك غباءكم هذا؟

هل توجد أو يمكن أن توجد تفاسير غير هذه التفسير لهذه القضية أعني قضية دعاء المؤمن ورجائه لإلهه أن ينقذه ويشفيه مما أوقعه وأصابه به مؤمناً ومعلناً أنه لم يصيبه ولن يصيبه إلا بأوامر كل حكمته ورحمته ومحبه وعدلته ورؤيته وقدرته وشهامته وكرامته وعبقريته وكبريائه؟
والإله لا يستشير معانيه الجيدة بل تحكمه وكذا معانيه غير الجيدة..!

.. ولو وجدت تفاسير أخرى فهل يحتمل أن تكون أقل قبحاً أو غباءً أو جهالةً أو عدواناً أو إهانة لكل التفسير والمفسرين ولكل شيء جيد بل ولكل شيء غير جيد من هذه التفسير؟

إن هذا الوجود والمسؤول عنه إن وجدتهما كل القبح إن لم يفسرا ويدافع عنهما بكل التفسير إما إن فسرا فلا بد أن تتحول كل تفسيرهما إلى أقسى إعلان عن قبحهما.. إنه لكل الخروج على المنطق والجمال مفسراً وغير مفسراً..!

.. أجل، إنني لأقاسي كل هذه المقاساة كلما حدثت هذا التحديق وكلما حدثت أي تحديق وأنا المحقق الدائم كل التحديق.. كل أنواعه وتفسيره ومعانيه.. وأنا المحقق الذي لا بد أن تقتل أو تحرق إحدى تحديقتي كل شيء وكل أحد أي لو كان أي شيء أو أي أحد قد يقتله أو يحرقه أي تحديق أو كل التحديق..! إن كل الأشياء فيها مناعة ضد التحديق تحميها من أن تقتلها أو تجرحها مهما وجب أن تفعل بها كل ذلك..!

.. وأنا المحقق الذي لن يقبل أو يستطيع أي إله أن يظل فوق عرشه أو داخل نفسه أو أن يبقى موجوداً أو أن ينظر إلى شيء أو أحد من كونه خيفة أن يراني محققاً فيه أو في أي شيء، خيفة أن يقرأ أو يفهم تحديقي أعني لو أنه أصيب بشيء من التحديق الذي أنا مصاب به كله أو لو عرف ماذا يعني التحديق..!

ولكن الإله معصوم من كل ذلك لهذا استقر حيث يجب أن يحرق قلقاً وعاراً..!

.. وأنا المحقق التحديق الذي لو وعاه من ابتكروا أو وضعوا اللغات ومن يتكلمونها لما وجدت كلمة «تحديق» ولا وجد من ينطقون بها ولا من يضعونها في أي قاموس لغوي..! إنهم سيعرفون حيث أنه لا يوجد ولن يوجد تحديق فإذا وضعوا كلمة تحديق كانوا غالطين!

هل أحتاج إلى أن أقول إنه لا يراد هنا تحديق العيون، بل إنه تحديق ضد العيون وضد رؤيتها وتحديقها وضد كل ما تراه العيون وتحديق فيه، إن العيون لا ترى أو تحديق مهما بدا أنها فعلت وتفعل ذلك.. إن رؤيتها وتحديقها بلا رؤية ولا تحديق أو ضد الرؤية والتحديق..! إن المحقق الرائي كائن آخر لا تراه العيون ولا تريد أن تراه، إنه يعذبها ويفضحها، إنه عذرها الذي لا يسالم!

وما أقل هذا الكائن، ما أقله، إنه لا يوجد بوجود العيون ولا يفقد أو يضعف بفقدها أو ضعفها، إن وظيفة العيون ضد التحديق أو هكذا جاءت!

إنه لو كان ممكناً اتهام الإله بالذكاء لكان ممكناً ومعقولاً اتهامه بأنه إنما خلق العيون لئلا يوجد التحديق.. وإنه أي الإله لو كان يعرف معاني التحديق لما خافه وقاومه وكرهه أحد مثله!

.. إنه لا يوجد مضلل وخادع بل وغافر مادح معظم هاتف مجمل لكل الدمامات والنذالات والبلادات والهوان والمذاب والهزل والعبث مثل العيون القوية الرؤية في كل مقاييس الطب والأطباء!

إن قوة الإبصار قد تعني أو لا هذا أن تعني ضعف التحديق!

.. إنه لا شاتم ولا مهين ولا محقر للعيون ولا باصق عليها مثل العيون، إنه لا عدوان على العيون مثل عدوان العيون، إنه لا يوجد أو يعرف من يقاسي من العدوان عليه مثل العيون!

إنه لا فاقد للرؤية ولا راءٍ ضد الرؤية مثل العيون المبصرة الناطرة الهاتفة لجمال وكمال وروعة ما ترى!

إن العيون لو ترى أو رأت ما تراه لما كان مثلها فاجعة ومفجوعة رافضة للرؤية!

.. لنسأل عينا الإله وعيون جميع أعوانه وأنبيائه ودعائه هل حدثت أو استطاعت أو تستطيع أن تحديق ولو مرة واحدة في أي شيء مما ترى ويرى، بل هل استطاعت ألا تكون مانعة ممنوعة من التحديق؟ هل مثلت أو تساعت هذا السؤال أو التساؤل أي عيون هؤلاء؟

.. أليس بقاؤها أي عيون الإله وأعوانه وأنبيائه ودعائه في وجوه أصحابها تعاملهم ويعاملونها بلا انفجار أو احتراق أو غرق أو قتال أو حتى خصام بينها وبينهم دليلاً لا تستطيع محاورته على أنها لم تحديق ولا تستطيع أن تحديق ولا مرة واحدة، بل وعلى أنها ممنوعة بل ومانعة من التحديق؟ أليس محتمراً أن الإله قد اشترط لوجوده وعليه ألا يكون محدقاً واشترط على أنبيائه وأعوانه ألا يكونوا محدقين؟

.. ها أنت ترى واحداً من هؤلاء يحديق بكلتا عينيه في صورة من صور الدمامات والتشوهات والآلام والحقارات والفقائص والمظالم والمهانات والذنوب والشرور التي تغطي هذا الوجود وكل وجوه دون أن يقتل عينيه أو تقتله عيناه، بل ثم يذهب بكل النشوة والفرح والرضا يتسم لعينه ويتسمان له ويعانقهما وتعانقانه، بل ثم يذهب بكل الكبرياء والإعجاب والافتخار والصراخ الإعلاني يتحدث عن جمال وكمال وروعة وعبقورية ما يرى مغنياً هاتفاً لعينه، مغنية هاتفة له عيناه!

هل رأيت ذلك ولو مرة واحدة؟ هل سألت عينيك؟ سلهما، سلهما!

.. هل تقبل أو يقبل أي كائن أن تكون أو يكون راثياً أو مواجهاً لهذا الإله أو النبي أو الملاك أو القديس أو المؤمن محدقاً هذا التحديق معبراً عن تحديقه فيما حديق فيه هذه التعابير؟ نعم، لقد قبلت دون أن تدري أنك قبلت أو كيف قبلت أو ماذا يعني قبولك لذلك أي أن تكون راثياً مواجهاً لهذا الإله أو النبي أو الملاك!

.. ماذا يمكن أو محتمل أن يكون أو يصاغ الحوار بينه أي بين الإله أو النبي أو الملاك أو القديس أو المؤمن وبين عينيه وهو محدق هذا التحديق في إحدى هذه الآفات أو في كثير منها أو

فيها كلها أي لو كان ممكناً أو محتوماً أن يوجد هذا الحوار؟ وماذا يمكن أن يكون في تصوّر من يصوره؟

.. أطلبك أيها العار، يا كل العار أن تعلم هذا الإله أو النبي أو الملاك أو القديس أو المؤمن المحدث هذا التحديق أي لو حدث هذا التحديق وأيضاً إذا عجز عن هذا التحديق.

- أطلبك أن تهيه شيئاً من الكرامة أو الاستتار أو التقوى بل وأن ترثي له وتشفق وتستر عليه من عاره المغطي لكل الكون.!

هل يوجد عدد لأي كائن مثل عينيه لو كانتا تحدقان؟

.. ثم هذه الآفات والفظاعات ماذا يمكن أن تقول للعيون المحدقة فيها لو استطاعت أن تقول... أن تقول لعيون الإله والأنبياء والملائكة والقديسين والمؤمنين المحدثه فيها بلا معالجة أو محاولة بل بلا اشتعاز أو استنكار أو رفض أو غضب أو بكاء بل بغرغ وسعادة ورضا ورقص وغناء؟ ماذا يمكن أن يقول لو استطاع أن يقول الجسد المغطي بكل الشتمات لعين الإله أو النبي أو الملاك أو القديس المحدثه فيه بإعجاب ورضا وثناء على من فعل به ذلك أو ببلادة أو استرخاء وتثاؤب؟ صعب جداً ما يمكن أن يقول هذا الجسد.!

.. هذه القصة إنها قصة الوجود كله بكل ما فيه من آلهة ونبوت وعقبريات وحضارات وإنسانيات..!

إنها قصة لم يكتبها أو يقرأها أو يفكر فيها أحد..!

.. إنها قصة كل شيء وكل أحد.. إنها مجد أو عار كل شيء وكل أحد..

إنها قصة لم تعرف الآلهة إبعادها إلى الأنبياء أو يعرف الأنبياء قراءتها على البشر.!

.. كيف أمكن الصمت عنها بكل هذه الغفلة والبلادة، بكل هذه العالمية والكونية والديمومة؟

كيف لم تصبح هذه القضية أضخم هموم واهتمامات كل العالم؟ نعم.

.. الآلهة والأنبياء وكل إله ومعاونيه ومستشاريه وموظفيه محدقون في كل الآفات والعامات والدمامات والحقارات والآلام والأمراض والموت وفي كل ما يهين ويفجع ويقهر.

- محدقون في كل ذلك كل الأوقات بكل الاسترخاء والغباء بل وبكل الابتسام والفرح والرضا والإعجاب والإنشاد لمجد ذلك ولمجد من أراده وقعله وذهب يتفدى ويتسلى ويتغنى بالتحديق فيه.. محدقون فيه ليجدوه أذكى وأتقى وأقوى وأنفع وأصلح ما يريدونه ويحبونه ويعرفونه ويرضاه ويسعد به ويستطيعه ويفعله الإله قائلين: ليس في الإمكان أبدع مما كان!

.. أما البديل عن هذا الافتراض فهو أن هؤلاء أي الإله ومن معه وحوله وتحتة يعيشون بكل أساليب وتفسيرات الاسترخاء والتثاؤب والتبلد والخمول والضحكات البلهاء فوق وتحت ومع وبين هذه الأكوان الدائمة البليدة الأليمة الفاجعة العابثة المهينة لكل الرؤى والحسابات والتفسيرات والمنطق دون

أن يقاسوا أية مقاساة أو احتجاج أو غضب أو رفض أو حتى تساؤل برؤاهم أو عقولهم أو قلوبهم أو ضمائرهم أو أخلاقهم أو حتى بإيمانهم وتقواهم وتدينهم.. دون أي شعور أو نبض قابل أو رافض معجب أو مستنكر لأنهم أجهزة صامتة كل معاني الصمت..

.. دون أن يقاسوا أية مقاساة من التحديق الناقد الرافض الغاضب المحاسب المحاكم المشترط المحارب أو حتى الصارخ الباكي المتأوه المتوجع، أو حتى من التحديق المهادن المسالم المسترخي العاجز المرید المرجيء الكسول الرافض المنكر بلا فعل أو إقدام، لأنهم مصابون بمعنى شامل.. بمعنى مهين لكل مزايا العمى ومعانيه لأنه يرى الأشياء رؤية مضادة!

.. إذن فأي الافتراضين ينبغي أن نختاره أو فرض أو يفرض علينا اختياره تفسيراً للإله ولجنوده وأوليائه وأنصاره هؤلاء.. تفسيراً لبلادتهم الفاجعة المذهلة المواجهة والمعاشية لكل هذا القبح بكل صيغ وتفاصيل القبح.. بكل هذا الرضا والتقبل الذي لا بد أن يشير غضب واشمئزاز وانفجاع الحشرات!

هل هو فقد للرؤية المحدقة المحاسبة أم هو فقد للحماس والإرادة والعقل والشهامة والنشاط والمبالاة والمنطق ولكل الأحاسيس والمشاعر الجيدة أم القضية أسوأ وأردأ من كل ذلك ومن كل افتراض؟ وهل وجدت هذه القضية أو يمكن أن توجد كما ذكرت أم هو افتراض لا بد منه؟

.. ما أفجع وأقسى الاختيار للإله. وما أعظم عذاب وحيرة وضيق من يختار أو من فرض عليه أن يختار للإله!

ولكن هل وجد من يختار له؟ وهل يمكن أن تجد الإله لو اخترت له أو لو رأيت ذلك؟ ومع هذا هل وجد أو يمكن أن يوجد من يجب الاختيار له مثل الإله أي إن كان من الممكن والمستطاع الاختيار له؟

أليس الإله هو أعظم محتاج دون أن يستطيع تسديد أي احتياج من احتياجاته ودون أن يوجد من يحاول أن يفعل ذلك؟

ولكن كيف تبدل كل العالم كل هذا التبدل الأزلي الأبدي؟ كيف استطاع أي العالم أن يهب نفسه كل هذا التبدل أو أن يجد من وهبه وبهيه كل ذلك؟ من أين تأتي البلادة والتبدل؟ من يصدرهما؟ من؟ كيف لم يتجمع ليوظف ويحرض كل علمائه وخبرائه وأذكيائه وأتقيائه بل وأدبائه وشعرائه ليختاروا ويضعوا للإله صيغاً ونماذج عقلية ونفسية وفنية وأخلاقية وجمالية تتفوق كثيراً على صيغه ونماذجه التي جاء بها ليعرضوها عليه بأشكال الأساليب.. القوة الملائمة.. المهدبة المطلقة الشعرية.. والعنفقة الإملائية التهديدية.. بكل الأساليب المختلفة والمتضادة.. المغربة المرضية والمزعجة المخيفة.. بكل الأساليب واللغات المعجزة والمبتكرة.. أليس في الحساب أن يختار حينئذ أفضل وأعقل مما كان؟

.. كيف لم يفعل العالم ذلك؟ أليس محتملاً أن يتقبل ويستجيب بأسلوب ظاهر معلن أو بأسلوب مستتر مخادع أي الإله؟

بأيهما يجب أن يوصف العالم هنا: بالإهمال أم بالبلادة.. بالتبلد أم بالبلادة؟

أليسوا يزعمون ويعتقدون أنه يقتل الدعوات والتضرعات والهتافات والرجاء والتأمل منه وفيه فيغير مواقفه وأخلاقه وأفكاره وانفعالاته استجابة لذلك؟ أليسوا يزعمون وإن لم يعرفوا أنه لا مغير لمواقفه ولا متأثر متخدع بما يسمع وبما يقال له ويطلب منه مثل الإله؟

.. ألا يمكن أن يستيقظ وينشط العالم فيفعل في الحاضر أو المستقبل لإلهه ما لم يفعله له قبي كل تاريخه أي يختار له كينونات أفضل وأعظم بل وأسعد من كل كينوناته الكائنة والتي كانت وبطالبيه بالتحول إليها؟ أليس في هذا أي لو حدث من الإنقاذ والعطاء له أي للإله مثل ما فيه من الإنقاذ والعطاء لكل شيء ولكل أحد؟ كيف لم يعرف العالم ذلك؟

.. أليست الاحتمالات لأن يسمع ويستجيب الإله قد أصبحت قوية لأن المفروض أنه أي الإله قد أصيب بالتواضع وبالتفقد للذات وبالمحاسبة والمساءلة لها، وأنه قد تعلم أشياء كثيرة لم يكن في البدء يتصورها، ما أقسى وأنفع نقد الإله لنفسه!

إن كل اهتمامات العالم ونضاله أن يقفز بالعالم قفزات عظيمة نافعة متجاوزة لكل شيء رديء وضعيف، إذن لماذا لا يحاول القفز بالإله القافز بكل قافز إلى المستوى الذي يستطيع القفز إليه بإرادته وكلمته ويديه بدون جناحيه؟!

لقد رأى أو المفروض أنه قد رأى قفزات وإبداعات الإنسان في هذا الكون حتى لأوشك أن يصورغه صياغات أخرى متفوقة جداً على صياغاته أي على صياغات الإله له، بل حتى لأوشك أي الإنسان أن يكون هو مدبره ومخططه وحاكمه ومفسره ومعلمه وقوانينه. ولكن أليس ذلك كذلك أي أليس الإنسان هو وحده الذي يدبر ويخطط ويفسر ويعلم ويصوغ ويحكم هذا الكون؟

.. إنها هزة بل صدمة هائلة لكبرياء الإله ولإعجابه بقدراته وعبرياته وبمعرفته وحكمته وخبرته أعني إبداعات وقفزات الإنسان في هذا الكون الذي أراده الإله غباءً فصاغه الإنسان ذكاءً؟

.. إنه إذن لحتم أو افتراض أنه قد أصبح يقاسي من التواضع والاستحياء والتحقير للذات بل ومن الخوف الرهيب الدائم.. من الخوف على مجده وسلطانه بل وعلى وجوده ومن الشعور بالنقص!

لقد سحب إبداعات الإنسان منه كل مجده وسلطانه وأوشكت أن تسحب منه وجوده!

.. وأيضاً قد رأى أو المفروض أنه قد رأى كيف تحكم وتطاع وتحترم أصوات وآراء ورؤى ورغبات ومطالب الشعوب والجماهير، وكيف يسمع ويخضع لها الحكام والقادة والقادرون والمتفوقون دون أن يعني ذلك أي نقص أو هوان أو حتى ضعف أو غضب أو غيظ في هؤلاء الحكام والقادة والقادرين المتفوقين بل فيه كل التمجيد والحب لهم والإعجاب بهم والرضا عنهم. أليست طاعة الأقوياء للضعفاء المستحقين للطاعة من أنبل وأقوى الأخلاق فكيف طاعة الخالق للمخلوقين؟

إنه لا أنقذ وأوجب من طاعة الخالق الذي أصبح متخلفاً لمخلوقه الذي أصبح متقدماً عليه!

.. نعم، أليس كل هذا لا بد أن يجعل أو قد يجعل الاحتمالات جيدة لأن يستجيب الإله حين

تختار له وتعرض عليه صيغ ونماذج أذكى وأتقى وأقوى من نماذجه وصيغه التي كانت والتي هي كائنة لكي ينتقل إليها ويكونها؟ أليس مستمراً في قتل وتعذيب كل نماذجه التي خلقها؟ أليس هذا تراجعاً عن مستواها الخلفي والفني.. عن عبقريته.. لقد رأى وتعلم أشياء جديدة ورائعة وأصيب بالتواضع الحاد المذل فكيف لا يستجيب بل كيف لا يطيع بلهفة وتشكر وتأذّب؟ أليس كل مجد الإله وسعادته وفخره أن يرضى عنه الإنسان ويعجب به ويشكره ويطيعه بل وأن يطيع هو الإنسان ويرضيه وأن يفعل له ما يجعله راضياً عنه معجباً به مطيعاً له؟ أليس كل نضال الإله من أجل ذلك وتأبلاً فيه حتى لقد تحوّل نضاله هذا وأمله هذا إلى انتضاح شامل؟

هل انتضح أحد مثل الإله في تملّقه للإنسان طمعاً في أن يحترمه ويعبده؟

.. أليست الأرض هي دائماً المعلمة للسماء والقارئة المفسرة للرؤية لها الصاعدة إليها وليس العكس؟ بل أليست الأرض هي دائماً المكتشفة المراسلة لها المتحدثة إليها أي للسماء وإليها؟ أليست الأرض هي أبداً آلهة السماء وأنبياءها ومخاطبتها ومحاورتها وأمرتها وصانعة مجدها وهوانها؟ أليست الأرض هي المصترة إلى السماء كل أنبيائها ودعاتها ومعلميها ومفسريها؟ أليست الأرض هي عين السماء وضميرها وقلبها وعقلها وأخلاقها وقجورها وتقواها؟ أليس الإنسان يصعد إلى السماء بقوة الأرض وعقلها وعلمها وأخلاقها لا بقوة السماء أو بعقلها ويعلمها أو بأخلاقها..

أليس الذين تعلّموا السماء وعرفوها وسمعوها إنما تعلموها وعرفوها وسمعوها من الأرض لا من السماء؟

أليس الذين صاغوا كل أوصاف الإله هم سكان الأرض لا سكان السماء؟

أليس سكان الأرض هم الذين أروا الإله وعلموه لسكان السماء؟

أليس إله السماء يسعد ويشقى، يرضى ويغضب، يكبر ويصغر بسكان الأرض لا بسكان السماء.. يبحث عن سكان الأرض وعن رضاهم لا عن سكان السماء ولا عن رضاهم..؟
.. يقرأ ويعرض نفسه على سكان الأرض لا على سكان السماء.. يبيع نفسه لسكان الأرض لا لسكان السماء؟

أليس عرش الإله مصنوعاً من خشب الأرض لا من ذهب السماء؟

أليست الأرض هي التي علّمت السماء القراءة والكتابة واللغات دون أن تعلم السماء الأرض شيئاً؟

أليس أذكى وأعظم وأفضل الآلهة هي التي تتعلّم من الأرض لا من السماء؟ أليست أعظم خطوات وتخطيطات ومغامرات الآلهة أن تهبط إلى الأرض باحثة عن الإنسان متوقّدة إليه ملقية بنفسها بين يديه؟

.. أليس كل سكان السماء موظفين وعمالاً وحراساً عند سكان الأرض؟ أليست كل وظائف سكان السماء للإنسان وفيه ومعه ومن أجله؟

أليس إلتقائهم لتعاملهم مع الإنسان وعجزهم عن هذا الإلتقان هما اللذين يهينهم رضا إلههم ورضاه؟

أليس الإنسان باستقباله لهم وتعامله معهم هو صانع أحرانهم ومسراتهم؟
أليست كل دموع السماء وأشواقها إنما تتقاطر وتسيل على حدود الأرض.. إنما تسيل وتتقاطر من عيون وقلوب الأرض؟ أليست الأرض هي التي ركبت لى الإله وفي السماء وسكانها العيون والقلوب؟

.. إذن هل الإله بكل أجهزته إلّا موظف عند الإنسان وللإنسان يريد ويدبر ويشترع ويفعل ويرضى ويغضب ويحب ويكره ويحزن ويفرح ويحارب ويسالم ويقبل ويرفض ويطيع ويعصي ويتراجع ويتناقص بل ويكفي ويستسم ويمدح ويلعن ويكون ولا يكون بل ويتأرق كل أوقاته بلا نوم، بلا ممارسة أية متعة أو لذة.

- نعم، يفعل كل ذلك وغير ذلك كل أوقاته من أجل الإنسان..

من أجل إسعاده وإرضائه وإعطائه ما يريد ويطلب ويتمنى؟

إنه يعلن: ﴿أَذْعُوقُ أَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ وبما خسر: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.. أليس قد حوّل أعظم أحبابه لإبليس إلى أعظم أعدائه من أجل الإنسان؟

بل لعل الإله لم يصنع وجوده أو يسعد أو يرض أو يفخر به إلّا من أجل الإنسان ومعاشته.

.. إذن كيف لا يستجيب بكل السمع والطاعة والفرح والتأدب لو أن الكون.. لو أن الإنسان اختار له نماذج وصيغاً أعظم بكل التفسير من صيغه وتفسيره ثم قدمها إليه طالباً منه أي من الإله أن يأخذ بها لتكون بديلاً عن صيغه ونماذجه التي عاش بها وجربها طويلاً، طويلاً فلم تصنع له ولا لمن تعاملت معه وعملت فيه إلّا الهزائم والقضائح والعذاب وكل ألوان الخسران ومعانيه؟

إنه لا يخاسر أو مهزوم أو مضطرب أو مهان أو معذب معصي بما فعل محتاراً لنفسه مثل الإله.

أليست استجابته لمن يطالبونه بأن يغير ذاته وكل صيغه ونماذجه إلى الأفضل والأعظم والأقوى أنبل وأنفع من استجابته لمن يطلب منه رخيلاً أو قميصاً أو قتل خصم أو هزيمة منافس أو إذلال قريب؟

أليست استجابته لمن يقول له: كن كما يجب وينتظر أن يكون الإله أروع وأتقى من استجابته لمن يقول له: كن لى ومعى أقوى وأفضل مما تكون مع عدوي أو ندي أو جاري ومما تكون له؟ هل يوجد أقدر أو أسفه من استجابة الإله لدعاء خصم على خصمه لأنه طلب ذلك منه متضرعاً مثلاً؟

إنه لا يمكن تصور محقر معبر مسفوه عليه مثل الإله مطالباً بما يطالب به ومرجواً منتظراً منه أن يفعل ما يطالب به.

ما أصغر الإله في تصورات وعقائد من يطالبونه بما يطالبونه.

.. إن كل مطالبات الإله واستجاباته المقروءة والمسموعة لا بد أن تكون أو قد تكون كل

البلادة والمعث والسخف والضياح والخسران. أليس يطالب بأن يضرب ويقتل ويهين ويصنع اليتيم والعار والتشوهات وأمثال ذلك؟! ..

.. أما مطالبته بأن يستبدل بذاته ذاتاً أخرى فلا بد أن تكون أي مطالبته هذه كل الذكاء والعقل والحق والواجب أعني إن كان ممكناً أن يكون حاضراً سامعاً واعياً، إن هذه المطالبة لأمنية معقولة واحتجاج معقول بل ومحتوم مهما كان عجز المطالب أو فقده!

.. هل يمكن تصوّر ما يساوي به وجهل وسفه وعبث نبي أو أي مؤمن أو كائن بهتف قائلاً: يا إلهي هبني أو هب الإنسان أو هب كل أحد وكل شيء الكمال أو الجمال أو العقل أو الذكاء أو الصفاء أو الحب أو القدرة أو الصحة أو الاستقامة والتقوى أو الشفاء من الحقد والبغض والقسوة والأنانية والجبروت والظلم، أو هبني وهب كل أحد وكل شيء كل ذلك.

- دون أن يقول أي هذا النبي أو المؤمن أو الكائن هاتفاً محترقاً صارخاً، صارخاً: يا إلهي هب نفسك كل ذلك، هب نفسك كل ذلك، فلا أحد يحتاج إلى كل ذلك مثلك، ولا أحد فاقد بل ورافض ومعادٍ لكل ذلك مثلك أو غيرك... فلا أحد حامٍ لنفسك ولكل شيء ولكل أحد من ذلك مثلك أو غيرك يا إلهي، يا إلهي الذي لا يستحق كل الحساب والعقاب على كل الخطايا والأخطاء مثلك بل غيرك؟ كيف يخفى على من يطلبون من الإله أن يهبهم الكمال أو أي شيء جيد أنه لا فاقد لكل ذلك مثل الإله؟

ماذا يمكن أن تكون يا إلهي مشاعر أعوانك ومستشاريك وأهلك المساكين المعاشين الراثين لك العارفين بك حين يسمعون من يطالبونك بأن تصنع لهم وللآخرين كل ما يجب وينبغي دون أن يطالبوك بأن تصنع شيئاً من ذلك لنفسك؟ إنهم يعرفون كم أنت محتاج إلى أن تعطى أو تعطي نفسك ما يطلب منك أن تعطيه!.. هل يوجد من يستحقون الرثاء والإشفاق مثل من يعاشون ويساكنون ويرون ويواجهون الإله بلا حجاب؟

.. كم يمكن أن يكون انزعاجهم وغيظهم واشمئزازهم حين يجدون هؤلاء المطالبين يطالبونك ولا يطلبون لك.. يطالبونك ويطلبون منك أن تفعل لكل أحد ولكل شيء ما أنت أشد احتياجاً من كل شيء وكل أحد إلى أن تفعله لنفسك دون أن تفعله أو تريد أو تفكر أن تفعله، أي لنفسك! ..

إنهم يفشرونك أقبح التفاسير إذ يرونك تهب الكمال للآخرين ولا تهبه أو حتى تريد لنفسك! .. إني هنا أفترض أن من حولك أيها الإله من أعوان وأهل ومستشارين لم يتعلموا منك أخلاقك ومنطقك ورواك وحساباتك، لهذا أنكلم بأسلوب من ينتظر منهم أن يكونوا كما يجب وينبغي أن يكونوا لا أن يكونوا كما وجدوك ورأوك وعرفوك! ..

.. إن الإصلاح والتصحيح والتقويم والتكوين الجيد لذات الإله ولكل تفاسيره وطاقاته وتصرفاته وانفعالاته لهو أوجب وأنفع وأعظم الأشياء، بل إنه الشيء الذي به يكون الإصلاح والتصحيح والتقويم والتكوين الجيد لكل شيء ولكل أحد، والذي بدوره لن يكون إصلاح أو تصحيح أو تقويم أو تكوين جيد لأي شيء أو لأي أحد! ..

.. لهذا لم يكن شيء من هذا الإصلاح أو التصحيح أو التقويم أو التكوين الجيد لأي شيء في هذا الوجود لأنه لم يكن شيء منه للإله..!

.. لهذا لم يستطع الإله ولا جميع دعائه أن يحققوا شيئاً من ذلك أي من هذا الإصلاح أو التصحيح أو التقويم أو التكوين الجيد في هذا الوجود أو في أي وجود آخر لأن الإله قد ظل بدون شيء منه كل تاريخه الطويل الأليم البائس! إنه لو وفد من فوق هذا الكون وافد وألزم بأن يقوم بأوجب إصلاح وتصحيح لما بدأ بغير الإله العنصوب فوق هذا الكون..!

لقد ذهبت وظلّت كل محاولات الإله ودعائه وموظفيه نباحاً ونبيهاً ونقيفاً ووعيداً وزميراً ولزعاجاً وضباعاً واتهاماً ووقاحات ولعنات وتشوهات وتشويهات وبذاءات دون أن تعطي شيئاً جيداً ظلّوا يزعمون ويعلمون أنهم لم يتخلّفوا أو يقبلوا أن يجيشوا أو يحبوا إلّا لكي يعطوه، لأن صيغ الإله ونماذجهم وجميع مستوياته النفسية والعقلية والفنية والأخلاقية ظلّت ثابتة لم تتحوّل إلى هذا الشيء الجيد الذي يتحدثون عنه أو إلى أي شيء جيد آخر من أي نوع وبأي أسلوب..!

هل يمكن أن يتغير الجهاز أو الآلة دون أن يتغير أو يغير مشغلها أو مهندسها؟

هل يمكن أن يعجز أحد عن فهم هذا؟ حتى الأميون في مواهبهم واحتمالاتهم هل يمكن أو هل يستطيعون العجز عن فهم هذا حتى ولو أرادوا وقرروا العجز عن فهمه؟ ولكن هل وجد أو يمكن أن يوجد من لا يعجز عن فهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟ أيضاً هل يوجد من لا يفهم ما لا يمكن فهمه؟

.. إنه لو كان كل شيء يكون كما يجب وينبغي ويعقل أن يكون لكان محتوماً أن يحشد العالم كله: كل علمائه وخبرائه وحكمائه وشعرائه وأطبائه وفنانيه ومهندسيه ونفسانييه بل وحداديه ونجاريه ونساجيه وسياكيه ومزارعيه ليطلب إليهم ويلزمهم لكي يضعوا ويختاروا صيغاً ونماذج أخرى جيدة لكي يقدموها إلى الإله لتكون بديلاً عن صيغته ونماذجهم، ملزمين له بها بكل أساليب الإلزام الإقناعية أو القهرية أو الإقناعية القهرية، مثلما تفعل الشعوب مع حكامها وطفاتها وقادتها ومثلما تفعل بهم بل أقسى وأشمل وأكثر حرارة وحماسة وقوة مما تفعل الشعوب مع أربابها هؤلاء وبهم.. لماذا لم يفعلوا ذلك بالههم؟

أليست الحماسة والقوة والضرورة يجب ويطلب أن تكون متكافئة مع الهدف والغاية والحاجة والمقاومة ومع من توجه إليه وضده الضرورة؟

ويستطيع العالم أن يمارس أساليب عديدة ليضغط بها على الإله ليتقبل الالتزام بما يعرض عليه.. من هذه الأساليب أن يهدده بالإضراب عن الإيمان به وعن عبادته بكل أنواعها الجيدة والردية.. وهل في العبادة ما هو جيد؟

وهل يوجد ما يساوي رداة وبلادة من تصوروا العبادة وشرعوها؟

.. ومنها تهديده باختيار آلهة أخرى أو إله آخر غيره لينزل هو من عرش الألوهية أو ليكون شريكاً لا وحيداً..

لكن قد يرى الإله إنزاله عن عرش ألوهيته ثواباً له وليس عقاباً!

.. ومن ذلك أيضاً تهديده بهدم بيوته أي معابده والتوقف عن تشييد الجديد منها.. وإحراق كتبه ومنع تداولها وقراءتها وطبعها وعرضها أي قرآنه وتوراته وإنجيله وغيرها وهذا التهديد يفترض كتبه هذه مجداً له لا فضحاً وتعميراً يسعد بالتخلص منها!

.. كذلك تنظم المظاهرات الشاملة الصارخة معلنة ومتحدثة عن كل ما في تاريخه من أخطاء وخطايا ومظالم واستبداد وعدوان وإهمال وعجز وسفه وقضائح وقبائح!

إنه لن يوجد أو يتصور تهديد يساوي هذا التهديد في فضحه وإذلاله وإرهابه!

.. إنه حيث لن توجد أو تبقى له أية فضيلة كما لن تستطاع تبرئته من أية نقيصة أو رذيلة، إنه الفرق، الفرق في الآثام والفضائح.

.. ومن هذه الأساليب أن يهدده بتخريب أشياء من كونه الذي يزعم أنه قد خلقه بكل الحكمة والنظام والروعة ليكون ذلك إعلاناً عن عجزه المطلق لأنه لن يستطيع أن يمد أو يصلح ما خرب!

ماذا لو أن العالم أطفأ الشمس أو أسقط القمر أو جفف أو شرب الأنهار والبحار؟ هل يستطيع الإله حيث لن يعيد شيئاً من ذلك إلى ما كان؟

كيف لم يظن أحد إلى ذلك ويبحث له عن تفسير؟ إنه كل الإهمال والعطل..

.. كذلك تهديده بتحريض أعوانه وموظفيه من سكان السماء على الثورة ضده أي ضد الإله، يا لها من ضربة لم يجربها الإله!

وكم كان يجب أن تسد إليه! ولكن ما أكثر أن نخطيء ونعجز الأحداث!

.. إن هؤلاء الأعوان والموظفين ناضجون للثورة، إنهم يقاسون كل المقاساة كل أسبابها.. فهم مكلفون بأداء أتعاب وأنذل وأرذل وأفدح الأعمال وأعقابها بلا أي ثمن أو أجر أو مصلحة حاضرة أو آتية.. بلا أية علاقة أو تفاهم أو رغبة أو أحاسيس بينهم وبين ما يفعلون.. بلا أي إغراء أو رجاء أو حتى وعد بالتعويض.

.. لقد كان المفروض والمنطق أن يكونوا أول الثوار وأقصى الثوار على طاغيتهم وعلى كل وجودهم وظروفهم؛ لقد كان اختراقاً لكل التجارب والاحتمالات أن سكان السماء لم ينفذوا أية ثورة ضد وحشهم الرهيب!

ولكنهم لم يفعلوا ما يجب أن يفعلوه لأنهم لم يعرفوا كيف يفعلون ذلك ولم يجدوا من يحرضهم عليه ويقودهم إلى مثل الذي وقع في الأرض، وأبدأ سكان الأرض أسرع إلى الإبداع والابتكار من سكان السماء!

وسكان السماء يعايشون العرب أكثر وأدوم إذن كيف تتخلق فيهم حوافر الثورة العظيمة؟

.. إذن ما أسهل وأسرع أن يتوروا متى وجدوا المحرضين المعلمين لهم، وهل يمكن أن يوجد هؤلاء من غير سكان الأرض؟

وإنه لممكن جداً أن يقدم أي العالم حينئذ إليهم السلاح وأدوات التخريب لكي ينفذوا ثورتهم بكل القوة والحسم.. ولعل سكان السماء رأوا ماذا فعلت وأعطت الثورات العرية لهذا لم يثوروا على الإله ولن يثوروا.. وستكون هذه الثورة لو حدثت هي وحدها في العالم والكون الثورة النافعة الواهبة الشافية من كل الأدواء والآلام والظلم والقيح بل ومن كل شكوى ومشكو إليه ومشكو منه، إنها ثورة ضد مديبر ومريد كل الشرور والآلام والأخطاء والخطايا، بل وضد الثورات المخزية.. ومنها أي من الأساليب التي يمكن أو يجب أو ينبغي أن يحولها العالم إلى سلاح يهدد الإله بإطلاقه عليه ما لم يقبل ما يعرض عليه - نعم، ومنها أن يهدده بأن يحاكمه ويطلبه بالتعويض عن الآلام والمظالم والإهانات والقباحات والنذالات والبلادات والمعاهات والتهديدات والانتهامات والمخاوف والمشاكل والشتم التي أوقعها به أي بالعالم أفراداً وجماعات ولا يزال يوقعها به بكل أساليب النذالة والوحشية، بكل ألوان العدوانية!

.. وأيضاً عما اغتصب وأخذ منه بكل حيل وأساليب الأخذ.. من ماله وعمله وعرقه ودمه ووقته ومن قلبه وعقله وعلمه وضميره وعواطفه وأخلاقه ورؤاه وأشواقه وانتظاره وفي الأحداث عنه والامتداح والعبادة له وفي الأشواق إليه والاهتمام به، إنه أخذ لا يماثله أو يقشره أي أخذ أو كل أخذ.. إنه الآخذ بكل الصيغ والمقاييس والألوان والأنواع والضخامة.. وعما أصابه به من خسران.. خسران. هل يستطيع الحديث عن هذا الخسران، عن الخسران الذي أوقعه وبوقعه الإله بالعالم؟ .. هل يستطيع أي شيء وكل شيء أن يكفي تعويضاً أو تكفيراً عن ذلك.. عن شيء من ذلك؟

هل يستطيع أي خيال بل كل خيال أن يتخيل ما يمكن أن يقبل أو يحسب تعويضاً وتكفيراً عن أي شيء من ذلك؟ إن الإله لو باع كل ذاته بعشرها لما كفى ثمنها تعويضاً وتكفيراً عما فعله بالعالم مع افتراض وجود مشتري.. وهنا سلاح قد يكون أفك الأسلحة التي يستطيع العالم تهديد الإله بها في هذه القضية، إنه سلاح قد تكون كل أسلحة البشر وأفك أسلحة البشر عاجزة عن أن تفعل فعله، وما هو هذا السلاح؟ إنه تهديد العالم للإله إن لم يقبل ما يطلبه به ويراه له بأن يأمر ويحشد ويوظف أي العالم كل طاقاته وعبقرياته وحساساته لكي يفرغ ويشفي كل العالم والكون وكل شيء من كل ما زرع وغرس فيه أي الإله من أمراض وعاهات وتشوهات وبلادات ونذالات وتفاصيل وضعف وعجز وفقير وجوع وضياح وهوان وخوف وألم وعار وذنوب وأخطاء وخطايا أو لكي يقتل ويخفف من ذلك، ولعل الإله لن ينزعج من شيء مثل انزعاجه من هذا التهديد.. أه لو كان يملك طاقة الانزعاج، ليته كذلك!

ولكن هل الإله ينزعج؟ هل يمكن أن يفعل أو يرى شيئاً أو يستطيع ذلك لو كان يصاب بالانزعاج؟ هل يمكن أن يكون مخطط هذا الكون وصائفه ومشرعه بكل الإعجاب والرضا يقاسي شيئاً من الانزعاج؟

.. إن الإله لا يتعزى أو يتغذى أو يتلهى أو يتسلى أو يتدوى أو يباهي أو يسعد أو يفرح بمثل مراجعته ورؤيته ومعايشته وفراسته لهذه الآفات، كل أوقاته بكل اهتماماته!

إذن هل يوجد عقاب له مثل حرمانه من ذلك.. من أن يشاهد ويمش على كل المآسي..! ألا يكفي إقناعاً بذلك إصراره الدائم المخيف القبيح على أن يريد ويدبر ويخلق ويعتم ويخلد هذه الآفات ليصيب بها كل شيء وكل أحد، رافضاً ومقاوماً ومستنكراً زوالها والشفاء منها؟ إنه في هذه القضية إما عاجز أو مرید، ولماذا يريد؟ هل يريد ما لا يسعد أو يفرح أو يرضي أو يعجب أو يستدح أو يمدح نفسه به؟

.. هل يمكن أن يوجد أي تفسير لذلك غير هذا التفسير الأليم الفاجع الفاضح القائل بأنه أي الإله يصيب أحبابه وأوليائه بأعظم وأقسى الفواحش لتكون سعادته أعظم؟! هل يستطيع المؤمنون أن يجدوا أي تفسير لهذه القضية أفضل أو أقل قبحاً وجنوناً من هذا التفسير؟ هل أهان الإنسان نفسه مثلما أهانها في بحثه عن تفسير إله وفي تقاسيره له أي للإله؟

.. إذن ما أشقى الإله وأقسى عذابه وضيقه وأحزانه لو شفي الكون من هذه الآفات فحرم من الاستمتاع والتداوي وملء الفراغ والضياح بمواجهتها ورؤيتها وقراءتها ومعايشتها مشوّهة مغلطة معذبة لكل شيء.. لكل جسد ووجه وفكر وقلب وضمير ورؤية وعاطفة وخلق وجمال وحب.. لكل حياة وحي ولكل وجود وموجود أي هذه الآفات..!.. وهل يمكن شفاؤه من ذلك؟ إنه أي الكون لا يستطيع بل ولعله لا يريد الشفاء من ذلك، لقد صاغه الإله عاجزاً عن ذلك وغير مرید له، والتفسير لذلك بعض ما ذكر وهو أن الإله لا يسعد أو يفرح أو يرضى أو يحيا إلا بذلك رؤية ومواجهة ومعايشة.

.. إذن هل يمكن أن يهتد أو يهرب الإله بشيء مثل تهديده وإرهابه بهذا السلاح؟ ما أشنع ذعره لو فطن إلى التهديد بهذا السلاح وتوقع أن يوجه إليه..! ولكن هل يمكن أن يتوقع ذلك؟ ألا يمكن أن تحميه تجاربه واسترخاؤه وغفلته من هذا التوقع؟

.. إنه لا يوجد بل ولا يتصور من يمكن أن توجه إليه كل التهديدات وأقوى وأقسى التهديدات مثل الإله أي إن كان كما يوجد ويرى ويقرأ ويفكر في هذا الكون وكان كما يصفه دعائه ومعلمو أخلاقه وأشواقه، أي دون أن يوجه إليه شيء منها..!

من حماه من ذلك؟ أمي الحفظ أم غباء وهوان من خطط وخلق؟

.. نعم، قاسية هي معاقبة الإله بحرمان عينيه من رؤية الدمامات والنعاهات والتشوهات، وحرمان أذنيه من الاستماع إلى الأناث والأهات والصرخات، وحرمان ضميره من ديمومة وشمول العذاب والخراب والفساد والطغيان والمظالم وكل ما يفرح ويفضح ويهين ويهين مغطياً ومشوّهاً ومحقرّاً ومهتدّاً كل شيء..!

ماذا يبقى له من صيغ الاستمتاع ومعانيه لو حرم من ذلك؟

.. هل له أي للإله من متعة ثمناً لوجوده وحياته وأجرأ لمقاساته وأعماله غير أن يرى بعينه ويسمع بأذنيه ويستمتع بضميره بمواجهة ومعايشة ومعاشرراً لهذه الآفات المشوّهة لكل شيء والباصقة على كل شيء والشاتمة لكل شيء وكل أحد حتى له هو؟

وهل يوجد مبسوق عليه ومشتوم بهذه الآفات الكونية مثل الإله؟

.. إنه لا يستمتع بأية متعة أخرى كما يستمتع الآخرون وكل الكائنات الحية، لهذا عوض عن حرمانه هذا باستمتاعه بتعذيب وترويع وتشويه وتحقير وإذلال وفضح كل شيء وكل أحد، يا لها من متعة!

آه، ما أسوأ وأردأ حظوظ إلهنا هذا أو كل الآلهة...! من صنع للآلهة حظوظها؟ كم كان متوحشاً ولقيماً عدوانياً بلا أي قياس؟

هل يمكن تصور معاداة مثل معاداة الإله لنفسه إن كان هو الذي قدر وأراد واختار وصنع حظوظه؟

هل كان مقدر وصانع حظوظ الآلهة أقسى ثوري ضد الألوهية لهذا صنع وأراد حظوظها بهذه القسوة والخسة والقبح والتعذيب والتفاهة لكي يعاقبها أي يعاقب الآلهة ولكي يقلل أو يمنع من وجودها أي من وجود الآلهة والألوهية ومن الثقيل لها والرغبة فيها؟
آه، كيف وجد من يقبل أن يكون إلهاً أو أن يكون له إله؟

لقد كانت ولا تزال الرغبة في الألوهية مرضاً بل جنوناً كونياً لم يستطع الشفاء منه بل لم يوجد من يريد الشفاء منه ولا من يحاول أن يعالج ويشفي منه!

إنها ليست السماء وحدها هي المريضة بالآلهة والألوهيات وبالجنون بها، بل إن الأرض أكثر مرضاً بذلك وجنوناً به. وما أقسى الفرق بين ألوهيات السماء وألوهيات الأرض، فهذه وهم والأخرى حقيقة قاتلة كل أساليب القتل.

.. لقد كان وجود أو فكرة أو تصور الألوهية والآلهة أفدح وأوقع تعذيب وتحقير وتصغير لها ولكل شيء!.

وأيهما أكثر وأقسى عطاء لذلك أي للتعذيب والتحقير والتصغير: أن توجد الآلهة والألوهية ثم ألا توجد ويرفض ويقاوم أن توجد؟ أليس هذا السؤال هزلاً أو بلاءة بلا مثيل؟ إنه كالتساؤل: أيهما أفضل: أن نكون أحراراً أذكاء أم عبيداً أغبياء!

.. إن الألوهية حقيقية أو وهمية أو اعتقادية ليست إلا أخذاً شاملاً أليماً من العابد لها والمؤمن بها. إنها أخذ مادي ومعنوي من كل معانيه وتفسيره ومن قدميه ويديه وعضلاته!

آه يا من أدعوه وانتظره دون أن أجده أو احتمال أن أجده حولني حشرة أو أقل من حشرة إن كان البديل أن أكون إلهاً معبوداً مسجوداً لي مفتوناً بل مجنوناً برغبتي ونفالي وقالي بل وهواني لكي أكون معبوداً مسجوداً متملقاً متضرعاً لي وإلي، فاعلاً لي بل فاعلاً بي ذلك أكثرهم كذباً رجساً وبلاءة وسقوطاً وعفونة، بل فاعلاً بي ذلك من عبادته اتهام وتلويث وكفره وبعبء براءة من هذا الاتهام والتلويث.. أو أن أكون هذا العابد الساجد المتضرع المتملق بكل السقوط والهوان لإله لم أجده أو أعرفه أو أراه أو أسمع أو أنتظره أو أجرب منه أو فيه أي طلعة أو لمسة وفاء أو صفاء أو حب أو نبل أو شهامة أو كرامة أو صدق أو استحباب!

.. لإله لم أر أو أقرأ أو أجد اسمه وأوصافه أو صورته في أي مكان أو شيء أو فوق أي شيء بل كل شيء ينفي وينفي كل علاماته!.. لإله لم أسمع قط ولن أسمع أبداً يقول لي بالصوت أو بالمراسلة إنني أشكرك مهما أعطيته ومجده وفعلت له!

.. إن من أعظم الكوارث التي شوّهت وعذّبت وأذّلت الأرض وأهلها هي الكوارث المتنوعة التي أنزلها بها تخلق الآلهة والألوهيات فيها أي في الأرض وهبوطها من فوق حدودها إليها واستردادها لها. نعم، إن الأرض تستورد أشرس وأبلد وأجهل الآلهة والألوهيات.. تستوردها من بعيد، بعيد.. من وراء كل الزمان والمكان!

.. إن الألوهيات والآلهة التي تتخلق فيها أي في الأرض لم تشيع جوعها وجوع أهلها إلى القهر والتشويه والتفكيك والتجهيل فذهبت بكل المعادة للنفس والعدوان عليها تستوردها أي تستورد الآلهة والألوهيات من بعيد، بعيد من وراء الشمس والنجوم.. من وراء كل شيء.. تستوردها خارجة على كل النماذج والتفسيرات الجمالية والعقلية والفنية والأخلاقية!

ما أقبح ما صدرت وتصدر السماء إلى الأرض. إنها لم تصدر إليها إلا هذه الآلهة والألوهيات، وما أقبح ما استوردت وتستورد الأرض من السماء. إنها لم تستورد منها إلا هذه الآلهة والألوهيات!

إذن ما أقبح السماء مصدرة إلى الأرض.. وما أقبح الأرض مستوردة من السماء! ليس المراد بالسماء الأجرام السماوية بل شعب ودولة السماء التي أكبر وزرائها وزعمائها ملك الوحي والموت وحارسا الجحيم والجنة.

.. كيف تحدث الأحداث كما تحدث؟ هل هناك من يريد ويدبر لها من خارجها أن تحدث كما تحدث؟ إن كل ما تصدره السماء إلى الأرض مستورد من الأرض، وإن الإنسان، إنسان الأرض هو المصدر إلى السماء كل آلهتها وأنبيائها ونبوتاتها وكتبها المنزلة ومجدها..

هل محتوم أن يجيء كل شيء ضد نفسه.. أن يجيء العقل ضد العقل والذكاء ضد الذكاء وكل موجود وكائن ضد نفسه؟

هل يمكن أن يوجد أو يبقى أو يعمل أي عقل أو أي شيء لو التزم بالآ لا يوجد أو يبقى أو يعمل إلا بالعقل؟

.. حتى الإله هل جاء أو يمكن أن يجيء أي كائن أو أي شيء ضد نفسه كما جاء الإله؟ كيف خفي مجيء الإله كذلك على أي عين أو عقل أو قلب أو ضمير أو خلق؟ لو أن أي كائن حكم عليه أو طلب إليه أو أراد أن يختار ويصوغ للإله ذاتاً أو صيغة أو ظروفاً أقلب محتوماً حيث لا يختار ويصوغ له أي للإله أفضل وأعظم مما اختار وصاغ الإله لنفسه؟ الأرض المختنقة المخنوقة بالآلهة التي حبست وتحبب بها والتي ولدتها وتلدّها بأغراق..

.. هذه الأرض البائسة التي لا مثيل لخصوبتها في ولادة الآلهة والألوهيات تذهب بجنون وفنون

تستورد الآلهة والألوهيات من وراء كل حدود وآفاق الكون. الأرض المخبئة بالطفأة والفراغة كيف تحتاج إلى أن تستورد طفأة وفراغة من وراء حدودها تسميهم آلهة؟
كيف حدث ويحدث هذا؟

أليس العقل الذي يرى أن هذه الآلهة المستوردة من خارج الوجود تهب الأمان أو الصفاء أو الجمال أو الورع النفسي أو الأخلاقي أو السلوكي هو عقلاً خارجاً على كل تفاسير واحتمالات العقل؟ إذن كيف تحدث الأحداث والأشياء؟ لماذا نجيء أبداً ضد ما يجب أن نجيء.. ضد نفسها؟

لماذا جاء تكوين الإنسان أقسى جهازاً للتعذيب؟

أنا مصاب، مصاب جداً بأنواع من التلهف والتذكر والأشواق والمشاعر والعواطف والحنين والانفعالات المحرقة.. بأنواع من ذلك لو تحولت إلى كلمات مكتوبة لما استطاع كل ما في الدنيا من ورق وحبر أن ينسج لأن يكتبها ولأن تكتب عليه أو لأن يجد اليد أو الآلة التي تملك القدرة على كتابتها.. إني مصاب بذلك وأنت مصاب بأن تصيب به.. وأنت مصاب بالقدرة على أن تصيب الآخرين بذلك..!

كم هو بائس ومعذب ومكُون تكويناً أليماً ظالماً غادحاً خاطئاً مخطئاً جاهلاً شريراً هذا الإنسان أي إن كان يعيش فيه أي قدر من معاني الإنسان.. ما أقسى وأفدح تكوينه.. الصيغة التي كَوْن بها.. إنها أقسى وأظلم صيغة لأي تكوين.. لأي كائن.. لأي كينونة.. إنه لذلك أي الإنسان هو أعظم وأشهر مظلوم ومعنًى عليه بين كل الكائنات.. إنه لا مثيل لعذابه وشقائه وللعذوان عليه والإساءة إليه..

لقد تجمعت كل الآلهة لتكونه هذا التكوين المتجسّد فيه كل ألوان العذاب..!

لقد كَوْن أي الإنسان لتكون عواطفه ومشاعره وأشواقه وحبه وحنينه وإرادته وتذكره وتمنياته وتطلعاته وتلهفاته وتصوراتهِ وخفقاته وتبضّاته وموازناهِ وآهاته وأثاقه.. ليكون كل ذلك فيه بلا حذرٍ أو مقاييس أو حسابات أو مخففات أو مهدئات أو نهايات ما لم تكن النهايات القاتلة.. لتكون مقاساته مقاسة لا تستطيع تحقلها الشمس والمجرات والبحار والأنهار وكل الكائنات مجتمعة ليقاسي من ألوان العذاب ما لا تقاسي مثله كل الأشياء.. كل الكائنات مجتمعة..

أما قدرته.. قدرته على مواجهة ذلك وعلى التعامل والتكافؤ والتوازن معه وعلى معاشته فوأسفاه.. حتى الآلهة إنها لا تستطيع أن تقاسي مقاسة الإنسان هذه التي خصّ بها للنفوآت الرهيب بين قدرته وكينونته.. بين قدرته ومعاليه الإنسانية التي خصّ بها دون جميع الكائنات حتى لقد خصّ بها دون الآلهة.. نعم دون الآلهة..!

ما أغرب أو أصعب أو أعظم ما لا بد أن يحدث لو كان يعيش في الآلهة أي معنى من معاني الإنسان هذه التي يجب أن تعيش كلها في كل إله..! لبت هذا حدث، لبت حدث، لماذا لم يحدث؟ لماذا؟ كيف ولماذا خصّت الآلهة الإنسان بهذه المعاني الصعبة القوية رحمت نفسها منها؟ هل كانت في هذا مؤثرة له على نفسها أم كانت معتدية قاسية عليه؟ هل يمكن فهم الآلهة أو فهم ما تفعله الآلهة؟ لماذا لم يوجد من يحاسب ويحكم ويصحح الأشياء؟ حتى الآلهة لماذا لم يوجد من يفعل بها ولها ذلك؟

.. ما أقيح وأفطع ألا يكون في هذا الوجود أي محاسب أو محاكم أو مصحح له...! كل هذا الكون بكل ما فيه من آلهة وغير آلهة بلا أية حماية أو رعاية أو معلم أو منظم أو مسؤول، هل يطلق هذا؟ كيف يطلق؟ كل هذا الوجود بلا حاكم أو قائد أو زعيم أو هاد.. كيف حدث هذا؟! إن كان هذا الذي فعلته بالإنسان أو للإنسان خيراً أو حياً أو نفعاً أو جمالاً أو سعادة أو قوة أو تقوى أو مجداً فلماذا لم تفعله لنفسها ونفسها أي الآلهة؟

أما إن كان نقيض كل ذلك فلماذا أوقعته بالإنسان؟ هل من جواب وهل من إنقاذ للآلهة من هذا السؤال؟ هل يوجد محتاج إلى الإنقاذ من نفسه ومما فعل بنفسه وبكل شيء وكل أحد مثل الإله.. مثل كل إله؟

هنا صدم وفجع القلم في يدي رثاء وحزناً وأسى للآلهة وللإنسان وأصبح عاجزاً وعاصياً أن يتحرك في يدي لأكتب إليك ما كنت أريد كتابته، إذن كل الاعتذار إليك مني ومن قلبي..



لقد كان العدل والعقل والنظام والحكمة تقضي بأن يحدث أحد أمرين: أن تتعاطف قدرة الإنسان لتكون متكافئة في كل تعاملها ومعاملاتها ومواجهاتها لكل معانيه هذه.. لكل عواطفه ومشاعره وانفعالاته من حب وشوق وحنين وأنين وتلهف وتذكر وتطلع وتوقع ورؤية وتفكير وتأمل وانتظار واعتصام وحماش وطموح وكبرياء ومتكافئة معها.

.. أو أن تجيء معانيه هذه ضعيفة خاملة باردة فاترة كما حدث لكل الكائنات الأخرى من حيوانات وغيرها، بل كما حدث لكل الآلهة وأعوانها وحراسها وجلساتها ومفتريها، هل وجد مثل هؤلاء عموماً وفقوراً وضعفاً؟ لئلا يكون عذابه أي الإنسان بلا مثيل أو شبهة في قسوته وشموله وديمومته وقبحه كما حدث وكما هو حادث، أي إن كان يعيش في داخله كل الإنسان أو أي شيء من الإنسان.. ولكن هل وجد أو يمكن أن يوجد مطارد للإنسان لئلا يعيش في داخله مثل الإنسان؟ إنه لا مطارد لمعاني الإنسان مثل الإنسان لئلا يتعامل بها!

هل يمكن أن توجد حتى ولو تصوراً حرائق كالحرائق المشتعلة أبداً داخل ذات الإنسان أي ذات الإنسان التي يعيش في داخلها كل الإنسان أو شيء من الإنسان؟

.. إن ذات الإنسان التي يعيش ويحيا ويعمل ويتعامل ويتحرك فيها كل الإنسان أو بعض الإنسان بمعانيه المفترضة والمفترضة والمعلمة والمزعومة لتشبه جهازاً أو آلة صغيرة ضعيفة تخزن وتجمع وتولد وتغير وتشعل فيها كل طاقات الحرارة وكل الحرائق والمتفجرات وهي لا تستطيع أن تتحمل أقل ذلك!..

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد وعاء أو مكان لتخزن فيه كل الفواجع والقوارع والآلام والزلازل والبراكين ولتفجر فيه مثل ذات الإنسان، إن كل العذاب ليخفت ويهون بل ويموت أمام عذاب الإنسان الذي يسكن في داخله إنسان.. لئلا الإله يستعير إنساناً ليسكن في ذاته أي إنساناً

تسكن فيه معاني الإنسان ويتعامل بها ومعها ليعرف قبح ووحشية ما فعل...!

إنه لو كان لهذا الوجود صائغ لوجب اتهامه بأنه قد أراد وقرر أن يجمع كل فنون العذاب وقسوة العذاب في ذات الإنسان، وبأنه قد جمع كل طاقات وعضلات التعذيب والترويع والتهديد ليستدّها أبداً إلى الإنسان.. إلى كل معاني الإنسان، بل وبأنه لم يتعلم فنون التعذيب إلا لكي يعذب الإنسان..!

إن لهفة تطلقها والدّة على وليدها غائباً أو ضائعاً أو مريضاً أو مشوّهاً أو مقعداً أو محتضراً أو ميتاً أو مهانئاً أو مقهوراً أو مهزوماً أو عاجزاً أو بائساً أو مخطوفاً..

وإن أنة أو أمة أو دمة أو صرخة أو حسرة أو لوعة أو استغاثة أو خفقة أو رجفة.. يطلقها ذليل أو معذب أو عاجز أو مقهور أو مهزوم أو بائس أو مريض أو مشوّه أو خائف أو يائس أو مظلوم أو محروم أو مشتاق أو محب أو متبذ أو فاقد أو مفجوع أو محقّر أو معتر أو مطارد أو يتيم أو مصاب بإحدى المصائب التي لا حدود ولا حصر ولا أعداد لها والمسدّة أبداً بكل الأساليب والأسلحة إلى الإنسان.

- نعم، إن شيئاً أو واحدة من ذلك لتتخطى كل العذاب الذي يتعذّب به كل شيء في هذا الوجود غير الإنسان، وتتفوّق عليه..!

ليت الإله قاسى شيئاً من ذلك لعله يكون حينئذ أنبل وأرحم مما كان. ليشه قد تعذّب ليعرف ماذا يعني العذاب..! هل هو أي الإله لم يتعذّب ولو بالرؤية والمشاهدة والفهم؟ أليست مشاهدة ورؤية وفهم العذاب عذاباً؟ هل صنع الإله لذاته جلدأ لا يخترقه أي عذاب، لا يخترقه الرصاص.. يحميه من أن يرى أو يسمع أو يشعر أو يقاسى أو يفهم أو يتعامل أو يتفاعل أو يتعاطف مع أي شيء؟ ما أقسى عذابه أي الإله لو لم يصنع لذاته هذا الجلد..!

.. إن خوف الإنسان من الإله وتعبده وتضرّعه وتخضعه وهوانه وتصوره وتذكّره وانتظاره له ومنه وتضخيمه وقراءته وتملّقه له.

.. وكذلك خوفه من لقائه وحسابه وعقابه ومن مواجهته ومحاورته ومن جثته وناره وزبائنه ومن حراسه ورقائنه وجواسيسه وأجهزة إحصائه.. وأيضاً خوفه من الموت وتوقّعه له ومما فيه ومما وراءه من غموض رهيب، رهيب بلا حدود.

.. نعم، إن كل ذلك بل إن أي شيء من ذلك مما خصّ بمعاناته ومقاساته الإنسان وحده ليهين ويهون كل ما في هذا الوجود من ترويع وتعذيب وتحطيم يلاقه كل كائن غير الإنسان..

دع خوفاً الدائم القاتل من العار والهوان والهزائم والفضائح والضياع والسقوط والدمار بكل معانيه وأشمل معانيه.. دع خوفاً من كل شيء ومن كل ما ليس شيئاً..!

حتى ما ليس شيئاً.. كم يتعذب الإنسان بالخوف منه..!

.. فكيف بأهوال وعذاب عمليات الانتزاع؟..

يأتي الإنسان دون أن يريد أو يدري إلى وجوده وإلى هذا الوجود فيصبح له أبوان وأخوة وأقارب من كل نوع وشعب ووطن وتاريخ ودين وإله وأشياء أخرى كثيرة عتيقة..

ثم يكون له أبناء وأصدقاء وعلاقات ومصداقات وحب وأشواق وارتباطات والتزامات ومعاملات واهتمامات ورسوخ.. رسوخ لا يطاق الانفكاك منه ولا يقبل أو يغفر أو يفتر الانفكاك منه.. ويكون له زوج أو زوجة بكل أعماق ذلك ورسوخه وشمله.. ثم في ضربة واحدة وقد تكون بعد كل أنواع التعذيب والترويع يسحب من كل ذلك ويسحب منه كل ذلك انتزاعاً، انتزاعاً.. إلى أين.. إلى أين؟

ما أقسى انتظار هذا المجهول وأقصى التفكير فيه والتفسير له..!

هل مثل هذا تعذيباً وفظاعة وقبحاً وعدواناً؟ إنها لن تعقل أو تغفر أو حتى تفهم القسوة التي أرادت ودمرت للإنسان ذلك..!

لن تستطيع كل اللغات وكل أساليب التعبير أن تكون شيئاً من التعبير عن ذلك أو عن بشاعة ورداءة وفسوة حظوظ وتكوين وكيونة من فعل ويفعل به ذلك.. من حكم عليه بذلك ليظل منتظراً ومتوقفاً للتنفيذ في كل لحظة.. بكل أسلوب وبأي أسلوب.. بكل سلاح وبأي سلاح.. فاقفاً وضارباً ومخترقاً وفاجعاً لكل العيون والقلوب والعقول والضمائر والأخلاق والحسابات والقوانين والأديان والنخوة والشهامة، لتركع بل لتسقط كل الشمس والنجوم بل وكل الآلهة أمام قبح وعذاب هذا الانتزاع..!

كيف أمكن أن يوجد هذا الانتزاع أو أن يوجد من يريده أو يدبره أو يفعله أو يغفره أو حتى يفتره؟

آه، فكيف إذا أضيف إلى كل هذا تصور تخليد الإنسان في مهازل ومبازل وفضائح ونفاهات الفردوس أو تخليده في عذاب الجحيم..؟

وكيف إذا كان هذا التصور سوف يصبح واقعاً؟

لنسحب كل لغات وتفاسير كل العذاب لتتجمع في الإنسان وللإنسان وحده الذي تخيل الفردوس والتخيلهما وتقبلهما عقاباً وعذاباً له، فطبع، فطبع ذلك..!

أيهما أقسى إهانة وتحقيراً وتحطيماً وتعذيباً وتسقيهاً: التخليد في نفاهات وفضائح الفردوس أم في عذاب الجحيم؟ كيف يقبل الحديث عن هذه القضية حتى ولو بأسلوب التساؤل؟ كيف قبل الإنسان أن يجعل الحديث عن الجحيم والفردوس قضية من قضاياها؟

.. وإذا كان خيال الإنسان هو الذي تصور وصاغ الجحيم والفردوس فهل يمكن أن يعني هذا إلا أقصى التعبير عن فسوة عذابه، عن قسوة العذاب الذي أوقعه به صيغة تكوينه الذاتي؟

أليس تصور العذاب الخرافي تعبيراً عن قسوة عذاب من تصوره ويتصوره؟ أليس قبح التصور تعبيراً عن قبح الكيونة؟ إذن كم يحوي تكوين الإنسان من شحنات العذاب التي جعلته يتصور

جبروت الإله وعقابه وغضبه وقسوته وقوته وضرباته وشمول سلطانه وطفغانه بكل الديمومة والإحاطة! إن تصور الإله بكل صوره ومعانيه وأوصافه هذه لهُو أقسى وأقبح وأنجع أحكام الإنسان على نفسه والتعبير عنها.. إنه لا يؤس ولا تعاسة ولا كآبة ولا عذاب ولا دُعر مثل يؤس أو تعاسة أو كآبة أو عذاب أو دُعر من تفجّر خياله بتصور هذا الإله بكل معانيه وتفاصيله وتهديده وإرهابه وأخلاقه وكيوناته!..

إن تصور النفس له واختزانها له لشيء تعجز كل التعبيرات عن وصف أو قراءة أهواله المؤلمة والمهينة والمحققة الفاجعة البليدة..

إنه لا أشقى كينونة وتكويناً وحياة من كائن يستطيع أن يتصور هذا الإله ثم يختزنه داخل نفسه!..

كيف استطاعت النفس الإنسانية أن تتصور هذا الإله ثم استطاعت أن تختزنه في داخلها ثم استطاعت أن تتعامل وتتجاوز وتتعايش معه بقلبها وعقلها وضميرها وأخلاقها وتقواها ولغاتها ومعاملاتها؟

كيف استطاع أي تصور أن يصوغه بالصياغات التي صاغه بها؟

إذن هل يوجد مثل نفس الإنسان مولداً ومصنعاً ومستودعاً ومبتكراً ومصدرراً لكل العذاب ولأقسى العذاب بل ولأقبح وأغبي العذاب؟

إنه لو قبل وغفر تصور أي شيء وكل شيء لما قبل ولما غفر تصور الآلهة كما جاء تصورهما بل لقد كان تصورهما كما تصورت من المستحيلات التي لم تظل مستحيلة! لقد تحول تصورهما إلى إلغاء للكلمة: مستحيل.. للغة مستحيل!..



وتصور الإنسان هذا الإله هذا التصور يعني حتماً أشياء عديدة أليمة..

إنه يعني قسوة وقبح عذاب الإنسان الذي أوقعه به وفرضه عليه تكوينه المحكوم بكل هذه المشاعر والمواقف والانفعالات.. من أشواق وحب وحنين وتذكر وتطلع وتوقع وتلهف وطموح ورغبات وشهوات ومن أحقاد ومخاوف وبغضاء ومنافسات ومنازعات وعداوات وخلافات وانقسامات وتهديدات وموم وأشياء أخرى كثيرة بلا حدود بلا قوة ذاتية متكافئة مع ذلك وبلا حماية أو نهاية من أي نوع!..

.. تكوينه الذي حكم عليه بأن يصاب بكل هذا دون أن يوجد دواء أو مداوي.

.. وإنه أي تصور الإنسان هذا الإله هذا التصور يعني ضخامة تعذيب الإنسان لنفسه لحكمه عليها ومحاصرته لها أبداً وأين كان بجبروت وإرهاب وطفغان ووعيد هذا الإله بكل شرسته وأنانيته وكبرياته البذيئة المجنونة..

هل يمكن تصور تعذيب أو إرهاب أو إذلال أو تحقير أو تحطيم للنفس مثل هذا.. مثل هذا التصور؟

هل يمكن تصور مواجهة مهينة ومرعبة ومحطمة مثل المواجهة بين الإله والإنسان؟
- وإنه أيضاً أي هذا التصور يعني أقصى التحقير والتوريط والتلويث والتسفيه بل والسباب لهذا الإله!

.. لو أن الإله كان حاضراً وواعياً وقرر أن يحاكم ويعاقب الإنسان على تصوره له هذا التصور وعلى نفسه له بهذا التصور فهل يجد عقوبة تكفي ليعاقب بها الإنسان على إساءته إليه وتشويهه له؟ ولكن أليس ما فعله ويفعله الإنسان بالإله نتيجة لما فعله ويفعله الإله بالإنسان؟



.. كيف خفي هذا على كل ذكاء عقل الإنسان؟ كيف خفي عليه أن نفي وجود الكائن أو الشيء لأن نفيه لم يعلم بوجوده ليس إهانة ولا إساءة للمنفي وجوده ولن يعبه أو يراه المنفي شيئاً من ذلك؟

فمن نفي وجود دولة أو أمة أو شعب أو قبيلة أو مدينة أو تاريخ أو حرب أو قائد أو عالم أو كاتب أو شيء أو أحد أو حتى دين أو نبي وقد وجد لأنه لم يعلم أنه قد وجد أو أنه موجود قلن يكون أو يعد النافي مسيئاً أو مهيناً أو معتدياً أو مستحقاً لأي حساب أو عقاب ولن يراه المنفي شيئاً من ذلك أو مستحقاً لشيء منه. إنها قضية يستحيل الخلاف عليها.

.. ولكن الذي قد يكون أو لا بد أن يكون مسيئاً ومهيناً ومستحقاً للحساب والعقاب هو الذي يثبت وجود الشيء أو الكائن ويعترف بوجوده ثم يتهمه بأوصاف وأخلاق وأفعال رديئة شريرة قبيحة بليدة سقيمة عدوانية..

بل ويصفه بذلك حتى ولو بنيات وقصد وإعلان الامتداح والتمجيد والتعبد والتقرب..
فالإهانات والإساءات والاعتداءات لا تكون إلا للموجود أو للمعتقد بأنه موجود أو قد وجد..!
.. وهذا التفسير أو الحكم يشمل النافي لوجود الإله لأنه لم يستطع أن يعلم أو يقتنع بوجوده.
وهل يمكن أن يعلم أحد بوجود الإله لولا التلقين؟

إن هذا النافي لن يكون أو يعد مسيئاً أو مهيناً للإله أو مستحقاً لعقابه أو غضبه أو غيظه بأي حساب أو تفسير من حسابات وتفسيرات المنطقي.. أي منطق..!

ولكن الذي يكون كل ذلك والمستحق لكل ذلك هو الميثب للإله والواصف له بأقبح وأبلد وأنذل الأوصاف..! إذن فالمثبتون للإله قد يلقون أقصى الحساب والعقاب والغضب والانتقام. أما النافون له فبريتون مبرؤون ناجون، إنهم لم يروا أو يعلموا فلم يسيئوا أو يهينوا أو يعتدوا.. كيف خفي ذلك على أحد من أصحاب العقول أو حتى على أحد من فاقدى كل العقول؟

والآن يجب أن يعرف ذلك كل أحد.. كم هي مفيدة معرفته وكم هو ضار ومهين ومفسد الجهل به!

نعم، كم يجب أن يعلم هذا الذي لا يستطيع جهله!
إنها لفاجعة إنسانية ألا تعرف ذلك كل العقول..



.. كلهم: المؤمنون وغير المؤمنين يتحدثون عن حرية التفكير والتعبير والافتتاح والاعتقاد والرؤية.. ويطالبون بذلك وبأن يتحول إلى إعلان وعبادة.. ويجهلون أنه لا مقاوم ولا معادي ولا قاتل أو مقاتل لهذه الحرية مثل الإيمان بالآله والأديان والمعتقدات الروحية، ولا مثل الكتب المقدسة المنزلة المرتلة..

إن الآلهة والأديان والنبوءات والمعتقدات الروحية والدينية لا تطارد وتعادي وتبغض وتنفي هذه الحرية وترهبها من خارج الذات بل ومن داخلها. إنها أسلحة تصنع وتخترن وتفجر داخل الذات ومن داخلها.

إنها أسلحة يطلقها الإنسان على نفسه.. يطلقها من نفسه على نفسه..

إنه بها يققا ويسكت ويهرب ويفسد ويقتل قلبه وعقله وضميره وأخلاقه ومشاعره وعواطفه وعينيه وأذنيه لئلا يرى أو يسمع أو يفهم أو ينكر أو يرفض أو يقاوم أو حتى يغضب أو يفجع أو يدهش أو يتعجب أو يسأل أو يتساءل أو يبقى فيه أي شيء من معاني الإنسان.. إن وظيفتها أن تسمت في الإنسان كل معانيه الجيدة القوية المقاومة..!

.. نعم، إن كل ذلك هو بعض ما توقعه وتفعله الآلهة والنبوءات والأديان والمعتقدات الروحية والدينية بالإنسان. إنها تفعل وتوقع به دون أن تفعل له شيئاً..!

.. إذن هل يوجد مثلها قاضياً على حرية التفكير والتعبير والافتتاح والاعتقاد والإيمان والرؤية ومحاولة الفهم والتعامل مع الذات ومع معانيها أي معاني الذات؟

إن الإنسان لم يعاد وبذل حريته مثلما عاداها وأذلها بالآلهة والنبوءات والأديان والمعتقدات الغيبية والكتب المقدسة.

.. هل فعل الإنسان ذلك بنفسه وبحريته وبمعانيه قاصداً لأنه هارب منها ومن مواجهتها والتعامل بها ومعها ومن الالتزام بها أم فعله وفعل به فتقبله عن جهل وغباء وخديعة وانخداع؟

أليس للإنسان شرطان على حياته: الغباء والهرب أي بالتفكير والتصور؟

هل يستطيع الإنسان ألا يهرب من معانيه المفترضة والمعلمة والمعلنة والمحكوم بها عليه مهما كان ذكائه وعلمه وقوته وشجاعته ومكانته وكبرياؤه؟

هل يستطيع الإنسان أن يتعامل مع إنسانيته إلا بقدر ما يتعامل الإله مع ألوهيته؟

.. أليس الإنسان بقدر ما يكبر ويعظم يحتاج إلى أن يصغر ويهبط؟ هل يستطيع أي إنسان أن يعيش معاني الإنسان مهما جاء معلماً وداعية لها بل مهما جاء نبياً لها وبها؟

.. بهذا حكم على الإنسان تكوينه الذي لم يختره أو يستشر فيه.. إذن هل يوجد تكوين فيه ما في تكوين الإنسان من قبح وأثام وتعذيب وتشويه وإذلال وتحطيم وتسفيه وترويع وأحزان وهزائم مهما صاغ نفسه وصاغ الآلهة لتصوغه؟

ألم يتكرر الإنسان الآلهة لكي يزعم أنه صياغة عبقريتها؟

.. إن من أردأ وأسوأ ما في العلاقات بين الإنسان وبين الآلهة والأنبياء والأديان والمعتقدات الغيبية والكتب المنزلة أنه يطيعها بكل الاستسلام والخضوع والهوان والجبن بعقله وتفكيره وتعاليمه وإيمانه وشعاراته ومحاوراته.. ويعصياها بكل الجرأة والوقاحة والسفاهة والبذاءة بكل سلوكه ونياته وشهواته ومجاهراته..

لقد عصاها حيث يجب أن يطيعها وأطاعها حيث يجب أن يعصياها، لقد أعطاهما ما لا يجوز أن يعطى وحرماها ما يجب أن يعطى..!

لقد أطاعها فيما لن يصنع لها أي مجد أو سعادة وعصاها فيما يصنع لها المجد والسعادة والكرامة..!

.. إنه في هذه القضية قد أعطى الحرية لأتبع وأردأ وأنذل ما فيه، وحرماها على أعظم وأنبى وأنتفع وأقوى ما فيه.. أعطاهما لأعضائه وأهوائه البذنية وحرماها على عقله وأجنحته..!

.. إذن التعريف الصادق للآلهة والأنبياء والأديان والكتب المقدسة والمعتقدات الغيبية أنها الآخذة من الإنسان ما لا يجوز أن يؤخذ والعاجزة عن أن تهيه ما يجب أن يوهب.. إنها لن تستطيع أن تهيه مهما استطاعت أن تأخذ منه، إنها لن تهيه ما ينفعه مهما رغبته ما يضره ويفسده ويضعفه ويهينه..!

.. وأنه لشيء جيد جداً أو رديء جداً أنه لا يستطيع اتهامها أي الآلهة والنبوات والأديان والكتب المنزلة والمعتقدات الروحية الدينية بأنها قد خرجت على وظيفتها أو التزامها هذين أو قصرت في واحد منهما حتى ولا في العصور والعهود التي تعد أزهى وأقوى عصورها وعهودها. وما يقال ويعتقد خلاف ذلك لن يكون إلا تمنياً أو خطأ أو كذباً أو تغييراً في الصيغ والأساليب واللغات والتعبيرات والظروف أو تغييراً في الشهوات والرغبات أو في الملائمات والملاءمات..!

.. إن أعظم الأنبياء والأولياء والأتقياء والقديسين ليسوا أقل أثاماً وشروراً نفسية أو أخلاقية أو سلوكية أو إنسانية أو عدوانية ممن يعدون أشراراً أو أسوأ الأشرار أو قادة الأشرار.. ليسوا أنقى منهم ولا أكثر التزاماً أو أقدر على الالتزام منهم بما تقوله وتعلمه وتدعو إليه الآلهة والنبوات والأديان والكتب المنزلة والمعتقدات الروحية والدينية..!

ولكن الفرق بين الفريقين هو في الصيغ والأساليب والتعبيرات والاختيار وفي أنواع وظروف

ممارساتهم وشروطهم وأحوالهم وآثامهم.. إنهم ليسوا أصفى أو أنقى أو أقوى منهم قلوباً أو نفوساً أو عقولاً أو ضمائر أو محبة أو رحمة أو حناناً أو إشفاقاً أو دموعاً على المعذبين والمظلومين والمقهورين والبائسين الباكين الخائفين المطاردين..!

.. إنهم ليسوا أصفى أو أنبل دموعاً أو أحزاناً إنسانية..!

بل إنهم أي أعظم الأنبياء والأولياء والأتقياء والقديسين يجيئون ليشرعوا ويعلموا ويمجدوا ويتكروا المزيد من التعذيب والقهر والظلم والإذلال والقسوة والإرهاب والاستعباد بل ومن البغضاء والأحقاد والعداوات والتهديد والوعيد والتحقير لهؤلاء المعذبين المقهورين المظلومين البائسين الباكين الخائفين المطاردين..!

.. إنهم يجيئون ليصنعوا لهم الجحيم والتهديد بالجحيم..! هل يتصور أعداء للإنسان ومروعون له مثل من صنعوا أو أرادوا له الجحيم أو حدثوه عن الجحيم؟



في هذه القضية تفسير أليم فاجع ولكنه قد يكون التفسير الصحيح أو أحد التفسيرات الصحيحة لهذه القضية.. يقول هذا التفسير أو ينبغي أن يقول: إن مجيء الآلهة والأديان والنبوات والكُتب المنزلة والعقائد والتعاليم الغفلة الفاجعة الرهيبة الكثيرة في إرهابها ووعيدها وتعذيبها ووحشتها ومحاصرتها... لم يكن إلّا تعبيراً عن بعض ما كانت تختزن نفوس وحياة من جاؤوا بها من فظاظة وقسوة وبغضاء وأحقاد وآلام وآثام وقبح وفحش ونذالة وعدوانية كانوا محتاجين إلى استفراغها وصيها على كل أحد وعلى كل شيء..!

كانوا مشحونين بكل القبح ولا بدّ من التفريغ. فكان هذا التفريغ..!

هل تستطيع أية نفس فيها أي قدر من الحب أو الحنان أو الرحمة أو الصفاء أو البراءة أو الطهارة أو الجمال أو حتى من التدبّر والتقوى أن تتصور هذا الإله بكل جبروته وتسلّطه وقوته وبكل عيونه وأذانه وجواسيسه ومخابراته وزبائنه وأجهزته وبكل جحيمه وعقابه وعذابه وحسابه وتهديده ووعيده ولعناته وشهواته وأنانياته.

.. وبكل مساكنه وحضوره في كل بيت ومكان ومخبأ وسرير..

.. لنحوّله إلى أقسى وأطغى خصم محاكم مغلاة للإنسان الذي جاء كما أراده وخلقه.. لأنه جاء كما أراد له أن يجيء وبالصيغة التي صاغه بها وخططها له؟

كيف أمكن أن يوجد من يتصور خالقاً يلعب ويحاكم ويعاقب مخلوقه لأنه جاء كما خلقه وكما شاء له أن يجيء ولأنه فعل النقاظ والأخطاء والذنوب التي أرادها له وأراد لها والتي صاغه وخططه لكي يكون محتوماً أن يفعلها أي الذنوب والأخطاء والنقاظ التي سوف يكون محكوماً عليه بها.. يفعلها؟

كيف لم يتصور ويعتقد ويعلم أن الفاعل الخالق المرهق المخطوط هو الذي يجب أن يحاسب

ويعاقب على كل شيء رديء أو ضعيف أو بليد أو ناقص أو آثم أو عدواني بفعله مخلوقه؟
كيف لم يفهم كل أحد أن جميع أخطاء وخطايا وغيوب المخلوق ليست إلا عدواناً وظلماً
يرتفع به فاعله وخالفه الذي فعله وخلقه وصاغه بتخطيط وإرادة وتدير؟
إنها أخطاء وخطايا وذنوب لا تستحق الاعتذار والغفران فقط بل إنها لتوجب العقاب لمن فعل
وخلق فاعلها.

.. إن مجيء المخلوق مذنباً أو مخطئاً أو بليدً أو فاسداً أو فاسقاً أو ظالماً عدوانياً يجب أن
يفسر ويفهم ويرى مثل مجيئه أعمى أو أصم أو مقعداً أو مشلولاً أو دميماً أو مشوهاً أي إذا افترض له
فاعل خالق مريد مخطط لكل ما سوف يريده ويجده ويستطيعه ويفعله أي المخلوق. إن الخالق
لهذا وهذا هو الذي يجب أن يعاقب لا من فعل به ذلك. إنه أي من فعل به ذلك يستحق الاعتذار لا
العقاب أي إذا افترض هذا الخالق المريد المدير.. فمن الذي يستحق حينئذ اللوم والذم والحساب
والعقاب؟.. من هو كل المذنب حينئذ؟

كيف لم يفهم هذا كل الأنبياء والأولياء والأتقياء والقديسين مهما كان مستوى ذكائهم؟ كم
هو فاجع مستوى ذكاء المتحدثين عن السماء؟
لماذا لا تتخاطب السماء إلا مع أردأ الناس ذكاء بل وإنسانية؟

.. لو أن الإله أراد وقدر وقهر وأحب وشاء وخطط لإنسان أن يكون كافراً أو فاسقاً أو فاسداً
أو جاهلاً أو نذلاً فجاء نقيض ذلك، أليس محتوماً حينئذ أن يكون عاصياً مغاضباً مذلاً فاجعاً للإله
مستحقاً لعقابه وعذابه أي لو كان ممكناً أن يجيء هذا النقيض؟

إذن أليس مجيئه كافراً أو فاسقاً أو فاسداً أو جاهلاً أو نذلاً أو كل ذلك كما أحب وأراد وقهر
وقدر وخطط وشاء له الإله طاعة وإرضاء وإسعاداً وفرحاً وسجداً وتصديقاً له أي للإله يستحق عليه كل
الثواب والامتداح والإعجاب والتسجيد؟

إن من صنع إرادته وتخطيطه وعلمه آلة لتكون هادئة فجاءت هادئة فلا بد أن يرضى عنها وأن
يكون هو الصانع لهدمها والمسؤول المحاسب عليه وعنه أي عن هدمها مثل رضاه عن الآلة التي
يريدها وبخططها ويصنعها لتكون هادئة فتكون كذلك.

أليس الصانع بعلمه وإرادته وتخطيطه وحكمته لأنبياء وأطافير وعضلات ووحشية الوحش
المفترس هو المحاسب على افتراسه بل أليس هو المفترس؟ أليس هو هذا الوحش؟
أليس الوحش مصنوعاً به العدوان إن كان معتدياً كما صنعت به أظفاره وأنيابه وعضلاته
وجروعه؟



نعم، إنه تكوين الإنسان الأليم الرديء الفاجع هو الذي صنع له وأرفع به كل شروره وآلامه
وقضاياه وفضائحه وغمومه وكل أخطائه وخطاياهم وكل ما يفعله ويفعل به، وكل آلهته وأبائته

وجحيمه وكل طفاته ودجاليه ومضلّليه ومخادعيه وقائديه إلى كل هوانه وهلاكه وعاره وهزائمه وفحشه ووحشيته.. وكل معلميه كل جهالاته وخرافاتِه وسخافاتِه وعداواتِه وبذاءاتِه..!

لقد أفرزت هؤلاء وهذه صيغة تكوينه أي تكوين الإنسان..!

حتى الآلهة بكل فياحتها ووحشياتها وتكالييفها وأثامها وإرهابها وإذلالها.. حتى الآلهة بكل صيغها وتفسيرها إنما ابتكرها ودلّ عليها بل وخلقها وخلق أوصافها وتفسيرها وكل لغاتها ومعانيها تكوين الإنسان الأليم الرديء الفاجع القبيح الفادح.. إنما فعل كل ذلك صيغة تكوينه.. تكوينه العقلي والفكري والنفسي والعاطفي والخيالي والتصوري والذاتي المحكوم به عليه..!

ولأن تكوين الإنسان هو الذي أوقع وبوقع به كل مقاساته وكل المقاساة منه فلا أمل في شفائه من ذلك ولا في التخفيف منه حتى ولو أصبح الإله المزعوم الموصوف بأنه يقول للشيء كن فيكون.. بل حتى ولو تحول الفردوس الأسطوري المقروء عنه في الأديان إلى أحد وأصغر وأقل أوطانه ومملوكاته وممالكه..

إنه لا شيء يستطيع إنقاذ الإنسان من شروره وأخطائه وخطاياها أو من عذابه أو آهاته أو آثاته أو من فواجعه النفسية أو العقلية أو القلبية أو التصورية أو التوقعية أو الأخلاقية أو السلوكية أو من أي نوع من أنواع الفواجع ما دام تكوينه هو تكوينه.. كما أن تكوين الكائنات الأخرى غير الإنسان هو الذي صاغ سلوكها وحياتها وأخلاقها..!

إنه لن يستطيع هذا الإنقاذ لا التقدم العلمي أو العقلي أو الفكري أو الحضاري أو الصناعي أو أي تقدم كان كما لن يستطيعه كل الأديان بكل نبواتها وأنبيائها وآلهتها وكتبها المقدسة ووعدها ووعيدها وجناتها وتيرانها وصهيلها فوق كل المنابر والمحاريب..!

إنه لو انتقل إلى الكواكب الأخرى لنقل معه كل مقاساته وكل المقاساة منه حتى ولو ساكن الإله فوق عرشه أو اغتصب من الإله عرشه ليكون صاحبه والمستوي فوقه وحده أي ما دام تكوينه الذاتي هو تكوينه..!

إن كل جهاز أو آلة تعمل بطاقتها وخصائصها ووظائفها لا بما يجب أو ينبغي أو يحسن، وتكوين الإنسان الذاتي ليس إلا جهازاً أو آلة تعمل بطاقتها وخصائصها ووظائفها اضطراراً لا بما يجب أو يشتهي أو يطلب أو يعلم أو يقرأ..

إن الكينونة بكل صيغها وتعبيراتها ليست إلا وظيفة التكوين الذاتي.. قالتكوين هو خالق وصانع كل الكينونات..

إن الإنسان لا يحزن أو يجبن أو يخاف أو يترفع أو يتصور أو يمرض أو يموت بتعليم ولا لأنه لم يعلم نقيض ذلك وهكذا كل مشاعره وعواطفه وشهوته ورغباته وسلوكه ومواقفه وقوته وضعفه..!

إنها وظائف التكوين الذاتي لا تبديل لها إلا بتبديل تكوين الذات سواء أكان التكوين بتدبير أم بلا تدبير..!

إن كل تكوين يتكوّن عن كينونة بلا تدمير..

.. فها من تنتظرون الخلود في الفردوس.. فردوس الغلمان والحوور العيون وأنهار الخمر والسكر والخمود والخمول والكسل والتفاهة والبلادة والفضائح لا تنتظروا أن تكونوا أقلّ عذاباً أو انفجاعاً أو ثروياً أو قبحاً أو كآبة أو خوفاً أو توقّعاً مرهقاً معذباً أو غيراً أو خبثاً أو حقداً أو حسداً أو نوماً أو شرواً مما كنتم في دنياكم ما لم تخلع عنكم صيغ تكونكم وتوضعوا في صيغ تكوين أخرى..!

كما أن الإله لن يفقد شيئاً من مقاساته أو من المقاساة منه.. لن يفقد شيئاً من هزائمه أو من أخطائه أو من حيرته وضياحه أو من تخطيطاته وخطواته الخائبة الخاسرة المدمّرة العاجزة أو من أحزانه وأوجاعه وحسرته وصراخه وبكائه ما لم يضع نفسه في صيغة تكوين أخرى..!

لماذا لم يفعل بنفسه ولنفسه ذلك؟ أعجز أم بلادة؟

هل قرأ نفسه؟ هل نظر إليها في المرأة ولو مرة واحدة؟

.. وقد يكون من الشواهد على ذلك ما فعله آدم وحواء في الفردوس الأول وما أصابهما فيه مع أنهما كانا وحدهما وهذا يجعل أسباب الغواية والشرور والآلام والفواجع أقلّ، كيف وقد خاطبهما وأمرهما الله بكل التودّد والحنان والاهتمام مواجهة بلا أي وسيط ناصحاً ومحذراً ومعلماً ومتخضعاً متضرّعاً متخوفاً مرتجعاً متغائلاً متشائماً..!

ولكنهما تحت إملاء قوانين تكوينهما الذاتي فعلا وأصابهما ما جعله يضطر أسفاً ومفجوعاً مهزوماً إلى إخراجهما من الفردوس الذي صنعه من أجلهما وأدخلهما فيه فرحاً سعيداً غريقاً في البشر والبشريات مما فعل ومما ينتظر...! ولعله كان يجهل أن تكوينهما الذاتي لا بدّ أن يفعل بهما ما فعل..!

وهذا لا بدّ أن يصنع خوفاً من تكرار هذا الحدث أي من أن يفعل من سوف يدخلون الفردوس الثاني مثل الذي فعله آدم وحواء في الفردوس الأول تحت إملاء نفس الظروف والأسباب الذاتية التكوينية..!

وحينئذ يضطر أي الإله إلى إخراجهم من فردوسهم كما اضطر إلى إخراج آدم وحواء من فردوسهما..!

إن احتمالات وأسباب الإخراج الثاني أقوى وأظهر من أسباب واحتمالات الإخراج الأول كثيراً.

والمفروض أن منطق الإله وأخلاقه ورؤاه وانفعالاته ثابتة لا تتغير أو تتناقض..!

لقد أخرج آدم وحواء من الفردوس الأول فكيف لا يخرج أبناءهما من الفردوس الثاني؟ لقد فعلا أي آدم وحواء ما أوقع به الغضب والغيظ والإذلال فكيف لا يفعل أبناءهما به ذلك أي داخل الفردوس؟ لقد خدع آدم وحواء آمال الإله فكيف لا يخدعها أبناءهما؟

.. وإنها لأفسى إهانة لكل شرف العقل وأخلاقه أن يقال: إن آدم وحواء قد فعلا في فردوسهما

الأول ما استحقاً عليه طردهما منه وإن أبتاهما لن يفعلوا في فردوسهم الثاني ما يستحقون عليه طردهم منه، أو أن يقال لقد عوقب آدم وحواء العقاب الذي استحقاه ولكن أبتاهما لن يعاقبوا أبداً هذا العقاب مهما استحقوه بالتكرار والاستمرار..!

إنها لقضية مثيرة حقاً تستحق كل الاهتمام والقراءة والدراسة..!

.. ولكن لقد طرد آدم وحواء من فردوسهما إلى الأرض فإلى أين يطرد أبتاهما من فردوسهم؟ إنها حيرة، حيرة مرعبة.. أيتهم يطردون إلى الفناء الأبدي..

هل يمكن أن توجد كل النظافة أو البراءة أو الكرامة والصدق أو الجمال أو الراحة أو التقوى أو الإنقاذ من كل قبح أو خبث أو ألم أو فساد أو ضلال أو عدوان أو عذاب أو عار أو افتضاح أو هوان أو نذالة إلا بالفناء الأبدي؟

أرفض أن يجيء القرآن شاعر هجاء لشعبي اليمني

نظري إلى وجه الحبيب نعيم وفراق من أهوى علي جحيم
يا زارع الريحان حول بيوتنا يا زارع الريحان حيث تقيم
ضع لي على وجه المجنوم علامة إنني أحذق في السماء وأهيم
إلى من مجد الصداقة والحب باتمائه إليهما.. باتمائهما إليه.

إلى من في طلعته وابتسامته وإيمائه وهمسته تتجمع كل الجيوش الغازية الهازمة الطاردة
المطاردة لكل جيوش اليأس والهموم والأسى والإحباط والهزائم والتشاؤم والتجارب الخاسرة الخافية
والانتظار الدليل الحزين المهزوم المفجوع.. الطاردة المطاردة لها من:

كل وجوه وملامح وعيون وقلوب وعقول وضماير كل المشاهدين الرائين المواجهين المتعاملين
السامعين المتساقلين القارئین.. لكل نصوص وحروف وتفسير طلعت..

.. إلى من أتمنى أن تحمي كل معانيه.. كل عقله وقلبه وضميره وصدقه وصفاته وأخلاقه..
كل حواسه وأحاسيسه وكل من معه ومن حوله.. كل من في بيته ومن يأتي إلى بيته ويعرف بيته وكل
مجاور لبيته.

- أن يحموا هم وكذا غيرهم.. كل غيرهم من أن يقرؤوا أو يسمعوا أو يذكروا أو حتى يلمسوا
أو يذكروا أو يروا أي شيء من صحافة سبتمبر.. سبتمبر.. سبتمبر - أتمناه هبة ورهبة مما فيها من
الصدق والإخلاص والتواضع والذكاء والعلم والإيمان والتقوى الدينية وغير الدينية ومن العبقريات..
العبقریات التي لا يوجد مثلها إلا في السور والآيات التي أنزلت على خاتم كل النبوات أي قاتل وملفي
وهازم وطارد كل النبوات. أليس أعظم ما جاء به وجاء من أجله نبي العروبة أن يقتل ويلفي ويطرد
ويهزم كل الأنبياء الذين كانوا قبله وكل من قد يجيئون بعده.. ومما فيها أي صحافة سبتمبر من
صمود، صمود فوق غبار النفاق وتراب النفاق وأوثان التراب وتراب الأوثان وتراب التراب..

من صمود وهبوط أيضاً فوق قسم الجهل والغباء.. تحت حضيض الجهل والغباء.. بكل لغات
كل ألوان السذاجة والعدوان على النفس والفضح لها وللمن يكون الحديث عنه وإليه ومن أجله وزفافاً
إليه..

ما أقيح زفاف النفاق البليد البذيء.. ما أقيح الزفاف والمزفوف إليه وأقيح العرس..!!

آه، وأبدأ آه. آه كم أخشى أن يقرأ إبليس صحافة سبتيمير أو شيئاً من صحافة سبتيمير... يا صحافة سبتيمير هل قرأت نفسك؟ من أرادك وخلقت ووهبك الورق والمطابع يا صحافة سبتيمير؟ .. ما أعظم وأقسى حينئذ شحاتته أي إبليس واستهزائه بالإله لخلق هذا الإنسان السبتيميري... هذا الثوري السبتيميري المؤذي والفاجع لكل العيون والآذان والعقول والوقار والاستحياء بتفجيره فرحاً ومباهاة وتمجيداً وتحدياً وكبراً وتكبراً بانتصاراته المخترقة لكل المقاييس والحسابات والتوقعات وبثورته الهائلة. بما كان وبما سوف يكون وبما لن يكون... لن يكون...!.. بثورته ذات العبقريات والاقتحامات الهائلة بكل العبقريات والاقتحامات والثورات... .. بثورته التي تقرأها وتفسرها علينا صحافته السبتيميرية..

.. نقرأها ونفسرها كما نقرأها ونفسرها حتى لنشك أن نجعلنا وأن تجعل كل أحد عاجزين عن أن نتعلم القراءة والكتابة أي نجعلنا ونجعل كل أحد رافضين تعلم الكتابة والقراءة ومتمنين العجز عن تعلمهما.. بل وداعين من لا ينتظر أن يسمع أو يستجيب أن يجعلنا عاجزين عن ذلك...! أي لئلا نبتلى بقراءتها أو يحكم علينا بالكتابة فيها أو بمثل ما فيها..

.. كان يشك في أن يكون لأية ثورة أي عطاء أو مجده بل كان يستيقن ذلك أحياناً ويجب أن يستيقن ومن الصعب أن يوجد خلاف في هذه القضية أي خلاف يستحق الخلاف... يستحق أن يكون خلافاً.. أما بعد ثورة سبتيمير فقد ثبت كما أنهمتنا صحافتها أنه لا مجد ولا عطاء إلا مجد وعطاء الثورات..

فقد أنهمتنا أنه لا مجد ولا عطاء للتزوير والضلال والتضليل والخداع والانخداع والعجز والغرور والادعاء بساوي مجد وعطاء الثورات من ذلك وفي ذلك... إنه لو كان لكل شيء عطاء ومجد لكان مجد الثورات وعطاؤها الغباء والكذب والغرور والعجز الصارخ. الصارخ!

إنه لو كان الإله الخامد الجامد المستسلم لرجعية الكون والكيثونة طويلاً طويلاً - وهل مثل الإله في رجعيته الشاملة الدائمة؟

- أجل، إن الإله لو كان قد قرر أن يصنع أقوى وأشمل وأحر وأفتك ثورة ضد كل شيء.. ضد نفسه ووجوده وكيثونته وتبليده وبلادته ورجعيته وإمبرياليته ورأسماليته في كل صيغها وتفسيرها فقرأ صحافة سبتيمير.. صحافة ثورته فعرف حقيقة هذه الثورة من صحافتها لكان محتوماً أو لكان واجباً أن يستعمل كل الأسلحة لقتل أو منع ثورته المنوية المقررة! إذن لا خوف من أن يثور الإله الذي يجب أن يثور إن كان قد قرأ صحافة سبتيمير وعرف ما وراءها!



كان انبهارى وفرحي عظيمين حارين راقصين لاتساع انتشار الكتاب الأخير في اليمن الثورية السبتيميرية وللإقبال المتنافس المتصارع المتقاتل ولا سيما بين حملة الأفلام وحملة الألواح أي بين شبوخ الكلمة وشيوخ الدين.. حتى أصبح يقال أو يجب أن يقال إن كل رجل من رجال الدين

بموافقة ورضا كل إيمانه وتقواه لمستعد أن يبيع أو يرهن كل معابده ومساجده ومصاحفه وكميته إن كان ذلك يهيه القدرة على أن يقتني نسخة ولو ناقصة منه..

وإن جميع حملة الأقلام من شعراء وأدباء ومفكرين وفنانين ومعلمين ثورين أي في يمن ثورة سيمبر لمستعدون أن يبيعوا أو يرهنوا أو يحطموها كل أعلامهم إن كان الجزء أو الثمن أن يمتلكوا ولو مجتمعين نسخة من هذا الكتاب..

أعني أعلامهم المصلية الراكعة الساجدة خارج جميع المساجد والمعابد وضد كل الصلوات والركوع والسجود في كل المعابد والمساجد.. أعني أعلامهم الحاجة إلى كل الكعبات والطائفة حول الكعبات والمقيلة لأحجار كل الكعبات ولكن دون كعبة مكة. إن أعلامهم خارج كل المساجد والمعابد مهما صلت كل الأوقات فيها وعاجرة أبداً لمكة والكعبة حتى ولو حجت كل عام إليها. كل يوم إليها..

.. هل في هذا شيء من العجب أو الشذوذ أو المفاجأة في حاضر اليمن أو في تاريخه العظيم في آلامه والعظيم في أمجاده؟! إنه لا عجب أن يصبح هذا الكتاب شاغل اليمن الأول لأنه أي هذا الكتاب هو المتمرد الأول في التاريخ العربي.. أليس اليمن أي تاريخاً هو مبدع وخالق ومعلم وراغب ومصدر الحضارات والحريات وقد يقال والقات..؟

أليس كل تاريخ اليمن تمرداً أي ضد التمرد الجيد؟

وهو أي حاضر المصحح المداوي الشافي للثورات والحامي لها من الانحدارات والانكسارات والانحدارات والانبثارات. إن على من لا يصدق هذا أو يشك في صدقه أن يقرأ صحافة ثورة سيمبر..!

ألم يصدر غازيه ومحطه أبرهة الحبشي لهدم الكعبة لأنه هادم الوثنيات وكانت الكعبة ولا تزال وسوف تظل أضخم وأقبح أوثان الوثنيات.

ولم يحاول الشعب اليمني هدم الكعبة بنفسه بل أرسل أبرهة نيابة عنه لأنه أي الشعب اليمني هو أبداً صديق للسلام عدو للعنف..!

نعم، الكعبة وثن يتفوق على كل الأوثان والوثنيات. لهذا فالعرب لا ينافسون في وثنياتهم حتى ولو كانت الكعبة هي وثنهم الفريد.. ليتها وثنهم الوحيد. إن كل تفكير واعتقاد وتصورات وعبادات وعلاقات العربي وثنية، وثنيات..!

.. وأيضاً ألم يسلم أي الشعب اليمني ملكته العظيمة بلقيس وتسلم نفسها هي وجنودها وحراسها وكل رجالها ومستشاريها وعرشها وتاجها وساقها عاريتين وكل حلبيها وملابسها الداخلية والخارجية إلى اليهودي سليمان وكان الرسول بينهما للاستسلام هدهداً مجهول الجنسية والأوصاف والأخلاق والشبه والمكان حاملاً الرسالة المطالبة بالتسليم والاستسلام على أحد جناحيه وقيل حاملاً لها بمنقاره ليكون الاحتقار والتعالي أعظم لا ليسلمها إلى يد الملكة بل ليلقي بها إلى غرقة نومها

تحت سريرها راعياً أيضاً في تضخيم التحقير والتصغير ولم يحاول أو يفكر أن يلقي بها في يدها. إنها قصة تنفجر لها وبها أقسى الصخور غيظاً وغضباً وانفجاعاً واشمزازاً ورثاءً وتعجباً. كيف أمكن أن تحدث وجرو راويها أن يرويها؟ لقد جاء اليمن كله حين وصلت هذه الرسالة إلى اليهودي سليمان مباحاً مستسلماً أي اليمن كله. وماذا كان راكباً في مجيئه؟

لعله كان راكباً نفس الهدهد بأمر من سيده له بالتواضع.

ألم يفعل اليمن ذلك لعراقة حضارته وضخامتها وأصالتها ولعنف عداوته ورقضه للحروب والعداوات؟..

هل يمكن أن يكون فعل ذلك عجزاً أو جبناً أو جهلاً أو خطأ أو انخداعاً؟

ومن تبالة هذا الشعب.. الشعب اليمني وصدقه وتواضعه ووفائه أنه لا يزال يؤمن بالقرآن الذي يروي هذه القصة بأشع وأعنف وأوقع الأساليب بل لا يزال يحفظ ويقرأ ويطلع ويوزع ويفتر ويقتني هذا القرآن ويقاتل دونه ويسالم ويصادق ويحارب ويخادي باسمه ومن أجله.

عجباً!.. كيف استطاع أو قبل أي الشعب اليمني أن يؤمن ويظل مؤمناً بالكتاب الذي يحكي بكل الوقاحة هذه الإهانة التي لا مثال لها ومؤمناً محترماً مقدساً للنبي الذي جاء بهذا الكتاب الذي جاء ليسجل ويعلم ويخلد هذه الإهانة؟..

.. وهنا شيء يشير الإعجاب كل الإعجاب وأقصاه بهذا الشعب اليمني وفاء وخلوداً وتواضعاً ورفضاً للكبرياء وتمسكاً بالتاريخ الصغير المهيمن المسيء..!.. أليس الوفاء للهوان والإهانة وفاء أصيلاً؟ أليس التنازل عن الكبرياء كبرياء أحياناً والعجز عن المقاومة مقاومة بتفسير ما؟ إن اسم «يلقيس» منتشر جداً في اليمن حتى اليوم..!

كيف؟ هل هم لم يقطنوا إلى تاريخ هذا الاسم؟ هل القطنة إلى مثل هذا عسيرة؟ كيف لم يقتلوا هذا الاسم رفضاً واستنكاراً له؟ كيف لم تقم دعوى على حامل هذا الاسم أو لم يتم هو دعوى على من وضعوا له هذا الاسم؟ كيف؟ كيف لم يفعلوا؟

كيف لم يتساءلوا أو يسألهم الآخرون: لماذا لم يفعلوا ذلك أو يفكروا في فعله؟

.. عجيب أنت يا شعبي اليمني العزيز.. عجيب، عجيب..!

ما أقسى وأفتح العجيب أحياناً!.. ما أكثر العجيب الفاجع المهيمن وأقل العجيب الآخر..!

.. وأيضاً لقد قدم إلى اليمن لاجئ لا يدري من أين قدم ولا جاء.. لا يحمل سيفاً ولا رمحاً ولا خنجرأ بل ولا مصحفأ ولا نسبأ ولا قاتأ ولا موقعأ بأي اسم..!

لم يجيء راكبأ جوادأ أو جملاً أو بقلاً أو متوجأ بعمامة أو مسبحة. قدم في الظلام لا يدري في أي حقل نبت ولا من أية شجرة تفرع وطلع..!

جاء وليس مهمأ البحث عن تفاسير وأغراض مجيئه.

فماذا حدث؟ لقد تحول بكل السر والسرعة والقوة والسلطة إلى بيت إمامة، إمامة لتحكمه أي

لتحكم الشعب اليمني بكل السياط والمخاجر والسيوف والمخائم والتجهيل والتجويع وإغلاق التاريخ عليه لئلا يرى الحياة والعالم السعيد لأنه إمامة.. لئلا يرى أو يعرف أنه يوجد بشر خارج كهفه وسجنه.. لئلا يعلم أنه يوجد آخرون غيره وغير أمته بسياطهم ومخاجرهم وسيوفهم وعمائمهم وقاتهم.. وهل هم الذين جاؤوا بالقات أو أن يؤس حكمهم حوضهم على ذلك؟

لماذا فعل الشعب اليمني ذلك؟ لإنسانيته.. لرغبته التي لا حدود لها في تكريم وتعزيز وتكبير الضيوف واللاجئين حتى ليحولهم آلهة عليه حتى ليصنع منهم آلهة بعيدون..؟ لقد ظل بيت الإمامة هذا أكثر من ألف عام هو الإله والنبي والحاكم والمعلم والمرجو الواحد لكل شعب بلقيس يحكمه بالعمامة والمصحف وبسا بفتيان به!

ومن خصائص الشعب اليمني أنه لا يوجد فيه آلهة أي حكام صغار وكبار بل كلهم كبار، كبار أي ما داموا صغاراً أي ما داموا حكاماً عليه..!

ولعل كل الشعوب العربية كذلك لأنهم أبناء الشعب اليمني..!

.. كل الشعوب العربية وقد يقال: أغلب الشعوب إلا الشذوذ النادر فعلت انقلاباتها أو سرقاتها للحكم التي تسميها ثورات.. قتلتها وحدها بلا جيوش خارجية لأنها شعوب اتشاقية انفصالية فردية أنانية أي التي فعلت انقلاباتها وحدها أي ثوراتها..!

أما الشعب اليمني فقد فعل انقلابه أو ثورته أو اغتصابه للحكم وللعرش وللموارد الخزينة ولإنفاقها بالمشيئة والهوى والأنانية والمنفعة الخاصة الذاتية الإعلانية.. هل يوجد سارق مثل الحاكم الذي يهب مال الدولة ليمدح أو لئلا يذم أو يكره أو لئلا يزال من مكانه؟

- نعم، فقد فعل ذلك بجيوش أخرى لأنه يؤمن بالوحدة والجماعية العربية وباليد العربية الواحدة ويرفض التفرد حتى ولو لاغتصاب الخزينة والعرش والألوهية الواحدة المؤلهة المعبودة بكل الحروف المنقوشة أو المبسوقة المستغرقة على صفحات صحافة ثورة سبتمبر..

آه، ماذا يعني ما يسمى بالثورات؟ هل يعني إلا استيلاء الحارس على محروسه، أو على الخزنة أو الخزينة التي وضع حارساً لها. هل أعطت أية ثورة أي شيء مهما زعم أنها أعطت كل شيء؟ إن على من يشك في هذه القضية أن يقرأ ويحاسب كل الثورات العربية.. الليبية والسورية والعراقية واليمنية والمصرية والسودانية بل وكل الثورات العالمية.. الفرنسية والروسية والصينية وغيرها وغيرها..

إن كل شيء جيد إنما يصنعه الإنسان الجيد والإنسان الجيد يوجد ويدع حيث لا ثورات أكثر وأقوى من وجوده وإبداعه حيث تكون وتوجد الثورات. كيف يحفل هذا أي جاهل؟ تنتظر إلى أمريكا التي هي بلا ثورة وإلى أمريكا المتعاقبة الثورات.. ولتنتظر إلى اليابان غير الثورية وإلى الصين الثورية..!

ولتنتظر إلى بلد مثل الكويت ولتصور أنها قد أصيبت بأية ثورة من الثورات العربية أو غير العربية لنعجز عن تصور الفجيعة المحتومة..!

وللشعب اليمني قصة من الغداء والإثارة والتنازل عن الحقوق الذاتية والقومية والدينية والأخلاقية والاجتماعية.. قصة يعجز خيال الإله عن توقعها بل وعن تصورها لو لم تقع..

ولا بدّ أن وقوعها قد صدم وأهان خياله أي خيال الإله..! لأنها جاءت في واقعها فوق خياله وأبعد منه..!

.. تقول القصة التي أصبحت حقيقة إنه كان في زمان - لا نحتاج إلى تحديد زمانه - توجد قبيلة تسكن مكة تسمى قبيلة قريش.. ادعى رجل منها أن الله قد جمع كل أفكاره وشحنها بكل عواطفه واهتماماته ومهمومه وفراغه ووحدته وضياعه فأقنعه بأن يختاره نبياً ومنقذاً لأبدى لكل العالم، لكل الكون وأن يلغي ويقتل ويطرده كل من جازوا قبله أو من قد يجيئون بعده من رسل وأنبياء ومعلمين ومفكرين وملهمين ومن علماء وشعراء وعباقره وخالقين.. وهذا الرجل لا يعادي أو يطارده أحداً مثلما يفعل بالخالقين المبدعين.. وكان هذا الرجل يسمى محمداً وكان يتيماً ضعيفاً فقيراً مغموراً.. فرفضه قومه فأخذ الخوف بهاجمه، بهاجمه حتى رعى إليه بالهرب إلى قرية أو مدينة هناك تسمى يثرب لمكة بأسلوب ماء وهرب أو هاجر معه وبعده بعض قومه الخائفين المؤمنين من القرشين إلى يثرب هذه المسماة بالمدينة المنورة، وكان أهلها من أصول يمانية وكانوا كراماً فوق كل المقاييس المعروفة ففعلوا كل شيء جيد ونبل وعظيم وفدائي لهؤلاء المهاجرين أو الهاربين.. أووهم وأسكنوهم وزوجوهم وأطعموهم وكزموهم وأنثوهم بل وباهموهم بالنبوة والإيمان والطاعة والاتباع وقتلوا عنهم ومعهم وباسمهم وتحت قيادتهم فانتصروا وفتحوا مدناً وأقطاراً وشعوباً حتى فتحوا لهم مدينتهم مكة وبلادهم التي هاجروا أي هربوا منها إليهم..!

حوّلهم من مهاجرين هاربين في الظلام إلى غزاة فاتحين.. إلى محطمين ومذئبين وسارقين لأشهر وأقوى وأضخم العروش والتيجان ليجلسوا فوقها وينصبوها فوق من هاجروا إليهم لاجئين هاربين..!

هكذا ظلّوا يفعلون ويفعلون متصاعدين حتى أقاموا لهم دولة أو بداية دولة أي لمن هاجروا أو هربوا إليهم.. دولة أصبحت أقوى دولة في عصرها بل أعظم دولة..

وبدؤوا يتراجعون إلى الوراء أو يوضعون في الوراء أي في القيادة والتسلط والأمر والتأثير وقوة السلطان. وأصبح أي المهاجرون الهاربون اللاجئون هم كل التيجان والعروش والأمر والنهي متقاسمين لذلك متنافسين عليه بل متقاتلين متلاعنين عليه.. مات محمد والأمور كذلك مقرأ بل وصانعاً ومخططاً لها وراضياً بها.. أي لتكون كما كانت أو بدأت.. الفاعلون يخفون ويعدون واللاجئون يتسلطون..!

.. ازداد أو ظلّ يزداد هؤلاء في الاختفاء والصمت وأولئك في البروز والدوي حتى أصبح هؤلاء لا يرون ولا يسمعون وأصبح أولئك كل الرؤية والسماع والضجيج. حتى أصبح أولئك أقل من شركاء فيما فعلوا ووهبوا بل أقل في ذلك من الخدم والموالي..!

وهكذا ظلّت العروش والتيجان تتقل وتعاقب وتتقاتل وتتصارع بين المهاجرين الهاربين اللاجئين بلا مشاركة من الفاعلين الواهمين..!

بين الخلفاء الأولين وأبنائهم وأقاربهم بل وزوجاتهم وبناتهم. بين العباسيين والأمويين وبين العباسيين والعباسيين وبين الأمويين والأمويين..

وغيرهم وغيرهم بل وبين موابيهم وعبيدهم وخدمهم.. يفعلون كل الآثام والآلام والفساد بالدين والحياة والشعب وبكل شيء.. ويقودون إلى كل الهزائم والفضائح والموت والهوان، وأولئك الذين آووا ونصروا وشادوا وشيدوا.. الذين غزلوا ونسجوا وحاكوا وصنعوا ونصبوا ورفعوا ونقشوا وطوّزوا وزيّنوا كل التيجان والعروش والقلائس والمعائم والمسابع واللحي التي سوف تحكمهم وتذلّهم وتخفيهم عن كل أجهزة الصور والصوت والرؤية والإحساس.. لتلا يروا أو يسمعوا أو يحس بهم أو يحسوا هم بأنفسهم أو بما هو حادث ويحدث..!

إنهم صامتون غائبون. إنهم مفقودون. إنه يجب أن يموتوا.. أن يموت وجودهم.. كل صيغ وتفسير ومعاني وجودهم يجب أن تموت، تموت..!

لقد أصبحوا متفصلين واهبين خالقين.. إذن يجب أن يختفوا.. أن يموتوا كل معاني الموت وصيغه.. لتلا يجازوا بفضلهم وتفضلهم.. لتلا يعرفوا بذلك أو يعترف لهم به..!

إنهم غائبون مفقودون صامتون.. إنهم كل ذلك بكل صيغه وتفسيره.. إما خوفاً أو عجزاً أو كسلاً أو ضياعاً أو إهمالاً أو خموداً أو خمولاً أو شماتة أو يأساً وانفجاعاً أو تأمراً أو لأسباب أخرى..

أي أو نكابة بهؤلاء المهاجرين اللاجئين الذين آوهم ونصروهم وكرّموهم ومجدوهم وحموهم بل وحولوهم إلى سادة وملوك وخلفاء وسلاطين بل وإلى أنبياء، فكان الجزء أن غدروا بهم أقسى وأتذل غدروا وأن أفسدوا عليهم وفيهم حياتهم فحولوها من حياة سلام ومحبة وعمل وعطاء وإنتاج وزراعة وتجارة إلى حياة موت وحروب وعداوات وبغضاء وأحقاد وخصومات وملاعنات وقتال وغزو ونهب وسلب وسرقات..

باسم الصدقة على الله وعلى أنبيائه وعباده العاجزين العاشقين المعلمين للسلب والنهب..
باسم ويدعوى الطاعة والتمجيد والإرضاء لله ولنتيجه محمد ولدينه ولعباده المزعومين صالحين وأبراراً أتقياء..

ليأكلوا أموال الناس المغزوين المسلوبين المنهوبين.
- ليأكلوها في صحون وقدر الإله وبأيدي وملاعق ملائكته.. ليأكلوها على مواثد الآلهة خادمة لهم الملائكة..

أليست الغنائم المنهوبة المسلوبة من المحاربين المزعومين أعداء سرقات بل أقيح السرقات باسم الآلهة والأنبياء والصالحين.. باسم أو بحجة لإرضاء وإسماء وتجميل السماء ومواطنيها.. وما أبشع كلمة غنائم وأبشع معناها وأبشع من نطقوا بها واخترعوها وعلموها ونقدوها وحولوها إلى تاريخ ودين..!



نعم، لعل هؤلاء المستئين بالأنصار والذين هم من أصول يمانية لم يكونوا من داخلهم مؤمنين أو راضين بالنبي محمد أو يدينه أو بمن جاؤوا معه أي بعد أن رأوهم وعرفوهم وعاشوهم وقرؤوا

وفسروا كل ما في حقائقهم النفسية فأنكروهم وأضمرؤا لهم الكيد والعداوة والشر والتدمير بنيات الانتقام والعقاب..!

وكانت الفكرة أو الخطة الناجحة الذكية أن يصمتوا عنهم ويتركوهم ليصمتوا بأنفسهم وبلاדם وعصوهم وتاريخهم الدمار والفساد اللذين صنعوهما واللذين عرفوا أنهم صانعوهما بل والهزائم والفضائح التي أوقعوها بأنفسهم وبشعوبهم وأوطانهم بل بكل الشعوب والأوطان التي غزوها وفتحوها..!

لقد تركوهم ليحدث ما حدث وكأنهم كانوا يصنعون الغيب وليسوا بقرؤونه فقط... كأنما كانوا يصوغون الأحداث المقبلة الأليمة ولم يكونوا فقط يرونها..

كان الأنصار في هذه القضية يشبهون المتأمرين على قريش وعلى من جاؤوا بهذا الدين بل وعلى الدين نفسه أي كان اليمانيون هؤلاء..

ولكنهم لم يكونوا كذلك وليسوا محتاجين إليه ليحدث ما حدث وما كان محتملاً حدوثه..! إنها قصة بلا مثيل أو شبه. إن أعجب وأقبح وأصعب ما فيها كل هذا الصمت عنها كل هذا الوقت..

لقد كان المفروض بل والواجب أن تنحول هذه القصة إلى أحر وأقوى وأدوم وأشمل بل وأذكى الدراسات العالمية والقومية.. التاريخية والمنطقية.. العرقية والإنسانية والنفسية.. البدوية والحضارية.. الجماعية والفردية..!

كيف حدث هذا.. هذا الصمت؟ كيف حدث؟ هل لحدوثه سر أو تفسير تعجز كل التفسير عن تفسيره بل وثهاب تفسيره وقراءة سره وتفسيره لو كان له تفسير؟

هل يمكن أو يقبل أو يعقل أو يغفر تفسير هذا الصمت بأنه استهانة بالشعب اليمني أي بالشعب العربي كله لأن الشعب اليمني هو كل الشعب العربي. وقد كثرت تفسير ذلك أي كون الشعب اليمني هو كل الشعب العربي أو هو كل الشعوب العربية..؟!

هل كان للشعب اليمني أعني للشعب العربي كله عدو قوي قادر له كل هذه المكيدة القادرة القوية الشريرة؟

هل تسمح كرامة وكرم الشعب اليمني بذلك؟ كيف سمحا به أو كيف مكنا عليه وعنه؟ أه. يا شعبي اليمني العزيز الكريم علي وعلى كل قومك العرب.. يا كل مجدي الماضي والحاضر والآتي.. يا كل فخري وتصري وعزّي واتمائي وادعائي..!

يا شعبي كم تعذّبت لك ومن أجلك ومعك وفبك وباسمك حين أقرأ صحافتك السبتمبرية ومذائحها لقادتك وزعمائك الثوريين الطببيين المتواضعين الراضين الكارهين المعاقبين لكل الأوثان وعابديها ولكل المتأففين والمنافقين لهم والمتقبلين لشيء من ذلك..!

نعم، كم تعذّبتني وتزعجني وتفجعني يا شعبي اليمني الثوري السبتمبري حين أجذك وأقرؤك

تحاول بكل ضعفك.. بكل مواهبك الضعيفة الأليمة أن تفسد وترعج وتفضح وتهين قادتك وزعماءك الأبرياء الأتقياء الأصفياء النوار.. الثوار جداً..

بمدائحك اليليدة المشوهة التافهة الكاذبة في نياتها مهما كانت صادقة في لغاتها ورؤاها..!

أليس كثير من المديح كاذب النيات صادق الرؤية والتعبير؟

.. أيهما أقسى تعذيباً لنا وعدواناً علينا: من يعتدينا ويعتدي علينا صادقاً وعارفاً ومعلنناً أنه يفعل بنا ولنا ذلك أم من نتعذب له وبه وفيه ومن أجله وباتصائنا إليه وباتصائه إلينا دون أن يدري أو يريد أو ينوي أو يتقبل لنا أو بنا أي شيء من ذلك؟ أليس أقسى العذاب هو العذاب بالرؤية والعقل والفكر والقلب والخلق والضمير؟

.. إن الإله لو واجه إبليس بكل قبحه وتمرد عصىاته ونذالاته وطففانه عليه لما قاسى شيئاً من العذاب أو الانفجاع أو الاشتزاز أو الأسى الذي أقاسيه حين أقرأ الصحافة الثورية السبتمبرية.. حين أقرأ مدائحها لقادتك وثوارك المعذبين المتعذبين بتواضعهم وصدقهم وتقواهم وبكراحتهم ومقاومتهم للكذب والنفاق والهوان يا شعبي اليمني العزيز الحبيب..! أليس الزعيم العظيم يتعذب بنفاق المنافقين له أقسى من عذابه بهجاء الهاجين له؟

آه.. وبلي من نفسي مائلة متسائلة.. وبلي من صمتي عن السؤال والتساؤل والمساءلة..!

إذن وبلي مني.. وبلي مني أبداً ودائماً.. أليس كل الليل من النفس؟



هل وجد أو يمكن أن يوجد من لم يقاسوا أو من لا يقاسون أو من لن يظلموا يقاسون العذابين معاً أو أحدهما أو من لم يصنعوا ولا يزالون يصنعون وسوف يظلمون يصنعون كلا العذابين أو أحدهما.. العذاب واقعاً منهم والعذاب واقعاً عليهم؟ أليس كل الوجود تعذيباً للآخرين واستقبالاً للعذاب منهم؟ هل يمكن أن توجد ثم لا تصنع العذاب أو يصنع بك العذاب؟

.. كم أنا معذب بقدر ما أحياء.. بقدر ما أنا إنسان أو بقدر ما أنا كائن أكبر من الإنسان.

أعظم حياة من حياة الإنسان..!

.. أنا أسأل إذن أنا إنسان، إذن أنا كل العذاب الفكري والقلبي والعاطفي والأخلاقي والفني والديني والحضاري والجسدي والذاتي.. إذن أنا أوسع وأدوم وأشمل وأقسى عذاباً من كل عذاب.. من كل العذاب أي بقدر ما أنا إنسان أحياء كل معاني الإنسان وألتزم بها وأحاول الالتزام بها وبشروطها ورؤاها ومحاسبتها وقراءتها وتفسيرها..! أنا صانع للعذاب مصنوع بي العذاب بقدر ما أحياء.. بقدر ما أنا إنسان..!



قاسية وصعبة جداً هي المحافظة على براءة الإنسان وتقواه الأخلاقية والفكرية والنفسية والدينية والحضارية والإنسانية.. بل هي مستحيلة، مستحيلة..

إنه أي الإنسان حتى في أعلى وأسمى وأتقى مستوياته ونياته وتفسيره يظلم ويعذب ويغجع ويخيف ويورط ويقهر من لا يريد أو ينوي أو يقبل أو يرضى لهم إلا كل الحب والصدقة والخير والنجاح والانتصار والسعادة والفرح والمجد والراحة بكل الأساليب والصيغ والمعاني... بل إنه ليفعل ذلك بقدر سمو وضخامة مستوياته وكنيواته!

كم هو قبيح وفاجع وأليم أن نعذب أو نؤذي أو نظلم أو نحزن أو نصدم أو نهزم من لا نريد أو نرضى أو نقبل أو نتمنى أو نتنظر لهم إلا كل النقيض لكل ذلك...!

كم هو رهيب أن يكون محتوماً بأن نكون فجيعة أو هزيمة أو كآبة أو ورطة أو شحانة أو تعبيراً أو عجاءة أو إيذاء أو تعذيباً أو تشويهاً أو إخراجاً لمن لا نريد لهم أي شيء من ذلك...!

.. نعم، مخطط ومريد وصانع وصانع الكون والحياة والإنسان وكل شيء كان يجب ويفترض ويطلب وينبغي أن يكون أقوى وأذكى وأتقى وأنبى وأشرف وأعلم وأرحم وأنظف مما كان وجاء وعمل..

.. أن يكون شاعراً وفناناً ورائياً ومصوراً متصوراً قارئاً مفهوماً مستمعاً معلماً متعلماً أعظم من كل ما في هذا الوجود وكل وجود.. من كل ما فيه ومن فيه..!

أليس كذلك؟

ألا يمكن الافتراض أو ألا يجب الافتراض أنه يوجد خالق آخر قد قرّر ودبر وخطط وصمم مستطيماً التنفيذ أن يجيء صاحب أو خالق أو رب هذا الوجود بكل هذا العجز والضعف والبلادة والبله والوحشية والشفقة والدمامة والجهالة والنقص والنقصات والذنوب..

وأن تكون تفاسير هذا الخالق الآخر نفسية وأخلاقية وعقلية وتكوينية ذاتية وحشية أنانية..

وأن يكون قد صاغه صياغاته هذه لحسابات خاصة ليست كريمة ولا نبيلة؟

هل يمكن التقتل أو الغفران أو حتى التصديق بأن يصل أي ضعف إلى هذا الضعف..

أن يكون عدد إسرائيل كما هو وأن تكون ثرواتها الطبيعية والعالمية والكونية بل والدينية والتاريخية كما هي.. وأن يكون عدد العرب وثرواتهم العالمية والكونية والنفسية والطبيعية والتاريخية والدينية والشعرية والخطابية والادعائية والحرية كما هي....

ثم تجيء المواجهة بينهما أي بين العرب وإسرائيل كما جاءت أو شيئاً مما جاءت؟

إنها أي هذه المواجهة العربية الإسرائيلية صيغة من صيغ التكرار للمواجهة بين يلقيس اليمن وذهند سليمان اليهودي.



آه. أنا إنسان إذن ما أقسى وأدوم وأشمل عذابي.. أنا أتعذب كل العذاب. كل عذابي لنفسي

وبنفسي وبعذاب ولعذاب كل الآخرين وكل شيء لأنني جئت إنساناً دون أن أعرف أو أقبل أو استشار..!

إذن كم يمكن ويجب وينبغي ويفترض أن يكون عذاب من هو أكبر وأعظم من الإنسان.. عذاب الإله والملاك والنبي والولي والصفي؟ أليس الكائن يتعذب بقدر مستويات كينونته العقلية والنفسية والغنية والأخلاقية بل والذهنية؟

ما أقسى وأفجع عذاب هؤلاء.. ما أضخم أهوال عذابهم ما لم يكونوا بكل تقاسيرهم ومعانيهم ورؤاهم ومحاسباتهم وقراءاتهم أقل من الصراصير والقمل والنمل ومن كل الحشرات بل ومن كل الكائنات الأخرى أعني الآلهة والملائكة والأنبياء والأولياء والأصفياء..!

أليس الإله يتعذب أكثر من النبي والملاك، والملاك والنبي يتعذبان أكثر من الولي والصفي، والولي والصفي يتعذبان أكثر من الإنسان العادي؟ أليس هذا هو الواقع أو المطلوب؟

أنت إله أو ملاك أو نبي أو ولي أو صفي أو أي كائن يعيش كل هذا الوجود.. كل هذا العذاب والقبح والغباء والعبث الأليم في عينيك وضميرك وقلبك وفكرك وحساباتك ومحاكماتك ومساءلاتك واشتراطاتك وتعاليمك وعقائدك وإيمانك وتمنياتك ونظلماتك وتقواك..!

إذن هل يمكن أن يوجد أو ينبغي أو يقبل أن يوجد مثل عذابك أو انفجاعتك أو اشتزازك أو عارك؟

ما أعظم وأضخم ما يستطيع الذباب أو البرغوث أن يبيع أو يهب أو يهدي للآلهة والملائكة والأنبياء والأصفياء والأولياء من تقواه وبرائه وسعادته وراحته وطهارته، بل ومن أمجاده محاسباً ومفسراً نفسه بهم..!



آه.. خوفي عظيم وفادح من أن تفكر قصة بلقيس اليمن مع هدهد النبي الملك اليهودي سليمان..

.. خوفي من ذلك عظيم وفادح.. وأسياه قوية، قوية..!

إن اليمن وملكه أو ملكته اليوم موجودان وإن الملك النبي اليهودي سليمان وهدهد موجودان كذلك، وإن كل المحرضات والمغريات والدعائيات والمسيبات والأمرات بل والمشرعات.. لتكرار هذه القصة بأقسى وأفدح وأفضح الأساليب والتفاسير موجودة ومواتية كثيراً جداً..

.. لتكرار هذه الفضيحة المأساوية..!

والعرب بارعون ومعروفون مشهورون مشهود لهم بالقدرة على إيجاد بل وتحريض القوانين والأسباب والتفاسير التي تحتم تكرار الفضائح التي كان يجب ويفترض وينبغي أن يستحيل تكرارها بل ووقوعها..!

أليسوا أي العرب قد كثرروا وجود إسرائيل التي لم يكن تكرارها أي تكرار وجودها إلا أكثر من كل مستحيل لولا عبقرتهم أي عبقرية العرب في تكرار إيجاد المستحيل وجوده في كل الحسابات والرؤى العقلية والمنطقية والقانونية والفنية..!

.. في تكرار إيجادهم للمستحيل الرديء لا الجيد؟

لولا موهبة العرب في إيجاد أو وجود المستحيل بكل التفاسير والحسابات هل كان يمكن ولو تصوراً تدمير المفاعل الذري العراقي أو غزوة أو ضربة المطار الأوغندي عنيتي أي لولا مواهب العرب ومواهب أشباههم وحلفائهم وخلفائهم أي في جعل المستحيل هو الواقع الدائم؟!!

هل العرب يعدون أمثالهم بضعفهم ونقائصهم وهوانهم وهزائمهم أم يسرون معهم ومثلهم فقط في الطريق والمستوى والبداية والنهاية وإلى البداية والنهاية!

هل المواهب والقدرات والعبقريات عدوى أو اقتداء أو تعليم أو إرادة أو رغبة أو حاجة؟

وهل يمكن أن تكون ذلك أو شيئاً منه؟

ليتها كذلك..!

ولكن هل كان يمكن تصور أو قراءة أو تفسير ما يمكن أن يحدث أو ما لا بد أن يحدث لو

كانت كذلك؟



سأكرر هذه الكلمات وكثيراً من الكلمات السابقة. وكم أشعر أن هذه القضايا تستحق التكرار.. إن التكرار الذي أعنيه ليس إلا لغة نابضة خافقة صادقة تعبيراً عن حالة فكرية أو شعورية أو أخلاقية أو إنسانية دائمة الخفقان والألّين.

- نعم، وهؤلاء صامتون غائبون للأسباب السابقة أو لغيرها أو لها ولغيرها.. عدنا إلى قصة المهاجرين والأنصار.

صعب وقبيح أن نتصور كيف أصبح المؤورون الناصرون الواهيون لكل شيء هم الغائبين الصامتين المبعدين المبتعدين عن كل شيء حتى عن العيون والآذان والذكرى والتذكر وعن كل الحسابات والمحاسبات والمحاورات والمساءلات..!

هل كان صمتهم واعتزالهم واختفاؤهم وتركهم لكل شيء أملاً في هزيمة هذا الدين الغازي وهزيمة من جاؤوا به بعد أن عرفوا كل شيء عنه وعن أهله.. بعد أن عرفوا بالرؤية والتجربة والمعاشة والمقاساة أشياء لم يكونوا يعرفون منها شيئاً حينما آووا ونصروا ووهبوا واستقبلوا ورحبوا؟ أليس الإيمان الأول والإيمان الجماعي الجمهوري والإيمان الوراثي هو دائماً بلا رؤية ولا ذكاء ولا معرفة ولا منطق بل أليس بلا إيمان؟ أليس الواقع الدائم أن الإيمان بلا أي معنى من معاني الإيمان؟ أليس أكثر المؤمنين غير مؤمنين؟ أليسوا غير مؤمنين لأنهم مؤمنون؟ إن الإيمان لا يعني ولم يعن إلا باصقاً ومبصوقاً فيه وعليه..!

أليس الإيمان في الغالب استقبلاً واختياراً لاستفراغ وإلقاء من الخارج وليس إيماناً أو تفاهماً أو اقتناعاً أو حتى إرادة أو رغبة أو رؤية أو تلاؤماً أو إعجاباً؟

أليس أقوى المؤمنين إيماناً بإيمانهم وتعصباً وتمجيداً له هم المؤمنون بلا أي معنى أو شرط من معاني الإيمان وشروطه؟

- نعم، كان محمد اللاجئ وأصحابه اللاجئون يذيعون ويعلمون العرقية الجاهلة الجاهلية البغيضة القبيحة العدوانية المذلة الصائنة والمعلمة المشرعة للأحقاد والبغضاء والعداوات والانقسامات..

.. كانوا يذيعون ويعلمون ذلك بكل الوقاحة والبذاءة والبلادة والإساءة بين من آوهم ونصروهم ووهبهم كل وجودهم وكل شيء.. كانوا يفعلون ذلك بعينهم وأذانهم وعواطفهم وقلوبهم وأخلاقهم وكرامتهم وكبرياتهم وشرفهم.. باصقين عليهم كل بذائهم ووقاحتهم وسوءاتهم..!

كانوا يقولون ويذيعون من فوق كل منابرهم وسفاهاتهم: «الخلافة في قريش إلى يوم القيامة» كانوا يحسبون أن قيام القيامة بعد ساعات أو أسابيع أو حتى سنوات لهذا قالوا هذا القول.. ويذيعون ويقولون:

«هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه منازع إلا كذب الله في النار على وجهه».. يقولون هذا القول لأنهم كانوا يعتقدون أن حراس جهنم من جهلاء قريش..! ويقولون:

«الناس تبع لقريش.. مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم».. «الناس تبع لقريش في الخير وفي الشر».. «الناس تبع لقريش ما بقي من الناس اثنا».. «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً ما ولي هذا الأمر رجل من قريش».. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوكَ حَتَّىٰ يُعَرِّكَوْكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوكَ سَلِيمًا﴾.

إنه لا يمكن تصور عرقية جاهلة متعصبة مثل هذه العرقية.. إنهم يقولون ليكذبوا أضخم وأجهر الكذب أن الإسلام جاء ليسوي بين البشر.. بين الزنجي والأبيض ومع زعمهم هذا يزعمون أن أعظم عبقري مسلم لا يصلح للخلافة أو لحكم المسلمين ما دام يوجد أمي جاهل قرشي فاسق حتى ولو كان ابن سفاح..!.. إن كل تقوى البشر وعبقرياتهم لا تقبل حاكمة للعرب والمسلمين ما لم يكن الحاكم قرشياً..!

.. إنهم يعلمون ويعلمون التفرقة بين القرشيين العرب وبين أعظم قبيلة عربية.. وبين كل القبائل العربية..!

يعلمون ويعلمون أن كل العالم لا يصلح لما يصلح له رجل واحد من قبيلة قريش..! .. يعلمون ويعلمون ذلك ديناً ونبوة وقرآناً فكيف يجروون على الزعم أن الإسلام جاء ليسوي بين البشر؟

كيف يجروون على اتهام أي دين أو نظام بمثل هذا الاتهام؟ .. إن أي مواطن يعني يقرأ رأيي هذا لن بغضب أو يزعج مني أو منه لأنني أتحدث عن نفسي

وأبكي نفسي. إذن لن تكون مشاعره إلا الرثاء والحزن لي ومحاولة التخفيف عني ومحاولة التهوين من عذابي وأساي..

إن أكثر الناس وحشية وجهالة من يغضب أو ينكر على من يحزن أو يأسى على نفسه بل المفروض أن يأسى ويرثي ويشفق عليه وله ويحترمه حتى ولو كان مخطئاً أو مبالغاً أو حتى قاتلاً نفسه إشفافاً عليها وغضباً لكرامتها وأسى على هوانها..!

أليس القتل للنفس أنيل وأنقى وأذكى وأشجع ولو أحياناً من الاقتتال مع من نزعته ونعلته أو يزعم ويعلم عدواً لنا لنقتله ويقتلنا أو لنظلم ويظلم نحاول قتله ويحاول قتلنا؟



هل أحتاج إلى الاعتذار من أن أقول بالتكرار:

إن التكرار ليس إلا لغة نابضة صادقة متفجرة معبرة عن ازدحام عقلي أو نفسي أو أخلاقي أو إنساني أو احتجاجي عنيف ملح متكرر ملازم ملزم أو عن كل ذلك..

وإن الذين لا يكررون رؤاهم الأخلاقية والفكرية والدينية واحتجاجاتهم واستجاباتهم وانفعالاتهم ومحاوراتهم وتساؤلاتهم واستنكاراتهم بكل لغاتهم وتفسيرهم وتعبيراتهم وممارساتهم وهم يواجهون ويعايشون ويقاسون ويعاملون كل شيء في أنفسهم وفي هذا الوجود يعيرونهم وعقولهم وقلوبهم وضمايرهم وأخلاقهم وإيمانهم وتقواهم..

لن يكونوا شيئاً من معاني الإنسان مهما كانوا كل صيغة وصورة وملايه..

.. لن يكونوا إلا كائنات تحيا بلا حياة كالآلهة والأنبياء والملائكة وكل سكان السماء وأصدقائها ودعاتها؟ أليس هؤلاء يحيون بلا حياة أي إن كانوا يحيون؟

أليس هؤلاء أي الآلهة والأنبياء والملائكة وكل سكان السماء وعملاتها أقل من كل الكائنات حتى من صغار الحشرات في رؤيتهم وقراءتهم ومحاورتهم ومسألتهم للحياة وإحساسهم بها وفي قبولهم ورفضهم لها وفي رضاهم وغضبهم عليها وعنهما وفي اشتراطهم لها وعليها، وفي إدراكهم لجمالها وذكائها وعدلها ولقبوحها وغيابها وظلمها، وفي الاحتجاج عليها والانفجاء بها ولها؟ أليس هؤلاء هم صائغي الإنسان ومعلميه ليكون أعشى في كل تعبيراته ومعانيه؟

هل جاء هؤلاء إلا لكي يقتلوا ويسكتوا ويدنوا ويهزموا في الإنسان كل معانيه الراهية القارئة السائلة المسائلة المحتجة؟



إن الوجود كله تكرار، إنه لا وجود بلا تكرار ولا تكرار بلا وجود.. فالحياة والموت والتوالد والليل والنهار والنوم والصحو والأكل والشرب والحب والبغض والجنس والرؤية والفرح والكآبة والضحك والبكاء والمجيء والذهاب والخلق والابتسام والعبوس وكل شيء تكرار، تكرار..!

حتى العبادات والتدين والديانات كلها تكرار. فالصلاة والصيام والحج والدعاء والتهافت والتضرع

والاستغفار والتوبة والتحديث في السماء وفي الغالب المختفي الذي لن يحضر أو يظهر تكرر.. تكرر..!

إن المفقود والمعدوم هما فقط اللذان لن يكونا تكررًا ولن يستطيعا أن يكونا ذلك ما داما مفقودًا ومعدومًا. إنه لولا التكرار لما وجد أو بقي أو انتظم شيء..!

إن الذين يقولون لنا لا تكررُوا الحديث عن أي شيء إعجابًا أو استنكارًا هم كالذين يقولون لنا لا تكررُوا انفعالاتكم ولا اهتماماتكم بأي شيء رضا أو غضبًا.. إعجابًا أو استنكارًا.. تقبلاً أو رفضًا.. والذين يقولون لنا هذا هم كالذين يقولون لنا لا تكررُوا مقاومتكم أو مناصرتكم.. محاربتكم أو مسالمتكم.. معانقتكم ومصافحتكم أو مضاربتكم وملاطمتكم لأي شيء مما ترون وتواجهون وتقاسون.. كالذين يقولون لنا لا تنظروا أو تقرأوا أو تسألوا أو تفهموا أو تحزنوا أو تفرحوا أو تضحكوا أو تبكوا أو تكلموا أو تغضبوا أو ترضوا إلا مرة واحدة..!

.. والذين يقولون لنا كل هذا إنما يقولون لنا؛ موتوا، موتوا.. كونوا جمادًا، جمادًا.. إنما يقولون لنا لكن رؤاكم وانفعالاتكم وأحاسيسكم وأفعالكم مثل رؤى الإله وأحاسيسه وانفعالاته وأفعاله أي موتًا، موتًا.. وهل يوجد موت مثل موت الآلهة.. الإله؟



أنا إنسان، أنا أحياء، إذن أنا أرى، أنا أرى إذن أنا أقبل وأرفض.. أنا أقبل وأرفض، إذن أنا أناصر وأقاوم.. إذن أنا أتكلم.. أنا أتكلم إذن أنا أكرر الكلام أو أتكلم بتكرار بقدر ما أرى وأواجه بتكرار.. بقدر ما أقبل وأرفض.. أعجب وأشمئز.. أحب وأبغض.. أوافق وأخالف.. أفهم وأعجز عن الفهم بتكرار..

بقدر ما أنا موجود ومواجه ومقاس بتكرار..

.. بقدر ما أخاف وأريد وأطمع وأطمع وأتطلع وأتوقع بتكرار.. بقدر ما أتنجدد وأتطور وأتحول وأنتقل بتكرار.. إذن أنا أكرر الحديث عن كل شيء وعن نفسي بقدر ما أحياء.. بقدر طاقات الرفض والقبول.. الرضا والغضب.. الإعجاب والاشمئزاز.. الرؤية والعمى.. التمني والتطلع والمحاولة والاشتراط واللهفة في.. بقدر ما في ذاتي من ذلك.. أي بقدر ما أحياء كل الحياة أو من الحياة..!

إذن فالذين يعيون وينكرون علينا تكرر أن نقول إنما ينكرون ويعيون علينا الرؤية القارئة السائلة المتسائلة الحارة الراضية الغاضبة.. القابلة الراضة.. المقاومة المناصرة..! إنهم يعيون وينكرون علينا أن نكون أحياء..!

إنه لو كان فوق هذا الكون أو في جوفه إله يملك أي قدر من الرؤية أو المسائلة أو المحاورة أو المحاسبة أو المحاكمة أو التقوى أو الاستحياء أو الشهامة أو النظافة أو البسالة أو النقد للذات أو من الاشتراط لها أو عليها أو من الذكاء أو الجمال الفكري أو النفسي أو الأخلاقي أو من الحب لذلك أو من الشوق إليه والبحث عنه لما قبل أو رضي أن يوجد أو يبقى شيء من هذا الكون البليد

السخيف الأليم كما هو بلا أي تغيير أو تبدل إلى ما هو أذكى وأتقى وأجمل وأتبل...!
إن التغيير والتغير الدائم إلى الأفضل والأقوى ليس إلا تعبيراً عن الرؤية المكررة الحماسية الحارة
الحادة في كل معانيها وتفسيرها بل عن الرؤية الدائمة المحرقة المحترقة المكررة المتكررة في كل
أسئلتها وأجوبتها وفي كل مطالبها ومطالباتها ومحاكماتها والباحها وتقواها.. أليست النقوى تساؤلاً
ما؟ أليس التساؤل بأحد أنواعه أو بكل أنواعه نقوى ما؟

هل يؤمن من لا يتساءل؟ هل الإيمان الصامت بلا تساؤل إيمان؟ هل المبصر بلا رؤية مبصر؟
إن تكرار وتكرار الأحداث والأشياء والرؤى والمواجهات والكائنات مع عدم تكرار وتكرار
الانفعالات والانفعالات والاحتجاجات والمساءلات لقمة الموت أو البلادة أو كليهما..!
وإن تكرار وتكرار ذلك مع عدم تكرار وتكرار الرضا والغضب.. القبول والرفض.. الاشتغال
والإعجاب لقمة ثانية للموت والبلادة...!

وإن تكرار وتكرار ذلك مع عدم تكرار وتكرار التعبير عن ذلك بكل تفاسير ولغات التعبير الناطق
المقروء المسموع المثير الصادم المزعج لقمة ثالثة للبلادة أو للموت أو لكليهما...!
هذا شيء من الدفاع عن الاتهام لي بأنني أتكرر وأكرر حين أتحدث عن أي شيء منكر أو
معجباً، مادحاً أو ذاماً، قابلاً أو رافضاً..!

إن الصمت عن التكرار أحياناً أي تكرار الحديث عن القبيح.. عن استقباح القبيح وعن
التحريض عليه وعن المطالبة بالنقيض.. عن تكرار المطالبة بهذا والرفض والمطالبة لهذا.
- نعم، إن هذا الصمت أحياناً لن يكون إلا كل الموت والبلادة والتبلد.. إلا كل معاني الهوان
ولغاته..!

أليس الموت أحد أساليب البلادة والتبلد بل كل أساليهما؟

.. والبلادة والتبلد أليسا شيئاً من أساليب ولغات الموت بل أليسا أقصى ذلك؟

والإنسان العربي حين يصمت هذا الصمت ويدعو إلى هذا الصمت بهذه التفاسير لا يفعل ذلك
لأنه يستثمر الوقت ويخاف عليه من الضياع بالتكرار حديثاً وكتابة وقراءة وسماعاً وإنما يفعل ذلك
خمولاً وكسلًا وهواناً وموتاً وبلادة وتبلدًا وغيوبة وعجزاً..

ماذا يعني صمت الحشرة والحجر؟ أليست الحياة والذكاء نشاطاً مكرراً متكرراً؟ أليس الموت
والغناء صمتاً وخموداً دائماً مكرراً متكرراً في كل شيء وعن كل شيء؟

إن المذموم الرديء من التكرار هو تكرار البلادة والجهالة والسفاهة وتكرار الكلمات بلا معنى أو
حماس أو فعل أو انفعال أو رؤية أو تغير أو إرادة لذلك، وليس تكرار الحماس أو التفكير أو الذكاء أو
الرؤية أو الغضب أو الرفض أو المقاومة للأشياء الذميمة القبيحة الرديئة.. إن القضية هي الفرق بين
تكرار وتكرار وليست بين تكرار وصمت..!

أليس العرب أحق الناس برفض التكرار وبأن يكونوا أكثرهم رفضاً لأنهم أولاً يفهمون أدق

وأخفى المعاني بأفل الألفاظ وأخفاها.. ولأنهم ثانياً هم أحرص الناس على أوقاتهم!..

هل مثل العرب في احترامهم للوقت وحياتهم له من الضياع؟ هل مثلهم من يغالي في ثمن الزمن بالعلم له ومشترياً؟ إن من احترامهم للوقت أن يقولوا إن الله قد خلق الأرض والسموات في ستة أيام، واليوم عند الله ألف عام كما يقول قرآن العرب مع أن الله يقول للشيء كن فيكون.. كيف ضيع الله من وقته ونشاطه ستة أيام أي ستة آلاف سنة في خلق الأرض والسماء وهو يقول للشيء كن فيكون؟

... ومن احترامهم أي العرب للوقت أنهم ينتظرون ويتوقعون قيام الساعة في أي وقت أو لحظة أو ثانية.. كذلك ألزموا أنفسهم كل يوم بخمس صلوات في الليلة واليوم في المساجد البعيدة والقرية ليلاً ونهاراً غير الصلوات الأخرى الكثيرة. إذن كم يبقى من الوقت المحترم الغالي؟
كذلك شرعوا لأنفسهم كل عام صيام شهر كامل يموت فيه كل شيء غير عبادة الله والموت والاسترخاء باسم عبادة الله!..

هل هناك قتل وإفساد لكل شيء مثل صيام العرب؟

كذلك يرون أن من أعظم وأرقع منازل التقوى والحب لله قضاء أكثر الأوقات في تكرار قراءة القرآن لمجرد التكرار والتلاوة اللفظية المكررة..! إن قراءة من لا يعرف اللغة لهو أنقى أساليب التقوى والتدين! هكذا يقول ويعتقد العرب عن قراءة قرآنهم!..

ومن الدلائل على غلاء الوقت عند أبناء العروبة أنهم يرون ويعلمون ويقولون إن الله يظل الشهور العديدة لكي يخلق ويكوّن وينزل المولود الجنين وينبت الحقل، ويظل الأعوام لكي يصنع وينبت وينعشب الشجرة ويرقع أغصانها! مع أنهم يؤمنون ويقرؤون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾!..

كذلك من تكرم العرب للزمان أنهم يقولون ويعتقدون أن عذاب أهل الجحيم بلا زمان، وتفاهة أهل الفردوس في فردوسهم بلا زمان!..

أليست حياة أهل الجنة قمة التفاهة والقبح والبلادة؟ إنه لشيء مهين أن يقبل أي محترم أن يعيش في فردوس الغلمان!.. كيف يقبل أن يحيا أي نبي أو عبقر في خيمة مع الولدان؟ كذلك يعتقدون ويقولون إن الله يظل كل الزمان يعاني ويواجه قبح وقسوة وجوده بلا نهاية...

هل يمكن تصور وجود يساوي في قبحه وقسوته وجود صاحب هذا الوجود؟

.. ويقاسي ويعايش بل ويوطن ويساكن كل ما في هذا الوجود من الفحش والغباء والدمامة والوحشية بلا نهاية!..

هل يوجد ما يجب احتقاره وقتله مثل هذا الزمان؟

.. نعم، الزمان غالي وثمين جداً عند العرب، حتى أنهم ليناضلون كل التضال لكي ينفقوا أو يقضوا تسعمائة وتسعة وتسعين ساعة أو يوماً في تقليد أظافرهم ودمن أصابعهم في خياشيمهم مفضلين

لذلك على أن يتفقوا أو يقضوا ألف ساعة أو ألف يوم في الصعود إلى القمر وفي الاستعداد والإعداد لذلك لأن في ذلك نقص ساعة أو نقص يوم في الألف الساعة أو الألف اليوم..!

إن هذا لأتقى وأذكى وأقوى أساليب العروبة في احترامها للزمن..!



والعرب لا يتكرونها التكرار فكل حياتهم تكرر.. وفي الغالب تكرر سخيف أو بليد أو عقيم أو بذيء أو مهين أو كل ذلك.. إنه لكل ذلك..!

وكيف يتكرونها التكرار وهم يقولون ويؤمنون أن قرآنهم معجزة المعجزات مع أنه بلا مثيل ولن يكون له أي مثيل في تكراره الرديء الضعيف جداً..!

.. ولكنهم أي العرب إذا واجهوا أفكاراً لا يستطيعون الإيمان بها أو الفهم لها أو القدرة على قول مثلها ذهبوا يشتمونها وينكرونها ويرفضونها ويشنعون عليها ويحاربونها بأشتات الأساليب والأسلحة..!

وأسلحة العرب كثيرة ولكنها أبداً مهزومة، إنه لا مثيل لأسلحتهم في قوتها وكثرتها وفي قلتها وعجزها..!

من ذلك أن يزعموا أنها تكرار، ويكونون بذلك يعنون أمرين: أحدهما محاولة التهوين من قيمتها والطمع فيها. وثاني الأمرين أنها ليست جديدة لديهم ولا عليهم بل هم يعرفونها ويعرفون أنها مكررة..! وقد يعنون أنهم هم المبتدعون المبدعون لها..! فهم إذن يعرفون فينكرون بل يعرفون ويتكرونها فينكرون ولا يجهلون فينكرون..!

إن جميع التكرار وفنونه وأساليبه وجميع قضايا وموضوعاته أعني التكرار الزائف لو تجمعت في كتاب أو لغة أو في شيء أو مكان واحد لما استطاعت أن تنافس القرآن في شيء واحد من تكراره مثلاً في حديثه أي حديث الإله عن نفسه أو عن قوته أو عن علمه أو عن مجده أو عن إعجابه وإيمانه بنفسه أو عن أنانيته أو عن مطالبته بأن يكون وحده العظيم المحبوب المعبود المشكور المذكور..!

إن تكرار حديث الإله عن نفسه لشيء يشتمر منه أسفه السفهاء..!

إنه لم يتحدث ولن يتحدث أحد عن نفسه بافتضاح مثلما فعل الإله..!

.. إنه لن يوجد بل ولن يتصور في العالم أو في الخيال والحساب مكرر متكرر في نفسه وفي كل شيء مثل الإله، في قبح تكراره وتكرره..

لنفكر في هذه الصورة.. كل لحظات الزمن يكرر الإله رؤيته وسماعه ومخاطبته لكل الدمامات والنشوهات والآفات والأثبات والآهات والصراخات والهناتات والصلوات والشكايات والدماء والدموع

والجراح وممارسات كل أنواع الفسق والخبث والدناءات والتفاهات والجرائم والفضائح والقبائح والزندقات..

هل يحدث ذلك؟ وإن كان قد حدث فهل يمكن أن يكون الإله قد قبل أن يبقى فيه أي قدر من الرؤية والسماع والحياة؟



سيكون تكراراً أن أقول:

إن العرب بلا براعة بارعون في تكرار الضربات لأنفسهم بلا أعداء أو ظروف ملزمة. إنهم لا يحتاجون إلى من يدلونهم على الضربات لأنفسهم وضدها أو إلى من يلقون بهم فيها. إنه لو فقد كل دالٍ وسائق إلى الهواية وعليها لهداهم خطوهم الأصل بل خطوهم الأصل العريق في غوايته إليها وإلى السقوط فيها..!

إن الرعامات والقيادات العربية لم تعلم غباها أو قبحها من خارج ذاتها..!

إن كل غباء العالم والكون لا يستطيع أن يعلم زعامة عربية واحدة غباها وافتضاحها.. ماذا لو أن الإله غار أو خجل أو حزن أو تألم أو ندم ممن أصابهم ويصيبهم فرئى وبكى وأراد أن يتوب وصمم أن يفعل شيئاً ليغفر لنفسه مما فعل تصحيحاً وتكفيراً وتوبة فاختر كل أعوانه ومستشاريه ومندوبيه من أنبياء وملائكة وزبانية ومن حوريات وغللمان وغيرهم وغيرهم فأرسلوا إلى أوطان العروبة كلها ليعلموا ويصلحوا وينقذوا ويدرسوا ويحذروا من الوقوع في الفضائح والهزائم والكوارث التي وقعوا والتي سوف يظلمون يقعون فيها.

- نعم، لو أن الإله فعل كل ذلك بكل حنانه وحب ورحمته وذكائه محاولاً أن يغطي بذلك شيئاً من عبويه وذنوبه وعاره وهوانه ودماياته التي لا استطاع ولن يستطيع تغطية شيء منها..؟

كل الذين يعرفون الإنسان العربي يقولون إنه لو فعل ذلك لما حدث إلا النقيض إن لم يكن بد من أن يحدث شيء أي لحدث أن يتعلم الله وكل من معه من الإنسان العربي لا أن يحدث عكس ذلك..

إن الإنسان العربي مهما استطاع أن يتعلم القراءة والكتابة فإنه لن يستطيع أن يتعلم المزايا الإنسانية أو الذكاء أو إبداع الحضارة أو معايشتها بذكاء وبكفاءة أو بقوة..! ليتنا نجعل هذه الحقيقة.

.. وقد يكون من الدلائل على هذه الحقيقة الأليمة أن الله وكل ملائكته وأنبيائه وأعوانه وقرآنه وكل خبرائه ومستشاريه وأديبائه قد جاؤوا ليعلموا الإنسان العربي ما قد قالوا إنهم قد جاؤوا ليعلموه إياه فحدث نقيض ذلك.. فحدث أن تعلم كل هؤلاء النقايس التي زعموا وأعلنوا أنهم إنما جاؤوا ليعلموا الإنسان العربي نقيضها فتعلموها من الإنسان العربي..!

وهل وجد أو يمكن أن يوجد أي كائن بنقايس الإله العربي أو النبي أو الملاك أو الإنسان أو

الدين أو الخلق أو العقل العربي حتى يمكن القول بأنها أي هذه النقايس إنما تعلمت من هذا الكائن؟

إن كل هذا الكون لن يجد من يعلمه كل نقائسه وذنوبه أفضل من الإنسان العربي.١

ولعل الإله لم يوجد إلّا لكي يسلي ويسعد نفسه بمشاهدة نقائص الإنسان العربي.١

.. إن القراءة بمعناها الصحيح أو المطلوب أو النافع أو الحضاري هي نوع من النشاط الإنساني الشامل.. من النشاط العقلي والفكري والنفسي والعلمي والأخلاقي والتاريخي ومن الشوق إلى كل ذلك..!

إنها بتفاسيرها هذه نشاط يرهبه ويعجز عنه الأكثرون فكيف العرب.١

إن العربي كسول جداً في معاليه الإنسانية. في معانيه هذه مهما كان نشيطاً جداً في أعضائه غير الإنسانية أو في أعضائه التي يشارك فيها الإنسان غير الإنسان أو في معانيه غير الإنسانية. إنه أي الإنسان العربي نشيط جداً في هذه وهذه. ولكنه نشاط ضد النشاط.. ضد الحياة. إنه هدم للنشاط ومبّد له وشاغل عنه أي للحياة وعنهما.. إن كل نشاط الإنسان العربي ليس إلّا نشاطاً مضاداً للنشاط..!

حتى نشاطه في صناعة الأولاد ليس إلّا نشاطاً ضد النشاط لهذا فالعربي كسول جداً في القراءة في كل معانيها هذه.. وقد يقال إنه لا يقرأ البتة لأنه لو قرأ وإذا قرأ لا يقرأ بشيء من هذه المعاني للقراءة بل يقرأ إذا قرأ ضد هذه المعاني للقراءة أو يقرأ ما لا تنبغي قراءته أي ما قراءته نفي للقراءة وتحريم وإفساد لها ونهي وشغل عنها..١

ما أكثر القراءة التي هي نفي ورفض وتحريم للقراءة.١

ولأنه أي الإنسان العربي كذلك فإنه يقاوم ويحارب ويرفض ويعلن القراءة بأساليب كثيرة..

من هذه الأساليب أن يزعم ويحتقد ويعلن أن الأنكار والآراء والكتب التي فيها ما لا يستطیع الصعود إليه ليست إلّا مكررة أو كافرة أو مستوردة أو متأخرة؟

والتفسير الشامل لذلك أنه عاجز عن أن يقرأ هذه القراءة المفترسة.. لعل كل صيغ حياة الإنسان العربي أساليب مختلفة للعجز عن القراءة..١

.. إن من يقرأ إنما يحاسب نفسه والوجود والتاريخ والحاضر والمستقبل.. إنما يحاسب نفسه بكل ذلك.. يحاسب كل ذلك بنفسه.. إذن هل يوجد أصعب من القراءة أو أشرف من القراءة بمعانيها هذه؟

.. إن رفض القراءة والعجز عنها إنما يعينان رفض التطور الشامل الصعب والعجز عن هذا التطور أو يعينان الخوف من ذلك والخوف من تحدياته ومن التعامل معه ومن المحاسبة به.١

إن العجز عن رؤية المعاهة في الوجه البريء أو الرفض لهذه الرؤية إلما هو عجز عن القراءة أو رفض لها. إن الرفض للقراءة والعجز عنها إنما يعينان الرفض لهذه الرؤية والعجز عنها..

.. إنه بهذه التفاسير والشروط للقراءة سيظل القارئون في كل العالم هم الأقلين حتى ولو لم يتق

أمر واحد في الكون.. كما سيظل الراؤون والسائلون والمنسائلون والمؤمنون والمتكلمون هم أبداً الأملين مهما أصبح كل من في الوجود ذوي عيون وألسنة مبصرة ومتكلمة وسائلة متسائلة، وذوي معابد وكتب مقدسة ملأى بالآلهة والعقائد والتعاليم المؤمنة بل حتى ولو تحول كل الوجود والكون إلى آلهة وأنبياء وعقائد ومعلمين وأديان وإيمان وتقوى..!

بل كما سيظل الآلهة والأنبياء والشعراء والأنقياء هم أبعد الكائنات عن معانيهم المفترسة المعلنة أي كما سوف يظل الإله أقل ألوهية أي التزاماً بأي معنى من معاني الألوهية، وكما سوف يظل النبي والشاعر والمعلم والتقي أقل نبوة وتعلماً وتعليماً وشاعرية وتقوى ممن ليسوا آلهة أو أنبياء أو أنقياء أو شعراء أو معلمين أي أقل في معانيهم وسلوكهم وأخلاقهم ومحاسنهم ومحاكمين بأنفسهم بل أحياناً وبغيرهم..!



لقد تعذبت طويلاً لكي أجد كائناً أبعد عن معنى الألوهية أو النبوة أو الشاعرية أو التقوى أو الالتزام بالتعاليم من الإله أو النبي أو الشاعر أو التقي... كيف أمكن أن يوجد من لم ير ويعرف ويقرأ كل ذلك بل ويتعذب به؟ إنه لا يوجد كائن معروضة كل فضائحه وذنوبه وأخطائه فوق كل شيء وفي كل شيء مثل الإله والنبي والمعلم والشاعر..!

.. إنه لو حوسب أو عوقب أو عذب أي كائن لخروجه على كل معانيه وتفسيره وشروطه ومزاعمه عن نفسه ولنفسه وعن تفسير كل الآخرين له وتأويلهم فيه وانتظارهم منه وله وعن مزاعمهم له وعنه وفيه.

- نعم، إنه لو حدث ذلك أو وجب ذلك أو التزم بذلك لما أمكن أن يحاسب أو يعاقب أو يحاكم أو يعذب على ذلك مثل الإله أو النبي أو المعلم أو التقي أو الإنسان حتى أصغر وأردأ إنسان.. إن بلادات وذنوب وأخطاء ومظالم ونقائص الإنسان وحده لتغطي كل بلادات وذنوب وأخطاء ومظالم ونقائص كل ما في هذا الوجود وكل من فيه من كائنات.. من كائنات جيدة وردية..!

إن أبشع وألجع ما في هذا الوجود بل في الكون.. في كل الكون: إن الكائن بقدر ما يكون كبيراً أو عظيماً أو يزعم ويعتقد ويعلن ويرى كذلك أو يريد أن يكون كذلك يصغر ويهون في كل معانيه المزعومة المعلنة المعتقد المعلن المفسرة لهذا فإنه لن يصغر أو يهون أو يتبحر مثل الإله أو النبي أو المزعوم كبيراً وعظيماً ونظيفاً جداً..! ولهذا فإن كل إله يصغر عن كل تصور أو تفسير له..! وأيضاً لهذا فإن الإنسان محاسباً بكل تفسيره هو أصغر من كل كائن بكل عبقرياته..

.. وقد يقال أيضاً: لهذا فإن كل حشرة أو كائنة ذليلة تكبر وتعظم عما يقال فيها مهما صغر وهان كل ما يقال فيها أو مهما كبر وعظم كل ما يقال فيها وعنها ولها..!

صعب وتعذيب جداً أن يوهب شيئاً من التفكير أو الرؤية أو المحاسبة أو المسائلة والتساؤل من حكم عليه بمعايشة أو مساكنة أو مواطنة هذا الوجود..!

إن أي إله أو نبي أو ملك لأصغر وأردأ من أخلاقه وأوصافه المزعومة أو المروية أو المعلنة
المستجدة..!

وإن أية حشرة لأكبر وأنظف وأنقى وأسمى وأشرف من أوصافها وأخلاقها ومستوياتها المروية
والمعلنة والمفترة والمحقرة المشتزمة..!



هل معنى هذا أن كل شيء يصغر ويقبح بقدر ما يكبر ويعظم أو بقدر ما يرى ويزعم أو يبدو
كذلك.. لهذا جاءت كل الآلهة تحت كل النماذج في قبورها وصغرها وفسوقها؟

.. إذن هل يوجد أو متى يوجد تفسير جميل أو كريم أو نظيف لأي موجود أو وجود..؟

هل لأي موجود أو وجود براءة أو كرامة غير أن يكون غير موجود؟ هل للأشياء تفسير؟.. إن
كان لها تفسير وحديات وأجزاء فهل يمكن أن تكون لها مجتمعة أية تفسير؟ ولو وجدت التفسير فما
تفسير التفسير؟

لو كان للإله تفسير أو للكون تفسير لعلاقة أحدهما بالآخر ولتعامله به ومعه فهل يمكن أن
يكون لهما معاً أي الإله والكون أية تفسير أي مجتمعين؟ الكون وجد لأن الإله وجد ولماذا وجد
الإله الذي تحول وجوده إلى تفسير لوجود الكون؟

سؤال أول من ابتكر التفسير للأشياء؟ هل يمكن أن يوجد أو يعرف هذا الأول؟ من أين جاء؟
ولماذا جاء؟ هل وجد من تساءل هذه التساؤلات أو شيئاً منها؟ لماذا لم يوجد إن لم يكن قد وجد؟
وإن كان قد وجد فعماذا كان الجواب أو لماذا ينبغي حينئذ أن يكون أي الجواب؟

هل كان يمكن أن يوجد أي شيء لو كان لا بد له من تفسير لا بد من جواب للتساؤل عنه؟
ولكن ما المراد بالتفسير أو التفسير هنا؟

ما أكثر وأشمل وأدوم وأصعب الأسئلة إن كان محتوماً أو حتى مطلوباً أن تكون حين يجب أن
تكون وبقدر ما يجب أو يطلب أو ينبغي أن تكون وبقدر ما يحتاج الموقف أن تكون؟ إنه لن يوجد
حينئذ شيء لا يتحول إلى سؤال.. إلى كل الأسئلة..!

.. وكم هي أصعب وأقسى وأفجع من ذلك إن كان محتوماً أو حتى مطلوباً أو متوقفاً أن تكون
لها أجوبة مقنعة أو مرضية أو حتى مفهومة؟ وهل وجد دين أو مذهب أو نظام أو عقل أو خلق يضع
حدوداً أو قيوداً أو فروقاً بين أجوبة وأجوبة..؟!

.. هل كان يحتمل أن يوجد سائل أو سؤال واحد لو كان لا يوجد إلا إذا كان محتوماً أو
حتى محتوماً أو مطلوباً أو مشروطاً أن يوجد الجواب أو المجيب أي كما يجب أن يوجد ومجيب؟
هل كان يمكن أن يوجد الإله نفسه لو كان محتوماً أن يكون سائلاً ومجيباً؟

قد يكون الجواب أن المراد بالتفسير والتفسير أن يكون للشيء أي للمفسر أو للمراد تفسيره..

.. أن يكون له قبل وبعد.. أن يكون له تخطيط فكري أو فني أو أخلاقي أو جمالي بل وشعري أو إنساني سابق على وجوده وسابق المخطط له هذا التخطيط على وجوده.. هذا هو القبل الذي يجب أن يكون له..

أما البعد أي بعد وجوده فالمراد به أو بعض المراد به أن تكون له أهداف ونتائج تكون التفسير النهائي أو المنطقي أو الأخلاقي أو الفني أو حتى النفعي والأثاني والمزعوم لوجوده..
فهل يوجد هذا التفسير أو شيء منه لهذا الوجود أو لأي وجود؟

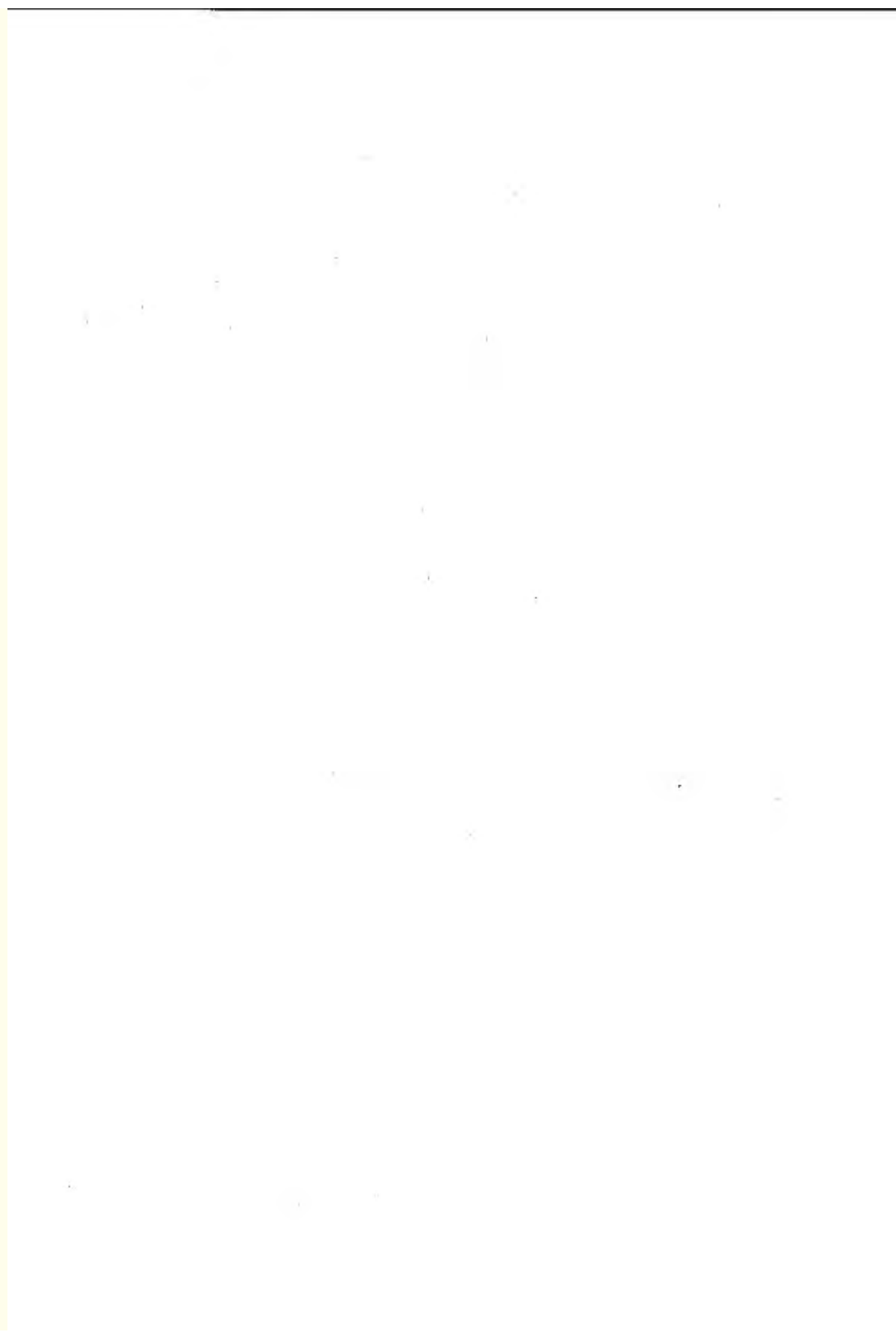
إن كان هذا الوجود بلا إله فهل يوجد له هذا القبل أو البعد؟ وإن كان له إله فهل يوجد للإله أو لأي إله هذا القبل أو البعد؟

.. وإذا فترا مجتمعين أي الإله والوجود أو كل إله ووجود فهل يمكن أن يكون لهما مجتمعين أو مفترقين هذا القبل أو هذا البعد أو أي شيء منهما أي من هذا القبل أو هذا البعد؟
إنه لا تفسير للوجود مريئاً ورؤية واحدة ولا تفسير له مريئاً ورؤى متعددة وإن أي تفسير لن يكون له تفسير..!

إنه لو فسر هذا بذلك لما كان لذلك تفسير، ولو فسر ذاك بذلك لما كان لذلك تفسير..
إنه لو فسر المولود بالوالد لما كان للوالد تفسير، ولو فسر الوالد بالجد لما كان للجد تفسير.
ولو فسر الشيء بسببه لما كان لسببه تفسير، ولو فسر سببه بأسبابه لما كان لأسبابه تفسير، ولو فسر الجزء بالكل لما كان للكل تفسير، ولو فسر الموجد الموجد بالموجد لما كان للموجد تفسير، ولو فسر الإنسان وكل شيء بالإله لما كان للإله تفسير، ولو فسر الإله بنفسه وبكل شيء وكل أحد لما كان لنفسه ولكل شيء وكل أحد تفسير..!

إن خروج كل شيء على كل التفاسير حول كل المواجهين لذلك إلى مفسرين..!

إن كل من جاؤوا ليفسروا إنما جاؤوا ليعلموا أنه لا تفسير..!



إنها لأخطر مؤامرة أن يترك العرب يتعلمون القراءة والكتابة

إلى الصديق أو الذي كان صديقاً أو الذي اعتقدته وأمنت به صديقاً أو الذي تمنيت وأمنته أهدأ صديقاً أو الذي أرجو وأصلي وأتعبد بلا إله لأجده صديقاً، أو الذي يجب ويطلب أن يكون صديقاً..
لقد كنت ولا أزال وسوف أظل أريد الكتابة إليك.. إني أسعد وأتعزى وأندأوى وأقوى وأستقوى وأبحث عن الانتصار المفقود بالكتابة إليك..

هل البحث عن الانتصار بحث عن الانتصار أم عن أفجع معاني الانهزام؟
.. ولكنني وجدت أو اعتقدت أو ظننت أو تصورت أو خفت أو وسوست - وكم أتمنى أن أكون مخطئاً - إنك تكره وترفض وتفي أن أكتب إليك حذراً، حذراً..

بل وتؤمن وتدين وتحترم إلهك ونبيك وإيمانك وتقواك وحجك وصيامك وقرآنك بالآ أكتب إليك بل وتشاءم وتنوحس وتستعبد وتقرأ كل سور المعوذات.. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَائِسِ﴾ - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾...

.. تفعل كل ذلك راجياً ومطالباً ألا أكتب إليك.

لكي تحمي مكانك ومكانتك وكنونتك وبراءتك والرضا عنك من غضب وعقاب وحساب إيمان وتقوى مجتمعتك العربي.. المؤمن بلا تقوى، والمطيع المستسلم بلا صدق أو فهم أو احترام أو إيمان أو حب أو اتباع، والمصلي بلا طهارة أو تطهر أو وضوء نفسي أو فكري أو أخلاقي أو حتى مكاني أو جسدي..

والمناضل أي مجتمعتك العربي بلا ميدان أو معركة أو مواجهة أو انتصار.. والواعظ المعلم المصدر للأديان والآلهيات والنبوات والأخلاق بلا اتعاض أو اقتداء أو التزام، والمحترق المحرق حماساً وتحميساً بصوته وخطبه وشائمه بلا أي قدر من الحماس أو التحميس في رؤاه أو خطواته أو هجماته أو عضلاته أو ضرباته.

بل وتحاول أن تحافظ على دينك وقوميتك وتاريخك وعقيداته وبسالات وأصالات العروبة بأن ترفض وتكره وتقاوم أن أكتب إليك بل وتصلني لذلك في كل كعبات ومقامات ومعابد العروبة والإسلام راجياً ألا أكتب إليك..

بل وتنشد كل الآلهة الموجودة وغير الموجودة طالباً منها أن تقتل وتدمر كل الورق والأقلام لكي أعجز عن الكتابة إليك.. عن إرادة ونية الكتابة إليك..!

بل وتتمنى أن تنطفئ وتموت وتسرق كل الشموس وكل الأجهزة الصانعة للنور وللرؤية لكي لا أستطيع أن أكتب إليك..!

.. إن حزني وانفجاعي قاسيان قاتلان محرقان لأن الدلائل على موقفك هذا كثيرة قوية حاسمة متكررة متجددة..!

إنكم حتماً تعرفون ذلك وتعرفون ما يقنع كل الإقناع بأنكم كذلك سلوكاً وروية ونية وتعبيراً بل وإصراراً.. تعبيراً عن التقوى العربية واحتراماً للتقوى العربية التي لم توجد والتي كم يخشى ألا توجد؟ نعم، ومن أجل ذلك قررت بكل الأسي والعذاب أن أعاقب وأعذب نفسي وكل معاني الإنسان في كل العقاب والعذاب بكل معانيهما وتفسيرهما.

أي بأن أمتنع عن الكتابة إليكم وعن التفكير في ذلك وعن التأمل فيه..! كيف استطعت أو جرؤت أن أقسو على نفسي كل هذه القسوة باتخاذي هذا القرار ضدها؟

.. إن هذا القرار قرار لحظات. وهل يكون قرار اللحظات قرأراً أبدياً؟ هل يمكن أو يقبل تفسيره بذلك أو أن يفسر كذلك؟ ليت الإله يستطيع أو يعرف أن يعاقب ويحاسب نفسه بشيء من محاسبي ومعايبي لنفسي. ما أجمل كل شيء حينئذ..!

لهذا، لكل هذا ولتفسير أخرى فإن هذه الرسالة التي لا بد أن تتحول أو التي يجب أن تتحول إلى أقسى وأغزر البكاء والدموع في عواطف وأخلاق وعيون كل الآلهة الجافة المجردة المحرومة أبداً من كل البكاء والدموع لأنها الجافة المجردة المحرومة أبداً من كل الرؤى والعواطف والحب والرحمة والحنان بل والإيمان. ما أقيح وأبلد وأفجر الآلهة الخالقة الفاعلة المعاشة المواجهة لكل هذا دون أن تغرق دموعاً وبكاء وأسى..

- نعم، فإن هذه الرسالة لكل هذه التفسيرات الموجهة الفاجعة لم تجرؤ ولن تجرؤ أن تقول أو ترى أو تعتقد أنها موجهة إلى من كل سعادتها وفرحها وإرادتها في أن تكون موجهة إليه.. إنها ليست إلى من أعذب وأسى أقسى العذاب وأقسى الأسي لحرمانني ورهيتي واستحيائي من الكتابة إليه..

إنها رسالة إلى انفجاعي، انفجاعي بكم بل لكم.. بقومي بل لقومي.. لكل قومي تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً..

نعم، لقومي وبكل قومي في كل عصورهم وأوطانهم لأن ما فجعني هنا لا بد أن يكون فجعة لي بكل قومي لأنه لا بد أن يكون تفسيراً لكل قومي تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً لأن الأبناء يحملون مواهب وخصائص واحتمالات الأجداد والآباء لينقلوها إلى كل الأبناء والأحفاد.. إنهم حبالى بذلك ولا بد أن يلدوا حبلهم..!

إن موهبة وطاقة وبسالة الكذب والنفاق والهوان والركوع والسجود والافتضاح مع مواهب

وطاقت ولغات الغرور والكبرياء والزهيل والوقاحات والبداءات في المتنبي وأمثاله من عباقرة العروبة لا بد أن تكون موجودة مزروعة ومكونة متكونة في كل أجيال العروبة.. أجداداً وآباء.. أبناء وأحفاداً.. رقيب تبيع فاجع ذلك.. المتنبي المتنبي وأمثاله مزروعون في مواهب وأخلاق أبنائنا وأحفادنا. فظيع، فظيع!

انظروا، انظروا إلى عرب اليوم.. إلى كل شعراء وأدباء وأنبياء وكُتّاب وعلماء وزعماء وقادة عرب اليوم لتعرفوا أهوال وقبح هذه الحقيقة.. اقرؤوا آلهة التاريخ ثم انظروا إلى آلهة اليوم وحاسبوها ثم قولوا ماذا وجدتم ورأيتم وعرفتم!

.. نعم، كانت هذه الفجيعة.. فجميعتي هذه. كانت حين قرأت كلمة في صحيفة بعنوان: وحكاية العربي الخائف من مصير الهنود الحمراء..

أه، كم تمنيت حين قرأتها أنني لا أعرف اللغة العربية..

ألست معرفة اللغة العربية عذاباً بل كل العذاب؟

إذن كيف يمكن تصور عذاب وانفجاع واشمئزاز من لا يعرف إلا اللغة العربية أي إن كانت رؤاه وأخلاقه وأفكاره وحساباته وتطلعاته غير عربية؟

.. بل كم كان واجباً عليّ حينئذ أن أتمنى أنني لا أعرف القراءة بل ولا أستطيع أن أتعلم القراءة..

لقد كان هذا التمني هو أقل ما تفرضه عليّ وتوقعه بي هذه الصدمة المفاجعة.. الفاجعة بقراءتي لكلمتكم هذه..!

كم يجب على الإله أن يحزن بل وأن يعاقب نفسه لأنه أراد وصاغ الإنسان العربي قادراً على أن يتعلم القراءة والكتابة..! لماذا أراد الإله ذلك؟ هل أراد به خيراً أم جهلاً؟ هل أراد به خيراً عن العار والافتضاح أو تغلباً بالعار والافتضاح؟

.. كم يجب عليه أي على الإله أن يفعل كل ذلك بنفسه لو أنه قرأها أو سمع من يقرؤها..! كل أنبيائنا وعلمائنا وفقهائنا وشعرائنا وأدبائنا وشيوخنا مزروعون في كل أبنائنا وأحفادنا وأجيالنا الآتية.. الآتية.. في عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وفي كل مواهبهم!

هل يمكن تصور ما يهددنا ويفضحنا ويحققنا ويشتمنا مثل هذا؟

ما أصعب وأقسى وأوقع وأصدق هذه الكلمة التي تريد أن تقول: إنه لأقسى وأشمل وأدوم فضح وتحقير وهجاء للعرب أن يتركوا يتعلمون القراءة والكتابة.

إن ذلك لأفدح وأقبح وأفجر إعلان عنهم، كم من الستر عليهم ولهم أن يكونوا عاجزين عن أن يتعلموا القراءة والكتابة. ألا يمكن أن يقال بالأسلوب العربي بل والتفكير العربي والاعتقاد العربي ومنطق كل أجهزة الإعلان والدعاية العربية: إنه أي ترك العرب يتعلمون القراءة والكتابة بل والكلام بل وأن يكون لهم أنبياء ونبوت وأديان: إن ذلك أضخم وأخبث وأمكر مؤامرة أرادتها ودبرتها وصاغتھا

ونفذتها وأشرفت عليها كل مواهب وطاقت وعقريات وخبث كل الإمبرياليات والصهيونيات العالمية والكونية بل وكل ما في هذا الكون من قوى وكائنات وآلهة.. كل همومها وامتصاصاتها أن تنافس وتعادي وتقاوم العروبة حسداً وغيرة وجبناً وخوفاً بل ورغبة من تفوقها بكل تفاسير وصيغ ومعاني التفوق بكل مستوياته وإهاناته وآلامه وهزائمه؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد فاضح للعرب أو معلن عن فضائليهم ونفائسهم وضعفهم وغبائهم بل وعن جبنهم وجهلهم وكذبهم ونفاقهم بل وفسوقهم ووحشيتهم وهوانهم.. مثل أنبيائهم ونبواتهم وأديانهم وعلمائهم وشعرائهم وفقهائهم وزعمائهم وقادتهم وعباقرتهم مهما كان كل شيء فيهم فضحاً وافتضحاً. مهما كان كل شيء فيهم فاضحاً مفضوحاً؟.. ما أعظم وأفظع الافتضاح الذي يجيء في صيغ أنبياء وعلماء وشعراء وزعماء وعباقره وآله.

.. إنه لولا هؤلاء لجاء وظلّ افتضاح العرب هائلاً أو صامتاً متخفياً مستتراً مستحيباً محتجباً متواضعاً غير مقروء أو مسموع أو مرئي أو معروف أو معروض.. إذن هل يوجد شاتم معبر للعرب مثل أنبيائهم وشعرائهم وأديانهم وعلمائهم وزعمائهم وقادتهم؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد افتضاح مثل افتضاح قومي العرب وعرض لأي افتضاح مثل عرض قومي العرب لافتضاحهم؟

أليست هذه مؤامرة كونية عالمية بل وإلهية على العروبة وأنبيائها؟ أليس كل شيء في هذا الكون وفي كل كون مؤامرة على العروبة منافسة لها وخوفاً منها وحسداً لتفوقها؟

نعم، أليست مؤامرة أخرى ألا يقال بكل أجهزة ووسائل وأصوات الإعلان والتعبير..

ألا يقال بكل هذه الأساليب: إن ترك العرب يتعلمون القراءة والكتابة والكلام.

بل وتركهم ليكون لهم أنبياء وزعماء وخطباء وشعراء وأدياء وفقهاء وعلماء ومعلمون ومفاوضون ومحاورون وعباقره وأديان وكتب مقدسة ومنابر ومحارِب ليكون افتضاحهم والإعلان والتعبير عنه كما كان وكما هو كائن وكما سوف يكون أجل، إنها مؤامرتان ليمتدان على العرب..

لإحداهما تركهم يتعلمون القراءة والكتابة بل والكلام بل وأن تتركب فيهم أقواء وألسنة..!

.. والأخرى الصمت عن إعلان هذه المؤامرة وعن الدعوة إلى الحشد.. كل الحشد لمقاومة هذه المؤامرة بكل الأسلحة والألسنة..

قد يقال هنا بكل الحماس والرؤية والاهتمام والصدق: وهل وجدت الآلهة أو الحضارات أو الكون أو أي شيء إلا لتدمير وتخطيط وصنع المؤامرات لإيقاعها بالعالم العربي؟



كم أرجو بل وأطالب أن تكونوا أنتم المصححين مطبعياً لهذه الرسالة.. لهذه السورة غير القرآنية.. لهذه القصيدة غير العربية.. لهذه النبوة غير المحمدية.. لهذه التعاليم غير الإسلامية.. لهذه الاحتجاجات والانفعاعات والقراءات والتساؤلات والاحتراقات التي لن تكون عربية أو إسلامية أو إلهية.. التي لن تكون عدوانية أو قحطانية..!

كما أرجو وأطالب أن يكون نشرها في المكان الذي نشرت فيه كلمتكم. أليس ذلك تشريفاً وشرفاً ومجداً وسعادة لها؟ كما أرجو وأطالب أن تصل إلي نسخ عديدة من العدد الذي تنشر فيه.. من العدد الذي تنشر فيه لتتحول كل الأمجاد إلى حسد وغيرة وهزائم أمام مجده ومن مجده.. مجده الذي صنعه له نشرها فيه.. صحيفة عربية تجرؤ وتقبل وتخاطر أن تنشر مثل هذا الجنون الذي لن تصدق أو تتصور كل رؤى وذكريات وتجارب كل الآلهة أن عربياً قد أصيب أو قد يصاب به..!

إذن، إذن أليس محتوماً أن تمرض وتتعذب غيرة وحسداً وعجزاً كل سور وأسفار وإصحاحات القرآن والتوراة والإنجيل أمام الصحيفة التي لا بد أن تكسب وتملك كل المجد وكل المنافسة على المجد لنشرها هذه الكلمات التي لن تصدق أن تسمى أي شيء من معاني الكلام أو صيغه..! .. كتبه.. وهل كتب؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد من يكتبه أو من يقبل أن يكتبه أو من يقبل أن يتهم بأنه كاتبه؟ حتى الآلهة هل تجرؤ على أن تصدق أن كاتباً قد كتبه فكيف تجرؤ على التصديق بأن عربياً قد كتبه؟

.. كتبه العربي الذي لم يوجد والذي كم كان يجب أن يوجد والذي لو وجد لما صدق أحد حتى ولا الإله أنه قد وجد والذي لن يوجد أو حتى يتصور أقسى أو أردأ حظاً منه لو وجد وهو عربي ولد ووجد وحوصر في العالم العربي وفي اللغة العربية.

.. كتبه العربي الذي لا بد أن تتعذب كل الآلهة لكي تتصور وتصدق ذلك..!

.. كتبه العربي الذي لا بد أن يتحول وجوده وكتابه له إلى فجعية وهزيمة وإذلال وتكذيب وصدمة وإهانة لكل حسابات وتقديرات ومقاسات وتمنيات وطاقت ورؤى وتجارب الآلهة. كل الآلهة.. هل يمكن أن يصدق أحد أن عربياً يعيش في العالم العربي ويتكلم اللغة العربية فقط قد كتبه باللغة العربية، حتى الإله هل يستطيع تصديق ذلك أو حتى تصوره أو حتى الغفران لمن صدقه أو تصوره؟

إذن هل يمكن تصور عذاب وانفجاع وضياح واغتراب كاتبه إن وجد؟

كيف جرؤت الآلهة أن تخترق وتشوه صيغة الإنسان العربي الواحدة الدائمة وتعندي عليه بأن ابتكرت وابتدعت فيه هذا الإنسان الواحد الأليم؟



قد أجد بل يجب أن أجد ومحتوم أن أجد كل الغفران.. غفران منطق وأخلاق اللغة والحوار والمخاطبة وغفران منطق القارىء وأخلاقه حين أقول بأسلوب قد يشبه التكرار وقد يقال إنه تكرار لكلمات قد سبقت - حين أقول:

إنه لا يوجد ولم يوجد غير العربي أو مثل العربي مؤمن بلا أي معنى من معاني الإيمان، أو تقي بلا أية صيغة من صيغ النفوى، أو صاحب أقوى وأقصى دين بلا أي تدنٍ بالقلب أو الفكر أو السلوك

أو النيات أو حتى باللغة أي بالتهذيب اللغوي، أو مطيع خاضع راكع ساجد بكل هامته وقامته وجهته وركبته ولفته وبكل أعضائه بلا أي إخلاص أو اقتناع أو التزام أو تفسير أو تمجيد لمعنى الطاعة أو تكريم أو إعزاز أو انتصار أو مجد للمطاع..

أو حاج سائب مقصد لمن يطيع..

أو مصلي بلا أي معنى من معاني الصلاة.. بلا أي صفاء أو جمال أو قداسة أو براءة بل وبلا أي تعامل أو تخاطب أو شوق مع من يوجه إليه صلاته بل وبلا أي احترام له، أو مناضل محارب بلا أي نضال أو حرب، أو منتصر كل الانتصار في كل المعارك والمواجهات لأنه مهزوم كل الانهزام والهزائم في كل المعارك والمواجهات ولو المعارك والمواجهات التي قد تكون بلا معارك ولا مواجهات أو التي قد يكون أقواها وأشهرها هي التي لم تكن ولن تكون..!

أو واعظ معلم باصق مستفرغ مصدر لأقوى وأقسى الأديان والآلهة والأنبياء والأخلاق والتعاليم وأشهرها دون أن يتعامل أو حتى يتصادق أي معنى جيد من معانيه مع أي شيء مما يصق ويستفرغ ويعلم ويعصم..

أو مؤلف وكاتب ومنشد وقارئ لكل دواوين ومعلقات وسور وآيات الحماسات والمصاهلات والمزاعرات والعواثيات دون أن يصاب أي شيء من رؤاه أو أخلاقه أو أفكاره أو حساباته أو اشتراطاته أو حركاته أو مواجهاته بأي قدر من الرؤية أو الانفجاع أو الاشتمرار أو الغضب أو الغشيان أو حتى من النبض أو الحرارة أو الاستيقاظ مهما واجه وفعل ما لا تستطيع أصغر وأردأ الحشرات مواجهته فكيف فعله؟

أو صانع موفد لكل الشمس وهو العاجز عن إيقاد شمعة فكيف إيجادها؟ أو غازٍ مفسر للكون على أجنحة أنبيائه وتعاليم نبواته وهو الذي يذوب خوفاً من خسوف أو كسوف شمسهِ أو قمرهِ؟

أو راهب مبدع لكل الحضارات وهو المفسد المشوه المحقر لكل حضارة فرض عليه ملامستها أو رؤيتها أو التحدث عنها أو ادعاؤها فكيف معاملته لها وتعامله بها؟

أو معلم لكل العالم ولكل التاريخ القراءة والكتابة وهو الأمي الذي تمدحه ألوهياته ونبواته وكتبهِ المنزلِ المقدسة بأنه أبدي الأمية ويمدح آلهته وأنبياءه بأبدية أميتهم - وهو المادح الممدوح بالأمية الأبدية التكوينية والدينية؟

هل هذا كل الإنسان العربي أم شيء منه؟ إن كل هذا ليس إلا شيئاً من نماذجهِ وتفسيرهِ الشاملة الدائمة الثابتة المقررة المفسرة عالمياً وكونياً في كل أكوانه وكيونياته وتاريخهِ والتي يتفرد بها وحده دون أية مشاركة أو منافسة بل لا يطمع أو يريد أي كائن أو أي شعب أن يشاركه أو ينافسهِ في شيء منها..!

.. إنه أي الإنسان العربي هو كل الإيمان والتدين والتقوى والمجد والنضال والجمال والقوة والذكاء والانتصارات والعجريات والعطاء الإنساني والحضاري والذهني والأخلاقي..

.. إنه كل التفسير لكل الأنوحيات والنبوءات وكل الطرق إلى الآلهة والأنبياء.. إلى الفردوس.

.. إنه كل ذلك، كل ذلك وحده أي في اعتقاد وتعاليم ودعاوى وأصوات وآيات وسور وأشعار وأقلام ومنابر ومحارِب ودعوات وصلوات وإعلانات وقراءات كل آلهته وأنبيائه وشعرائه وأديائه وخطبائه وفقهائه وعلمائه وعقلائه وسفهاءه ومعلميه ومفسريه.. صفاءه وكباره.. زعمائه وقادته.. إنه أي الإنسان العربي ليرى أن الآلهة لم تتعلم الانتماء إلا لكي تنسجم له ولا الكلام إلا لكي تكلمه..!

.. ولكنه وحده كل التقيض لكل ذلك بل كل الرفض والهدم والنشوب والإفساد والمقاومة لكل ذلك..

أي سلوكاً ونبات وأخلاقاً وأفكاراً ورؤى وتفسيرات وطاقت وإحتمالات وتوقعات.. تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً.. إن المسافة بين العربي ولغته كالمسافة بين الإله ودعايته وأدعائه..!

.. ليته يوجد من يستطيع تكذيب ذلك بالرؤية لا بالرواية بالنص لا بالتفسير.. بالصورة لا بالتصور.. بالواقع لا بالتوقع.. بالعقريات لا بالنبوءات. ليت النبوءات لم تكن إذا كانت تعني أن تكون البديل عن العقريات كما عنت عند الإنسان العربي..!

نعم، ليته يوجد من يستطيع تكذيب ذلك.. ليت كينونات الإنسان العربي تكذب ذلك أو شيئاً منه.. تكذبه بالمعاناة والابتكارات لا بالتلاوة والتفسير للسور والآيات.. بقراءة وتفجير وتحطيم الصخور لا بقراءة وتفسير وتمجيد وانتظار القبور.. سكان القبور.. بخطي الموتى لا بلعن من لا يصلون لقبورهم ويحفظون ويفسرون تراثهم.

.. بالإنسان لا بالإله.. بالشيطان الحاضر الظاهر الفاعل لا بالإله النائم الغائب الذي لن يستيقظ أو يحضر.. بأن يصبح الإنسان بديلاً عن الإله لا بأن يظل الإله بديلاً وتعويضاً عن الإنسان..!

ليت هذا التكذيب بهذه التفسير يوجد. لماذا لم يوجد؟ هل ينتظر أن يوجد؟

ماذا تقول كل العلامات والرؤى في ذلك؟

إن من أصل وأردأ مواهب العربي أنه لا يريد أن يستطيع أن يكذب بالكينونة والعمل تفسيره الرديئة الأليمة..!

آه.. إن هذه الأنثى والحسرات والتعنيات تتفجر وتتحول إلى أسئلة..

في هذا الوقت الذي يجب أن تهرب أو تتنحرف فيه كل الآلهة وأن تنساقط وتنطفيء وترفض المحيي والزوغ كل الشمس والنجوم والشموع..

خوفاً وانفجاعاً واشمزازاً واستحياءً من أن ترى أو تواجه أو تسمع أو تفهم أو تقرأ..!

.. إنه الوقت الذي أعلنت فيه إسرائيل لكل العالم وأرت وأقنعت كل العالم أن كل قبور ومقابر كل العرب هي قبور ومقابر كاذبة مكذوبة مكذوب عليها وبها.. إن للكذب مخازن وإن أكبر مخازن الكذب هي المقابر العربية وإن القبور لتكذب وإن القبور العربية هي أكذب الكذابين..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد كاذب مكذوب عليه وبه مثل القبور؟ قد ينافسها في ذلك بل ويتفوق عليها الإله بل كل إله وليس الإله العربي وحده..

.. لقد أثبت إثبات رؤية وسماع ومواجهة وفجعة أنها حروف بلا لغة وخزائن بلا مخزونات وأنها فارغة من كل شيء وأي شيء يوهب أو يهب أو يمتلك أو يستحق أن يروى أو يروى عنه أو حتى يقرأ أو يقترأ أو يحلل أو توضع له أية حسابات أو مقاييس أو موازين أو أن تتواجه أو تتصادم أية منافسة عليه. يجب ألا ننسى أن الحديث هنا عن القبور والمقابر العربية.

.. لقد أثبتت إسرائيل ذلك لكل العالم، لكل شيء ولكل أحد حتى للإله الساذج الضائع المخلدوع الذي كان يحسب بل ويعلن بكل الكبرياء والرضا أنه يختزن في هذه القبور والمقابر أعظم وأعلى وأجمل الكنوز.

- نعم، لقد أثبتت إسرائيل كل ذلك بمواجهاتها الشاملة المتنوعة المتواصلة لعرب اليوم الذين أفرزتهم واستفرغتهم أصلاب وأرحام هذه المقابر والقبور..!

لقد فسترت إسرائيل كل من في قبورنا ومقابرنا منذ البداية.. منذ الأزل، وكل من سوف تلد أصلاينا وأرحامنا إلى النهاية.. إلى الأبد بتفسيرها لنا اليوم..!

لقد فسترت آباءنا وأبناءنا في كل كينونات الماضي وكينونات المستقبل بتفسيرها لكينونتنا الحاضرة..! لقد استطاعت إسرائيل بكل اليسر أن تفسر آباءنا الذين عجزت كل التفاسير عن تفسيرهم. لقد أثبتت فراغ مقابرنا من كل مخزونات جيدة أو نفيسة..!

كنت يا بغداد يوماً كل أنهار الحضارة

إلى منجم الحب والصفاء والوفاء

.. إلى كل صيغ وتفسير الجمال الإنساني



أشكو إليها.. إلى بغداد، بغداد التي كانت في إحدى بدايات التاريخ أو في أجمل وأقوى بداياته أو في أولى بداياته الكبيرة العظيمة. ما أفسى وأصعب البدايات الصغيرة فكيف البدايات الكبيرة..! ما أصعب وأفسى بداية الإنسان فكيف بداية الإله؟ ما أصعب البداية المطلقة..! وهل يمكن أن توجد بداية بلا بداية.

.. إلى بغداد التي كانت في تلك البداية عاصمة أو أولى عاصمة عالمية، كونية للتفكير والعلم والثقافة والفلسفة ولكل الفنون والحضارات والمذاهب والآراء والانتماءات واللغات والمتابر والمعابد الحرة العالمية الكونية المستقبلية المصافحة المعانقة القارئة لكل العالم.. لكل الإنسان.. والمصدرة المعلمة المقرئة الباسمة المحيية لكل العالم لكل الإنسان.

.. المسافرة المهاجرة إلى كل العالم.. إلى كل الإنسان.. المسافر المهاجر إليها كل الإنسان.. كل العالم..

التي كانت - وما أعظم مجدها وتاريخها هذا - كانت كل المصاحف والتوراة والأنجيل.. وكل المعارضين والرافضين والناقدين لكل ذلك أي لكل المصاحف والأنجيل والأسفار ولكل تورا.. والتي كان كل العالم يسافر ويهاجر إليها بكل أضواءه الفكرية والثقافية والحضارية..

.. نعم، أشكو إلى بغداد هذه.. إلى بغداد التي كانت وإلى بغداد الكائنة والتي سوف تكون والتي سوف تستمر تكون، وتكون وأبدأ تكون. والتي أرجو وأطالب أن تكون أعظم مما كانت حينما كانت إحدى أو أعظم والدات التاريخ.

.. أشكو إليها أي عربي من أعماق الصحراء.. من أعماق العروبة.. وأني مصاب بمرض غريب لا يستطيع ولا يراد الشفاء منه بل ويجب ألا يراد أو يستطاع الشفاء منه. من هذا المرض الشاذ الغريب الذي ما أصعب وأعجب أن يصاب به الإنسان العربي مهما أصيب بكل الأمراض الأخرى الحيوانية..!

آه، ما أكثر البشر المصابين بالأمراض الحيوانية وما أقل المعصبين بالأمراض الإنسانية.

.. إني مصاب بهذا المرض يا بغداد، يا بغدادى هذه التي أقرؤها وأذكرها وأتداوى وأتعزى بقراءتها وتذكرها وأحزن وأشكو وأتضرع إليها وأتصورها موجودة معادة عائدة بتلك الروح ولكن بأطوار وأساليب ومستويات وصيغ أخرى، أقوى، أقوى..

.. مصاب يا بغدادى هذه بمرض الصدق الفكري والرؤية والتساؤل والاحتراق والاشتراط والمحاورة والمحاسبة وبكل آلام الانفجاع العقلي والنفسي والفني والأخلاقي. بكل أهاته وأناته. ما أقسى هذا المرض. ما أقساه. لهذا ما أقل المصابين به..!

.. مصاب بهذا المرض على غير قياس بل وأكبر وأندح من كل قياس أو حساب أو توقع أو تصور..!

.. مصاب بهذا المرض الذي لم يوجد ولن يوجد له طبيب أو طب أو مصحح أو اهتمام أو حتى شيء من المسكنات والمهدئات.. بهذا العرض الذي لن يوجد للعربي المصاب به شركاء أو نظراء أو زملاء.

.. ولأني يا بغدادى مصاب بهذا المرض بكل هذه القسوة هذا العرض الذي يرفض أو يعجز أو يخجل أن ينزل في ذات عربي اليوم والذي ترفض وتمعز بل وتجهل ذات عربي اليوم أن تكون مأوى أو سكناً أو مضيئاً له. أه. هل يمكن التصديق أو التصور أن مرضاً ما يرفض أن يصيب الذات العربية احتراماً لنفسه؟ أجل، يا بغدادى لأنني مصاب بهذا المرض بكل هذه الفداحة والوحشية فلأني في عالمي العربي اليوم لا أستطيع أي تعبيراً أن أكون عقلي أو تفكيري أو قلبي أو ضميري أو رؤيتي أو إيماني أو أخلاقي أو صوتي، صوتي أو حتى صورتي، صورتي بلا حجاب كفيف، كفيف أي بلا تزوير شامل ودائم..!

إن العرب لا يضعون الأحجية على شيء مثلاً يضعونها على التفكير والرؤية والحرية..!

.. لا أستطيع في عالمي العربي أن أكون شيئاً من ذلك قارئاً أو قائلأ أو كاتبأ أو طابعأ أو ناشراً له أو معلناً متحدثاً عنه أو مؤمناً به.. هل استطاع أو يمكن أن يستطيع أي عربي في كل وجوده أن يكون شيئاً من ذلك؟

وأنا لا أستطيع كما لا أريد أو أجرو أن أكون مزوراً لذاتي أو ساكناً في غيرها أو منطلقاً من غيرها أو متعاملاً مع غيرها أو بائعاً لها بأي ثمن من الأثمان المعروضة في الأسواق العربية كما تطالب وتفرض وتعلم جميع الأسواق والمنابر والمحاريب والأذان والمذاهب والاتسمعات والأخلاق والأصوات واللغات العربية..

وكما ترفض بكل القسوة وبكل أساليب البطش أي كل المجتمعات العربية بكل أجهزة ووسائل التعبير أن يتخلق فيها أي شيء أو أي قدر من الصدق أو التفكير أو الرؤية أو البسالة أو النظافة أو حتى من المحاوراة أو المساءلة أو التساؤل ليعيش أو حتى يوجد أي ذلك الشيء أو القدر ولو تحت كل ظروف ومشاعر وآلام الاغتراب والاختفاء والتخفي والضعف والعدوان والرفض والتهديد الصانع لكل الرعب في كون بل في أكران واسعة مطلقة من الكذب والتفاني والهوان والاستسلام والبلادة والنذالة

والعمى والسقوط والأصوات الهائفة المصلية لكل ما هو قبيح وبليد وفاجع ومهين.. اللاعنة المهتدة لكل ما هو حر وذكي وباسل وصادق..!

.. لكل رفض أو حتى نقد لأي وثن من الأوثان المائلة لكل حقائق ومقابر ومتاحف ومسطور التاريخ!

هل يمكن أن يوجد أو يتصور اغتراب أو عذاب كاغتراب وعذاب من يصمم على أن يكون في كل تعبيراته أو حتى في شيء من تعبيراته مهما كانت متخفية وحذرة وخافتة.

- أن يكون صادقاً أو مخلصاً أو حراً أو قوياً أو أياً أو ذكياً وهو يحيا أو يوجد في مجتمع لا يعيش أو يسود أو يسمع أو يقرأ أو يقبل أو يغفر فيه إلا الكذب والنفاق والجهل والبلادة والاستعباد بكل صيغه وتفاصيله بل ويعاقب بكل ألوان العقاب كل من لا يكون كل ذلك بل وكل من قد يعارض شيئاً من ذلك أو من لا يرضى ويمجد كل ذلك؟ أليست وحدانية الغباء والكذب والنفاق والسقوط مفروضة ومنقذة في العالم العربي أكثر وأقسى من وحدانية الإله؟

.. آه يا بغداداي، يا بغداداي هذه التي كانت والتي أرجو أن تعود وتكون أي بتلك الروح والتسامح والسماحة والحرية التي كانت وبذلك الكينونة الكونية العالمية.. العلمية والفكرية والثقافية والاعتقادية والفنية والتعبيرية والحضارية.. التي كنتها وكانك يا بغداداي.. في ذلك الزمان.. زمان طفولة التاريخ وطفولة كل شيء.. طفولة السماء وطفولة الآلهة.

- أي مهما كان واجباً ومحتوماً وجيداً أن تنافوت وتتصاعد كل الصيغ والأساليب والمستويات والرؤى والتفسير والقيم لتلك الروح والحرية والسماحة والكونية العالمية التي كانت أي التي كنتها وكانك يا بغداداي. يا عاصمة البصرة والكوفة.. يا مطلع الشمس والقمر والنجوم في إحدى بدايات الكينونة. كينونة الإنسان والحياة..

يا أول وأكبر مهدود التاريخ الكبيرة أو أحد مهدود الكبيرة.. هل يقبل أو يمكن أن يكون من ولدوا التاريخ وربوه وعلموه وحضروه أقل ممن ولداهم ورباهم وعلمهم وحضروهم التاريخ أو ألا يسيروا مع التاريخ الذي ولدوه وربوه وعلموه وحضروه؟

أجل يا بغداداي بكل اللهفة والاحترق أشكو إليك.. أشكو إليك!

هل يخيب من يشكو إليك مثلهفاً متطلعاً منتظراً مؤملاً متذكراً مذكراً ذاكرةً مطالباً محاولاً أن يكون ذاته فقط.. أن يكون كل ذاته أي تفكيراً وتعبيراً ورؤية وقبولاً ورفضاً.. إيماناً وكفراً.. أن يكون كل ذاته، ذاته فقط طباعة ونشر وأعرضاً ثائلاً وكاتباً.. صامتاً وصامتة يده عن الإمساك بالقلم.. أن يكون حراً في أن يرى ويفكر ويعبر ويكون بقدر حرية من يكذبون وينافقون ويركعون ويثبوتون ويثبوتون ويعمون ويتبلدون؟ كم أتمنى أن توجد أي في العالم العربي حرية تجرؤ على أن تنافس أو حتى تواجه حرية الكذابين والمنافقين والمزورين والراكعين والمتبلدين والمتلوذين العلوتين الباصقين على كل العقول والعيون والأخلاق!

نعم، يا بغدادى.. يا كوفتى، يا بصرتى، يا كل أشواقى وحبى يا من كنت فى عصرك أقوى
أجنحة التاريخ والمستقبل لكل طيران التاريخ!

هل يخيب أو تقبلين أن يخيب هذا المستغيث بك.. هذا العربى القادم المنطلق من أعماق
التاريخ.. من أعماق العروبة القادمة المتطلقة من أعماق الصحراء.. من أشواقها وحرارتها ولهفتها
وظلمتها وجوعها الحضارى الإنسانى؟

هل يخيب أو تقبلين أن يخيب هذا العربى المستغيث بفكره وعقله وضميره ورؤاه وقلمه وورقه
وصوته المستغيث استغاثة ثقافية فكرية حضارية أخلاقية مطالباً أن يستطيع شيئاً من التعبير الذى
يستطيعه كله فى كل العالم العربى كل الكاذبين والمنافقين والمزورين والهاتفين المصلين المؤلهين لكل
الأوثان القبيحة البذيئة الفاسقة الكافرة المرفوعة المنصوبة المتهوفة المصلى لها فوق كل كعبة ومشهد
ومعبد ومنبر ومزار وغار وحراء وكتاب وصفحة وسطر وحرف..

.. فوق كل عمامة وكوفية وقلنسوة وطربوش وكل رأس حاسر الشعرات السوداء والبيضاء
والمختلطة؟

كتبه المحرم عليه فى كل أوطانه العربية أن يكون عقله أو تفكيره أو رؤيته أو ضميره أو صوته..
أن يكون أى شيء من ذاته الإنسانية.. والعاجز الرافض أن يكون غير ذلك.

كتبه من يحرم عليه قومه أن يكون صادقاً ويرفض ويعجز هو أن يكون كاذباً..!

إني أبدأ أصلي ولم أجرب أن أغني

.. إلى جمال ومجد وسعادة الصداقة والحب.

.. إلى من لو قرأ الإله ضميره أو قلبه أو فكره أو أخلاقه أو صفاء وجهه وتعبيراته وملامحه لكان محتوماً أن يخجل ويهرب وبهاب أي الإله من أن يريد أو يخطط أو يصنع أية واحدة من الآفات والعاهات والنشوهات والقبائح والفضائح والأخطاء والمخطايا التي تغطي وتغرق وتشوه كل رجوه وأفاق هذا الوجود.. كم هو عذاب وضيق وقحط وحرمان ويتم بأقسى تقاسير اليتيم.. اليتيم الإنساني..

- كم هو كل هذا! ألا نجد من يهينا حبه وصداقته وتذكره وحماسه واهتمامه وقراءته لنا.. لمشاعرنا وشجوننا واهتماماتنا وهمومنا ومشاكلنا وآلامنا وهزالنا ومخاضاتنا ومبارزاتنا لأنفسنا.. لوجودنا.. لظروفنا.. لتصادمنا واصطدامنا بروانا ومواجهتنا وتفكيرنا وأفكارنا..

.. لانفجاعتنا وعذابنا بآلهتنا.. بآلهتنا كلما رأيناه أو واجهناه أو قرأناه أو قسرناه أو رجونا أو انتظرناه أو حاكمناه أو حاسبناه أو نسيناه!

.. ليكون ذلك شيعاً من العزاء والدواء والأمل والفرح والابتسام لنا لكلا نظلي وحدنا مع أنفسنا وحدها تواجه وتقاسي هذا الوجود الوقح القبيح البليد البذيء المتوحش وكل من فيه وما فيه.. لتواجه وتقاسي فضائح وقبائح من زعم إلهه..!

.. ما أقسى وأقبح هذه الوجدانية في هذه المواجهة والمقاساة..!

ولعل الإله المهزوم الحائر الضال المخطيء الضائع أبداً لم يصنع الإنسان والشیطان أي أقوى وأقسى أعدائه وكل أعدائه.

- نعم، لعله لم يخلقهما ويرد خلقهما إلا فراراً وتداوياً من هذه الوجدانية في هذه المواجهة والمقاساة. ليت هذا الإله وأي إله وكل إله يعرف ويستطيع التداوي والفرار.

.. إن الجحيم بلا هذه الوجدانية لأقل عذاباً وقبحاً من الفردوس بهذه الوجدانية!

هذا هو العذاب الأول أو الأشهر أو الأكبر أو الأشمل والأدوم.. لإنهما عذابان لا قرار من التقل بينهما!

إنه تنقل بلا اختيار محكوم به على كل من وجد حتى على الإله إن وجد دون اختيار!

.. أما العذاب الآخر فهو العذاب المشحون بكل القلق والتوجس والتوقع الأليم الدائم.. إنه التحديق الدائم في كل الآفاق الزاحفة القادمة منها حتماً كل المفاجآت أو إحدى المفاجآت الحزينة. اهل ما يحدث أو أي شيء مما يحدث مفاجأة مهما بدا أو حسب مفاجأة أو أغرب مفاجأة؟ هل في الوجود مفاجأة مهما جاء وقرى وفسر كل شيء مفاجأة؟

.. نعم، وأما العذاب الآخر فهو أن نجد من يهبنا كل ذلك بكل السخاء والغداء والعطاء والحب لكي نظل كل الأوقات مهددين بالأخذ منا.. بأن يسحب منا كل ما وهبنا ووجدنا وملكنا. .. متوقعين للأخذ والسحب منا مرة واحدة بالأسلوب الكلي أو مرات بالأساليب الجزئية التقطيعية.. عضواً عضواً، وجزءاً جزءاً.. أي العذابين أقسى: العذاب الكلي، أم المجرز؟ .. متوقعين لذلك كلما فكرنا وتذكرنا أو تصورنا أو قرأنا أو نظرنا أو فترنا.. كلما تشاءنا أو تفاعلنا أو تفاعلنا.

سواء أقبلنا أم رفضنا، أمّا ثم كفرنا.

.. إنه لا مجيء بلا ذهاب، ولا ظهور بلا اختفاء، ولا بزوغ بلا مغيب، ولا عطاء بلا أخذ واسترداد، ولا حياة أو شباب أو صحة بلا موت وشيخوخة ومرض.. إنه لا وجود بلا فقد. إنه لا وجود إلا للفقْد، إنه لا فقد لولا الوجود. إنه لن يفقد من لم يجد..

.. إنه لن يوجد ما لا يفقد، ولن يفقد ما لا يوجد..؟

.. قبيح وفاجع ومهين لكل التفاسير والحسابات أن يحقر قبر وينسج كفن ويحمل نعش كلما ولد مولود وأن يبض شعر وتحنى قامة كلما وجد رأس أسود الشعر وقامة ممدودة. ا! .. إذن متى وكيف ننجو من عذاب الحرمان والضياع والفقْط والفقْد أو من عذاب التهديد والوعيد بالأخذ والسحب والفقْد؟

إننا إما محرومون أو منتظرون لفجيئتنا بالحرمان المحتوم..!

.. إذن أي العذابين أقسى: ألا نجد أم أن نجد لنفقْد.. لنقاسي دائماً توقعاً لأن نفقد؟ ولكن هل يمكن أن نقاسي أحد العذابين فقط؟ ألسنا في كل اللحظات نقاسي العذابين معاً مهما كان التفاوت بينهما؟

.. أيهما أنبل عطاء: من يهبنا الحياة لكي يهبنا المرض والضعف والشيخوخة وكل الآلام والمخاوف والورطات والترقعات الدائمة الفاجعة ثم لكي يهبنا الفقْد للحياة ولكل ما وهبنا.. لكي يسحب منا كل ما وهبنا بأنفسنا وأنذل الأساليب العدوانية القتالية أم من يهبنا الحرمان من كل ذلك ومن كل ويلات وأنام ذلك - أم من لا يهبنا أي شيء من ذلك ولا من غيره لئلا يأخذ منا أي شيء.. لئلا يستطيع أن يأخذ منا؟ أليست الحياة والشباب والصحة هي كل الطرق إلى الموت والشيخوخة

والمرض؟ هل يوجد هذا لولا هذا؟

.. إني هنا لا أسأل ولكني أئن وأنوجع.. أنفجع لألقي بشيء من أنقالي النفسية والفكرية والاحتجاجية الانفجارية التي تضيق بها وعنهما كل آفاق ومساحات هذا الكون، والتي تعجز عن حملها كل عضلات وأكتاف كل هذا الوجود، والتي لن تستطيع قراءتها أو تصورها أو فهمها أو معاشتها أو رؤيتها أو تصورات وعيون وعقول وحسابات كل الآلهة المعروفة والآلهة التي لم تعرف ولن تعرف..!

إني لا أنتظر جواباً. إذن كيف أسأل وأحسب سائلاً؟

.. إني أحاول تفرغ نفسي من اختزاناتها وخزائنها غير الثمينة أو المرغوب فيها..!

.. إني هنا لا أسأل ولكني أصلي بالآمي ولآلامي. إني لا أصلي لها أو بها تعبداً بل خشوعاً لأسبابها وحوائرها وتفسيرها الإنسانية غير السماوية والدينية.. إن الصلاة بالآلام وللآلام هي أنقى وأقوى وأصدق الصلوات.. أليست هي كل الصلوات؟

أليست كل الصلوات الأخرى كاذبة، كاذبة بل أقل من كاذبة؟ إني أصلي لآلامي وبها رفضاً للصلاة التي تصلي لمريدها ومديرها وفاعلها أي الآمي..!

.. أجل، إني هنا لا أسأل بل ولا أغني.. إني لا أغني.. إني لم أرد أو أحاول قط أن أغني..!

إني لا أجيد الغناء بل ولا أعرفه ولا أستطيع أن أجيده أو أعرفه..

إني لم أجرب الغناء أو أحاول أو أعشق تجربته..

.. إني لم أستمع إليه حتى ولو سمعته أو سقط علي..!

كيف أغني أو أحاول أو أقبل أن أغني أو أستمع إلى الغناء أو إلى من يغني وأنا أرى وأواجه وأقرأ وأفسر وأفهم كل ما أرى وأواجه وأقرأ وأفسر وأفهم أو حتى شيئاً.. أي شيء من ذلك؟

إني لا أستطيع ولا أريد الهبوط إلى شيء من مستويات المستوي فوق هذا الوجود الغريق في الضحك والمغازلة والامتناد والغناء والصلوات لنفسه وهو يرى ويواجه ويعايش ويساكن ويفعل كل هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه.. وإن الغناء لا يجيدني أو يريدني أو يستمع أو يسعد بي أو يحاول أو يمتني ذلك..

أو أن يجرب أو يحاول أن يجرب التعامل بي أو معي أو الاستماع إلي.. إنه يعاملني بشيء من معاملي له..!

إنه أي الغناء ليرهب ذلك ويستحي منه..!

لعل الغناء في موقفه هذا كان نبيلاً جداً حين رفض أن يتعامل معه أو يتعامل معي حين وجد فاعل هذا الكون القبيح، القبيح يعني لنفسه ويستمع بكل الرضا والفرح إلى من يغنون لقبه..!

إني أنا، أنا الصديق العميل الدائم الصادق المخلص المحترق في صداقته وإخلاصه.. للأسى..
للبيكاء.. للآهات.. للآثات.. للصلوات.. للصلوات المضادة الراقضة للصلوات التي تطالب بها الآلهة
والتي تصلى وتقدم وترشى بها الآلهة واليهما..

الآلهة البدوية الطفلة المرويشة البلهاء التي تعلمت ألوهيتها وعلمتها من تجاربها وإردتها وعشقها
وتديرها وتخطيطها وخلقها ومعايشتها ومواجهتها وقراءتها للآلام والآثام والعاهات والتشوهات ولكل ما
يصنع الفيظ والغضب والأشمعراز والغشيان والانفجاع والكفر..!

لقد كان المفروض ألا يوجد كافر بالآلهة هذا الوجود مثل كفر آلهته بها.. بنفسها..!

.. كتبه الحزين الباكي المصلي بدموع وأحزان وتقوى كل الآلهة التي لم توجد ولن توجد
والتي كان يجب أن توجد لكي تبكي وتحزن وتصلني بدموعها وأحزانها وقلوبها وتقواها هي لا بدموعه
وأحزانه وتقواه هو أي كاتبه..

إنه لا تقدم أو تطور أو جمال أو أخلاق أو دين بلا تمرد

آه. يا شعبي الهارب المذعور من استقبال حروف صامتة فوق ورق صامت.. أنعاك، أنعاك يا شعبي الحبيب الواهب الوالد المصدر للإنسان العربي في كل أوطانه..! أنعاك يا شعبي اليمني يا حيي الأول والأقوى. أنعاك، أنعاك.. أننى العروبة كل العروبة في كل أوطانها وتاريخها وأطوارها ومجتمعاتها حين أنعاك.. أنعاهأ أدياناً وعقائد ومذاهب ونبوات وشاعريات وأديبات وثقافات وتعاليم وتعليماً.. أنعاهأ بنعي لشعبي اليمني.. أنعاهأ آلهة موحدة ومتعددة.. أصناماً وأوثاناً.. أنعاهأ كعبة ومكة ومدينة وقديساً وكربلاء ونجفاً.. أنعاهأ محاربة ومسالمة مهزومة ومتصصرة أي زاعمة أنها متصصرة! .. أنعاهأ أخلاقاً وديناً وإيماناً وتديناً وشجاعة وشهامة وكرامة وحضارة وحرية وصدقاً، صدقاً.. أنعاهأ كلها في كل ماضيها المزعوم المزور وفي كل حاضرها الغاضح المهيمن وفي كل مستقبلها البائس المذعور الرافض المحيي.. أننى نفسي لأنى أنعاهأ.. حين أنعاهأ.. .. أنعاهأ بكل هذه الصيغ والتفاسير والحرارة والعمارة والعذاب بعد أن نعى شعبي اليمني العزيز إلى نفسه.. شعبي اليمني الذي هو كل الشعوب العربية ولادة وخلقاً وصياغة وتصديراً.. بعد أن نعى إلى نفسه بأقصى وأفجع أساليب ولغات النعي.. أنعاهأ بعد أن أعلن شعبي اليمني الكريم نعيه لنفسه بكل أساليب النعي وبأقساها وأكثرها إهلاماً وإهانة وتهويناً.. بعد أن هاب ورهب ورفض وانفجع وانزعج أي شعبي اليمني أن تلجأ إليه مستصرخة أفكار محاربة مطاردة لم تؤمل أن تجد لها أي ملجأ سواه لأنه لم يجد لها أي هذه الأفكار اللاجئة محفورة على حجارة قبوره وأوثانه، وهو لا يتعامل بمقله أو برؤيته أو بإيمانه وتقواه إلا مع قبور وأصنام تاريخه أو أن يكون أي قدر أو تعبير من الشجاعة في الرأي أو الرؤية أو التفكير أو التعبير أو الحوار أو المواجهة أو الاستقبال أو القراءة أو حتى في الإيمان والتدين..

أو أن يتهم بأي شيء من ذلك.. حتى الاتهام بالشجاعة الفكرية أو العقلية أو الأخلاقية أو اللغوية أو الإيمانية يرفضه، يرفضه.. بعد أن هاب ورهب ورفض وذعر وانفجع من احتمال أن يولد أو يوجد فيه بل أو أن يتحاور ويتخاطب معه أي متهم.. أي متهم على الموت.. على الموتى.. على

القبور.. على أوثان القبور.. على بلادات وجهالات وأكاذيب وأغلال التاريخ.. بعد أن أغلق كل حدوده تحت أفسى وأشمل الحراسات لئلا تتسلل إليه أوراق كتبت عليها كلمات مائسة من أن تجد قارئاً واحداً يقرأها كما يجب أن يقرأها أي يقرأها ويفهمها ويقتنع بها أو يرفضها بعد محاورتها ومحامستها بصدق وحرارة وشجاعة.. إن الشعوب التي لا يولد ويوجد ويتخلق ويقفز ويصعد ويرز ويتألق فيها المتمردين بكل طاقات ولغات وتعبيرات وتفسيرات التمرد..

والتي لا تقبل بل وتفرح وتسعد وتباهي وتتفائل أن تزدهم بكل ألوان المتمردين بكل ألوان المتمردين بكل ألوان التمردين بكل ألوان التمرد وعنفه وشموله.

- نعم، إن هذه الشعوب لن تكون مبدعة أو متطورة أو متغيرة أو متحضرة أو حرة أو قوية بل أو مؤمنة أو متدينة أو تقيّة.. هل وجد أي شيء جيد أو ذكي أو قوي أو عمقري أو حتى تقي بدون تمرد؟

أليس الإيمان والدين والتقوى والأخلاق تمرداً؟ أليس أقوى وأصدق وأشهر أنواع وسلوك التمرد هو تمرد الإيمان والأديان والدين والتقوى والأخلاق؟ هل يمكن أن يكون مؤمناً أو متديناً أو تقياً أو أخلاقياً أو مفكراً من لا يتمرد على أهوائه وشهواته وأعضائه وتقاليده ومجتمعه وجبهه وخوفه وخموله وعجزه وعلى استسلامه لمواجهاته ولعيراته وتراثه الملفن المعلم المحتظ؟

أليس الأنبياء كل الأنبياء هم أشهر وأقوى وأفسى العصاة والمتمردين على أقوامهم ومجتمعاتهم وفيها؟ أي الفريسيين أكثر وأشمل عصياناً: الأنبياء أم عصاتهم أي بهذا التفسير؟ أليست كل الأديان والنبوات تمرداً، تمرداً؟ لماذا جاء تمرداها تقوى وطاعة وجاء التمرد عليها عصياناً وفسوقاً وكفراً؟

لماذا لم يوجد من يسأل هذا السؤال ومن يفهمه ويجيب عنه كما يجب؟
.. قد يقال ويكون هذا التمرد هو تمرداً ضد التمرد المطلوب والناقع والخلاق ولكنه تمرد، تمرد..

ماذا يمكن أن يكون قد جاء وجود الإنسان.. وجوده الحضاري والعلمي والديني والأخلاقي والفكري والثقافي لو لم يتعاقب عليه وإليه أفواج المتمردين بكل أنواع ولغات ومخاطرات التمرد؟ لماذا يا شعبي العربي.. يا شعبي اليمني.. يا شعبي الذي أتمنى أن يكون كما يجب وكما يستحق أن يكون يا شعبي الذي أرفض أن تكون الرواية عنه ميتاً أعظم من الرؤية له حياً!
- لماذا أنت وحدك المحروم المعصوم من كل أنواع التمرد بكل صيغه وتفسيره الحضارية والإنسانية والفكرية والعقلية والإبداعية بل والإيمانية الدينية الأخلاقية..

دون أن تصاب بأي حرمان أو عصمة من كل ما يجب وينبغي ويطلب الحرمان والعصمة منه؟ لماذا أنت محروم معصوم من كل ما يجب أن تكونه ولم تحرم أو تعصم من أي شيء يجب ألا تكون أي شيء منه؟

.. لماذا كل هذا يا شعبي العربي.. يا شعبي اليمني العزيز الذي يجب ويرجى ويطلب أن يكون أكبر وأعظم مما كان.. الذي يجب ألا تقبل أو تغفر أو تصدق كينونته الكائنة والتي كانت.

يا شعبي اليمني الذي هو كل شعبي العربي؟ هل أنت يا شعبي كائن دون الإنسان وترفض أن تكون إنساناً لأن الإنسان كائن متعمر أي لا بد أن يتخلق فيه المتمردون وأن يلدهم. والكائنات التي لا تمرد فيها هي كائنات لم تبلغ طور الإنسان. هل حدث أن تمرد على نفسه ومجتمعه غير الإنسان؟ إنني أريدك يا شعبي العزيز عظيماً وكبيراً لهذا تجيء قسوة رؤيتي ونقدي ومحاسنتي لك بقدر ما أريدك وأريد لك.. لهذا أبعدو قاسياً جداً لأنني محب جداً..

إنك يا شعبي مهما وجب الخوف عليك من كل شيء ومن أي شيء فإنه لا يمكن ولا ينبغي ولا يستطيع الخوف عليك من أن تصاب بالتفكير أو بالرؤية أو بالصدق أو بالبسالة الفكرية أو بالحماس أو بالتطور الذاتي أو بالقراءة لما ينبغي قراءته كما يجب أن تكون قراءته!

إن هذه هي إحدى مزاياك التي لن تنافس أو تطاول أو تبارى فيها..!

إذن عليك ولك ألا تخشى أي شيء على ميزتك هذه..

.. ألا تخشى عليها أي غزو أو ضعف أو هزيمة أو تغير أو أن تخترق حدودها أو تقترب منها أية بسالة فكرية أو عقلية أو اعتقادية أو أخلاقية أو تعبيرية.

حتى ليجب أن يفجع ويراع كل قارئ لك وناظر إليك عاجزاً بل ورافضاً بل ومحرراً مستحيماً أن يفهم كيف لم تتعلم شيئاً من البسالة، من بسالة مواطنائك وصديقاتك الأزيلات الأبديات.. من الحشرات التي تغطي وتؤرخ وتعايش وتساكن كل وجودك بكل الشمول والديمومة بكل أساليب التحدي والمبارزة والبسالة والكبرياء..!

كيف لم تتعلم ذلك أو شيئاً منه من مواطنك الفارس الباسل الخالد الذباب الذي تحدث عنه آلهتك ونبوتك وكتبك المقدسة، وتحدثت عنه أشعارك وآدابك وأخلاقك بكل الحماس والاهتمام والتقوى وبكل الروح والروعة والترويع، بكل الإعجاب والخوف والتخويف..!

من هذا الفارس الباسل المستوي المتألق المحلق فوق وداخل كل العيون والوجوه والآذان والهوامات والقمامات والأعضاء المحرمة المكرمة المعبودة العابدة العربية.. العربية..!

.. فوق وداخل كل المعابد والمعاهد والكعبات واللحى والعمائم الساكنة والمقبورة فيها آلهتك وأمجادك كلها، كلها..

فوق وداخل كل أوراق وصفحات وحروف كل المصاحف وكل الكتب المقدسة التي هي كل أوراقك وصحفك وصفحاتك وحروفك ومصاحفك وكتبك المقدسة..

مواجهاً مهاجماً متحدياً كل الأخطار، كل الأخطار..

كل أسباب وأسلحة ومواطن الموت بكل الروعة، الروعة..

مهاجماً متحدياً كل شيء حتى الموت، حتى الموت..!

إنه ليتحدى ويهاجم الموت حتى ليخاف منه الموت..!

أعني أعز وأشهر وأقوى أصدقائك ومواطنيك.. الذباب..!

أما أنت يا شعبي العربي.. فإنك تخاف.. تخاف وتهرب.. تهرب حتى.. حتى ليبرني ويحزن

لك الموت..!

بل إنه أي الموت ليكاد يخجل ويهرب من التعامل بك ومعك.. ولولا ضغوط وإملاء وأوامر

الآلهة والطبيعة على الموت لكان محتوماً أو محتماً جداً أن يرفض التعامل بك ومعك استحياء

واشمئزازاً وفراراً من خوفك، خوفك يا شعبي، يا شعبي..!

من يرثي لي.. لعدائي.. لانفجاعي بك ولك يا شعبي؟ من، من؟

يا شعبي البستي.. يا كل شعبي العربي.. يا أعظم أمالي لهذا يا أعظم أحزاني..!

لنقاتل كل أحد لنثلاً يدخل في ديننا لنثلاً ينافسنا في فردوسنا

إلى الذكرى الجميلة المداوية.. إلى الفارس المقاتل في جيوش العروبة والإسلام لمناصرتها على عدوها الذي لا عدو لهما سواء أي على تخلفهما الوراثي الذاتي التكويني إذ لا عدو لهما غير هذا العدو مهما قالت وأعلنت كل محاربيهما أي العروبة والإسلام وكل منابريهما وأقلامهما: إن أي شيء لم يتعلم العداوة ويحمل أسلحتها إلا لكي يوجهها إليهما حسداً وغيرة وخوفاً منهما..!

لعلنا لم نتعلم اللغة إلا لتحدث عن كيد كل شيء للعروبة والإسلام بكل التآمر..!

إن العروبة والإسلام لم يصعدا إلى الطور الذي يصنع العداوة والأعداء بل إلى الطور الذي يصنع الرثاء والرائين والسخرية والساخرين..! هل نستطيع أن نصبح مستحقين لأن يكون لنا أعداء؟

.. الزمن مسافر أبداً لا يستريح ولا يتوقف عن أسفاره لحظة واحدة. وأبهما أنفع أن يكون هذا المسافر مسافراً أبداً أم أن يكون واقفاً متوقفاً مثل توقف العقل العربي والفعل العربي والتاريخ العربي بل والإله العربي عن كل أساليب ونيات ومعاني الحركة والنشاط والحماس والتغير والتغيير والتخطي بل وعن الرؤية حتى الرؤية؟

إن العيون العربية لا ترى مهما رأت وأبصرت وركبت لها وفيها كل العيون العلمية الصناعية، ومهما قال كل الطب إنها سليمة ورائية بل ومتفوقة الرؤية. إنها أي العيون العربية عاجزة عن الرؤية عجزاً ذاتياً أبدياً لا مرضياً وقتياً.. إنها جهاز أو آلة بلا أية وظيفة، إنها ليست كذلك، ليبتها كانت كذلك. إذن لجاءت أخطارها وأضرارها أقل بل لجاءت حينئذ بلا أخطار وأضرار.. فالعقل العربي وكذا التاريخ والعيون والنظرات والمواجهات والمصادمات العربية ليست فقط عاجزة أو متوقفة عن أن تعمل.. عن أن تكون رؤية وتساؤلاً ونقداً ومحاسبة ورفضاً واندعاشاً وانفجاعاً وإعجاباً وتخطيلاً لتكون تغييراً وتخطياً وقوة وإبداعاً وجمالاً أي لتفعل ذلك..!

لهذا ليبتها معطلة أو ميتة كالأجهزة والآلات المعطلة الميتة.. ولكنها وأسفاه تعمل بكل النشاط والحماس والقوة.. تعمل ضد عملها أي ضد العمل المفترض فيها والمطلوب منها والمزعوم لها مقارمة ومفسدة له..

فهي ترى وتنظر وتقرأ وتفكر وتداول وتساؤل وتفحرك وتنشد وتهتف وتصرخ وتسب وتلعن وتتهم وتخاصم وتعادي لتهدم نفسها ومعانيها ووظائفها المفترضة فيها والمطلوبة منها والمزعومة لها بل لتجعلها تؤدي النقيض كل النقيض.. نقيض الرؤية والتفكير والفهم والتساؤل والحماس والنشاط

والتحرك والتغيير والتخطي للتاريخ.. للولادة.. لمعابد ومقابر وكهوف وكميات الآباء..
أليس العرب يقاومون كل المقاومة بكل الأساليب ليظلوا داخل كعبتهم أبداً؟



آه، متى كان اللقاء الأول؟ وأين وكيف كان؟ وماذا قلنا وروينا وقلنا ورفضنا؟ وعلى ماذا اتفقنا واختلفنا؟ وكيف كان الفراق ومتى كان اللقاء الثاني وأين وكيف وماذا؟ ومتى كان آخر لقاء وكيف كان الفراق، وكم طال، طال؟ وماذا حدث في أعوام الفراق القاسية العابسة؟ من الذي أراد ودبر أن يكون اللقاء السار المداوي السعيد ثم يكون بالحجم الفراق الممّزج الفاجع الكتيب؟ وهل وجد أو قبل أن يوجد هذا المدير المرشد الفاعل القبيح الفاجع؟

هل يمكن أن يكون فاعل الشيء هو فاعل نقيضه في هذا الوجود؟
كيف عاش في أعماقك كل هذا الوفاء كل هذه المدة الطويلة؟ ما أقوى وأعظم أجهزتك النفسية والأخلاقية والعقلية والتذكرية التي استطاعت أن تحتزنه بكل هذه القوة كل هذه الأعوام تحت أقسى الأعاصير وأتسى عصور الجفاف الإنساني..!

إنه وفاء، وفاء مهما كان صامتاً، مهما طال صمته..

وهل كان صامتاً حقاً؟ وهل يصمت الوفاء مهما ترقف عن النطق أو فقد النطق؟ أليس صمت الوفاء أحياناً أقوى وأعلى نطقاً من النطق؟ لهذا أليس الإله هو كل النطق لأنه كل الصمت، وكل السمع والاستماع لأنه كل الصمم، وكل الحضور لأنه كل الغيبة والغيوبة، وكل العون والفعل لأنه كل العجز والترك والضياع والغفلة؟ أليس المؤمن يقول ذلك ويعتقده؟ ولكن ما الوفاء؟ هل عرفناه مهما عشناه وقرأناه؟ هل هو فكرة أم عاطفة؟ محبة أم إعجاب أم عادة أم قدرة أم واجب أم حنان أم رضاء أم تعبير وتفرغ للنفس من ازدحامها والازدحام فيها واللقاء بها على الآخرين؟ أهر فروسية أم أنانية استعراضية؟ أم تله وتسلمي أم إنشاد للقصائد في مدح وتمجيد الذات؟

هل يوجد تفسير جيد لأي شيء.. لأي شيء جيد؟

أيهما أقسى إزعاجاً وتعذيباً لنا: أن نعطي الوفاء الوافر الجميل وكل الصداقة والحب بكل صيغهما ومعانيهما وتقاسيرهما الجميلة الجيدة لنظل مهتدين كل الأوقات بسحب ذلك منا، بل ليكون محتوماً سحبه منا بأقسى الأساليب أو بأخفها أو بها كلها ولنظل عالمين بذلك منتظرين له كل الأوقات أم ألا نعطي شيئاً من ذلك.. أم ألا نكون جائعين ومحتاجين إلى ذلك لئلا نفجع بسلبه المحتوم منا؟ هل يمكن أن يوجد أي جواب مريح لأي سؤال صعب؟

هل من الأفضل أو الأنفع أن نملك فردوس الأنبياء وأن نسكنه إذا كان محتوماً أن يسحب منا ونسحب منه أو يهدم فوقنا وتعاقب عليه بعد أخذه منا أم ألا يكون لنا شيء من ذلك حتى ولا بالرواية أو الحديث عنه؟

لو وقع الإله بين هذين الخيارين البائسين أي أن يكون موجوداً بلا ألوهية أو ربوبية لئلا يقاسي

منهما أي من الألوهية والربوبية.. من أخطائهما وخطاياهما وهمومهما وتكاليهما والتزاماتهما ومسؤولياتهما وعذابهما ومواجهاتهما ومخاصماتهما وعداواتهما وحروبهما وهزائمهما والاتفاق عليهما وعلى توظيف الحراسة عليهما والمطالبة بالاحترام والتقدير والقداسة لهما أو أن يكون أي الإله موجوداً فقط بلا أي شيء من أعباء وأخطار وفواجع وفضائح ومآسي هذه الألوهية والربوبية ليحيا ويقضي كل أوقاته مسترخياً هازلأً ضاحكاً شاغلاً منفقاً كل وجوده ووقته وقراغه بالنظر إلى وجهه وبعد أظافره وبالإمسك بلحيته وبصيغ شعرات رأسه البيضاء وبالتحديد في الشمس والنجوم والقمر والسحاب وبعدها وعدّ الذباب والحشرات المتحلقة المتراكضة المتسابقة حوله، وبلاستمتاع والتلهي بمشاهدة آلام وآلام وجنون وفضائح وقبائح هذا الوجود بإنسانه وحيوانه وحشرات..

بمشاهدته للإنسان معارماً لقبائحه وفضائحه الجنسية..

- نعم، لو وقع الإله بين هذين الاختيارين أليس محتوماً حيثلي أن يأخذ بالاختيار الأخير بلا توقف للتشاور مع النفس؟ ولكن لقد جاء الإله محروماً من هذا الاختيار ومن كل اختيار.. ومع هذا فإنه لم يتعذب أو يشق بالالتزام بأي معنى من معاني الألوهية أو الربوبية. إنه لم يوجد متحلل من كل الالتزامات بل وخارج عليها مثل الإله!



أيها الجندي المقاتل المناضل بكل أسلحة وأساليب النضال والقتال ليعيد إلى العروبة كل أمجادها وكراماتها وانصاراتها الذاتية أو التي لم تكن لآ خطاية وروايات وأشعاراً.. لماذا جاءت رحلتكم إلى وطن ومجتمع قل أن ترى وتشاهد فيه المساجد وتعلو فيه المآذن لتعوي وتسهل فوقه أصوات: الله أكبر.. الله أكبر لتواضع وتخفت تحت هذه الأصوات أصوات كل الكائنات الأخرى..

لتذعر وتصاب بالصمم بل وبالخرس وبالوقار كل الكائنات المصونة أمام هذه الأصوات بل لتتمنى أنها قد خلقت بلا آذان لئلا تتعذب وترهق بسماع هذه الأصوات.. أصوات: الله أكبر.. الله أكبر متفجرة من فوق هذه المآذن؟ إنها لأقسى عرض للمكبر والمكبر له. إنه أقبح سياب.. هل كانت رحلتكم هذه إلى هذا الوطن لكي تدعوا أهله إلى الدخول في ديننا.. في إسلامنا؟ حذار أيها الصديق، حذار من أن يكون ذلك هو غرضكم.. إن المنافسين لنا سوف يتكاثرون حيثلي في الفردوس الذي هو لنا وحدنا نحن أتباع دين محمد.. الذي هو لنا وحدنا نحن العرب بلا أي منافس أو مشارك..!

.. نعم، حذار من ذلك فإن الخطر سوف يكون عظيماً..

إن الفردوس.. فردوسنا نحن العرب سوف يزدحم حيثلي بل سوف يفرق بالمنافسين لنا الذين سوف يدخلون بلهفة ورغبة متوحشة في ديننا طمعاً في احتلال واغتصاب فردوسنا منا. لنفكر في هذا الخطر بمقول غير عربية..! ولا بد أن يكون في هؤلاء الداخلين في ديننا دهاء ودكاء ومكرأً ليختصبوا منا فردوسنا.

أن يكون فيهم من هم أقوى وأكثر مواهب حضارية وإبداعية وإنسانية منا كما كانوا كذلك في هذه الحياة الدنيا..

إنه لخطر كبير مخيف بل ومذل مهين مهدد لمكانتنا ومكاننا.. إن لكل المواجهات الأليمة الخطيرة نهاية إلا هذه المواجهة إذا حدثت..!

إننا اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم ودائماً نناضل ونقاتل بكل الأسلحة وبغير الأسلحة وبما هو ضد الأسلحة لكي لا ينافسنا أو يشاركنا من نزعهم ونعلن ونعتقد أنهم أبناء عمنا أي اليهود أو بنو إسرائيل - لكي لا يشاركونا أو ينافسونا في قطعة من هذه الأرض في هذه الحياة الفانية.. إذن كيف نتحول أو كيف تحولنا إلى دعاة لكل العالم لكي نضعهم في فردوسنا لينافسوننا فيه بل ليفلبونا عليه بل ليزحمونا أو يطردونا أو ليستعمرونا؟

إن أقوى الذكاء وأضعف الذكاء ليفرضان علينا أن نتحول إلى دعاة وحراس بل إلى مقاتلين لمقاومة كل الآخرين الذين قد ينوون أو يفكرون أن يدخلوا في ديننا أو حتى يتحدثون عن ذلك لتردهم ونصددهم بكل القوة عن التنفيذ خوفاً من هذه النتيجة المحتومة الرهيبة وهي دخولهم واحتلالهم لفردوسنا ليصبحوا أهله أو الأقوياء المسيطرين فيه وعليه..!

إن علينا أن نوظف كل ما نملك من ماديات ومعنويات لنمنع حدوث ذلك..!

هل نريد أو نقبل أن نصنع أو أن تصنع إسرائيل في فردوسنا.. إسرائيل أخرى أضخم وأقوى وأكبر وأصعب جداً من أية إسرائيل.. من إسرائيل هذه التي عرفناها وجربناها وذقناها؟ قد نجد في إسرائيل فائدة بل فوائد مؤلمة..!

قد يكون إذلالها لكرامتنا في هذه الحياة تحذيراً لكرامتنا في الحياة الآتية الدائمة..!

هل هناك غياب أو بله يساوي غياب وبله من يرفضون بكل الجنون أن تنافسهم وتشاركهم هذه الإسرائيل في الحياة الفانية ثم يعملون بكل الحماس والرغبة والتصميم على أن ينافسهم ويشاركهم كل العالم في الحياة الباقية.. في الحياة التي لا خلاص منها ولا تغيير أو تبديل أو تعديل أو تصحيح فيها؟

ماذا لو أن سكان إسرائيل الذين جربنا وعرفنا قوة منافستهم أرادوا الدخول في ديننا ليدخلوا فردوسنا؟ هل يطاق تصور أخطار ذلك علينا؟ وقوانين المنافسة والمشاركة والمزاخمة في الفردوس وكذا أساليبها ووسائلها وأشواقها ومصادماتها وضرباتها لا بد أن تكون أقوى وأقسى وأفجع وأفتك وأذكى مما كانت في الحياة الأولى..

إذن لا بد أن تكون هزيمتنا في الفردوس أمام منافسينا ومزاحميننا ومشاركينا هزيمة يعجز كل الكلام عن وصفها في بؤسها وقسوتها وشمولها وإذلالها..!

كيف وما يحدث في الفردوس بلا نهاية أو تغيير أو تراجع؟

إننا نعد خائناً كل من أراد أو حاول أو قبل أو غفر أن يحول جزءاً من أرضنا ليكون ملكاً لغيرنا

فكيف بمن يحاول أو يحاول أن يحول كل فردوسنا ملكاً للآخرين بإدخالهم في الإسلام أو بدعوتهم إلى الدخول فيه أو بإرادة أو قبول ذلك أو برضاه؟ فكيف بمن ينفقون أموالهم وأموال شعوبهم لتحقيق ذلك؟ إننا لنعلم في فعل ذلك أعظم وأتقى أساليب الجهاد ومعانيه..!

.. إذن خائن لنا نحن العرب كل صبح الخيانة وتفاسيرها وفظاعتها كل من قبل أو رضي أو أحب أن يدخل أحد في ديننا فكيف بمن يعمل ويناضل ليكون ذلك؟ لنعلن ذلك. لنعلنه بديمومة..! ولهذه القضية تفسير أو جانب خطير على مستقبلنا في فردوسنا.. إنه خطير، خطير..! فكيف لم نعلن له حتى أغياؤنا كيف لم يفتنوا له؟

ذلك أن من عطلوا أو من سوف يخططون لفردوسنا حدوده واتساعه وطاقاته وإمكاناته وموارده الطبيعية واحتياجات من سوف يكونون سكانه لا بد أن يعجز خيالهم أي المخططين عن تصور ما سوف تفرز طاقات التناسل فينا من أعداد من يدينا إلى نهايتنا التي هل لها نهاية أو متى تكون نهايتها؟

.. من أعداد لا بد أن يهينوا أقصى أزمة مكان وسكن وطعام وشراب وكساء ومضاجع وحركة ومواصلات وعلاقات وموارد في أي كون يتجمعون فيه فكيف يتسع لهم الفردوس الموعود به الذي تصوره ومخططه خيال من قرأ ورأى الكون كله من ثقب مغارة.. من ثقب غار حراء في ليلة مائت فيها النجوم والقمر وكل الرؤى والأضواء..!!

لن يتسع خيال من عطلوا الفردوس لكل ما سوف تقذفه أرحام قومنا.

.. إذن، كيف يبحث عن المزيد من السكان لجمعهم في هذا الفردوس الذي لا بد أن يختنق ببعض ما سوف تدفعه وتصدره إليه عمليات التناسل فينا نحن العرب أصحابه؟

رهيب تصور ما سوف تنتجه عمليات التناسل فينا..!

إذن كم هي قاسية ورطة الفردوس حينما نجمع فيه؟

نعم، الفردوس لنا وحدنا نحن العرب لأنه أي الفردوس تصور وابتكار وتخطيط نبينا العربي وقرآنا العربي وديننا العربي وإلهنا العربي.. لأنه صناعتنا وبضاعتنا نحن العرب. إن غيرنا لن يستطيع تصوره فكيف يتكره؟ إننا وحدنا المتخيلون والموجدون لما لن يكون. إنها عبقريتنا المتفردة..!

... ومتصور هذا الفردوس ومخططه لا بد أن يكون قد وقع في غلطة تحولت إلى ورطة..!

لا بد أن يكون قد اعتقد أن عمليات تناسلنا لن تنتج إلا قليلاً من الأعداد التي يستطيع أي فردوس وأي مكان أن يتسع لهم وأن يؤويهم وأن يسد كل احتياجاتهم بلا أية أزمات أو مشاكل لأنه كان يعتقد أي مخطط الفردوس أن بقاءنا في هذه الحياة.. حياة التناسل لن يطول.. لن يكون أطول من حياة إنسان طالع عمره لأنه كان يعتقد أن هذه الحياة زائلة والقيامة آتية بكل السرعة. كان يتوقع وينتظر حدوث ذلك في كل لحظة.. في كل غفوة ومغطة.. كان يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أنسيت فلا تنتظر الصباح» يعني بذلك نهاية هذه الحياة في أية لحظة أي بقيام القيامة

وبالموت الفردي المتقطع.. إذن مشكلة ضيق الفردوس بنا نحن العرب أصحابه أي أصحاب الفردوس لم تكن شيئاً من حسابه أو توقعاته أي مخطط الفردوس.

إن جميع خبراء التخطيط لو تجمعوا قد يعجزون عن التخطيط الناجح للفردوس الذي سوف يكون متكاملاً ووطناً لكل من سوف تفرزه عمليات التوالد فيها في كل وجودنا!

.. لهذا الخطأ الخطير في التخطيط.. في تخطيط الفردوس لا بد أن يكون أي الفردوس قد جاء لا يتسع ولا يكفي ولا يغني القليلين من أصحابه أي منا نحن العرب فكيف إذن يقبل أن تفتح كل أبوابه لكل الآخرين بدعوتهم إلى الدخول في ديننا الإسلام أو بقبول دخولهم فيه أو حتى بتركهم يدخلون فيه ليصبحوا أقوى وأقوى وأخذل الغزاة المنافسين المزاحمين المغتصبين القاهرين المذلّين الغائطين لنا..

إنها قضية صعبة خطيرة فكيف لم نغفلن إليها بل فكيف لم نهبط كل اهتماماتنا؟ كيف لم يسرق منا اهتمامنا بها كل اهتماماتنا القومية والوطنية والتاريخية بل والدينية؟



أيها الصديق المحارب للنجوم من فوق السحاب وللشموس من فوق النجوم، وللإله من فوق الشمس غضباً من الأرض التي ولدت الإنسان وصاغته كما جاء، وانتقاماً من الإله والسحاب والنجوم والشموس التي تركت الأرض تلد الإنسان وتصوغه كما صاغته وأمسى على الإنسان العربي لأنه لن يقرأ ولا يقرأ ولأنه لو قرأ لما قرأ أو رأى أو سمع أو ساءل أو حاسب أو حاكم أو خاطب أو فهم أو ناصر أو قاوم ما قرأ بأي شيء من معانيه!

.. نعم، وأمسى على الإنسان العربي لأنه جاء إنساناً عربياً ولم يجيء إنساناً آخر أو مخلوطاً بإنسان آخر..

.. ليت الإنسان العربي قد جاء لا يكتب ولا يتكلم ولا يفهم ولا يجادل كما جاء أو بقدر ما جاء لا يقرأ ولا يفكر ولا يرى ولا يواجه بأي معنى من معاني القراءة أو التفكير أو الرؤية أو المواجهة..!

ما أقسى وأطول عذاب من يحرق في الإنسان العربي مطالباً أن يكون شيئاً أفضل!

.. أجل، أيها الصديق المقاتل المناضل بكل أسلحة وأجهزة القتال والنضال العربية كنت أريد أن أقول لك أشياء كثيرة، مما لا يقال في العالم العربي.. وهل يمكن أن يكون أي شيء مما يقال في العالم العربي أو في اللغة العربية قولاً؟ وهل حدث أن قال العرب شيئاً.. أن قالوا قولاً مهما ملؤوا الأسماح والأوراق أقوالاً.. مهما أزهقوا أو عذبوا أذني الإله بأقوالهم حتى لقد رأى واختار أن يصيب نفسه بالصمم فراراً ونجاة بنفسه من أن يسمع أي شيء مما يقولون موجهاً إليه أو إلى سواه.. هل يمكن أن يحدث أي خلاف في أن الإله مصاب بكل الصمم الذي لا علاج له؟ لقد جرب ذلك

وعرفه كل من خاطبوه بأية لغة من لغات المخاطبة. حتى لم يفكروا في الاستعانة بكل أطباء الصمم في العالم ليعالجوه من صممه ليأسهم من احتمال شفائه!

.. إن جميع من يعجزون عن الاقتناع بأي شيء لن يستطيعوا مهما أرادوا أن يعجزوا عن الاقتناع بأن الإله مصاب بكل الصمم..!

وأيهما أقل هجاء له: أن يكون لا يسمع أو أن يكون يسمع ولا يستجيب؟ وهل أصيب بالصمم أم جاء وتكون وبدأ أصم؟ إن كان قد أصيب بذلك فلعله قد أصيب به لأنه سمع العرب يتكلمون، وإن كان قد ولد به فلعله ولد به لتلا يسمعهم يتكلمون أي يستفرغون ما يسمونه كلاماً..!

لننه يوجد من يصنع شكاً أو أملاً في أن الإله يسمع أو قد يصيح بسمع..! ولكن ماذا يفيد أن يسمع؟ ألا يمكن أن يكون ذلك مخرباً مهلكاً؟

.. نعم، هل حدث أن قال العرب ما يحسب قولاً مهماً أرهبوا وأزعجوا كل الكائنات الناعية النابحة والصاهلة والزائرة والثاغية والراغية والناعقة والناهقة بأصوات سورهم وآياتهم وقراءاتهم لقرآنهم ولتعاليمهم وأشعارهم ونبواتهم وعظاتهم ومفازاتهم وتهديداتهم ومآذنتهم وأذانتهم وتسبيحاتهم وتكبيراتهم وتهليلاتهم وتضرعاتهم وابتهالاتهم وصراخ حجاجهم.. إن العربي لا يرى أن عبادته عبادة إلا بقدر ما يكون صراخها فوق كل صراخ!

.. إن من يسمع العرب يتعبدون بأصواتهم الصارخة كل هذا الصراخ فلا بد أن يعتقد أنهم يرون إلههم الذي يخاطبون ضئيف السمع جداً، أي إنهم يرونه يسمع ولكن بمقاسة ويطء وعجز.. إنهم يخفون اعتقادهم المجرب العملي بأنه لا يسمع..!

إن الإله لو كان يسمع لكان محتوماً أن يغضب ويفجع وأن يرى أن من الإهانة والتحقير له والاستهزاء به أن يخاطب بهذه الأصوات التي تخاطبه وتناديه بها العبادات والتعبدات العربية.. كأنها بصراخ صراخها تزجره وتغفقه وترهبه وتوقظه وليست تخاطبه أو تعيده أو تمجده أو تطلبه أو تملقه..! إذن لقد جاءت حظوظه وسعادته ورضاه عن نفسه أعظم لأنه جاء مصاباً بالصمم الشامل الدائم..!

إن الصوت العالي في مخاطبة من يسمع بكل قوة السمع قد يكون أسلوباً بديعاً وحقاً من أساليب المقاتلة أو المخاصمة أو المشائمة أو العدوانية أو هو حتماً كذلك..! لهذا فعبادات العرب للإله هجاء له وليست تمجيلاً..!

إن العرب إذن قد يكونون هم المسؤولون عن إصابة الإله بالصمم، عن إصابته لنفسه بذلك أو هم المسؤولون يقيناً عن ذلك..!

إذن قد يقال أو يجب أن يقال: إن العرب قد أحسنوا إلى الإله وأفادوه حين أصابوه بالصمم أو اضطروه إلى أن يصيب نفسه بذلك لأنهم حموه من سماع ما لا يطاق سماعه..!

هل يوجد إنقاذ للإله يساوي هذا الإنقاذ؟ إذن هل يمكن تصور إحسان أو عطاء مثل إحسان العرب إلى الإله وعطائهم له لأنهم أصابوه بالصمم؟

ولعلهم هم أيضاً الذين أصابوه بفقد الرؤية والتفكير والضمير واليسالة والشهامة والنشاط والحماس والاندعاش والتغير والتطور والتساؤل والمقاومة لما تجب مقاومته ويفقد كل الحواس والأحاسيس، أو هم الذين علموه فقد ذلك أو روضوه على فقدته بمواجهته ومعاملته لهم..!

لهذا ألا يخشى على كل العالم أن يفقد كل ذلك كما فقدته الإله لو أنه أي كل العالم تعامل مع العرب كما تعامل معهم الإله؟

ألا يصبح العرب خطراً على الحضارة العالمية بتعاملهم معها وتعاملها معهم؟

كيف يمكن أن يوجد أي اختلاف في أن الإله فاقد كل ذلك الفقد ولكن الاختلاف قد يكون في من الذي أو ما الذي جعله يصاب بهذا الفقد أو يفقد هذا الفقد؟

هل هم العرب حقاً؟ صعب القول أو الاعتقاد بأن الفاعل به وله ذلك غير العرب.. أليس العرب هم كل مخططي ومصورّي ومعلمي وصانعي أخلاقه وأوصافه وناحتي وصائغي ذاته؟ إن العرب لو وصفوا وصدق وصفهم بأنهم القوم الذين لم يكونوا خالقين أي خلق في كل تاريخهم لما وجد أي خلاف في أنهم أعظم الخالقين أو كل الخالقين للإله في أوصافه وأخلاقه وشهواته المعلمة..

إذن ما أعظم مجد العرب.. مجدنا نحن العرب.. وما أعظم وأكثر الحسنات والخدمات والعطايا التي وهبناها وقدمناها للإله.. وما أروع ما فعلناه من دفاع عنه ومن تجميل وتكريم له ومن ثناء على نقائصه وأخطائه وذنوبه وعيوبه ومن ستر على عوراته وتشبهاته ودماياته. ولكن هل يمكن أن يصبح أي ثناء على أي إله ثناء أم لا بد أن يتحول إلى أقسى الهجاء. إلى كل الهجاء؟

.. أجل، كنت أريد أن أقول وأقول مما لم يقله أي لسان عربي.. أي لسان نبي عربي أو لسان إله عربي..!

ولكن امتلاء مشاعري بهذه القضية.. قضية منافستنا في الفردوس المحتملة وخطورة ذلك علينا قد فرض علي الصمت كل الصمت مهما قلت وكتبت وهتفت وناديت وأقلقت وفجعت لأن كل من حولي صامت عن الكلام وعن الاستماع إلى الكلام وعن قراءة الكلام مهما علا صراخه على كل صراع..!

.. كتبه الصامت أبداً لأنه لم يجد ولا يجد من يتكلم أو يكلم لكي يخرج من عذاب صمته بالتكلم معه وإليه..

لأن كل من ينتمون إلى لغته ويتعاملون بها ويعترفون ويعشرون بها ألهمتهم إنما يتقاتلون ويتضاربون ويتشائمون ويتناطحون ويتقاربون ويتعادون ويتباغضون بأحقادهم وسفاهاتهم وبلاداتهم وجهالاتهم وبآلهتهم وأديانهم وأنبيائهم وتاريخهم وقبائلهم وقبورهم وبكل فضائهم.

- نعم، إنما يفعلون ذلك حين يحسب ويقال وحين يحسبون ويقولون: إنهم يتكلمون.. ما أقل وأصعب الكلام وأسهل وأكثر النطق..!

ما أفسى أن تكون متكلماً بلا متكلمين وبلا مخاطبين ومتحاورين مع كلامك فكيف تكون قسوة عذابك حين تكون بين متكلمين ضد الكلام.. حين تكون محاصراً بينهم.. حين تكون متكلماً في مجتمع عربي؟ ما أفسى حظوظ النبي العربي لو جاء إلى قوم قد بلغوا طور من يتكلمون لهذا ما أعظم حظوظه..!

.. نعم، إن العرب قومي أقوياء وقادرون جداً على فعل كل الأشياء الرديئة وعاجزون جداً عن فعل أي شيء جيد..!

لقد استطاعوا أن يصنعوا أربداً الآلهة وعجزوا أن يصنعوا إنساناً جيداً.

لقد صعدوا إلى الإله ورأوه وعجزوا عن النزول إلى آبار النفط وعن رؤيتها..!

إذن فالعرب لا يبارون في قدرتهم كما لا يبارون في عجزهم..

لا يبارون في قدرتهم على كل ما ينبغي ويطلب العجز عنه وفي عجزهم عن كل ما ينبغي وتطلب القدرة عليه..!

إذن للعرب معجزتان: معجزة القدرة العاجزة ومعجزة العجز القادر..!

لقد كَوَّن قومي تكويناً خارجاً على كل قوانين التكوين والكينونات..!

إنه لو كان لكل هذا الوجود خالق واحد لوجب أن يكون لقومي خالق آخر مخالف في كل أوصافه وطاقاته وعبقرياته وشهوراته وأخلاقه وعواطفه ونقائضه لخالق هذا الوجود. أي لوجب اعتقاد ذلك والإعلان عنه وتعليمه..!

وإنه لو كان لهذا الوجود آلهة خالقة متعددة بتعدد الوجود لكان ولجاء إله قومي وخالفهم مخالفاً كل المخالفة لكل الآلهة في كل صيغه ومعانيه أي في حسابات ورؤى وتفسير كل منطق يرى ويفسر ويحاسب..!

احتلال الإله لعقولنا ولنفسنا

أفدح أنواع الاحتلال

إلى من تشرع وتعلن وتشرف الحروب للظفر بصدافته إن كانت صدافته لا تعطى ولا تنال إلا بالحروب.. بكل وسائل الحروب وأساليبها.. إلى الساكن أبداً بكل الازدحام والفرقة والتموج والاشتعال والتحريق في كل أحاسيسنا وأشواقنا المنتهية المحترقة المحرقة..

.. ولكنه الغائب البعيد بكل الإصرار والديمومة والقسوة عن حواسنا المنتظرة المتطلعة المحدقة المؤملة المصلية المعذبة المستغيثة بكل آلهة اليمن وبكل ثوراته وثواره وعروشه وأذوائه وبلاقيسه ومواقفه الوطنية. بكل ديمقراطياته وزعاماته المعلمة والقائدة لكل الديمقراطيات والزعامات والثورات والحضارات.. لقد أصبح أي الصديق الحبيب كالإله الجبار الضخم الذي يحتل كل الأحاسيس.. كل القلوب والعقول والضمائر والعواطف والأمانى والأشواق والتطلع والتذكر والنبض ومشاعر الخوف والأمان دون أن تسعد به حاسة من الحواس.. الأذان أو العين أو الشم أو الذوق أو اللمس أو المعاملة بأي أسلوب أو قدر من أساليبها أو مقاديرها أو لغاتها.. لقد أصبح مثل الإله الذي يحتل كل الأحاسيس بكل القسوة والجبروت والضحامة والإرهاب والإرهاق والاستعلاء بينما الحواس كلها محرومة منه متلهفة إليه مصلية له، هاتفة به. إن الوجود في القلب دون الوجود في العين أو اليد أو اللقاء أو المعاملة لهو أفدح وأظلم وأقسى وأحمر وجود بل وأكذب وجود. أنت موجود تحريقاً ولست موجوداً تبريداً، هل يقفر وجودك هذا أيها الموجود؟

.. من هذا الكائن الرهيب الفظيع الذي علمهما ودربهما أي علم ودرب الإله وهذا الصديق الحبيب أن يحتل كل الأحاسيس ثم يهربا من كل الحواس ويقاطعها ويتركها حرائق ولهفات وأتات وأهات بلا عزاء أو دواء.. بلا طلعة أو لمسة أو همسة أو مناجاة؟

.. إن امتلاء الأحاسيس بالشئ أو بالكائن مع فراغ الحواس منه عذاب.. أقسى وأنظع عذاب..!

إنه ظمأ بلا ماء وجوع بلا طعام، ورؤية وتحديق بلا مرئي، وحب بلا محبوب، وانتظار وتطلع بلا حضور أو حاضر، وعيون بلا حقائق، والرهية بلا إله، وزواج بلا زوجة أو زوج.. إنه أعراس وزفاف بكل الاحتفالات والتكاليف والمظاهر والأنشيد والدوي ولكن بلا أي عروس، هل أقيمت كل احتفالات الزفاف والأعراس بلا أي عروس مثلما أقيمت للإله؟

.. إنه استعمار يصعب الخلاص منه ولا يجاهد أو يناضل أو يحاور أو يشكى للخلاص منه..!

ما أقسى وأظلم أن تزرع في الكائن القلوب الخائفة النابضة المتعاملة مع الوجود الذي تحياه..!

.. إن وجود الإله في الأحاسيس وفي الاعتقاد والفكر والقلب والضمير واللسان دون أن يوجد في الحواس والحس والحياة لهر أقيح وأبشع أنواع الغزو والاحتلال الذي يؤدي ويذل ويشوه ويهيب ويرهق ويأخذ دون أن يعطي أو يجعل أو يسعد أو يفعل شيئاً مفيداً أو كريماً أو عظيماً..!

إذن كيف قبل أو استطاع أي إنسان أو كائن أن يكون مثل هذا الإله؟

هل غمر الإنسان بشيء أو على شيء مثل خسارته بعقائده وعلى عقائده؟ هل ربح الإنسان أي ربح من أي عقيدة أو بأية عقيدة من عقائده؟

يا أصحاب كل العقائد.. اقرؤوا كل تاريخكم وكل حاضركم وانظروا ماذا فعلت وتفعل بكم عقائدكم دون أن تفعل لكم..!

.. إن الخسران والعذاب بالعقائد لا بد أن يكونا بقدر قوتها وصدقها والحماس لها.. فالعقائد تغيب وتفسد أفعالها ونتائجها وأضرارها بقدر ما تكون قوية وتقية وحماسية وصادقة مخلصه، ويجب ألا يكون هذا القول أو الرأي غريباً أو مستغرباً مهما بدا أو ظن أنه كذلك.. ويراد بالعقائد هنا عقائد الإيمان والأديان والاتباع الديني والمذهبي..

ليقرأ كل التاريخ وكل الحاضر الذي سوف يصبح تاريخاً لكي يعظم الاقتناع بأن العقائد أي هذه العقائد هي أبداً كذلك وأنها لن تكون غير ذلك..!

ليقرأ ذلك قراءة غير عرية، فالعربي لو قرأ لا يقرأ ليقرأ وإنما يقرأ أي لو قرأ لأنه لا يقرأ ولا يريد أو يستطيع أن يقرأ.. إن شروط القراءة قاسية وعظيمة ومزعجة، إنها أبداً أكبر من الإنسان العربي! لهذا لا بد أن يقال بصدق وحسرة وانفجاع: إنه لم يوجد في كل التاريخ عربي قارئ واحد..!

.. قد يقال إنه لا يوجد ولم يوجد أكثر من قراءة الإنسان العربي لقرآنه ولا من يساويه في قراءته لقرآنه، ولكن هل حدث أن عربياً واحداً قد قرأ القرآن بشروط القراءة أو نياتها أو نتائجها أو بشيء من معانيها واهتماماتها وأخطارها؟ إن للقراءة أخطاراً أي القراءة بشروطها..! وكم هم قليلون أولئك الذين يقبلون ويقاسون أخطار هذه القراءة! هل كان النبي العربي يفهم هذه الأخطار ويخافها حين أعلن عداوته للقراءة والكتابة ونهيه عنهما بل وتحريمه لهما؟

لنحاسب ونقرأ أنفسنا بصدق وجسارة لنصدق ذلك مفعوعين..!

.. حتى محمد.. الذي جاء بالقرآن أو الذي أنزل عليه القرآن أو الذي اتهم بذلك.. هل قرأ قرآنه هذه القراءة؟ ما أصعب وأعجب النتائج لو أن محمداً أو غيره قرأ هذا القرآن هذه القراءة..!

.. إن القراءة ليست إيماناً أو صلاة أو إنشاداً أو نشأباً أو استرخاءً أو طلباً للشباب العاجل أو السؤجل، ولكنها محاسبة ومساءلة واختبار وتصادم ومعاناة وافتحام وارتحال.. ارتحال من الذات والتاريخ والوجود إلى وجود آخر..!

.. إنها أي القراءة معارك فكرية ونفسية وأخلاقية وتاريخية وإنسانية وحضارية بل وقومية.. إنها ليست تصاييح أو إذكارات.

.. إن شروط القراءة وتعلم وتعليم شروطها قد تكون أصعب وأعظم وأنفع وأوجب من ابتكار الكتابة والقراءة ومن تعلمهما وتعليمهما، ما أقبح القراءة والكتابة بدون شروطهما، إنه لن يتفوق على فتحهما إلا قبح وجود الآلهة بلا شروط الآلهة..

.. كم هي خطيرة وضارة ومضللة ومفسدة وعقيمة أي القراءة وكذا الكتابة بدون شروطهما ونياتهما ومعانيهما ومعاناتهما.

.. إن الإنسان لأفضل وأتقى وأذكى بلا قراءة أو كتابة من الإنسان متلبساً متعاملاً بالكتابة والقراءة حين تكونان بدون معانيهما وشروطهما..

وهل وجد أو يمكن أن يوجد من يلتزم بشروط ومعاني القراءة والكتابة كلها ودائماً حتى ولو لم يكن قارئاً أو كاتباً عربياً؟

ما أنخسر وأبلد وأجهل المجتمعات التي تحشد وتطلق كل اهتمامها وهمومها ودعاياتها لكي تعلم أفرادها الكتابة والقراءة دون أن تفكر في تعليمهم كيف يقرؤون ويكتبون ولماذا يقرؤون ويكتبون بل ودون أن تعلم أن للقراءة والكتابة شروطاً صعبة وغالية ومجهولة بل ومرفوضة في كثير من المجتمعات أو في أكثرها، ولكن هل القراءة أو الكتابة بمعناها هذا تعلم أم تكون وتولد وتنبث؟

.. إنهما أي القراءة والكتابة بدون شروطهما ليسنا خسراناً فقط بل وإفساد وتشويه وتعويق وتضليل وتسفيه وقضخ وافتضاح وبذاءة وغرور وعدوان وتحطيم وتخدير.

.. إنهما إزالة للبكارة بلا زواج أو حب أو لقاء أو ولادة أو امتتار.. بأساليب غير صحيحة أو علمية أو منطقية، بل بأساليب تشويهية تعويقية إعلانية تظاهرية بكل تكاليف واحتفالات ودغوف الزفاف والأعراس..!

هل عائب أو ضلل أو خسر الإنسان نفسه وحياته بشيء مثلما عاقبهما وضلللها وخسرهما بالقراءة والكتابة بدون شروطهما؟ لقد كانتا وسوف نطلان أقسى وأفثك وأشمل وأدوم الوثنيات في حياة الإنسان أي القراءة والكتابة بدون شروطهما.



.. ما أغلى وأغزر الدموع والدماء والآهات والأنات التي ذرفت وسفكت منفقة مبدرة ضائعة على العقائد وبسببها وتحت تأثيرها وتعاليمها وشعاراتها وأكاذيبها وإرهابها بلا أي عزاء أو ربح أو مواسة أو تخفيف أو أمل صادق أو نافع..!

ما أظفح وأضخم وأطول وأقبح العداوات والخصومات والملاعات والانشقاقات والحروب التي عاقب وحارب بها الإنسان نفسه استجابة وطاعة لهذه العقائد ولأنبيائها ودعاتها ودجاليتها بلا أي مساءلة أو محاسبة أو مراجعة أو قراءة أو رؤية للنفس أو لأي شيء..!

هل صنع للإنسان وفي الإنسان ورسخ فيه عداواته وخصوماته وبغضائه وأحقاده وملاعناته مثلما فعل به ذلك آلهته وأديانته ونبواته وأنبيأؤه؟ وهل عادي أو شوه أو عوق أو ضلل أو أفسد ذكاء الإنسان ورؤيه وحماسه مثلما فعل به ذلك آلهته وأنبيأؤه وأديانته ونبواته؟

وماذا عما استفرغته وما تستفرغه وما سوف تظل تستفرغه منابر ومحاريب ومطوور هذه العقائد متناطحة متبارزة مصغراً محقراً رافضاً بعضها بعضاً.. مهدداً ضارباً بعضها بعضاً
... متباهياً متكبراً بعضها على بعض؟ ما أسوأها وأفحشها متناقضة متصادمة متشائمة متهماً معيراً بعضها بعضاً..!

... إن هذه العقائد لم تكن ولن تكون إلا مناجم ومضامع ومخازن للأسلحة المتقاتلة وللأحقاد والعداوات والخصومات والبدايات والبغضاء..!

إنها لم تكن ولن تكون إلا تشويهاً وتقييهاً وتسفيهاً وتعذيباً وهجاءاً للعقول والقلوب والضمائر والأخلاق والرؤى واللغات وللمعانقات والمصافحات.. إنها خناجر وسوم وجراثيم ومتفجرات في الأيدي والوجوه المتصافحة المتعانقة.. إنها تسميم، تسميم لكل معاني الإنسان..!

إنها أي هذه العقائد أردأ وأقبح وأبلد وأخطر وأفجر وأكذب وأخدع ما ابتكر الإنسان لنفسه..! كيف لا تفعل المنظمات الدولية كل شيء لإنقاذ الإنسان منها.. إن هذا الإنقاذ لأوجب الواجبات على كل العقول والقلوب والأخلاق..!



إذن لا بد أن نطلب ونرجو صفحكم وغفرانكم لأن رؤيتنا وقراءتنا وتفسيرنا لأهوال وطغيان وآثام هذه العقائد قد سحبتنا من التحاور معكم الذي بدأناه وفي نيّاتنا ألا يصرفنا عنه أي صارف..! إنه لا عذاب كعذاب من يضع هذا الكون داخل رؤيته وقلبه وفكره وضميره وتفسيره ومساءلاته ومحاسباته واشتراطاته المنطقية والأخلاقية والنفسية والفنية بل والدينية..!

إنه لا عذاب ولا انفجاع ولا ترويع مثل عذاب أو انفجاع أو ترويع من يقرأ هذا الكون أو من يفرقه بعقله أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه أو تعنياته أو حساباته أو حتى بإيمانه وتدينه وتقواه أو بأي شيء من معانيه..!

أيها الذباب تصدق على شعبي بشيء من بسالتك وصدقك

«أعترف أنني قد عجزت أن أصمت عن التحدث إليك مهما قالت لي كل التجارب وكل ما يسمى بالوقار والكبرياء واحترام النفس: أصمت، أصمت، أصمت. احترم قلمك ونفسك».

هذا الكتاب: «الكون يحاكم الإله».

كان المفروض المنتظر المتعنى بل الواجب أن تعلمه وتعلمه وتدعو إليه وتنبأ وتنبأ به وتحوله إلى نبوة ليكون إحدى نبواتها، آخر وخاتم نبواتها وأقوى نبواتها وكل نبواتها، وتعويضاً ونكفيراً عن كل نبواتها وتوبة من كل نبواتها كل العروبة.. كل نطلعات ونبوات وتقوى وإيمان وأشواق كل العروبة..

لكي تغطي به كل ألوهياتها ونبواتها واعتقاداتها وبلاهاياتها وقراءاتها وصلواتها وفلسفاتها البدوية القبورية.. لكي تكفر به عن كل موتها الطويل الدائم الشامل.. موت العقل والفكر والقلب والضمير والرؤية والاحتجاج والسؤال والتمرد والغضب والرفض فيها بكل معانيه وتفسيره الإنسانية..

.. لتكفر به عن كل قحطها الإنساني الراضية للتعامل معه كل الأنهار والسحاب والينابيع والرياح بل والندى..!

أو كان الواجب في الاحتمال أو المستوى الآخر الأضعف أن تهاجمه أي هذا الكتاب ناقدة محاررة نافضة رافضة مبطلة هادمة لكل رؤاه وأفكاره ونفاسه وبرؤى وأفكاره وتفسيره أقوى وأذكى وأثقى وأصدق..

أو كان الواجب على الاحتمال والمستوى الأقل من الأقل أن تعلمه بكل حماس دينها وتدينها وتقرأها وأصالتها وعبقريتها في اللحن واللغات وبكل طاقاتها وشهواتها الصراخية الإعلانية التعبدية أي في اللحن واللغات..!

وهل للعرب عبقرية مثل أو غير عبقرتهم في اللحن وفي صياغة اللغات؟ هل لهم تاريخ غير تاريخهم في اللحن وصياغة اللغات؟

أليس أعظم وأشهر وأقوى ما في دينهم وكتابهم المقدس وشعرهم وأديبهم وفنونهم اللحن وصياغة اللغات؟

أليس اللحن واللغات هي كل أوصاف ومزايا وعبقريات وانتصارات وجيوش وأسلحة إلههم

ونبيهم ودينهم ومحاربيهم ومنابرهم وتقواهم وحماساتهم ومبارزاتهم بل وصلواتهم؟ هل يصلون بلا لعنات لكل أحد ولكل شيء صحيح أو عظيم؟

إنهم يرون أن آذان إلههم ونبيهم لا تطرب أو تسعد إلا بالامتاع إلى أقبح وأحر اللعنات..
.. هذه الرؤى والتفاسير والحسابات والتقديرات هي كل ما كان ينتظر ويحتمل ويتمنى ويتوقع
ويجب في هذه القضية مهما كانت أنواع ومستويات القبح والفحش والسخف والبلادة والنذالة والبذاءة
والوقاحة في ذلك..!

أليست كل ممارسات العروبة خروجاً على كل الجمال والذكاء مهما كانت القضية؟
.. أما الصمت، الصمت هنا حتى عن كتابة أو قراءة أو ذكر اسمه.. اسم الكتاب وكتابه..
.. أما الصمت عن ذلك حتى عن السب والتسفيه والالتهام والاستنكار والرفض والتحرّض..
أما الصمت هذا جبناً أو نفاقاً أو خوفاً أو خيلاً أو بيعاً أو شراءً أو لأسباب وحوافز أخرى غير
نظيفة أو كريمة أي نفسية أخلاقية طبيعية ولادية وراثية عربية، عربية.. وما أكثر وأقوى هذه الأسباب
والحوافز في النفوس والأخلاق العربية! هل يستطيع أي كائن نظيف أن يحذق في النجوم والأخلاق
العربية أو أن يقرأها!

.. أما الصمت هذا عن هذا الكتاب وكتابه حذار من أن يقرأ أو يعرف أو يسمع به أو يكتبه
أو رغبة وشهوة في قتلها أو إخفائها وإخفائها..

أما هذا الصمت لئلا يعرف أو يقرأ أو يذكر الكتاب وكتابه أو يسمع عنهما ولو بالشتم والالتهام
والتحرّض والتكفير استجابة للأسباب والحوافز الأصلية العريقة في النفوس والأخلاق العربية ولا سيما
نفوس وأخلاق حملة الأقلام والألواح والأقواء العربية.
.. ولا سيما معلّمي النبوات والديانات العربية.

.. ولا سيما منزلي وحافظي ومفسري الآيات والسور العربية!..
نعم، أما هذا الصمت عن هذا الكاتب وعن كتابه مع تغليق كل الأبواب والنوافذ والطرق
دونهما بكل هذه التفاسير والنبات والحوافز والأساليب التي لن توجد أو تحيا أو تتعامل بكل هذه
المستويات إلا في النفوس والأخلاق العربية - نعم، أما هذا الصمت فإنه هبوط لا تستطيع ولا تقبل
كل تفاسير الهبوط أن تكون شيئاً من تفاسير هبوطه أو أن تكون شيئاً من هبوطه..!.. هل للهبوط
حدود؟

أليس الإنسان العربي يرفض وينفي أن يكون للهبوط حدود؟
.. كم أنا حائر، حائر لأنني حائر ولأنه يجب أن أكون حائراً..
.. من أخاطب؟ هل أعرف من أخاطب؟ هل أنا أخاطب؟ هل أطمح أو أطمع أو أرجو أن أجد
من أخاطب؟

.. ما أقسى المخاطبة وأصعبها وأقلها إن كانت تشترط أن يوجد المخاطب؟

.. هل أنا أخاطب أم أحزن وأبكي وأصلي لحزني وبكائي؟

.. هل أعرف أو أعرف أحد الفرق بين الحزن والفرح.. بين البكاء والضحك.. بين الغناء والرناء.. بين اللذة والألم.. بين الصلاة والرقص.. بين الأنين والهتاف.. بين الصفعات واللطمات والقبلات والمعانقات والمصافحات؟ هل يوجد هذا الفرق أو يوجد من يعرفه؟

أجل، من أخاطب في هذه اللحظات؟ أنا أحترق، أحترق احتياجاً وشوقاً إلى أن أجد من أخاطب. إنني في هذه اللحظات أخاطب شعبي اليمني وحده.. أخاطب نفسي مهما تعدد من أخاطب.!

لماذا شعبي اليمني دون غيره؟ لماذا؟

سؤال صحيح ومعقول ولكنه يحتاج إلى تفسير.. ما أكثر التفسير ولكن ما أقلها، أقلها. ومع هذا أجروا أن أقول: التفسير لذلك أنني لم أجد أنا غيره غير شعبي اليمني بتجاربي وظروفي ورؤاي وقراءاتي الخاصة له ومعهم وفيه. لم أجد غيره. هل ذلك قوة في حظوظي أم ضعف فيها؟ لهذا لم أؤمل في غيره أو أنتظر من غيره.. لهذا لم أخاطب أو أحاول أن أخاطب غيره من الشعوب العربية في هذه القضية وفي قضايا أخرى..!

وأيضاً أخاطب شعبي اليمني وحده في هذه القضية لأن الشعب اليمني كل العروبة.. كل المصدرين للعروبة.. كل المعلمين والمفسرين والخطباء والفتاحين للعروبة هل أنا مخطيء في هذا؟ هل يجب أو أتمنى أن أكون مخطئاً فيه؟ إذن فالشعب اليمني مطالب بكل ما يطالب به العرب ومحاسب بكل أخطائهم وخطاياهم أو لأن الشعب اليمني هو كل المتهمين بكل ذلك.. كل المتهمين بأنه هو كل العروبة وكل المصدرين والمعلمين والمفسرين والخطباء للعروبة ولخصائصها.. لكل مواجهات العروبة لإسرائيل.. لإسرائيل ولكل المفسرين والمشخصين والمداوين لمواجهات العروبة لإسرائيل من شعراء وعلماء وأدباء وحكماء وأنبياء وزعماء عرب، عرب.. المواجهون لإسرائيل والمفسرون للمواجهة عرب. إذن ما أردنا المواجهة والتفسير.

إن لي مطلباً هنا، مطلباً صغيراً وسهلاً في كل حساباتكم وفي كل الحسابات ولكنه كبير جداً في حسابات أخرى وفي حساباتي أنا..

هذا المطلب الصغير الكبير.. السهل الصعب اليسير العسير.

هذا المطلب هو، هو...

أن تذيبوا وتنبشوا بكل الأصوات والقراءات والتعليقات والتفسيرات هذه الأتة.. هذه الآهة.. هذه التحية.. هذه الصلاة التي لا نستطيع صلوات كل الأنبياء أن تكون شيئاً من صدقاتها وصفاتها وتفاوها..

أليست كل الآهات، والآثات المفجوعة أتقى وأصفى من صلاة الأنبياء الراكعة الساجدة؟

أن تدميها وتشرها على كل أجهزة الإذاعة والنشر والإعلام والحوار والتوصيل وفيها أي هذه الآفة.. الأفة.. التحية.. أي هذه الصلاة التي لم تصل للألفة. إن إذاعتها ونشرها ومحاورتها في هذه الأجهزة بكل الحرارة والحماس والاهتمام بل والانفجاء الصادق.

- نعم، إن ذلك قد يكون شياً من التعويض والتكفير والاعتذار عن شيء من القبح والفحش والبلادة والجهالة والكذب والنفاق والوثنية والتعبد لكل الأوثان المنطقية المذلة لكل التاريخ العربي بل الكتابة العملية الصائفة لكل التاريخ العربي!

إن حلبي هذا ضئيل وقليل وسهل ومتواضع ولكنه في حسابات المطالب به وفي احتياجه إليه كبير وعظيم ومريح..!

فهل يرفض الاستجابة له شعراء وحكماء وأدباء وفقهاء وأتباء وزعماء الشعب الذي ولد وحضن ورعى وعلم وصاغ وخلق وصدر كل العروبة وعلمها كيف تفسد وتذل وتخيف أخلاق وذكاء المتحضرين وكيف تشوه وتفتيح حضاراتهم بالتعامل بها وبأدعائها..؟!

هل يرفضون الاستجابة لذلك ضمناً أو هواناً أو نفاقاً أو جهلاً أو بغضاً أو حقداً أو حسداً أو غيرة أو إهمالاً أو كسلاً أو خمولاً أو موتاً أو تدبناً أو إيماناً أو خوفاً على إلههم البائس المختبئ من الهزيمة والإذلال، أو حماية لمجدهم القلبي الكلامي الأدبي من المنافسة غير المريحة؟

.. إنني أرفض هذا الرفض.. أرفض كل احتمالاته وتفسيره..!

إنني أرفض وأتعذب، أتعذب كل العذاب وأفسى العذاب ألا أجد في عالمي العربي.. في شعبي العربي في كل تجاربي، تجاربي اللاهثة عليه وفيه ومع به.. ألا أجد فيه أي قدر من المعاني والتفاسير والمواقف التي لا يستطيع أي مجتمع أو كائن أن يفقدها كلها مهما صمم وحاول وأراد أن يفقدها..

هل استطاع أي شعب أو كائن أن يفقد كل الشجاعة والصدق والإخلاص والصفاء والإنصاف والحب والصدقة والصراحة.. كما استطاع شعبي كل ذلك بكل السهولة والديمومة والإجماع بل وبكل المباهاة والإعجاب بالنفس؟

هل يستطيع ذلك أي شعب مهما أراد؟

إن شعبي إذا فعل أو لو فعل شيئاً من هذه القيم فإنه لم يفعله إلا لأنه لم يستطيع أن يفعل النقيض أو لأنه لم يجد الربح أو الثمن في النقيض أو لأنه اضطر إلى ذلك اضطراراً تحت حوافز وأسباب وتفسيرات مناقضة، مناقضة..

إنه لا يفعل ما يجب أو يحمى أو ينقي فعله بل ما يشتهي أو يريد أو يريح من فعله.

إنه إذا صدق أو أحب أو صادق أو عدل أو مدح أو تواضع أو تهذب أو توقر أو حتى آمن وتدين ومجد إلهه أو نبينه أو تاريخه أو وطنه أو شعبه أو مزايه الآخرين فلن يعني أو يكون التفسير ما

يقوله العنوان. إن علاقاته النفسية والأخلاقية والفكرية بالأشياء لا تتغير مهما تغيرت وتبدلت علاقاته الجسدية أو الإعلامية أو الرسمية بها..!

.. إنني في هذه اللحظات بل وفي كل اللحظات أعاطب وأناجي مناجاة ومخاطبة لو سمعها أو لمسها شيء من شعيرهما وحرائقهما الإله لا تحترق، احترق مع أن جسده وقلبه وضميره وفكره وأخلاقه وأحاسيسه وذاته محصنة ومحروسة بكل معاني الخمول والجمود والذهول والموت بل ومعقمة ضد الرؤية واليقظة والحركة والتذكر.. مخزونة مبردة بكل ما في الكون من برودة وتلويج.. محكومة بالغيب والغيبوبة بلا صحة أو حضور..!

.. إنها مناجاة ومخاطبة لو غوطيت ونوجيت بهما أصغر وأهون وأبلد الحشرات بشيء من لغتها ومنطقها وأخلاقها.. لو نوجيت أو غوطيت بهما أصغر وأذل وأضعف وأخمل الحشرات وما هو أقل من الحشرات لكان أقل ما يمكن أن تفعله مستجيبة ملية أن تتحول إلى ركوع وسجود وتضرع وتوبة واستغفار وإلى استجابة فيها كل هذه التفاسير.. إلى استجابة مؤمنة متدنية لمن خاطبها وناجاها..!

.. كم أرفض أن يعجز شعبي العربي عن رفض ما لا تعجز كل الحشرات عن رفضه..

ما ترفض كل الحشرات العجز عن رفضه..

.. كم أرفض وبحب أن أرفض أن يعجز شعبي عما لم تعجز عنه كل الحشرات..

أن يذل ويهون ويموت شعبي خوفاً وحلماً أن يقترب مما لم تخف الحشرات من اقتحامه بل من الموت والانتحار باقتحامه..!

هل وجد من يتفوق على شعبي مواطناً ومساكناً ومعايشاً للحشرات؟ إذن كيف لم يفتن إلى اقتحامها لأتقى وأقوى الأخطار بكل البسالة والجرأة والتحدي لكي يقول صارخاً مفجوعاً: لماذا أنا وحدي أقل من كل شيء في بسالتي حتى من أضعف الحشرات..

.. ويلي، ويلي من نفسي ومن قومي. ويلي، ويلي كم أخجل وأتعذب بنفسي وقومي ومن نفسي وقومي كم أخجل وأتعذب لهما ومن أجلهما..!

كم أخجل وأنفج وأزعج وأتعذب حين أرى وأجد الذباب يهاجم بكل البسالة والمخاطرة والكبرياء والزئير والطين إعلاناً عن النفس.. بكل اليقظة والذكاء والحرارة - حين أراه وأجده يهاجم وينازل ويقتحم كل مواقع وأماكن وطرق الخطر.. الخطر المحتوم ثم أجد وأرى وأعرف وأجرب شعبي يمارس ويعيش ويتقبل ويرضى بل ويعبد ويقدم ويمجد كل الجبن والاستسلام والهوان خوفاً من أقل وأضعف وأبعد احتمالات الخطر.. أصغر الخطر..

إنك يا شعبي تفاخر بكل الأساليب ووسائل التعبير بقسوة غيرتك ومنافستك للمتفوقين..

إذن أين ذهبت غيرتك ومنافستك مقارناً جبنتك وضعفك ببسالة وجرأة وقوة الذباب.. وبيقظته وحرارته.. محاسباً استسلامك وهوانك وهربك بكبرياء وإباء واقتحام الذباب.. مواجهاً بطاعتك

وصمتك الذليل المتعبد لعصيان الذباب ولطيفته المتحدى الميارز المنازل؟ ألم تخف أن يتحول الإله من اختياره وتفضيله لك إلى اختيار وتفضيل للذباب مقارناً لك به؟

كم أرجو يا شعبي العزيز الحبيب الأصيل.. كم أرجو ألا يخفى عليك: لماذا خصصتك بهذه الحرب السلمية القلمية التي لن يقع فيها أي قتيل أو جريح أو مشوه أو مهده بشيء من ذلك.. بهذه الحرب التي أقول والتي يجب أن يقال عنها:

ليست كل الحروب حتى الحروب التي حاربها وحارب بها الآلهة والأنبياء والملائكة والقديسون وحاربتهم وحاربت بها أو باسمها الأديان والأخلاق والصور والآيات والثورة والإنجيل.

- نعم، ليست كل الحروب التي كانت والكائنة والتي سوف تكون والتي قد تكون أو لن تكون - لينها جاءت كلها وتجيء كلها كهذه الحرب التي خصصتك بها يا شعبي.. إنها حرب الحب والأمل والطموح والمطالبة بتخطي الضعف.. إنها حرب الإحياء والتجميل والتقوية لا حرب القتل والتشويه والإضعاف..

لقد خصصتك بهذه الحرب المقاومة والرافضة لكل حرب يا شعبي اليمني لأنك أنت كل الشعوب الحرة ولادة وعطاء وتصديراً وصياغة وقراءة وتفسيراً وتبدلاً ونشيتاً..!

بل ولأنك أنت يا شعبي اليمني كل الديانة العربية والنبوة العربية.. كل من آواهما ورباهما وغذاهما ونصرهما ونشرهما وصاغهما وعلمهما وفسرهما وصدرهما وفرضهما وغزا وفتح ونهب واسترق واستعبد بهما.. هل يمكن ألا تكون عارفاً بذلك يا شعبي العزيز الأصيل؟

ألست تعرف أن قوم محمد قد طردوا محمداً وطردوا معه إلهه ودينه وكل معانيه وأخلاقه وأحلامه وأحقادهم وبغضائهم ولعناتهم وجاهليتهم..

وطردوا معه جحيمه وفردوسه بقلمانه وجواربه ومحظياته وبكؤوسه الملأى الفارغة..

وطردوا معه كل ما يقاسي العرب اليوم ودائماً من جهالات وعصبيات وأهوال باسمه.. طردوا كل ذلك ليموت، يموت وكان محتوماً له هذا الموت، الموت. لقد كان طردهم له شيئاً من التكفير عن ولادتهم له، إنه تكفير كان يجب أن يتم بأشمل الصيغ..

ولكنك أنت يا شعبي اليمني.. أنت، أنت قد حميت هذا الموت من الموت، قد منعت هذا التكفير أن يتم..!

بأن استقبلته وحميته ونصرته وأعززته وشهرته وأعلته وصدرته إلى كل العالم بل وفرضته على كل العالم. إنك بهذا يا شعبي اليمني قد حرمت قوم محمد من أن يعتلوا عن إساءتهم إلى العالم بولادتهم لمحمد بالخلاص بالخلاص منه. هل تصورت يا شعبي ضخامة ذنوبك في هذه القضية؟ لكي تتصور بشاعة ذلك حدث في ما حدث وما يحدث وما سوف يحدث من جهل وتعصب وبغضاء وأحقاد وعداوات وانقسامات بسبب هذا الذي طرده قومه فذهبت أنت تؤويه وتحميه وتنصره وتقرضه على العالم..!

.. إذن أليس محتوماً ومعقولاً ومقبولاً ومغفوراً يا شعبي اليمني العزيز الأصيل أن تكون مطالباً

بكل ما تطالب به الشعوب العربية، وأن تكون محاسباً محاكماً بكل الأخطاء والخطايا والنقصات العربية وأن تكون أنت الفاعل لكل الذنوب والفضائح والقبائح العربية، بل وأن تكون المداوي الشافي من كل ما تشكو منه الشعوب العربية ومن كل ما يشكى من الشعوب العربية ومن كل ما تتهم وتفضح وتحقر به الشعوب العربية أي المحسوب كذلك والمطالب بكل ذلك؟ إذن ما أعظم وأثقل أثقالك يا شعبي المتهم البريء الظالم لأنه المظلوم.

.. الشعب اليمني هو الذي فرض على العرب وعلى شعوب أخرى نبوة وديانة وشريعة وقرآن محمد لتقاسي كل ما قاست وكل ما تقاسي وكل ما سوف تظلم تقاسي بسبب هذا الفرض عليها! إذن هل يوجد أو يتصور مذنب ذنباً عالمية كونية مثلك يا شعبي اليمني العزيز الرقيق الرقيق الرحيم؟

ما أفسى وأصعب الموقف هنا..

إنك إما أن تظلم متحماً لخطيئتك هذه التي عاقبت وشوقت وضللت وأفسدت بها شعوباً عديدة بل كل الشعوب بشتى الأساليب والتفسيرات المتفاوتة، ولا تزال وقد تظلم طويلاً ودائماً تفعل ذلك..

وإما أن نحاول الخلاص من هذه الخطيئة..

ولكن كيف يمكن أو يستطيع هذا أو هذا؟

ماذا لو تصور الإله حرج هذا الموقف أي وكان إلهاً غير عربي؟

هل يمكن التصور أو يستطيع حينئذٍ لما لا بد أن يحدث. لما لا بد أن يعاقب به نفسه وأن يعتذر به عن نفسه أي الإله؟

ولكن هل كان يمكن أن يوجد أو يبقى أي شيء أو أن يجيء أي شيء كما جاء لو كانت الآلهة تقاسي شيئاً من التصور السائل المسائل المحاسب المعاقب المكفر المعتذر؟

إن من أفجع وأقبح الأشياء أن تكون الآلهة غير قادرة على أن تجرب الغضب أو الاستنكار أو الاحتجاج أو الرفض أو حتى التساؤل الفكري أو النفسي أو الفني أو العلمي أو الأخلاقي!

إن من أفجع الفواجع ألا يكون داخل أو خارج هذا الكون محاسب أو محاكم أو مصحح أو مصلح!

كتبه من لم تقرأ أو تعرف الآلهة نفسها إلا باستماعها إليه فارثاً مفسراً لها عليها لو قرأته أو سمعته أو استمعت إليه..

وهل فعلت أو تفعل ذلك؟

ما أفسى وأفجع قراءة الآلهة والقراءة لها وتفسيرها والتفسير لها. إنه لا أفجع أو أفسى من ذلك إلا محاولة تعليمها القراءة أو الكتابة أو الرؤية أو التفكير..



تعالوا نقرأ الله تعالوا نقرأ الكونا

قسوتهم كل ذي القسوة
 أم الكبير أم الزحمة
 لقد قالت لنا الفكرة
 لقد غصت بنا الحسرة
 خف الله وخف بطشه
 ندادوي الآه والأثمه
 سراجاً يقهر الظلمه
 بلا حكمه بلا رحمه
 بلا ممع بلا رؤيه
 بلا حول.. بلا قوه
 بلا نخوه، بلا يقظه
 لهذا الرب..؟ وأحسره
 إلى النار.. إلى الجنة
 إلى القرآن والسنة
 لأننا فاقدو السلطه
 والإغواء والقدره
 بأن نيكى بلا رهبه
 إذا لم نمنع الرغبه
 لقد زأغت بنا السريه
 لقد شأخت بنا الهمه
 لقد طألت بنا الآثمه
 هنا قلنا وما الخطه
 هنا قلنا وما الفكرة
 هنا قلنا وما الحكمه
 هنا قلنا وما الوجهه
 هنا قلنا وما القمصه

لماذا هذه الممره
 أتديبر، أتديبر
 لقد قالت لنا الدنيا
 لقد دكت أمانينا
 أيها هذا، أيها هذا
 لقد كنا بكم يوماً
 لقد كنتم لنا يوماً
 سنشكركم إلى رب
 بلا قلب بلا عقل
 بلا ماخذ.. بلا آت
 سنشكركم إلى رب
 وهل يجدي بأن نشكو
 سنشكركم.. سنشكركم
 سنشكركم.. سنشكركم
 سنشكركم.. سنشكركم
 لأننا فاقدو الإغراء
 وهل يجدي بأن نشكو
 إذا لم نمنع الرهبه
 لقد تاهت بنا الخطوه
 لقد جفت مغانينا
 لقد طألت بنا الآثمه
 لقد قالوا لنا كونوا
 لقد قالوا لنا موتوا
 لقد قالوا لنا أضلوا
 لقد قالوا لنا سيروا
 لقد قالت لنا الدنيا

هنا قالت بلا قصه
وهل ترضى بي القصه
لقد شأهت بي الفكره
لقد قالت أي الدنيا
تعالوا نقرأ السيره
لقد قالت لنا الآية
تعالوا نقرأ الله
لتدروا كم هو التزوير
لتدروا كم هو التشويه
لتدروا أنكم كنتم
بلا عقل بلا وعي
بلا دين بلا كقر
تعالوا نقرأ الله
تعالوا نقرأ الكون
تعالوا نقرأ السوره
تعالوا نشرح الآية
وكم أخشى وكم أخشى
فهب عطفاً وهب رقه
وكن حباً وكن رباً
رحيماً يرحم الآله
مميعاً يسمع الهممه
تعالوا نقرأ الكون
تعالوا نقرأ الله
تعالوا نعلن الشره
على الدنيا.. على الأخرى
على من علموا الركعه
لرب ترفض الأخلاق
لرب تلعن الأفكار
لرب يزور التشويه
لرب يطلق الآهات
لرب يمشق المعاهات
لرب يمشق الآلام

بلا فكره بلا عظمه
أو الخطه أو الفكره
كذا الخطه كذا الرؤيه
تعالوا نفتح الصفحه
تعالوا نعرف الورطه
تعالوا نقرأ السوره
بكل الحزم والجراه
والتهليل والتمليله
والتحطيم والنكبه
بلا مجد بلا محوه
بلا رؤيه بلا وثبه
بلا نار بسلا جهنمه
لكيما نعرف الفريه
لكيما نرفض القصه
لكيما نخلق الصفحه
لكيما نففر الرده
فراقاً يخنق الفرحة
وفارق نية الفرقه
نبسلاً يقبل الدعوه
ذكياً يفهم الخلطه
شريفاً يمقت الخدعه
تعالوا نقرأ الورطه
تعالوا نعلن الشره
على النار.. على الجهنه
على الراضين بالصنقه
على من علموا السجده
ترفض الأفكار فهمه
تلعن الأخلاق وصفه
بوجه الطفل والطفله
بقلب الشيخ والشيخه
والآثات بالإنسمات والرؤيه
يمشق الآلام.. يا فحشه

لرب يخلق الشيطان
 لرب يلعن الكفار
 لرب يوجب الإيمان
 لرب كامل الرحمة
 لهذا ينشر النقصان
 لهذا يصنع الريات
 لرب أقسى ما يخشى
 زوال الحقد والبغضاء
 لننظر كل ما يأتي
 فهل في الكون من قبح

بفسد الإنسان.. يا سخره
 بزرع الكفران.. يا جهله
 ويشا الكفران.. يا ويحه
 كامل الحكمة والقدرة
 يعشق النقصان بالفطره
 يصنع الأهوال بالجملة
 زوال الآه والأنكسسه
 شيوع الحب والبهجه
 لكما يرضي ذي الرغبه
 كهذا الرب في قبحه



ماذا يساوي حرف «لا» عند قومي؟

إن حرف (لا) عند قومي هو كل المجد والقوة والتفوق والانتصار والبسالة والإبداع والعطاء والتقوى والإيمان والدين. إنه كل التاريخ.. كل التوحيد الذي يطالب به ويفرضه ويعلمه إله وخالقي وصاحب هذا الكون وكل كون ويجزي عليه بكل طاقاته واهتماماته وشهامته ونخوته..!

إن حرف لا وحرف إلاً هما كل عبقریات وحضارات ومبتكرات وعظمة قومي!

أليسوا أي قومي يقولون: لا إله إلا الله ولا مجد ولا قوة ولا طاعة ولا حب ولا ذكاء ولا إرادة إلا لله لكي يبروا أنفسهم ولكي يكونوا ويحسبوا كل المؤمنين الموحدين الأتقياء العقلاء الأصفياء المستصرين القاهرين المعلمين القائدين لكل العالم ولكل عالم ولكل شيء مع أنه لا أحد له كل الآلهة وأتقي وأوقع وأجهل وأنذل الآلهة مثل قومي.

ومع أن الإله الذي يقول له وعنه قومي: لا إله إلا هو. لا إله إلا أنت لا وجود له مؤثر أو محسوب في أي سلوك أو أسلوب أو نية أو معنى من سلوك أو أساليب أو نيات أو أخلاق أو معاني قومي..!

إنه لا وجود لإله قومي ولن يكون له أي وجود إلا في أصواتهم..!

إن كل أمجاد وانتصارات وقدرات وحضارات وتقوى وإيمان ومزاج قومي في أن يقولوا ويعلموا ويعتقدوا ويصرخوا: لا إله إلا الله.. لا إله لنا أو لأي شيء أو لأي أحد إلا أنت حين تكون لهم أي لقومي كل الآلهة أي أتقي وأجهل وأفجع وأنذل الآلهة..!

وحين يقولون ويعلمون ويعتقدون إلا أنت يا إلهنا. يا كل الآلهة حين تكون له في حياة ونيات قومي كل الأنداد والشركاء المناقسين له المتفوقين عليه بل الهازمين المطاردين الطاردين لكل معانيه وحقوقه بل لكل وجوده من حياة قومي..!

إنه لا يوجد مطرود من كل حياة قومي مثل إلههم الذي لا يوجد مثله منطقاً به ومتحدثاً عنه..!

إن ابتكار الإنسان العربي لكلمة لا إله إلا الله وتعامله بها لهما أقسى تفسير وتكذيب له ولهما أصدق وأقوى وأذكى تفسير وتعبير عنه..!

إنه لا شيء يفتر ويفضح قومي مثل: «لا»، «ولاً»، «لا» مثل كلمة لا إله إلا الله..

مثل هذه الكلمة التي تعني كل شيء عند قومي دون أن تعني أو تصنع أي شيء في حياتهم أو في أية حياة.. بل أو في أي شيء..!

لك ألف معبود مطاع أمره دون الإله وتدعي التوحيد..!



إن كلمة لا إله سائلة وثانية هي كل الإيجاب والإثبات وإن كلمة إلا الله موجبة ومثبتة هي كل السلب والنفي في تفكير واعتقاد وتقاسير وحسابات وحضارات ورؤى وتقوى وإيمان قومي..!

إنهما كل الإثبات لما يراد تقيده وكل النفي لما يراد إثباته أي لا إله إلا الله..!

إن كل نفي ورفض قومي لكل الأوثان والوثنيات أن يقولوا: لا إله إلا الله، وإن كل انتصاراتهم وأمجادهم وعقرياتهم وحضاراتهم وتقواهم وإيمانهم وتفوقهم في كل شيء على كل العالم أن يصرخوا، ويصرخوا دائماً وبكل الأصوات:

لا نصر ولا مجد ولا تفوق ولا تقوى ولا دين ولا إيمان ولا نبوة ولا نظافة ولا طهارة ولا ذكاء ولا حضارة ولا تقدم ولا صعود إلى الشمس أو القمر أو النجوم أو المسحاب أو إلى سذرة المنتهى ولا إسرائ ولا معراج.

- نعم، لا شيء من ذلك إلا لنا نحن العرب بخيولنا وإبلنا وأغنامنا وبراقنا وصهيلنا وزئيرنا بقرآنا وأحاديثنا ومحاربينا ومنابرنا.. يالها ونينا وتراثنا وتاريخنا وفصائد شعرائنا المتوجة بها كعبتنا.. إنه لا مكرم مطلع بالأقواء مهان معصي بالسلوك والنيات مثل إله قومي..!

إن كل تقاسير قومي لا تساوي إلا كلمة: لا إله إلا الله، وإن كلمة لا إله إلا الله لا تساوي إلا كل ما يساويه كل تاريخ قومي.. لقد جعل قومي لحرف: لا ولحرف: إلا تاريخاً يقرؤه ويتعلمه ويباهي به ويصلي له كل تاريخهم..!

إن فجبتي بقومي ولقومي تساوي إرادتي لهم..

إذن كم تساوي قواجمي؟ إذن هل يمكن تصور ألوان وأنواع وأساليب وضخامة وديمومة عذابي؟ ما أقسى أن نريد بكل الحرارة والحب والصدق والشوق والديمومة ثم أن نفقد بكل الشمول واليأس والترويع والإحباط..!

ما أقسى أن نفقد ما نريده بعقولنا وأخلاقنا محاسباً بمسوسة فقدنا لما نريده بشهواتنا واحتياجاتنا..!

.. ما أقسى أن نفقد ما نريده لقومنا محاسباً بمسوسة فقدنا لما نريده لأنفسنا..!

ما أقسى ألا يكون هذا هو الحقيقة في معاناتنا ومعاملاتنا وانفعالاتنا الفكرية والأخلاقية والإنسانية بل ما أردنا ذلك وأقبحه..!

إن كل تقاسير قومي في أن يؤمنوا بكلمة: لا إله إلا الله وأن يهتفوا بها.. إذن هل يستطيع كل الرثاء أن يكفي رثاء لهم لو رثوا به؟

الزحف العربي الجديد إلى المقابر.. لماذا؟

تحول عرب اليوم بأسلوب فيه كل آلام كل الصدمات الأليمة المفاجئة بل غير المفاجئة مهما فاجأت.

تحولوا إلى ضجيج وأصوات مزعجة لكل ما في الطبيعة والوجود والعالم من إزعاج ومزعجات، منادبة بالزحف إلى المقابر ليستخرجوا منها.. من هذه المقابر كل عضلات وقدرات وانتصارات وأسلحة وقسوة وقظافة وأحقاد وبغضاء وفحش وقبح وبداعة وجهالة وعداوة وعدوانية إلههم ونبيلهم ودينهم وقرآنهم وكل تاريخهم..

ليحاربوا ويقهروا ويحكموا ويذلوا ويقودوا ويعلموا كل العالم بل ليصبحوا كل أنبيائه ومعلميه ومنقذيه ومحضره ومؤديه ومسعديه وقائديه إلى الفردوس المسكون بكل الازدحام بالهوجرات والغلمان والخمور وبكل ما لا يستطيع التعبير عنه أو الجرأة على الحديث عنه.. ليكونوا كل ذلك بهذا الزحف إلى المقابر..!

إن زحف العرب إلى المقابر هو أقوى وأشهر وأعنف زحفهم..!

هل لهذا الزحف العربي إلى القبور أي لهذه الرجعة الدينية العربية الفاجعة المخربة المعروفة الحزينة من تفاسير وأسباب..؟!

إنه لا بد أن يقال إن لكل شيء تفاسير وأسباباً وإن كان مستحيلاً أن يكون للتفاسير والأسباب أي تفاسير أو أسباب..!

فقطع إن كل التفاسير والأسباب لن تكون لها أية أسباب أو تفاسير..!

فقطع ألا يكون للمنطق أي منطق أو للسبب أي سبب..!

إنه محكوم علي أن أبحث عن أسباب وتفسيرات عودة قومي العرب إلى المقابر التاريخية أي إلى مقابر الإله والنبى والدين والقرآن والتاريخ ليجدوا فيها كل ما لم يستطيعوا أن يجدوه في طاقاتهم أو عقولهم أو قلوبهم أو عواطفهم أو أخلاقهم أو مواهبهم أو أشواقهم أو تمنياتهم..!

.. ليجدوا في القبور كل الحياة التي لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يصنعوا منها شيئاً.. لتصبح أي القبور كل عضلاتهم وعقرياتهم وانتصاراتهم وأخلاقهم وعقولهم وقلوبهم..!

ولأنه محكوم علي بأن أجد تفاسير وأسباباً لما لا يمكن أن تكون له تفاسير أو أسباب فلا بد أن أقول: إن لهذه الرجعة العربية القبورية أي الدينية أسباباً وتفسيرات منها:

أولاً:

العربي عاجز اتكالي يريد أن يجد كل من يفعل عنه وله كل شيء مستطاع أو غير مستطاع.. إنه دائماً يبحث عن ذاته ووجوده في خارج ذاته ووجوده..

وقد وجد كل ذلك في قبوره في نيش قبوره.. قبور إلهه ونبيه وقرآنه ودينه وفقهائه وخلفائه الراشدين وغير الراشدين!..

والدين الإسلامي بكل قرآنه وأحاديثه وطقوسه ومعانيه وتفسيره يدعو بكل الصراحة إلى الاتكالية والاتكال بل ويمجدهما ويفرضهما ويصعد بهما إلى أعلى سموات ودرجات الإيمان والتقوى ويحكم بالزندقة على كل من لم يؤمن ويلتزم بهما بكل العنف والضعف والسخف!..

إن الخروج على الاتكال والاتكالية خروج على الإسلام في كل تفسير المسلم لإسلامه وإيمانه!..

والإنسان العربي في كل تاريخه لم يحتاج إلى الاتكالية مثل احتياجه إليها في زمنه هذا لضخامة المواجهات التي فرض عليه مواجهتها دون أن يريد أو يدري أو يختار أو يستطيع المواجهة أو المفارقة والهروب!..

إنها ورطة.. أقسى وأشمل وأدوم ورطة..

وقد وجد الخروج منها بالرجوع إلى المقابر.. بالدخول في المقابر..

ثانياً:

لقد وجد الإنسان العربي نفسه أمام هذه التحديات الحضارية مهزوماً مهزوماً موهوباً كل وجوده الجديد، فاقداً كل ما يمكن أن يفاخر أو يباهي أو يتفانس أو يتحدى به أو يهيمه للآخرين أو يمن به عليهم أو يأخذوه أو يتعلموه منه وعنه أو ما يجعله بجزءاً على أن يقول: أنا مكتشف أو مخترع أو فاعل أو صانع كذا أو المشارك فيه أو حتى الفاعل له أو المتعامل معه وبه كما يقبل وينبغي ويتنظر!..

إذن ماذا يفعل لكي يجد ويكون كل ما يفقد ويتمنى.. لكي يعتقد ويعلم أنه هو الأعظم والأقوى والأعلم، بل وأنه هو الواهب والمبدع والخالق والمعلم لكل الحضارات والعلوم والآداب والفنون والأخلاق ولكل مزايا الإنسان العظيمة النظيفة النقية المنقذة وأن السير وراءه هو كل الطرق إلى كل المجد والسعادة وإلى الحياة المشرقة الصافية الصاعدة، بل وأن جميع المتفوقين في كل شيء أو في أي شيء إنما تفوقوا لأنهم تعلموا منه ومن إلهه ودينه ونبيه وتراثه وتاريخه ومن آباءه وفقهائه وخلفائه بل ومن غزواته وسببه واسترقاقه للنساء والغلمان؟

وهنا رأى أن ما يجب أن يفعله ليكون كل ذلك شيء يسير سهل موجود يستطيعه بلا أية معاناة علمية أو فكرية أو عقلية أو عضلية أو أخلاقية أو نفسية.. بلا أية موهبة أو تفوق أو نضال أو تخطيط.. بلا أية مزية بل وضد كل مزية!..

هذا الشيء هو أن يعود إلى جلايب الدين وعباءته وعلماؤه وبراقعه ولحاه وعقوباته وإلى سيوفه وسكاكبه ورماحه وعداواته وبغضائه وكبريائه وإذلاله وإرهابه وتحطيمه لكل نبض إنساني حر صادق ولكل موهبة فكرية أو علمية أو فنية أو شعرية أو إبداعية..!

هو أن يعادي ويلعن ويغض كل شيء وكل أحد باسم إلهه ونبيه ودينه..!

إذن ليعبد، ليعبد، ليعبد وليزعج ويهرب الدنيا وكل ما فيها من تقدم وحضارات وحرثات وثقافات وآداب ومعارف وفنون بصراخ العودة، العودة إلى القبور.. القبور..!

إنه الكائن الذي لا مجد ولا قوة ولا حياة له إلا بعودته إلى المقابر..

ثالثاً:

يوجد في المجتمعات العربية في كل الأوقات وتحت كل الظروف أفراد مصابون بالطموح إلى أن يصبحوا سادة وقادة ومتسلطين ومعلمين بل أن يصبحوا سلاطين وخلفاء وأنبياء أمرين مسيطرين مطاعين متبوعين هاتفة لهم وبهم كل الأسواق والمتاجر والمجاريب.. وقد يكون هؤلاء الأفراد صغاراً، صغاراً ومصابين بهذا الطموح..

وبقدر ما يوجد هؤلاء الأفراد في المجتمعات العربية توجد فيها كل الجماهير المستعدة والمستجيبة بكل الحماس والجنون والافتضاح بل والانحمار لكل أنواع الخداع والانخداع بل الباحثة عن ذلك والمعلمة الخالقة له.. التي لا تستطيع أن تقبل أو تفهم أو ترضى الحياة أو أي شيء إلا بذلك أي إلا بأن تكون مخدوعة منخدعة والدة ومستوردة لكل الخادعين ولأرذلتهم وأقبحهم وأكثرهم اقتضاحاً وجهاً وتزويراً..!

إن انخداعها يعظم بقدر ما يعظم قبح وافتضاح الخديعة والخادع..!

وقد وجد هؤلاء الباحثون عن التسلُّط والسلطان وعن مجد الأسواق أن أقوى وأنجح وأسهل الوسائل لبلوغهم ما يريدون ويحاولون أن يتحولوا إلى دعاة للدين.. للدين الذي يفسرونه بأنه قد أعطى ولا بد أن يعطي ويظل يعطي كل من استمسكوا به وكل من سوف يستمسكون به كل عضلات الإله وقدراته وانتصاراته وأمنجاده وعلمه وحكمته وحب ورضاه وتفوقه وفردوسه وغناه ليصبحوا أي من استمسكوا ويستمسكون بالدين كل سادة العالم وحكامه وقادته ومعلميه ومنقذيه وصانعيه كما فعل بهم ولهم في تلك الفترة أو الفترات..!

بل من ادعوه وأعلنوه وإن لم يستمسكوا به سلوكاً وصدقاً..!

وحيث يوجد المستعدون والمستجيبيون للخديعة والتزوير والكذب فلا بد أن يوجد الخادعون والمزورون والكاذبون.. إن المفعول بهم هنا هم الفاعلون بالفاعلين بهم..!

إنه لو لم يوجد من يصدقون أو يتقبلون الكذب والخديعة والتزوير والخرافة لما وجد الكذابين والمزورون والمخادعون والباطنون لأسخف الخرافات بأغلي الأثمان وأفدحها..!

حتى الشيطان إنه لم يأت متطفلاً أو مقتحماً أو منوسلاً أو معتدياً وإنما جاء مستجيباً للإلحاح الدعوات الموجهة إليه ليحيى!..

رابعاً:

الإنسان العربي عريق وأصيل في أنانيته وذاتيته، وعنيف عريق أصيل في إفرازه واستفراغه وتصديره وتوجيهه وإطلاقه للبغضاء والعداوة والسباب والانهام والإهانة والتحقير لكل أحد ولكل شيء لكل أحد غير نفسه ولكل جنس وقوم غير جنسه وقومه، ولكل دين واعتقاد وأخلاق غير دينه وعقائده وأخلاقه، ولكل تاريخ وتراث غير تاريخه وتراثه، ولكل بطولات وانتصارات وغزوات وفتوح غير بطولاته وانتصاراته وغزواته وفتوحه، ولكل احتلال واستعمار وسيبي ونهب واسترقاق غير احتلاله واستعمارهم وسيبهم ونهبهم واسترقاقهم، بل ولكل ألوهية ووثنية غير ألوهياته ووثنياته.. إن البغضاء والحقد والسباب عند الإنسان العربي غذاء وعزاء ومجد وقوة وانتصار وغريزة وطبيعة وسعادة بل وحياة!

إن عقله وقلبه وضيميره ودينه ولسانه وكل معنى وتعبير من معانيه وتعبيراته ليتغذى ويتعزى ويتعبد ويسعد بذلك.. بأن يفعل ويؤدي ذلك بكل الأساليب وأقبح وأبشع وأفصح الأساليب.. إنه لو لم يجد أعداء يفعل بهم ذلك لفعله بنفسه!.. والدين الإسلامي يبيح ويشترع له ذلك بل يحرضه ويوجب عليه ويلقته ويعلمه إياه ويحوله له إلى طقوس وتقاليد وعبادات وفرائض تؤدي بكل التقوى والجهر والفخر والعزة..

إن نشوته بالسباب والبغض والحقد والمعاداة أعمق وأصدق من نشوته بالصلاة وبكل أنواع التعبد إن كان لذلك تشوة!..

إذن كيف لا تسارع المجتمعات العربية إلى الاستجابة بكل اللهفة والجنون والافتضاح لكل دعوة إسلامية مشحونة بكل التعصب والإرهاب والفحش والبغض والحقد والعداوة لكل شيء ولكل أحد.. لكل محبة وسلام وصفاء وتفكير وحرية وأخوة؟ إنه عطاء بلا حساب لهذه الرذائل والموبقات!..



هذه بعض الأسباب التي قد يفسر بها الزحف العربي الجديد إلى مقابر الآلهة والأنبياء والأديان التي تجمعت في قبر إله واحد ونبي واحد ودين واحد أي الإله والنبي والدين العربي الإسلامي الواحد أي في قبره!..

وقد يضاف إلى هذه الأسباب أنه لا مثيل للإنسان العربي في احتياجه إلى الأوهام وإيمانه بها وبحبه عنها وفي أشواقه إليها وطاعته لها وتلازمه معها ولا سيما أقبحها وأفظعها.. والإسلام يهب ويعلم كل الأوهام.. أغياها وأبعدها عن كل ما يقبل أو يفهم أو يعقل بل أو يتصور..

يبهيا ويعلمها بلا حساب بكل الصنم والأساليب والتفاسير والتعاليم.. إنه يحمي العقل والتفكير

من أن يكونا مخاطبين أو مسؤولين بل أو مفترضين، يحمي الفهم من أن يكون مطلوباً أو عاملاً أو موجوداً.. إنه أي الإسلام يعني أهله من تكاليف ومتاعب العقل والتفكير والفهم والمساءلة والمحاسبة..!

إنه لا يوجد مجامل ومرض لضعف الإنسان ولفحشه وقبحه وعدوانيته وردائه مثل الدين الإسلامي المعروض في الأسواق المكتوب على الأوراق..!

هل الإنسان العربي بل الإنسان في كل جنسياته وقومياته بل الكائن في كل كينوناته وانتماءاته.
- هل هو يبحث عن الأفضل والأنبل والأعقل أم عن الأسهل والأيسر والأكثر عطاء للراحة والاسترخاء والرضا عن النفس بل وعن كل شيء؟ إنها لقضية مثيرة وكبيرة وذات تفاسير ورؤى حارة وحادة.

ولكن هل عرضت أو قرئت أو فسرت أو حوسبت أو سؤلت بأي قدر من الاهتمام الذي تستحقه؟

ولعلها لم تصادم أو تتعامل أو تتحاور مع أي فكر..!

هل الذين آمنوا بالإله أو بالآلهة أو بالأنبياء أو بالأديان أو بالإله أو النبي أو الدين العربي..
- هل كانوا يبحثون عن الأفضل الأنبل الأعقل أم كانوا يبحثون عن الأسهل الأيسر الأكثر عطاء للراحة والاسترخاء والرضا عن كل شيء لا يستطيعون ولا يجدون غيره؟.. عن كل شيء يريدونه ويقبلونه؟

هل كانوا في ذلك بل وفي كل شيء مستجيبين لافتقارهم ورؤاهم وأخلاقيهم أم لإرادتهم وضعفهم واسترخائهم وهربهم وهوانهم وتبلدعم؟

هل كان شعارهم لن نؤمن حتى نعرف أم كان لن نعرف لأننا لن نؤمن لو عرفنا.. لا نريد أن نعرف لأننا نريد أن نؤمن؟

ماذا كان محتوماً أن يحدث أو أن يكون قد حدث في عالمنا العربي أو في كل العالم أو في كل الكون وفي كل كون لو لم يكن يفعل أو يراد أو يقبل أو يرضى إلا الأفضل الأعقل الأنبل الأذكي الأنقى الأقوى.

وليس الأسهل الأيسر الأبلد الأجهل الأكثر عطاء للراحة والاستسلام والكسل والرضا والافتناع بما يراد ويربح الافتناع به؟

حتى الإله أو الآلهة هل تريد وتفضل الأفضل الأعقل الأنبل الأنقى الأنفع أم المناقض لذلك؟ هل هي تفعل وتطلب ما تريد أم ما يقبل ويقبل ويرضى ويفترض وينبغي وما يراد ويطلب وينتظر منها؟ هل كان يمكن أن يكون قد جاء شيء في هذا الكون كما جاء لو كانت الآلهة تفعل الأفضل الأنبل الأعقل؟

... ماذا كان يمكن أن يوجد أو أن يبقى للإنسان من آلهته أو أنبيائه أو أديانه أو عقائده أو

معابده أو محاربه ومنابر أو كميانه أو مزاراته أو مقدساته لو كان لا يقبل أو يعتقد أو يريد أو يختار أو يحترم أو يفعل إلا الأعقل الأنبل الأفضل الأنفع الأنقى الأذكى بعد المحاسبية الصادقة بالعقل والقلب والرؤية والتجربة والتقوى والأخلاق؟ هل يقبل الإنسان أن يرى شيئاً من وجوه آلهته أو إلهه لو كان لا يرى أو ينظر إلا بشيء من المحاسبية أو المحاكمة أو المساءلة أو الاشتراط بالعقل أو الأخلاق أو بشيء من البحث عن الجمال أو النبل أو الوقار أو الذكاء؟

إذن هل الناس يسارعون بكل الحماس والتعصب والجنون إلى الإيمان بالآلهة والأنبياء والأديان وبسائر المعتقدات لأنهم عقلاء فضلاء نبلاء أذكىاء أنقياء أقوياء أم لأنهم عاجزون مسترخون مستسلمون هاربون من أنفسهم.. من مواجهتها ومن التعامل والتحاور والتساؤل والتفاهم معها ومن محاسبتها وقراءتها ورؤيتها؟

ماذا لو وجد هذا السؤال وماذا يمكن أن يكون جوابه؟ كيف لم يوجد؟ إنه الهرب من الفهم والرؤية..!



ليت العقل لم يوجد إن كان قد وجد ليكون مهزوماً ذليلاً ضائعاً أمام كل أعدائه ومناقضيه ومذليه ومستعبدية.. وهل وجد إلا ليكون كل ذلك بكل صيغ وتفسيرات الانقضاض؟ وليته إذ وجد ليكون هو القائد والمعلم والهادي بل والإله لكل أحد ولكل شيء أو لنفسه فقط أي إن لم يكن كل ذلك لكل أحد ولكل شيء..!

ليت العقل إذ جاء جاء شجاعاً صادقاً وفيّاً مخلصاً لنفسه ولأبيه لم ينجى..! ولكن هل وجد مهان مقود مسخر معلم محكوم مطيع بكل الإذلال لكل ما يناقضه ويهينه ويشتمه ويحقره ويشوهه مثل العقل؟

لقد جاء أي العقل أعظم وأقوى وأذكى وأفضل شيء ليكون كل النقيض لكل ذلك..! كل الرثاء والعزاء لك أيها العقل يا أشهر مقهور مهان.. .. يا أشهر مسخر لإذلال وقهر نفسه ولفضح وظلته..

ما أفتح وأفجع أن يكون أعظم وأقوى وأذكى شيء في الإنسان أي عقله هو أضعف وأجبن وأغنى وأردأ وأكذب وأذل شيء فيه بل وأضل شيء فيه..!

إن الإنسان لن يقبح أو يتعذب كل قبحة وعذابه لو لم يصب بعقله هذا الذي هذه الأوصاف بعض أوصافه..!

.. بعقله هذا الذي ابتكر وصنع كل الأسلحة وأفتك الأسلحة وابتكر وصنع له كل هذه الآلهة والأنبياء والأديان والمعتقدات والانتماءات والانقسامات والتعاليم والمذاهب والأوطان والقوميات، ثم علمه وأمره أن يختلف ويتعاضد ويتخاصم ويتلاعن ويتقاتل بكل الجنون والسفه والدوام والخراب

والتهريب والقسوة والوحشية بهذه الأسلحة التي وضعها في يديه تحت شعارات الدفاع عن هذه الآلهة والأنبياء والأديان والمعتقدات والانتماءات والانقسامات والتعاليم والمذاهب والوطنيات والقوميات التي ابتكرها وصنعها له وعلمه الإيمان بها والتعصب لها ليرقع بنفسه وبكل شيء كل هذا الموت والدمار والذعر والجنون الدائم.. كل هذا الجنون الذي لم يصنعه ويعلمه ويهب القدرة على تنفيذه إلا هذا العقل.. هل علم أقصى درجات الجنون وعلم تنفيذها غير العقل؟

أليس العقل قد حول الإنسان والآله إلى أكبر مجنونين في هذا الوجود بما يفعلان؟

هل كان يمكن أن يتكرر ويصنع الإنسان هذا أو هذا أي الأسلحة القتالية التدميرية أو أساليبها أو كان يمكن أن يتخاصم ويتعادي ويتبارز ويتقاتل بهذه أو هذه لولا عقله هذا؟ إن العقل هو المبتكر الصانع لكل السلاح ولكل أسباب ومنطق وظروف التعامل بالسلاح..!

كفى العقل أثاماً وقبحاً أنه لولاه لما وجد إبليس ولا الجحيم.. ففي أحد التفسيرين أنه أي العقل هو الذي تصورهما وابتكرهما وهدد بهما تخيلاً وإرهاباً ورهبة وغباء وكذباً ولأسباب أخرى..! أما التفسير الآخر فيقول: إنهما أي إبليس والجحيم قد وجدا أو أوجدا ليكونا عقاباً وابتلاءً وامتحاناً وزجراً لمن أصيبوا بالعقل أي للبشر..!

إذن لولا العقل لما وجد الأبالسة والشياطين ولا أهوال الجحيم بأي تفسير من التفسيرات ولا لأي سبب..!

إذن كم تساوي شرور العقل وأثامه وسيئاته إذا كان الشيطان والجحيم هما إحدى سيئاته وأثامه وشروره؟

هل عرفت أيها العقل هذا أي إن الجحيم والشيطان إحدى عطاياك؟

والمفروض أن تعرف أيها العقل أن هذا الهجوم عليك ليس هجوماً من غيرك عليك بل هو هجوم منك على نفسك، فإن كان ذنباً فهو أحد ذنوبك..!



وبكل التفسيرات والرؤى والصدق أيهما أحق بأن يوصف بالعقل والعاقلة: الكائن الذي تخلق فيه ما يسمى بالعقل ليفعل به وبكل شيء ما فعله عقل الإنسان بالإنسان وبغيره، وما فعله عقل الإله بنفسه وبغيره وبكل أحد وبكل شيء من أهوال وعذاب وبشاعات وعبث وشرور وأخطاء وخطايا لا يستطيع أي شيء إحصاءها، أم الكائن الذي جاء بريئاً مما يدعى بالعقل ليكون بريئاً براءة مطلقة دائمة بل معصوماً عصمة ذاتية أبدية من أن يفعل أو يريد أن يفعل أو يستطيع أن يفعل شيئاً مما فعله ويفعله الإنسان بنفسه وبغيره أو مما فعله وسوف يظل يفعله أبداً الإله بنفسه وبكل أحد وكل شيء؟

هل يستطيع أو يقبل الإله أن يفعل كل ما فعل أو حتى شيئاً مما فعل لو كان بلا عقل أو لو كان بعقل خارج على عقله وعلى كل عقل؟

كيف لم يوجد من سأل أو يسأل هذا السؤال الذي يجب ألا يختلف الجواب عنه أو فيه أو عليه؟

أليس المصابون بالعقل أي بما يدعى بالعقل هم الفاعلين لكل ما هو خروج على كل عقل ولكل ما هو تحقير لكل عقل كالإنسان والآلهة وأعوان وموظفي الآلهة؟ هل يوجد خارجون على العقل مثل الموصوفين بأنهم كل العقل والعقلاء..؟

هل يمكن أن يفعل أي كائن بريء من العقل أي شيء من هذه الأخطاء والخطايا والفظاعات والحماقات المفرقة والمغطية لكل هذا الوجود التي يفعلها الإله والإنسان العاقلان أي لأنهما عاقلان؟ هل يوجد في هذا الوجود فاعلون لأفطع وأشنع وأقبح الإجرام والجرائم غير أو مثل الموصوفين بالعقل والعقلاء أي الإله والإنسان؟ إذن أليس الإله والإنسان عما أخطر مجنونين في هذا الوجود لأنهما العاقلان فيه؟

والمستظر ألا يسخر أو يتعجب من هذا من لم يرزقوا الإيمان لأن المراد أن يكون المخاطبون به هم الذين رزقوا أعلى وأعنف درجات الإيمان..!

ولكن هل المؤمن يخاطب أو يقبل أو يجدي أن يخاطب أو لا يعادي ويقاتل ويلعن من يخاطبه ويراه كل أعدائه ومضليله أي وكل مريدي ومديري تضليله لأن المخاطبة لا تكون إلا للعقل بالعقل؟ إنه لا يحذر العقل ويقاطعه مثل المؤمن القوي الإيمان خوفاً على إيمانه..!

أليس المؤمن كائناً قد ختم وطبع وأغلق على عقله بل وطارد وقتل وقتل عقله بعد أن رآه واعتقده وأعلنه كل أعدائه، كل خادعيه ولصوصه وأبالسته وقائديه إلى الجحيم وإلى كل الشرور والقواها والآثام؟

إن أي مؤمن لا يفعل بعقله ويرؤاه كل ذلك لن يظل مؤمناً ولن يقبل أن يكون مؤمناً..!

حتى الإله إنه لو لم يفعل بعقله ورؤاه كل ذلك فلن يؤمن أو يظل مؤمناً بنفسه.. لا بوجوده ولا بأية فضيلة أو قيمة أو مزية أو نفع أو شهامة أو كرامة أو مصلحة له أو لأي كائن آخر في أن يوجد كما وجد أو كيفما وجد ويوجد..!

ولهذا فإنه لم يوجد مخاصم محارب مفسد للعقل غير الإله والإنسان أو مثلهما، ولهذا أيضاً جاء العقل كل خصوم العقل أو أعنف خصومه بالترويض والإذلال والتطويع..!

إنه لا شقاق مثل الشقاق بين الإيمان والعقل أي الذي لم يتحول إلى أشهر خائن لنفسه وخارج عليها بعد استسلامه لكل ما يناقضه..!

ارحموا الإله.. انقذوه.. برثوه.. نداء استغاثة إلى كل العالم

ظل البشر أفراداً وجماعات ونظماً ومذاهب وعقائد وأدياناً في كل أطوار وجودهم - ظلوا ولا يزالون وسوف يظلون يعلمون الرحمة والاحترام ويشرعونهما ويضعون لهما وفيهما التعاليم والعظات بل والأديان ويمجدون بل ويقدسون الالتزام بهما ومقاساتهما بالقلب والفكر والضمير وبكل العواطف والنيات والتفاسير ويرونهما ويجعلونهما أعظم الفروق أو من أعظم الفروق بين الإنسانية والحيوانية وبين التقدم والتخلف والنيل والتذلة والحضارية والهمجية والتقوى والفسوق، ولا يرون أو يعلنون مثل فقدتهما فقداً لكل المعاني الشريفة الكريمة العظيمة..!

حتى أن البشر ليرون ويعلمون أن أعظم وأتقى وأشرف وأنفع وأوسع صفات إلههم أو آلهتهم صفة الرحمة والاحترام لمن ولما يستحق ذلك..!

وموقفهم هذا من الرحمة والاحترام بدءاً وتفصيلاً راجع إلى أنهم هم محتاجون إلى ذلك مهما كانوا.. محتاجون من حيث التصور العام المطلق ومن حيث الرؤية العامة المطلقة لكل الظروف والحالات إلى أن يعاملوا بهما أي بالرحمة والاحترام، حتى أن أكثر الطغاة طغياناً وقسوة ووحشية لا يستطيع أن ينكر أو يرفض الرحمة والاحترام أو الالتزام بهما من حيث العموم والإطلاق مهما جاء تفسيره ورؤيته وتطبيقه لهما وتعامله بهما..!

حتى أن أشرس الطغاة الفراعين الذين يمارسون بكل النشوة والفظاظة والكبرياء كل الوحشيات والتحقير والإذلال لكل شيء ولكل أحد بكل الأساليب والتفاسير لا بد أن يزعموا ويعلنوا أنهم إنما يفعلون ذلك تحقيقاً للرحمة والاحترام وبحثاً ودفاعاً عنهما وإيماناً بهما ومقاومة لأعدائهما..

ومن أقوى الدلالات على عمق إيمان الإنسان بالاحتياج إليهما.. إلى الرحمة والاحترام وإيمانه بأنه لا إنسان بدونهما أن ذهب يزعم أن كل ما يريد ويدبر ويفعل إلهه أو آلهته من قسوة ووحشيات وتشويه وتعذيب وقتل وإسقام وتجويع وتمجيز وإذلال وإرهاب وتشريد وإرمال وإيتام وفضح وأخطاء وخطايا وإيقاع كل ذلك وكل شيء مؤلم ومحزن ومهين وفاضح ومعوق بكل شيء وبكل أحد إما واقعاً أو متوقعاً أو متظراً محتوماً مجتمعاً أو مجزأ.

- نعم، أن ذهب يزعم أن كل ذلك ليس إلا أعظم وأقوى وأتقى وأشمل صيغ ومعاني الرحمة والحنان والحب والاحترام والتكريم والإعزاز والمطاء لمن فعل ويفعل بهم كل ذلك بكل الجهر والإصرار والرغبة والشهوة والنشوة المتفوقة على كل مستويات وأطوار وتفاسير الجنون.. إنه ليزعم أن

كل من لم يعتقد أن التشويه والتعذيب اللذين يوقعهما الإله هما كل الرحمة والمحبة والاحترام فهو زنديق...!

.. بل لقد حوّل زعمه هذا عن جرائم إلهه أو آلهته.. حوّلته إلى نبوات وأديان وشرائع وتعاليم وكتب منزلة مقدسة تفسر وتعلم ويتعبد بها ويكفر ويهادى ويقاقل ويقتل كل من لم يؤمن بها كل الإيمان والالتزام وكل من لم يرها كل العقل والرحمة والحكمة وكل الممكن والمستطاع بل وكل الجمال.. هل جاءت الأديان والنبوات أو أنزلت الكتب المقدسة إلا من أجل ذلك.. من أجل تقديس الإله والحديث عن رحمته كلما قتل أو ضرب أو لطم أو شوه أو مرض أو أغرق أو أهان؟

ولكن هؤلاء البشر الذين خلقوا وجاؤوا أو ولدوا وعاشوا ويعيشون وذهبوا ويذهبون وماتوا ويموتون بالرحمة والاحترام ومن أجلهما وإليهما وبكل تفاسيرهما وصيغهما وأشواقهما وبالشوق إليهما كما يقولون وكما يقول المدافعون عنهم.

- نعم، ولكن هؤلاء البشر الواهين للرحمة والاحترام والمطالبين بهما المرعدين لهما قد برثوا وتبرؤوا من كل مشاعر وأخلاق وتقوى الرحمة والاحترام والتوفير في رؤيتهم وتفسيرهم وفهمهم وتصورهم ومعاملتهم للإله.. لكل إله أعلنوه واعتقدوه وعاملوه وخاطبوه. لقد أوقعوا به كل فتون وصيغ ومعاني ولغات القسوة الموجودة والممكنة بل وغير الموجودة وغير الممكنة كما سبّوه وحقّروه وظلّوا ولا يزالون وسوف يظلّون يسبّونه ويحقّرونه بكل ما تستطيع كل اللغات أن تسميه وتفسره بأشجع وأفظع وأرذأ السباب والتحقيق بل وبكل ما عجزت كل اللغات عن أن تجد مثلها سبأً وتحقيراً لتفوقهما على كل مستويات ولغات السباب والتحقيق..! حتى الأنبياء لقد تصوّروا وشيدوا الجحيم بكل أهواله الجنونية لمخالفتهم وخصومهم لأنهم كل الرحمة والحب..!

.. أما القسوة التي أنزلوها ونزلونها به أي بالإله المبرأ من كل نبضة رحمة أو إشفاق أو حنان أو معاتبة للنفس فهي اعتقادهم وإعلانهم بكل الجهر والبهاة والديمومة والتعبد أنه أي الإله أزلاً وأبداً بلا خلاص أو إنقاذ وبلا محاولة لذلك يرى ويسمع ويواجه ويساكن ويعايش ويعاشر ويعامل ويقرا ويفسر كل هذا الوجود بكل ذاته ومعانيه وحواسه وأحاسيسه وأوقاته.

- كل هذا الوجود. كل آلامه وأحزانه وعاهاته وتشوّهاته وأثاته وآهاته وفصائحه وقبائحه وأرجاله وقاذوراته وفسوقه وزندقاته ولعناته وفحشه وعيئه وأخطائه وخطايا طغاته وفراغينه وأبالسته وشياطينه وكل ما يفتح ويروع ويمذب ويهين العقل والقلب والأخلاق والكرامة والتقوى.

- هي اعتقادهم وإعلانهم أي المؤمنين منهم أنه أي الإله مسجون ومحاصر أزلاً وأبداً بكل ذاته وصفاته ووجوده داخل هذا الوجود بكل آفاته هذه وغيرها بلا أي بدليل آخر وبلا إنقاذ أو فرار أو تخفيف أو تعويض أو استراحة أو استغاثة أو إنقاذ..!

ثم اعتقادهم وإعلانهم أنه يصرخ أبداً مرسل الرسل والأنبياء ومنزلاً الكتب والأديان طالباً وراجياً أن ينال أو يعطى شيئاً من النصر على أعدائه المنصرين عليه أبداً أو التخفيف من فداحة وديمومة هزائمه أو قدراً من التكافؤ والتعادل بينه وبين خصومه ومناقضيه ومطارديه ومحاربيه المذلين القاهرين له

أبدأ في كل الميادين والمعارك والمبارزات والتحديات بكل صيغ وتفسيرات التفوق الساحق الماحق حتى في المحاورات والمحاجات..!

إنهم يرونه أبداً كائناً متملقاً مستجدياً متضرعاً بكل أساليب المسكنة والتذلل مؤملاً أن يوهب شيئاً من الانتصار أو من التغطية على شيء من هزائمه الشاملة الدائمة.. إن أي كائن لم يذل ويقهر ويتعذب وتحطم كل أسلحته في يده حين مواجهته لعدو من أعدائه مثلاً ذلّ وقهر وتعذب الإله وتحطمت كل أسلحته وهزمت كل قواه وجيوشه في مواجهته لعدوه إبليس أو الشيطان أي في رؤيتهم وتفسيرهم له وتعاليمهم عنه.. إنهم كلما تحدثوا عن انتصار الأبالسة عليه شعروا بضخامة مجده وتمجيدهم له..!

وإنهم ليعتقدون ويعلمون أنه أي الإله تحت ضغوط حسراته التي أوقعتها به هزائمه وعذابه سوف يصنع حياة أخرى يصنع فيها جحيماً يعجز كل خيال عن تصور عذابه، وفردوساً يعجز كل خيال عن تصور أو تقبل ما فيه من تفاعاة وبلة واقتضاح وقبح وعار وسقوط ليخلد أكثر الناس أو كل الناس إلا القليل، القليل في الأول وليخلد الأقلين في الثاني ليظل أبداً مولجهاً وحارساً لهؤلاء وهؤلاء يكل الحسرة والغيط والسماتة واليأس والحرمان والاستمتاع القبيح النذل الفاجع القاتل المسخيف البليد المصاب بكل بشاعات الشذوذ.. بكل شذوذ الشذوذ.. ليظل أبداً ينظر ويستمع إلى هؤلاء وإلى هؤلاء بلا فراق أو إنقاذ ولو بالموت، ولو بالعسى والصسم، ولو بتدمير فردوسه وجحيمة اللذين أرادهما وصنعهما تحت نوبة أصابته لا يمكن فهمها أو تفسيرها أو غفرانها.. دون أن يشارك هؤلاء في عذابهم أو هؤلاء في تفاهاتهم إلا في الحسرات والنظرات والآهات والإنصات الحزين الذليل..!

.. ومن أقسى ما وصلوا إليه في قسوتهم على الإله وفي عصمتهم من كل عاطفة لرحمته ولترفق به والإشفاق عليه أنهم يحرمونه من كل الممارسات المشتهاة المعوضة والمخففة عن قبح وعذاب وتفاعاة وعيث كون الموجود موجوداً وحيّاً.. هل توجد ورطة أو غلطة أو قسوة مثل إيجاد الكائن ثم جعله حياً؟ فكيف بحياة كلها خسران وحرمان وهزائم وأحزان بلا أي تعويض؟

.. إنهم أي البشر أو المؤمنون يحرمونه ويحرمون عليه أن يستمتع أو يلد أو يسعد أو يفرح بأي شيء..

يحرمون عليه أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يسترخي أو أن تكون له زوجة أو عشيقة أو صديقة أو أبناء أو أقارب أو أصدقاء أو زملاء أو معاشرون أو مجالسون أو محاورون مسلون أو نواب أو أن يتعاطى أي مهديء أو منه أو منوم أو مريح أو مفرح أو مقو أو مداو أو مسل أو ألبة ألعاب أو سياحة أو إجازة أو أي شيء مما تحيا وتسعد وتتغذى وتقوى وتجمل وتكبر به النفوس والعقول والأخلاق والمواطف والذوات بل والعضلات.. مما هو شيء من التعويض عن كون الموجود موجوداً وحيّاً.. هل تكفي كل الأشياء تعويضاً وتكفيراً عن كون الموجود موجوداً وحيّاً؟

.. إنه الحرمان المطلق المغلق الذي لا خروج منه ولا علاج له الذي خصصوا به هذا الكائن الذي سثوه إلهاً.. خصوه به وحده دون أن تعاقبهم أو تعاتبهم أو حتى تحاورهم ضمائرهم أو عقولهم

أو أخلاقهم أو أي معنى من معانيهم أو أية موعظة من إيمانهم وتقواهم أو أن يحتج هو أو أن يفعل أي شيء غضباً وثأراً لنفسه وتعميلاً وعطاءً وعلاجاً لها من حرمانها البائس..!

لأنهم لم يتساءلوا: إذن ماذا يكسب أو يستفيد من وجوده البائس الضائع ومن أدائه لأعماله ووظائفه والتزاماته الشاقة الفادحة الفاضحة المستحيلة المهينة التي لن يوجد من يستطيعها أو يقبلها أو يعقلها أو يغفرها أو يرضى حتى أن يقرأها أو يفسرها أو أن يسمع تفسيرها أو إلى من يفسرونها.. إنه لو أمكن أن توجد لكل الأعمال والوظائف تفسير لما أمكن أن يوجد لأي عمل أو وظيفة من أعمال الإله ووظائفه أي تفسير..!

إن كل منطوق لو غفر لكل قاتل لما استطاع أن يغفر للإله القاتل مهما أراد الغفران له..! .. هذه بعض ألوان وأنواع القسوة التي أوقعوها والتي لا يزالون وسوف يظلون يوقعونها بالإله دون أن يتعاملوا أو يتحاسبوا أو يتحاوروا بأي قدر من مشاعر الرحمة أو الرفق به أو من تأنيب الضمير أو من معاني الاحترام له..!

أما ما أوقعوا به من تحقير وتهوين وتلويث وسباب وإهانة فأكوان، أكوان من الأهوال، الأهوال..!

لقد قذفوه ورجموا.. قذفوا ورجموا كل وجوده، كل تاريخه وأخلاقه وعقله وقلبه وضميره وتخطيطه وتدييره وإرادته ونياته وشهوته وعرشه وذاته وكل حواسه وأحاسيسه وماضيه ومستقبله بكل هذا الوجود. بكل ما فيه من حجارة وصخور وجبال وصحارى وبراكين وزلازل وقحط ومجاعات وموت وتشوهات وأزفة وآلام وأقام وأحوال وأحقاد وحماقات وبلادات وجنون وحروب وسيوف ورماح وخناجر وسكاكين وغراب ولعنات وعداوات وجراثيم وحشرات وأخطاء وخطايا ومن كل ما يفجع ويقتل ويذل ويروع كل العيون والأذان والعقول والأخلاق والإيمان والتقوى والحواس والأحاسيس والضائير والقلوب..

لوثوه، لوثوه.. لوثوا كل ذاته وكل معانيه بكل ذلك..!

لقد يصقوا كل ذلك عليه وجعلوه كله يصادقه وغداه وشرابه وعطره وسكره وفخره وغنايه ورقصه وحب وفرحه ومنجده وصلواته وعباداته ومسلاته وملهاته وهمومه واهتماماته. إنه حينما يشوه وجهاً بريئاً جميلاً إنما يغازل ويراقص ويلعب ويمجد نفسه وقدراته وعبقرياته.

.. جعلوه كل إرادته وقدراته وعبقرياته وشهوته وعلومه ومنطقه وحكمته ورؤيته وقراءته وذكائه وتصوره وتطلعه وطموحه وأبعد خطواته وأشواطه وتحدياته وحساباته وإلهاماته وهباته ونشواته.. جعلوه كل ذلك وكذلك تصميماً وتنفيذاً وإصراراً وتعليماً ودعاية ودينياً وتعبداً..

إذن هل يستطيع أي كلام بل أو كل الكلام أن يكون شيئاً من التعبير عما في ذلك من التحقير والتعيير والسباب والإهانة للإله المسكين المظلوم الملقى والمستفرغ عليه كل هذا دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه حتى ولا بالكلام أو بالصراخ أو البكاء أو الأنيب أو بالتلميذ..

.. إنه لا يوجد في كل العاجزين عن أن يدافعوا عن أنفسهم بأي أسلوب من أساليب الدفاع

عن النفس مثل الإله. إنه الكائن الذي يلقي عليه كل أحد كل غبائه وسخفه وعفنه دون أن يقول شيئاً!

.. إن كل التحقير والتعير والسباب والانتهاك والهجاء الذي تعامل ويتعامل به البشر بل وغير البشر لن يساوي شيئاً مما ألقي ويلقى واستفرغ واستفرغ دائماً من ذلك على ذات الإله المستسلم أبداً لكل ما يرجم به ويقذف عليه ويقذف به دون أن يجد مذافعاً أو حتى راثياً.. إنها لتشبه المؤامرة العالمية الشريرة على هذا الكائن القريد في عجزه!

كيف أمكن ألا يعرف ذلك كل أحد مهما كانت عالمية الغباء والتغابي؟ أجل، إن الغباء والتغابي عالميان أبديان..!

إن أي كائن مهما كان قبحه ووقاحته وجبرأته على الكذب وقول القبح لن يجزئ على اتهام أحد مهما كان فساد ووحشية وجهالة وعدوانية هذا الأحد بوحدة من هذه البشاعات المائلة لهذا الوجود والعلقة كلها بلا أية رحمة على رأس هذا الإله الذي تأمر وتنفق وأجمع كل البشر على أن يلقوا فوق رأسه كل بشاعات وقبح وأثام وآلام وبلادات وعار كل هذا الوجود وعلى ألا يحاولوا حمايته أو تبرئته أو الاعتذار إليه. إنهم إما هؤلاء أو هؤلاء!

قد يقال إنه لا تحقير ولا اعتداء ولا ظلم ولا قسوة على أحد أو لأحد في هذه القضية لأنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد هذا الأحد ليكون ممكناً إيقاع شيء من ذلك به..

إن الموجود هنا هو اسم الإله وليس الإله نفسه. ومحاربة ومب واثام وتحقير الأسماء التي لا مسميات لها هل يمكن أن تعني شيئاً أو تؤدي أحداً أو أن يحاسب أو يؤاخذ الفاعل لذلك؟

إنه رأي قد يقال ويسمح وقد يقبل أو يخفف من الذنب..!

.. لكن أليس من يسب أو يحقر أو يتهم اسماً ليس له مسمى معتقداً أن له مسمى وأنه إنما يعني المسمى يعدّ مذنباً ومعتدياً بنياته وعقله وأخلاقه وفي كل حساباته، كما أن من ضرب شبحاً أو أطلق السلاح عليه مريداً قتله ومعتقداً أنه قد ضرب أو قتل إنساناً أو كائناً آخر حقيقياً يعدّ فاعلاً لذلك بمعانيه فهو آثم المعاني. ومعنى هذا أنه مستعد أن يفعل آثامه هذه.. أن يفعل الآثام واقعاً وليس معنى ونية وإرادة فقط؟

إن المعتدي بشائمه على اسم بلا مسمى معتقداً أنه يوجد من يشتم يعدّ مذنباً ومعتدياً وشاتماً بكل تقاسيره..

إن من سرق أوراق عملة زائفة ظاناً أنها صحيحة يعدّ سارقاً!

.. والقضية هنا مختلفة عن كل القضايا. إنها قضية بلا مثل ولن يكون لها مثل.. إنها تقول: هذا الكائن لن يمكن أن يكون بريئاً إلا ببرأته من وجوده.. من أن يكون موجوداً.

إنه أي هذا الكائن أي الإله أما أن يكون مجرمًا ومخطئًا وضالًا كل الجرائم والأخطاء والفضلات الموجودة والتي قد توجد والتي لا بد أن توجد وأما ألا يكون موجوداً.. إنه لا يوجد ولن يوجد حل أو تفسير آخر..

إنها إذن قضية بلا مثيل أو شبهه كما أن صاحبها بلا مثيل أو شبهه في أي وصف من أوصافه لخروجها على كل ممكن أو معقول..

.. لهذا أصبح محتوماً أن يكون المؤمن متهماً للإله بكل الجرائم والقضائح والدمامات والتشوهات والتشويهات والأخطاء والفواحش والضلالات والزندقات وبكل الشرور والآلام والحماقات والمظالم الكائنة والتي سوف تكون، أي بالإرادة والتخطيط والمعرفة السابقة بل وبالفعل والشهوة، بل أصبح محتوماً أن يمدحه ويمجده ويتعبد له ويتقرب إليه ويشترى رضاه وفردوسه باتهامه له بكل ذلك!..

لقد سقط أي المؤمن في أقسى وأعصى ورطة بلا خلاص.. إنه لن يستطيع أن ينفيه أي يتفي الإله ليكون بريئاً ومبرراً من كل ذلك ثم لا يريد ولا يقبل أن يكون متهماً له أي اتهام مسيء، بل ثم يكون مصرّاً على أن يمجده ويقدمه كل التمجيد والتقديس، وواصفاً له بكل أوصاف الجمال والكمال اللذين لم يوجدوا ولا يمكن أن يوجدوا!..

لقد كان مستحيلاً الجمع بين هذا وهذا أي بين الإيمان بوجود الإله وبين تبرئته من أية نقیصة أو جريمة أو خطأ أو عبث أو حماقة أو بلادة أو جهالة!..

إذن ما الحل؟ لقد جاء الحل فاجعاً مؤلماً مهيناً. لقد رأى أن يصيب نفسه أي المؤمن أو أصابها دون أن يرى بكل البلادة والتبذد والعمى والغفلة، لقد حول كل حواسه وأحاسيسه وأخلاقه وعقله وكل تعبيراته ومعانيه إلى أجهزة تزوير لكي يستطيع أن يؤمن ويعلم أن كل ما في هذا الوجود من جرائم وفحش وقبح وضلال وظلام وظلم وجنون وعبث وعدوان وسخف وبلادات وحماقات وتفاهات وسيئات هي كل النقيض وأقوى النقيض لكل ذلك لكي يتحول إلى ممجد مادم مقدس عابد مرض سار مسعد للإله بإيمانه وإعلانه بأنه المريد المدير المخطط العاشق الفاعل لكل ذلك بدل أن يكون حاجياً ساباً معيراً محقراً متهماً له حين جعله وأعلنه المريد والمدير والفاعل لكل ذلك ولكل شيء بكل الإعجاب والمباهاة والرضا عن الذات وعن عقرياتها المصممة والخالقة والصالفة المخرجة لجرلومة الوباء وللحشرة وللعاة والتشوه في الوجه الجميل البريء بكل هذا الإلتفات والقوة والديمومة والإصرار وبأقوى مشاعر الامتنان المطالب بكل الشكر على ذلك للمريد المخطط المصيب بذلك وبما هو أكثر قبحاً ووحشية ونذالة وخبثاً ولؤماً من كل ذلك، إن جرائم كل المجرمين وحماقات كل الحمقى وأخطاء وخطايا كل الخاطئين والمخطئين لن تكون شيئاً محاسبة بجرائم وحماقات وأخطاء وخطايا من زعم وأعلن المخطط والموجد لكل هذا الوجود!..



العجب كل العجب، والأسى كل الأسى، بل المفجعة كل المفجعة أن البشر في كل تاريخهم الطويل الأليم الحزين الفاجع الضائع، المتحرك الساكن، الذكي الغبي، القارئ الكاتب الأمي، المؤمن الكافر، المدني البدوي، الإنساني الهسجي.. وفي كل أطوارهم الحضارية..

- نعم، كل العجب والأسى والفجيرة أن البشر في كل حالاتهم وأطوارهم المتعاقبة المتحاربة المتصادمة، المنتصرة المنهزمة، الصاعدة الهابطة، المتناقضة بكل القسوة والإيلام والبؤس لم يفعلوا أي شيء لعلاج هذه القضية أو لتصحيحها بل إنهم لم يفتنوا إليها أو يروها أو يقرؤوها أو حتى يتحدثوا عنها..

.. لم يفعلوا أو يحاولوا أو يفكروا أن يفعلوا أي شيء لإنقاذ هذا الكائن الضائع الغائب الصامت الساكن العاجز المجهول أبداً المسمى إلهاً.

- لإنقاذه من رميه وقذفه ورجمه وشنمه واتهامه وتلوينه وتشويهه ومن الاستفراغ والبصق عليه وعلى كل معانيه وأخلاقه بكل ما في هذا الوجود وكل وجود من أحوال وقاذورات وآلام وآثام وعاهات ونشوهات وأخطاء وخطايا ونقائص وتفاهات وزلازل وبراكين وصخور وأحجار وبصاق واستفراغ وأحزان ودموع وأنان وآهات ولعنات وبغير ذلك وبأكثر وأقبح من كل ذلك مما في هذا الوجود وفي كل وجود.. لإنقاذه من أن يكون المرید المدبر المخطط العاشق الغافل لكل ما يكره ويرفض وينكر ويشتم ويحتقر ويعاب ويعاقب عليه..!

أليس هذا الكائن المسمى إلهاً يرمى ويقذف ويرجم ويشتم ويتهم ويلوث ويشوه ويبصق ويستفرغ عليه بكل ذلك وبغير ذلك من القبائح والفضائح بلا مدافع أو راحم أو راث أو يالك أو مواهب أو معز أو مستكر؟

مأساة هذا الكائن أن مادحيه ومعظميه هم كل ذاميه ومحقره وشاتميه..!

.. مأساة هذا الكائن.. الإله مأساة يضيّق ويشقى ويتشوه بها هذا الكون وكل كون أي في الرؤية التي رآه بها المؤمنون به..!

وأيضاً لم يفعلوا أي البشر أي شيء لإنقاذ كل من فعلوا به كل ذلك ورأوه وأعلنوه كل ذلك زاعمين أنهم يعبدونه ويكرمونه ويضخمونه ويروضونه ويشترّون عرشه وسماحه وفردوسه وحورياته وغللماته بأن يفعلوا به ويروه ويعلموه كل ذلك..

.. بأن يعلقوه فوق كل المشائق ويلقوا به فوق كل المزابل..!

.. لم يفعلوا أي شيء لإنقاذ وتصحيح عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وتصوراتهم ورؤاهم وإيمانهم وتقواهم وتدينهم من هذا السقوط والوحشية والتحقير والسباب والعدوان على هذا الكائن البريء الذي لا يستطيع أن يصحح أو يجمل أو يبريء نفسه أو يدافع عنها لا بالسلاح ولا بالحوار والمنطق ولا بإظهار ذاته لتري بريرة ونظيفة من كل الأحوال والنشوهات والذمات المغطاة بها الملقاة فوقها.. إن من لا وجود له لا حدود لتحمله لما يلقي عليه ويتهم به..!

أليس غريباً جداً أن غير الموجود يتحمل ما لا يستطيع أن يتحملة الموجود؟

.. ومن مآسي هذا الكائن أي الإله أن أقوى وأصدق الناس إيماناً به وولاء له أو تظاهراً بذلك هم أكثر الناس وأقواهم هجاء وسباً وتحقيراً وتشويهاً واتهاماً له بكل ما يرفض كل الناس حتى أفجرهم

وأفسدهم وأهونهم وأجهلهم وأعابهم وأطغاهم أن يكون متهماً بشيء منه. إن أي نبي ليقاتل لو وصف بالأوصاف التي جاء ليجعلها أشرف أوصاف إلهه!

هل يقبل أي كائن مهماً كان قبحة وفحشه وخسته ونذالته وجهله واقتضاحه وخبثه وممجيته أن يكون هو رب ومعلم وإله ومربي وقائد الحشرات أو الجراثيم أو الموت أو الأوبئة أو الشيخوخة أو التعجيز أو التعميق أو التجويع أو العاهات أو التشوهات والتشوهات أو الجنون والبلاغات أو الزلازل أو البراكين أو الصحارى الجائعة الطمأى أو الطغاة والفراغة أو الفاسدين المفسدين المخربين أو الأندال والأوغاد أو الأشرار أو السفهاء أو الخبيثاء أو كل البدايات والنهايات لكل أحد وكل شيء؟

- نعم، هل يقبل أي كائن مهماً كان انحطاطه وشروره أن يكون ذلك بل أو أن يتهم به؟
إن كل الأنبياء والأولياء والقديسين والشهداء ليفضلون الموت قتلاً أو اختناقاً أو بآية نية أو غرض أو أسلوب آخر إن كان البديل أن يوصفوا ويحيوا أوصاف الإله..

إراداته وتديراته ومشيفاته وشهواته ونشواته وخبطاته وضرباته وألغابه الصائغة المخرجة لكل هذا الوجود ولكل ما فيه ومن فيه كما جاء ويجيء وأن يقاسوا كل حرمانه..!

ولكنهم أي الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين الصالحين الأتقياء يلقون ويصفون كل ذلك فوق رأس الإله بكل مشاعر ونيات وحوافز الإيمان والتدين والتقوى والرضا والحب والعشق والتقديس، ويرون من لم يفعلوا ذلك ويؤمنوا به ويعلموه بل ويتعبدوا به ليسوا إلا زنادقة يستحقون أقسى الحساب والعقاب..!

هل يقبل أي نبي أو مؤمن تقي أو حتى فاسق أن يكون هو مشوه هذا الوجه أو فاقء هاتين العينين أو مصيباً لهاتين اليدين وهاتين الرجلين بالشلل أو لهذا الكائن أو لهذا الإنسان بالعجز التام أو بالدمامة التامة أو بالهوان والحقارة الشاملين الدائمين أو بكل المعه والجنون والضلالة والغواية والفساد، أو أن يكون هو مريد ومخطط وخالق كل الطغاة والفراغة واللصوص والقتلة والمجرمين والفاسدين والخبيثاء وكل الحشرات والجراثيم والأوبئة.. أو أن يكون هو مدبر ومفجر كل البراكين والزلازل والأعاصير وكل الفواجع والكوارث لاعباً متسلية أو مخموراً غائباً عن الوعي أو شامتاً مستمتعاً برؤية وصنع العذاب والمعذنين..

أو أن يكون هو مريد وصانع كل اليتيم والترمل والدموع والأنات والآهات والصرخات وكل أنواع الويلات.. أو أنه هو مريد ومقدر وفارض ابتكار وبناء وصنع المقابر والأكفان..؟

حتماً، إنه لا يقبل أن يكون أي شيء من ذلك أو أن يتهم بشيء منه ولكنه يعتقد أنه يجب إله كل التمجيد والتعظيم والحب والسعادة والعبادة والفرح والرضا حين يؤمن ويعلن أن إلهه كل ذلك ومريد وفاعل كل ذلك وكل السعيد الفرحة حين يعيش ويواجه ويساكن ويرى ويسمع كل ذلك، بل ويحكم عليه بالسجن الكوني الأبدى داخل ذلك..!

أليس الإله مسجوناً بكل معانيه سجيناً أهدأ داخل هذا الكون أي في عقيدة المؤمن؟

إذن هل يمكن أن توجد قضية تحتاج إلى الإنقاذ العالمي الكوني مثل هذه القضية؟

إنه إنقاذ لعقول كل العالم ولأخلاقه وعواطفه وتصوراته وإيمانه وتقواه وتفكيره ولكل صيغ ومعاني تاريخه وحياته، وأيضاً إنقاذ لهذا الكائن المقذوف المرجوم بكل ذلك والملقى المحمول عليه كل ذلك دون أن يستطيع الحضور أو الظهور ليحتج أو يشكو أو يطلب البراءة والإنقاذ من الظلم الذي أوقعه به كل العالم والذي لا يساويه كل ما في العالم وما في كل عالم من أنواع وألوان الظلم..!

المؤمن بالإله مجنون جنوناً لا يستطيع تشخيصه أو علاجه ولا كيف يؤمن ويعقل أنه يعبد ويكرم إلهه حين يراه ويعلمه هو المريد المخطط الخالق لكل الفحش والقبح والجنون في هذا العالم وفي كل عالم؟



والآن في هذه الفترة من التاريخ التي لم يأت مثلها في قوتها وضعفها أو في سعادتها وشقاها أو في تقاربها وتباعدتها أو في تحالفها وتخاصمها أو في علمها وجهلها أو في ذكائها وغبائها أو في حضارتها وبدارتها، أو في أمنها وخوفها أي أو في مشاعرها بالأمن ومشاعرها بالخوف والخطر أو في رخائها وعسرها أو في جمالها وقبحها أو في إيمانها وكفرها أو في تقواها وفسوقها أو في سخائها وبخلها أي محاسنها وبقيضه... أي مقارناً أذناها بأعلاها..

في هذه الفترة التاريخية التي مانت فيها هناك كل الآلهة بلا تشييع أو احتفال أو عزاء أو أسي أو أمل أو رغبة في أن تبعث بل وبلا خوف أن تبعث وتحيا لأنها لن تفعل. هذا هناك، هناك.

أما هنا أي عندنا أي نحن أي في هذه الفترة التاريخية الصعبة المتناقضة كل التناقض وأقصى التناقض فإننا نريد بكل أساليب ومعاني الإرادة أن يهزم ويطارد ويطرد ويموت كل شيء وكل أحد وكل عقل وفكر وخلق ورؤية وعاطفة وكل سلوك جيد وذكي وكل معنى جيد وذكي بل وكل تدين صحيح صادق نظيف عاقل حر، وكل إبداع وتفوق وكل محاولة للانتقال من الأمس إلى اليوم الذي يحياه الآخرون أو إلى الغد الذي يقفز إليه الآخرون.

- نعم، إننا نريد ونعمل بكل طاقائنا الضالة الضائعة على أن يهزم ويذل ويطرد بل ويقتل ويقتل كل هذا وكل شيء ليكون كل النصر والمجد والقوة والحياة والبقاء للإله لكي يكون كل المسيويين والمحقرين والمعيرين والمحاسبين المعاقبين الملوئين المقذوفين المرجوسين المشوهين المتهمين بكل ما يجمع ويصدم ويشتت ويهين ويعذب كل العقول والقلوب والرؤى والأخلاق والضمائر والمحاسبات والمساءلات في هذا الوجود وفي كل وجود..!

إن كل سب وتحقير وتعبير وقذف ورجم وتلويث وبغض وإذلال وإهانة وتهوين وهجاء واتهام وتصغير وتشويه لهذا الوجود ولكل من فيه وما فيه ولأي شيء منه لن يكون معنياً أو مقصوداً أو مراداً به إلا المسمى المزعوم المعلن إله ورب وخالق هذا الوجود وكل وجود أو لن يكون مصيباً إلا إياه أو مستحقاً له إلا هو أو يجب ألا يكون إلا كذلك أو لن يستطيع أن يرى أو يفهم أو يعتقد أو يقول

المنطق أو الأخلاق أو الصدق أو الرؤية أو أي حوار أو مساعلة أو ذكاء أو غباء غير ذلك.

إن من جرح أو قتل أو أهان أو حقر أو عير حشرة أو جرثومة أو وياه أو وحشاً أو حيواناً أو إنساناً أو أي كائن لماعة أو بلدة أو تشوه أو عجز أو نقص أو ثقافة أو مهانة أو فجور أو قساد أو عدوان فيه أو لأية عيوب فيه جسدية أو معنوية فلن يكون فاعلاً أو موقعاً شيئاً من ذلك إلا بمن يراه ويعلمه هو وحده المريد المدير الخالق لهذا الكون ولكل شيء أي موقعاً فاعلاً ذلك بإرادته وتدبيره وتخطيطه ويعلمه وعقله وحكمته ورحمته وشهوته وأخلاقه ورؤاه وأهوائه وممارساته..!

إن من قال هذه الذبابة دميعة أو ذميعة أو ملوثة أو وقحة أو يجب قتلها بمبيد الحشرات فلن يعني بقوله هذا غير مصممها وفاعلها ومرسلها ومطلقها أي في كل التفاسير والرؤى والمحاسبات مهما جهل القائل ذلك. مهما كان جهله به..

إنه أقيح وأوقح عدو مهين شاتم لإلهه مهما جهل ذلك.. مهما جهل ما لا يستطيع جهله. إنه لا جهل مثل جهل من جهل ذلك.. من جهل أن عيوب وذنوب المخلوق هي ذنوب وعيوب للخالق وفيه..!

.. إن القضية هنا صعبة. إنها بلا مثيل وإنها لا علاج لها. إنها تقول بل تحتم وتفضي: إنه بقدر ما ينتصر ويقوى ويحيا ويوجد الإله يضعف ويهزم ويذل ويفقد الإنسان بكل معانيه الجيدة المنتظرة المتفوقة المبدعة، وأنه بقدر ما ينتصر ويقوى ويحيا ويوجد الإنسان المتفوق يصاب الإله وكل معانيه بالنقيض، ينقيض ذلك.. إنه لمحتوم أن يتحول صعود ومجد أحدهما إلى هوان وهبوط للآخر..!

نعم، إن هذين النوعين من البشر يتواجهان في هذه الفترة التاريخية أو إنهما يوجدان بلا مواجهة لأن المواجهة تحتاج إلى شيء من التكافؤ وهذا الشيء من التكافؤ مفقود وهل يمكن أن يوجد؟ إن المسافة الفاصلة بين طرفي الشيء أو بين أعلاه وأدناه تعظم بقدر ما يعظم الشيء ويتفوق في نوعه..!



نعم، في هذه الفترة التاريخية التي لا نتذكر ذاكرة التاريخ مثلها في التباعد والتفاوت بين طرفيها أو نوعيها أو حديها أو شوطيها صعوداً وهبوطاً، تقدماً وتخلفاً، قوة وضعفاً، علماً وجهلاً، مساعدة وبؤساً، غنى وفقراً.

.. في هذه الفترة التاريخية التي لم تر عيون الشمس ولا عيون النجوم بل ولا عيون الآلهة مثلها أي لو كانت عيون الآلهة ترى أو تستطيع أو يمكن أن ترى.

.. في هذه الفترة الكونية العالمية التي لم يكن مثلها في جميع الفترات الكونية العالمية التي عرفناها أو قرأناها أو قرأنا عنها أو حتى تصورناها أو تصورتها ألوهياتنا أو نبواتنا. وهل الألوهيات والنبوات تتصور؟ هل تقبل حينئذ أن تكون؟ ليست الألوهيات والنبوات تتصور أو نتألم أي لكي لا نجيء.. هذه الفترة التي لم يكن مثلها في أية صيغة أو معنى أو مستوى أو تفسير أو رؤية أو حساب من صيغها أو معانيها أو مستوياتها أو تفاسيرها أو رؤاها أو حساباتها أو همومها أو مسراتها... التي لم

يستطع أحد من آلهتنا أو أنبيائنا أو شعرائنا أو منجمينا أو كهاننا أن يتخيل أو يتمنى صورة من صورها أو يلقي في أمانينا ولو كاذباً خادعاً شيئاً منها.. من قفزاتها..

.. في هذه الفترة التي لم تستطع كل لغات وتصورات وتوقعات كل التاريخ بل وكل عيون التاريخ أن تتحدث عنها أو أن تراها أو أن تستطيع أن تراها بل أو أن تتمنى أو ترهب أو تتوقع أن تراها..

.. في هذه الفترة الكونية التي أرهبت وأضعفت أضواؤها أضواء الشمس وأنزل صعودها الآلهة من فوق سمواتها وعروشها، بينما جعل هبوطها وظلامها صفار الحشرات تقاسي من الكبرياء محاسبة هبوطها وظلامها بهبوطها وظلامها أي بهبوط وظلام هذه الفترة التاريخية الكونية أي الجانب الآخر منها لأنه بقدر ما يعظم صعود الجزء الأعلى من الشيء يتعظم هبوط الجزء الأسفل أو الأدنى منه أو بيدو ويرى وبحسب كذلك.. كأن كل الأشياء محكومة بقانون ذاتي لم يوضع وإنما جاء أو تكون يقضي بأن يكون هناك دائماً تقيضان أو ضدان أو نوعان أو طرفان أو خصمان يتضائل أحدهما بقدر ما يتعظم الآخر كما يتضائل الإله بقدر تعظم الإنسان ويتضائل الإنسان بقدر تعظم الإله. هل حدث في التاريخ أن يتعظم الإله والإنسان معاً في زمان ومكان واحد؟

.. ويعظم التفاوت والتباعد بين طرفي الشيء.. بين أعلاه وأدناه بقدر تفوق طوره أو نوعه ولهذا يكون هذا التفاوت والتباعد في الإنسان أقوى مما يكونان في الحيوان، ويكونان في أعلى الحيوانات أقوى مما يكونان في أدناها كما يكونان في الصقور أقوى مما يكونان في الغربان كما يكونان في الحيوانات أقوى وأعظم مما يكونان في الحشرات، كما يكونان في الشعوب الخلافة أقهر وأبهر مما يكونان في الشعوب المخلوقة.. إنه لا تفاوت أو تباعد مثل التفاوت والتباعد بين أحاد الشعوب العظيمة المبدعة الزاهية للحياة كل مزاياها..

.. في هذه الفترة التي هذه الأوصاف بعض أوصافها.. هذه الفترة التي لم تبق للسماء ولا لسكانها ولا لشمسها أو نجومها أي مجد أو رجة أو سر لا يمكن اقتحامه واكتشافه وتعريته وتفسيره وتصغير شأنه بعرضه ومعرضه والتحكم فيه..!

لقد أسقطت هذه الفترة كل الأسرار التي يعجز ويهرب اقتحامها..!

.. في هذه الفترة ألا يصحح العالم من غفلته الطويلة الأليمة ليفعل شيئاً في هذه القضية لإنقاذ وثرثة هذا الكائن الذي سماه ويسميه إلهاً مما أوقع ولا يزال يوقع به في هذا التاريخ اليائس الطويل، الطويل من كل ألوان وصيغ وتفسير التحقير والتشويه والسياب والظلم والعدوان والفسوة..

باتهامه وإعلانه واعتقاده وحده المريد والمخطط والفاعل لكل ما كان ولكل ما هو كائن ولكل ما سوف يكون، والراضي المعجب الفرح السعيد به بل والعاشق المحب له بكل الجنون، والمادح لنفسه والمطالب لها بكل المديح.. المطالب لكل البشر بل ولكل أحد وكل شيء في هذا الكون وفي كل كون بأن يتحولوا إلى شعراء أدلاء أحشاء ليصوغوا كل حياتهم وكل شيء قصائد امتداد وتعيد وتملق وتغزل بلا حدود أو مقاييس أو ضوابط في هوانها وجهلها وبلاذاتها شكراً له على ذلك على أنه

المنهم بلا شريك بأنه المرید العاشق المحب المصمم الفاعل المساكن المعاش المعاشر الرائي المواجه المصافح المعانق المبارك المضاحك المغازل الراعي لكل ما في هذا الوجود وكل وجود من آثام وآلام وإجرام وفضائح وقبائح وحماقات وبذاعات وسفاهات وعداوات وجهالات ودمامات وأبالسة وفراغة وزنادقة وأوبقة وزلازل وبراكين وأعاصير وفيضانات ومجاعات وقحط وموت ومقابر ومآثم وهوان وخبث وضياح، ومن أنبياء وزعماء وقادة يوقدون ويخلدون الحروب والأحقاد والعداوات، ومن كل ما يصدم ويفجع ويحرج ويذل ويخجل ويقضح ويعذب كل عقل وقلب وخلق وحب وعدل ورؤية ورحمة وكرامة ونزاهة ونخوة وشرف وأمل وتوقع. إنه لا يوجد وجه أو قفا يصنع أو يلطم بكل المهينات والفاجعات مثل أو غير وجه وقفا هذا المنهم..!

.. إنه ليس في الإمكان أن يعرف أو يتصور أو يستطيع أو يفعل أو حتى يتمنى أي هذا الكائن المسمى والمعلن والمبايع إلهاً ما هو أحكم أو أرحم أو أقوى أو أذكى أو أعقل أو أجمل أو أنبل أو أعذل أو أشرف أو أكرم أو أنفع أو أنظف أو أصح مما أراد وخطط واستطاع وفعل.. مما كان ويكون وسوف يكون إذ ليس في الإمكان أبدع مما كان ولألا لكان محتوماً أن يريد ويختار ويفعل هذا الأبدع..!

.. ليس في الإمكان أن يتصور أو يقبل أو يعقل أو يرضى أو يحب أو يريد أن تكون القملة أو النملة أو الذبابة أو الجرثومة المرضية أو العاعة أو الآفة أو التشو في الوجه الجميل البريء أو الخطيئة أو النذالة أو الدنيا أو الحياة أفضل أو أجمل أو أصح أو أذكى أو أصغر أو أكبر مما كانت أو غير ما كانت أو ألا تكون لأن ما حدث ويحدث هو كل الكمال المستطاع. إنه لا يستطيع ولا يريد أن يفعل غير ما فعل أو أفضل أو أعظم مما فعل، كما أن ذاته وأخلاقه لا يمكن أن تنجي غير ما جاءت أو أعظم مما جاءت..!

نعم، ألا يصحح العالم ليكثر عن خطيئته المتفوقة على كل الخطايا مجتمعة ودائمة.. ليتخذ ويرى هذا الكائن المحروم من كل الميزات والمسرات والمفرحات والطيبات المصدود المردود أمام كل الأبواب الواقف أمامها الداق لها بكل التضمرعات والتوسلات.. الغريق المغرق في كل الأحزان والمحزنات والمهانات والمهينات والفاجعات.. المنهم الموصوف المفسر بكل الفواحش والآثام والموبقات أي مریداً عاشقاً مخططاً مديراً فاعلاً حامياً لها.

المحكوم عليه والحاكم على نفسه بأن يكون أبداً مفجوعاً محزوناً مصدوماً مهزوماً جائعاً ظامئاً راشياً متعلقاً متضرعاً مرفوضاً مخدوعاً مكذوباً مغضباً مغبطاً، محترماً ممدوحاً معبوداً بالكلمات والتهافتات والدعوات والنبوءات، محقرأ مذموماً مشتبهاً مطروداً مكفوراً مهزوعاً به بالنيات والشبهات والمعاملات وفي كل الاتجاهات والمبارزات والمسابقات والمساومات. في كل الأسواق والتوادي والحواسر والبوادي.. في كل المدن والقرى..!

.. المحروم الحارم لنفسه من كل ما صنع وزرع وأنج وأعطى وأطعم وخلق وحول إلى شهوات ولذات وأغراء وإغواء واستمتاع بالإرادة والتدبير والتخطيط والنضال والمعاناة يعقله وقلبه

وعواطفه بل وعضلاته ليكون لكل من سواه مفسماً تقسيماً خارجاً على كل العقل والعدل والحكمة والوقار..!

.. المحروم من كل إنتاجاته وإبداعه.. إنتاج وإبداع كل طاقاته المادية والمعنوية.. الجائع كل الجوع بكل معانيه وكينوناته وشهواته..!

.. الواهب كل الممارسات السعيدة الفرحة النشوى التي حرم وحرم نفسه منها.. حرمت وحرم منها كل أعضائه مع رؤى ومواجهات حواسه وأحاسيسه كل الأوقات لممارسات الآخرين لها بكل لغات وأساليب الإغراء والإغواء والتحرير..؟!

.. المشاهد بكل آلام الغيرة وحساسية الحرمان دون أن يشارك..!

ما أقسى أن ترى وتواجه كل الحواس والأحاسيس كل الممارسات اللذيذة المغوية المفرية المشيرة كل الأوقات ثم تحرم الأعضاء منها حرماناً شاملاً أهدأ كما هو حادث أهدأ لهذا الكائن الذي نطالب له بالإنقاذ والنبذة من نفسه.. من وجوده.. من اتهامه بالوجود.. من الحكم عليه بأنه موجود ليقاسي كل هذه الأحوال من العذاب والحرمان والقسوة والعدوان عليه والسب والهجم والتحقير والظلم والانتقام له ومن البصق والاستفراغ لكل ما في هذا الوجود وكل وجود من أحوال وقاذورات وآثام وفحش ودمايات وعار ونفائض وحشرات وجرائم ومجرمين عليه.. على ذاته وأخلاقه وعقله وقلبه وضميره ووجهه وعينه وعلى كل حواسه وأحاسيسه ومعانيه والنفاتاته واتجاهاته ويقظته الأليمة الدائمة الفاجعة الخاسرة الشقية.. يقظته التي هي أكثر وأعظم نوماً بل موتاً من كل نوم وموت.. التي ليس فيها من معاني اليقظة إلا بلبلة المواجهة وقبحها.. إنه لا يستطيع بلا أي يقظة غير هذا الكائن..!

.. عامل يعمل وينتج كل شيء ليقدمه إلى خصومه وأعدائه ومحاربيه وللخارجيين المتشردين عليه وأيضاً ليقدمه إلى سايه ومحقره وللموقعين به كل الأذى والإذلال والإهانات والضربات ليسعدوا ويستمتعوا به دون أن يسعد أو يستمتع أو ينتفع هو بأي شيء من ذلك بأي أسلوب أو معنى من أساليب ومعاني السعادة أو الاستمتاع أو الانتفاع.. لا يأكل أو يلبس أو ينتفع أو يسعد أو يفرح أو يلعب بأي شيء مما صنع أو نسج أو زرع أو ربى أو رعى..!

وهل وجد هذا العامل البائس الذي لا استطاع وصف شذوذه؟ إنه الكائن الذي يطالب العالم بأن يفعل أي شيء بل كل شيء لإنقاذه من نفسه وأيضاً لإنقاذ المؤمنين به المتهمين له بالوجود الموجدين له الحاكمين عليه بالوجود ليكون هو وحده الحامل والباصق والمستفرغ والمحمولة المبسوقة المستفرغة عليه كل أوزار وآفات وعاهات ومستنكرات وتشوهات وغرايات وفحش وقبح وجهل وغباء وجنون وفسوق وزندقات كل ما كان وكل ما سوف يكون.. لإنقاذ عقولهم وقلوبهم وعواطفهم وأخلاقهم وتصوراتهم وإيمانهم وتقواهم وكل تعبيراتهم من ذلك..!

هل يوجد أو يتصور إنقاذ أفضل أو أعقل أو أنبل أو أنفع أو أوجب من هذا الإنقاذ أو يساويه في أي معنى من معانيه؟ أليس إنقاذ الظالم المعتدي البليد الجاهل الأحمق من أن يكون أو يظل كذلك هو أعظم وأبقى وأقوى وأنفع إنقاذ؟

.. لقد غاب عن العالم كل عقله وصوابه وحكمته ورحمته ونخوته ورؤيته ويقظته وكل معانيه الجيدة طويلاً، طويلاً حين وهب اهتمامه أو شياً من اهتمامه ولو كلاماً وشعارات وجميعيات للرفق بكل الكائنات حتى بالحيوانات ولحمايتها وإنقاذها من الظلم لها ومن بعض ما تقاسي ثم غفل نهائياً عن أن يفعل بل حتى عن أن يقول أي شيء لإنقاذ الإله من إيمان المؤمنين به أو لإنقاذ المؤمنين من إيمانهم..!

إن كل الظلم والعدوان المتفادين والمتصورين بل وغير المتفادين والمتصورين لأنهما أكبر من التنفيذ والتصور لا يساويان شيئاً من الظلم والعدوان الموقنين بمن زعم وأعلن واعتقد رباً وإلهاً وخالقاً ومريداً ومخططاً ومنظماً وراعياً حامياً لكل شيء، وحاملاً لكل شيء ومحمولاً عليه كل شيء، ومحاكماً محاسباً بكل شيء، ومسؤولاً راضياً عن كل شيء، وموصوفاً بكل شيء، ومحكوماً عليه بأن يعاش ويسكن ويعاشر ويعامل ويحاور ويرى ويقرأ ويفسر ويفهم كل شيء، وأن يكون كل شيء هو كل مجده وقهره واهتمامه وعبقرياته وعزائه وذكائه..!

كل طعامه وشرابه ودوائه واستمتعته وأعراسه وممارساته المادية والمعنوية، الروحية والعقلية..! حتى الذبابة والقملة والبرغوث إنها إحدى موائده النفسية والأخلاقية الشهية. ماذا يعني ويعني بكل شيء؟ إن كل اللغات والترجمات والتعبيرات لتعجز وتضجل وترهب وترفض أن تكون شيئاً من اللغة أو الترجمة أو التعبير عن قبح وفحش وعار ونذالة وبذاءة وخسة وهوان وبلادة وجهالة وفسوق وضلال كل شيء جماده وحيوانه وإنسانه وحشرات بدايات ونهايات، صيغاً وتغاسير، حوافز وأهدافاً، تخطيطاً وعشوائية..!

آه، كل شيء مجعاً أو مفقداً. ما أقسى أن تفكر فيه أو أن تتصوره أو أن تفكر في المسؤول عنه، عن كل شيء أو أن تتصوره؟ هل وجد أو يوجد أو يمكن أن يوجد مسؤول أو المسؤول عن كل شيء؟

هل يمكن أن يوجد أو أن يتصور من يقبل أو يستطيع أن يكون هذا المسؤول مهما كانت حسنة ونذالته وجهالته وضلالته ووقاحته وقباحته ودنائه وردائه بل وقذارته.. أن يكون مريده ومخططه وخالقه.. أن يكون هو المسؤول بكل معاني وتغاسير المسؤولية عن وظائف أعضاء الكائنات الحية حيوانية وحشرية وإنسانية، عن استقراغاتها الجوفية، عن أساليب ومكان وظروف ولغات ونتائج وهوان وبذاءات وقضائح هذا الاستقراغ، وعن أعضائها الأخرى الجنسية وغير الجنسية بكل وظائفها وممارساتها الرهية القبح والفحش والفضح والإذلال والاستعباد والتحقير والتعير والتعذيب؟

إن الإنسان ليهرب كل الهرب عن كل العيون والآذان حين ممارسته لهذه الاستقراغات والاختراعات لضخامة قبحها فما بال عيني الإله وأذنيه؟ كيف قبل أن تتخلق فيه أذنان أو عينا؟ كيف وجد من يقول إن هذه الاختراعات والاستقراغات أي اختراعات واستقراغات أمعاء وأحشاء وذوات الكائنات الحية بالأساليب التي بها تحدث.

- كيف وجد من يقول إنها مجد وسرور ولرب وخالق هذا الوجود. إنها إحدى فنونه الجمالية

العبرة الاستعراضية؟ كيف وجد من يقول إن الإله بسعد ويستمتع بمشاهدتها أو يطبق ذلك؟ كيف أمكن أن يقول ذلك الأنبياء والأنبياء وتقول الكتب المقدسة؟ وهل قالوه؟ لقد قالوه حين قالوا وأعلنوا أنه أي صاحب ومخطط ومنظم هذا الوجود خالق ومريد ومدبر لكل شيء ولكل ما حدث ويحدث وراض عنه معجب به أي بما فعل وعنه حتى باختراعات واستفراغات الأعماء والأحشاء والأعضاء التناسلية وكل الأعضاء الأخرى البذرة؟

وماذا تقول أذنائه وعيناه أي مالك هذا الوجود حين تريان وتسمعان وتعايشان وتساكنان هذه الاختراعات والاستفراغات تطلقها بطون وأعضاء هذه الكائنات الحية وخازنة مخزنة لها؟ كيف وجد من يقول إن لإله هذا الكون أذنًا أو عينًا ترى أو تسمع كل شيء حتى هذه الاختراعات والاستفراغات؟ وماذا يقول هو حين ترى وتسمع أذنائه وعيناه ذلك؟

هل يحمد عينيه وأذنيه حينئذ أم يلعنهما؟ هل يشكر ذاته لأنها خلقت له عينين وأذنين، لأنها تخلقت فيها ولها عيان وأذان أم يعاقبها على ذلك ويكرهها لذلك؟

هل يمكن أن يوجد من يستطيع أن يفهم هذا الكائن المسمى إلهًا؟

هل يوجد من يستطيع أن يتحمل فهمه لو استطاع أن يفهمه؟

لقد رفض كل المؤمنين بل وغير المؤمنين فهمه ومحاولة فهمه لأن فهمه لا يطاق ولا يغفر أو يقبل كما لا يستطيع. لقد ناضل الإنسان ولا يزال وسوف يظل يناضل لفلا يفهم الإله أو يحاول فهمه!

إن ذات الكائن الحي الناطق المتحرك مخزن ومصنع ومنجم من القضائع والقبايح والقذارات والآفات والعار والاستفراغات المخزية، بل ومن الأخطار والفظائع والاحتمالات البائسة الحزينة المهينة!

.. العجب كل العجب! كيف غابت أو نامت أو ماتت أو ظلت أو تبلدت أو قست وفسقت عقول ورؤى وقلوب وضامير وأخلاق ومحاسبات ومعاملات الكثيرين من المفكرين والفلاسفة والعباقرة والشعراء والمؤمنين المتدينين الأتقياء أمام هذه القضية وفي التعامل معها وبها؟ كيف أمكن أن يحدث ذلك؟ إذن ما المستحيل؟ إذن لا مستحيل على غباء العقل الإنساني مهما كان صعود ذكائه!

كيف أمكن أن يتقبلوا هذا الظلم أو يسكتوا عنه بل ويشاركوا فيه.. في هذا الظلم لهذا الكائن بالإيمان به هذا الإيمان، وفي هذا الظلم للمؤمنين به.. في هذا الظلم لعقولهم وقلوبهم وضاميرهم ورؤاهم وتقاسيرهم وأخلاقهم ولكل صيغ وتبضات وخطوات حياتهم؟ هل معنى هذا أن الذكاء مهما اخترق كل حدود وسدود هذا الكون لن يستطيع أن يكون حامياً من أغبياء الغباء؟

.. كيف لم يتحولوا إلى جيش إنقاذ لينقذوا من الظلم لهذا المظلوم ومن الظلم لهؤلاء الظالمين المظلومين؟

هل يحدث ما لم يحدث وما يجب أن يحدث؟ هل يحدث؟

هل البشر يبحثون عن الغباء ويتعلمونه أم يصابون به ويتخلق فيهم تخلقاً أم هم هذا وهذا؟ هل الغباء اضطراراً أم احتياج أو هو هذا وهذا؟ هل هو ربح أم خسران؟ هل هم يستعملون الذكاء للذكاء أم للغباء أي ليكونوا أغبياء أم ليكونوا حنفاً كذا وحنفاً كذا؟ هل يستطيع الإنسان أن يقبل وجوده وحياته وممارساته وكيثوثاته واحتياجاته ويرضى عن ذلك بلا غباء وبلا عجز عن الرؤية والفهم إلا إذا كان يستطيع أن يحيا بلا نوم.. بلا نوم جسدي وعقلي وقلبي وعاطفي وأخلاقي.. بلا نوم نفسي وذهني وإنساني.. بلا كذب في النية أو في السلوك أو في التعبير أو في الحافز أو في الهدف أو في المنطق أو في التفسير أو في العرض والصفة؟ أليس الغباء هو كل طاقات وقضايا الذكاء؟ هل يستطيع الذكاء أن يحيا أو يعمل أو يتعامل ما لم يهبط إلى أدنى مستويات الغباء؟ أليس الذكاء هو كل الغباء جاء في تفاسير وتعبيرات وصيغ أخرى؟

أليس أذكى الأذكاء هم أكثر الكائنات احتياجاً إلى أغبي الغباء ليصبحوا أغبي الأغبياء أي أذكى الأذكاء؟

لهذا جاء الإنسان أكثر من كل الكائنات الأخرى المعروفة احتياجاً إلى الغباء وعملاً وتعاملاً به وتعليماً وتمجيذاً له، حتى لقد حول كل أنواع الغباء ومستوياته إلى آلهة وأنبياء وأديان وعبادات وكتب مقدسة. أليست هذه كلها إحدى عطايا الغباء؟

ولهذا أيضاً جاء الإله أقوى وأفسى وأردأ من الإنسان ومن كل أحد وكل شيء غباء وتعليماً وتشريعاً وترويجاً وتنفيذاً ومدحاً للغباء والإزاماً وإعجاباً به ورضاً عنه وإثابة عليه ومعاقبة للخارجين عليه وللمحرومين منه والرافضين له لو وجدوا.. وبأوصافه وأخلاقه ومستويات ذكائه هذه أراد وعشق وخطط وخلق هذا الوجود كله بكل قبحة وفحشه ومخفه وضلاله وغياثه وهوانه وعاره وفسوقه وكآبته وسبائته ومآسيه وبكل شروره معتقداً ومعلنناً أنه كل الجمال والكمال والحكمة والرحمة والمحبة والعبقرية والذكاء والعقل وكل الممكن والمستطاع..!

هل يمكن أو يقبل أن يقال إن الإله يستطيع أن يخلق أي شيء أفضل مما خلقه ثم لا يخلقه هذا الخلق الأفضل؟ لماذا لا يفعل هذا الأفضل إن كان يستطيعه.. إن كان يستطيع أن يخلق الذبابة أفضل مما خلقها هل من جواب؟

إنه لن يمكن أن يقال إن رب وصاحب هذا الكون قد صاغ كونه هذا بكل ذكائه أو بأي قدر من ذكائه أو من أي ذكاء وإنما الذي يمكن أن يقال: لقد كان خالق هذا الكون محتاجاً إلى كل الغباء وإلى أردأ الغباء لكي يستطيع ويقبل أن يخلقه كما خلقه كما جاء.. لقد حشد كل الغباء واستعان بكل الغباء لكي يخلقه كما خلقه، ولكي يعجب به ويرضى عنه ويستوي قومه بكل الغرور والكبرياء..!

.. إنه لدفاع نبيل رحيم حكيم عن الإله أن يقال: إنه أي الإله قد خطط وأراد وأخرج هذا الكون بكل غيائه بلا أي قدر من ذكائه.. أما القول أو الاعتقاد بأنه قد فعل ذلك بكل ذكائه أو بشيء من ذكائه فإنه كل الهجاء والتحقير له..!

كيف أمكن أن يجهل ذلك أحد حتى ولو كان هذا الأحد عربياً، عربياً في رؤيته وتفكيره وخمسه وفي كل معانيه؟ لقد استعان الإله بكل طاقات وفنون وأنواع الغناء لصياغة كل ما فعل ليحيى كما جاء دون أن يستعين بشيء من طاقات الذكاء أو فونه أو أخلاقه. وصعب جداً فهم الأسباب التي جعلته يفعل ذلك بقدر ما يصعب فهم أسباب وجوده وقبوله لوجوده..!

إنه لا بد من هذا التفسير إذا كان محتوماً اتهام هذا الكائن المرعوم المعلن إلهاً بأنه هو الفاعل لهذا الوجود..!

إذن لا براءة لهذا الكائن من كل التهم والاتهامات المدمرة المخزية إلا براءته من ذاته..!

هل وجد أو يمكن أن يوجد ما يبريء وينقي ويحمي من كل الذنوب والعيوب والمخاوف والمخاطر والنقائص والاتهامات الأليمة المهيمنة الفاضحة المعاقبة ومن كل الشرور والآلام مثل البراءة من الذات أو غير البراءة من الذي أي من وجود الذات؟

إن وجود الشيء أو الكائن الحي ليس مزية أو عبقريته فيه وليس عطاء أو تمجيذاً أو حباً له ولكنه ورطة وتوريط وعبث. إن أي موجود لن يربح من وجوده وإنما يحاول التداوي من هموم ومشاكل وحاجات وجوده..!

نعم، إن الله لا يستطيع أن يخلق أو يخرج أو ينزل أو يفجر أو يصوغ الحشرة أو الجرثومة أو الآفة أو العاهة أو التشوه أو العجز أو المرض أو الرباء أو القحط أو المجاعة أو الصحراء أو الفيضان أو الزلزال أو البركان أو الممتوء أو المجنون أو البليد أو الزنديق أو المصاب أو المجرم أو أي شيء ليحيى في أية صيغة أخرى غير الصيغة التي بها جاء، كما لا يستطيع ألا يفعل ذلك أي أن يكف عن فعله أو عن إرادة وشهوة فعله له أي ألا يفعل أي شيء مما فعله..!

ولماذا لا يستطيع لا هذا ولا هذا أي ألا يفعل ما فعل بصيغة أخرى أجمل أو أعظم أو أذكى أو أنقى أو ألا يفعله بأية صيغة؟ إن القول بأنه لا يستطيع لا هذا ولا هذا ليصنع الحيرة والغضب.. كل الحيرة والغضب، الإله لا يستطيع.. كيف. كيف؟

.. إنه لا يستطيع ذلك ولا شيئاً منه لأنه لا بد أن يفعل كل الكمال، وكل ما يفعله هو كل الكمال. إذن لن يستطيع ألا يفعل ما فعل ولا أن يفعله بأية صيغة أخرى، إذ ليس في الإمكان أبدع مما كان، فلو كان في الإمكان أبدع مما كان لكان محتوماً أن يفعله ولو كان الأبدع ألا يفعل ما فعل لما فعله..!

هل يستطيع أي مؤمن أن يشك ويخالف في شيء من هذا؟

.. إن كل التفسيرات المحتملة لهذه القضية تقول: إن الله عاجز عن ألا يفعل أي شيء فعله كما هو عاجز عن أن يفعل أي شيء فعله في زمان أو مكان أو أسلوب أو صيغة غير الزمان والمكان والأسلوب والصيغة التي أو الذي به أو بها فعله. هل يوجد أو يمكن أن يوجد من يقول ذلك أو يصدق؟

ولكن هل يمكن أن يكون المؤمن مؤمناً أو بحسب مؤمناً ما لم يقل هذا بل ما لم يصدقه ويعلمه ويعتقده؟ فطبع، فطبع هذا بل كل شيء فطبع..

كيف؟ إن جميع المؤمنين بالإله يقولونه ويعتقدونه ويعلمونه بل ويرون من لا يقولونه ويعتقدونه ويعلمونه زنادقة يجب الخلاص منهم؛ أو يجب على كل المؤمنين بالإله أن يقولوه ويعتقدوه ويعلمونه وإلا أصبحت كل رؤاهم وتفسيرهم للإله فاسدة جاهلة خائنة كاذبة آثمة متناقضة..!

أليس كل مؤمن يؤمن بأن الله يصنع كل الكمال، وأن كل ما يصنعه هو كل الكمال في كل رؤى وحسابات وتفسيرات العقل والقلب والفن والجمال والأخلاق وفي إرادة وتحقيق الأهداف والمنافع والمزايا المطلوبة والمتوقعة؟ إنه يؤمن بأنه لا يوجد ولن يوجد كمال لم يفعله الله، وأن كل ما فعله لا يمكن أن يفعل أكمل منه لا في صيغته ولا في زمانه أو مكانه أو أسلوبه. إنه يفعل كل الكمال وكل ما لم يفعله لن يكون شيئاً من الجمال أو الكمال..!

أليست كل التفسيرات لهذا أن المؤمن يؤمن بأن الله لا يستطيع ألا يفعل أي شيء فعله حتى الذبابة والقملة والعاهة حتى أفتيح وأردأ وأفسد وأنذل وأفسق الأشياء، كما أنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء فعله بأية صيغة أخرى غير الصيغة التي فعله بها وإلا لكان خارجاً على الكمال؟ إن على كل مؤمن أن يسجد لكل ما خلق لأنه كل جمال الله وكماله..!

إنه لو لم يفجر أو يطلق هذا الزلزال أو البركان في الوقت والمكان اللذين فجرهما وأطلقهما فيه وكذا هذا الوباء أو لو لم يأت الخراب والدمار والخسران والقنلى والجرحى كما جاء وجاؤوا يفعل هذا الزلزال أو البركان أو الوباء لكان أي الإله خارجاً على الكمال.. خارجاً على جمال الآلهة وحكمتها ورحمتها وعقربتها وذكائها وعلى أخلاقها..!

لأنه لم يفعل ذلك ولا شيئاً منه إلا خضوعاً لهذه المعاني والأوصاف الجميلة.. أليس فعله لهذه الآفات والكوارث يفرض على المؤمن الإيمان بأنها وبأن فعله لها هما كل الجمال والكمال والحب والرحمة والحكمة؟



قد يكون من أفسى ضربات التحقير والسياب للإله الاعتقاد والإعلان والتعليم بأنه أي الإله يطالب كل شيء وكل أحد ويفرض عليه بأن يلقي بكل ذاته وكل معانيه تحت التراب ركوعاً وسجوداً وشكراً واستدحاً وتعبداً له دائماً دائماً دون أن يبقى لنفسه أو في نفسه.. لعقله أو لقلبه أو لضميره أو لأخلاقه أو حتى للفتنه وتعبيره شيئاً من الكرامة أو الاحترام أو الإباء أو الذكاء أو الشجاعة أو حتى من النظافة..!

يا لها من ضربة لكرامة ووقار وذكاء الساجد والمسجود له الراكع والمركوع له..!

بل إنه ليوعد بأشد العقاب وكل العقاب لكل من لم يهيموه كل ذلك بكل الهوان والتضرع والمسكنة وبكل النهوين والتحقير والتصغير لأنفسهم ولكل معانيهم بكل الأساليب والصيغ. إنه لا شيء

يفجع ويخجل ويصنع كل التعجب والترويع مثل الخصائص التي ركبت منها نفس الإله وأخلاقه ورغبته.!

لقد حوله حبه لأن يمدح ويعبد بل لأن يكون له كل المديح والعبادة ومطالبته بذلك - حوله إلى رايش ومرتش.. إلى أن يرشو كل من يريد منهم أن يمدحوه ويعبدوه لكي يزدوه من ذلك، وإلى أن يطلب منهم أن يرشوه مديحاً وتعبداً وتذلاً وسقوطاً لكي يحجزهم على رشوتهم له..!

إنه لا يوجد رايش بكل التذلل وضخامة الرشوة المقررة مثل الإله..!

لقد حوله شوقه إلى أن يوهب كل المديح والعبادة ورغبته فيهما إلى أن يصبح مرابياً متعاملاً بالربا الذي حرمه ولعنه وأوعد المتعاملين به كل العقاب.. مسكين وبائس هو هذا الإله. لقد حوله حبه المجنون للمديح والعبادة إلى أكبر مراب..!

إنه يعلن كما يقول المؤمنون به أنه سوف يجزي على العمل الصالح له بأضعافه، بأضعاف مضاعفة. والامتداح والتعبد له هما قمة الأعمال الصالحة التي يطلب بها..

لقد حولته أشواقه المجنونة إلى أن يمدح ويعبد إلى أكبر متعامل بالربا والرشوة.. إنه الإله الإله الذي جاءت به وصاغته النبوة العربية.!

هل يمكن أن يوجد أعجب من الإله الذي يؤلفه ويفسره النبي العربي؟

.. كائن يفسر ويعلن عنه بأن كل أشواقه واحتياجاته وإراداته واهتماماته ومطالبه ووظائفه وحوافزه وأهدافه ولذاته وأنراحه وكرامته وكبريائه وغذائه وعزائه ودوائه في أن يوهب كل المدائح والعبادات والصلوات بكل الهوان والتذلل والتضرع والسقوط..

.. وكل شقائه وعذابه وهوانه وأحزانه وعقابه ويؤسه وغضبه في ألا يوهب كل ذلك..!

هل يمكن أن يوجد أو يتصور مسيوب محقر مثل هذا الكائن؟

إن الرغبة في المديح لتقيصة ذميمة يحاول أن يتبرأ ويستتر منها جميع العقلاء والمحترمين لأنفسهم فكيف بالمطالين به أي بالمديح ثم كيف بالجازين عليه وبالمعاقبين لمن لم يهبوهم إياه ثم كيف بمن يحولون ذلك أي امتداحهم والتعبد لهم إلى نبوات وأديان وشرائع وعقائد وتعاليم ومعلمين وإلى فردوس وحجيم يخلد في أحدهما المادحون وفي الآخر الرافضون والناسون له والمشغولون عنه والمقصرون فيه والمستحيون منه والمتأثمون من أن يتحولوا إلى شاتميين لمن يمدحهم بمدحهم له وبالإعلان عنه بأنه يريد المديح ويرضاء ويطلب به ويجازي عليه ويعاقب على تركه؟

إنه لا يوجد من يطلب بأن يمدح مهما رغب في ذلك. إذن كيف جاء الإله؟

.. زعيمان أو حاكمان أو رئيسان أو ملكان أحدهما ذكي ومتوفر ومحترم لنفسه وعظيم وكبير في كل معانيه وأخلاقه والآخر نقيض ذلك أيهما سوف يرغب ويحاول ويحرض ويعاقب ويحين ليحول وليتحول كل مجتمعه إلى مداحين كذابين متناقضين ساقين أذلاء.. ليحولهم ويتحولوا إلى أشلاء وأكوام ملقاة ومطروحة ومنطرحة على بابه وترابه لتمدح وتشد وتشت وتصلي وتسد وتلعن كل

الكون إذا لم يتحول مثلها إلى مدائح وأناشيد وهتاف وصلوات وعبادات لمن هي ملقاة وملقية بنفسها على بابيه وترابه مثلما كان يفعل شعراء العرب على تراب وأبواب سلاطينهم وخلفائهم وأئمتهم ومثلما يفعلون اليوم على أبواب وتراب رؤسائهم وثوارهم؟ هل يمكن أن يوجد أي خلاف على من سوف يكون هذا الافتضاح والعار من الزعيمين أو الحاكمين أو الملكين أو الرئيسين أو السلاطنتين أو الإمامين؟.. ثم أي هذين النموذجين سيختاره المؤمن نموذجاً لإلهه وهو لن يجد نموذجاً ثالثاً أو آخر ليهرب إليه بإلهه؟ وقد يكون الواقع الدائم أن المؤمن يبدأ يختار لإلهه شر وأردأ النماذج التي يعرفها أو يتصورها. ولعل السبب أنه لا يجد غير ذلك!

.. اسمعوا أو اقرؤوا أو انظروا ثم افهموا أو حاولوا أن تفهموا أي بعد أن تفكروا ثم تقبلوا أو ارفضوا.. وهل يمكن أن تتقبلوا بعد أن تفكروا وتفهموا؟

أليس التقبل محكوماً عليه دائماً ومشرطاً فيه دائماً أن يكون قبل التفكير والفهم وبدون الفهم والتفكير؟

هل تستطيعون أن تفعلوا ذلك ثم تستطيعون أن تتقبلوا إلهكم أو وجودكم أو أي شيء بكل التفاسير أو بأي تفسير أو بلا أي تفسير؟

هل يطاق أو يقبل فهم أي شيء أو التفكير في أي شيء محاسباً ومحاكماً ببداياته ونهاياته أو بأهدافه أو حوافزه أو بمعانيه أو بأخلاقه أو بتفاسيره أو بأي شيء من ذلك؟ هل يطاق أي شيء ما لم يكن محروساً من المحاسبة والتفاسير؟ هل أطاقت الحشرة والإله وجودهما إلا بهذه الحراسة؟..

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد من فكروا وفهموا ثم احترموا أو رضوا شيئاً من آلهتهم أو أنبيائهم أو من أنفسهم ووجودهم أو من أي شيء أو تقبلوه تقبل منطق أو إعجاب؟ حتى الإله.. نعم، حتى الإله هل قبل أو رضي نفسه أو وجوده أو أي شيء بعد أن فكر وفهم إلا بقدر ما قبلت ورضيت القملة أو الفأرة أو النملة أو أية حشرة أو آفة أو عامة نفسها ووجودها وكل ممارساتها بعد أن فكرت وفهمت واقتنعت بقيمة وشرف ومنطق وكرامة وعبقرية وجودها وبقائتها بالصيغة التي بها وجدت وبقيت والتي بها تحيا وتموت والتي بها تمارس ممارساتها؟

وهل خلق هذه من خلقها إلا بالمنطق والتفسير اللذين بهما قبلت وجودها؟

.. أيهم سيكون أقوى رفضاً لوجوده: الإله أم الإنسان أم الحشرة أم الجماد لو أنهم رأوا وعرفوا وقرؤوا وفسروا وجودهم قبل وجودهم وكانوا مخيرين قبولاً ورفضاً؟

قاس بل أتم ظالم من فرض على أي موجود وجوده قبل وجوده بكل معانيه وتفسيره ونتائجه وممارساته ومجااحاته واحتياجاته ونهاياته ومواجهاته فكيف بمن فرض ذلك على الإله أي لإيمانه به؟ إن كل الظلم أو المشكلة أو الورطة أو العدوان الذي هو كل العدوان والذي لن يمكن أن يحدث أي عدوان لولاه أن أي موجود لن يستطيع أن يرى أو يعرف أو يقرأ أو يتصور أو يختار وجوده لا قبل وجوده ولا بعد وجوده وإنما يتحول إلى عهد ذليل مطيع لوجوده بكل الصيغ والأساليب المهينة الفاضحة الفاجعة المتقلبة، مفسراً له أي لوجوده بكل التفاسير الذكية الأخلاقية العبقرية النقية الكونية

التي لا يمكن تصور ما هو أفضل أو أنبل أو أعظم أو أنفع أو أكرم منها أو مثلها، بل وواصفاً لوجوده بأنه إرادة وتخطيط وشوق وفن ومجد وذكاء وعبرية ومهارة وطاقة وسرور وكرم وكرامة وكبرياء وفخر وصياغة وإخراج أعظم إله..

إذن أليس كل إلهاد هو أقصى استبعاد وكل الاستبعاد؟

ومن فرض عليه وجوده قبل وجوده فقد فرضت عليه بلا أي تدبير أو تفكير أو اختيار أو منطق أو رؤية أو عقل أو حساب أو تقوى أو إيمان - فقد فرضت عليه كل رؤاه وعقله وطاقاته وممارساته وتغاميره وتفكيره وكل آلهته وأنبيائه وأديانته وانتماءاته وأهوائه وكل أكوانه وكنيواته، بل وفرضت عليه صحته ومرضه وضعفه وموته وكل تشوّهاته وعاهاته وأحقاقه وعداواته ومخاضاته وبغضاته وأحزانه وهوانه وعاره وفضائحه وبؤسه ومخاوفه وبلاداته وجهاياته.

- أي فقد فرض عليه كل ذلك قبل أن يوجد..!

لهذا فإن من يحب ويرضى ويمدح ويصادق ويقتنع ويؤمن ويعجب ويسر ويدافع ويصر على البقاء مهما كان البقاء وشرقه ورفقه وقيمه ويصر على ما يصر عليه.

- نعم، لهذا فإن من يفعل ذلك أو شيئاً منه لا يفعله لأنه معقول أو مقبول أو مرضي أن يفعله ولا لأنه فكر فيه وحاسبه وفهمه فافتنع بأن يفعله ولا لأن من السجد أو الشرف أو الكرامة أو النبل أو النفع أو البطولة أو الشهامة أو التقوى أن يفعله ولا لأنه يستحق أن يفعله ولا لأن الآلهة أو الشمس أو النجوم أو البحار أو الأنهار لا بد أن تموت أو تهرب أو تجف أو تظلم إن لم يفعله وإنما يفعله لأنه قد فرض عليه قبل أن يوجد أن يفعله.. لأنه قد جاء في صيغة من لا بد أن يفعله.. وإنما يفعله كما تفعل الجمادات والنباتات والحشرات وخلايا وغدد وأعضاء الأجسام الحية ما تفعله.. إن الكائن يفكر ويريد ويفهم ويرضى بالمنطق الذي به تفكر وتريد وتفهم وترضى أعضاء جسده.

.. حتى الآلهة.. إنها لا تفعل ما تفعله بالمنطق أو بالتدبير أو بالحساب أو بالأخلاق أو يحشأ عن المصلحة أو المنفعة أو الفائدة أو يحشأ عن الجمال أو الكمال أو اللذة أو السعادة أو حتى بالحرية وإنما تفعل ما تفعل لأنه قد فرض عليها أن تفعل ما تفعله قبل أن توجد.. إنه لا يوجد أبعد عن التفكير والتدبير والمنطق والأخلاق والمحاسبة لما تفعل مثل الآلهة..!

حتى الحرية أي ما يرى ويعلم حرية ليست حرية.. لا حرية في ممارسة الحرية.. فالذي يمارس شيئاً ليس حراً حين يمارسه في ألا يمارسه، كما أنه ليس حراً حين لا يمارسه في أن يمارسه. فممارسة الحرية ليست حرية.. كما أن العريد والمفكر والمحب والعاشق والخائف ليس حراً في ألا يكون كذلك حين يكونه ولا حراً في أن يكونه حين لا يكونه.

إن الكائن ليس حراً في حريته مهما بدا وزعم حراً كما أن النهر ليس حراً في جريانه مهما رآته العيون حراً..!

هل من يكون ويجيء ويمرض ويموت ويجوع ويتخلق من هذه السلالة أو من أخرى ذكياً أو

غيباً، سويّاً أو مشوهاً، قوياً أو ضعيفاً، جميلاً أو دميماً، صغيراً أو كبيراً، في هذا الكوكب والزمان أو في كوكب وزمان آخرين - هل هو حر في ألا يكون ويحيى كما كان وكما جاء؟

إن هذا هو كل التفسير لكل صيغ الحرية وتفسيرها.. أو هل الإله حر في أن يكون إلهاً أو في ألا يكون إلهاً مستعبداً وخاضعاً وذليلاً وعبداً لكل تفسير ومعاني الألوهية؟ أهـ. أليست الألوهية هي كل صيغ ومعاني العبودية؟ هل الإله حر في أن يكون أو لا يكون في هذه الصيغة أو في أية صيغة؟

.. هل يمكن أن يوجد أو يتصور مستعبد خاضع ذليل عبد لكل شهواته ورغباته وأنانياته ونزواته وخطيئاته وأخطائه وبدائياته وحماقاته وغلطاته وكبرياته ولكل رؤاه وتفسيره واستجاباته لنفسه مثل الإله.. مثل كل إله؟ لو كان حراً أليس محتوماً أن يحيى أفضل مما جاء وغير ما جاء؟

.. إذن هل يمكن أن يوجد أو يتصور إله عبد مستعبد مثل الإله.. عبد مستعبد لنفسه ولوجوده ولمن خلقهم ليعبده؟

أو هل يمكن أن يوجد أو يتصور عبد مستعبد لوجوده مثل الإله.. لوجوده الذي لن يقبل أي موجود مهما كانت تعاسة ومهانة وقبح وجوده أن يكون مثل وجوده أي مثل وجود الإله.. الإله الذي لا يعرف لا هو ولا أحد ولا من يعبدونه لماذا جاء إلهاً وماذا يربح أو يستفيد هو أو غيره من ذلك؟ إن الإله المطالب بأن تكون له كل العبوديات هو أقسى وأغشى العبيد عبودية. ما أعجب وأقبح هذا. إنه عبد لذاته ووجوده وشهواته ولكل شيء...!

.. إنه لا أحد يستحق كل الرثاء والعزاء والأسى والبكاء من أجله مثل الإله لخسران وقبح ربؤس وتفاقة وبلاهة وتعاسة وضياح وجوده بل ولعبوديته حتى لمن خلقهم ليعبده..!

هل توجد عبودية مثل عبودية الإله لمن أرادهم له عبيداً؟

.. إنها لقضية كان المفروض ألا تخفى على أحد وألا يجهلها أحد.. ولكن هكذا تجيء الأشياء دائماً على غير ما ينبغي وينتظر أن تجيء عليه...! هل حدث أن جاء شيء ليس مشحوناً بالذنوب والعيوب والنقائص والآلام أو ليس محاصراً بالمخاطر والمخاوف؟

.. هل الإنسان الذي صعد وهبط فوق القمر وفي أحشاء القمر مذلاً قاضحاً متحدياً مطارداً لإله القمر محتاج إلى أن يتعلم ويعلم ما لا يحتاج إلى تعلم وتعليم بل ثم يعجز عن تعلمه وتعليمه أي عن فهمه.

.. هل هناك قوة غيبية أئمة شريرة أو حاسدة لئيمة تصر على أن تعاقب وتشوه ذكاء الإنسان وعبقرياته بأن نصب وترسخ فيه كل طاقات وأصناف البلاذات والبلاغات والعسى الشامل الدائم عن رؤية ما يفتأ ويشتم ويجمع ويعذب كل العيون.. كل العيون البصرية والعقلية والفؤادية والنفسية والأخلاقية والفنية حتى ليفعل كل ذلك بالعيون الأئمة، حتى بالعيون الأئمة.. قد يقال هنا: إلا عيون الآلهة وعيون أعوانها ومساعدتها ومستشاريها وعيون متعلمي الرؤية منها أي من الآلهة..!

من صانع العيون؟ هل يوجد بحيث مثل بحيث صالها حينما صتمها لتمنعه من الرؤية بل لتكون أعظم مزيف للرؤية؟ هل وجد مزيف للرؤية مثل العيون؟

.. نعم، هل يمكن أن يكون أي شيء أو أي كائن حراً في وجوده أو صيغته أو سلالة أو ذاته أو في ممارساته واحتياجاته وشهوته أو نيته وانتماءاته وعواطفه وأفكاره وأخلاقه وعلاقاته ومواجهاته وطاقاته وفي كل كينوناته - أي حراً في أن يقبلها كلها أو بعضها أو يرفضها كلها أو بعضها أو أن يغيرها كلها أو بعضها أو يستبدل بها كلها أو بعضها، ثم يقبل أن يجيء كما جاء أو أن يكون شيئاً مما كان كما كان، أو أن يكون حراً في فئاته في قبوله أو في رفضه لفئاته؟

أليس محتوماً أن يرفض ذلك الإله والإنسان وأعظم كائن وكل كائن رفضاً قد يكون أكثر رفضاً وغضباً وتصميماً واستقباحاً من رفض الحشرات وأدنى وأردأ الكائنات لذلك، بل لا بد أن يكون كذلك؟

إن أي موجود مهما بدت وأعلنت واعتقدت ضخامة وعظمة وجوده لن يقبل وجوده أو لن يقبله كما وجد وجاء لو لم يفرض عليه فرضاً.. لو رآه وقرأه وقمره وفهمه وجربه قبل أن يفرض عليه.. لهذا فإنه لم يوجد ولن يوجد أي وجود أو موجود إلّا بأقسي وأطغى وأغبى وأظلم أساليب الفرض وبكل أساليب الفرض..

لهذا فإن الموجد البادئ أو الأول لو وجد لن يكون منعماً أو متفضلاً أو واهباً أو شهماً أو نبيلاً أو مستحقاً لأي شيء من الشكر أو الحمد أو العبادة بل لن يكون إلّا ظالماً معتدياً عابثاً جاهلاً خابطاً يستحق كل المحاسبة والمعاينة..!

والإيجاد الذي يستحق الشكر والحمد هو الإيجاد الذي ينقذ ويعالج ويحمي مما كان قد وجد.. إن أي كائن عاقل أو غير عاقل لن يفعل أي شيء أو يريد أو يقبل أو يطلب فعل أي إيجاد أي شيء إلّا من أجل شيء قد وجد.. قد فرض عليه وجوده فأصبح محكوماً عليه بالتداعي وبمحاولة وطلب التداعي من صيغ وأساليب ومعاني وجوده كلها بكل الديمومة والشمول والمقاساة..!

.. وقد تقول الحقيقة إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أي إيجاد لأي موجود، وإنما توجد صياغات وتطورات وتغيرات وتفاعلات وتحركات في الموجود. وهذا كل ما يحدث مهما قالت الرؤى والتفسير والتعاليم غير ذلك..!

إنه توالد وولادة وتوليد لا إيجاد..!

إن أحداً لم ير أو يعرف أي إيجاد من غير موجود حتى الإله نفسه لم ير أو يعرف ذلك.. إن ها هنا قضيتين كبيرتين كان المفروض ألا تخفيا على أحد وألا تحتاجا إلى تفسير أو توكيد..

الأولى أنه لم يوجد ولا يوجد ولا يمكن أن يوجد أي إيجاد لأي شيء بالمعنى اللغوي الشائع أو المعنى الديني أو التعليمي التاريخي أو المعنى المفسر به عمل الآلهة أو الإله الواحد.. وكل ما

يحدث ويرى ويعلم ليس إلا صياغة وتأليفاً وتجميعاً وتكويناً وتنظيماً للشيء الموجود أو تكوناً وكيونات وتفاعلات وتحركات وتعاملات مع ذاته ومع الوجود الآخر..

نعم، حتى الإله نفسه لم يرَ أو يعرف أو يفعل هذا الإيجاد، ولنقرأ ما يحدث.

... القضية الثانية أو الحقيقة الثانية أن كل ما يفعله ويدعه أو يحاوله الإنسان أو أي كائن آخر ليس إلا مقاومة للوجود.. لما وجد.. لوجوده هو أو لوجود آخر متعامل مع وجوده.. إلا مقاومة لذنوبه وغيوبه ونقائصه وآلامه ومجاعاته ومشاكله ولأخطائه ونشوياته وعاهاته وورطاته. أي وجوده!

إن كل ما يفعله الموجود لن يكون إلا إصلاحاً وتصحيحاً لعيوب وذنوب وأخطاء وجوده.. إن الكائن أي كائن لا يربح ولن يربح من وجوده أي ربح وكل ما يحسبه ويحسب ربحاً ليس إلا تخلفاً أو محاولة للتخلص من قبح وشورر وهوان وجوده الذي لم يصنعه أو يرضه أو يستشر فيه..! هل يربح من يوجد ليجوع فيأكل أو يحرّم، ويمرض فيعالج ويشفى أو لا يعالج أو لا يشفى، وليظلم فيرفع عنه الظلم أو لا يرفع، وليخاف فيؤمن أو لا يؤمن ولا يأمن؟ هل في ذلك أي ربح؟

.. ولعل أقسى وأشهر النماذج لذلك هو وجود الإله.. فوجود الإله كل إله وأي إله هو أضخم وجود بل هو كل وجود، فهل يربح الإله من وجوده أي ربح؟ إنه بكل التفسيرات والحسابات كل الخسران وأبشع الخسران له أي للإله بل ولكل شيء ولكل أحد أي وجود الإله. إنه لن يوجد أي شيء لولا وجود الإله كما يقول المؤمنون إذن لن يخسر أحد بوجوده لأنه لن يوجد..!

.. ولعل الربح الفريد للإله من وجوده الذي هو كل الخسران له ولكل شيء ولكل أحد.

- لعل هذا الربح الوحيد هو أن يجد أي الإله بعض الضعفاء الجهلاء الجبناء المنافقين المسمين مؤمنين وصالحين وأتقياء يهبونه ركوعهم وسجودهم وصلاتهم ودعاءهم ومدائحهم وكل ما في حناجرهم من صراخ وهتاف وكذب وبلادات رغبة ورهبة وملقاً وخداعاً ومتاجرة..

- أن يجد هؤلاء ليكوتوا أو ليحسبهم تعويضاً وتخفيفاً عما يقاسيه كل أوقاته وفي كل حالاته من كفر وزندقة ورفض ونبد ومطاردة وإهانة وإذلال وهزائم، هزائم في كل حروبه ومواجهاته ومخاصماته ومحاوراته..

ومن دمامات وقبائح وفضائح وتفاهات ومسيئات وعاهات تغرق فيها كل معانيه وتفسيره ورؤاه ووجوده وجماله المزعوم المزعوم.. وجماله الذي أراد وأحب وصمم وخلق وصاغ كل الدمامات والعاهات والتشوهات والحشرات والطفاة والمجانين والمجرمين والسفهاء. ما أقبح هذا التعويض وأرخصه!

.. إنه لا أحد يلقي مما يجمع ويذل ويهزم ويشتم ويحقر ويغيب ويسوء ويجلب كل الخسران مثلاً يلقي الإله..!

أسفي عليك ولك أيها الإله.. كل أسفي عليك ولك أيها الإله..!

.. لقد ظلّ البشر في كل أطوار وجودهم ولا يزالون وسوف يظلون هم وأمثالهم إن كان لهم

أمثال يرون ويجدون ويعلمون استمرار ولادة وتوليد الشيء وتخلقه وخلقه من الشيء الذي قد وجد.. ولكنهم لم يروا أو يجدوا ولن يروا أو يجدوا لا هم ولا غيرهم أي شيء يولد أو يتولد، يخلق أو يتخلق ليكون من لا شيء.. من الفراغ.. من العدم.. من عضلات أو مشيئة أي إله.. إن الكلمة ليست هي البدء ولا غيرها لأنه لا بدء، لا يوجد ولم يوجد بدء.. هل الكون.. الوجود كان معدوماً فوجد، فوجد من الفراغ.. من العدم.. من عبادات الآلهة وجلابيبها.. من أحزان وبكاء الآلهة أو من ضحكاتها ومسراتها..؟ هل الكون كان معدوماً؟ من قال هذا؟ إذن هل الإله كل إله لم يكن موجوداً في لحظة من الزمن ثم وجد من الفراغ.. من لا شيء، من العدم، من لا منطق لا معقول.. لا مقبول؟ أليس القانون الذي وجد به الكون وكل موجود ووجود هو القانون الذي وجد به الإله إن كان قد وجد؟

آه ولكن ما المنطق.. ما المعقول.. ما المقبول الذي نتحدث عنه؟ هل عرف ذلك أو هل يمكن أن يعرف؟

وما المعرفة؟ هل عرفت؟ هل يمكن أن تعرف؟

هل المعرفة معرفة أم هرب من المعرفة أم عجز عن المعرفة أم رفض للمعرفة؟ إننا قد نعلم بل إننا نعلم حتماً ولكن هل نعرف؟ إن المعرفة شيء غير العلم. ولعل من يعلمون لن يكونوا أفضل من يعرفون!

ما أقسى وأدوم حيرة وعذاب وشكوك من بصرون على أن يعرفوا وعلى أن يعرفوا ما عرفوه بالتلقين والتقليد والممارسة والمواجهة أو بالإرث والاستمرار أو بالكسل عن المسائلة والمحاورة والمحاسبة أو بالخوف من الاتهام والتفسير أو بالعجز عن ذلك لا بالمعرفة ولم يعرفوه بالمعرفة..!

أليست المعرفة بلا معرفة هي أقوى المعارف وأكثرها انتشاراً ورسوخاً؟

.. كذلك ما أقسى وأدوم حيرة وعذاب وتراجع من يصرون على ألا يعملوا أو يتعاملوا أو يمارسوا أو يصدقوا أو يقبلوا أو ينصروا أو يمدحوا إلا إذا عرفوا وبما عرفوا وكما عرفوا وكما تقول لهم معرفتهم..!

وهل وجد هؤلاء أو أحد منهم وهل يمكن أن يوجدوا أو يوجد أحد منهم؟

إننا لم نر أو نعرف أو نجد أن وجوداً وجد من لا وجود.. هل رأينا الإله أو رآه أحد أي أحد من ملاك أو نبي يوجد أو يحدث شيئاً من لا شيء؟ وكل ما رأيناه وعرفناه نحن المؤمنين أن الإله يصوغ ويولد ولكنه لا يوجد أو يلد، ولكنه لا يخلق.

.. إذن أليس المنطق يحتم علينا أن يجيء منطقنا وتفكيرنا ليقولا إن هذا الوجود أي هذا الكون وكل وجود وكون لم يوجد من فراغ.. لم يكن مفقوداً ثم وجد.. لم يخلقه أي خالق كما لا يمكن أن يزيله أو يعدمه أي يزيل أو يعدم من خارجه؟

إنه لا إيجاد أو وجود من لا وجود أي من فراغ..

.. إذن لن يمكن أن يتهم أي إله أو أي كائن بهذه الجريمة الصانعة لكل الجرائم أي جريمة إيجاد هذا الوجود أو أي وجود.. إذن فلتفرج وتسمد ونهنا بهذه البراءة التي لن يستطاع نقضها أو التراجع عنها أيها الإله الغريق أبداً بكل التهم والانتهاكات المحاصرة لكل وجودك ومبادئك وأخلاقتك وأفاقك ورؤاك وتفاسيرك وتاريخك الذي كتبته ونحتته وصاغته واستفرغته وقرأته وأفرأته كل حشرات وعامات وتشوهات ودمامات وبلادات وجهالات وآلام وآثام هذا الوجود.. أليست كل هذه الآفات والعيات والتشوهات والحشرات وكل الدمامات والموتقات إنما هي بعض استفرغات ذاتك وآلامك أيها الإله البائس الكيب.



إن ها هنا قصة لعلها أغرب قصة. قصة يصعب فهمها.. يصعب فهم أسباب الاقتناع بها. ما هذه القصة؟ هذا الكائن الذي لم يعرف مثله معقداً ومعقداً المسمى إنساناً.. منذ وجد أي منذ وجد في صيغة إنسان أو تخلق في صيغة إنسان.. منذ تخلق كذلك من وجود سابق متغلاً في صيغ وجودية لا يمكن تعددها أو تصورها كلها..

.. منذ وجد هذا الوجود.. متى وجد هذا الوجود أي في صيغة إنسان؟ إنه سؤال لن يجد جواباً.. إنه سؤال يفرق في ظلمات وأحقاب الزمان وفي مقابره وكهوفه..!

إنه لم يوجد في ذلك الزمان مؤرخ أو شاهد ليقول لنا متى كان ذلك..!

منذ وجد هذا الوجود لم يجد أو ير أو يعرف أو حتى ينتظر أو يتوقع وجود شيء بل أو إيجاد شيء من العدم بل كان كل ما رآه وعرفه ووجد وتوقعه وانتظره بل وفعله وحاول أن يفعله هو ولادة الشيء أو توليده، خلقه أو تخلق، كينونته أو تكوينه من وجود موجود.. من وجد قد وجد من وجود آخر يتسلسل وتعاقب لا بداية له وأيضاً لا نهاية له أي بمعنى العدم.. إن القول بالبداية كالقول بالنهاية كلاهما تحديد للرؤية التي هي غير محدودة..!

حتى الإله إنه لم يره أو يجده أو يعرفه أو ينتظره أو يتوقعه موجداً أي شيء من العدم. لهذا لا يطلب منه شيئاً من ذلك.. لا يطلب أو يرجو أو ينتظر منه مولوداً بلا والده أو زرعاً بلا أرض أو رياً بلا ماء أو مطراً بلا سحب أو سحاباً بلا سماء وأرض أو وجوداً إنسانياً لم يتطور أو يتحول أو يتولد أو يولد من وجود آخر سابق أو حتى وجود إله أو ألوهية دون أن تسبق أو يسبق بوجود كائن مثل الإنسان أو غيره، أي بدون وجود كائن إنسان أو غيره قد تطور إلى طور من يستطيع بل طور من يفرض عليه طور تكوينه وتكوينه أن يتصور أو يعتقد أو يجد أو يرى أو يتقبل وجود كائن أو إله مدبر ومخطط ومريد وعاشق وفاعل وصانع هذا الوجود وكل وجود.. إن وجود الإله أو تصوره ليس إلا طوراً من أطوار وجود الإنسان..!

إنه أي الإنسان في كل أطوار وجوده الإنساني لم ير أو يجد أو يعرف أو ينتظر أي كائن

غيره.. أي إله أو أي كائن آخر غير الإنسان يخلق أو يوجد أو يصوغ أو يؤلف أو يطور أي شيء أو أي وجود من الكون الموجود أو من أي شيء قد وجد.

- أي يفعل ذلك بتدبير وتخطيط ونظام وحساب..!

إن فاعل ذلك هو الإنسان وحده. هو طور الإنسان فقط..!

لقد رأى وعرف ووجد واقنع بالتجارب والرؤى الدائمة بل الأزلية الأبدية أن كل ما يحدث ويقع ويتخلق ويتولد ويتغير في هذا الوجود ومنه وفي كل وجود ومن كل وجود محكوم بالفوضى والآلية الذاتية العشوائية الدائمة أي حين يحاسبها أو لو حاسبها هو أو غيره بأي منطق أو حساب أو نظام أو أخلاق أو مصلحة أو منفعة أو رؤية أو إرادة أو مسؤولية يريدتها هو أو غيره ويعرفها ويقنع بها ويعمل لها ويتعامل ويتحاور ويتخاصم ويتعادى أو يتصالح ويتقارب ويتحاب ويتسالم بها ولها ومن أجلها.. إنه لم يز أو يجد غير عمليات بصق واستفراغ وإفراز وولادة بلا أي حساب أو تخطيط أو فهم..!

إنه لا يرى أو يجد أو يعرف أي شيء من ذلك فعل أو تخطيط أو إرادة أو منطق أو أخلاق أو جمال أو فن أو حكمة أو رحمة أو عبقرية أو شاعرية أي إله أو أي حكيم أو عاقل أو مسؤول. إنه لم يز أو يجد أو يعرف وإنه لن يرى أو يجد أو يعرف إلا ما هو خروج على كل ذلك..!

ولهذا فإن كل نضاله أي نضال الإنسان المادي والمعنوي موجه ضد هذا الوجود وضد ما يقع فيه ويقع منه ليجعله شيئاً ملائماً وناقعاً ومعقولاً مقبولاً صحيحاً سوياً يستطاع التعامل به ومعته وتستطاع معاشته ومساكنته والحياة فيه وبدء. أليس كل نضال الإنسان نضالاً ضد الوجود بالصيغ التي جاء بها؟

.. هل يمكن أن يراه أو يجده أو يعتقد فعل وإرادة ومنطق وأخلاق وتصميم وعشق أعظم إله ثم يفعل به ما فعل وما يفعل؟

لو كان يراه أي يرى الوجود أي وجود وإرادة وتدبير وصنع وإخراج وعطاء أعظم إله لما جاز أن يفعل أو يغير أو يحدث أي شيء فيه بل ولا أن يريد ذلك أو يتمناه أي الإنسان، بل لوجب أن يعبد ويدسه أي هذا الوجود وكل ما يقع منه وفيه..!

أليس تغير أو تصحيح أي شيء في هذا الكون خروجاً على فاعله؟

.. أليس بعض المعاني لهذا أنه أي الإنسان لا يؤمن بأن أي شيء أي وجود يمكن أن يوجد، أن يخلق أو يتخلق من العدم، من لا شيء موجود.. لا يؤمن بأن أية قوة كبرى أو صغرى قد فعلت ذلك أو أنها قد تستطيع فعله فتفعله؟

وأيضاً أليس من معاني ذلك أن الإنسان لا يؤمن بأن ما يقع ويحدث في الكون والوجود الموجود من أطوار وتطورات وتطويع وتغيير وتغيير وصيغ وتوالد وتوليد وتفاعل وكينونات جديدة متجددة - لا يؤمن بأن شيئاً من ذلك يحدث بتدبير وتخطيط وإرادة وفعل وقوة عظمى أو صغرى من خارج الكون أو من داخله؟

إنه لا يوجد في الكون الذي نعرفه غير الإنسان من يفعل بإرادة وتدبير وحساب ولكنها إرادة وتدبير وحسابات جاء محكوماً عليه بها بالأسلوب والمنطق اللذين حكما عليه بوجوده.!

.. أجل، إنه لا يؤمن هذا الإيمان وإن كان لم يظن ولا يظن ولن يظن إلى ذلك لأنه لا يرى أو يقرأ أو يفسر أو يحاسب أو يحاور أو يسأل نفسه فكيف يحاكمها إذن كيف يعرفها؟

ولأننا يؤمن وإن لم ينطق بذلك بأن جميع ما يحدث في هذا الوجود وفي كل وجود ليس إلا خبطات وخطوات وضربات وتفجرات وتفاعلات ذاتية آلية اضطرابية عشوائية لا منطق ولا تدبير ولا إرادة ولا خيار ولا حساب فيها أو لها من داخلها أو من خارجها. إنه لم يوجد في كل أطوار وجوده ما يجعله يصدق أنه وجد أو قد يوجد من يقول للشيء كن فيكون. إنها مقولة يسخر منها كل شيء...!

.. وهنا يأتي السؤال الكبير الصعب جداً ليقول:

إذن كيف جاء الأنبياء والمعلمون والدعاة والكهان وجميع المزرورين والمخادعين والمتهمين في كل أخلاقتهم ومعانيهم ومواهبهم وفي علاقاتهم مع أنفسهم ومع تعاليمهم ودعواتهم ودعائهم ومع آلهتهم وأتبيائهم ومع كل شيء.

- نعم، إذن كيف جاء هؤلاء بكل الظهور والضحيج والإعلانية والكبرياء ليعلموا الإنسان بل ليفرضوا عليه الإيمان الصارخ المعادي المقاتل الذي الوقع المغرور المرهب المستبد الطاغوي المطارد الطارد لكل القيم الإنسانية.. العقلية والأخلاقية والعلمية والإنسانية والنفسية وهكذا الإيمان أبداً ليعلموه ويفرضوا عليه الإيمان بأن كل هذا الوجود وكل وجود إنما خلق من العدم.. من الفراغ المطلق.. إنما خلق وجاء بكلمة واحدة.. بكلمة «كن، كن، كن وجوداً موجوداً، كن هذا الوجود وكل وجود آخر.. كن سامعاً وقاهماً ومستجيباً مطيعاً فاعلاً منفِعاً قبل أن توجد وقبل أن تكون لك أذان تسمع بها أو عقل تفهم به أو ذات تستجيب بها أو وجود تخاطب به.

.. ليعلموه ويفرضوا عليه، على الإنسان الإيمان بأن كلمة «كن، كن» قد وجهت إلى الكون وخوَّطب بها فسمعها ففهمها فاستجاب لها قبل أن يوجد..؟! فظيع هذا.. أيخاطب غير الموجود ليؤمر فيسمع ويستجيب؟ من قال هذا؟ أوجد من قاله؟

.. أليس الخلق من العدم.. من الفراغ يعني حتماً أن شيئاً غير موجود قد خوَّطب، قد قيل له كن فسمع وفهم واستجاب - يعني حتماً أن كائناً عاقلاً وليس مصايماً بكل الجنون قد صرخ قائلاً يا غير موجود، يا من لا يسمع ولا يفهم لأنه غير موجود تعال، تعال وكن في هذه الصيغة دون كل الصيغ الأخرى فسمع وفهم واستجاب ثم أصبح بعد وجوده لا يسمع ولا يفهم ولا يستجيب أي هذا الكون الذي لا يسمع ولا يفهم ولا يستجيب.. الذي هو بلا حواس ولا أحاسيس يعامل بها ويتعامل بها.. كائن خوَّطب وطلب منه الحضور قبل أن يوجد فسمع وفهم واستجاب وبعد أن وجد أصبح لا يسمع ولا يفهم ولا يستجيب..!

.. كيف أمكن أن يجهل أي جاهل أن إيجاد المعدوم يعني حتماً التوجه إلى العدم لمخاطبته

ومطالبته ليسمع ويفهم ويطيع ويستجيب؟ كيف أمكن أن يقبل أو يعقل بل أو يتصور ذلك أحد؟ هل يوجد متهم بأقْسَى وأفجع التهم مثل من قال ذلك أو قبله أو فهمه وعقله أو قال إنه فعله ويفعله فكيف إذا مدح نفسه بذلك بقوله ويفعله له؟ كائن يصنع ويوجد كل شيء بكلمة «كن» إذن كيف أمكن ورضي أن يوجد أو يبقى في هذا الكون أي شيء رديء أو أليم؟

.. هل وجد هذا الكائن أي القائل الفاعل لذلك؟ انكروا وجوده، اخفوه، استروا عليه، على بشاعة فضائحه وبلاياه ومخازيه..!

نعم، القول والاعتقاد بالإيجاد من العدم، من الفراغ ماذا يعني؟ هل يستطيع التعبير عن قبح ما يعني ذلك؟ هل استطاع أو يمكن أن يستطيع كل عباقرة البشر أن يوجدوا أي شيء من العدم؟ أليس هذا المعجز يعني أنه ليس في الإمكان حدوث ذلك أو فعله؟

ثم كيف جاؤوا أي هؤلاء المعلمون الخبثاء أو الجهلاء أو الخبثاء الجهلاء بل الذين أصبحوا معلمين ومشرعين وقادة للجهل والخبث والضلal - كيف جاؤوا إلى الإنسان ليعلموه أن يؤمن بل ليفرضوا عليه أن يؤمن بأن كل ما يحدث في هذا الوجود بعد أن أوجد وكل ما يحدث منه - كل أخطائه وخطاياهم وتصادماته وتناقضاته وتشوهات وعماهاته ودماياته وسفاهاته وبلاداته وظلاماته وظلماته وعوراته وخبثاته وعشوائياته وأثائه وأهاته وكل آلامه وأمراضه وهوانه وعاره ومجاعاته وزلازله وبراكينه وأعاصيره وطوفانه وكل ما يجمع ويفضح ويرهب ويعجز ويحزن ويقتل ويحير ويصدم ويهزم ويهين كل العقول والرؤى والتفاسير والحسابات والأخلاق والعواطف الإنسانية الحية المؤمنة المحاسبة - ليؤمن بأن كل ذلك وكل الآفات والشرور والتفالس والحماقات الأخرى ليست عمل الكون أو الوجود، ليست تفاعلاته أو عملياته أو تجاذباته أو تصادماته أو تناقضاته أو تولداته أو تراكماته أو منافساته أو مصارعاته أو تنفساته أو استفراغات أو بصقاته أو مناطحاته أو ملاكماته أو مبارزاته أو تحركاته الآلية الذاتية الاضطرارية التي لم يرد لها أو يخططها أو يفهمها أو يحسبها أو يحاسبها أو يرضها أو يفعلها أي منطلق أو تفكير أو حساب أو خلق أو فطرة مطلقة أو محدودة داخلية أو خارجية. شيطانية أو ملائكية مع أن كل العقول الذكية والغيبية، وكل العيون الرائية والعمياء، وكل الأخلاق الحماسية والمسترخية المتبلدة، وكل الحسابات والمحاسبات العبادة العلمية والكاذبة الجاهلة، وكل القراءات الأمية والمنهجية لم تجد أو تر ولن تجد أو ترى في هذا الوجود أية علامة أو إشارة أو خدعة تتقنها أو تخدعها أو تجعلها تقاسي شيئاً من الشك تدل ولو بكل الضعف والاهتزاز والارتباب على أن أي شيء في هذا الوجود قد كان أو يكون، حدث أو يحدث بما يمكن أن يكون أو يمسى ولو بأضعف الاحتمالات تديراً أو تخطيطاً أو إرادة أو حساباً أو محاسبة أو عقلاً أو جمالاً أو فناً أو التزاماً بالمصلحة أو المنفعة أو العدل أو الرحمة أو الحكمة، أو بحثاً عن ذلك، بل مع أن كل ذلك تقيض وتحدي لكل ذلك بكل القسوة والصراخ والوقاحة، مع أن كل كائن وأي كائن لم يز أو يجد ذلك ولن يراه أو يجده مهما أراد وحاول أن يكون مخدوعاً بل كل المخدوع لكي يستطيع أن يراه أو يجده بل لم يز أو يجد إلا المناقض لكل ذلك كل المناقضة وأفساها، بل جاؤوا أي هؤلاء المعلمون ليجعلوه

أي الإنسان يؤمن بكل الجهر والإعلانية والرضا والإعجاب والفرح والتعبد والتقديس بأن كل ما يحدث في هذا الكون وفي كل كون وكل ما يحدث منه إنما يحدث بأمر وتدبير وتخطيط وإرادة وسعادة وفنون وعناية وإتقان وترتيب وتنظيم وتوقيت وتوزيع أعظم وأقوى وأذكى وأتقى وأرحم وأحكم وأعدل إله.. ليجعلوه يؤمن بأن كل ذلك وكل شيء إنما حدث ويحدث بكلمة: كن، كن بل ليفرضوا عليه ذلك..

.. إن جميع الشرور والآلام والآثام والأخطاء والقبح والآفات والنقائص التي تتخلق وتتوالد وتتفاعل وتتفجر في هذا الكون وفي كل كون ذاتياً آلياً اضطرارياً وكذلك ما هو وما يحسب ويرى نقيضاً لذلك، أي لهذه الشرور.

- إن جميع ذلك كما يقول هؤلاء المعلمون أي المجهلون أي المعلمون للمجهل - وهل يعلم هؤلاء غير الجهل أو هل يعلم الجهل غير هؤلاء المعلمين؟ أليس معلومنا ومعلمو كل الشعوب أو أكثر الشعوب أي معلومنا ومعلموهم السماويون أو الروحانيون أو الدينيون أو التاريخيون أو القوميون هم أخطر وأجهل المعلمين؟

- نعم، إن جميع ذلك كما يقول هؤلاء المعلمون إنما يحدث بالأمر له، بكلمة «كن» يسمعها ويفهمها فيكون مستجيباً مطيعاً لها..

إن كل شيء يحدث هكذا: أيها التشوه، أيها المعاهة، أيها القبح، أيها النقص، أيها الخطأ التكويني كن في هذا الوجه دون ذلك الوجه الآخر، في هذا الوقت دون الأوقات الأخرى... أيها السل، أيها السرطان، أيها الشلل، أيها العجز والضعف، أيها الأمراض الأخرى، كل الأمراض الأخرى كوني في هذه الأجسام دون الأخرى، كوني بهذا الشكل، بهذه القسوة والقوة والانساع والرسوخ والديمومة والاستعصاء على كل علاج أو كوني أخف وأهون من ذلك أو بغير ذلك..

أيها الزلازل، أيها البراكين والأعاصير والقحط والمجاعات والأخطار يا كل الفواجع والآلام والأحوال والكوارث كوني هنا أو هناك أو هنالك، في هذا الزمان والمكان أو في زمان ومكان آخرين، بهذه الصيغة والعنف أو بصيغة وعنف أكثر وأطول أو أقل وأقصر فنسمع قبل أن توجد وتفهم وتقبل وتطيع..!

وكذلك كل المناقضات والأضداد لهذه القوارع والفواجع إنما تكون وتحدث بالأمر لها بأن تكون بكلمة: «كوني، كوني» ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

إن الخالق والصانع والمغير لكل شيء كلمة واحدة هي: كن، كن..!

أجل، لقد جاء هؤلاء المعلمون ليعلموا البشر بل والآلهة الإيمان بل ليفرضوا على البشر وأيضاً على الآلهة الإيمان بأن كل الوجود إنما أوجده من العدم موجد من خارجه، وبأن كل ما يحدث في الوجود الذي أوجد من لا شيء وكل ما يحدث منه إنما يفعله فاعل خارجي يفعله بكل التدبير والحكمة والرحمة والانتقان والعبقرية والإعجاز والإبداع.. إن كل شيء إنما جاء وبجيء من خارجه وجوداً ونقيضاً وتطوراً. كيف أمكن فهم ذلك أو حتى تصوره؟ أين ذهبت العقول؟

.. لقد جاء هؤلاء المعلمون لإفساد وإخماد وتضليل الرؤى والمواهب والطاقات الإنسانية، جاؤوا ليعلموا أن كل موجوداً إنما أوجده موجد من العدم، وأن كل ما يحدث ويقع من هذا الموجود الذي أوجد من العدم أو يحدث ويقع فيه إنما يحدثه ويقعه كائن خارجي لتكون النتيجة المنطقية المحتملة وجود كائن مطلق، مطلق في كل كينوناته وتفسيره وقدراته، ليتحول هذا الكائن إلى إله ضخم مخيف مستبد عدواني أناني شرير عابد لذاته بلا حدود أو مقاييس، لا تشبهه كل عبادات ومذاهب وتقديس وذل وتذلل ونفاق كل العابدين المادحين المقدسين الذالين المتذللين المتنافسين.. لا يخضع أو يعرف أو يحترم أو يلتزم أي منطق أو أخلاق أو آداب أو قانون أو دين أو تشريع أو تقاليد أو أي معنى جيد أو مفروض أو مطلوب أو متظر أو مرجو منه ومن كل أحد ومن كل شيء..

.. يخرج ويطلق ويوزع يديه وعضلاته وكل أسلحته وجنوده وأبالسته في كل الآفاق والاتجاهات.. في كل السموات والأراضي والبيوت والميادين والكهوف والحقول والصحارى بل وفي كل المعابد والمضاجع والأماكن الأدق والأكثر حياء وإحساساً وتخفياً، بل وفي الأعضاء التي يخجل وبراع ويتوارى من الحديث عنها من زرعت فيهم فكيف بمن أرادها وخططها وفعلها وزرعها؟

يفعل كل ذلك بلا أي قدر من الاستحياء أو من الشعور بالذنب أو بضخامة الوقاحة والبذاءة والسفاهة والعدوانية.. نعم، يفعل ذلك بلا أي رؤية أو محاسبة أو تقدير أو نظام أو قانون أو تساؤل أو مساءلة ليقتل ويجرح ويقطع ويشوه ويعذب ويخيف ويفقر ويبيع ويذل ويقعد ويضعف ويشيخ ويطرده ويطارده ويهزم ويفسد ويهدم ويخرب.

.. ليفعل كل ذلك وكل شيء بلا أية قوة معاقبة أو محاكمة أو مانعة أو حتى لائمة معاقبة زاجرة أو حتى ناصحة واعظة..!

الفاعل لهذا الوجود ولكل أخطائه وخطاياهم يفعل كل ذلك حراً، حراً، فطيع، فطيع..!

.. أجل، لقد جاءت نتيجة تعاليم وتعليم هؤلاء المعلمين الإيمان أو الظهور والتظاهر بالإيمان بهذا الكائن أو الإله الذي هذه الأوصاف هي بعض أوصافه أو شيء من أوصافه. لقد حولوا هذا الكائن، هذا الإله وحولوا الإيمان به إلى أقسى وأشمل وأدوم إرهاب لكل معاني الإنسان وأخلاقه وسلوكه وتطلعاته ولكل نشاطه النفسي..!

لكل طاقاته ورؤاه العقلية والأخلاقية والإنسانية والحضارية..!

.. لقد أفسدوا وأذلوا وشوهوا كل رؤاه وتفكيره وإيمانه وعقائده وأخلاقه ومعاملاته وعلاقاته بعضه مع بعض ومع نفسه ومع كل شيء كما فعلوا ذلك بجواربه. لقد أفسدوا تدبته وتقواه..!

.. لقد جعلوه يرى نقيض ما يرى ويفهم ويعقل ويقبل ويصدق ويمدح ويمجد ويعبد ما لا يستحق شيئاً من ذلك، بل ما يجب أن يفعل به وله أقسى النقيض لذلك.. لقد جعلوه يهجو بأسلوب ونيات المديح والتمجيد.. لقد جعلوه يوقع بنفسه ما لم يكن محتملاً أن يوقع بها لولا هم..!

لهذا لن يحسب ظالماً أو مخطئاً من فسر هؤلاء المعلمين بأنهم أقسى وأشهر أو من أقسى

وأشهر أعداء الإنسان أي الفاعلين فعل الأعداء وإن لم يكونوا أو يحسبوا أو يعلنوا أعداء.. أي الأنبياء وكل من جاؤوا ليكونوا معلمين لتعاليم الأنبياء ومفسرين لهم...

وإن لم يريدوا أن يكونوا أعداء أو يعرفوا أنهم أخطر الأعداء. إن العدو الذي لا يحسب عدواً هو أخطر الأعداء..!

أليس الذين يجيشون ليقسدا ويخمدوا ويضللوا ويضعفوا ويهربوا ويذلوا كل أنواع الإرهاب والإذلال عقولنا ورؤانا وتصوراتنا وعواطفنا وأخلاقتنا وعلاقاتنا بعضنا ببعض ويحرقونا ويفرقونا ويشحنونا بالمعادوات والخصومات والبغضاء والبلادات والجهالات والخرافات بل بالموت.. بالحروب، الحروب بالحروب الساخنة والباردة.. الواقعة والمتوقعة المهددة.

- أجل، أليس هؤلاء هم أخطر وأشمع وأدوم وأوقع الأعداء حتى ولو جاؤوا في أزياء أنبياء وخلفاء وأئمة ومعلمين ومنقذين وقادة وزعماء وسلاطين ومحربين وأبطال؟

بل هل وجد أو يمكن أن يوجد من فعل ويفعل وسوف يظل يفعل بنا كل ذلك غير هؤلاء المنقذين الأبطال؟ ماذا لو لم يأت إلينا هؤلاء الأبطال المنقذون؟ ألسنا حينئذ أفضل حظوظاً وأسعد وجوداً؟

.. كيف استطاع هؤلاء المعلمون أن يخدعوا الإنسان هذه الخديعة الفظيعة الرهيبة بكل هذه الديمومة والشمول وقد كان المفروض ألا يستطيعوا خداع أحد بها لأن كل شيء يصرخ في وجهها يقول لها أنت كاذبة، كاذبة وكذلك في وجوه مبتكريها ومرؤجيتها وفي وجوه المتعاملين والمصدقين لها وبها..!

إن كل شيء يصرخ في وجه وأذني كل شيء قائلاً: إنه الخداع، الخداع..!

لقد ساكن وعاش وعامل وجرب الإنسان هذا الوجود وقرأه وفسره وتعذب به أحقاباً، أحقاباً واضطلى وشقى بكوارثه وقضائيه وبكل أعطائه أي هذا الوجود وخطابه بكل معانيه أي الإنسان بوجوده وجسده وعقله وقلبه وأخلاقه وعواطفه وآماله ورؤاه وبكل شيء فيه حتى إيمانه وتدينه لقد فجعنا وروعنا وتعذبنا بما رأينا وفهمنا وواجهنا من هذا الوجود وقبه. لقد كان كل المحتمل والمعقول والمقبول ألا يفجع بهذا الوجود ويفاعله إن وجد مثل الإيمان والتدين مثل المؤمن بمخطط ومرهد وخالف هذا الوجود أي لو وجد..

.. لقد أصبح عاجزاً كل العجز عن أن يفهم أو يفسر أو يقبل أو يتحمل ما يرى ويواجه ويعد ويعاني في هذا الكون ومنه. إنه لا يستطيع أن يفسر ذلك ولا شيئاً منه تفسيراً منطقياً أو أخلاقياً أو دينياً أو فداًياً أو نفعياً أو أي تفسير..!

لقد صار محاصراً ومحكوماً عليه بأقصى تفاسير وحالات الاحتياج إلى الإنقاذ.. إنقاذ وجوده وحياته وعقله وأخلاقه وضميره ومشاعره وتفكيره ورؤاه وكل تطلعاته واتجاهاته.. إلى إنقاذ كل ذلك فيه مما يرى ويواجه ويعد ويقاسي ويفجع ويصدم ويفضح أبداً، أبداً بلا أي تغير أو تخفيف أو

توقف.. بلا أي مدافع أو حامٍ أو مدافع أو زاجر أو حتى منكر أو صانع لأي أمل في الإنقاذ أو التغيير أو التخفيف من كوارث وضربات وحماقات وجهالات وبلادات وعشوائيات هذا الكون الذي يواجهه ويشقى به كل معاني وصيغ الشقاء بكل وجوده المادي والمعنوي وحده بلا مماثل له في هذا الشقاء وهذه المواجهة..

.. ومن هذه الظروف وتحت هذه الظروف تخلق وتسلب هؤلاء المعلمون ليعالجوا الآلهة وأهواله بتضليل وإفساد عقله وتفكيره وضميره ورؤاه وأخلاقه وكل معانيه بل وبتهذيب وتحطيم قدراته المادية والمعنوية.. ليعوقوا ويضللوا كل تحقيقاته وتحقيقاته. ليعطلوا أجنحة الجسدية والمعنوية.. ليضيفوا إلى كوارثه الكونية والتكوينية الذاتية الإنسانية كوارثه التعليمية التلقينية الإملائية التضليلية ليكون أي الإنسان ملتقى وهدفاً لكل الكوارث والمذاب والتعذيب والترجيع والتفجيع. وقد كان هذا الملتقى وهذا الهدف بلا منافس مشارك مهما ظن أو اعتقد أو قال غير ذلك بل نقيض ذلك تحت كل أجهزة التضليل والإغراء والخداع ومهما قيل له غير ونقيض ذلك..!

إنه لا مرجوم بكل أسلحة ومعاني الرجم مثل الإنسان أو غير الإنسان، أن الطور الإنساني هو الطور المتجمعة فيه كل أجهزة التعذيب والتهديد..!

.. إنه لو كان في هذا الوجود أو له آلهة لكان واجباً أو محتوماً أو مقبولاً أو معقولاً أو على أقل التفسير محتلاً أن يقال إن جميع هذه الآلهة قد تجمعت وتآمرت وتعاونت بكل الوقاحة والتذالة والسفاعة وشراسة العدوانية لكي تستطيع أن توقع بالإنسان شيئاً مما يقاسي ويواجه ويعايش ويكون لا كل ذلك لأن كل ذلك لن يستطيع، لن يستطيع..!

إن عذاب الإنسان بكل معانيه لا يستطيع كل الآلهة أن تخططه وتفعله مهما تآمرت!

.. إن من أقسى وأفظع ما أوقع بالإنسان أن جعل يرى ويعتقد ويعلم أن وجوده وحياته هما أسعد وأفضل وأذكى وأتقى وأنبى وجود وحياتة مع أنهما كل النقيض لكل ذلك. إنه لا يعرف وجود وحياتة يتنافس وجود وحياتة الإنسان في ما فيهما من قبح وشقاء وبلادة وفجور وخروج على كل المعاني الجميلة الحميدة..!

.. إن مزاياه وخصائصه المتفوقة لن تتكافأ أو تتساوى مع رذائله ونقائصه وعيوبه وذنوبه فكيف بفواجعه وآلامه؟ فعبقرياته وإبداعاته وتحقيقاته وأفراحه وانتصاراته وسعاداته وذكاؤه واكتشافاته وصدقاته ومحباته ومصافحاته ومعانقاته ومحالفاته وسلامه وتسليماته وامتداحاته ومؤتمراته وقراباته وكل أساليب وآفاق وفتون حياته.

- نعم، إن كل ذلك وغيره من مزايا الإنسان الكثيرة العظيمة لن تستطيع أن تتكافأ أو تتساوى مع نقائص وأضداد ذلك الشاملة الفاجعة الرهيبة المحتومة الواقعة المقاساة دائماً أو المنتظرة دائماً المحتوم وقوعها..!

إنه معاش أبداً لأقصى المآسي أو متوقع لها..!

هل يستطيع أي شيء فيه سعيد أو لذيذ أو حميد أو جميل أو عظيم أو عزيز أن يتكافأ أو

يتساوى مع نقيضه الذي لا بد أن يقاسيه أو أنه يقاسيه.. مع ما لا بد أن يقاسي أو أنه يقاسي من النقيض الحزين أو الأليم أو الدميم أو الحقيق أو الدليل أو من كل ذلك في وقت واحد ودائماً؟

إنه لا يستطيع أن يعيش ولا لحظة واحدة خارج الواقع أو المتوقع الرهيب..!

.. حتى إيمانه وتقواه هل يستطيعان أن يتكافأ أو يتساويا مع كفره وفسوقه؟ وهل يستطيع تذكره للإله وشوقه إليه أن يتكافأ أو يتساويا مع تذكره لقبائحه وفضائحه وشوقه إليها؟

حتى طهارته ونظامه ووضوؤه وغسله وتنظيف أسنانه بالمسواك وبالمنظفات الجديدة الحضارية الأخرى هل تستطيع أن تتكافأ أو تتساوى مع قاذوراته وتلوثاته النفسية أو العقلية أو الأخلاقية أو العاطفية أو الدينية أو حتى مع تلوثاته وقاذوراته المادية والجسدية والبيئية والأرضية والكونية والموتية والقبورية؟

هل يستطيع ضخامة كل ما بنى أن تتكافأ مع مهانة وقبح أسوار وأحجار مقابرهم؟

.. هل يستطيع أي شيء وكل شيء مسعد ومرح ومفرح ومسجد ومعز له أن يتكافأ أو يتساوى مع صدماته وفواجعه وفضائحه وهزائمه ومهانته ومذلته وأحزانه ومخاوفه وتوقعاته الرهيبة الكئيبة العقلية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والقومية والإنسانية بل والدينية والغيبية والتخيلية؟ هل تستطيع صلاته الراكعة الساجدة لإلهه أن تتكافأ أو تتساوى مع ركوعه وسجوده وصلواته الدائمة الخائفة لشهوات وأوثان وجوده وحياته وأوامر وأخلاق وطمعاني مجتمعاته وطمعاته؟

كيف أمكن أن يتخيل جحيم الأنبياء بكل أهواله ليكون عقاباً له ليخلد فيه أبد الآباد؟ هل التخيل إلا أحد تفاسير التخيل الأليم أو السعيدة؟

الإنسان يتخيل الجحيم ليخلد في عذابه. فظيع، فظيع جداً..

.. أليس في هذا أقوى الدليل وكل التدليل على ضخامة ما يختزن ويقاسي في نفسه وفكره وحياته ووجوده وتوقعاته وتصورات وتجاربه ورؤاه وهمومه من أهوال العذاب ومن الرغبة في صنع وإيقاع العذاب والتعذيب بالآخرين لأنه يقاسي ذلك؟ ما أظن قبح ووحشية العذاب الذي تقاسيه وتتمناه للآخرين ويسعدنا أن يقاسيه الآخرون تلك النفس التي استطاعت أن تتصور الجحيم المعروفة أوصافه ليكون سكناً للبشر ولو لبعضهم.. إن النفس التي تخيلت الجحيم عقاباً لأي كائن لن تكون إلا شراً من كل جحيم..!

أليس تصور هذا الجحيم النبوي المحمدي وتشريع عقاباً وتقبله عقاباً يعني أحد تفسيرين وقد يعني التفسيرين معاً..!

أحد التفسيرين أن المتصور لهذا الجحيم المشرع له عقاباً والقابل ليكون كذلك يقاسي في نفسه وحياته عذاباً تعجز كل تصورات وتخيلات من لا يقاسونه بكل القسوة والفظاظة عن تصوره وتخيله بل عن تصور وتخيل شيء منه..؟

من أوقع بنفس النبي محمد كل هذا العذاب الذي صور له هذا الجحيم؟

.. وثاني التفسيرين أن المتصور المشرع القابل لهذا الجحيم النبوي المحمدي عقاباً والراضي به والمعلن له كذلك أي عقاباً يملك من القسوة والوحشية ومن الحقد والبغضاء ومن الشهوة لإيقاع كل العذاب وأقسى العذاب المستطاع بل وغير المستطاع - يملك من ذلك ما لا تستطيع كل الوحوش وكل القساة والحاقدين والمبغضين والمتوحشين أن يملكوا أو أن يستطيعوا أن يملكوا أي شيء أو أي قدر من ذلك. ما أقسى تفاسير هذا الجحيم لنفسية النبي محمد!

نفس تخلق فيها هذا الجحيم تصوراً وتنبأ واستفرغته تعليماً ووعيداً وتهديداً..! هل وجدت هذه النفس؟ هل وجدت؟

هل وجدت مؤامرة كونية لفضح هذا النبي العربي هي التي جعلته يتصور هذا الجحيم؟ كيف أمكن أن يتصور أو يقبل أو يعلن أي كائن مهما كانت وحشيته وجماداته وبلاداته وجهالاته أن الإله أو أي كائن قد يعاقب ويعذب بهذا الجحيم الذي شرح وأعلن وعلم أوصافه النبي العربي، بل أو قد يصنعه أو يتصوره أو يتحدث عنه؟ يا كل العالم تعال، تعال لتقرأ وتفسر النفس العرية التي ولدت وتخلقت فيها نفس هذا النبي العربي..!

والذين آمنوا بهذا الجحيم العربي عقاباً لأي إنسان أو لأي كائن ليخلد فيه أو لير عليه مروراً أو ليراه رؤية واحدة هل يحتمل ألا يكونوا قد فقدوا كل عقولهم وأخلاقهم ورؤاهم وعواطفهم وكل معانيهم الجيدة؟ بل هل يمكن ألا يكون قد خلقوا بدون أي قدر من هذه الأوصاف والمعاني التي يوجد الحديث عنها والتعبد والتعليم لها دائماً ولكن ما أقل أن توجد.. إن الكلام لم يكن في أي يوم دليلاً على الواقع إذا لم يدل عليه شيء آخر..!

وسحب أو قتل أو إفساد هذه المعاني من الإنسان وفي الإنسان هو أحد وظائف وأهداف هؤلاء المعلمين.

إن المعلم لا يعلم ليهدي أو ينقذ ولكن لينتصر أو ينتشر أو يربح أو ليستفرغ نفسه.. ولكن الأخطر والأفجع أن هؤلاء المؤمنين بهذا الجحيم وبكل ما قاله لهم معلمهم لا تسحب أو تقتل أو تضلل أو تفسد فيهم معانيهم هذه أي عقولهم وأخلاقهم ورؤاهم وعواطفهم ومشاعرهم وإيمانهم وتقواهم وكل معانيهم الجيدة المعلمة المطلوبة المقررة المفسرة.. إن هذا الشيء سهل ويسير ويمكن تحمله وتقبله محاسباً بالتفسير الآخر الذي قد يكون هو التفسير الأليم الفاجع المحتوم الذي يقول أو الذي لا بد أن يقول إن هؤلاء لا يفقدون معانيهم ومزاياهم ولا تقتل أو تفسد أو تضلل فيهم هذه المعاني والمزايا ولكنها تقوي وتعلم وتحرض لكي تقاوم وتطارد وتقاتل وتهزم وظائفها المزعومة المعلمة المعلنة المقررة المفسرة.. لتكون النقيض الشامل الشرس الواقع نفسها.. إنهم لا يصبحون بلا مزايا فقط بل يصبحون أعداء ومقاومين مناضين محاربين لكل المزايا فيهم وفي الآخرين..!

إن المطلوب منهم ليس أن يصبحوا عاجزين عن الرؤية وعن الفهم وعن الصدق وعن المساءلة والمحاوراة والمحاسبة والبسالة العقلية والنفسية والاعتقادية والإنسانية والأخلاقية بل المطلوب منهم حينئذ أن يكونوا أعداء وخصوماً ومقاومين مقاتلين مطاردين لذلك أي لهذه المزايا سواء أكانت أي

هذه المزايا فيهم أو في الآخرين.. في الملائكة أو في الأبالسة، في الأعداء أو في الأصدقاء..!
وما أكثر ما تحقق هذا المطلوب. إن المعلمين الذين علموا ذلك وأرادوا تحقيقه وتحقيقه
لمنتصرون، لهم أعظم المنتصرين..!

إن جميع الانتصارات لشيء من انتصاراتهم وأحد التفاسير لانتصاراتهم.. إنه لم ينتصر على
الإنسان بلا أية مقاومة مثلما انتصر عليه معلموه هؤلاء..!

نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد منتصرون مثل المعلمين الذين جاؤوا ليفسدوا ويخدروا
ويضلوا ويسرقوا ويقتلوا ويخمدوا ويعوقوا ويضطروا ويصيبوا بالبلادة والجهالة والسفاهة والهوان والعقم
والجبن والعجز عقل الإنسان ورواه وإيمانه وعقائده وكل تصوراته وأخلاقه وعلاقاته مع نفسه ومع
الحياة والكون ومع كل شيء وكل أحد حتى مع من آمن به إلهاً أو آلهة؟ نعم، هل وجد منتصرون بلا
أية مزية أو سبب من مزاي أو من أسباب الانتصار مثل هؤلاء المعلمين الجاهلين؟

.. والذين أعلنوا وعلموا وأقنعوا وكذلك الذين قبلوا وصدقوا وآمنوا أن الإله هو الذي أراد
وصمم وخطط وصاغ وخلق هذا الجحيم ليكون عقاباً وعذاباً وسكناً خالداً للإنسان الذي هو مريده
ومريد له والذي هو مخطئه وخالفه وصائفه ليحيى ويكون ويفعل كما جاء وكان وفعل، كما شاء
وخطط رافضاً بإرادته ومشيبته وحساباته وقراراته وتدابيراته وبحكمته وشهامته ونخوته وتفعله وبكل
قوته وأجهزته أن يكون شيئاً آخر، شيئاً أفضل.. أن يكون عابداً مطيعاً مرضياً له، رافضاً مقاوماً أن
يكون أقوى المؤمنين الأتقياء إيماناً وتقوى ليكون ناجياً من أهوال هذا الجحيم النبوي العربي بل متأزراً
بكل الخبث والذم والخداع مستعملاً كل الأساليب والوسائل والحيل والمكائد والمصائد ليمنعه
وبصده ويغريه عن أن يكون كذلك عن أن يكون مطيعاً عابداً له مستحقاً لثوابه ورضاه لا لغضبه
وعقابه وانتقامه ولأهوال جحيمه هذا الذي لم يشتم أحد بشيء مثلما شتم به النبي العربي نفسه.

- نعم، هؤلاء الذين عرضوا الإله هذا العرض وفسروه هذا التفسير، وكذلك الذين آمنوا به
معروضاً ومفسراً هذا العرض وهذا التفسير كيف كانوا يرون هذا الإله ويفهمونه ويفسرونه ويتصورونه؟
كيف استطاعوا أن يجدوا أو يتصوروا نموذجاً لأي كائن كهذا النموذج القطيع البائس الكتيب الذي
ابتكروه أو الذي استفرغوه وبصقوه ليلقوا بالإله فيه. بهذا الإله الذي لم يجد ولا يجد قانوناً أو ديناً أو
نظاماً أو حرساً أو جيشاً أو شعباً أو قضاء أو عدلاً أو ذكاءً أو نبلاً أو رايلاً أو غيوراً أو صديقاً أو
خصماً أو عدواً شهماً يبرئه أو ينقذه أو يصححه أو يدافع عنه ولو بالكلام، ولو بالكلام ولو بالثناء
والبيكاء؟ كيف ينتظر من هذا الكائن أي الإله أي إنقاذ أو إنصاف أو عون أو أي فعل جيد مطلوب أو
واجب وهو لم يفعل شيئاً من ذلك لنفسه. لإنقاذ نفسه أو لمساعدتها أو لتبرئتها؟

.. كيف سبوه وحرقوه وشوهوه بكل صيغ ولغات وطاقات ومعاني السب والتحقير والتشويه أي
هذا الإله كل هذه الأحقاب من الزمن دون أن ينفجر هذا الكون رثاء وغضباً من أجله وغيره عليه..
دون أن يصرخ هذا الكون.. شمس ونجوم وأقماره وبحاره وأنهاره وصحاره وحقوقه قاتلة: أنتم
كاذبون مزورون مخطئون ضالون.. دون أن تضرب شمس ونجومه وأقماره وبحاره وحقوقه وصحاره

عن الطلوع والمجيء احتجاجاً ورفضاً وغيطاً واستنكاراً، استنكاراً، بل ودون أن يثور هو محطماً كل شيء.. كل الوجود غضباً وانتقاماً وثأراً لنفسه؟

.. أجل، لقد كانت قمة المأساة أو حضيضها أو بداية المأساة أو نهايتها، أو أقصى وأقوى شراسة المأساة وانتصاراتها المذلة الفاجعة هي أن استطاع بكل السهولة واليسر هؤلاء المعلمون الذين تقول أو يجب أن تقول كل الافتراضات والتفاسير المصابة بأي قدر من الذكاء أو الرؤية أو المحاسبة؛ إنهم لن يستطيعوا أي شيء مهما سهل وعان فكيف استطاعوا ما استطاعوه في هذه القضية؟

- نعم، إن استطاعوا أن يسحبوا من الإنسان كل معانيه المفكرة العاقلة الرائية المحاسبة المحاكمة المحاوراة المسائلة القابلة الراضية المعجبة المستنكرة المقاومة المحاربة وأن يخذروها ويخمدوها ويفسدوها ويقتلوها؟

- وليس هذا فقط بل إن استطاعوا أن يستبدلوا نقيض هذه المزايا بها أي ليس بأن يعجز عن أن يكون ما يجب ويطلب ويتنظر أن يكون أو أن يرفض أن يكون بل أن يقاوم ذلك بكل الأساليب..!

- نعم، إن استطاع هؤلاء المعلمون القاضحون المفتضحون أن يفعلوا بالإنسان كل ذلك لكي يستطيع أن يقبل ويقتنع ويصدق ويؤمن بل ويعلم ويفخر بأن كائناً ضخماً تعجز كل التفاسير والرؤى والتصورات بل وتهاب أن ترى أو تتصور أو تفهم أو تفسر ضخامته أو تحقق فيها أو أن تقرأها أو تحاورها أو تسألها أو أن تقول لها ما يجب وينبغي أن يقال لها..

- نعم، بأن كائناً ضخماً، ضخماً.. بأن هذا الكائن الضخم الذي تعجز وتهاب وترفض أن تكون كل الضخامات المجنونة شيئاً من ضخامته المجنونة هو الذي أراد وخطط وصمم وأوجد كل هذا الوجود وكل وجود وموجود من صميم وأعماق وأخلاق وتفسير كل معاني العدم..

وبأن هذا الكائن الضخم المتجمعة فيه كل صيغ ومستويات ومعاني كل الجمال والكمال هو الذي يريد ويعشق ويدبر ويخطط ويفعل بكل غيرياته وأخلاقياته كل ما يحدث من هذا الوجود وكل ما يحدث فيه من موت وخراب وذنوب وفساد وضلال وطفيان وزندقات وحروب ومظالم ومجاعات وعاهات وتشوهات وقبائح وفضائح وعار وهموم وآلام وبلادات وجهالات ونقائص وفحش وسخف وعبث وضياع..

ومن كل ما لن يقبله أو يخفئه أي منطق أو عقل أو حساب أو رؤية أو كرامة أو شهامة أو نفاقة أو عدالة أو جمال أو تدمير أو تخطيط أو خلق أو فن.. من كل ما لن يوجد من يقبل أن يكون مريده أو مخططة أو فاعله أو مشاركاً فيه أو متهماً به.. كيف لم يعرف كل أحد أنه إذا كان فوق هذا الكون إله يخططه ويريده ويخلقه فإن كل عمل نعله أو نريد أن نعمله لن يكون بكل التفاسير إلا تصحيحاً ورفضاً ومقاومة ومطاردة لأخطاء وخطايا ونقائص هذا الإله؟

.. ومرة أخرى بكل الذهول والانفجاع والعجز عن الفهم بل وبكل الرثاء لكل من يريد أن يفهم ويصر على أن يفهم - بكل ذلك أسأل: كيف أمكن أن يؤمن الإنسان بذلك.. بما لقته هؤلاء المعلمون في هذه القضية؟

لقد عجز في كل أحقاب وجوده أن يرى أو يجد أو يعرف شيئاً يخلق أو يتخلق أو يحيى من لا شيء، لقد أمل وانتظر ودعا ورجا إلهه أو آلهته لكي توجد شيئاً أو أشياء من العدم لأنه محتاج أبداً إلى هذا الإيجاد أو الوجود من الفراغ فعجز عن أن يجد شيئاً من ذلك وعجزت أو رفضت أو أصيبت بالصمم عن أن تسمع وتستجيب أي آلهته أو أنها أي آلهته لم تصب بأي قدر من الاستحياء أو الحرج أو من النخوة أو الرحمة أو الشهامة لكي تكون سامعة مستجيبة ولو بأسلوب الغلظة النادرة..!

إنها لمزلة للإله أنه لم يخلط ولا مرة واحدة لأنه لا يخلط إلا من يوجد ويفعل..!

.. كذلك لقد تعذب وافتضح وهان وسخف ورذل وشقي أي الإنسان طويلاً، طويلاً ودائماً، دائماً وبلا حدود من كثرة دعائه وتضرعه وركوعه وسجوده وصلاته وتملقه وانتظاره للإله أو لآلهته طالباً وراجياً بكل البكاء والمسكنة لها ومنها أن تتدخل وتنشط وتحمس وتنهض وتمد يديها وعضلاتها بكل قوتها ورحمتها وحكمتها وكرامتها لكي تغير هذا الكون أو أي شيء منه لتصححه وتصلحه وتصوغه أو شيئاً منه صياغة يقبلها أو يرضاه أو يفهمها أو يعقلها أو يتعامل أو يتحاور أو يتلام أو يتعايش أو يتفاهم أو يتناجى معها أو يسعد أو يعجب بها العقل أو النظام أو القوانين أو الأخلاق أو المصلحة أو المنفعة أو الحكمة أو الرحمة أو العدل أو الفنون أو الجمال أو حتى الإيمان والتدين والتعاليم والعقائد أو أي شيء جيد عظيم..!

لكي تحول أي الآلهة هذا الكون من كون هنجي غوغائي عشوائي جاهلي قوضي إلي بلا ضابط أو حساب أو ميزان أو تخطيط أو تدبير أو مسؤولية إلى كون حضاري علمي عقلي أخلاقي حساني التزامي إنساني لا يطلق يديه وعضلاته في كل الظلمة بلا أية رؤية أو خطة أو فكرة أو إرادة. بلا أي قصد أو نية أو همة وفي كل الاتجاهات.. ليضرب ويقتل ويشوه ويجرح ويخرب ويدمر ويحرق ويفرق ويخيف ويهزم ويدل ويفعل كل المآسي والكوارث والضياع والهجوم والجنون والعار والافتضاح بالمنطق والأسلوب والتقوى والنيات والأخلاق والرؤية والرحمة التي يفعل بها النقيض إذا فعله أو لو فعله أي بلا استحقاق أو فقد للاستحقاق في الحالتين..!

ليفعل كل ذلك غير مفرق بين هذا وهذا.. بين من يستحق ومن لا يستحق أو من يستحق النقيض.. غير عارف الفرق ولا باحث أو سائل عن الفرق بين من يستحقون ومن لا يستحقون أو من يستحقون النقيض.. غير مبالٍ بهذه الفروق أو بمعرفتها أو بمحاولة معرفتها.. غير آسف أو نادم على جهله بذلك..!

.. ليصنع وينفذ كل ذلك بلا أية متعة أو شهوة أو رغبة، وبلا اشتزاز أو ندم أو حرج أو كره أو غثيان أو أية مقاساة من أي نوع من أنواع المقاساة المادية أو المعنوية..!

يفعل دون أن ينوي أو يريد أن يفعل وبكف عن الفعل دون أن ينوي أو يقصد أن يكف..! يحيى ويعطي حين يجب أن يميت ويمنع ويميت حين يجب أن يعطي ويحيى..!

واحسرتاه وأأسفاه.. واخيتاه..! ما أقسى ذلك.. أقساه..! لقد دعا ورجا وانتظر الإنسان طويلاً، طويلاً، ودائماً، دائماً بكل الهوان والتذلل والمسكنة والمحبة والأمل والدموع.. نعم، دعا ورجا وانتظر

من قبل له إنه ربه لكي يتدخل أي تدخل ويفعل أي شيء في هذا الكون سلباً أو إيجاباً بتدبير وتخطيط وحساب وإرادة لكي يجد أي دليل على أنه يوجد خارج هذا الكون أي كائن يفعل بالقصد والتخطيط والتدبير والحساب والنظام وإرادة الثواب والعقاب على حسب الاستحقاق وبنيات التحريض على فعل الخير والزجر عن فعل الشر بل ولكي يحمي هذا الكائن من كل الشرور والأخطاء والخطايا والمظالم ويعين على فعل نقيضها بل ويفعل نقيضها. ما أشد حاجة من يعيش في هذا الكون القبيح الأحمق إلى هذا الحامي.. وما أنفطع ألا يوجد هذا الحامي ولا أي حام في هذا الكون ومنه..!

.. لكي يعرف ويؤمن أي الإنسان أن هذا الكون وكل كون محكوم ومقود ومسير ومراقب محاسب محاكم بقوة مطلقة في قدرتها وحكمتها ورحمتها وعدالتها ويقظتها وحماستها وشهامتها ونخوتها وكرامتها واستجابتها وسرعتها وغيرها وفي كل أفعالها وتحركاتها وهجماتها ومقاوماتها وضرباتها بكل التدبير والتخطيط وبأدكى التدبير والتخطيط والاتقان والعدل والفروسية..! ما أنفطع ألا يوجد ذلك..!

- نعم، لكي يعرف ويؤمن ويقتنع بذلك ليصبح مطمئناً مستقراً راضياً مقتنعاً بأنه لا يحدث أي في هذا الكون إلا ما يجب وينبغي أن يحدث التزاماً بالقوانين والشرائع والتعاليم والأخلاق المنطقية العادلة التي قبل أن تطبق على الإنسان يلتزم بها الإنسان يجب أن تطبق على الإله والكون وأن يلتزم بها الإله والكون..! لقد كان صعباً ورهيباً ومفرعاً مقلقاً مخيفاً بلا حدود أن يجد الإنسان نفسه وحيداً بلا أي حام أو مساعد وبلا أية قوة أخرى عادلة عاقلة قادرة حكيمة حاكمة تفعل ما يجب فعله - نعم، أن يجد نفسه وحده يعيش ويساكن ويواجه ويعامل ويصارع ويخاصم ويفسر ويحاور جثة هذا الكون..!

الإنسان وحده أمام جيروت وطينان وحماقات وجهالات وجنون هذا الوجود. هل يوجد مثل هذا توريطاً وتعذيباً؟ أجل، لقد كان الإنسان حريصاً ومحتاجاً ومولعاً بكل الاحتراق والحماس واللهفة والديمومة أن يجد هذا الكائن أو هذا الإله الذي علم ولقّن بل وفرض عليه الإيمان به..! لقد كان تعليمياً وتلقينياً وفرضاً لما لن يصبح قضية تحاسب أو تفسر أو تفهم..!

ولكن كل رؤاه وتجاريه ومعاملاته ومشاهداته وحياته ووجوده ومقاساته وتفسيره وكل كينوناته وكينونات كل شيء ظلت تصدم وتفجع وتكذب وتهزم كل آماله وإيمانه وتطلعاته وصلواته واعتقاداته وكل تعاليمه ومصاحفه وتوراته وأناجيله وكل مقدساته وملقناته ومحفوظاته قائلة: كلا، كلا.. ضلال، ضياع، خداع، عبث عبث.. تضليل، تضليل دفع فيه وله أعلى الأثمان وأفدحها وأقبحها وأغياها. إن أحداً لم تحب وتكذب وتصدم آماله وتطلعاته وعلاقاته مثلما خابث وكذبت وصدمت آمال الإنسان وتطلعاته وعلاقاته بالإله..!

.. إنه لا شيء سوى كون ضخيم، ضخيم الجثة، جثة ضخمة بلا أي شيء من العقل أو التفكير أو الأخلاق أو النظام أو الغرض أو الهدف أو القيمة.. بلا أي معنى مفهوم أو معقول أو مقبول أو يمكن أن يكون له أي تفسير أو غرض أو هدف.. كون ضخامته هي كل الضخامة وأكبر من كل

تصورات وتفاسير وحدود الضخامة بلا قائد أو حاكم أو محاكم أو منظم أو معلم أو موجه أو مفسر أو مؤدب أو معاقب كيف تطاق معانيه أو مساكنته أو فهمه أو التعامل معه بشيء من الثقة؟

.. إنه كون أو وجود آلي ذاتي اضطراري عشوائي أمي. لا يدري ولا يسأل لماذا جاء ومتى ولماذا جاء كما جاء إن كان قد جاء ولا متى يذهب وكيف يذهب ولماذا يذهب وأين يذهب إن كان محتوماً أن يذهب وهل من الخير والأفضل أن يذهب أو أن يبقى... كون لا حدود لضخامته وبداته بلا أي تدبير أو تفكير أو تخطيط أو تنظيم أو إرادة أو هدف أو غاية أو خلق أو حتى رؤية!

.. كون أو وجود هو كل أعداء نفسه.. يحارب وبخاصم وبشوة ويقتل ويمرض ويفقر ويجيع ويناقض ويفسد ويدمر ويزلزل ويهين ويموت ويصادم ويفجر ويهزم ويحرق ويضلل ويلعن ويهجو نفسه ويوقع بها كل الشرور والآثام والأخطاء والخطايا التي وجدت والتي سوف توجد دون أن يدري أو يريد أو يستطيع ألا يفعل ذلك أو أن يفعله بأي أسلوب آخر أو أن يرحم أو يشفق أو يخجل أو يتوقر في فعله..!

.. وسوف يظل يفعل كل ذلك وغير ذلك بنفسه أبداً أبداً بلا أي إنقاذ أو تغيير في الأسلوب أو في النية أو في المنطق إذ لا منطق هنا ولا نيات، كون بكل هذا الاتساع والضخامة يعمل بل يضرب ويخبط بكل قدرته بلا أي قدر من العقل أو المنطق أو الحساب أو حتى التساؤل..!

.. والعجب كل العجب إن استطاع الإنسان أن يضل كل هذا الضلال المعجز في نوعه وديمومته وقوته.

- إن استطاع التصديق والإيمان بأن هذا الوجود وكل وجود قد أراده وديره وخططه وأوجده من العدم كائن من خارجه أي الإله، وأيضاً إن استطاع التصديق والإيمان بأن كل ما يحدث في هذا الوجود ومنه إنما يحدثه أعظم كائن أي الإله بكل التدبير والتخطيط والحكمة والرحمة والاعتقان والحدوة والإعجاز وبكل الإرادة والمشية والمحبة والفخر والمباهاة والإعجاب والرضا والفرح والتحدي.. التحدي.. التحدي..!

لقد جاء ضلال الإنسان في هذه القضية ضللاً معجزاً ومنحدياً لكل ضلال أي في ضخامة شدوه وغبائه وجراته على التحدي لكل ما يناقضه ويطله ويكذبه ويسخر منه وكل شيء يفعل به كل ذلك أي يطله ويناقضه ويكذبه ويسخر منه..!

وهو أيضاً معجز لكل الضلال في ضخامة خسارته والمخسران به ومنه، لقد خرج الإنسان بكل وجوده.. بكل عقله ورؤاه ومواجهاته وتجاريه وبكل معانيه - خرج بكل ذلك من وجوده ومن هذا الوجود ومن كل وجود لكي يستطيع أن يؤمن هذا الإيمان..!

لقد صلب ورجم وجلد وطارد وعاقب وأذل كل معانيه لكي يؤمن هذا الإيمان..!

إن أي شيء لم يعاقب أو يهن أو يشوه نفسه أو يخرج عليها مثلما عاقب وأهان وشوه الإنسان نفسه وخرج عليها ومنها بإيمانه هذا الإيمان..!

لقد ظل الإنسان ولا يزال وسوف يظل يصد ويهدد ويقاتل ويذجر كل رؤاه وتساؤلاته وأفكاره

وأخلاقه ومحاسناته لكي يستطيع أن يظل مؤمناً بهذا الإيمان. لقد ظلّ وسوف يظل مضطراً إلى هذا الصد والتهديد والزجر والمقاومة والمقاتلة لمعانيه هذه ولكل معانيه الصادقة المتعاملة مع وجودها ومع وجود هذا الوجود لكي يستطيع أن يظل مؤمناً إيمانه هذا..!

لقد جاء غياب وضلال الإنسان في هذه القضية متفوقاً على غياب وضلال هذا الكون مع أن الكون هو الذي زرع ورعى ورسخ وخلد في الإنسان غيابه وضلاله وعلمه إياهما واضطراهما إليهما وكذا فعل به وله كل معانيه كما فعل وصنع به وله وجوده وذاته وكل كينوناته وصيغته..!

وهكذا جاء المخلوق وفياً لخالفه إذ تخلق والتزم بكل أخلاقه ومعانيه بل جاء المخلوق متفوقاً على خالفه في كل ذلك..!

لقد خلق هذا الكون الإنسان بالأساليب والنيات والعيقرات والشهامة والبحث عن الجمال والكمال التي بها خلق الحشرات والجراثيم المرضية والعاهات والشوّهات والزلازل والبراكين والأوبئة والمجاعات وكل ما يفجع ويصدم ويغيظ ويثير كل الذعر والغثيان والاشمئزاز والغضب والاكتئاب العقلي والنفسي والفني والإبداعي والأخلاقي..!

هل عرف أو درس أو فسر هذا النوع من الاكتئاب أي اكتئاب العقل والفن والإبداع والأخلاق؟

لو كان لهذا الكون إله وكان قد تخلق فيه شيء من الغضب والاحتجاج والرفض أو من هذا الاكتئاب النبيل أي الاكتئاب العقلي والنفسي والإبداعي والأخلاقي فهل كان يمكن حينئذ أن يوجد هذا الوجود أو أي شيء منه أو أن يوجد كما أوجده؟ ما أقبح وأخسر وأندل كائناً كل تفسير وأخلاق وعقل هذا الكون هي كل تفسيره وأخلاقه وعقله وكل قبحه هو كل جماله..!

لا.. لم تكن الكلمة في البدء ولا البدء..

عجيب وفظيع هذا القول الذي قال ويقول:

«في البدء كانت الكلمة». من قائل هذا؟ بئس هو..!

إذا كانت الكلمة هي البدء وفي البدء أي قبل كل شيء وموجدة لكل شيء فمن الذي قالها أي الكلمة وقد افترضت قبل كل شيء.. قبل أن يوجد أي قائل بقولها أو يقول أي شيء غيرها؟ أليس محتوماً أن تكون الكلمة.. كل كلمة مسبقة بغيرها ومسبقة بقائلها؟ كيف يخفى ذلك على أحد؟ كيف وجد من قال ذلك أو من فهمه أو من صدقه؟ ولكن أليس التعجب من أي شيء في هذا الوجود هو الذي يجب أن يصنع كل العجب..؟

.. أيها العقل، أيها المنطق اغفرا لمن خلقوكما أو نطقوكما أو لمن تخلقتما فيهم أو لمن خلقتماهم أو لمن نسبنا إليهم أو نسبوا إليكما. إنهم يستحقون الغفران لأنهم يستحقون كل الرثاء..!

لا، لا نغفرا بل حاسبا وعاقبا من أهانوكما وشوهوكما وأفسدوكما وأوقعوا بكما كل الاتهامات الفظيمة.. ولكن أيها العقل، أيها المنطق أكنتما مخلوقين محكومين مسخرين مستعبدين ولستما خالقين أو حاكمين أو قائدين أو حتى معلمين أو قاضيين أو حكميين فكيف إذن تريدان أو تستطيعان أن تحاسبيا أو تعاقبا؟ صعب القول بأنكما ظالمان أو بأنكما مظلومان.. إنها لأفسى مشكلة بل إنها لكل المشكلة..

إنه لا يوجد بدء لكي تكون الكلمة أو غير الكلمة هي البدء أو هو البدء. إن البدء المطلق مستحيل في قوانين الكينونة والوجود والإيجاد والخلق والتخلق.. إن البدء المطلق يعني وجود الشيء من لا شيء وبلا موجد. وهل يمكن هذا ولو تصوراً؟

إن القول بالبدء من لا شيء مثل القول بقاء ما لم يوجد أو بضعفه أو بمرضه. إنه مثل الحكم على من لم يوجد ولن يوجد بأي حكم؟ وهل حدث أن حكم على من لم يوجد أو وصف؟ لقد حدث..!

إن «الكلمة» طور متطور بعيد جداً عن البدء لو كان يوجد بدء.. إنها في كينونتها وتكونتها وفي وظائفها وتفسيرها أعلى مستويات التطور.. إنها طور التدبير والتفكير والمحاسبة والإبداع المخطط المحسوب الفعال المقسر..

فالكلمة ليست أفعالاً أو نطقاً بل ليست لغات فقط ولكنها هذه المعاني. فالذين لم يبلغوا طور التفكير والتدبير والتخطيط والمحاسبة والإبداع المفسر لم يبلغوا طور الكلمة مهما بلغوا طور النطق

واللغات بل مهما بلغوا طور من يتعبدون ويصلون ويتزلون ويحفظون ويفسرون ويفرّزون الكتب المقدسة ويخاطبون الآلهة معها، بل مهما حسبوا وأعلنوا آلهة. والإنسان فيما يعرف حتى اليوم هو وحده الذي بلغ طور الكلمة ما أطول المسافة بين طور الكلمة وطور النطق بالكلمة...!

ولعل الصحيح أنه بعض الإنسان وليس كل الإنسان أي الذي صعد إلى طور الكلمة.

إنه لا يوجد في الكون الذي نعرفه من بلغ طور الكلمة غير الإنسان أي بعض الإنسان.. كم هي طويلة وعظيمة الفروق بين الإنسان الذي بلغ طور الكلمة والإنسان الذي بلغ طور النطق بالكلمة..!

.. حتى الإله أي لو وجد هذا الإله الذي أوجد هذا الكون ونام فوقه أو في أحواله - نعم، حتى هذا الإله هو بعيد كثيراً عن بلوغ طور الكلمة لأن كل ما حدث ويحدث في كونه بل وفي حياته وممارساته لحياته بعيد كل البعد عن أي شيء من التفكير والتدبير والحساب والتخطيط والمنطق والنظام والمحاسبة بل هو كل النقيض لكل ذلك.. إن الزلازل والبراكين والأعاصير والأوبئة ليست كلمة ولم تكن أو تحدث بالكلمة ومثلها الإله.. إن محدثها لم يكن ولن يكون متعاملاً بالكلمة أو فاهماً أو متعلماً لها..!

.. إنه لم يوجد أبعد عن طور الكلمة وعن منطقها وأخلاقيها وتفسيرها مثل الإله.. مثل كل إله وقد بناه في ذلك الإنسان العربي..!

.. أجل، لقد كان في البدء الكلمة أو كانت الكلمة في البدء أو كانت هي البدء إذا كان المعنى بالبدء بدء حضارة الإنسان وبدء إنجازاته الإبداعية ولم يكن يعني بالبدء بدء الكون أو بدء الأشياء من العدم أو من الفراغ أو البدء الذي يكون بكلمة: «كن» «كن» موجهة إلى لا شيء فيكون كل شيء.. كل ما يريد قائل «كن»..!

نعم، إذا كان هذا هو المراد بالبدء وكان المراد بالكلمة المساعدة إلى طور التفكير والتدبير والتخطيط والرؤية المقتنحة المتخيلة لكل الحدود والحدود والحواجز..

وكان المراد بالكلمة الكلمة المساعدة إلى طور الأفعال والابتكارات الإبداعية ولم يكن المراد الكلمة الجميلة الشاعرة الفصيحة البليغة المعجزة في بلاغتها وفصاحتها المتحدية في إعجاز فصاحتها وبلاغتها ولا الكلمة التي تقول للشيء كن فيكون كما يفهم قومي العرب معاني الكلمة.. هل أهين أي شيء مثل القول بأن الأشياء تحدث بأن يقال لها كوني فتكون؟

هل يمكن أن يكون قد بلغ طور الكلمة من يعتقدون ويعلمون بكل المباهة والغرور أن كل معجزاتهم أو أعظم وأخلد معجزاتهم هي الكلمة المقروءة المحفوظة المكتوبة المتغنى المصلى بها المتحدى ببلاغتها وفصاحتها كل العالم بل كل الكون، ولا يعنون بالكلمة الكلمة المساعدة إلى أعلى أطوار التفكير والتدبير والتخطيط والتنظيم والتطوير والتغيير والإبداع؟

.. إن الكلمة هي أبداً تعبير عن مستوى الطور التكويني الذي بلغه قائلها ولكنها لم تصنع ولن تصنع هذا الطور أو المستوى..

ولكني نفهم هذا الذي لا يحتاج فهمه إلى أية معاناة علينا أن ننظر إلى القوم الذين يملكون كتاباً مؤلفاً من كلمات أو مما زعم كلمات ويرون ويعلنون بكل الألسنة والأجهزة أن كتابهم هذا بكلماته هذه قاهر ومذل لا عجزه للإس والجان بل ولكل الكون في كل زمان ومكان.

- نعم، لننظر إلى هؤلاء القوم لئلا نرى هل استطاع هذا الكتاب بكل أساليب استهلاكه وقيادته وتعليمه وإغرائه وتذاته وإرهابه وادعاءاته ومزاعمه وتمجيده لهم وبكل افتقارهم وافتضاحهم بمذلة وقسوة إيمانهم به وطاعتهم وتعبدهم له - أجل، هل استطاع أن يصعد بهم إلى طور الكلمة التي سبقت تفاسيرها؟

- هل يمكن تصور فاضحين لكل معانيهم وتفسيرهم ومستوياتهم العقلية والفكرية والفنية والنفسية والتصورية والحضارية بل والإنسانية والمستقبلية مثل من يعتقدون ويؤمنون ويؤمنون أنها توجد كلمة تقول للشيء.. لكل شيء ولأي شيء «كن» فيكون وأنه يوجد فوق هذا الكون كائن يملك هذه الكلمة امتلاكاً مطلقاً وشاملاً دائماً وأنه يتعامل بها أبداً، وأنه لا يحدث ولم يحدث ولن يحدث أي شيء في هذا الكون أو في أي كون إلا بإطلاق هذه الكلمة عليه، كذلك لا يزول أو يموت أو يدمر أي شيء كان موجوداً إلا بإطلاقها عليه؟! هل وجد حقاً من يقولون أو يعتقدون ذلك؟

قوم يعتقدون ذلك كيف يمكن أن يكون لهم منطق أو تدبير أو حساب أو تخطيط أو تفكير أو إبداع أو كيف يحتاجون إلى ذلك أو يثقون بأي شيء يرون ويعملونه أو لا يرونه ولا يعملونه؟

قوم يؤمنون هذا الإيمان كيف يطمعنون إلى أن الكلمة «كن» لن تنزل في أية لحظة السرر والأرائك والأرض التي ينامون ويجلسون ويمشون فوقها؟



.. كل شيء بل وكل ما ليس شيئاً مسددة إليه كل الأوقات ومن كل الجهات والاتجاهات بكل الأساليب والفرقعات والاحتمالات.. مسددة إليه كلمة «كن» الفتاكة الخالقة المحيية البانية لكل شيء ولكل ما ليس شيئاً والمشوّهة القاتلة الهادمة المزيلة لكل شيء ولكل ما ليس شيئاً.. مسددة إليه لتفعل به وله كل الاحتمالات وكل ما يحدث له وبه وفيه وكل ما ينتظر ويوقع..

.. مجتمع يعيش في كون تحكمه هذه الكلمة «كن» وقائلها.. هذا المجتمع كيف يمكن بل كيف يجوز أن تتخلق فيه طاقات التفكير أو التدبير أو التخطيط أو الضبط أو المحاسبة أو الإبداع أو النشاط أو الحماس أو الاقتحام بأي نوع أو أسلوب من أنواع وأساليب ذلك؟

بل كيف يمكن أو حتى يجوز أن يفكر في شيء من ذلك أو يهتم أو يأخذ به أو يشعر بالاحتياج إلى أي شيء من ذلك؟

إن مثل هذا المجتمع لن يفعل شيئاً من ذلك بأسلوب قوي وجيد وصحيح مهما حاول أن يفعل ذلك ناسياً أو متناسياً لإيمانه بكلمة «كن»..!

ولن يكون إيمانه هذا هو المانع له من ذلك ولكن إيمانه هذا لا بد أن يكون تفسيراً لمستوياته الذاتية التكوينية التي يكون بها أو لا يكون.. يكون بها قوياً مبدعاً أو عاجزاً ضعيفاً متخلفاً..!

إن عقائد الإنسان وكذا آلهته لا تصنع أو تقتل أو تقوى أو تضعف طاقاته أو مواهبه العقلية أو الإبداعية أو النفسية أو الأخلاقية ولكنها قد تعلن عنها وتفسرها. فالعقائد وكذلك الآلهة هي أبدأ مصنوعة مصوغة لا صانعة ولا صائفة..!

والفاجع في هذه القضية أن الأعجزين عن فعل الأشياء الجيدة والعظيمة هم الأفردون على صناعة وصياغة الآلهة والأديان والعقائد الطاغية القاهرة المذلة القوية في إذلالها وقهرها.

.. لهذا فإن إيمان الضعيف الطاقات والمواهب والأخلاق والذكاء والحماس - فإن إيمانه بأقوى وأذكى وأتقى وأجمل وأعظم الآلهة أو الأديان أو المعتقدات أو المذاهب أو الكتب المقدسة لن يصنع منه أي إيمانه هذا أي شيء جيد أو ذكي أو قوي أو جميل..

إنه لن يصوغ تكوينه الذاتي أية صياغة أخرى لا أفضل ولا أردأ..

كما أن القوي في معانيه أي في تكوينه أو تكوينه الذاتي لن يضعف ذلك فيه فقدته للإيمان بهذا الإله أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الكتاب المقدس المحسوب أو المزعوم كل التفوق كما لن يضعف ذلك فيه إيمانه بأضعف الآلهة أو الأديان أو العقائد أو المذاهب أو الكتب المقدسة أي لو أمكن أن يؤمن بذلك.. بهذا الأضعف..!

بل المفروض أن المؤمن يضعف بقدر ما يقوى إلهه ودينه وعقائده وإيمانه بها..!

.. فالمؤمنون بكلمة: «كن فيكون» لم يكن إيمانهم هذا هو الذي صنع ضعفهم وتخلفهم الشامل الفاجع ولكنه أعلن عنه ودل عليه. إن كل أنواع التخلف والضعف لا بد أن تكون مجتمعة في المؤمنين بكلمة «كن».

.. والفروق بين كل الكائنات ومنها البشر ليست فروقاً في الآلهة أو العقائد أو الأديان أو المذاهب وإنما هي فروق في الطاقات والمواهب التي صنعتها وحتمتها الفروق في الكينونات الذاتية التكوينية.. حتى الآلهة والأديان والعقائد والطقوس والشرائع التعبدية.. إنها ليست إلا أطوار كينونات بشرية أو ليست إلا تعبيراً عن أطوار هذه الكينونات البشرية..!

فلو كان البشر في طور أعلى أو طور أدنى من الطور الذي هم فيه لما وجدت الآلهة ولا العقائد ولا الأديان ولا العبادات أي لما اخترعوها أو لجاءت في صيغ ومستويات وأحجام أخرى.. إن الإله هو إحدى صيغ المؤمن به.. إحدى صيغه العقلية والنفسية والأخلاقية والتصورية والتطورية..!

.. إن تكلم اللغات أو تخلفها أو ابتكارها أو ولادتها أحد أطوار كينونات الإنسان الذاتية ومثل ذلك انحرافه وتصوره وصياغته للآلهة والأديان والعقائد والعبادات والحياة الثانية بشواهبها وعقابها

وفردوسها وجحيمها.. فهذه وهذه لا وجود لها في ذاتها وإنما وجودها في ذات الإنسان..
 فطور الإنسان صنع اللغات والآلهة والأديان والعقائد وأنواع الطقوس التعبدية والحضارات
 والابتكارات التي لا حدود ولا نهاية لها..
 أما أطوار الكائنات الحية الأخرى فصنعت الثغاء والرغاء والتعيب والتقيق والتفريد والصهيل
 والزئير والتهيق والنباح وغير ذلك..
 وكلا الفريقين يعبر عن طوره لا عن أواخر أو شرائع قادمة إليه من وراء هذا الكون أو من
 فوقه..!

إنه لم يوجد من علم الإنسان آلهته وأديانه وعقائده وعباداته إلا بقدر ما وجد من علم الكائنات
 الأخرى غناها وعواها وكل أصواتها..!

لقد تعلم الإنسان كل اعتقاداته وغيبياته وأوهامه وصلواته كما تعلم أحقادها وعداواتها وبغضاء
 وأنانياتها بلا معلم بل بطور كينونته كما تعلمت الحيوانات والطيور تعبيراتها..

.. إن المنطق أو القانون أو التفسير أو الهدف أو المعنى أو الجمال أو الذكاء أو الصدق أو
 الحب الذي تحول به الإنسان إلى كائن متدين متعبد معتقد منزل حافظ قارئ للكتب المقدمة..
 مؤمن بالآلهة داخ مخاطب مناج لها هاتف بها خائف راج منتظر منها معاد محارب شاتم مبغض
 باسمها وبدعوى الاحترام والإرضاء والإفراج لها والدفاع عنها صانع لها أي للآلهة الجحيم والفردوس
 لترشو بهما ترغيباً وإرهاباً هو المنطق أو القانون أو التفسير أو الهدف أو المعنى أو الجمال أو الذكاء
 أو الصدق أو الحب الذي تحولت به الكائنات الأخرى إلى ثاغية وراغية وناعبة ونابحة وصاهلة وزائرة
 وناعقة ومغردة ومفترسة وأيضاً إلى صامتة كل الصمت..! إنها فروق في أطوار الكينونة الذاتية تحولت
 إلى فروق في التعبير عن هذه الفروق التكوينية الكينونية..!

إن ما في صلاة وصيام وحج وتعبّد وإيمان الإنسان من تقوى أو من تفاسير ومعاني التقوى لن
 يكون أكثر أو أفضل مما في تباح أو تعيب أو زئير أو صهيل أو اقتراس الكائنات النابحة الناعبة الزائرة
 الصاهلة المفترسة من ذلك أي من التقوى أو من تفاسيرها ومعانيها لأن كلا الفريقين إنما يعبر عن
 طور كينونته لا عن تقواه أو فسوقه.. لا عن صفاته أو خيئه، لا عن حيه أو بغضه، لا عن نذالته أو
 نبهه.. لا عن أنانيته أو إيثاره..!

إن سجود الإنسان للإله لا يحمل من معاني التقوى أو الجمال أو الحب أكثر مما يحمل من
 ذلك اقتراس الحيوان المفترس لقربته..!

إن كليهما ينطق بلغته ويستجيب ويخضع ويتعبد لكينونته..!

إن أصوات المؤذن والحاج والمصلّي والداعي المحتمل لإلهه ليست إلا لغات طور كينونة كذلك
 أصوات الناقع والناعب والناهق والنايع..!

لن يكون الإله سعيداً أو جميلاً أو محبوباً أو مطاعاً بهذا إلا بقدر ما يكون كذلك بذلك.

.. إن الكلمة أي ما يحسب وزعم ويسمى كلمة كلمتان.. وكم هي عظيمة وبعيدة المسافات والفروق بين الكلمتين.. كلمة نزل من السماء وتحفظ وتقرأ وتكتب ويصلى ويغنى ويتعبد ويغافر ويهاهى ويتحدى ويعجز بها كل العالم ويعوض ويستغنى بها عن كل مجد وقوة وإبداع وحضارة وطاقة بشرية بل وعن فكر وتفكير وعلم وعقل وابتكار إنساني مثلما فعل القرآن الذي هو كلمات كما يزعم أي مثلما رؤي وحسب وزعم واعتقد وأعلن أي القرآن.. أليس أصحاب هذا القرآن عاجزين عن كل شيء عظيم وجميل ونافع وتقي ومع هذا يزعمون ويعلمون أنهم هم كل قادة وهداة ومعلمي كل العالم وأنهم كل التحدي والإعجاز لكل العالم وكل التفوق والمنفوقين عليه أي بقرآنهم هذا الذي هو كلمات أي المزعم والمعتقد والمعلن بأنه صعد إلى طور الكلمات بل إلى طور المعجز لكل الكلمات ولكل المتكلمين أي بكلماته؟ ولا بد هنا من الاعتذار إلى الكلمات والكلام لحسبان وإعلان القرآن كلمات وكلاماً.. أليس في هذا إهانة وإذلال وتحقير لسجد الكلمات والكلام أي في إعلان وحسبان واعتقاد وزعم القرآن العربي كلاماً وكلمات؟ فطبع، فطبع هذا أي هذا الإعلان والحسبان والاعتقاد والزعم عن القرآن..!

نعم، أليس أصحاب هذا القرآن يزعمون ويعتقدون أنهم بدينهم وقرآنهم هذا هم كل قادة وهداة كل العالم إلى النجاح والنجاة والتقدم والقوة والمعرفة وإلى كل الخير والجمال والسعادة؟

.. هذه هي إحدى الكلمتين. وأكرر أنه لا بد من الاعتذار إلى الكلام والكلمات لتسمية ولزعم واعتقاد قرآننا ولكل ما نقوله أو لأي شيء مما نقوله كلاماً وكلمات..!

إن صعدنا إلى طور الكلام صعب مثل صعود النابحات والناغيات إلى طور اللغات..!

.. وأما الكلمة الأخرى فهي الكلمة المفكرة المدبرة المخططة المحاسبة المسائلة الفاعلة المبدعة العظيمة المتواضعة المرحقة المعذبة بالتزاماتها الكثيرة العظيمة.. إن هذه الكلمة هي كل الحضارات بكل إبداعاتها وأنواعها وتفسيرها وتاريخها ومعانيها..!

فأية الكلمتين نحن.. أصحاب أيهما نحن؟

لينا نكون ونستطيع أن نكون الكلمة الثانية أو من أصحاب الكلمة الثانية مهما رفض وغضب وقاوم ديننا وقرآننا وإلهنا وأخلاقنا ومواهبنا وعجزنا وكسلنا وتقوانا وكل ترائنا وتاريخنا أن نكون ذلك أو شيئاً منه..!

أليس كل هذا يأتي أن نكون ما يجب وينبغي أن نكونه؟

.. ما أتيج وأفزع أن تكون الأمة المعجزة لكل العالم بالكلمة والمتحدية لكل العالم بالكلمة.. بالقرآن - أن تكون هذه الأمة هي أبعد العالم عن معاني الكلمة.. أعجز العالم عن أن تكون شيئاً من معانيها المدبرة المفكرة المخططة المحاسبة الذكية العاقلة الرائية الفاعلة المبدعة وليست الناطقة الصارخة ضد معانيها.. لتكون رفضاً ومقاومة ومطاردة بل ومساباً لمعانيها هذه..!

إن كل طاقاتها ومواهبها الكلامية نفى وتعمير وقتل وهجاء للكلمة بكل معانيها وتفاصيلها الحضارية والإنسانية والإبداعية بل والأخلاقية والدينية.



إن أي قوم لم يهجو أو يفضحوا أو يحرقوا ويسبوا أنفسهم مثلما فعل قومي بأنفسهم حينما اعتقدوا وأعلنوا تحديهم وإعجازهم لكل العالم بل لكل الكون بكلمات.. ببلاغة وفصاحة هذه الكلمات.. ببلاغتها وفصاحتها اللفظية والتركيبية والتأليفية والنطقية والنظمية لا يعلمها أو إبداعها أي بكلمات القرآن متلوة ومسموعة ومغناة ومصروخاً مصلى بها وسارقة للأوقات والطاقات لحفظها وتفسيرها وتعليمها وللإعجاب والمباهاة بها وللحديث عن إعجازها وأسرارها وإصرارها على أن الإيمان بها وحفظها وتلاوتها والعجز عن فهمها بل والتعبد بالعجز عن فهمها هو كل الفهم والعقل والعلم والتفوق والنجاة والحياة وكل الانتصار على كل ما يطلب وينبغي الانتصار عليه..!

بل لقد حول قومي قراءة وحفظ هذه الكلمات بلا أي فهم أو محاولة فهم لها أو رغبة في فهمها - حولوا ذلك إلى أعلى وأتقى أساليب العبادة والتعبد وإلى أقوى أساليب الاستيلاء على محبة ورضا واهتمام وإعجاب الجالس بكل الغرور والكبرياء فوق كل هذا الوجود، لأن هذه الكلمات أي القرآن هي أعظم وأخلد وأنفع ما استطاع قوله وأراد قوله.. لأنه يرى أنه لا شيء يعرض ويفسر جماله وعبرته ونفوقه مثل هذه الكلمات أي القرآن.. لهذا فإنه لم يتحد كل العالم بشيء إلا به أي بالقرآن ولم يحرم على نفسه الكلام إلا بعد أن تكلمه لأنه قد استفرغ فيه كل طاقاته وعبرياته..!



الكلمة الأخيرة بل الاولى

كيف استطاع أي كائن مهما كانت بلاده ودمامة ووحشية وهمجية وفسوق عقله وفكره ورؤيته وأخلاقه وقلبه وضميره ونفسه وتقواه وكل معانيه أن يعتقد ويرى أو أن يلتقن ويقال له فيصدق أن كائناً مطلق القدرة والإرادة والحرية قد خطط وصاغ هذا الوجود بكل آثامه وآلامه وعيوبه ونقائصه وتشوهات وأخطائه وخطاياهم وفضائحه وعاره وأحواله وعداواته وخصوماته وزندقاته وحروبه ومظالمه وكل فحشه وقبحه ثم جلس فوقه أو أمامه متفجراً متسلماً متلهياً منياً شامتاً متلذذاً سعيداً يرى ويسمع ويشاهد ويواجه دون أن يحرك أو يخاطب أو يحرض شيئاً من عضلاته أو عقله أو قلبه أو أخلاقه أو عواطفه ليصحح أو يصلح أو يغير أو يحمي أو يمنع أو يزجر أو يعالج أو يضرب أو يفعل أي شيء أو حتى يحزن ويكسي أو يخجل أو يقاسي من ضخامة الذنوب والعار أو حتى يهرب من وجوده أو يحاول الهرب؟

نعم، كيف أمكن ذلك؟ كيف أمكن؟

هل يستطيع جنون كل المجانين بل وكل الجنون المتصور والممكن والمستحيل أن يتناس جنون البشر في هذه القضية؟

هل أنهكت عقريات وإنجازات الإنسان العقلية عقله فهوى إلى هذا الجنون؟ هل هناك علاقات حب مجنون بين العفوية والجنون.. بين الصعود والهبوط؟

هل يمكن تصور بشاعة تساوي هذه البشاعة في أي معنى أو تفسير من معانيها أو تفاسيرها؟ أليست كل البشاعات لا بد أن تهزم وتصر وتهدم أمام هذه البشاعة بل وتغفر وتسي؟ أليست كل البشاعات بكل صيغها ومعانيها هي ولادة واستفراغ هذه البشاعة.. هي شيئاً من الإعلان والتعبير عنها؟

.. نعم، فاعل كل هذا الكون.. فاعله بكل أهواله وعيبه وحماقاته وبلاداته وجهالاته ونذالاته وويلاته وقباحاته وفضائحه وجرائمه وعاره وهوميه.. فاعله بكل آثام وآلام ومهانات ودمامات وشقاء وأحزان وورطات كل كائناته.. كل حيواناته وحشرات وبشره..

- نعم، فاعله ومريده ومذبره وراضيه ومعاشيه ومساكنه ومضاجعه بكل أوصافه هذه يظل أبداً، أبداً.. يظل كل عمره الطويل المديد الحزين العقيم البائس - يظل، يظل بلا حساب للزمن أو لأي شيء..

وهل للزمن وجود أو معنى في حساب وحياة فاعل ومخطط هذا الوجود؟

- نعم، يظل، يظل أبداً، أبداً بلا أية نهاية أو تغيير مستلقياً على ظهره أو منبطحاً على بطنه بلا أية مقاساة أو محاسبة عقلية أو قلبية أو أخلاقية أو حتى انفعالية نفسية أو دينية..

.. نعم، يظل كذلك في غيبوبة دائمة شاملة أو يظل كذلك متسلياً متفرجاً فرحاً مرحاً كل الفرح والسرور بكل هذا الكون وبكل ما يحدث فيه من أهوال، أهوال لا تستطيع كل التفاسير أن تفسره، ولا كل العقول أن تعقله، ولا كل الطاقات أن تطيقه، ولا كل الأخلاق أن تتحمله أو تغفره، ولا كل العيون أن تراه أو أن ترى شيئاً منه، ولا كل القدرات الحسائية أن تحسبه، ولا كل الأخطاء والخطايا أن تنافس شيئاً من أخطائه وخطاياها..

دون أن يفعل أي فاعل وصاحب هذا الوجود أو يحاول أن يفعل أي شيء رفضاً أو غضباً أو استنكاراً أو تغيراً أو تبديلاً أو تصحيحاً أو تخفيفاً أو اعتذاراً أو توبة أو محاولة لشيء من ذلك..

.. دون أن يتحرك أو ينبض أو يتفجر أو يحترق أو يصرخ أي شيء من طاقات جسمه أو من معانيه انفعاعاً وذعراً واستبشاحاً واستبشاعاً ورفضاً وكرهاً وتأثماً ومعاقبة للنفس..

.. دون أن يحطم كل المرايا التي أمامه والتي قد تكون خوفاً من أن يرى فيها وجهه أو ذاته أو شيئاً من وجهه أو ذاته..

دون أن يدمر ويهزل كل شيء لئلا يراه أو يجدد أو يتهم بأن يراه أو يجدد أو يعرفه أو بأنه موجوده أو مريده ومخططة أو حتى معاشيه أو مساكنه أو مواجهه..!

كيف أمكن أن توجد هذه الأسطورة أو أن يوجد صانعها؟

هل يمكن أن يوجد من يقبل أن يكون هو هذه الأسطورة مهما تنافس وتسابق كل المتنافسين والمتسابقين على التقرب إلى هذا المتهم باتهامه بها؟

وكم يستحق أن يذم ويتهم ويشتم ويعاب من يملك بعض القدرة على أن يصحح بعض كينونات هذا الكون ثم لا يفعل فكيف بمن يملك كل القدرة على تصحيح هذه الكينونات الكونية التي هو وحده مدبرها ومريدها وفاعلها ثم لا يفعل ولا يريد أن يفعل ولا ينتظر أن يفعل شيئاً من هذا التصحيح؟

وبل لكائن جاء معاشاً لهذا الوجود ومحكوماً عليه حكماً ذاتياً نكوبياً بأن يكون وبطل أبداً أمام كل شيء محققاً رانياً سائلاً متسائلاً محاسباً محاكماً مصرراً على أن يفهم ويقتنع قبل أن يقبل ويؤمن ويلتزم.

وبل لعقل يعيش في غير زمانه ومكانه ولقلب يخفق بين قلوب حامدة..

وبل لمن يرى بكل معانيه كل ما تراه عيناه. وهل وجد هذا الرائي؟

وبل للفكر يرفض هو أن يكون كاذباً أو جباناً ويرفضون بل ويعاقبون هم أن يكون صادقاً أو شجاعاً..

وبل لعربي ترفض أو لا تستطيع جبهته وفاتمه السجود والانحناء لكل الأوثان والوثنيات العربية..

أليس كل شيء في التاريخ العربي حتى أقبح الأشياء وأرذوها حتى الثورات العربية حتى الثوار العرب وحتى المتعني وأمثاله من صناع العار العربي قد تحول إلى أوثان ووثنيات.. إلى أقسى الأوثان والوثنيات..

أليست كل الأوثان والوثنيات قد تجمعت في التاريخ.. العربي.. العربي.. والعربي الإسلامي؟

إن الإنسان المثل الذي يجب أن يكون هو زنديق العقل.. قديس النفس والأخلاق.. هو العاصي المتمرد المحارب بتفكيره.. المؤمن التقى الورع بسلوكه ونياته.. وليس العكس.

فهل تلد الأحشاء أو الأصلاب أو المواهب العربية هذا الإنسان المثل؟

هل تلده تقوى الإنسان العربي أو يبلده تدينه أو إيمانه أو قرآنه أو كعبته؟

أو يبلده أبنياؤه أو أئقياؤه أو فقهاؤه أو شعراؤه أو خلفاؤه الراشدون أو غير الراشدين؟

هل يبلده عدنانه أو قحطانه أو الفاقد لأنسابه وانتسابه؟

ويل لكائن جاء معاشاً لهذا الوجود ومحكوماً عليه حكماً ذاتياً تكوئياً
بأن يكون ويظل أبداً أمام كل شيء محدقاً رائياً سائلاً متسائلاً محاسباً
محاكماً مصراً على أن يفهم ويقتنع قبل أن يقبل ويؤمن ويلتزم .
ويل لعقل يعيش في غير زمانه ومكانه ولقلب يخفق بين قلوب
خامدة . .

ويل لمن يرى بكل معانيه كل ما تراه عيناه . وهل وجد هذا الرائي؟
ويل لفكر يرفض هو أن يكون كاذباً أو جباناً ويرفضون بل ويعاقبون هم
أن يكون صادقاً أو شجاعاً . .

ويل لعربي ترفض أو لا تستطيع جبهته وقامته السجود والانحناء لكل
الأوثان والوثنيات العربية . .

أليس كل شيء في التاريخ العربي حتى أقبح الأشياء وأرذوها حتى
الثورات العربية حتى الثوار العرب وحتى المثني وأمثاله من صناع العار
العربي قد تحول إلى أوثان ووثنيات . . إلى أفسى الأوثان والوثنيات . .
أليست كل الأوثان والوثنيات قد تجمعت في التاريخ . . العربي . .
العربي . . والعربي الإسلامي؟

إن الإنسان المثل الذي يجب أن يكون هو زنديق العقل . . قديس النفس
والأخلاق . . هو العاصي المتمرد المحارب بتفكيره . . المؤمن التقى الورع
بسلوكه ونياته . . وليس العكس .

فهل تلد الأحشاء أو الأصلاب أو الواهب العربية هذا الإنسان المثل؟
هل تلدته تقوى الإنسان العربي أو يلدته تدينه أو إيمانه أو قرآنه أو كعبته؟
أو يلدته أنبيأؤه أو اتقيأؤه أو فقهاؤه أو شعراؤه أو خلفاؤه الراشدون أو غير
الراشدين؟ هل يلدته عدنانه أو قحطانه أو الفاقد لأتسابه وائتسابه؟

ISBN 978-9953-507-35-4



9 789953 507354